

رحمه الله تعالى

(1896م - 1945م)

(المجلد الأول)

جمعها ورتبها وعلق عليها وخرج أخبارها

أبو عبد الرحمن محمود







الجزائر

EXCLUSIVE RIGHTS BY
DAR EL-RACHID
ALGERIA

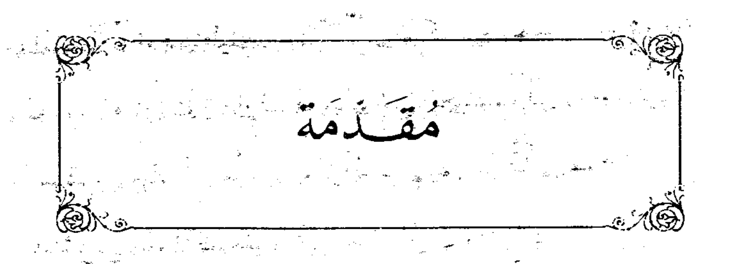
الطبعة الأولى
1433 هـ - 2012 م

دار الرشيد

33 شارع بركية "باب الوادي" - الجزائر

الهاتف: 04 - 44 - 96 (021)
الفاكس: 46 - 25 - 96 (021)
الجوال: 11 - 80 - 23 (050)
البريد الإلكتروني:
dar-errachid@hotmail.com
رقم الإيداع:
الترقيم الدولي: I.S.B.N

آثار
الشيخ مبارك الميلي رحمه الله



مُقَدِّمَة

إنَّ الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إله إلَّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمَّدًا عبده ورسوله.

أمَّا بعد:

«فإنَّ الطِّينةَ الجزائريَّةَ طينةُ علمٍ وذكاءٍ إذا واتَتْها الظُّروف»[1]، بل إنَّ الجزائر ـ حرسها الله ـ «منبت رجالٍ، ومعدن نُبوغ، ومطلع بدور»[2]، فقد أنجبتْ عبر العصور الزَّاهرة ـ مَن تاريخها الماجد، وماضيها المشرق، ولا تزال ـ فطاحل العلماء والفقهاء والمحدِّثين والمفسِّرين والأصوليِّين والقُضاة والمُفتين والمُقرئين والمؤرِّخين والفلكيِّين والأدباء والشُّعراء والكُتَّاب والمفكِّرين، ممَّن ذاع صيتُهم في الآفاق، وتجاوزت سمعتُهم ومكانتُهم رُقعةَ الجزائر إلى المغرب العربي كلِّه، بل امتدَّ تأثيرهم

---

(١) قالها الشَّيخ ابن باديس في «الشِّهاب» (٥/ ٢٣٣) و(٧/ ٢٠).

(٢) قالها الشَّيخ مبارك الميلي كما سيأتي.

وإشعاعهم إلى المشرق الإسلاميِّ أيضًا.

ومِنْ أبرز الأعلام الَّذين تعتزُّ بهم المدن الجزائريَّة ـ مثل الجزائر[1] وبجاية والمسيلة[2] وقسنطينة وعنَّابة[3] وبسكرة وتلمسان ووهران، وغيرها من قلاع العلم، ومنارات المعارف يومئذٍ، ممَّن أنجبتهم، أو جاءوا إليها من الأصقاع البعيدة ليستقرُّوا بها، أو مرُّوا بها وأقاموا فيها ما قُدِّر لهم؛ ليستفيدوا من أهل العلم المنتشرين بها، أذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر:

١ـ الفقيه الفضل بن سلمة البجائي (ت: ٣١٩هـ): وصفه من ترجم له بـ: «الحافظ الكبير، العالم الَّذي ليس له نظير»[4].

٢ـ شيخ الإسلام أحمد بن نصر الدَّاوُودي المسيلي التِّلمساني (ت: ٤٠٢هـ): أوَّل من شرح «صحيح البخاري» في كتابٍ سمَّاه «النَّصيحة».

٣ـ المحدِّث أبو بكر بن يحي الوهراني (ت: ٤٣٠هـ).

٤ـ الفقيه المحدِّث أبو عبد الملك مروان بن علي البوني (ت: ٤٣٩ هـ).

٥ـ الأديب الحسين بن رشيق المسيلي القيرواني (ت: ٤٦٣هـ).

٦ـ الإمام المقرئ أبو القاسم يوسف بن علي البسكري (ت: ٤٦٥هـ).

٧ـ الأديب الشَّاعر ابن النَّحوي التّوزري التِّلمساني البجائي (ت: ٥١٣هـ): صاحب «المنفرجة» ومطلعها:

---

(١) أي العاصمة اليوم.

(٢) كانت معروفة بـ «المحمَّديَّة».

(٣) كانت تُعرف بـ «بُونَة».

(٤) «شجرة النُّور» (ص٨٢) لمخلوف.

اشــتدّي أزمــةُ تنفرجــي ... قــد آذن ليلُــك بــالبلج

وظــلامُ اللّيــل لــهُ سُرُجُ ... حتّـى يغـشاه أبـو الـسُّرُج

٨ـ المحدِّث الفقيه أبو محمَّد عبد الله بن محمَّد الأشيري[1] (ت: ٥٦١هـ): وصفه الحافظ الذهبي بـ «الإمام العلّامة»[2].

٩ـ الإمام الحافظ أبو محمَّد عبد الحقِّ بن عبد الرَّحمن الإشبيلي البجائي (ت: ٥٨١هـ)، صاحب «الأحكام الكبرى» و«الصُّغرى» و«الوسطى» المتوفَّى ببجاية[3].

١٠ـ الرَّاوية الحافظ أبو عمران موسى بن الحجَّاج الأشيري (ت: ٥٨٩هـ).

١١ـ الإمام اللُّغوي يحي بن عبد المعطي الجزائري الزّواوي (ت: ٦٢٨هـ).

وهو صاحب الألفيَّة المشهورة في النَّحو المسمَّاة: «الدُّرَّة الألفيَّة في علم العربيَّة» طالعها:

يقــول راجــي ربّــه الغفــور ... يحي بن معطي بن عبد النور

١٢ـ الحافظ أبو بكر بن سيِّد النَّاس الإشبيلي، نزيل بجاية، (ت: ٦٥٩هـ).

١٣ـ القاضي الفقيه أبو العبَّاس أحمد بن أحمد الغُبريني (ت: ٧٠٤هـ)، صاحب «عنوان الدِّراية فيمن عُرِفَ مِنْ علماء المائة السَّابعة في بجاية».

---

(١) نسبةً إلى بلدة أشير بالجنوب الشَّرقي من مدينة «البرْوَاقِيَّة» التَّابعة اليوم لولاية المديَّة.

انظر «تاريخ الجزائر العام» (١/ ٣٠٤) لعبد الرحمن الجيلالي.

(٢) «سير أعلام النُّبلاء» (٢٠/ ٤٦٦).

(٣) انظر «عبد الحقِّ الإشبيلي البجائي محدِّث القرن السَّادس الهجري» مقال لرابح بونار، منشور في مجلَّة «الأصالة» الجزائرية/ العدد (١٩).

١٤ـ العلَّامة الشَّيخ محمَّد بن إبراهيم الآبلي التِّلمساني (ت: ٧٥٧هـ): وهو من مشايخ العلَّامة ابن خلدون.

١٥ـ العلَّامة الفقيه: أبو عبد الله محمَّد بن محمَّد المَقْري[1] التِّلمساني (ت: ٧٥٩هـ).

١٦ـ الإمام الأصولي الشَّريف التِّلمساني (ت: ٧٧١هـ)، وهو مؤلِّف «مفتاح الوصول إلى علم الأصول».

١٧ـ العلَّامة ابن مرزوق الخطيب التِّلمساني (ت: ٧٨١هـ).

١٨ـ الأديب الشَّاعر المؤرِّخ أبو الحسن عليّ بن محمَّد الخُزاعي التِّلمساني (ت: ٧٨٩هـ)، صاحب الكتاب النَّفيس «تخريج الدّلالات السَّمعية على ما كان في عهد رسول الله ﷺ من الحِرف والصَّنائع والعمالات الشَّرعيَّة».

١٩ـ العلَّامة المؤرِّخ عبد الرَّحمن بن خلدون (ت: ٨٠٨هـ): مؤصِّل علم الاجتماع في «المقدِّمة» الَّتي كتبها لكتابه الضَّخم القيِّم: «العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر»، وقد أكبَّ على تحريرها لَمَّا حلَّ بقلعة سلامة بـ«فرندة» بنواحي «تيارت» بالجزائر.

٢٠ـ العلَّامة ابن قنفد القسنطيني (ت: ٨٠٩هـ).

٢١ـ الإمام القاضي سعيد العُقباني التِّلمساني (ت: ٨١١هـ).

٢٢ ـ العلَّامة ابن مرزوق الحفيد التِّلمساني (ت: ٨٤٢هـ).

---

(١) نسبةً إلى قرية «مَقَّرة» ـ بفتح الميم وتشديد القاف المفتوحة، وقيل: بفتح الميم وسكون القاف ـ إحدى قرى الزَّاب الجزائري المشهورة بجنوب جبال الحضنة، وتبعد بنحو عشرين كيلومترًا بالجنوب الشَّرقي من مدينة المسيلة.
انظر: «تاريخ الجزائر العام» (٣/ ١٤٤).

٢٢ـ الإمام المفسِّر أبو الفضل محمَّد بن محمَّد بن أبي القاسم المشدَّالي[1] (ت: ٨٦٤هـ).

٢٣ ـ الإمام أبو العبَّاس أحمد الشُّمُنِّي القسنطيني (ت: ٨٧٢هـ).

٢٤ـ الإمام المفسِّر الشَّيخ عبد الرَّحمن الثَّعالبي (ت: ٨٧٥هـ)، صاحب «الجواهر الحسان في تفسير القرآن».

٢٥ـ الفقيه أبو عبد الله محمَّد بن قاسم الرصَّاع التِّلمساني (ت: ٨٩٤هـ).

٢٦ـ الحافظ المؤرِّخ أبو عبد الله محمَّد بن عبد الله بن عبد الجليل التَّنسي (ت: ٨٩٩هـ)، مؤلِّف «نظم الدُّرِّ والعُقيان في بيان شرف بني زيان»، و«الطِّراز في شرح ضبط الخرَّاز».

٢٧ ـ الفقيه محمَّد بن عبد الكريم المغيلي التِّلمساني (ت: ٩٠٩هـ).

٢٨ ـ العلَّامة الفقيه أحمد بن يحي الونشريسي[2] التِّلمساني (ت: ٩١٤هـ)، صاحب الموسوعة الفقهيَّة: «المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب».

٢٩ـ العلَّامة أبو العبَّاس أحمد بن محمَّد المَقري التِّلمساني (ت: ١٠٤١هـ)، صاحب الأثر الجليل: «نفح الطِّيب بغصن الأندلس الرَّطيب وذكر وزيرها لسان الدِّين بن الخطيب».

٣٠ـ العلَّامة المصلح عبد الكريم بن محمَّد الفكون القسنطيني (ت: ١٠٧٣هـ)،

---

(١) انظر: «عبقريَّة المشداليِّين العلميَّة في بجاية على عهدها الإسلامي الزَّاهر» مقال لرابح بونار، في العدد المتقدِّم من «الأصالة».

(٢) نسبةً إلى جبل ونشريس: «جبل عظيم، شماله نهر شلف وغربه سهل منداس، وجنوبه سهل وزينة غربًا، وسهل السرسو شرقا» كما في «تاريخ الجزائر» (٢/ ٤٧١) لمبارك الميلي.

صاحب الكتاب النَّفيس: «منشور الهداية في كشف حال من ادَّعى العلم والولاية»، و«محدِّد السِّنان في نحور إخوان الدُّخان».

٣١ ـ الشَّيخ المصلح صالح بن مهنَّا القسنطيني الأزهري (ت: ١٩١٠م).

٣٢ ـ الشَّيخ عبد القادر المجاوي (ت: ١٩١٣م).

٣٣ ـ الشَّيخ محمَّد المكِّي بن عزُّوز (ت: ١٩١٥م).

٣٤ ـ العلَّامة الشَّيخ الطَّاهر بن صالح السَّمعوني الجزائري الدِّمشقي (ت: ١٩٢٠م)، أحد مؤسِّسي المكتبة الظَّاهريَّة بدمشق، ومؤلِّف «توجيه النَّظر إلى علوم الأثر».

٣٤ ـ الشَّيخ حمدان الونِّيسي القسنطيني، المدرِّس بالمسجد النَّبويِّ، دفين مقبرة البقيع بالمدينة النَّبويَّة (ت: ١٩٢٠م).

٣٥ ـ الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّحمن الديسي (ت: ١٩٢١م).

٣٦ ـ الدُّكتور محمَّد بن أبي شنب (ت: ١٩٢٩م).

٣٧ ـ العلَّامة الأديب الشَّاعر: محمَّد بن أحمد العمري البسكري المدني[1] (ت: ١٣٥٠هـ).

٣٨ ـ الشَّيخ عبد الحليم بن سماية (ت: ١٩٣٣م).

٣٩ ـ العلَّامة الشَّاعر المفتي المولود بن الموهوب (ت: ١٩٣٩م).

٤٠ ـ الشَّيخ عبد الرَّحمن أبو حجر المالكي الأزهري (ت: ١٣٥٨هـ).

---

(١) انظر: مجلَّة «المنهل» (م١٨/ ص٣٨ـ٤٠ و١٦٣ـ١٦٥ و٢٤٢ـ٢٥٠) و(م٣٠/ ص٢٧٧ـ٢٨٠ و٣٥٧ـ٣٦١ و٤٤٥ـ٤٤٧ و٥٠٦ـ٥١٠).

و«آثار الإمام محمَّد البشير الإبراهيمي» (٥/ ٢٧٦).

٤١ـ العلَّامة المصلح الإمام عبد الحميد بن باديس (ت: ١٩٤٠م): رائد النَّهضة العلميَّة بالجزائر في هذا العصر.

٤٢ـ الشَّيخ حميدة بن الطَّيِّب بن علال الجزائري المدني (ت: ١٩٤٣م).

٤٣ـ الأديب الشَّاعر مفتي بجاية ثمَّ وهران في وقته: الشَّيخ حسن أبو الأحبال (ت: ١٩٤٤م).

٤٤ـ العلَّامة المحقِّق الشَّيخ مبارك بن محمَّد الميلي (ت: ١٩٤٥م): مؤلِّف السِّفرين الجليلين: «رسالة الشِّرك ومظاهره»، و«تاريخ الجزائر في القديم والحديث».

٤٥ـ الشَّيخ الوقور والإمام الخطيب أبو يعلى الزَّواوي (ت: ١٩٥٢م).

٤٦ـ المصلح الفقيه الشَّيخ العربي بن بلقاسم التبسِّي (ت: ١٩٥٧م).

٤٧ـ العلَّامة الشَّيخ محمَّد الخضر حسين الطُّولقي التُّونسي (ت: ١٩٥٨م)، شيخ الجامع الأزهر.

٤٨ـ الشَّيخ المصلح والخطيب الشَّاعر: الطَّيِّب العقبي (ت: ١٩٦٠م).

٤٦ـ العلَّامة الأديب الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي (ت: ١٩٦٥م).

٤٩ـ الشَّيخ المصلح عمَّار الأزعر السُّوفي الجزائري المدني (ت: ١٩٦٨م).

٥٠ـ العلَّامة المؤرِّخ محمَّد العربي التَّبَّاني السّطيفي الجزائري، ثمَّ المكي (ت: ١٩٧٠م).

٥١ـ الأستاذ المفكِّر مالك بن نبيٍّ (ت: ١٩٧٣م).

٥٢ـ العلَّامة السَّلفي الشَّيخ محمَّد بهجت البيطار[1] (ت: ١٩٧٦م).

---

(١) ولد بدمشق في أسرة دمشقيَّة عريقة، جدُّها الأعلى من الجزائر، انظر: «المستدرك على تتمَّة الأعلام» (٣/ ٨٤) لمحمَّد خير رمضان يوسف.

٥٣ـ الأديب الشَّاعر محمَّد العيد آل خليفة (ت: ١٩٧٩م).

٥٤ـ الأستاذ الدَّاعية محمَّد بن عبد القادر المبارك[١] (ت: ١٩٨٢م).

٥٥ـ الإمام القاضي عبد القادر بن أحمد الجزائري المدني[٢] (ت: ١٤٠٢هـ).

٥٦ـ العلَّامة المفسِّر والدَّاعية المصلح الشَّيخ أبو بكر جابر الجزائري المدني ـ حفظه الله تعالى وعافاه ـ، المدرِّس بالمسجد النَّبويِّ إلى يومنا هذا.

٥٧ـ الدُّكتور الشَّيخ محمَّد عبد القادر العروسي الجزائري المكِّي[٣] ـ حفظه الله تعالى ـ: الأستاذ بجامعة أمِّ القرى سابقًا، والمدرِّس بالمسجد الحرام.

هؤلاء الفحول ـ وغيرهم كثير[٤] من أبناء الجزائر البَرَرَة، ونُزلائها الخيرة ـ

---

(١) ولد في دمشق، وأصل أسرته من الجزائر [من نواحي دلَّس]، هاجر منها والد جدِّه إثر الاحتلال الفرنسي سنة (١٨٤٥م)، انظر: «تتمَّة الأعلام» (٢/ ١٨٨).

(٢) انظر: «مكتبة الملك عبد العزيز بين الماضي والحاضر» (ص١٥١ـ١٥٢) لعبد الرَّحمن المزيني.

(٣) أصل عائلته من «وادي سوف» بالجنوب الجزائري، كما أخبرني بنفسه.

(٤) ومن أراد الوقوف على نُبذ من تراجم هؤلاء وغيرهم ممَّن لم نذكرهم؛ فليراجع:

ـ «الضَّوء اللَّامع» للسَّخاوي.

ـ «شجرة النُّور الزَّكيَّة» لمخلوف.

ـ «تعريف الخلف برجال السَّلف» للحفناوي.

ـ «تاريخ الجزائر في القديم والحديث» للميلي.

ـ «تاريخ الجزائر العام» للجيلالي.

ـ «تاريخ الجزائر الثَّقافي» لسعد الله.

=

هم أساطين العلم وجهابذته، وأعلام الفكر وقادته، حُقَّ للجزائر المسلمة أن تُباهي بهم وتُفاخر، وترفع رأسها بين الأمم وتُكاثر، وتتشرَّف بنسبتهم إليها وتُجاهر!

فهل يعي هذه الحقيقة أبناؤها اليوم من طلبة العلم وأهله؟!

وهل يعملون جاهدين ـ بُرورًا بسلفهم ـ لِطيِّ صفحة النِّسيان، بَلْهَ الجحود والنُّكران، فيحيون ذكرهم بالتَّعريف بهم ـ سيما المغمورين منهم ـ ونشر جلائل أعمالهم، وتحقيق آثارهم، وإخراجها في صورة تناسب العصر؟!

*** الباعث على جمع آثار الشَّيخ مبارك الميلي:**

لقد دفعني لجمع هذه الآثار أمور، من أهمِّها:

١ـ إحياء ذكر علمائنا الأعلام، وفي مقدِّمتهم روَّاد الإصلاح الأفذاذ الَّذين خلَّدوا أسماءهم بأعمالهم الجليلة وجهادهم الموفَّق في صفحات التَّاريخ.

٢ـ الوفاء لشيخ مشايخنا: الأستاذ الجليل مبارك الميلي رَحِمَهُ اللهُ بأداء بعض حقِّه علينا ـ نحن معشر الطَّلبة الجزائريِّين ـ «بما علَّم وكتب، وبما نصح وأرشد، وبما ردَّ على الدِّين مِنْ عوادي المبتدعين، وبما وقف من مواقف في الإصلاح الدِّيني والدُّنيويِّ»[1]، وبما خلَّف من تراث علميٍّ.

= ـ «معجم أعلام الجزائر» لنويهض.

ـ «أعلام الإصلاح» لدبوز.

ـ «من أعلام الإصلاح في الجزائر» لفضلاء.

(١) «البصائر»: العدد (١٠٩) من السِّلسلة الثَّانية.

٣ـ تحقيق رغبة بعض أفاضل مشايخنا رَحِمَهُ اللهُ ـ وهو من تلامذة الأستاذ ـ الَّذي كان من أمنيته ما سطَّره بقلمه: «لو جُمعت كلُّها ـ يعني مقالاته ـ لكانت سِفْرًا جليلًا»[1]!

٤ـ السَّير على خطى السَّابقين في جمعهم لآثار علمائنا المصلحين، فقد جُمعت آثار الإمام ابن باديس[2]، والإمام محمَّد البشير الإبراهيمي[3]، والشَّيخ العربي التَّبسِّي[4] ـ رحمهم الله ـ، وهي جهود مشكورة وأعمال مبرورة، ولا يكتمل بناء هذا الصَّرح العلميِّ العظيمَ إلَّا بالاعتناء بآثار الشَّيخين الجليلين: «مبارك الميلي»، ثمَّ «الطَّيِّب العقبي»، رحمهما الله.

* آثارُ الميلي وَصِلَتِي بها:

ترجع صلتي بآثار الشَّيخ مبارك الميلي ـ رحمه الله تعالى ـ إلى أكثر من رُبْعِ قَرْنٍ مِنَ الزَّمن، وبالتَّحديد حين كنت تلميذًا في المرحلة المتوسِّطة سنة (١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م)، وظهرت الدَّعوة إلى الطُّرقيَّة المبتدعة في مسجد حيِّنا[5]، مستهدفةً بالأخصِّ الطَّبقة المثقَّفة من الثَّانويِّين والجامعيِّين وغيرهم، فلم أجد بين يديَّ مصنَّفًا يكشف عوارها ويجيب عن شُبهاتها بالدَّليل والبرهان أفضلَ مِن «رسالة الشِّرك ومظاهره»، تأليف

---

(١) «صراع بين السُّنَّة والبدعة» (٢/ ١٨) لأحمد حمَّاني.

(٢) جمعها د.عمَّار الطَّالبي في أربعة مجلَّدات، ثمَّ وزارة الشُّؤون الدِّينيَّة في عهد الأستاذ عبد الرَّحمن شيبان في ستَّة أجزاء.

(٣) جمعها نجله الأستاذ الدُّكتور أحمد طالب الإبراهيمي في خمسة أجزاء، نشر دار الغرب الإسلامي بيروت.

(٤) جمعها بعنوان «الأعمال الكاملة للشَّيخ العربي التَّبسِّي» الأستاذ أحمد شرفي الرِّفاعي.

(٥) هو حيّ «جنان مبروك»، التَّابع لبلدية «حسين داي» سابقًا، إحدى بلديات العاصمة.

الشَّيخ مبارك بن محمَّد الميلي، الَّتي اقتنيتُها ـ وأنا بصدد البحث عن مصادر في هذا الباب ـ من «مكتبة النَّهضة» الكائنة آخر شارع «العربي بن مهيدي» بالعاصمة، الَّتي نشرت الكتاب في مجلَّد، وثمنه يومئذ (١٥) دينارًا جزائريًّا.

لقد كانت رسالة الشَّيخ الميلي مرجعي الأساسي في تحضير دروسٍ كنتُ أُلقيها ـ على صِغَرِ سنِّي وقلَّة علمي ـ على جمعٍ من الشَّباب وغيرهم، في حلقات تُعقد بين صلاتي المغرب والعشاء في القاعة السُّفلى التَّابعة للمسجد المعروفة يومئذ بـ«المدرسة»، تثبيتًا للعقيدة الصَّحيحة في نفوس الحاضرين، وتحذيرًا لهم من الاغترار بعقائد الطُّرقيَّة الفاسدة وأفكارهم الخُرافيَّة المنحرفة عن الكتاب والسُّنَّة وفهم السَّلف الصَّالح ﷺ، وتحصينًا لهم مِنَ الانزلاق في تُرَّهات الصُّوفيَّة وخزعبلاتهم الَّتي لا تنطلي على عاقل، فضلًا عن فقيه عالم!

هذا؛ وقد كنتُ كلَّما ازددتُ ـ على مرور الأيَّام ـ اطِّلاعًا على فصول «رسالة الشِّرك ومظاهره»، واقتناصًا للشَّوارد المبثوثة في ثناياها؛ ازددتُ يقينًا بأنَّ الكتاب نسيجُ وحدِه، سيما بعد أن شَدوتُ شيئًا من علوم الشَّريعة الغرَّاء؛ ممَّا دفعني إلى الاعتناء به؛ بتحقيقه وتخريج نصوصه، ونشره في حلَّة جديدة وثوب قشيب[1]، والحمد لله الَّذي بنعمته تتمُّ الصَّالحات.

لقد كان عملي في هذه الرِّسالة المباركة ـ إن شاء الله ـ فاتحة خير وبركة، اقتنعتُ من خلاله أنَّ مِنْ أجلِّ الأعمال وأَفْيد المشاريع الَّتي أقدِّمها للقرَّاء عمومًا، والجزائريِّين خصوصًا، مشروعًا أجمع فيه «مقالات الشَّيخ الإصلاحيَّة القيِّمة، وبحوثه النَّافعة، وتعليقاته البديعة، وتقديماته الرَّائقة، وأجوبته الفائقة، المنشورة في

(١) نشر قبل بضع سنين بدار الرَّاية بالرِّياض.

الجرائد والمجلَّات السَّائرة يومئذ كـ «المنتقد» و«الشِّهاب» و«البصائر» وغيرها، إضافةً إلى رسائله الخاصَّة[1] الَّتي كانت متداولة بينه وبين الشَّباب الإصلاحيِّ، إذ «فيها الأخويَّة الوديَّة، وفيها العلميَّة ذات الوزن في التَّحقيق والتَّدقيق، وفيها الأدبيَّة الرَّائعة، والتَّاريخيَّة الَّتي تشير إلى وثائق خاصَّة في عهدٍ من العهود، أو تثير تساؤلات حول شخصيَّة فذَّةٍ أو عبقريَّة تحتاج إلى تقديمها»[2].

فأجمعتُ العزم وعقدتُ النِّيَّة، متوكِّلًا على ربِّ البريَّة، مستعينًا به لبلوغ هذه الأمنيَّة، وبذلتُ جهودًا مضنية في تتبُّع تلك المقالات مِنْ بطون الجرائد والمجلَّات[3]، وتحمَّلْتُ من المشاقِّ ما اللهُ به عليم: تفتيشًا وجمعًا، نسخًا ومقابلةً، تصحيحًا وترتيبًا، تعليقًا وتخريجًا، تقديمًا وفهرسةً.

❁ عملي في الآثار:

اعلَمْ ـ وفَّقني الله وإيَّاك ـ أنَّ مقالات الشَّيخ مبارك الميلي المدرجة في هذه

---

(١) والوصول إليها هي العقبة الكؤود، وقد بذلت قصارى جهدي لجمع النَّصيب الأوفر منها، مستعينًا ببعض فضلاء الأساتذة والمشايخ، فاتَّصلتُ بالأساتذة: عبد الرَّحمن الجيلالي، أحمد ابن ذياب، محمَّد ناصر، ووعدوني خيرًا! لكن دون جدوى إلى الآن!

فأُهيبُ بمن عنده شيءٌ من هذه الرَّسائل أن لا يضن بها علينا، وأخصُّ بالذِّكر: آل قُصيبة، وآل حاج عيسى الأغواطي، وآل أحمد توفيق المدني، وآل ابن ذياب، وآل الجيلالي؛ لنستدرك ذلك في طبعة قادمة ـ إن شاء الله ـ والله مِنْ وراء القصد، وهو يهدي السَّبيل.

(٢) مجلَّة «الثَّقافة»: العدد (٣٧).

(٣) وأحيانًا من «الميكروفيلم» المحفوظ في «المكتبة الوطنيَّة» بالحامَّة فيما لم يتيسَّر لي مطبوعه.

الآثار الَّتي بين يديك على أقسام:

١ـ ما كان بإمضائه الصَّريح: ـ وهو الغالب ـ فيكتب تحته: «مبارك بن محمَّد الميلي»، وكتب مرَّة[1]: «السَّلفي» بدل «الميلي»، ويختصره أحيانًا فيكتب: «مبارك الميلي».

٢ـ ما كان بإمضاءٍ غير صريح، بل مستعار: مثل «بيضاوي» و«الهلالي».

وهذا القسم اعتمدتُ فيه على شهادة الثِّقات كالشَّيخين أحمد حمَّاني[2] ومحمَّد الصَّالح بن عتيق[3] ـ رحمهما الله ـ في الإمضاء الأوَّل، والأستاذ محمَّد ناصر[4] في الإمضاء الآخر ـ أثابه الله ـ.

٣ـ ما كان خاليًا من الإمضاء: ويلاحظ في بعض مقالاته وتقديماته وتعليقاته المنشورة في صحيفة «البصائر» خاصَّةً، بدءًا من العدد (٨٤) بعد تسلُّمه لإدارتها.

وهذا القسم اسْتَنَدْتُ فيه إلى القرائن، ثمَّ إلى أسلوب الشَّيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وأمَّا عملي في هذه الآثار؛ فيتلخَّص فيما يلي:

ـ نسختُ مقالات الشَّيخ ورسائله بعناية، ثمَّ قابلتُ بين المنسوخ والمطبوع، مصحِّحًا الأخطاء الطِّباعيَّة مع الإشارة إلى ذلك في الهامش.

---

(١) انظر مقاله الآتي: «الأدب الجزائري يُبعث من مرقده» (١/ ١٤٢ ـ ١٤٦).

(٢) في كتابه «صراع بين السُّنَّة والبدعة» (٢/ ١٣ و١٥).

(٣) في كتابه «أحداث ومواقف» (ص٥٢).

(٤) في كتابه «أبو اليقظان وجهاد الكلمة» (ص٣٢٥ و٣٢٦ و٤٦٧)، ثمَّ أكَّد لي في مكالمةٍ هاتفيَّة أنَّه استفاده من الشَّيخ أبي اليقظان صاحب جريدة «وادي ميزاب» الَّذي أخبره بذلك.

- رتَّبتها مُراعيًا تاريخ نشرها، وإلَّا فتاريخ كتابتها إن لم يسبق لها النَّشر.

- رقَّمتُ الآيات القرآنيَّة الكريمة، مع ذكر السُّورة في المتن.

- خرَّجتُ الأحاديث النَّبويَّة المرفوعة والآثار السَّلفيَّة الموقوفة، باختصار، مع الإحالة على بعض المصادر في هذا الفنِّ.

- عرَّفتُ بصاحب الآثار: العلَّامة المحقِّق، مؤرِّخ الجزائر، الشَّيخ مبارك ابن محمَّد الميلي رَحِمَهُ اللَّهُ تعريفًا موجزًا، يلي هذه المقدِّمة.

- علَّقتُ على بعض المواطن الَّتي تحتاج - في ظنِّي - إلى تعليق.

- وأخيرًا؛ وضعتُ فهارس مُعِينَة للقارئ، وهي:

١- فهرس الآيات القرآنيَّة.

٢- فهرس الأحاديث والآثار.

٣- فهرس الشِّعر.

٤- فهرس الأمثال والحِكم.

٥- فهرس الألفاظ المشروحة.

٦- فهرس الأعلام.

٧- فهرس البلدان والأماكن.

٨- فهرس الكتب.

٩- فهرس المجلَّات والجرائد.

١٠- فهرس المساجد والمدارس والنَّوادي والمكتبات.

١١- فهرس الجمعيَّات.

١٢- فهرس الموضوعات.

ولا أنسى أن أُسدي جزيل الشُّكر وعاطر الثَّناء لكلٍّ من أعانني على إخراج هذه الآثار بهذه الصُّورة المشرقة، وأخصُّ بالذِّكر الجميل:

١ـ أستاذنا الكبير الأديب القدير: محمَّد الصَّالح رمضان ـ رحمه الله رحمةً واسعة وجزاه خيرًا ـ الَّذي وضع بين يديَّ كلَّ ما أحتاجه من جرائد ومجلَّات كـ«الشِّهاب» و«البصائر» قبل أن ترى النُّورَ من دار الغرب الإسلامي.

٢ـ أخانا الحبيب: سمير البجائي، حفظه الله وبارك فيه، على تصفيفه المتقن وعمله الجادِّ وصبره علينا.

٣ـ أخانا الكريم: رشيد قواسميَّة، ناشر الكتاب، زاده الله توفيقًا ورشادًا، على تجاوبه معنا في إخراج النَّافع من الآثار.

أسأل الله أن يكتب لهذه الآثار القَبول، وأن يجعل أعمالي كلَّها صالحةً، ولوجهه خالصةً، وأن لا يجعل لأحدٍ فيها شيئًا، إنَّه بالإجابة مأمول.

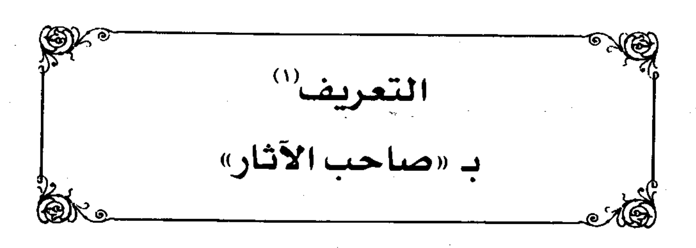
و«سبحانك اللَّهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلَّا أنت، أستغفرك وأتوب إليك».

وكتب

أبو عبد الرَّحمن محمود

باب الزُّوَّار ـ الجزائر

في ١٦ ربيع الآخر ١٤٣٠هـ



التعريف[1]
بـ «صاحب الآثار»

* اسمه ونسبه:

هو مبارك بن محمَّد الهلالي الميلي.

و«الهلالي»: نسبةً إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية، وهو جدُّ القبائل العربيَّة الَّتي نزحت إلى شمال إفريقية أواسط القرن الخامس الهجري[2].

و«الميلي»: نسبةً إلى ميلة إحدى مدن الشَّرق الجزائري، تَبْعُد عن قسنطينة (٥٠) كيلومترًا تقريبًا، وينسب إليها علماء كثيرون، منهم أبو زكريا يحي بن موسى الميلي[3]، مُقرئ بجاية في وقته، وغيره[4].

---

(١) مستلٌّ ملخَّصٌ من جزئنا المطبوع: «نبذة مختصرة عن العلَّامة الشَّيخ مبارك الميلي» ضمن سلسلة «النُّبذ في التَّعريف بأعلام جمعيَّة العلماء».

(٢) «تاريخ الجزائر» (٢/ ١٩٢-٢٠٢) لصاحب الآثار.

(٣) «معجم أعلام الجزائر» (ص٣٢٦) لنويهض.

(٤) «تاريخ الجزائر» (٢/ ١٢٦)، و«معجم أعلام الجزائر» (ص٣٢٤-٣٢٦).

*** مولده:**

ولد في ٢٣/ ٥/ ١٨٩٦م ـ حسب بطاقة تعريفه[١] ـ في «دوَّار أولاد مبارك» من قُرى «الميليَّة» من أحواز قسنطينة.

و«الميليَّة: قرية حدثت في العصر الفرنسي، تقع شمال ميلة بنحو خمسين ميلًا عصريًّا، وهي منسوبة إلى «ميلة»؛ لأنَّ موضعها كان ينزله فرسان بورنان بن عزِّ الدِّين من ناحية «ميلة»، فنُسبت البقعةُ إليهم»[٢].

*** نشأته العلميَّة وأعماله:**

ـ نشأ يتيمًا، فقد توفِّي والده وسنُّه لم تتجاوز أربع سنوات، فكفله جدُّه، ثمَّ عمَّاه.

ـ نزح إلى «ميلة»؛ فحفظ القرآن في جامع «ميدي عزوز».

ـ أخذ مبادئ العلوم الشَّرعيَّة والعربيَّة على الشَّيخ الزَّاهد محمَّد الميلي ابن معنصر.

ـ التحق بدروس الشَّيخ عبد الحميد بن باديس بـ«الجامع الأخضر» بقسنطينة، فكان من أنجب تلاميذه، وانتفع بها انتفاعًا عظيمًا، وأثرتْ فيه تأثيرًا بليغًا.

ـ سافر إلى «جامع الزيتونة» بتونس، فتتلمذ على خيرة علمائه، كالشَّيخ محمَّد النّخلي، والشَّيخ محمَّد الصَّادق النَّيفر، والشَّيخ محمَّد الطَّاهر بن عاشور، وغيرهم، وتخرَّج منه بشهادة التَّطويع عام (١٩٢٤م).

ـ فور رجوعه من تونس؛ شرع في التَّعليم بمسجد «سيدي بومعزة»، مقرّ المكتب العربي بقسنطينة.

---

(١) «الشَّيخ مبارك الميلي: حياته العلميَّة ونضاله الوطني» (ص٩٧ و٩٨) لمحمد الميلي.

(٢) جريدة «البصائر»: العدد (٣٠): «تفقّد الشُّعب» بقلم صاحب الآثار.

ـ في سنة (١٩٢٥م) أُسِّست جريدة «المنتقد»، ثمَّ «الشِّهاب»، فكان يُشارك في تحرير المقالات القيِّمة فيها.

ـ في سنة (١٩٢٦م) انتقل إلى مدينة «الأغواط» بدعوةٍ من أهلها؛ فأسَّس فيها «مدرسة الشَّبيبة» الَّتي خرَّجت أنجب التَّلاميذ وألمع الطُّلَّاب.

ـ في سنة (١٩٣١م) أُسِّست «جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين»، فانتُخِب الشَّيخ مبارك الميلي عضوًا في مجلس إدارتها وأمينًا لماليَّتها.

ـ وبعدما قضى في «الأغواط» سبعَ سنوات في إدارة المكتب العربي بها، رجع إلى «ميلة» فأنشأ فيها مسجدًا جامعًا تولَّى الخطابة والتَّدريس فيه، ومدرسة «الحياة» الَّتي أشرف على سير التَّعليم فيها، و«نادي الإصلاح» الَّذي يحاضر فيه.

ـ أُسندت إلية رئاسة تحرير جريدة «البصائر» لسان حال «جمعيَّة العلماء» بعد أن تخلَّى عنها الشَّيخ الطَّيِّب العقبي، ابتداءً من العدد (٨٤) الصَّادر بتاريخ ٢٤ شعبان ١٣٥٦هـ الموافق لـ: ١٩/ ١٠/ ١٩٣٧م، فاضطلع بالمهمَّة إلى أن قرَّرت «الجمعيَّة» السُّكوت في سنة (١٩٣٩م)، فاحتجبت «البصائر» عن الصُّدور.

ـ في سنة (١٩٤٠م) بعد وفاة الشَّيخ ابن باديس رَحِمَهُ ٱللَّهُ رئيس «جمعيَّة العلماء»، خلفه المترجَم له في الإشراف على الدِّراسة العلميَّة للطَّلبة حتَّى نهاية السَّنة الدِّراسيَّة؛ لأنَّ نائب الرَّئيس يومئذ الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي كان ما يزال منفيًّا في مدينة «آفلو» من الإدارة الفرنسيَّة الاستعماريَّة، غير أنَّ صحَّته لم تكن تساعده على الاستمرار في مثل هذه المسؤوليَّة، فتحوَّلت الدِّراسة من «قسنطينة» إلى «تبسَّة» حيث تكفَّل بها زميله الشَّيخ العربي التَّبسِّي.

* شيوخه:

مِنْ أشهرهم بميلة: الشَّيخ محمَّد الميلي (ت: ١٣٤٧هـ)، وبقسنطينة: الشَّيخ عبد الحميد بن باديس (ت: ١٣٥٩هـ)، وبتونس: المشَّايخ: محمَّد النّخلي (ت: ١٩٢٥م)، ومحمَّد الصَّادق النِّيفر (ت: ١٩٣٨م)، وبلحسن النَّجَّار (ت: ١٩٥٣م)، ومحمَّد الطَّاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، وغيرهم مِنْ علماء الزَّيتونة الأعلام.

ولا ريب أنَّ الَّذي كان له الأثر البالغ في حياة مترجَمنا؛ علمًا وعملًا، وصلاحًا واستقامةً، وعقيدةً ومنهجًا، إنَّما هو الشَّيخ ابن باديس، رحم الله الجميع.

* تلاميذه:

وهم كثيرون بقسنطينة والأغواط وميلة.

وأبرزهم خرِّيجو مدرسة «الأغواط»: كالشَّيخ أحمد الشّطَّة (ت: ١٩٥٨م)، والشَّيخ أبو بكر الحاج عيسى الأغواطي (ت: ١٩٨٧م)، والأستاذ أحمد قُصيبة (ت: ١٩٩٤م)، رحمهم الله تعالى.

* أخلاقه:

قال تلميذه أحمد قُصيبة: «كان رَحِمَهُ اللهُ قويَّ الإرادة، يغلب على أعماله الجِدُّ مع الصَّراحة، وكان ذا شجاعة أدبيَّة، متصلِّبًا في الحقِّ، دقيق الملاحظة، وكان يحبُّ العمل الدَّائم المتواصل، وكان يكره الكسل ويمقت الكُسالى من تلاميذه أو من زملائه، ورغم تشدُّده؛ فقد كان ـ أيضًا ـ كريمَ النَّفس، فُكاهي النّكتة قويّها، حسن المعاشرة، حليمًا بشوشًا، مُحبًّا لتلاميذه، مُحترمًا لأصدقائه، مُراعيًا لأحوالهم ونفسيَّاتهم.

كان طاهر القلب متواضعًا، مفرطًا في التَّواضع، يشعر بذلك تلاميذه

وسامعوه، فكان لا يقول لهم: هل فهمتم؟ بل يقول: أفهمنا؟

ومن أجمل ما في تواضع الميلي.. أنَّه كان يجيب جميع من يكاتبه مهما كان شأنه ومهما كان موضوع الرِّسالة...

وكان رَحِمَهُ اللَّهُ رغم غزارة علمه واعتداده بنفسه يكره الإعلان عن شخصه، وكانت نفسه تنفر من سماع الشُّكر والمديح، وكثيرًا ما يفرُّ من مواطن التَّفاخر والمباهاة والظُّهور، ولا يحبُّ أن يلفت الأنظار إليه»[1].

*** عقيدته:**

كان الشَّيخ مبارك الميلي ـ رحمه الله تعالى ـ مصلحًا سلفيًّا، وعالمًا سنيًّا، متمسِّكًا بما كان عليه السَّلف الصَّالح ـ أهل السُّنَّة والجماعة ـ مجتنبًا ما أحدثه الخلف، بعيدًا عن الكلام وأهله، منكرًا خرافات المتصوِّفة وبدعهم.

ولا أدلَّ على ذلك من تصنيفه النَّفيس: «رسالة الشِّرك ومظاهره» المتلقَّى بالقبول من العلماء المصلحين الفحول، في العالم الإسلامي كلِّه؛ لتضمُّنه العقائد النَّقيَّة، المدعَّمة بالأدلَّة الجليَّة، من الكتاب الكريم والسُّنَّة الصَّحيحة والآثار السَّلفيَّة.

ـ قال الشَّيخ الطَّيِّب العقبي رحمه الله تعالى:

«هذا الكتاب القيِّم الوحيد في بابه، والَّذي لم يُسبق لعالمٍ جزائريٍّ أن ألَّف في موضوعه، فجاء برهانًا على ما في الجزائر اليوم مِنْ نهضة علميَّة إصلاحيَّة، ودعوةٍ إلى عقيدة الحقِّ السَّلفيَّة.

حقَّق بها المؤلِّف ـ أجزل الله له المثوبة ـ جميع أبواب المسائل الَّتي يكثر الخوض

---

(١) «البصائر»: العدد (٢٦) ـ السِّلسلة الثَّانية.

فيها بين السَّلفيِّين وخصومهم، وأعطى به خير سلاح لكلِّ مصلحٍ يقتني نسخةً منه ـ بشرط الفهم ـ في محاربة خصومه.

وبالجملة؛ فهو العقيدة الإسلاميَّة الخالصة، والدَّعوة الإصلاحيَّة الواضحة، ولهذا قرَّرت «جمعيَّة العلماء» نشره باسمها بعد الموافقة على كلِّ ما فيه؛ ليكون سببًا في بيان دعوتها، وحجَّةً ناهضةً ضدَّ كلِّ مَنْ وقف في طريقها»[1].

ـ وقال الشَّيخ أبو يعلى الزَّواوي، رحمه الله تعالى:

«..الأستاذ مؤرِّخ الجزائر الشَّيخ مبارك الميلي الَّذي لو كُنْتُ مِنَ الدَّائنين بالحلول لقلتُ: **إنَّ شيخ الإسلام ابن تيميَّة قد حلَّ فيه!** ولكن أدين أنَّ الله تعالى لا يحتاج إلى روح ابن تيميَّة ليجعلها في دماغ الميلي، ولا أن يغرسها في قلبه، بل يخلق ما يشاء»[2].

*** ثناء أهل العلم والفضل عليه:**

ـ قال أمير البيان شكيب أرسلان، رحمه الله تعالى:

«وأمَّا «تاريخ الجزائر»؛ فوالله! ما كنتُ أظنُّ أنَّ في الجزائر مَنْ يَفْرِي هذا الفري[3]، ولقد أُعجبتُ به كثيرًا، كما أنِّي مُعجب بكتابة ابن باديس، فالميلي وابن باديس والعُقبي والزَّاهري حَمَلَةُ عرش الأدب الجزائري الأربعة»[4].

ـ وقال العلَّامة الأديب الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي، رحمه الله تعالى:

---

(١) «البصائر»: العدد (٨٣).

(٢) «البصائر»: العدد (٩١).

(٣) أي يعمل هذا العمل البالغ.

(٤) مقدِّمة «تاريخ الجزائر» (١/ ١١).

«حياةٌ كلُّها جِدٌّ وعمل، وحيٌّ كلُّه فكر وعِلم، وعمرٌ كلُّه درس وتحصيل، وشباب كلُّه تلقٍّ واستفادة، وكهولة كلُّها إنتاج وإفادة، ونفسٌ كلُّها ضمير وواجب، وروح كلُّها ذكاء وعقل، وعقل كلُّه رأيٌ وبصيرة، وبصيرةٌ كلُّها نور وإشراق، ومجموعةُ خِلال سديدة وأعمال مفيدة، قلَّ أن تجتمع في رجل من رجال النَّهضات، فإذا اجتمعت هيَّأت لصاحبها مكانه من قيادة الجيل، ومهَّدت له مقعده من زعامة النَّهضة.

ذلك مبارك الميلي الَّذي فقدته الجزائر من ثلاث سنين، ففقدت بفقده مؤرِّخها الحريص على تجلية تاريخها المغمور، وإنارة جوانبه المظلمة، ووصل عُراه المنفصمة.

وفقدته المحافل الإصلاحيَّة، ففقدت منه عالمًا بالسَّلفيَّة الحقَّة، عاملًا بها، صحيح الإدراك لفقه الكتاب والسُّنَّة، واسع الاطِّلاع على النُّصوص والفهوم، دقيق الفهم لها، والتَّمييز بينها، والتَّطبيق لكلِّيَّاتها.

وفقدته دواوين الكتابة، ففقدت كاتبًا فحل الأسلوب، جزل العبارة، لبقًا بتوزيع الألفاظ على المعاني، طبقة ممتازة في دقَّة التَّصوير والإحاطة بالأطراف وضبط الموضوع والملك لعنانه.

فقدته مجالس النَّظر والرَّأي، ففقدت مدرهًا لا يبارى في سوق الحُجَّة، وحضور البديهة، وسداد الرَّميَّة، والصَّلابة في الحقِّ، والوقوف عند حدوده.

وفقدته «جمعيَّة العلماء»، ففقدت ركنًا باذخًا من أركانها، لا كلًّا ولا وَكِلًا، بل نهاضًا بِالعِبْءِ، مضطلعًا بما حُمِّل من واجب، لا تُؤتَى «الجمعيَّة» من الثَّغر الَّذي تكل إليه سدَّه، ولا تخشى الخصم الَّذي تسند إليه مراسه، وفقدت بفقده عَلَمًا كانت تستضيء برأيه في المشكلات، فلا يرى الرَّأي في معضلة إلَّا جاء مثل فَلَقِ الصُّبح».

قال: «يشهد كلُّ من عرف مباركًا وذاكره أو ناظره أو سأله في شيء ممَّا يتذاكر فيه الناس أو يتناظرون أو يسأل فيه جاهلُه عالمَه أو جاذبه الحديث في أحوال الأمم ووقائع التَّاريخ وعوارض الاجتماع؛ أنَّه يخاطب منه عالمًا أيَّ عالمٍ، وأنَّه يناظر منه فحلَ عراكٍ وجدلَ حكاكٍ، وأنَّه يساجل منه بحرًا لا تُخاضُ لجُتُّه، وحَبْرًا لا تُدحضُ حُجَّتُه، وأنه يرجع منه إلى عقلٍ متينٍ، ورأيٍ رصينٍ، ودليلٍ لا يضلُّ، ومنطق لا يختلُّ، وقريحةٍ خصبةٍ، وذهنٍ صَيودٍ، وطبعٍ مشبوب، وألمعيةٍ كشَّافة.

هكذا عرفنا مباركًا وبهذا شهدنا، وهكذا عرفه مَنْ يوثق بمعرفتهم، ويُرتاح إلى إنصافهم، ويُطمأنُّ إلى شهادتهم، لا نختلف في هذا»[1].

ـ ولله درُّ الشَّاعر حين أثنى عليه في قصيدة له بعنوان: «تحيَّة الحبيب لحبيبه» فقال:

شَرُفَتْ بك الأغواطُ مذ عاشرتها	وأقــول إنَّــك حــاذق وعلــيمُ
لـمَّـا سـعيتَ لفـتح مدرسـة بهـا	تُحـي العقـولَ ويزدهـي التَّعلـيمُ
فوجدتَ مـن أهـل المكـارم ثُلَّـةً	وضـعتَهُم في الأكـرمين «تمـيمُ»
فَرِحَـتْ بطلعتـك الـبلاد وكلّهـا	هرعتْ إليك وأنـت فيهـا زعـيمُ
أخذوا العلوم نقيَّـة مـن كـلِّ مـا	تـأبى الطِّبـاع أو اعـتلاه سـديمُ
أمبارك حُزْتَ المحاسن في الـصِّبا	والفكــر فكــرٌ ثاقــبٌ وقــويمُ
أمبــارك بَــثَّ العلــومَ فأنــتَ في	ربــع الــسَّعادة ماكــثٌ ومقــيمُ
أهلًا وسهلًا بالَّـذي أهـدى المعَــ	ـارِفَ للشَّباب فهبَّ منهـا نـسيمُ
أهـلًا بمـن أهـدى إلينـا نفائـسًا	واللَّيــلُ ليــلٌ حالــكٌ وبهــيمُ

---

(١) «البصائر»: العدد (٢٦) ـ السِّلسلة الثَّانية.

أهـلًا بموفـور الجَنـاب ومـن بـه يحـي الـشَّبابُ ويحـسن التَّقـويمُ
ملأ السُّرورُ محاجري وجـوانحي لمـا رأيتــك للعقــول تقــيمُ
ورأيــت أنَّــك ناشــط ذو همّــةٍ ورأيــت أنّــك فاضــلٌ وعظـيمُ
دُمْ للعقــول مُقَوِّمًــا وميقِّظًــا حتَّى تزول عـن الـبلاد غيـومُ[1]

*** تصانيفه:**

خلَّف الشَّيخ سِفرين نافعين:

١ـ «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»: في جزئين، وهو كتابٌ حافل، أثنى عليه غير واحد، منهم شكيب أرسلان كما تقدَّم، وابن باديس ومحمَّد الميلي شيخًا[2] المترجَم له.

٢ـ «رسالة الشِّرك ومظاهره»: وهو كتابٌ نفيس في بابه، فريد في موضوعه، وقد أقرَّ المجلس الإداري لـ«جمعيَّة العلماء» ما اشتمل عليه، ودعا المسلمين إلى دراسته والعمل بما فيه، وحرَّر هذا التَّقرير كاتبها العام الشَّيخ العربي التَّبسِّي، رحمه الله تعالى.

كما ترك الشَّيخ مجموعةً من المقالات القيِّمة في بعض الجرائد والمجلَّات السَّائرة في وقته؛ كـ «المنتقد» و«الشِّهاب» و«البرق» و«الإصلاح» و«السُّنَّة» و«الشَّريعة» و«البصائر» و«المنهل» المدنيَّة، وغيرها.

---

(١) جريدة «النَّجاح»: العدد (٤٦٨)، الصَّادر يوم الجمعة ١٥ محرم ١٣٤٦هـ الموافق لـ ١٥/ ٧/ ١٩٢٧م.
وقد قدَّمها المحرِّر بقوله:
«بعث إلينا الشَّاعر الخنديد الشَّيخ محمَّد العلمي ـ مكاتبنا بالعاصمة ـ بهذه القصيدة يحيِّي بها العالِم الخيِّر الأستاذ مبارك الميلي حين مروره بالجزائر متوجِّهًا لبثِّ المعارف بالأغواط، وإلى قرَّائنا الكرام نصُّها».

(٢) انظر تقريظهما في «نبذة مختصرة عن العلَّامة الشَّيخ مبارك الميلي» (ص٣٥ـ٣٧) بقلمي.

بالإضافة إلى عددٍ لا بأس به من «الرَّسائل الخاصَّة» الَّتي كانت متداولة بينه وبين علماء وأدباء عصره من جهة، وبينه وبين الشَّباب من تلاميذه وغيرهم من جهة أخرى[1].

* مِنْ أقواله البليغة وكلماته الحكيمة:

❖ أيُّتها الأمَّة الجزائرية! ارجعي إلى دينك ولغتك، فلن تسعدي إلَّا به، ولن تسعدي به إلَّا بإحكام لغته.

إنَّ ديننا خالط مزاجنا، وتمكَّن من شرايين أبداننا، لا تقبل ذاتُنا دواء غيره ممَّا يخالف طبيعته.

من حاول إصلاح أمَّة إسلاميَّة بغير دينها، فقد عرَّض وحدتها للانحلال وجسمها للتَّلاشي، وصار هادمًا لعرشها بنيَّة تشييده[2].

* * *

❖ انتشار طرق الصُّوفيَّة بين العامَّة في عصرٍ دليلٌ على تقصير علمائه في إحياء كتاب الله، وعلى ضعف الحكومة عن بسط نفوذها في الأمَّة مباشرة.

أو نقول: إنَّ سيادة المتصوِّفة دليلٌ على انحطاط الأمَّة؛ سياسيًّا وعلميًّا ودينيًّا[3].

* * *

(١) وقد كان الشَّيخ فرحات بن الدَّراجي رَحِمَهُ اللهُ صاحب القدح المعلَّى في هذا الميدان، إذ تجمَّعت لديه من رسائل الشَّيخ مبارك حوالي مائتي رسالة.
انظر: مجلَّة «الثَّقافة» العدد (٣٧)، (ص٥٠).

(٢) جريدة «المنتقد»: العدد (١٠).

(٣) «تاريخ الجزائر في القديم والحديث» (٢/ ٤٩٨).

❖ إنَّ فِيلَ التَّصوُّف كلَّما وجَّهته نحو مكَّة أو المدينة برك! وكلَّما وجَّهته إلى أثينا أو القسطنطينية نهض مهرولًا[1]!!

* * *

❖ قد قيل: المال قوام الأعمال.

وأنا أقول: العلم أمير، والمال وزير، فإذا فُقِدَ الوزير ضَعُفَ الأمير عن التَّدبير، فاضطربت أحوال الرَّعيَّة، وكان من الفناء قاب قوسين، فإن تركت الأمير وحده فقد ألقت بيدها إلى التَّهلكة، وإن أرادت النَّجاة فعليها أن توجد من بينها وبنيها وزيرًا يشدُّ عضد الأمير.

وفي هذا المعنى جاءت الآية: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥][2].

* * *

❖ في العمل بالتَّاريخ الهلالي رمزٌ إلى محافظتنا على صِلاتنا بآبائنا الأوَّلين وبرورنا بهم.

وفي الاستغناء عن التَّاريخ الميلادي نفورٌ من الاندماج، وكراهيَّةٌ للاحتلال الأدبيِّ المُفضي إلى ذلك المسخ الاندماجي[3].

* * *

(١) مجلة «الشِّهاب» (٩/ ٤٢).

(٢) جريدة «الشَّريعة»: العدد (٢).

(٣) جريدة «البصائر»: العدد (٩٠).

❖ لا خير في حياةٍ بلا قلمٍ ودواةٍ، فبها تُصقَل الأذهان، وتُحفَظُ الأديان، وتسمو الأوطان، وتُحْتَرَمُ الأبدان[1].

* * *

❖ إنَّ رأسَ الحِكمةِ مخافةُ الله، وجماعُ الحماقة خشيةُ سواه، وإنَّ سِرَّ التَّوحيد خوف الله وحده ورجاؤه وحده، ومنبعُ الشِّرْكِ الخوفُ من المخلوق والطَّمع فيه[2]!

❊ وفاته:

أُصيب الشَّيخ مبارك بعد خروجه من مدينة «الأغواط» الَّتي قضى فيها سبع سنوات ـ كما تقدَّم ـ بمرض السُّكَّر، وقد حاول علاجه في الجزائر وخارجها، ولكن سرعان ما عاوده حتَّى وافاه أجله يوم ٢٥ صفر ١٣٦٤هـ الموافق لـ ٩/ ٢/ ١٩٤٥م، وشُيِّعت جنازته من الغد في موكب مهيب بحضور آلاف من محبِّيه، وفي مقدِّمتهم الشَّيخ محمَّد البشير الإبراهيمي، ودفن في مقبرة «ميلة» بجانب شيخه محمَّد الميلي رَحِمَهُ اللهُ.

وقد رثاه جمعٌ من أهل العلم والفضل، من زملائه وتلاميذه، نظمًا ونثرًا[3].

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وأدخله الجنَّة بمنِّه وكرمه.

---

(١) «البصائر»: العدد (١١٩).

(٢) «الشِّهاب»: (م١٠/ ج٩).

(٣) انظر: ـ «البصائر»: الأعداد (٢٦ و٢٧ و٢٨ و٣٥٣) من السِّلسلة الثَّانية.

ـ «المجلَّة الزَّيتونيَّة»: (م٥/ ج١٠)/ مارس ١٩٤٥م.

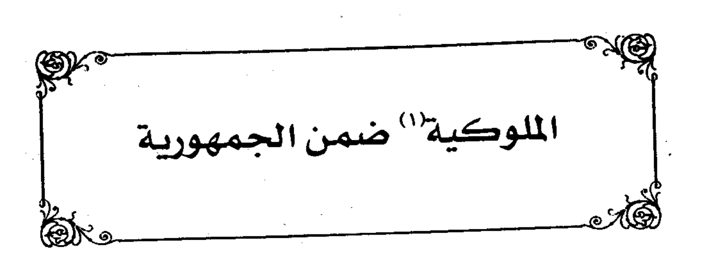


الشيخ مبارك الميلي معلّمًا

بالمكتب العربي بقسنطينة

(١٩٢٥م-١٩٢٦م)





الملوكية[1] ضمن الجمهورية

الملوكيَّة نظام بالٍ أوجده الإنسان العتيق، وهو نظام يسمح للقائم بحفظه المتولّي لتنفيذه أن يستبدَّ على الأمَّة في شؤون حياتها البدنيَّة ورقيِّها الرُّوحي، ويقهرها على اتِّباع نُظم مزيجة من الوحي الإلهي والوضع البشري ولا يسمح للأمَّة بنقد ما قرّر لسعادتها أو شقائها ولا بإبداء رأي فيما يراد سَنّه. وقد يكون في الأمَّة عظماء ذوو أتباع ونفوذ يخشى الملك مخالفتهم ويخاف عاقبة مناقضتهم فيلاطف أهواءهم ويسمع لقولهم سماعًا لا يزيد على مقدار تأثيرهم في الأمَّة.

وإذا كان إصغاؤهم لهم تابعًا لدرجة نفوذهم فهو يطيل الفكرة ويجيد الحيلة لإضعافه، فإن كانت الدَّولة في حداثة تأسيسها وأوَّل شبابها غلبت مغاليبها وبلغت أمانيها من لذَّة الاستبداد وإن أنى أوان إدبارها ودبَّ في قواها دبيب الهرم وأزفت ساعة انقراضها آل تداخلهم في شؤون الملك إلى استقلال كلٍّ بدائرة نفوذه وانسلاخه عن دولته كما وقع للدَّولة الكيانيَّة من والفرس[2] الدَّولة المروانيَّة

(١) كذا في الأصل!

(٢) كذا، وفيه تحريف ظاهر!

بالأندلس، وعرف هؤلاء باسم ملوك الطَّوائف.

والأمَّة في الدَّولة الأولى على مضادة نظامها للرُّقيِّ البشري، أسعد حالًا وأرغد عيشًا وأهنأ بالًا وأكمل أمنًا منها في عقد ملوك الطَّوائف، ذلك بأنَّ الملوك لهم شهوات لا يراعون في تحصيلها حال الأمَّة.

فالمَلِك الَّذي تكون مملكته ضيِّقة كما هي الحال في ملوك الطَّوائف يؤلم الأمَّة كلّ ما ينتزع منها قصد الوفاء بغرضه وشهوته فيمدُّ الفقرُ رقبته لمعانقة تلك الأمَّة، والفقر والجور أحدق دليل على فساد الأخلاق وأحسن معول لهدم صروح المجد وأعطف[1] ريح لاقتلاع أصول المروءة.

نظام الملوكية هو النِّظام الواحد الَّذي عرفه الإنسان الأوَّل؛ لذلك نراهم إذا أنفوا من البقاء تحت دولة وأمكنهم ضعفها من رغبتهم أسَّسوا نهضتهم على قواعد الملك.

إنْ أنصفنا المتقدِّمين واستطعنا أن نُقيم لهم عذرًا في نظام الملوكيَّة بكون النَّوع الإنساني لم يبلغ إذ ذاك أشدّه فهو لا يستحقُّ أن ينال رشده فأيُّ عذر يستقيم اليوم للمستمسك بها الحريص على بقائها وقد عرف البشر نظامًا أكفل لسعادتهم من الأوَّل يفتح لهم طرق الكمال ويهدي عقولهم إلى ما تصمد إليه من الوقوف على ما في الكون من جمال، ذلك النِّظام هو نظام الجمهوريَّة.

ولكمال شعور الشُّعوب بمطابقة نظام الجمهوريَّة لما يتطلَّبه العقل البشري في الرُّقيِّ نرى اليوم بعض الشُّعوب الَّتي ساعدها الحظُّ وأمكنها الجدُّ من الانسلاخ من الملوكيَّة لا تعود إليها وتدعها غير آسفة عليها إلَّا الأمم الإسلاميَّة الَّتي انسلخت

---

(١) كذا في الأصل!

عن الحكومة العثمانيَّة ودخلت تحت الرأفة المسيحيَّة فقد وجد لها بقاموس السِّياسة الغربية ألفاظًا تتَّحد في مدلولها وتختلف في لطافتها وهي استعمار وحماية وانتداب ووصاية.

وقد قضى على الأمَّة الجزائرية التَّفريط وشاءت الأقدارُ أن تُربط بالجمهورية الفرنسيَّة، فحمد الله الجزائريُّ لذهاب عصر الملوك وحصول الأمن من بطش الصعلوك، وظنَّ ذلك الجزائري الغِرُّ أنَّ الله أكرمه بما لم يكرم به مريم العذراء، فأتاح له الثّمر من غير أن يهزَّ إليه بجذع النَّخلة، خصوصًا وعلماء الكلام المؤتمنون على عقائده لا يرون محالًا في انفكاك المسبِّبات عن أسباب! ولا استبعادًا لإتيان الأشياء من غير أبوابها!. على أنَّ الأمر لم يبقَ بيد أمثال هؤلاء العلماء فقد انفرط عقد عقول الأمَّة من قبضتهم إلى أناس جمعوا الدُّنيا بتزهيد أتباعهم فيها! وحرصوا على بقائها ببثِّ معنى للتَّوكل كان الفضل لأولئك العلماء في اختراعه وتقريره.

فهل وجد الجزائري ما ظنَّه حقًّا أم كان فيه من الواهمين؟

الواقع أنَّه انكشف له نظام آخر من الملوكيَّة ضمن الجمهوريَّة، نظام لم يعرفه التَّاريخ ولم يوجد له اسم في قواميس السِّياسة وما أنا بمستطيع وضع اسم بإزائه - «وإن كنتُ أعتقد أنَّ الألفاظ من وضع البشر» -.

هذا النِّظام هو أنَّ كلَّ فرنسي أصالة أو متجنِّسًا غير جزائري مَلِك على كلِّ جزائري، متجنِّسا! وغير متجنِّس، أينما وجد وحيثما حلَّ.

وليس هناك حدود بين هؤلاء الملوك؛ لأنَّهم كادوا يبلغون عدد المملوكين فيضيق نطاق سيطرتهم لو وضعوا الحدود. وكما أنَّه لا حدود لممالكهم لا توجد لهم

شريعة تحدُّ مطامعهم وتكفُّ أهواءهم ولا ديوان لقوانين يتحرَّون القضاء بموادهما ويحرصون على تطبيقها إلَّا ما ينظرونه بأوراق رسمت بها صور الثَّعابين.

ولا أرى حاجة إلى إثبات ما أقول بشواهد فإنَّك - أيُّها القارئ - إن كنت غير جزائري فمالي ولتصديقك، وإن كنتَ جزائريًّا فإنَّك ترى وتسمع من ذلك ما ينفد البحث لكتابته قبل نفاده، وإن كنتِ جزائريَّة مخدّرة في بيتك لا تعدمين سماعًا ولو لما يجري بأقاربك وأحمائك.

وإن أحببت أن تسمع مثالاً من معاملة هؤلاء الملوك رعاياهم - استغفر الله بل رعيتهم المشتركة - فدونك أحدث ما بلغني: ذلك أنَّ ملكًا خبَّازًا أغضبه جزائري كان جنديًّا للجمهوريَّة وقضى شبابه بالجنديَّة فجرَّد سلاحه للقضاء على حياته لأنَّه طلب منه استبدال قطعة من الخبز تضرُّ بأسنانه عن المضغ ليبسها وعدم قدرته على ما يلين من خشونتها ككلِّ جزائري... ولكن حال بينه وبين تنفيذ غرضه من القتل جماهير من النَّاس ولم يفته الغرض الثَّاني هو ترك استبدال الخبز، والغرضان عند أمثال هذا الملك متكافئان.

هذا الضَّرب الغريب من الملوكيَّة أسوأ - فيما أظنّ - فيما من النُّظم الَّتي وضعت بالقرون الأولى الخالية، فإنَّ القيود الَّتي طوقت بها الإنسانيَّة في القديم أمكن للبشر أن يترقَّى مع وجودها حتَّى اهتدى إلى ما هو أسعد منها فحطَّمها وتخلَّص من شرِّها، أمَّا هذه الملوكيَّة فإنَّ ثمرتها الانحطاط السَّريع في المعارف والأخلاق والاقتصاد وكلّ ما كان من ضروريَّات البشر أو من حاجيَّاته أو كمالاته.

إن مضى حين من الدَّهر على القطر الجزائري لا يُرى إلَّا جادًّا في التَّأخر آخذًا في

التَّدهور وهو يدار إدارة جمهوريَّة لجدير بالعجب، ولكن لا عجب مع وضوح السَّبب.

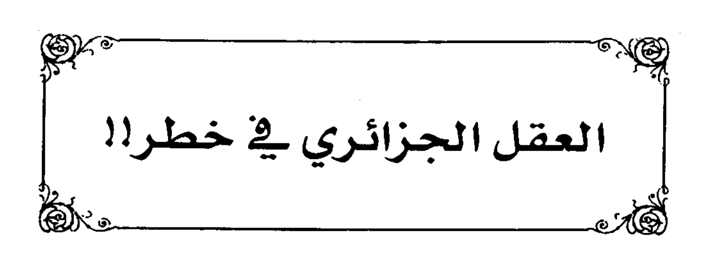
ولست أحمل نكبة هذا القطر على رجال فرنسا الأحرار، فقد سمعنا م. «بريان» عندما كان رئيسًا للوزارة يقول: إنَّ الجزائر تتمتَّع بنفس ما تتمتَّع به فرنسا، يجيب بذلك م. «بريتون» لما قال له مدافعًا عن الشَّام: أتريدون أن تلحقوه بالجزائر، وكذلك م. «هيريو» عندما أفضت إليه مقاليد الحكومة صرَّح بما لا يخالف تصريح م. «بريان» إلَّا في اللَّطافة ودقَّة الإحساس، وهو تصريح في أنَّهما لم يبلغهما كبقيَّة الأحرار حال الجزائر الحقيقيَّة لكثافة ما أقامه حزب الاستعمار - عذرًا - بل الملوك، من الحواجز والسُّدود.

فهل من رجال مجيبين لتنفيذ خطَّة فرنسا التَّمدينيَّة يجمعون إليهم الأمَّة ويُسمعون أحرار فرنسا صوتها الحقيقي، فيكسبون رِضى الأمَّة ورضى عظماء الجمهوريَّة؟

لا فقدنا ولا عدمنا مجيبًا رحيمًا لما أصاب الإنسانيَّة في هذا القطر، مخلصًا في سعيه، معتمدًا بعد ذلك على الله[1].

مبارك بن محمد الميلي

(١) جريدة «المنتقد»: العدد (٣)، الصادر يوم الخميس ٢٤ ذي الحجة ١٣٤٣هـ ١٦/ ٧/ ١٩٢٥م.



العقل الجزائري في خطر!!

ما كان اللهُ ـ وهو الصانع الحكيم ـ ليخلق خلقًا عبثًا عن المصلحة مستغنًى عنه بكلِّ وجه.

بل خلق كلَّ شيء بقَدَرٍ وجعل له جهتي صلاح وضرر حتَّى أشرف الأشياء وهو العقل.

والبشر مختار في استعماله أيّ الجهتين لكن ليست غايتهما سواء، فمن استعمل الشَّيء متحرِّيًا فيه جانب المصلحة نال السَّعادتين وفاز في الدَّارين، ومن نظر إليه وأخذه من حيث مفسدته قاده إلى تعاسة عاجله وشقاء آجل[1].

ومن أعرض عن وضع ربِّه فأهمله واعترض بلسان حاله على من أوجده آخذ ذلك منه كي لا يبقي خلقًا مستغنًى عنه.

يقول الباحثون أنَّ الإنسان الأوَّل كان مكسيًّا شَعرًا ليقي نفسه أَلَمَ البرد ووهج الحرِّ، فلمَّا استغنى عنه بما اخترعه من صنوف الثِّياب وضروب الأكسية وأنواع الأبنية زال عنه ذلك الشَّعر تدريجيا كما هي سنَّة الله في هذا الكون.

---

(١) كذا، ولعله: آجله.

وقال بعض حكماء اليوم: لا يلبث البشر أن يفقد أسنانه لاستغنائه عنها وذهاب الحكمة من وجودها فيه!

أمَا أشفقتَ - أيُّها الجزائري - بعدما علمتَ سنَّة الله الَّتي قد خلت من قبل - على ذهاب عقلك وزوال لبِّك بإهمالك إيَّاه فلم تصقله بالمعارف ولم تجمّله بالاختراع؟!

إنَّ الله لم يُبْقِ لك هذه الصَّبابة من العقل إلَّا لشعورك بعض الشُّعور بالمسافة الَّتي بينك وبين غيرك، فكثيرًا ما تقول إذا مرَّ بك اختراع غربي وأنت - ولا عذر لجاهل - تجهل الاختراع العربي: قاتلهم الله ما فاتهم إلَّا حيلة الموت! ترمز بذلك إلى إكبارك ما تراه من غيرك واستضعاف نفسك وبني جنسك.

كأنَّك صبي دارج استطاع الإفصاح ولم يبلغ سنَّ التَّمييز، فإذا رأى ما لم يره قبل - وماذا عسى الصَّبيُّ يرى - أعرب عن إعجابه وأكبر أفعال الرُّشداء من غير أن يخطر بباله أنَّه من نوعهم وسيصير مثلهم.

لو كان شعورك ببُعد متناول غيرك عنك بُعد الثَّرى من الثُّريَّا مشفوعًا باعترافك له بالكمال ولنفسك بالانحطاط لرجونا لك - والنَّفس مولعة بالكمال - مستقبلًا نيِّرًا تحي فيه حياة سعيدة، حياة العلماء العاملين، حياة الحكماء المخترعين، حياة يحي بها العقل وتتنوَّع مداركه فتتَّسع مناهجه ومسالكه، حياة غير منحطَّة عن درجة رقيِّ العصر الذي أنت فيه.

ولكنا نراك تعظِّم من النَّاس من ذهب بعقله الوسواس، ولا ترى في الوجود إلَّا حكومة لم تقف ولن تقف أمامها في أيِّ خصومة، حكومة فرضها الجهل بالدِّين فأوجدها ضعف اليقين، تضع لها أعضاء وتجعل لهم أسماء غوثًا وقطبًا، في ألفاظ لا

أرى لسردها أربًا، كلُّ ذلك على حساب الدِّين وهو منه براء، براء، براء!

نراكَ تقدِّس من الرِّجال مَن خُلق من طينة الخبال، ما عرف قبيلًا من دبيرٍ، وتزعم أنتَ أنَّه بكلِّ سرٍّ خبير، نراكَ تنفر من مجالس التَّدريس، وتهرع إلى أماكن التَّدليس!

وهي معامل تهيِّء العقول للاضمحلال، وتأخذ بيدكَ إلى ما تحسبه أنتَ عين الكمال، ونراه مناقِضًا للقرآن، مخالفًا لناموس العمران.

معامل لم يفلت منها فتيات ولا فتيان، ولا شيوخ ولا شبَّان، ولا نساء ولا ذكران إلَّا من رحم ربُّك وهم لا يتجاوزون أصحاب السَّفينة.

معامل أصبحت بها الأمَّة الجزائريَّة لا شرقيَّة ولا غربيَّة، تكاد تنسلخ عن مميزات الإنسان، ولا أدري بعد أيِّ نوع تصير إليه من أنواع الحيوان.

ترى في بعض هذه المعامل من يصطفون اصطفاف المسلمين للصَّلاة لو لم يصحب بحركات وأصوات، لا أحب تشبيههم فيها ببعض الحيوانات؛ لأنَّها لم تخرج عن فطرتها الَّتي فُطرت عليها.

ويحسبون أنَّهم في قُرْبَةٍ أُمِروا بها: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [البينة: ٥].

يدوم هذا الاصطفاف من قبل دخول وقت الصَّلاة حتَّى انقضائها، وفي أثناء ذلك أعمال يسخر منها كملة العقول، ويفتن بها ضعفة المسلمين فينصرفون عن نهج دينهم السَّديد، وينبذون كلَّ ما يدعو إليه العقل الرَّشيد، فيكثر بذلك سوادهم وتنتشر فتنتهم ويعظم فسادهم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ ١٠﴾ [البروج: ١٠].

وإنَّ من تلك الأعمال الَّتي اكتفينا عن تفصيلها بالإجمال[1] ما يصحُّ أن يعدَّ في الرِّياضات لو لم يعتقد أنَّها من العبادات، ولا أخالهم يرفعونها إلى منزلة الكرامات، فما كان الله ليكرم من أضاع الصَّلاة واتَّبع الشَّهوات.

ماذا تكون عاقبة الجزائري المغبون الَّذي يرى الفضل عليه لكلِّ مجنون، ويودّ لو أنَّ الله أكرمه بسلب عقله كما أكرم وسخى الأبدان والثِّياب وجعلهم من أهله؟

وجهل أنَّ الأنبياء والمرسلين المفضَّلين على كلِّ العالمين وأتباعهم الصُّلحاء المهتدين كانوا[2] في عقلهم رجاحة وفي خلقهم سجاحة، بهاتين الصِّفتين اقتلعوا من صدور النَّاس جذور الطِّيش والجهل، وغرسوا مكانها أصول الكمال والفضل.

إنَّ داءً أقعدك ـ يا جزائري ـ عن التماس الفضيلة، وصوّرها لك في لباس الرَّذيلة، وقلب لك الحقائق، ولك سلف سلكوا أوضح الطرائق، لَحريٌّ بك أن تنفق في معالجته النَّفيس، ولا تدّخر شيئًا من وسعك ووجدك لتحصيل الدَّواء النَّاجع، فقد جدَّ الجِدُّ ووضح الصُّبح لذي عينين، وأنت لم تزل تسبح في بحر الخيالات وعلى بصرك غشاء من الأوهام.

إنَّ هذا الَّذي خالط جسمك منذ أمدٍ ليس بالقصير هو الجهل، وليس من دواء للجهل إلَّا العلم.

هلمُّوا يا عشَّاق هاتيك المعامل، فاتَّخذوا مع دعاة الإصلاح مبدئيًّا على الاعتراف بحاجتكم إلى العلم، ثمَّ جدّوا في سبيله، وواصلوا الأوقات في تحصيله، ولكم بعد

(١) في الأصل: «الإجماع»!

(٢) كذا في الأصل!

الخيرة فيها ترتادونه من العلوم وما تنتقونه من الأساليب، حتّى إذا قويت الرَّغبات وحسنت النّيّات فإنّكم تنقبون عن العلم الأنفع والسَّبيل القريب إلى الغاية المنشودة، وهناك تتّحدون نهائيًّا مع إخوانكم دعاة الإصلاح الّذين قضوا شطر أعمارهم في تحصيل العلوم بتلك النّظم الّتي وضعها أناس لو شاهدوا هذا العصر ونظمه ما رضوا منّا تقليدًا إيّاهم.

إذا كان الشّارع يحرِّم علينا إضاعة المال، فإنَّ إضاعة الوقت لسلوك السُّبل البعيدة مع وجود القريبة[1] لديه أشدّ حظرًا.

أناشدكم الله الّذي أوجب علينا النّصيحة أن تتفرَّقوا بين المشفق والمتشفّي وتجعلوا غاية كلامنا النّصيحة لا الفضيحة، فليس من غرضنا أن نسبَّ أحدًا ولا أن ننسبه إلى نقيصة لولا الغيرة على أنفس جوهر خلقه الله وهو العقل.

فلنطهِّر العقول بقراح العلم ونتوره بهدي القرآن الّذي لم يبق بين أيدينا منه إلّا الحروف والأصوات، وانتقل ما عداها لغير أهله فشادوا عمرانهم على قواعده.

قال بعض فلاسفة العرب النّصارى:

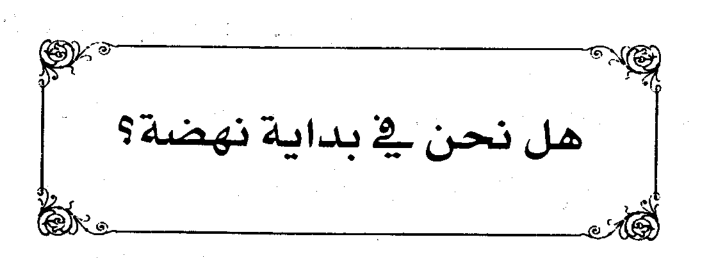
إنّي وإنْ أَكُ قــد كفــرتُ بدينِــهِ ... هَــلْ أَكْفُــرَن بِمُحْكَــمِ الآيــاتِ
أو ما حَوَتْ في ناصِعِ الألفـاظِ مِـنْ ... حِكَــمٍ روادع للهــوى وعِظـاتِ
وشرائــع لــو أنهــم عقلــوا بهــا ... مـا قيّـدوا العمـرانَ بالعـاداتِ[2]

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) في الأصل: «الغريبة»!

(٢) «المنتقد»: العدد (٦) الصادر يوم الخميس ١٦ محرم ١٣٤٤هـ، ٦/ ٨/ ١٩٢٥م.



هل نحن في بداية نهضة؟

يسوؤني ويسوء كلُّ من ينوي الخير لأمّته ويودّ سعادتها أن نسأل هذا السؤال عن أمة الجزائر متوقفين في الجواب عنه في حين أن الأمم غيرها سارت في سبيل التقدم سيرًا حثيثًا.

ويسوؤني - وربِّك - أكثر من ذلك أن يكون الجواب المطابق للحقيقة سلبًا!

شفقة على نفسي من أن تذهب على أمتي حسرات فإني أحملها على الإذعان لكل خطابة تثبت أننا في بداية نهضة.

إذا أردت جوابًا سلبيًّا عن ذلك السؤال فانظر إلى هذه الأمة من حيث أنها أمة من الأمم فإنك تجدها لم تأخذ قبضة من أثر الرقيِّ ولا نهجت لحياتها ما نهجته الأمم الأخرى.

وإذا أردت جوابًا بالإثبات (وذلك ما نحاوله) فانظر إليها وحدها ووازن بين غابرها وحاضرها تَلْفَ بين جزائري الأمس وجزائري اليوم - على الجُملة - فرقًا وإن كان (ويا للأسف) قليلًا.

لكوني أرغب في شيء من التمييز بين الماضي والحاضر يخفِّف من ألمي ويبعث

في روح الرجاء، أُلقي نظرة إجمالية على ماضي الجزائر قبل الاحتلال وبعد مختارًا للتقصير على الإسراف في التصوير.

إذا تأملنا هذا الماضي نجد الأمة الجزائرية قد أتى عليها - كبعض أمم إسلامية غيرها - حينٌ من الدهر وحبل الاتحاد فيها قصير لا يسع غير عشيرة واحدة، وداعي السلام بين قبائلها أخرس، ودليل التقدُّم أعمى، وسُلَّم الرقي خشب سائس بال!

دهر يا له من دهر، أضاع على أهله - وعلينا بسببه - هدي القرآن ومجد العرف.

فلم يستفيدوا من المدنيَّة الغربية - وهي مجاورة لهم - ما يوافق الدين.

مدنية موروثة عن أسلافهم وأصولها بلغة يتكلمون بكثير من ألفاظها ولا يقضون في تلقيها وإتقانها أمدًا طويلًا.

حقا[1] فاتهم مجد العلم ولكن لم يكن ليفوتهم مجد الفطرة.

كانوا إذ ذاك أهل كرم حاتمي، أهل شجاعة كادت تكون جنون[2]، أهل فروسية تفنَّنوا فيها ما شاؤوا، أهل رماية حتى صاروا يقولون: فلان يرمي البيضة على رأس ولده!

بيد أن هذه الصفات لم يهذِّبها العلم فصُرفت عن غايتها الحميدة إلى أغراض ما زلنا نجني ويلاتها.

هذه حالتهم الاجتماعية بإيجاز.

أما عن حالتهم الدينية، فقد كانت مزيجة من قضايا ضرورية في الدين كإقامة

---

(١) كذا الأصل، ولعله: «حتى» تتمة للجملة السابقة.

(٢) كذا الأصل.

الصلاة والاعتراف بوجوب الزكاة والبعد عن الخمور وعدم اتخاذ أماكن للفجور، ومن زيادات أفسدت المعتقدات، حملهم عليها علماء خنعوا إلى التقليد حتى في علم الحساب، زيادات أشبه ما يكون بقوانين الكنيسة، بيّنا أمهاتها في مقال سبق، وما أريد أن أزيد وإن أمكن المزيد.

ربما يقام لهم عذر في عدم أخذهم بالمدنية الغربية بأنها لم تخالطهم وإنما كانت مجاورة لهم، لذلك قطع الله عنهم هذا العذر وأقام عليهم الحُجَّة، فأرسل عليهم طائفة من الغربيين ترميهم بمدنيَّة تنير الفكر وتوسع الصدر...

أشرقت شمس المدنيَّة الغربية على الربوع الجزائرية باندماجها في الحكومة الفرنسويَّة منذ أمد ربما وازى الأمد الذي قضاه الجزائري في ظلام همجيته بعد كسوف شمسه، فماذا كان الجزائري في هذا الدور الأخير؟ وما استفاد من هذا الاختلاط؟

ازداد الشيوخ في هذا الدور صلابة فيما يحسبونه دينًا حتى اعتبروا الانتقال من طريقة إلى أخرى رِدَّةً ومُروقًا من إلى ملة أخرى، وألَّف الكاتبون منهم في ذلك الكتب، وساعدهم على نشرها ـ وهي خالية من الاستدلال بصريح الدين ـ ما بثُّوه وأفتوا به من [أن][1] الاستدلال بالكتاب والحديث اعتزالٌ أو زندقةٌ أو ما حضر لديهم من العبارات.

فيا لله لقوم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير!

أليس الاستدلال بذلك يدل على مقدرة وسَعة اطلاع، ويزيد المستيقن يقينًا

---

(١) سقطت من الأصل.

وثباتًا في دينه؟

ولكن كيف يفتحون بابًا ربما يكون عليهم؟

ومع هذا فإني أؤمن بوجود طائفة شذَّت عن طبيعة زمانها على خلاف ما عليه هؤلاء، وإنا لنرجو أن يكون لمن بقي منهم آثار اليوم حسنة لتعزّزهم بناشئة صالحة.

أما شباب هذا الدور فقد خرجوا من تقليد إلى تقليد أتعس، تقليد الغربي في كل ما يقول، فإذا أردت أن تقيم عليهم الحُجَّة بأقرب طريق فقل لهم: قال م ـ فُلان ـ ولو لم يسمعوا باسمه قبل، و لا عرفوا شيئا من حاله.

ومسخوا ما كان لآبائهم من الصفات الفطرية، اعتاضوا من كرم أولئك كرمًا، يعود على غير بني جنسهم، كرم الحانات وقضاء الوقت في منتزهات...!

ومن شجاعة مَن قبلهم في ميدان الهيجاء الوقاحة في دور الخنا ومن امتطاء صهوات جياد ركوب قطعة من جلد الميتة بين عجلتين لو اعترضتها بطرف ثوبك وهي في عدوها لأوقعتها ومَن فوقها على الأرض.

ولا تغفل فلتات الطبيعة فتحسب أني أسحب الحكم على كل الناشئة.

هذا جزء يسير جدا مما استفيد من المدنيَّة الحالَّة بين ظهرانينا وإن أفادت أهلها بغير هذا الوجه.

لم[1] يستفد منها الجزائري الجزء الصالح الذي يرفع به أمته من الحضيض ويكسب وطنُه سمعةً حسنةً وشرفًا له به عهد قديم.

لا أحسب أن هؤلاء يُعدمون عذرًا في عدم انتفاعهم بشمس المدنيَّة الغربية.

---

(١) من هنا إلى آخر المقال سقط من نشرة «دار الهدى» بعين مليلة ـ الجزائر.

فإن الشمس لا تطلع من المغرب لفائدة البشر، إنها تطلع منه لتنذرهم عقاب ربِّهم عسى أن يثوب إليهم رشدهم ويراجعوا أنفسهم فيوقنوا بها كانوا فيه مرتابين ويقبلوا عمَّا كانوا عنه معرضين.

لعل شباب اليوم قد فطنوا لهذا الإنذار، وعلموا أن الشمس التي يستفيدون من إضاءتها هي ما تطلع من المشرق فأخذوا في تأسيس نهضة طالبين المجد من بابه: باب تطهير الدين من مبتدعات المضلين وباب إحياء اللغة العربية.

ولم يروا كالصحافة والنوادي أقرب سبيل إلى غايتهم الشريفة، فأسَّسوا أخيرًا جريدتين حُرَّتين تعملان لتحقيق تينك الغايتين.

وتوقفت طائفة من أحرار قسنطينة لتأسيس ناد عربي لخدمة اللغة الكريمة.

فيا أيتها الأمة الجزائرية ارجعي إلى دينك ولغتك، فلن تسعدي إلَّا به، ولن تسعدي به إلَّا بإحكام لغته.

إنَّ ديننا خالط مزاجنا، وتمكن من شرايين أبداننا، لا تقبل ذواتنا دواء غيره مما يخالف طبيعته.

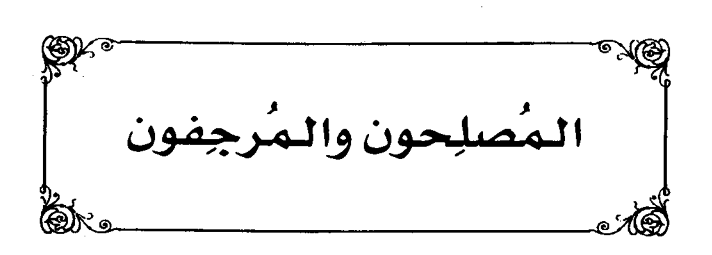
ومن حاول إصلاح أمة إسلامية بغير دينها فقد عرّض وحدتها للانحلال وجسمها للتلاشي، وصار هادما لعرشها بنية تشييده.

ومن أعرض عن اللُّغة العربية فقد أعرض عن ذكر ربه، ﴿وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ١٧﴾ [الجن: ١٧][1].

مبارك بن محمَّد الميلي

---

(١) «المنتقد»: العدد (١٠) الصَّادر يوم الخميس ١٤ صفر ١٣٤٤هـ الموافق لـ ٣/ ٠٩/ ١٩٢٥م.



المُصلِحون والمُرجِفون

الدِّيانة الإسلاميَّة هي الدِّيانة الوحيدة الَّتي تصلح للسَّير بالمجتمع الإنساني إلى سعادتيه الدُّنيويَّة والأخرويَّة.

ولا أقول ـ كبعض النَّاس ـ تصلح لمجاراة الفكر البشري في تطوُّراته ومذاهب ترقيه.

بل أرى أنها هي التي تقود العقول وتقوِّم معوجَّها وتصقل صدأها وتنير مظلمها.

من كان يؤمن بأنها ديانة سماوية يكفيه دليلًا أنّ واضعها جعلها خاتمة الأديان وألزم البشر العمل بها في كلِّ زمان وأيِّ مكان، وهو يعلم تطورات الإنسان، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

وليس خطابنا موجَّهًا إلى من ينكر أنها سماوية.

هذه الديانة قائمة على أصول ثلاثة: الاعتقاد، والأحكام، والأخلاق.

والدستور الجامع لهذه الأصول هو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وحديث من لا ينطق عن الهوى ﷺ.

كانت هذه الأصول يشترك في فهمها من مصدرها وتطبيقها كل الناس، أيام كانت العربيةُ سليقةً فيهم، وبعد أن فسدت السلائق وصارت اللغة العربية لا تُنال إلَّا بالتعلُّم والتلقين اختص بفهمها طائفة العلماء.

وكانوا كثيرين ثم أخذوا يقلُّون حينما توقَّف فهم العربية على موضوعات أخرى عرفت بالعلوم الآلية.

اتسعت هذه العلوم الآلية بعد زمنٍ من وضعها اتساعًا شغل جلَّ القائمين بها عمّا جعلت وسيلة إليه حتى صارت كأنها مقصودة لذاتها، واشتهر فيها رجالٌ لم يكن لهم ذكر في علوم الدين الحقيقية، وأضحى مَن سمت به همَّته إلى معرفة هاتيك الأصول من مصادرها أشدّ النَّاس تعبًا وأحوجهم إلى ذكاء نادر يستعين به على إتقان تلك الوسائل ليمكن له الإفضاء منها إلى المقاصد قبل ذهاب عصر الشباب وزمن قوة الإدراك.

وربما حاول بعضٌ الخلوص إلى المقاصد قبل إحكام الوسائل، وتصدَّر للإفتاء والإرشاد، فكان كمن تعاطى العلاج قبل أن يُجيد معرفة طبائع الناس وخواص الأدوية.

وكلما ضعفت القرائح استهان أصحابها بِعظم المسؤولية، فولجوا بين العارفين حقيقة بالديانة، وتمَّموا نقصهم بضروب البدع، وصرفوا العامة إليهم، لما بين الجميع من صلة الجهل في الجملة.

ومن هنا نشأ التحريف في تأويل كلام الله وتفسير حديث نبيه اللذين هما المرجع في ذلك، وأكثر الأصول تحريفا أصل الأخلاق الذي يحتاج القائم به إلى أكثر

مما يحتاج إليه غيره.

عُرف القائمون بهذا الأصل (بعد القرون الثلاثة) باسم الصوفية، ثم لما كثر اختلافهم وتعددت مذاهبهم عُرفوا بأصحاب الطرق، وتحاموا كلمة «السبل» لورود النهي في الكتاب عن اتباعها[1].

إذن أصحاب الطرق باللغة التي نفهمها اليوم هم القائمون بعلم الأخلاق وتهذيب النفوس وتطهيرها من الخبائث.

هذا القسم من الدين أوسع الأقسام وأعلقها بجميع الأنام، ولو تأمَّلنا القسمين الآخرين تأمُّلًا صادقًا لوجدناهما يرجعان في غايتهما إلى هذا القسم، ولهذا قال الرسول ﷺ: «بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ»[1].

ومن أجل تعلُّقه بعامة الناس كثر المدَّعون له كي يحصلوا على مناصب بين العامة.

ومن أجل احتياج القائم به عن لياقة وأهلية إلى اتساع في الاطلاع وسداد في النظر قلَّ العارف به ـ إذا عظم المطلوب قلَّ المساعد ـ مُني هذا الأصل ـ كما مُني غيره ـ بمن لا يحسنه وكثر الدخيل فيه، واختلط الحابل بالنابل، وتستَّر القاصرون بإحداث اصطلاحات، ووضع تهويلات، ووجدتْ في صدور الجاهلين بالكتاب والسنة (وكثير ما هم) مكانًا فسيحًا فاقتصروا عليها، وصاروا يعرفون الحق بالرجال، ويقتدون بهم في الأقوال والأفعال، وكل طائفة تنظر رئيسها بعين الكمال،

---

(١) في قول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ الآية [الأنعام: ١٥٣].

(١) «الصحيحة» (٤٥) للألباني.

وتنسب غيره إلى النقيصة والضلال، فصار اتباعهم لهم اتباع تشيُّع، لا اتباع تشرع، حتى إنهم لتنشرح صدورهم لسماع آية أو حديث من غير فهم، فلو أفهمتهم ما تلوته عليهم ووجدوه ناعيًا عليهم بعض أعمالهم لألفيتهم عن سماع ما تلوته لاهين، وعن التذكرة معرضين...!

وإذا انتقد عليهم عالمٌ بالكتاب والسُّنَّة ما وجده مخالفًا لهما سكتوا عن موضوع إنكاره وجاوزوه إلى التشنيع عليه باختلاق ما هو بريء منه، وأنه أنكر عليهم ما هو محلّ اتفاق بين المسلمين، فأضحى ذلك العالم بينهم منكر القول غريب الشكل، وهو مصداق الحديث: «**بَدَأَ هَذَا الدِّينُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى يَوْمَئِذٍ لِلْغُرَبَاءِ**»[1].

صلى الله عليك من نبي لا ينطق عن الهوى.

كما لا ينقطع في الدنيا غريب الدار لا ينقطع في الدين غريب الإرشاد.

فقد كان في كلِّ عصرٍ وكلِّ قطرٍ رجالٌ كمل يقينُهم، وصحَّت عقائدُهم، ينكرون على معاصريهم بدعهم التي ألصقوها ـ تبرعًا منهم أو لغرض ـ بالدين الصحيح، ويُلاقون في ذلك أشد التعب، ويلقِّيهم ربُّهم بما صبروا أحسن الجزاء.

ولهذا العصر في هذا القطر حظّه من أولئك الرجال، جاهد كل منهم وحده غير عالم بنصيره، حتى طلعت أخيرًا بينهم جريدة «المنتقد» وقرؤوا في أول أعدادها مبدأها الذي جاء في ضمنه قولها:

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٥) عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا... فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»، وللحديث طُرُقٌ وألفاظٌ تُنْظَرُ في «الصَّحيحة» (تحت الحديث: ١٢٧٣).

«ونحارب على الخصوص البدع التي أُدخلت على الدِّين الذي هو قوام الأخلاق فأفسدته، وعاد وبال ذلك الفساد علينا، وتأخَّرنا من حيث يكون تقدُّمنا... إلخ».

فكانت هذه الفقرات أحسن قري قُدِّم إليهم، واستبشروا بها استبشار يعقوب بقميص يوسف عليهما السَّلام.

ووالوا كتاباتهم في الدعاء إلى صريح الإيمان وخالص الدِّين، فتلقَّف كلامهم من يحسن تحريف الكلم عن مواضعه ومن لا يحسنه، وتقوَّلوا عليهم ما لم يقولوه.

وقد شعر الكُتاب بذلك فدعوا على لسان جريدتهم من يخالفهم إلى معارضتهم كتابةً فكفوا عنها وجنحوا إلى التضليل القولي، ومنهم من يعد أتباعه بالتأليف ويعدُّ نفسه غزَّالي زمانه بكونه نظم من بحر نظم فيه الغزَّالي، كأن الغزَّالي صار حجَّة الإسلام بالنظم في هذا البحر؟

كتب الكُتاب في التنفير من البدع، فأشاعوا أنهم ينكرون الولاية والكرامة!

سارتْ مشرقةً وسِرتُ مغرّبةً شتان بين مُشَرِّقٍ ومُغَرِّبِ

شنشنةَ أخزميَّة، وسلاح وُجد قبل عصر الحجارة، يحاربون المصلحين، خشية أن ينفرط منهم عِقد العامَّة مورد ثروتهم!

لو لا جاؤوا على ذلك بشواهد من كتابة الكُتَّاب.

أناشدكم الله الذي حرَّم علينا وعليكم الافتراء ألا ما أجبتم:

من أين فهمتم إنكارنا الولاية الثابتة بالكتاب الذي دعوناكم ولا نزال ندعوكم إلى طرح ما يخالفه؟

وفي أيِّ جملة رأيتم عدم الاعتراف بالكرامة، وهي عقيدة السلف، ونحن سلفيون، نرجوا أن نلقى الله كذلك؟

معلوم أن البدعة هي إحداث ما ليس من الدين في الدين، وقد قال مَن شهد له ربُّه بكمال التبليغ: «مَنْ أَحْدَثَ فِي دِينِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ»(١).

ولو كانت البدعة تزيد في الدين (كما زاد في عرض الأديم الأكارع)، لقلنا: لم تنفع ولم تضر، فما لنا وللخوض في شأنها؟

ولكنها أنزلتنا إلى الحضيض، وقوّضت صرح مجدٍ شيَّده السَّلفُ بتمسُّكهم بحقيقة الإيمان وخالص الدِّين في زمن يسير، ولم يستطع أعداؤهم هدمه بسيوفهم، فاستطاع أبناء بانيه هدمه ببدعهم.

وحيث كان أصل الأخلاق أصلًا عظيمًا، والقائمون عليه (أصحاب الطرق) ابتدأ الكُتاب بانتقادات إجمالية في شأنهم متباعدين عن الشخصيات، ولعلهم يفصِّلون ما أجملوا بعدُ، راجين أن يهدي الله منهم من يكون السبب في صلاح العامة، ولو أضرَّ ذلك بثروته ونقص من مداخيله، ترجيحًا لما يبقى على ما يفنى، وعملًا بحديث: «لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٩٧)، ومسلم (١٧١٨) عن عائشة، وفيه «أمرنا» بدل «ديننا»، وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ».

(٢) ضعيف بهذا اللَّفظ، كما في «الضَّعيفة» (٢٩٥٠) للألباني، والمحفوظ ما أخرجه البخاري (٢٩٤٢)، ومسلم (٢٤٠٦) عن سهل بن سعدٍ مرفوعًا بلفظ: «...خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

والذي يريد بانتقاده الإصلاح إنما ينتقد الأحياء، لأنهم الذين يُرجى منهم الرجوع إلى الحقِّ، أما من قضى نحبه فإنا ندعوا له بخير ولو حقّق لنا التاريخ عدم صلاحه، فليفهم القراء هذه الحقيقة حتى لا يظنُّوا بنا سوءًا في جانب الأموات رحمهم الله.

والانتقاد بهذه الطريقة التي سلكها الكُتاب، وهي الإعراض عن مسِّ الأعراض، أمر معروف في القرون الثلاثة وما قرب منها، فقد كان الصحابة يردّ[1] بعضهم على بعض، و هم الذين لا يبلغ أحدُنا لو أنفق مثل أُحُدٍ في سبيل الله مُدَّ أحدِهم ولا نصيفَه[2].

وكان مالك بن أنس رضي الله عنه يقول: «ما من كلام إلَّا وفيه المقبول والمردود إلَّا كلام صاحب القبر الشريف».

وكان الليث بن سعد رَحِمَهُ الله كثيرًا ما يردُّ على مالك بن أنس بعض ما يبلغه من فتاويه، ويراسله في ذلك.

فهل تروننا إذا انتقدنا على بعض أهل عصرنا أتينا ببدع من القول؟

لو فرضنا أحد الأحياء ـ لأن الكلام ليس مع الأموات ـ تحقَّقت ولايته، أترونه بنجوة من الانتقاد (أو بعبارة مألوفة: معصومًا)؟

كلَّا، ثم كلَّا!

---

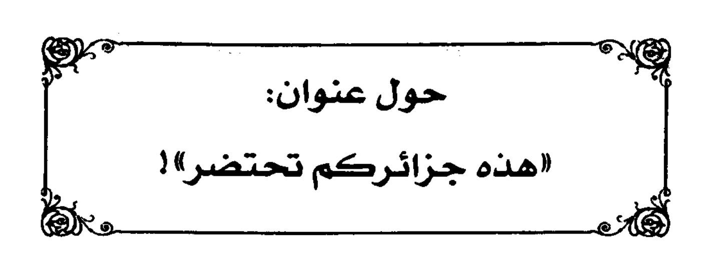
(١) في الأصل: «يريد».

(٢) يشير الشَّيخ إلى الحديث الصَّحيح الَّذي أخرجه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤٠، ٢٥٤١) عن أبي سعيد الخدري.

فَدَعُوا التعصب لغير الكتاب والسنة جانبًا، و﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، واسألوا عنه أهل الذكر الحكيم، ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ١٠١﴾ [آل عمران: ١٠١][1].

مبارك بن محمَّد الميلي

(١) «المنتقد»: العدد (١٤) الصادر يوم الخميس ١٢ ربيع الأول ١٣٤٤ هـ الموافق لـ ١/ ١٠/ ١٩٢٥م.



حول عنوان:
«هذه جزائركم تحتضر»!

الغيرة حميَّة يبعثها الشعور بحقوق ما كانت الغيرة عليه، ويذكِّيها ولاؤك لما غرت عليه.

وأحقُّ الأشياء بالولاء وأولاها بالغيرة الوطن، الذي منه مادتك ومادة سلفك.

وكما نرى الصديق يزداد شوقه إلى صديقه ببعده عنه حتى ينسى ما كان يعده له من السيئات، ويصير ينظر محاسنه بمرآة مكبِّرة.

كذلك عزيز النفس الذي يؤثر وطنه على كل شيء، تزداد غيرته عليه، ويتقوى شعوره بمحاسنه، إذا قذفته المقادير خارج محيط وطنه.

فمن لبّى داعي هجرة وطنه من تعلُّم أو تجارة أو غرض آخر، تجده أشدّ غيرة ممن ضربت له أوهامه سورًا بين وطنه ووطن آخر، وكان السور من صنع ذلك الذي منع سحنونًا من صحبة الإمام مالك، فتراه مع جلسائه وأخدانه يصوّر وطنه بصورة أعلى من صورته الحقيقية، وينافح عنه، ويحاول تأويل سيئاته وإلباسها لباس الحسنات، حتى إذا عجز بيانُه ونفد خيالُه رجع إلى أسباب ما فيه من المفاسد، فطوّق به رقبة غير قومه.

وإذا عاد إلى وطنه رأيته يندفع اندفاع المجنون ـ لكن بفكر العاقل ـ في سبيل سعادة أمته، يخدمها بمستطاعه، لا يدّخر من قوّته ومواهبه وسعًا، ولو كره منه ذلك قومه شفقةً عليه أو حسدًا له.

لو تأمّلتَ نهضات الأمم والشعوب لألفيتَ رؤساءها في الغالب رجالاً فارقوا أوطانهم وساكنوا غير قومهم.

وأقرب مثال إليك ما تراه من شبه النهضة بوطننا الجزائر، فإنك تجد أغلب أصحاب الجرائد، حيّها وميّتها، وأكثر الكُتاب بها، ممن لم تقعد بهم هممهم داخل أوطانهم، بل طلبوا العلم سواء بالمعهد الزيتوني أو بالأزهر الشريف أو بغيرهما.

أقول هذا وأنا أعتقد أنه حكم أغلبي، فما كنا لننكر أن الأمير عبد القادر بلغ ما بلغ وهو بمسقط رأسه، ونعرف من الكُتاب الغيورين الذين لم تغبر أقدامهم بغير غبار وطنهم ما يمنع من إطلاق الحكم وكلية القضية.

وما بلغنا أن مفكّرًا انسلخ عن قوميته ورمى بها جانبًا وخرج من مسؤوليتها بخروجه من ترابها، واندمج في سلك أمة أخرى بدعوى أنها أرقى من أمته.

كلّنا يعلم أن المصري مثلاً يقرأ بكليات انجلترا (والبون بين مصر وإنجلترا في الرُّقيِّ شاسع) ومع ذلك لا يزداد إلا تمسُّكًا بقوميته، وسهرًا على صالح وطنه، وحدبًا على سعادة أمته.

وإذا كان ابن أدنى الأدنياء لا يرضى أن ينسب لأعزّ عزيز، ذلك طبيعة البشر حتى قيل: «الناس مؤتمنون على أنسابهم»[1]، وقال العربي[2]:

---

(١) يُروى مرفوعًا ولا أصل له، انظر: «المقاصد الحسنة» (١٢٣٠ و١٢٣٩) للسَّخاوي

(٢) هو بشامة بن حزن النهشلي، انظر: «خزانة الأدب» (١/ ٤٤٦ و٨/ ٣٠٣ و٣٠٦ـ٣٠٨ و٣١٥) للبغدادي.

إنا بني نهشل لا ندعي لأب عنه ولا هو بالأبناء يشرينا

فعزيز النفس حرُّ الضمير الذي يعرف واجب الوطن لا يرضى أن يبدله بغيره أو يتبرأ منه، وله الحق أن يقول:

إنا بنو وطن لا نبغي[1] بدلًا منه ولا هو بالغريب يشرينا

دعاني إلى هذه النظرة وتسطير هاته الكلمات ما قرأته بعددي (٢٣٨ و٢٤٠)[2] من جريدة «النجاح» الغراء، بإمضاء أخي وصديقي ورفيقي بالجامع الأعظم «جامع الزيتونة» المعمور، السيّد العربي بن بلقاسم التبسي، الذي هاجر إلى الأزهر الشريف بعدما روى من منهل المعهد الزيتوني بقصد تتميم معلوماته به، تحت عنوان:

«هذه جزائركم تحتضر»!

عنوان يلفت الأنظار، ويوجب التردّد في كون الكاتب صديقًا مُشفقًا أو عدوًّا شامتًا، وإن كان الثّاني أقرب من حيث التّعبير بالاحتضار الذي لا ينجع فيه دواء، ولا تقي من عاقبته مهارة طبيب.

أما الأمر الذي لم أشكّ فيه ـ ككلّ قارئ ـ حين تلاوة العنوان، فهو أن الكاتب غير جزائري، لإضافته الجزائر إلى مخاطبيه.

ثمَّ اندفعتُ في قراءة المقال، فلم أر فيه غير: وطنك ـ شعبك ـ قومك ـ أمتك ـ مما

---

(١) في الأصل: «لا ندعي».

(٢) صدرَا يوم الثُّلاثاء ٢٥ ربيع الأوّل و٢ ربيع الثّاني ١٣٤٤هـ الموافق لـ١٣ و٢٠/ ١٠/ ١٩٢٥م.

لا ينافي ما يفهم من العنوان، ولكن لم أجد ما يرفع عني أحد الاحتمالين في شفقة الكاتب أو شماتته، حتى انتهيتُ من المقال فألفيتُ أمامي اسم صديق حميم وجزائري صميم، فهناك أيقنتُ أن الكاتب ليس بالعدوِّ الشَّامت.

ولكن ذهب بي العجب كلَّ مذهب ووقف فكري في الباعث على عنوان المقال بهذه العبارة، ووددتُ لو كنتُ من الطائفة التي لها من عواطفها قاموس تفهم به ما يقع عليه بصرها من الكلام، وأسفتُ كثيرًا لشبابي على رأي المتقيِّدين بالأوضاع اللُّغويَّة.

أنت ـ يا أخي ـ جزائري، ذهبتَ من بيننا بعد نضج فكرك ووفور معلوماتك، وتسكن هناك رواق المغاربة، ويوجد بإمضائك تحت العنوان كلمة «التبسِّي»، ثم يسطر قلمك هذه الجملة، التي يفهم منها الجامد على الأوضاع العربية مثلي التبرِّي من الوطن، واليأس من حياته، والتهكُّم بالجزائري، في أمرك له أن ينقه[1] المحتضر، وهو أمر تعجيز.

ليس من السهل عليَّ أن أعتقد أنك في الواقع متبرئ من الوطن، وأنا أعرف منك رجلًا عزيز النفس، قويَّ الفؤاد، كامل الإيمان، وحبّ الوطن من الإيمان[2].

أرأيتَ ـ يا أخي ـ أنَّ الجزائريَّ إذا فكَّر في ماضيه لا يعود إلَّا وقلبه مترعٌ

---

(١) يقال: «نَقِه المريض، ينقه، فهو ناقِهٌ، إذا برأ وأفاق، وكان قريب العهد بالمرض لم يرجع إليه كمال صحَّته وقوَّته» كما في «النِّهاية».

(٢) حبُّ الوطن غريزيٌّ في الإنسان، يشترك فيه المؤمن والكافر، وأمَّا الحديث المشتهر على الألسنة: «حبُّ الوطن من الإيمان» فلا يثبت، بل موضوعٌ كما قال حُفَّاظ الحديث ونُقَّادُه.

بالحسرات! فأحببتَ أن تعفي نظرك في وطنك مما يجلب لك أحرّ الزّفرات!؟

أَمْ رأيتَ أنَّ أمَّتنا من بقايا الأجيال الغابرين، فمنعك شعورك بانفرادها في الانحطاط من الانتساب إليها؟

أين هذا ممن لم يمنعه ذلك من أن يقول: «نحن تاريخ قديم»[1] ولم يقل: أنتم؟!

أم رأيتَ ـ يا أخي ـ أنَّه: «يكفي مهانةً أن يكون الشَّخص جزائريًّا!» فتستَّرتَ من هاته المهانة بستر لا يحجب ما وراءه؟

كن جزائريًّا على كلِّ حال، ولكَ الشَّرف والفخر إذا ظهرتْ مواهبُك وأنتَ من هذا الشَّعب، ونعتت أمة حالها على ما وصفت من الاحتضار!

ولا أرتضي منكَ ـ يا عزيزي ـ وأنتَ في غضِّ شبابك ـ أن تيأس أو تقنط من أن يرحمنا الله بشباب متنوِّر يرفع الأمة إلى المستوى اللائق بالحياة، وهو يومٌ يراه المقصِّرون بعيدًا، ويراه الحازمون قريبًا.

إنَّ كلَّ أمَّة لابدَّ أن يشملها الدَّهر بضرباته، ولابدَّ أن تأخذ حظَّها من تطوُّراته وهباته.

فالشُّعوب التي سبقتنا إلى الرقيِّ وتنعمت بالحضارة ونحن في بؤس الجمود والجهل بعيد القعر، ستدور بها كرة الدهر، فتمسي في ظلام حالك، في حين أننا نجتني من شمس المدنيَّة أوفر الفوائد، ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

فالجزائر ليست إلَّا مريضة طال داؤها، ولم يكن بالمزمن فضلًا عن أن يحضرها الموت بسببه.

---

(١) عنوان مقال منشور في العدد (٩) من جريدة «المنتقد»، بإمضاء: خبشاش محمَّد الصَّالح.

وإنَّه لمن أكبر العقوق ـ وحاشاك منه ـ أن تكون هجرتك في غير سبيل شقائها وجلب الدواء الناجع إليها.

واغتنم فرصة وجودك خارجًا عنها فستعمل[1] أشدّ الجديَّة وأسدّ النّظر في إيقاظ جزائرك وجزائرنا، فإنَّ خدمتها واجبة على من نبت لحمه من ترابها وإن تنفس في غير هوائها.

أمَّا ما دعا إليه تركيب العنوان من التَّهكُّم بالجزائري الوسنان، فإنِّي أؤمن بطهارة ضميرك منه، وأَكِلُ تأويل اللفظ إلى الرَّاسخين في الفهم بالعواطف، هذا ما لاحظته على هذه الجملة ذات الحروف الغليظة.

ولا أكتمك عجبي من الجمع بينها وبين ما سطر تحتها، إذ هي كلمة تسوء الوطنيّ وتسدّ باب الأمل في وجه العامل.

والمقال محرَّر بقلم بليغ، ينمّ عن كمال نفس الكاتب وحسن نظره وشدة غيرته، وهو (وحياة الأحرار[2]) ما نراه في جنابك ونتوسّمه من حضرتك، خصوصًا تصديرك المقال بالدعوة[3] إلى صريح الدين بالرجوع إلى الكتاب العزيز وصحيح سنة النبي ﷺ، وأن الإعراض عن ذلك هو سبب انحطاط المسلمين وخسرانهم والمانع من نهوضهم وتقدّمهم.

وليس ببدع أن نراك ترى هذا الرأي وأنت في صحَّة الإيمان وكمال الإخلاص.

---

(١) كذا في الأصل!

(٢) الواو في ظاهر العبارة للقسم، وهو لا يجوز إلَّا بالله كما لا يخفى.

(٣) في الأصل: «بالدعوى».

كلّ من جمع بين هاتين الصفتين فلا سبيل له في التفكير غير سبيل الإمام الشَّيخ محمَّد عبده ـ رحمه الله تعالى ـ وعليه أن يضع بين عينيه أبياته التي قالها في مرض موته.

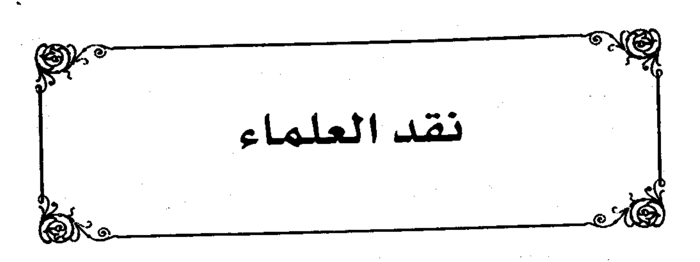
ولعلَّك رأيت بجريدة «المنتقد» التي لا تزال حرَّة مقالاتٍ في هذا الغرض تشجّعك على موالاة الكتابة في موضوع لستَ وحدك فيه.

إنَّ بتراب الجزائر كُتَّابًا أثاروا زوبعةً في وجه المبتدعين، وسيأتي يوم يثيرون فيه (وأنتَ بالطَّبع أحدهم) عواصف تهدم أبنية الدجالين، وتقتلع عقائد الجاهلين المغرورين، فيتخلّص الدِّين الذي سوَّى بين جَبَلَة بن الأَيْهَم[1] وأحد الأعراب من عبث الجاهلين، وكيد الخائنين، وتطلق العدالة من سجن الغربيِّين، وما ربُّك بغافل عمَّا يعمل الظَّالمون[2].

مبارك بن محمَّد الميلي

(١) انظر ترجمته في «الأعلام» (٢/ ١١١ ـ ١١٢) للزّركلي.

(٢) «المنتقد»: العدد (١٨) الصادر يوم الخميس ١٠ ربيع الثاني ١٣٤٤ هـ الموافق لـ: ٢٩/ ١٠/ ١٩٢٥م.



نقد العلماء

أفادت بعضُ الجرائد المحلية قُرَّاءَها بسفر الوفد القسنطيني للجزائر حسب العادة، ثم نشرت مكاتبة جاءتها من الجزائر تفيد أن الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس من جملة الوفد!

ونحن ـ وإن كنَّا نرى العار أن نعلم القارئ في أيِّ قارة كان لمهمة هذا الوفد في حين أن الوفود عند غيرنا تباين مفهومها عندنا ـ لا نرى من اللازم البحث في أغراض هذا الوفد أهي دنيوية أم دينية؟

وإنْ كان الثَّاني، فهل مثل هذا الغرض صحيح سائغ شرعاً؟ لأنهم يرون وزن أعمالهم بالشريعة تعرضًا لمسِّ شخصياتهم.

ولا نستحسن أن نخاطب هذا الوفد بما ودّع به كاتب مصري سعد باشا زغلول وهو قوله: «في ذمَّة الشَّيطان» حين سافر وهو رئيس حكومة وطنه إلى لندرة في تحقيق استقلال بلاده.

إنَّما الذي نراه لازمًا لنا هو سؤال الشيخ الأستاذ عما نسب إليه المكاتب من رحلته ضمن الراحلين من بلد إلى بلد بنية التبرك بغير المعصوم مع إنفاق كثير منهم

في سفره ما هو محتاج إليه في حضره.

فإن كان غير صحيح، فإنَّا نرغب من مجادلته أن يعلن ببراءته كي لا يتوصَّل أحدٌ بعالميته إلى أغراضه، ولا تأكل الدُّنيا بسلفيَّته كما أكلت قبل بأدب الخليل.

وإن كان صحيحًا وأن نية جنابكم ونية ذلك الجمع واحدة فنرغب منكم أن تطلعونا على مستندكم في هذا الفعل من عمل السلف ـ فإنَّ المعلوم عنكم أنكم تترسَّمون آثار السَّلف ـ وتثبت لنا بنقل صحيح صريح أن منهم من قصد أعظمًا باليةً يرتجي رحمتها ويتوسَّل بشمعها إلى نيل أمانيه الدنيوية والدينية.

سألناكم هذا السُّؤال لما نعلمه من سَعة اطِّلاعكم على أحوال السَّلف، الأمر الذي جعلكم تقتفون آثارهم.

لأنَّا لم نعلم ـ وفوق كلِّ ذي علم عليم ـ عنهم إلَّا ما يخالف ما نُسب إليكم.

فقد رأينا من كان يبالغ في إنكار الزيارة كابن تيمية ومن كان يبالغ في الإنكار عليه كابن السبكي، متَّفقين ومجمعين على أنَّ شدَّ الرّحلة لزيارة غير المعصوم للتبرُّك غير سائغة مهما حسن القصد وخلت النية من نزعات الشرك.

وقد نقل عن الشَّيخ أحمد التِّجاني ـ وهو من المتصوِّفة الذين لهم عِلْمٌ ودينٌ[1] ـ أنَّه منع أصحابه من زيارة الأولياء ولو لم يكن في ذلك رحلة خوفًا من أن يعتقد فيهم ما لا يناسب بشريَّتهم.

---

(١) انظر لزامًا: ـ «مشتهى الخارف الجاني في ردِّ زلقات التِّجاني الجاني» لمحمَّد الخضر الشَّنقيطي.

ـ «الهديَّة الهادية إلى الطَّريقة التِّجانية» لتقي الدِّين الهلالي.

قال الناقل: وهو منعٌ وجيه تنتقيه[1] قواعد الشَّريعة.

فإن كان هناك خلاف ما نعلم فإنا نرجو من فضيلتك أن تفيدنا به.

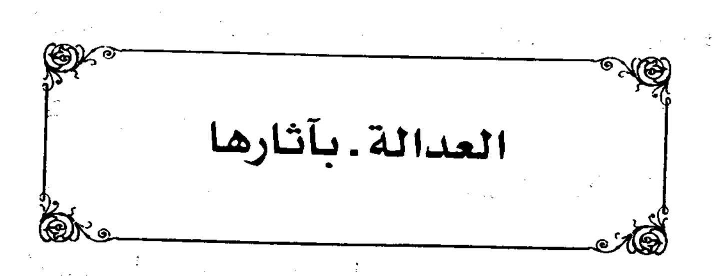
ولقد جرَّأني على سؤالك هذا ما أعتقده في حضرتك من البعد عن الظنون التي تحول دون حسن التفاهم والصراحة في إيضاح الحقائق الدينية.

فعسى أن لا تُعرِض عن إجابتنا وتسلك معنا مسلكًا صريحًا، متنكِّبًا سبل ذرِّ الرَّماد لستر المراد، إذ هي صفة الجبناء وأصحاب الأغراض الشَّخصيَّة، ومثلك لا غرض له غير الحقِّ ولا داعي يدعوه إلى الجبن، فأجيبونا، ولكم من الله جزيل الأجر ومنَّا جميل الذِّكر[2].

بيضاوي

(١) كذا الأصل!

(٢) جريدة «الشِّهاب»: العدد (٢)، الصَّادر يوم الخميس ٢ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ ١٩/ ١١/ ١٩٢٥م.



العدالة . بآثارها

العدالةُ ميزانٌ اجتماعيٌ تُجرَّدُ فيه الموزوناتُ عن كلِّ المميِّزات، ويتساوى أمامه الأنذال وذوو الهيئات.

يمسك بلسانه الأقوياء ويكونون في مقدار التطفيف والنزاهة عنه دركات ودرجات.

تجد من بينهم من يؤمن بأن له خالقًا امتحنه بمنحه هذا الميزان ليعلم ما يصنعه بعباده ثم يسأله يومًا آخر أكان مقسطًا أم قاسطًا ليطعمه لذيذ ثمرة غرسه أو يريه عاقبة اغتراره بنفسه.

يؤمن بذلك فيربأ بنفسه عن الدنيا ويسلك في نعمة الله عليه الطريقة المثلى فيسعد من حوتهم كِفَّتا هذا الميزان ويتسع نطاق العمران ويتقدم الأنام كلّ ثانية إلى الأمام.

وتجد منهم مَنْ لَمْ يشغل نفسه بالبحث عن طرق إثبات هذا البعث غير أن له نفسًا صافية من خبيث الأمراض وضميرًا لم يتلوث بقاذورات الأغراض أمكناه أن يخلص بنظره إلى الحقيقة الإنسانية غاضاً الطرف عما عداها من معتقد وعصبية وجنسية.

والناس مع هذا لا يخلون من سعادة، غير أن الوازع ما لم يكن إلهًا لا يؤمن

عليه من غلبة النفس التي ربما أولت العدالة بما يتفق مع هواها، ولم تعدم من زخرف القول ما تخرج به جورها في لباس العدالة، خصوصًا أمام أناس انقرض منهم من يعرف رسمها منذ أجيال، وتوالت عليهم خطوب وأهوال، أذهبت منهم التفكير في المعاني والأشكال، وتركت عقولهم في عقال من الجمود أيّ عقال.

أما إذا قضي على العدالة أن تقع بيد نفس إلى الإنسانية غير ميالة، فويل لها وويل للإنسانية تعبث بالجميع كما شاءت الأهواء النفسية وحكمت القوة الوحشية.

العدالة حق يطلبه الضعيف من القوي، ونصير يفزع إليه المظلوم، وحصن يلجأ إليه الخائف.

العدالة مصدر تنبعث عنه حرية التفكير، حرية الاجتماع، حرية النشر، حرية التعليم، المساواة في الحقوق الشخصية، فلا يحرم ذو حق حقه مهما كان جنسه ودينه، ولا يحبى لأحد ما لا يستحقه ولا يكون أهلًا لنيله.

العدالة كلمة تأتي بمعناها على ما تحمله الكلمات الثلاث: الحرية ـ الإخاء ـ المساواة.

فهي وحدها (مهما كانت على وجهها) تفي بالحقوق الشخصية والكليّات الاجتماعيّة وتضمن سعادة البشر.

إن للعدالة وجودًا في كتب التّشريع ودفاتر القوانين وأثرًا في الأمة يتبع كيفية تطبيق هاتيك القوانين.

فإذا أردت البحث عن مقدار العدالة بأمة من الأمم فلا تكلّف نفسك الفحص عن قوانينها والنظر في طبيعة تلك الأمة لتحكم بملاءمة النظام لها حتى

يكون من العدالة أو عدم الملاءمة كُلًّا أو بعضًا فتفقد العدالة أو تضعف.

إنَّ بحثت عنها من هذا الوجه ضللت السبيل ولم يكن حكمك موافقًا للحقيقة من جميع الوجوه.

إنما السبيل التي تفضي منها إلى الحقيقة الناصعة هي النظر إلى آثار العدالة المجملة في الكلمات الثلاث، فإن ألفيتها - ولعلك تلفي قبلها بيض الأنوق - فاستيقن وجودها، وإن وجدت بعضها وفقدت منها جزءًا أو أجزاء فاعتقد أن ما وجد منها له علة غير العدالة إذ من أشرب العدالة واتخذها دينه لا يستطيع تجزئتها.

إن السبب لعدم تطابق القانون الشارح للعدالة وآثارها هو نزاهة المشرع وخبث طوية المطبق.

نزاهة المشرّع حملته على اختيار الأنظمة اللائقة بالإنسانية الرافعة لشأنها.

وخبث المطبّق حمله على العبث بالناس وعدم احترام حقوق البشر.

وإن أجلى فرق بين القانون وأثر العدالة ما تراه بالوطن الجزائري.

يمكنك أن تنظر في قانونه فتجده بالنظر للأهلي به شيء من الحيف يستطاع التغاضي عنه ويمكن للأمة معه أن تأخذ حظًّا من الحياة العصرية فلو أردت أن تقيس به العدالة لحكمتَ بأن هناك عدالة إن لم تبلغ منتهاها فهي صالحة لا بأس بها.

فإذا نظرت إلى آثارها وجعلتها دليلك للحكم أفضت بك إلى نتيجة بعيدة المناسبة من النتيجة السالفة.

تجد الأمة الجزائرية في شؤونها الاقتصادية من فلاحة وتجارة وصنائع محافظة على نظامها العتيق كأنها قبل المسيح أو كأن العشرين قرنًا من ولادته عشرون يومًا.

وتجدها في طرق التفكير وفنون العلوم والآداب والاجتماع كأنها قبل الإسلام فلم تسمع في القرآن مخاطبة العقل والدعاء إلى النظر في الأكوان، ولا قال لها ربها: ﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

وما خلق لنا واجب علينا النظر في كيفية استثماره والاستفادة منه.

لعلك تظن أن شذوذ هذه الأمة عن غيرها لفساد طبيعتها وجمود قريحتها، فإنه ظن من قبيل الإثم المحض.

إنما ذلك لعبث بعض ولاته بقوانينه وجشع غالب المستعمرين الذين يرون يقظة الأهلي أشد عليهم بلاء من نزول البَرَدِ على غُلاتهم ومن كلِّ جائحة، حتى رشح إناء بعض منهم بهذه الكلمة «إذا وجدت عربيًّا وأفعى فاقتل العربي»، فهم لا يألون جهدًا في تصوير الأهلي بصور تروّع من لا يعرف حقيقته ويرضى له كل هوان وسقوط.

فإذا طلب الأهلي حرية التفكير، قالوا شيوعي! وهو مسلم لم يرض التجنيس فضلًا عن الشُّيوعيَّة، فهدَّدته الحكومة وأصبح لا يعرف مذهبًا للتَّفكير ولا نظامًا للحياة عدا أفراد شذَّت طباعهم وغالبوا وسطهم، غير أن الشاذ في أمة عديم التأثير في جمهورها.

وإذا ذكرت حرية الاجتماع التي هي وليدة حرية التفكير قامت قيامة الاستعماريين، وقالوا لا نفهم الفرق بين حرية الاجتماع والثورة!

لهذا وذاك أضحت الجمعيات عندنا مفقودة! وليس ذلك من أجل القانون بل ما قضى علينا إلَّا سوء تصرُّف الكثير من عبدة الأغراض وأعداء الإنسانية.

أمَّا حريَّة النَّشر فقد كنا نظن أنها في أقصى نقطها لأن المراقبين لعقول الأمة من المعمّرين آمنون من هذه الوجهة لسدّهم باب التفكير ورصدهم طرق السعي في تأسيس الجمعيَّات، والنشر الذي يكرهونه إنَّما هو الناشئ عن أفكار حرَّة.

غير أنَّهم غفلوا عن فلتات الطَّبيعة، فأمكن لطائفة من الشباب أن تؤسس جريدة حرَّة (لفظًا ومعنًى)، فما بلغهم صداها وتحققوا مبدأها حتى قضوا عليها في مهدها ـ ولبعض الأهالي من هذه الجريمة النَّصيب الأوفر ـ.

ما هي جريدة المنتقد؟ وما غايتها؟ وما نُشر بها؟

هي جريدة عربية أُسّست لتهذيب الأمة الجزائرية وتطهير ديانتها مما لا أصل له في كتابها وحديث نبيها وسيرة سلفها، ولم ينشر بها إلَّا ما هو طبق برنامجها.

غير أن ذلك لم يكن بمانعها من الاغتيال فذهبت ضحية غلطها في فهم قانون الصحافة.

كنتِ تحسبين أنَّ الدَّولة التي تعيش فيها أمثال «لومانيتي»[1] تعيشين أنتِ أيضًا فيها، وأنَّه ما منعك من مجاراتها إلَّا مخالفتك إيَّاها في المبدأ فذقت إثم هذا الظن.

وأمَّا التَّعليم الفرنسوي فهو متنوعٌ وكثيرٌ غير أن النتيجة بالنسبة للأهالي قليلة لا تقارب ما يظن بها من نظر المدارس والفنون التي تدرس بها.

وأمَّا العربي فمفقود بتاتًا عدا ثلاث مدارس دوليَّة فيها من العربية نزر يسير لا يزيد على العدم إلَّا بمثل زيادة الحال عند القائلين به من المتكلمين.

ويوجد بالمساجد شيء من التَّعليم بطرق عتيقة يتعبَّدون بها أكثر من تعبُّدهم بنتائجها.

---

(١) عنوان لجريدة كانت تصدر باللُّغة الفرنسيَّة: [L'humanité]، أي الإنسانيَّة.

فالتلميذ ـ وإن لم يحصل بعد الأمد الطَّويل إلَّا على حفظ كلمات لا يفهم إلَّا بعضها فهمًا إجماليًّا ـ تراه فرحًا مسرورًا بما حازه من بركة طريق تعلُّمه، وإن انضاف إلى ذلك ورقة مكتوبة بالحبر العتيق يشهد له فيها شيخه بالأهلية والتحصيل، فالسَّعيد من لم يجتمع به.

كلُّ هذا وإلى جانبنا المدارس الفرنسية والفلاحون المعمّرون والتُّجَّار من غير المسلمين و... و...

تدار شؤونهم بأحدث نظام ونرى عظم نتائجها في خير الأهلي رأي العين.

فابحث عن علَّة هذا البون بين المتجاورين لعلَّك لا تجدها غير أغراض...

وأمَّا المساواة في الحقوق الشخصية فأغلبها منوط بالتجنيس الذي يرغب عنه الأهلي أشدّ من رغبة المائلين عن الشيوعية.

فهل من رجال يطبِّقون العدالة تطبيق أبي بكر الصديق ﷺ القائل: «لا أضعف عندي من القويِّ حتى آخذ منه الحق، ولا أقوى من الضعيف حتى آخذ له الحق»[1].

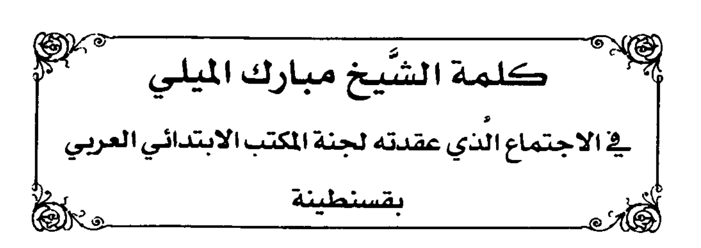
تلك سياسة إسلاميَّة وعدالة حقيقيَّة أظهرت في الأثر في أقلّ من قرن ما لم يظهره غيرها في قرون عديدة[2].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) «البداية والنِّهاية» (٦/ ٣٠١) لابن كثير.

(٢) «الشِّهاب»: العدد (٤)، الصَّادر يوم الخميس ١٦ جمادى الأولى ١٣٤٤هـ ٣/ ١٢/ ١٩٢٥م.



كلمة الشَّيخ مبارك الميلي

في الاجتماع الّذي عقدته لجنة المكتب الابتدائي العربي بقسنطينة

لي كلمةٌ أحبُّ أن أُسْمِعَها أولياء تلاميذ مكتب «سيدي بومعزة» ومن ينوي إرسال ولده إليه، بصفة كوني معلّمًا به.

ليست هذه الكلمة تحريضًا على التَّعليم العربي وبيان ارتباطه بالتَّربية الدِّينيَّة والسَّعادة الأخروية، فإنَّ ذلك أمر إنْ لم يكن أمرًا معلومًا لبعضكم بالتَّفصيل فهو معلوم إجمالًا، وإنَّما أريد أن أُنبِّهكم إلى طريقة تُدْنِي للأبناء ثمرة جهودكم وتقرِّب لهم نتيجة أعمالهم، وذلك بعد أن أشرح لكم الكيفيَّة الَّتي يسيرون بها الآن، ليكون اقتراحي هذا وتنفيذكم له كاستعمال الدَّواء بعد معرفة الداء.

للابن اليوم من أيِّ طبقة كان بالمكتب ستُّ ساعات كلَّ أسبوع، تُوزَّع عليها أنواع الدُّروس الَّتي يتعاطاها، ومن الدُّروس ما يجب عليه حفظه، ومنها ما تكفي فيه المراجعة، ومنها ما تكون أسئلة يملي أجوبتها من عنده لنعلم مقدار تحصيله، ويكون له ذلك سبيلًا إلى تحصيل مَلَكَة الإنشاء والكتابة.

وكلٌّ من الحفظ والمراجعة وكتابة الأجوبة يحتاج إلى أوقات لو أخذناها من

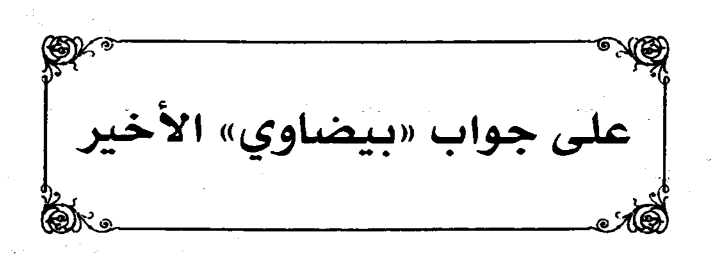
السَّاعات السِّتِّ لأجحفت بها إجحافًا فاحشًا وقضيت[1] علينا بتأخير النَّتيجة إلى زمن يطول علينا انتظاره.

أمَّا لو أردنا طرح الحفظ والمراجعة والإجابة وإسقاطها عن التِّلميذ لانعدمت فائدة التَّعليم تمامًا، وليس هذا يخفى عن مَن زاول شيئًا من العلم أو اطَّلع على برنامج المكاتب عربية وفرنسية[2]...

---

(١) كذا الأصل!

(٢) جريدة «النجاح» (عدد: ٢٥٢) بتاريخ: ٤/ ١٢/ ١٩٢٥م ـ بواسطة: «نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار» (ص١٩٢ ـ ١٩٣) لسليمان الصيد.



على جواب «بيضاوي» الأخير

الفاضل المحترم مدير جريدة «الشهاب» تحيَّةً وسلامًا.

أرجو أن تعجِّلوا بنشر هذه القطعة حتى لا يطول أمد تبجّح المجيب ومن يصفّق للغوه.

وسنوافيكم ببقية المقال بعدُ إن شاء الله.

ظهرتِ البدعُ أواخرَ عهدِ الصَّحابة ممن دخلوا في الدِّين ولم يدخل الدِّينُ قلوبَهم، وما زالت تنتشر وتنمو حتى صارت لا يخلو منها قطر من أقطار المسلمين، ولم يَخْلُ عصرٌ من عالِمٍ متذرّع بالكتاب والسُّنَّة ينكر على المبتدعين، وأكثرهم لم تصلنا أقوالهم، ومن بين تلك البدع بدعة السفر لزيارة غير المعصوم تبرّكًا.

وكان في القلب منها شيء لتواطؤ الناس عليها شرقًا وغربًا، وبودِّنا لو أُتيحت لنا فرصة للبحث في شأنها، فلما كان هذا الوقت الذي ظهرت فيه الدعوة إلى الإصلاح الديني لم نر فرصةً أحسن منه.

فكتبنا سؤالًا نشر بجريدة «الشِّهاب» واخترنا أن نعيِّن المسؤول حتى لا تتناول الموضوع أيدي أناس تقصر عنه. فحسَّنَّا ظنَّنا بالأستاذ الشَّيخ عبد الحميد ابن

باديس لكوننا نراه عالمًا لا يأخذ في فتواه بالخواطر، كبعض من يتخذ من أصحاب الطرق أحباء على حساب الدين، ولا نخشى منه الميل عن جادة الحقيقة.

لذلك خصّصناه بالسُّؤال ورجونا منه أن يجيبنا بأقوال السلف الصالح الذين وقفوا في دينهم عند الآيات القرآنية والأحاديث النَّبويَّة ووفّقوا لفهمها فهمًا صحيحًا خوَّلهم أن يكونوا مرجعنا في فهم الدين.

وقصدي أن أعلم ويعلم الواقف على تلك الجريدة أقوال سلفنا الصالح في هذه المسألة.

فأجاب بما كشف عن المسألة القناع وتبرّع بنقل كلام غير السلف زيادة في الاطِّلاع.

فحمدنا الله وشكرنا المجيب.

ولكن لم يشأ المدّعون للعلم بالوراثة والتلمذة إلَّا الدُّخول فيما لا يعنيهم والتطفل على ما لم يُهيَّأ لهم.

فنقل إلينا العدد السادس من جريدة «الشِّهاب» مجموعة كلام لأناس لم يبلغوا درجة الاستدلال بكلامهم، ممضي عليها باسم شخص يلوح عليه حماس «خَلْوَتي».

فعجبنا ككلِّ عاقلٍ من جمود المتحمّس وجهله بالمقاصد.

من تطفّله أوَّلًا على جواب سؤال قصد به معيّن ولو كان السُّؤال مَسوقًا إلى كلِّ عالمٍ لكان هو خارجًا عنه طبعًا.

وقد حاول أن يستر تطفُّله إذ قال: «أحببتُ أن أضرب مع الشَّيخ بسهم» ولو درى أنَّه في عصر المدفع الرَّشَّاش ما برز إلى الهيجاء بسهم غير مرتاش، فأصبح وأحسن أحواله أن يرجع وعقله قد طاش.

ومن نقله ثانيًا ما لم ندع إليه، إذ نحن نطلب كلام السلف وهو يصدّر جوابه بكلام والده رَحِمَهُ اللهُ ويختمه بكلام شارح «ورد السّحر» ـ وللسّامع الخيار في ضبط كلمة «السّحر» ـ.

ومن إثباته ثالثًا حكم الزِّيارة من غير سفر ولا قصدِ تبرُّك، ونحن نسأل عن حكم السّفر لزيارة التّبرُّك بغير المعصوم.

وإلى القارئ فهرس هذا التّأليف الطّويل الذّيْل، العريض القَفَا.

الخُطبة ـ مدح ابن باديس ـ تبرير فعل الوفد ـ الاعتراض على محبٍّ وليّ إذاية للوليّ ـ تواضعه ـ الاحتجاج بأفعال غير المعصوم ـ أدلة الزيارة ـ سبب مشروعية الزيارة ـ قبور الأولياء موكل بها ملائكة ـ زيارة قبر النّبيّ من أركان الحج ـ كلام التيجاني في الزيارة ـ الخاتمة.

لعلّ هذه الأشياء غير محتاج إلى جميعها في جواب سائل عن حكم السفر لزيارة التّبرُّك بغير المعصوم.

وإذ ذكرها فنرغب من القارئ أن يعذرنا في التّعرُّض إليها، وأقدِّم إلى المؤلف كلمة اعتذار.

يظهر أن هذا أوّل ما نشر لك بالجرائد كما أن كلمة «بيضاوي» أوّل ما نشر له بها، ومن سوء حظّي وحظّك إن كانت هذه الأوّليّة حربًا لا ندري عاقبتها لمن..!

فإن شكوتَ زمانَك قلت لكَ ـ ...صبرٌ جميلٌ فكِلانا مبتلى ـ.

خطبة هذا المجموع كخطبة سائر التأليف تشتمل على ما يُدعى ـ براعة استهلال ـ عرض فيها الناقل ـ عَرَضًا ـ بأني معترض على حزب الله يعني الوفد..

أمّا أنا فحزب الله عندي ـ ولست وحدي في هذا الحكم ـ هم الذين ينصرون

دينه وينكرون بدع أعدائه، وليس منه من يصمّ عن سماع الحقّ ويتأذّى من الدَّعوة إلى نصرة الدِّين والمقاضاة إلى الكتاب والسُّنَّة.

دعت جريدة «الشِّهاب» منذ مدَّة إلى تأسيس حزب ديني فما بلغنا أن أحدًا ممن احتدمت عليهم غيرة لبّى الدعوة ولا أنتَ نفسك.

أتراهم ينكرون وجود البدع بيننا فهم يتحاشون العبث بتأليف حزب يحارب شيئا معدومًا؟

لا، لا، ولكن أكثرهم يعتقد أن هذا الحزب عليهم، ولولا أمثالهم ما احتاج هؤلاء إلى هذا الدعاء.

ثم أعقب الخطبة بمدح الشيخ عبد الحميد ونحن نقرّه عليه إن أقرّه ونفسه على ذلك بعد قراءة جواب الشيخ وفهمه.

وهو وإن كان يقول (إنِّي «أتحقق» أن الشيخ الأستاذ يجاوبه الخ) يبطن أن الشيخ لا يجيب لأنه يحلم بأخلاق علماء لم يتعوّدوا الانقياد إلى الحقِّ خصوصًا إذا خوطبوا بالانتقاد فهم يأنفون من التنازل إلى إرشاد ذلك المنتقد ويكتفون بإخراجه من دائرة دينهم..!

لذلك تراه يمدح الشيخ راجيًا أن يكون سكوته كإمضاء منه على صحة تهويسه، ولكن سبق السيف العذل، وأجاب الشَّيخ بما لا يتَّفق مع هواك.

وذكر بعده الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّحمن[1] ـ رحمه الله تعالى ـ مادحًا له بألفاظ

---

(١) هو الصُّوفيُّ الأَزْهَرِيُّ الجرجري، توفي سنة (١٢٠٨هـ).

انظر: «تاريخ الجزائر العام» (٤/ ٤٧ ـ ٥١) لعبد الرَّحمن الجيلالي.

(هي من الألقاب الرسمية عند «الطُّرقيِّين»).

ثمَّ تخلَّص إلى تبرير صنيع الوفد بعاطفة «خلوتية» ورَّطته في دعوى وجوب فعلهم.

ونحن قد التزمنا عدم البحث في أغراض هذا الوفد ما دمنا في سَعَةٍ من ذلك غير أننا إذا سألنا هذا الناقل عن أمرين لا يعدّ ذلك نقضًا لالتزامنا إن شاء الله.

الأمر الأوَّل: إذا كان القصد فعل الخير حتى تحمّلوا في سبيله مشاقّ ومصاريفَ، فلِمَ أعرض المعرضون منهم عن دروس التفسير التي يلقيها بالجامع الأخضر من كتبت مدحه قبل مدح الشَّيخ محمَّد بن عبد الرَّحمن رَحِمَهُ اللَّهُ والحضور متيسِّر لأكثرهم لا يكلِّفهم شيئًا؟

أليس سماعُ كلام الله مع تفهُّم معانيه من إمامٍ عارفٍ أعظمَ من كلِّ خير؟

الثَّاني: هذا الوجوب هل هو خاصٌّ بالسَّادة «الخلوتية» أم هو عام على جميع المسلمين؟

فإن كان الأوَّل فقد أساء إليهم الشَّيخ خليل إذ لم يعقد بابًا لخصائصهم، ولا عذر له في ظهورهم بعده لأن الأحكام الدينية أقدم من الجميع.

وإن كان الثَّاني فقد أخلَّ به ثلاثمائة مليون وخمسون مليونًا إلَّا ألفًا أو ألفين.

إلا أن يكون كفائيًا فأنتم مشكورون بألسنة الباقين إذ قمتم عنهم بهذا الواجب الشاق على جمهورهم...

نعوذ بالله من قائل قولًا لا يتصوَّر أنَّه مسؤول عنه بين يدي ربه، ونعوذ بالله من حمية تفضي بصاحبها إلى هذا التجاسر والتقوُّل على الدِّين.

لولا غلبة الجهل وعدم تمييز العامة بين المقبول وواضح البطلان ما كان جواب هذا المتحمس إلا العمل بالأمر الوارد في حديث: «مَنْ تَعَزَّى بِعَزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ

فَأَعِضُّوهُ بِهَنِ أَبِيهِ وَلَا تَكْنُوا»[1].

ومن هذا النَّمط عدَّه السُّؤال عن حكم من أفعال العباد قدحًا في محبِّي الأولياء وزائريهم يعني الوفد. وذلك إيذاء للأولياء، والإذاية ممنوعة في الدِّين مشدّد فيها في جانب الأولياء.

إن كانت محبَّة الأولياء محبَّة تشرع كان من نتائجها الإصغاء إلى ما يرشد إليه العلماء بالدِّين، والإقلاع عما يحذّرون منه، مستندين في ذلك إلى الأدلَّة الشَّرعيَّة التي هي الكتاب والسُّنَّة وإجماع المجتهدين، بل الواجب على المسلم أن يبحث عن دينه ويسأل أهل الذكر ما لا يعلمه ونحن نسأل غيركم أكان لكم هذه الصفات؟

وإن كانت محبَّة يُكتفى فيها بتقديس أشخاصهم والذَّبّ دونهم بمذبَّة الحميَّة فنحن نهبها لكم ونبرأ إلى الله منها بل نراها من أعظم إذاياتهم.

سلّمنا أن القدح في محبِّيهم (ولو على الفرض الثاني) اعتراض عليهم، لكن لا نسلّم أن الاعتراض إذاية ما دام القصد التحاكم إلى الكتاب والسنة، فإنَّ عقيدتنا أنَّ الوليَّ الحقيقي يتَّسع صدره لمثل هذا ولا يرى فيه إذاية لشخصه.

إذًا أنتَ وحدك شتمت الأولياء بأنهم لا يرضيهم وزن أعمالهم بالكتاب والسنة، فعليك وحدك تبعة هذا السبب.

للكلام بقية...[2]

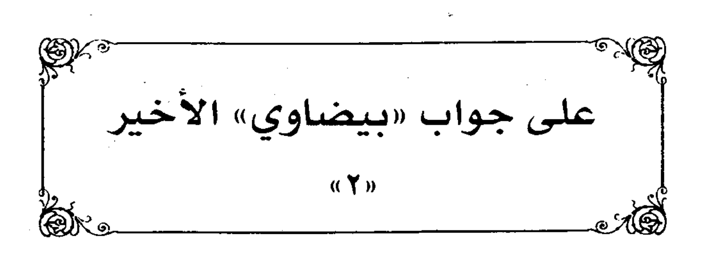
بيضاوي

---

(١) «الصحيحة» (٢٦٩) للألباني.

و«أَعِضُّوه»: أي قولوا له: اعضض ذَكَر أبيك، و«الهن»: كناية عن الذَّكر.

(٢) «الشِّهاب»: العدد (٧)، الصَّادر يوم الخميس ٧ جمادى الثَّانية ١٣٤٤هـ ٢٤/ ١٢/ ١٩٢٥م.



على جواب «بيضاوي» الأخير

«٢»

أمين مستودع الأفكار، وحامل راية الأحرار، سيدي مدير جريدة «الشهاب»؛

تحية وسلامًا.

وفاءً بالوعد أرسل إليكم ببقية المقال، دمتم لخدمة الدين والوطن.

اليوم نأتي على بقية فصول ذلك التأليف مبتدئين بفصل تواضعه إذ تفاءل فيه لنفسه بقول الأوَّل:

وابن اللَّبـون إذا مـا لُـزَّ في قـرن   لم يستطع صولة البزل القناعيس

ولولا ما بين والده وكُليب الهامل من المنافسة... لتمثّل بقوله:

وإذا ما ابـن اللبـون اسـتكثرا   من أذى البُزل عِراكًـا واجـترا

تركوه ذات يوم عدما

وذكر أن الحامل له على اقتحام هذه العقبة ما كان بين والده وهذا السيد الكريم من الروابط.

والقارئ يتذكَّر أنه ذكر قبل باعثًا آخر، وسيذكر غرضًا ثالثًا، ونحن نظنُّ أن

لديه أغراضًا أُخر لم يرد أن يبوح بسرِّها..!

غير أنَّ السَّيِّد الكريم المشار إليه لم نستطع تعيينه إذ قدّم أول كلامه مدح الشيخ ابن عبد الرحمن ـ رحمه الله تعالى ـ والشَّيخ عبد الحميد أطال الله بقاءه.

فإن عنى الأول، فنحن لم نعترض له بسوء، ومعاذ الله أن نذكره بمكروه إلَّا إن كان يرى السؤال عن حكم زيارته بتلك الصفة ـ والسؤال في الحقيقة يتناول زيارة غيره أيضًا ـ تعرُّضًا لشخصه، فهذا ما لم نكن نظنُّ أنَّ عاقلًا يفهمه.

وههنا نسأله سؤالًا واحدًا هو: ما رأيك في صنيع الشَّيخ الطيِّب العُقبي مع كُليب الهامل[1]؟

فإنَّ شأنك في الانتصار تابع لمحبتك، وقد تعارض لديك موجب محبَّة والدك ومحبَّة شيخك ممدوح كُليب الهامل، فمحبَّتك والدك توجب عليك نصرة الشَّيخ الطيِّب فاضح عدوِّ والدك، ومحبَّتك شيخك توجب عليك نصرة مادحه.

وإن عنى الشَّيخ عبد الحميد فلا معنى لنصرته بالجواب عنه بكلام يتلاشى أمام العلم الصحيح، بل محاولتك جعل ما ليس من الدين دينًا إذاية له، وقديمًا قيل: «بعض البِرِّ عقوق».

ثمَّ مهَّد للجواب بتقرير أنَّ فعل الشيخ الأستاذ حُجَّة في المقام، رافعة للسُّؤال.

جوابه أولًا: ليس فعل غير المعصوم كيفما كان في التَّقوى والاستقامة بدليل على حكم من الأحكام كما تقرّر في علم الأصول، ومما ينسب للخليل بن أحمد إمام

(١) هو الشَّاعر عاشور الخنقي، صاحب «منار الأشراف»، توفي سنة ١٣٤٨هـ.
انظر: «معجم أعلام الجزائر» (ص ١٣٦ ـ ١٣٧) لعادل نويهض.

العربية و شيخ الزهاد الحقيقيين:

اعمل بعلمي ولا تنظر إلى عمـلي ينفعك علمي ولا يضررك تقصيري

ثانيًا: من أين لك أن الشيخ سافر بنية التَّبرُّك، فإنَّ النِّيَّات محلُّها القلوب و«إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»[1].

فإن قلبتَ علينا السُّؤالَ وقُلتَ: من أين لك أن سفر الوفد كان بنيَّة التبرُّك؟

قلنا: نيَّتهم معلومة وهم مُقِرُّون بها، وأنتَ أحدهم تحاول جعلها من الدِّين.

فإن أنكرتم هذا فأنا أكتفي بكوني علمت حكم هذه المسألة، ولو تربَّصت قليلًا في الجواب لأسقطت هذا الدليل حيث إنَّ الشيخ لما أجاب حفظ لنفسه الحقّ في كتمان نيّته.

ولولا أنك جعلت تقرير كون فعل الشيخ حجّة مما استمددته من بحر المعرفة ما أطلتُ مقالي بالتعرّض له.

ولعلّه بعد هذا تقول معي استمددته من بحر السَّراب.

اعترف «المستمد» ههنا بأن السلف نجوم لمحبّيهم ورجوم لمبغضيهم، ولا شك أن مُحبِّيهم هم الداعون إلى الرجوع إلى ما كانوا عليه، وطرح المحدثات في الدين؛ ومبغضيهم هم المخالفون لسيرتهم، الثابتون على تقليد آبائهم وشيوخهم من غير عرض ذلك على الكتاب والسنة.

فإن كان اعترافك هذا صادرًا عن رويّةٍ فامدد يدك أصافحك على الأخوّة

---

(١) قطعة من الحديث الصَّحيح المشهور: أخرجه البخاري (١) ومسلم (١٩٠٧) عن عمر ابن الخطَّاب رضي الله عنه.

الخالصة والوئام الدائم.

ثم نقل عن والده رَحِمَهُ اللهُ كلامًا بذكر أحاديث في الزيارة.

وكل من تأمّل تلك الأحاديث علم أنها ليس فيها ذكر السفر ولا قصد التبرّك، فإنّ البقيع متّصل بالمدينة، والتبرُّك غير مراد قطعًا، فإنه ﷺ لا يتبرّك بزيارة أصحابه الأحياء أو الأموات، ولم يثبت فرق بين نيته ونية أصحابه، ولم يفرّق بين القبور في أمرهم بزيارتها.

ولو تأمّل فيما ختم به والده سرد الأحاديث لأدرك بُعدَها عن موضوع سؤالنا فإنه قال: «والأحاديث في فضل الزيارة ـ أي زيارة المؤمن أخاه في الله ـ كثيرة».

وهذا المعنى نعترف به ويقرّ به كلّ عاقل.

فتلك الأحاديث إذن إنما يجاب بها من اعتزل الناس، ودعا إلى مقاطعة الأحياء، وبخل بالدعاء للأموات، فيقال له: كان رسول الله ﷺ يزور أصحابه، وهم يزورون بعضهم، زيارة توادد وتحابب، ويزورون الأموات زيارة دعاء لهم واعتبارًا بمصيرهم، وينقل له تلك الأحاديث.

وإذا لم يثبت السفر للتبرّك بتلك الأحاديث، ولا يوجد حديث يثبت ذلك، وما يروى: «من زار وليًّا لله تعالى في أرضه فكأنما قاتل في سبيل الله حتى تقطّع إربًا إربًا»، لا نصيب له من الصحة، بل مكذوب كذبًا كذبًا.

فليس من المعقول أن نثبتها بأنه كان يقال... أو بسرد فوائدها منظمة إذْ لم يكلنا الشارع إلى عقولنا في ضروب العبادات.

فإن أبيتم إلَّا الاعتراف بتلك الفوائد، وأنها دليل على مشروعية السفر للتبرُّك،

فأنا أسألكم عن حصول فائدة واحدة لكم، وهي ما نظمها التازي[1] في قوله:

فكم خلّصت من لجّة الإثم فاتكًا ... فألقتـه في بحـر الإنابـة والـبر

ومما لا يفوتنا التنبيه عليه ههنا قوله عن والده: أصل إنكار الزيارة من ابن تيمية، زاد هو من نفسه: أنه أنكر زيارة قبر نبينا ـ عليه الصلاة والسلام ـ وتعجّب من نقل أهل العصر ـ يعني السائل ـ كلام ابن تيمية الخارق للإجماع.

ففي هذا الكلام أمور:

أحدها: إطلاق إنكار الزيارة من غير تقييد، والمنكرون لها إنما ينكرون زيارة التبرك، سواء ابن تيمية وغيره.

ثانيها: تخصيص الإنكار بابن تيمية وأنه خرق الإجماع! وليس الأمر كذلك.

نقل الشيخ عبد الحميد في جوابه منع الزيارة للتبرك عن علماء جلّة مشهورين لم تتناول عقائدهم يد أعدائهم بالطعن فيها، مثل أبي بكر بن العربي والقاضي عياض.

فإن كان المستمد لم يزل على عقيدته في الشيخ الأستاذ فإن ذلك يكفيني هذه الدعوى، ويسقط تعجّبه من نقلنا كلام ابن تيمية، على أننا نقلنا ذلك عن فحول ثلاثة: إمام سلفيٌّ وعالم نظّار وشيخ صوفيٌّ.

ثالثها: منع ابن تيمية زيارة قبر النبي ﷺ[2]، ولا نعلم ذلك عنه، بل ذكر في

---

(١) هو إبراهيم التازي الجزائري، صوفي، من مدينة وهران، توفي سنة (٨٦٦هـ)، انظر: «تاريخ الجزائر الثّقافي» (١/ ١٠٠) لسعد الله.

(٢) لم يمنع شيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ زيارة قبر النبي ﷺ الزيارة الشَّرعيَّة ـ كما يشيع عنه خصومه قديمًا وحديثًا ـ. =

«الاستقصاء»[1] عند الكلام على الوهّابيين التَّابعين لابن تيمية والمشاع عنهم هذا المنع بين أعدائهم، أنهم بخلاف ما يقوله عنهم أخصامهم، فارجع إليه كما رجعتَ إلى كتاب «الرماح»[2] وغيره، ولا تكلّفنا عناء النقل الطويل، فإننا لا نحب أن ننازعك هذه الخطة.

(للكلام بقية)[3]

بيضاوي

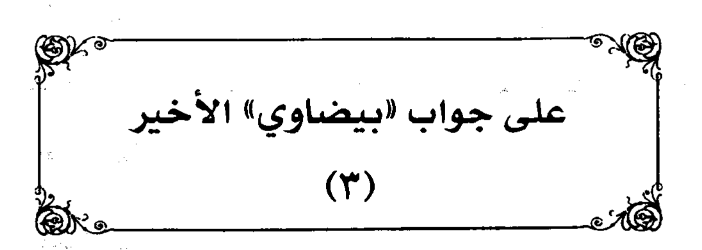
= وإنَّما الممنوع عنده ـ تبعًا لكثير من أئمَّة العلم والفقه، ومنهم إمام دار الهجرة مالك بن أنس ـ رحمهم الله جميعا ـ الزِّيارة البدعيَّة، ومنها شدُّ الرَّحل والسَّفر إليه؛ للحديث الصَّحيح المتواتر الآتي قريبًا، وهذا التَّفريق لا يخفى على أهل العلم والنُّهى إذا خلصت النِّيَّات وسلمت من الهوى!

وراجع: المجلَّد (٢٧) من «مجموع الفتاوى».

(١) في الأصل: «الاستسقاء»، وسيأتي التَّنبيه على هذا التحريف في المقال التالي.

(٢) من أشهر كتب ومراجع الطريقة التيجانيّة، وعنوانه الكامل: «رماح حزب الرحيم على نحور حزب الرجيم»، ألفه عمر بن سعيد الفوتي السنغالي، المتوفى سنة (١٢٨٣هـ).

(٣) «الشِّهاب»: العدد (٨)، الصَّادر يوم الخميس ١٤ جمادى الثانية ١٣٤٤ هـ ٣١/ ١٢/ ١٩٢٥م.



على جواب «بيضاوي» الأخير

(٣)

ثم نقل في سبب مشروعية الزيارة ـ كأنه ثبتت لديه مشروعية الزيارة المسؤول عنها ـ كلامًا هو الشعر اليوناني بعينه ومينه، والفلسفة الصوفية الهندية بنفسها.

وبكلٍّ الأسف لم يكن لنا بحر سراب نجري فيه فلك الخيال لاقتناص هذه الأوهام، إنما نحن أناس نخضع للكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وصحيح الأحاديث النبوية.

وأعقب ذلك بنقل شرح حديث: «لَا تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلَاثَةِ مَسَاجِدَ»[1] بناءً على أننا لَّمحنا إلى الاستدلال به، ونحن لم يقع منا هذا التلميح، وإنما عبّرنا بشدّ الرحلة، ففهم أننا نشير إلى الحديث، ولا يكون هذا الفهم صحيحًا إلَّا لو كان هذا المفرد العربي وقفًا على الحديث..

ولابد أن نسألك لِمَ شرحتَ هذه الإشارة التي لا تخطر ببال من له مبادئ في العربية وتركتَ شرح مواضع زعمتَ أننا عرّضنا فيها بالوفد؟

---

(١) صحيح متواتر، انظر: «إرواء الغليل» (٧٧٣) للألباني.

لعلَّكَ علمتَ أن شيوخك القاسميين لا يمدّونك لرتق ما فتقه فهمك ولا تجد ما تستر به حزبك.

وأما كُليَّة الغزَّالي التي ذكرها هو والشيخ الأستاذ في القسم الأخير من جوابه فإنما يخاطب بها من يثبت التبرّك بالحي وينفيه عن الميت، ونحن لا نفرق بينهما ونقول: إن السلف لم يتبرّكوا بغير النبي ﷺ.

في «الاعتصام»[1] ما ملخّصه: «كان الصحابة يتبركون بأشياء من رسول الله ﷺ، ولا يفعلون ذلك مع أحد غيره، فلم يتبرّكوا بشيء من أبي بكر ولا عمر ولا غيرهما، فيحتمل أنهم يرون التبرّك خاصًا بالنبيّ، ويحتمل أنهم لا يرونه خاصًا به ولكنّهم تركوه سدًّا للذريعة، فإن العامّة لا تعرف حدًّا للتبرّك، خصوصًا والتبرّك أصل العبادة التي ضلّ بها العرب».

ورجّح كونه خاصًا بالنبيّ بوجوه تُراجَع فيه، فقد وفّى الموضوع حقه.

ونحن لا يهمّنا أكان الراجح الأول أو الثاني، فإن الواقع أنهم لم يتبركوا بغير النبيّ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ ونحن يسعنا ما أوسعهم، ومن لم يسعه ما وسع الصحابة فلا وسّع الله عليه.

أثبتّ هذه الكلمة في التبرّك عن «الاعتصام» وأنا أرجوك أن لا تكفّر بها أبا إسحاق الشاطبي بعدما مضى عليه سبعمائة سنة وهو إمام السُّنَّة من غير نزاع، إنما أودّ أن تنقل ما ينقضها، وتثبت لنا أن الصحابة تبرّكوا بغير نبيّهم، ولو كان لي من العلوم ما يخوّلني نقض هذا الكلام ما كلّفتك نقضه.

لعلك تتنبّه هذه المرّة وتدّعي أني نقضت ما أصّله الأصوليون من عدم

---

(١) في (١/ ٤٨١ ـ ٤٨٣).

الاستدلال بفعل غير المعصوم فاستدللت أنا بتركهم، والفعل والترك أخوان، فأقول:

أولاً: الاستدلال إنما وقع بإجماعهم، وهو حُجَّةٌ معتبرَةٌ.

ثانيًا: إذا استدللنا بما كان عليه كبراؤهم، فذلك لأن الرسول أمرنا بذلك، ولم يأمرنا باتباع ما سنّه غيرهم.

من حديث عن العرباض بن سارية رواه الترمذي وصححه، ورواه غير الترمذي أيضًا:

«فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ»[1].

وكثيرًا ما كان الإمام مالك ينشد:

وخير أمور الدِّين ما كان سُـنَّةً   وشرّ الأمور المحدثات البدائع

وبعدما تكلّم على الزيارة وفوائدها والسرّ في مشروعيتها بكلام قد علمت قيمته قال:

«ومن المجمع عليه البالغ حدّ التواتر أن الله سبحانه وتعالى وكل بقبور الأكابر من الأولياء ملائكة» إلخ.

قد تسهل هذه الدعوى على من لا يحتاط لدينه، ولا غرض له في الأدلة الصحيحة محافظة على ما شبّ عليه.

نكتفي منك يا زعيم «القبوريين» بحديث واحد صحيح من خبر الآحاد

---

(١) تخريج أحاديث «تفسير ابن باديس» (٣٩) بقلمي.

يثبت هذه الدعوى، ولا نكلّفك بإثبات الإجماع والتواتر لأن ذلك يحوجنا إلى شرحهما أوّلًا، وهو شيء يزيد في طول هذا المقال.

ثم قال ـ يصف زيارة قبر النَّبيِّ ـ عليه الصلاة والسلام ـ:

«والتي هي ركن من أركان الحج لا يتمّ ولا يكمل إلاّ بها» اهـ بالحرف.

أظنّ أن الكاتب ـ أقول الآن الكاتب ولا أخشى تحريفًا ـ حاول أن يستمد من فيض بحر معرفة القاسميين كعادته في ليل حالك اشتد به هياج البحر فوقع غريقًا من غير أن يكتب له أجر الشهادة.

لا تثريب عليكَ إن أخطأتَ فيما لا يجهله الصبيان، فإنما هذا الخطأ عين أصابت محيّا مقالك الذي أخذ من الجاحظ جماله فأغناه عن بلاغته.

ثم ذكر كلام الشيخ أحمد التيجاني ـ رحمه الله تعالى ـ في الزيارة وقرّره بأنه نهاهم عن زيارة غيره، مبديًا في ذلك من النكت ما هو معلوم في كتب التيجانيين، ومنكرًا أن يكون نهي الشيخ بالصفة التي نقلناها.

كأنك ظننتَ أني أجهلُ كلامَ أصحابه في شرح كلامه فطفقتَ تقرره لي.

لا، والذي خلقك حيوانًا ناطقًا ما كنتُ أجهل ذلك، وإنما لم أعرّج عليه لكونه ينافي مقام الشيخ العلمي الديني، ولم أقرر كلامه برأي من عندي ولا فهمٍ يخصّني، ولكن نقله عنه في «الاستقصاء»[1] الشَّيخ أحمد السلاوي[2]، فاخترنا نقله

---

(١) كلمة «الاستقصاء» وقعت أيضًا في النبذة المنشورة في العدد السابق وتحرفت بكلمة «الاستسقاء» [«الشهاب»].

(٢) المتوفى سنة (١٣١٥ هـ)، وكتابه «الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى» مطبوع في أربعة أجزاء، وله غيره، انظر «الأعلام» (١/ ١٢٠ ـ ١٢١) للزركلي.

عنه لكونه جاريًا على أصول الشريعة.

أمَّا نقلكم فيجعل الشيخ صاحب شريعة لأقوام مخصوصين، وهو ينافي كونه تابعًا لشريعة لا تقبل الشَّيخ[1] ولا التخصيص بحزب دون آخر.

وبذلك يبطل ما تحاوله من إخراج الوفد عن فتوى الشيخ الذي قال كغيره من عظماء المسلمين: ما كان من أقوالنا موافقًا للكتاب والسنة فاقبلوه، وما خالفهما فاطرحوه.

وما بلغنا أنه قال: ما وافق من أقوال الشيخ التازي أو غيره فاقبلوه وما لا فاطرحوه.

ثم ختم كلامه بأمرين:

أولهما: الاعتذار عني بأن العلوم التي في يدي لم تساعدني على التسليم... إلخ، أي ليس عندي أمثال «سفينة الراغب»[2] و«شرح ورد السحر»[3]...

ولكن أنا لا أستطيع أن أعتذر عنه في إجابته لي بغير كلام السلف إلَّا بكونه يجهل مدلول هذا اللفظ، ولا يمكنني أن أعتقد به ذلك، وليس في وسع أحد أن يجهل من يستمدّ من بحار معرفة القاسميين «أهل حضرة العزيز الوهاب».

ثانيهما: أن جوابه هذا قصد به نصيحتنا (غرض ثالث).

وبكلّ أسف أقول له: إنك لم تستطع نصح غيرك ممن لا يتساهل في دينه، وإن كانت لك نية طيبة فالله يجازيك بالإنابة إلى الحق والتوفيق إلى مطالعة أمثال

---

(١) كذا، ولعلها محرَّفة عن «النَّسْخ».

(٢) هو «سفينة الرَّاغب ودفينة الطالب»، ويقال له «سفينة العلوم» لمحمد راغب باشا المتوفى سنة (١١٧٦هـ).

انظر: «الأعلام» (٦/ ١٢٣).

(٣) تأليف الشبراوي، لعلَّه المترجم في «الأعلام» (٥/ ٤٣)، والله أعلم.

«الاعتصام»، و«مدارج السالكين»، و«إعلام الموقّعين»، و«العَلم الشامخ في إيثار الحقّ على الآباء والمشايخ»[1].

وههنا أُوقف[2] القلم راجيًا من الأدباء أن لا ينكروا عليَّ التعرّض لمواضع من كلام المجيب لا علاقة لها بالسؤال مستمنحًا من المؤلف العفو و عدم المؤاخذة على إهمال مواضع من كلامه فلم أعلّق عليها، وربما لم تنقص في الأهمية عمّا تعرّضنا له...

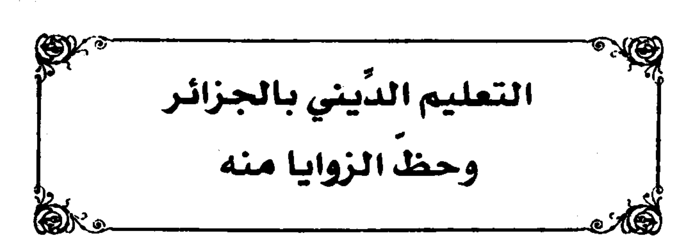
وأعده ـ ووعدُ الحُرِّ دَيْنٌ ـ بالعود إليها متى دعاني إلى ذلك بِهِمَّةٍ لا تعرف الكلل في خدمة دينها وأبناء جلدتها، وما توفيقي إلَّا بالله، عليه توكَّلت، وإليه أنيب[3].

بيضاوي

(١) الكتاب الأوّل للشّاطبي المتوفى سنة (٧٩٠هـ)، والثّاني والثّالث لابن القيِّم المتوفى سنة (٧٥١هـ)، والرَّابع للمقبلي اليماني المتوفى سنة (١١٠٨هـ).

(٢) في الأصل: أقف.

(٣) «الشّهاب»: العدد (٩)، الصادر يوم الخميس ٢١ جمادى الثانية ١٣٤٤هـ، ٧/ ١/ ١٩٢٦م.



التعليم الدِّيني بالجزائر وحظّ الزوايا منه

الشَّعب الجزائري من أغنى الشعوب في تأسيس الزوايا وتنميقها، ولرؤسائها النفوذ الروحي التام المطلق على أتباعهم الكثيرين.

وليس لعالِمٍ مهما كانت درجته في العلم أدنى نفوذ في الأمة إلَّا إذا كان مستمدًا نفوذه من أولئك الرؤساء، معتمدًا على اعترافهم له بعالميته وشهادتهم له بسلامة العقيدة، وليس ذلك الاعتراف وتلك الشهادة بالأمر الذي لا يمكن الرجوع فيه . بل مهما بدا لهم أن يسلبوه منزلته بين الناس قالوا فيه ـ وهم المُصَدَّقون ـ ما شاءوا، فنفر منه الناس وزالت ثقتهم به.

فلا جرم كان العالِم الذي يعزّ عليه أن يسلب ذلك النفوذ ويخشى أن يمسي ـ من هجره ـ على حال لينشد فيها قول ابن فارس:

نـديمي هـرّتي وأنـيس نفـسي ... دفـاتر لي ومعـشوقي الـسِّراجُ

مُلايِنًا لهم مُلاَينةً تفقده القيام بوظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل ربما جاوز ذلك ـ طمعًا فيما يجودون به عليه مما يجمعونه من الناس ـ إلى تأييد ما يأتونه من البدع ـ الملازمة لكلّ جاهل بالدِّين ينتحل التصوّف ويدعو إليه ـ فيؤوّل

تلك البدع بما يتّفق مع هوى من انتسب إليه، وقد يؤلّف في فضائل البيت المنتسب إليه ويكثر من ذكر الكرامات من غير تحرٍّ!

هذه حالة لشيوخ الزوايا وحالة علمائنا بينهم، يعترف بهم الراضي عنهم والسَّاخط، ويعرفها قريب الدَّار والشَّاحط.

وذكر الأمير شكيب أرسلان عن «دائرة المعارف الإسلامية الفرنسوية»:

«إن في بَرِّ الجزائر بحسب تحقيقات (دوبون) و(كوبلاني) (٢٣) طريقة صوفية، لها (٢٩٥١٨٩) مريدًا، وعليها (٧٥) شيخًا، و(٦٠٠٠) مقدّم، وعندها (٩٤٩) زاوية، وتجبي من الإخوان كلّ سنة ما يقدّر بسبعة ملايين.

إلى أن قال: «ولمشايخ الطرق والمرابطين نفوذ عظيم ومكانة لا تساويها مكانة في الجزائر عند جميع الأهالي لا سيما البربر..! وإن العلماء والمدرّسين والمفتين والقضاة وأئمة المساجد لا يكادون يكونون شيئًا بالقياس إلى المرابطين ومشيخة الطرق» اهـ.

والظاهر أن ما أثبته هذان العالمان من عدد المريدين أقلّ من الواقع بكثير إذ لو كان لرؤساء الطرق ذلك العدد فقط من أمة ذات خمسة ملايين أو تزيد ما بلغوا إلى هذه المكانة التي لا تساويها مكانة.

لهذه المنزلة التي لرؤساء الزوايا وما لهم من كثرة الأتباع وما تحت أيديهم من الزوايا كانت نفسي تتوق إلى بسط الكلام في الزوايا وفوائدها اليوم بيننا، وما هي الأعمال التي تقوم بها للشعب إزاء انقياده لرؤسائها وبذله لهم المال الكثير بمقاصدي وإن اختلفت ترجع إلى إقامة البرهان على إخلاص الطاعة؟

وما زلتُ متعطِّشًا إلى الوقوف على شيء من ذلك لِكُتابنا الأحرار حتى قرأتُ أخيرًا بصحيفة «النجاح» الأغرّ مقالًا للكاتب الفاضل السيّد المولود الحافظي[1] الأزهري في هذا الغرض، فتناولتُ المقال بكلّ رغبة، وإذا به يحصر التعليم الديني في الزوايا، و يحمل تبعة انحطاطها على كاهل العلماء، وأن شيوخ الزوايا «لم يستنكفوا عن الإصلاح الديني، ولا عبسوا في وجوه القاصدين إلى التعليم بزواياهم، ولا ادّعوا الكمال لأنفسهم، ولا انحرفوا عن شعائرهم».

وكلُّ هذا مبالغة أو مناقضة للحقيقة في نظري.

فرأيتُ أن أبدي رأيي أنا الآخَر في ذلك، إذ كلّ كاتب إنما هو مظهر لفكره فيما كتب، وللقارئ الحق في التمحيص، وليس آمرًا أمرًا يتحتّم تنفيذه.

هذه حقيقة ينبغي أن لا يغفل عنها كي تحسن المفاهمة ويحصل المطلوب من إجلاء الحقائق.

لندع البحث في شهادته لشيوخ الزوايا بأنهم لم يستنكفوا عن الإصلاح الدِّيني.. الخ، راجين أن يكونوا كذلك في الواقع.

---

(١) هو الشَّيخ المولود بن الصِّدّيق سحابي الحافظي، الفلكي الأزهري، عالمٌ فقيه، كان أحد أعضاء «جمعيَّة العلماء» عند تأسيسها سنة (١٩٣١م)، ولم يمضِ عامٌ حتَّى انفصل عنها؛ ليترأَّس «جمعيَّة العلماء السُّنَّة»! الَّتي تأسَّست ضِرَارًا، وأصدر جريدة «الإخلاص» لسان حالها. توفي ـ رحمه الله وعفا عنه ـ سنة (١٩٤٨م).

انظر: «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ٧٥ ـ ٧٩) لفضلاء، و«صراع بين السُّنَّة والبدعة» (١/ ٣٢٠ و٣٢٢ ـ ٣٢٤) لحماني.

أما حصر التعليم الديني بالزوايا، وإناطة مسؤولية انحطاطها بالعلماء وحدهم، فقضيةٌ يهمّ الباحث الوقوف على مقدار نسبتها من الحقيقة.

فلنبتدئ بدعوى حصر التعليم الديني بالزوايا.

بعد أن نفى الشيخ الحافظي أن يكون للحكومة يد في التعليم الديني وأن هناك بيوتًا «متبعثرة» إذا قيست بالزوايا كانت كنقطة من بحر قال:

«فإذا استثنينا قسنطينة في العهد الماضي وأنصفنا أنفسنا بالحكم، فإننا لا نجد مناصًا من القول بأن المحافظين على التعاليم الدينية إنما هم مشائخ الطرق وتلك الأوقاف الخصوصية، حتى أن أهل العلمْ الراغبين في نشر الدعوة العلمية لم يجدوا لرغبتهم هذه مساعدًا ولا من يشّ في وجوههم وشجّعهم بالفعل سوى الزوايا وأرباب الأوقاف المذكورة!».

ويقول في بيان قيمة هذه المهمة التي قام بها أرباب الزوايا وما في حكمها وحدهم في نظره:

«نعم، إنَّ أسلوب التعليم فيها ناقص، فلم يرتقِ إلى الدرجة النظامية لينهض بالأمة إلى مستواها في المقاعد العلمية».

ثم يقول: «فقل لي بربّك وأنصف بنفسك: كم من واحد تخرّج من زاوية الشيخ الحوّاس بضواحي عين ولمان، وكم... وكم... الخ من المتخرجين من بقية زوايا القطر وأوقافه من أقصاه لأدناه ـ فلو قلت: إن جميع المعاصرين يرجع أصلهم في سبيل التعليم قراءات أو تدريسًا إلى تلك الزوايا لما أخطأت».

وقد فسّر لنا الشيخ الحافظي هذا التعليم الديني بأنه «حفظ القرآن وتدريس

الفقه والتوحيد وما تيسّر من علوم الآلة على ما فيها من النقص».

لنتكلم أوّلاً على تعليم القرآن بالجزائر معتمدين على شهادة الواقع.

إن تعليم الكتابة والقراءة هما الوسيلة التي تسهّل مباشرة التعلّم، وتقرّب للراغب في تحصيل العلوم رغبته، وليس هذا بالأمر الخفيّ حتى نطيل في تقريره.

إذن، تعليم القراءة والكتابة إنما تظهر فائدته جليلة إذا كان المتعلّم صبيًّا؛ لأنه الذي يُرجى منه بعد إتقان الكتابة والقراءة وجود القدر الكافي من الزمن لمزاولة العلوم.

والطريقة التي لم يزل عليها الشعب الجزائري في تعليم القراءة والكتابة ـ ولا يزال عليها إلى ما شاء الله ـ هي إدماج هذا التعليم في تلقين القرآن وارتباط بعضهما ببعض، بحيث لا تجد عارفًا بالقراءة والكتابة إلاّ قارئًا للقرآن حافظًا له أو غير حافظ.

فتعليم القرآن عندنا ـ بتلك الصفة ـ تختلف نتيجته باختلاف عمر المتعلّم:

إن كان صبيًا يمكنه بعد قراءة القرآن تعلّم العلوم كانت فائدة هذا التعليم جليلة.

وإن كان قد جاوز سنّ الرشد وصار في استطاعته أن يعمل في الهيئة الاجتماعية تجارة أو فلاحة أو غيرهما كانت فائدته دون ذلك، بل ربما كان ما أضاعه من المصالح العامة والخاصة أكثر مما استفاد من تعلّم القراءة والكتابة إذا لم يحفظ القرآن.

أما الصغار فإنهم لا يقرؤون القرآن بالزوايا التي لها معلّم على نفقتها وإنما يقرؤون بالمداشر والقرى والمدن حيث يسكن أولياؤهم الملتزمون دفع أجرة المعلّم، وإن وجد صغار ببعض الزوايا يتعلّمون القرآن على نفقتها كانوا كنقطة من بحر لا يعتمد بها في بيان مزايا الزوايا.

وأما الكبار الذين فاتهم سنّ التعلّم وصدق عليهم قول الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومَن فاته التعليمُ وقت شبابه فكبّر عليه أربعًا لوفاته

فإنهم وحدهم يقرؤون بالزوايا أو شبه الزوايا، ولكنّهم إلى العَملة أقرب منهم إلى الطلبة، فإن رؤساء الزوايا يستعملونهم في خدم كثيرة، كالتقاط الزيتون وحمله إلى حيث يُعصَر، وكنقل الحجارة إلى حيث يُراد البناء، إلى غير ذلك، ومن الخدم ما تكون مشترطة على مريد القراءة بالزاوية كالحصاد أيّامًا معدودات.

فاتَّضح أن تعليم الصغار القرآن ذلك التعليم الذي فائدته أجلّ وأعظم لا دخل لزوايانا فيه؛ لأنها لا ترجو من الصغير ما ترجوه من الكبير.

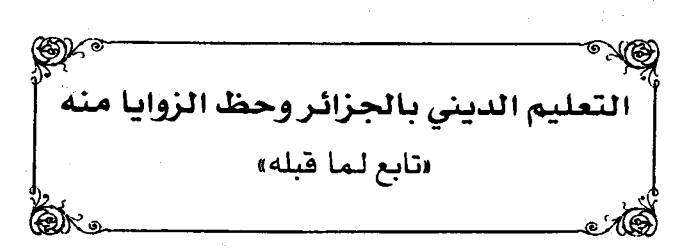
نعم، تعلُّم الكبار الذين فائدتهم من التعلّم ضئيلة أو معدومة، وفائدة صاحب الزاوية منهم جليلة وعظيمة؛ لأنهم خَدَمة ما داموا بالزاوية، ومبشِّرون بها وداعون إليها متى فارقوها.

ومع هذا فما كلّ زاوية بها معلّم قرآن.

وغاية ما يتحرّاه الإنسان في عدد الزوايا التي تعلّم القرآن أن يعدّها في كامل القطر بنحو خمسين، ولا أخالها بالغةً ذلك، فكيف يقول الشيخ الحافظي إنها لا تدخل تحت حصر؟[1].

يتبع مبارك بن محمد الميلي

(١) «الشّهاب»: العدد (١٣)، الصَّادر يوم الخميس ٢١ رجب ١٣٤٤هـ ٤/ ٢/ ١٩٢٦م.



التعليم الديني بالجزائر وحظ الزوايا منه

«تابع لما قبله»

وإذ قد جلونا حال تعليم القرآن، فلننتقل إلى تدريس تلك العلوم التي تقدّم بيانها.

حصر الكاتبُ تدريس تلك العلوم في الزوايا، ونفى أن يكون للحكومة مدخل فيه، ولا للعلماء من عند أنفسهم واستثنى منهم النزر القليل.

ونحن نقول:

أوّلاً: إن الحكومة لما أخذت أحباس المساجد قديمًا وأدمجتها في الميزانية العامة عيّنت بكثير من المساجد في سائر أنحاء القطر مدرّسًا وإمامًا لكلّ مسجد، واقتصرت في بعضها على تعيين إمام من غير مدرّس، وعيّنت مفاتي ببعض نقط.

أمّا المدرّسون فيقومون بتدريس العلوم الدينية سواء التي شملها برنامج الحكومة والتي لم يشملها؛ لأنهم لما يستغنون بمرتّب الحكومة عن السعي لتحصيل المعيشة يقومون بتفنيد ما عيّنته الحكومة لهم ويتطوّعون للعامّة في أوقات أُخَر بما تطلبه منهم، ومثلهم المفاتي.

وأما الأئمة فقد تُسوهل أخيرًا في شأنهم بتسمية من لا يستطيع التدريس، ولكن الكثير منهم يستطيع تدريس تلك العلوم على الصفة التي تدرّس بها في

الزوايا أو أحسن.

والغالب عليهم فتح دروس للعامّة: إما رغبة في الخير وخدمة لِلدِّين، وإما طمعًا في استمالة العامّة إليهم عسى أن يجودوا عليهم بما يقوم بضرورياتهم؛ لأن مرتّب الإمامة ضئيل جدًّا.

ولا ننس المدرّسين بالمدارس الدولية النظامية، فإنّ برنامجها العربي يشمل العلوم الدينية المبينة سابقًا، وخرّيجو هذه المدارس هم الذين وحدهم يعمرون المحاكم الشرعية.

ونحن إذا أحصينا الأماكن التي يعمرها المدرّسون الرسميون والمفاتي والأئمة وجدنا الزوايا التي تقوم بالتدريس بالنسبة إليها كنقطة من بحر!

فكيف يقول أحدنا لا مدخل للحكومة في تعليم تلك الفنون؟

إن هذا لا يقوله إلاّ من يريد أن يغضي الطرف عن البحر ويبصر النقطة لباعث ليس لنا أن نبحث عنه.

ثانيا: إن العالِم الذي لا يشتغل بالتدريس إنما منعه منه اشتغاله بضرورياته التي لم يجد من يكفيه إيّاها، وما اشتغل بالتدريس من استثنيتهم إلاّ لكونهم وجدوا ما يغنيهم عن التكسّب، وهؤلاء حقًّا قليلون، ولكن إذا قيسوا بالمدرّسين الرسميين والمفاتي والأئمّة القادرين على التدريس، لا بالقياس إلى مدرّسي الزوايا وشبه الزوايا.

ثالثًا: إن الزوايا التي يوجد بها شيءٌ من تدريس تلك العلوم ـ على قلّتها وعِلاّتها ـ إنما تختار من المدرّسين من يقنع بالتافه القليل، ولا ترضى أن تبدر منه كلمةٌ في غير مسائل الوضوء مثلاً، أو سرد الصفات كما عدّها الشيخ السنوسي

رَحِمَهُ اللَّهُ، ولا تبيح له أن ينتقد على شيخ الزاوية أيّ فعل ارتكبه، بل تجعل منزلته دون منزلة الشيخ بكثير ولو بلغ ذلك الشيخ في الجهل درجة التبريز!

ثم الغالب أن ما يقبضه ذلك المدرّس من الأجر يُجمَع له ممن يحضر الدرس ليلة الختم، فإنهم يجعلون في السنة يومًا معيّنًا لختم الدرس يدعونه «ختم سيدي خليل» ولو لم يقرأ منه إلاّ القليل.

هذه هي البشاشة، وهذا هو التشجيع الذي رآه الشيخ الحافظي مزيّة لأرباب الزوايا على الإطلاق، وصار يدعو من أوتي فصاحة المنطق وبالغ الحكمة أن يأتيه من المثرين بمثل زاوية فلان وفلان، كأننا في شكّ من سَعة أملاكها وكثرة أتباعها!

إنك بتعدادك لزوايا كثيرة الأملاك والأتباع في مقام بيان حصر التعليم الديني بها، ثم باقتصارك على التمثيل بزوايا طريقة واحدة تحمل القارئ على إساءة الظنّ بك، وتجعله يذهب مذاهب ـ لا خير لك في شيءٍ منها ـ في الحامل لك على الخوض في هذا الموضوع بهذه الصفة.

ومما تقدّم تعلم أن مشاركة الزوايا في تعليم العلوم الدينية كادت تكون معدومة فضلاً عن أن تجعل هي القائمة به وحدها.

لو أراد الشيخ الحافظي أن يكون كلامه جاريًا على نهج الحقيقة لقال: كان الواجب على زوايانا أن تقوم وحدها بالعلوم الدينية نظرًا لكثرة أتباعها ووفور أوقافها وسَعة مقابضها، ثم يطلب تنظيمها ويؤازره في ذلك كلُّ المفكِّرين.

إنَّ تقدير مداخيل الزوايا بسبعة ملايين لَشيءٌ له بال، وهو ـ على كثرته ـ أقلّ ممّا في نفس الأمر؛ لأنَّ ذينك العالِمين الفرنسيين إذا لم يتمكّنا من ضبط جميع المريدين

لا يتمكّنان بالأحرى من ضبط جميع المقابيض لأنّ أهمّها يقبض سِرًّا...

والخلاصة أنه يوجد بالقطر الجزائري تعليم بعض العلوم الدينية يتولاّه في أكثر الأماكن المدرّسون الدوليون والمفاتي والأئمة، وفي بعضها ينتدب إليه علماء من قبل أنفسهم أو باستدعاء بعض أهل البيوت التي سمّاها الشيخ الحافظي «متبعثرة»، وأن الزوايا ـ على كثرتها ـ لم تشارك في ذلك مشاركة تُذكَر بصفة تُشكَر.

ومع هذا؛ فالتعليم الراقي النظامي مفقودٌ من بيننا كما قال الشيخ الحافظي أوّلاً.

أما ما أتى به من الكموم ثانيًا في عدد المتخرّجين فلا يتّفق مع ما قرّره أوّلاً، وكيف تنتج النتائج العلمية بهذه الكثرة التي أشار إليها أخيرًا عن تعليمٍ لا ينهض بالأمة إلى مستواها في المقاعد العلمية؟

ولو وجدتْ حضرتُه زاويةً يتخرّج منها ما تحمّل مشاقّ الاغتراب إلى الأزهر الشريف شأن إخوانه الراغبين في العلم الصحيح، فإنّ رحلاتهم إلى الأزهر وجامع الزيتونة ـ معهدي العلوم الدينية ـ دليلٌ جَليٌّ على انحطاطنا في العلوم الدينية انحطاطًا فاحشًا!

وبعد؛ فإن أراد الشيخ الحافظي بحصره العلوم الدينية في الزوايا توبيخَ الكُتَّاب على ما وجّهوه عليها من الانتقادات بكونهم أساءوا إلى من أحسن إليهم، فإنَّا نقول له: هَبْ أنّ الناس تعلّموا في الزوايا، أيكونون مدينين لها إلى درجة أنهم لا ينكرون على أصحابها بدعهم؟

وههنا ندع الكلام على دعوى انحصار التعليم الديني بالزوايا، منتقلين إلى الحديث على دعوى أن العلماء هم المسؤولون على انحطاط التَّعليم بالزَّوايا أو إهماله.

قال الشَّيخ الحافظي في هذا الغرض:

«فإذا تتبَّعنا الفكرة ودقَّقنا في البحث على تقهقرنا التعليمي نجد العلَّة الوحيدة في ذلك هي عدم إقبال أهل الكفاءة العلمية على شبه المعاهد هذه الزوايا والأوقاف الخصوصية».

واستدلَّ لهذه الدعوى بأمرين:

الأوّل: أنها كانت في عصر الشيخ المكي بن عزوز[1] ومن قبله أرقى مما هي عليه الآن.

الثاني: أن طعن أهل العلم الصحيح في مشائخ الطرق كوّن التنافر بين الفريقين، فتسبّب في ذلك انحطاط التعليم بالزوايا.

وهاك عبارته في تقرير الأمر الثاني:

«فلو تتبّعنا سلسلة الحوادث التاريخية لوجدنا أن إحجام أهل العلم الصحيح مع قلّتهم عن ولوجهم شبه هذه المعاهد منشأه وجود التنافر بينهم وبينها الذي ولّده القدح والطعن في مشائخ الطرق» الخ.

ونحن نقول عن الأمر الأول، هل كان الشيخ المكي مديرًا عامًّا للتعليم بجميع الزوايا؟ أم كان في عصره لكل زاوية مدير نظير الشيخ المكي؟

لا شكّ أن التاريخ الصادق يجيبنا عن كلا الاحتمالين جوابًا سلبيًا إذ لم يعهد لا في عصر الشيخ المكي ولا قبله أن الزوايا كانت شؤونها التعليمية بيد العلماء.

---

(١) المتوفى سنة (١٣٣٤هـ). وللشيخ عبد الرحمن الجيلالي ثلاث مقالات في ترجمته، نشرتها مجلّة «الشّهاب» في المجلّدين: السّادس والسّابع.

ونقول عن الأمر الثاني:

أوّلاً: هذا من أدلّ الأدلّة على عدم اعتناء رؤساء الزوايا بشأن التعليم، إذ لو فرضنا - فرض المستحيل - أن أهل العلم الصحيح قاطعوا الزوايا كلّها، ألا يمكن أربابها أن يرسلوا أولادهم إلى أحد الكلّيات الدينية ليتخرّجوا منها ويرجعوا إلى زواياهم فيعمروها وينظّموها؟

رأينا حقيقة أخيرًا الشيخ الهاشمي شيخ الطريقة القادرية بوادي سُوف أرسل أولاده إلى جامع الزيتونة واشترط أن لا يتولى من أبنائه مشيخة زواياه إلاّ من حصل على شهادة التطويع بذلك الجامع، وقد حصل عليها اليوم من أبنائه اثنان.

كما رأينا بعض ذرية الحاج الخضر الخياري الحركاتي دائبين على التعليم بتلك الكُلّيّة.

ولكن هل يرفع هذا الملام عما يناهز الألف من الزوايا؟!

ثانيًا: من ذا الذي يمكنه أن يعتقد أن أهل العلم الصحيح قدحوا في شخصيات شيوخ الزوايا وطعنوا في أعراضهم وهو يعترف لهم بأنهم من أهل العلم الصحيح؟

الواقع الذي لا يحتمل النقض أن صاحب العلم الصحيح لا يداهن ولا يداجي ولا يخون أمانة العلم، بل يعترف بالمعروف ويدعو إليه، وينكر المنكر وينهى عنه، وهذا يُسمّى قدحًا وطعنًا في اصطلاح غالب شيوخ الطرق المنتصبين بالزوايا وراثة، لا عن جدارة وأهلية.

ومن الشواهد الحاضرة على أنّ إحجام العلماء عن ولوج تلك الزوايا ليس مِن قِبَلهم ولا عن كراهية لها ما يبلغك عند شغور خِطة الإمامة بمسجد من

المساجد من تقديم المطالب العديدة في طلبها واستفراغ الجهد في التوسط بالوسائط لقبول المطلب، فلو وجد أولئك مساعدة من الزوايا وبشاشة في وجوههم ما أقبلوا على الإمامة التي مرتّبها لا يفي بحاجياتهم، ولا أراقوا ماء محياهم أمام الوجهاء الذين يظنّون نيل مرغوبهم على أيديهم.

ولعلّ هذا كافٍ في نقض ما استند إليه الشَّيخ الحافظي في إلقاء مسؤولية انحطاط التعليم الديني وإهماله بالزوايا على كاهل العلماء؟

وختم الشيخ الحافظي مقاله؛ بأن منتقدي سير الزوايا لم يأتوا البيوت من أبوابها.

أوّلاً: بارتكابهم «الفظاظة والغلظة وجرح الإحساسات والحطّ بكرامة الأشخاص وعواطف الطوائف».

وثانيًا: بإهمالهم السياحة في الوطن والتنقّل من زاوية إلى زاوية لبثّ الروح العلمية، «هناك إذا شاهدوا أمورًا لا توافق الأصول المقرّرة في المسائل الدينية كآداب الزيارة يتمكّنون من ردّها وإصلاح شأن معتنيقها بأساليب الوعظ والإرشاد وبما لهم من النفوذ الأدبي وسماع الكلمة».

ومع ما في الأمر الأول من الشبه لا يخفى على من يطالع مقالات الكُتّاب في شأن الزوايا بالصحف السيّارة، فإنّ المنتقدين لسير الزوايا لم ينتقدوا في مقاصيرهم ولا في مجالسهم الخاصة، بل أقوالهم منشورة على صفحات الجرائد، فليأتنا الشيخ الحافظي من كلامهم بما فيه حطّ من كرامة الأشخاص الذي هو عبارة عن ذكر عيوب الشخص الخاصّة به على وجه التشنيع والتشهير بأوليائنا بمثال إغاظة الكُتاب وفظاظتهم.

اللَّهم إلاَّ إذا كانت الصراحة في الإرشاد والشدَّة في التعبير تعدّ فظاظةً أو حطًّا بكرامة أَحد.

ثم هل ترى وصفك لطائفة من الكُتاب حسّنتَ ظنّك بهم بالغلظة والفظاظة غير ماسٍّ بكرامتهم، أم لا بأس بمسٍّ كرامتهم؛ لأنهم ليس لهم من الأتباع ما يصيرون به طوائف تحترم منهم العواطف؟

أما السياحة لزيارة الزوايا والإرشاد بها فإنه لا يتيسّر إلاّ لقليل من قليل، والذي يتيسّر له ذلك لا يمكن أن يكون له من النفوذ الأدبي أكثر من الاستماع لكلامه من غير امتثال إذ ليس من السهل الإقلاع عن المعتاد، خصوصًا مع الجهل أو مع وجود مصلحة شخصية في ذلك المعتاد، والجمع بين الأمرين ممكن بأكثر تلك المعاهد.

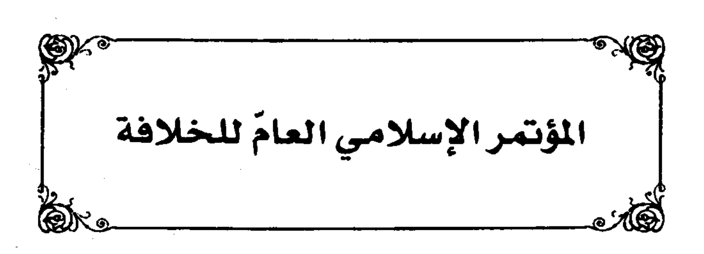
إنَّما تفيد هذه السياحة ويكون للعالِم السائح النفوذ الأدبي إذا تأَسّس حزب الإصلاح الديني.

حقَّق اللهُ الأملَ، ووفَّق الجميعَ إلى صالح العمل[1].

مبارك بن محمَّد الميلي

---

(١) «الشّهاب»: العدد (١٤)، الصَّادر يوم الخميس ٢٨ رجب ١٣٤٤هـ ١١/ ٢/ ١٩٢٦م.



المؤتمر الإسلامي العامّ للخلافة

سيضمُّ هذا المؤتمر أعظم رجال الديانة الإسلامية من أقطار مختلفة، وأشدّهم غيرة عليها، وأقدرهم على تصويرها بصورتها الحقيقية، وأحذقهم في تطبيق الأعمال على ما يتّفق مع روحها النقيّة.

فهو أوّل مؤتمر في نوعه، لا يشبه في غايته ونتائجه شيئًا من المؤتمرات التي يعقدها السياسيون أو الاقتصاديون أو رؤساء الأحزاب.

فلا جرم تكون نفوس العالمين المحبّين منهم لسعادة الإسلام وغيرهم متشوّفة إلى هذا المؤتمر أكمل تشوّف، ومتطلّعة إلى ما يجري به بأشدّ تلهّف.

أما المحبّون فلِمَا يرجونه للإسلام من النتائج الحسنة والمستقبل الزاهر والحياة السَّعيدة.

وأمّا الآخرون فَلِيقفوا على مقدار شعور المسلمين الدِّيني، ذلك الشُّعور الذي طالما ضرّهم الجهل بحقيقته فأحجموا عن بعض مصالحهم خوفًا من إذكاء نار الشعور الديني، أو أقدموا تهاونًا به فكانت العاقبة على غير ما يرضى.

وهذا المؤتمر هو المرآة التي ينجلي بها شعور كلّ أمة إسلامية بدينها فتتّضح الحقائق لطلاّبها، ويصير كل من ليس مسلمًا وله مصلحة في أمة إسلاميّة عارفًا بما

يأتي، فيأتي ما يأتي عن بصيرة ودراية، ويدع ما يدع عن بيّنة وإدراك.

هذا المؤتمر سيكون إمَّا حجَّة لمن يقول: إن الإسلام دين مدنية أو رقيّ أو دليلاً لمن يتشدّق بأنه عقبة كؤود في سبيل التقدّم، وبحسب نتائجه يزداد عدد أنصار الفكرة الأولى أو أصحاب الرأي الثاني، لأنه دليل واقعي لأحد الفريقين.

إنَّ لنا ثقةً بالقائمين بالدعوة إليه والمجيبين لهم في علمهم وتبصّرهم، فسيكون لهذا المؤتمر شأن عظيم في حياة الإسلام وبعث ما تعطل من أحكامه من مرقده.

فالأمة التي تشارك فيه سيحفظ لها التاريخ ذِكرًا جميلاً وأثرًا حسنًا، علاوة على كون حضوره دليلاً واقعيًا على تمسّكها بدينها وعدم انسلالها من جامعته.

والأمة التي تُعرِض عنه ولا تُلبّي الداعي إليه ولا يحملها شعورها على النفير إلى هذا الأمر الهامّ ستجبر التاريخ على أن يتّخذ لها بين دفتيه مكانًا فسيحًا تملؤه خزيًا لنفسها وعارًا وشنارًا بعدما تقيم الحجّة على نفسها بفقد شعورها بدينها، وإنما لم تبق مسلمة إلاّ عند علماء الجغرافية السابقين.

لذلك فإني أودُّ من سُويداء قلبي أن تكون الأمة الجزائرية من القسم الأول لا من القسم الثاني، بل أودّ أن لا يوجد القسم الثاني أصلاً.

لم أر لحدِّ الآن في جرائدنا ما يحقّق لي رغبتي، فقد حان وقت انعقاد المؤتمر ولم نسمع بتأسيس جمعيّة لهذا الغرض الشريف.

إذا أراد علماؤنا بأن يقوموا بما عليهم من المسؤولية لأنهم المسؤولون أولاً وبالذات عن هذا الأمر العظيم، فما عليهم إلاّ أن يؤسّسوا جمعية تتقدّم إلى الوالي العام بطلب الاعتراف بها، ثم تجمع من الأمة ما يقوم بلوازم الوفد حتى يكون ما

يجمعونه من الأمة كدليلٍ فعليٍّ على أن الوفد وفد الأمة وأنها مشاركة لغيرها من الأمم في هذا الشأن الخطير.

وليس للعلماء أيّ شبهة في هذا الإبعاد عن هذا السعي المحمود لا من جهة الدولة ولا من جهة العامّة.

أما من جهة الدولة فإنّ الدولة الفرنسية تعدّ نفسها أعظم دولة إسلامية، وقد أفاءت غير ما مرّة الدليل على تسامحها مع الإسلام إلى أن شيّدت بباريس جامعًا للمسلمين بحيث يصير الفرنسي يسمع صوت المؤذن والناقوس يقرع صدر الجميع.

وقد أبدت الجرائد الفرنسية تأثّرها الشديد من رفض الأتراك للخلافة وكتبت في ذلك جريدة «الطان»[1] الفصول الطويلة، وهي لسان الوزارة الفرنسية.

فمن البعيد أن لا يتّسع صدر الحكومة للاعتراف بوفدٍ مهمّته النظر في شأن ما كانت تأثّرت من فقده.

وليس من مصلحة فرنسا أن تتحدّث الأمم الإسلامية وغيرها عن الجزائر بأنها انسلخت من دينها وأعرضت عن المشاركة فيما هو أهمّ الواجبات في دينها.

لا يعلّلون هذا الانسلاخ من هذه الأمة إلاّ بأنّ في أحكام فرنسا (وهي بريئة) أو في حكّامها ما تركهم جاهلين أهمّ ما يجب عليهم دينيًّا.

وأما من جهة العامة فلا يحسن بهم أن يسيئوا بها الظن إلى هذا الحدّ، وحاشا العامّة أن تُعرِض عن أمر يتفق العلماء بدينها في شأنه ويوضّحون لها نتائجه وفوائده.

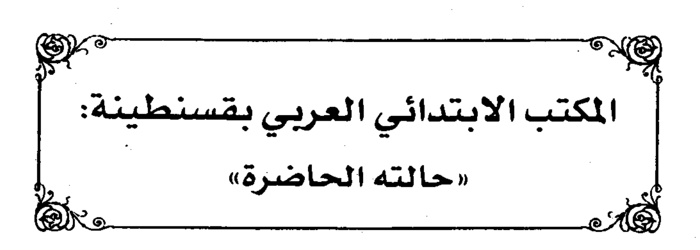
(١) جريدة فرنسيّة [Le Temps]، ومعناه: الوقت.

أزفت ساعة انعقاد المؤتمر وليس بينكم - أيها العلماء - وبين التحصيل على لوازم السفر والالتحاق بالمؤتمر إلَّا الجِدّ والنشاط، فأرونا عزمًا صحيحًا، وحزمًا سديدًا، ورأيًا رشيدًا، وغيرةً على الدِّين لذات الدِّين.

﴿وَقُلِ ٱعْمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥][1].

مبارك بن محمد الميلي

(١) «الشِّهاب»: العدد (٢٣)، الصادر يوم الخميس ٩ شوال ١٣٤٤هـ، ٢٢/ ٤/ ١٩٢٦م.



المكتب الابتدائي العربي بقسنطينة:
«حالته الحاضرة»

أُسِّس هذا المكتب بهمّة أفراد أدركوا أن أصل أصول سعادة الأمة والأساس الذي تُبنى عليه صروح قومية الشعوب هو نشر لغته وآدابها، وأنَّ الشَّرارة التي ينشأ عنها جحيم الشَّقاء والبلاء هي إهمال تربية النَّشء وتهذيبه.

فأبرزوا لنا هذا المكتب في مدينة يَرْبُو عدد الأهالي بها على الثلاثين ألفًا.

مضى على هذا المكتب أربع سنوات وهو بين المدِّ والجزر، فإذا طغى عدد تلاميذه لا يبلغ نصف واحد من مائة بالنِّسبة لمجموع الأهالي!

ولمرور سنة عليَّ معلِّمًا بهذا المكتب رأيتُ أن أعرض حالته في ظرف هذه السَّنة كما هي، كي يطَّلع من يهمُّه شأن التَّعليم العربي من غير تعرُّض لما يجب أن يكون عليه.

هذا المكتب هو محلٌّ يَسَع نحو السِّتِّين تلميذًا وليست به أقسام، وإنَّما به طبقات تأتيه كلُّ طبقة في وقت خاصٍّ بها.

الطبقة الأولى:

هذه الطبقة تتعلّم القراءة والكتابة، وليس لها كتب في هذا الشأن تسرد منها ويسير المعلّم على نظامها.

وإنما تتعلّم القراءة والكتابة باللوحة السوداء (طابلون) يكتب المعلّم بتلك اللّوحة أو يملي على أبناء الطبقة ما يحضره من الجمل الحِكمية والأمثال المفيدة حسب استعداده.

الطَّبقة الثانية:

هذه الطبقة تقرأ الترتيب الأول من الدروس النحوية والطريقة العصرية ـ رأينا أن هذا الكتاب ليس مما يختار ـ وتقرأ دروسًا في الديانة إملاءً من غير أن يكون بيدها كِتاب في هذا الغرض يحمله التلميذ ويتأمّله حين الدرس ويرجع إليه في أوقات الفراغ ليتذكّر المسائل التي أُلقيت عليه، ولا يغني عن الكتاب كراس الإملاء لأن المحافظة على الكتاب أشدّ منها على الكراس.

الطَّبقة الثالثة:

تقرأ هذه الترتيب الثاني والسنة الأولى من المحفوظات العربية ويُملى عليها درس في التاريخ الإسلامي ودرس في الديانة.

الطبقة الرابعة:

هذه تقرأ الترتيب الثالث والسنة الثانية من المحفوظات العربية ويُملى عليها دروس في الجغرافية العمومية والتاريخ الإسلامي والديانة.

وهذه الطبقات كل واحدة منها تقرأ ساعة واحدة كلّ يوم عدا يوم الخميس.

وللمتعلّم الانخراط في هذا المكتب متى شاء في فاتحة السنة الدراسية أو في خاتمتها أو فيما بين ذلك.

وعدد متيمّمي هذا المكتب في هذه السنة نحو مائة وثلاثين لم يجتمع منهم في

وقت واحد إلاّ نحو السبعين، أمّا الآن فعددهم يزيد على الأربعين! منهم نحو العشرين فقط ثبتوا من فاتح السنة الدراسية حتى السَّاعة.

وهؤلاء العشرون الذين لم ينقطعوا لا يصدق عليهم وصف المواظبين المعتنين إنما هم واسطة بين المنقطعين والمستمرّين!

أما الأمر الذي لاحظته من التلامذة ـ منقطعهم ومستمرّهم ـ فهو الذكاء العربي، وقليل جدًا مَن ثقيل الذهن، ولكن ماذا يجدي الذكاء وحده؟

*** مالية المكتب:**

للمكتب مالية تجتمع من تلاميذه آخر كل شهر حسب الكتاتيب القرآنية التي لا تخفى حالها الأدبية على العموم..!

*** إدارته:**

يدير المكتب لجنة تشمل علماء خبراء بطرق التعليم المنتجة، مطّلعون على أساليب التعليم الحديثة، بودّنا لو يقدّرون المسؤولية التي تحمّلوها نحو أبناء اليوم ورجال الغد قدرها لا يشغلهم عنهم عن أهم.

إن سير هذا المكتب بمقدار غيرة لجنته على اللغة العربية وآدابها، وليس بقسنطينة مكتب عربي من تأسيس الأهالي إلاّ هذا المكتب الوحيد، فعليها أن تظهره في مظهر يليق بسمعة قسنطينة ويبرهن على كمال غيرتهم على اللغة السامية السابقة أخواتها إلى التهذيب والرقيّ.

وإن هذه المدينة قدوة لمدن كثيرة، فمتى ارتفع شأن مكتبها وانتقل من دركة الهزل والهزء إلى درجة الجدّ والاعتبار تنبعث في بقية المدن والقرى روح التَّعليم

العربي العصري وتؤسّس مكاتب على نحته.

فتكون لِلَجْنَةِ هذا المكتب اليد البيضاء في القطر والثناء العاطر والتاريخ الماجد والثواب الجزيل من منزّل التنزيل.

هذه كلمة وجيزة نفضي بها إلى لجنتنا وليسوا في حاجة إلى رأي في تنظيم المكتب واختيار الطريق القريبة الإنتاج لأنهم أقدر على مهمتهم من أن يفتقروا إلى رأيي في سيرهم.

أما أولياء التلاميذ فقد كنَّا أعربنا لهم عن أفعالهم من المسؤولية في خطاب تلوناه بالجامع الأخضر ونشرته جريدة «النَّجاح»[1] الغرَّاء، ولست بمتعب قلمي في إبداء رأي لم ينفذ سابقه.

ولا يظن غير الأولياء وأعضاء اللجنة أن لا مسؤولية تلحقهم ولا عار عليهم في سقوط هذا المكتب.

فإنَّ مكتبًا حالته ما وصفنا بمدينة كقسنطينة في عصر تخال غرائبه العلمية من الأساطير التي لا حقيقة لها لَمِمَّا يزيد في عجب المتعجِّب في انحطاطنا ويدهش الجاهل بنا ـ فرضًا ـ أشدّ الدهش.

ليس في إمكان أيّ مفكّر أن يجمع بين ما يدّعيه شعبنا من شدَّة التمسُّك بدينه وشدّة الجهل بمنابعه الصافية ولغته السامية ذات المجد التالد والطريف.

إنّ أكبرَ بليّةٍ نزلت بنا من تفريطنا في لغة ديننا، جهلُنا بالعلوم الكونية والقواعد العمرانية، وجمودُنا عن استخدام الطبيعة الذي حضّنا القرآن عليه بقوله:

---

(١) تقدَّم (ص٧٤ ـ ٧٥)

﴿خَلَقَ لَكُم مَّا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

قد يعدّ الحديث اليوم عن هذه العلوم لغوًا بالقياس إلى شعب يأتي وطنه الفقير المدقع فيصبح بعد أمد قليل من مشاهير المثرين وأعيان الماليين في حين أن أفراد ذلك الشعب ضاق بهم وطنهم وصار أسعدهم حالاً العامل الذي يجد سبيلاً إلى الخروج من وطنه، والكثير يصيح بلسان حاله: هل إلى خروجٍ من سبيل؟!

نتساهل الآن فنتغافل عن الحديث في تلك العلوم التي تمتّع غيرنا بنتائجها، أما لغة القرآن والدين والتهذيب والآداب العالية فليس بوسعنا الإغضاء عنها.

فعلى الأمة أن تندفع بكلّ حزم في تأسيس المكاتب العربية على الأساليب الحديثة، وعلى المؤسّسين أن يسيروا بمؤسّسهم إلى الأمام سيرًا حثيثًا حتى يعمّ الرجاء أو يقلّ اليائسون.

أما التباطؤ في السير والتواكل في العمل فمما يزيد في عدد اليائسين، ويجلب التعب فالملل لمن يتولّى التعليم.

أما الأول فمن عدم النتيجة إذ يستحيل ـ والحالة ما وصفنا ـ أن يدرك أبناء مكتبنا الغاية التي نريد بلوغهم إليها وتحيا على أيديهم العربية وآدابها.

وهنا تجد اليائسين أنفذ الناس حجّة وأفصحهم بيانًا إذ عجزُنا عن النهوض بالشؤون السهلة لا يُبقي لنا كلامًا ومطمعًا في الأشياء الصعبة.

وأما الثاني فعلى تقدير أن يكون التلاميذ الصغار أحرص على نجاحهم ممن هزّتهم الأريحية ودعتهم الغيرة إلى تأسيس هذا المكتب، تكون النتيجة تعب المعلّم ضرورة أنه يعلّم أربع طبقات وحده.

وعلى تقدير أن لا يخرقوا ناموس الطبيعة ويكونوا أبعد عن النشاط من الساعين في تأسيس هذا المكتب وحفظه من الاضمحلال، فإن النتيجة إن لم تفقد تكون أنحف جسمًا من القائل: لولا مخاطبتي إيّاك لم ترني.

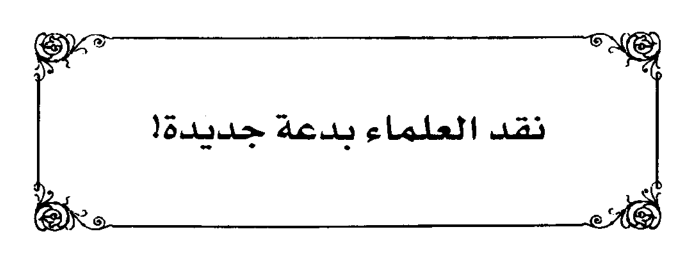
والملل والفتور على نسبة بُعد النتيجة عن التعب، فإذا جاء الملل والفتور؛ فإمّا أن يبقى المعلّم مباشرًا صورة للتعليم فيكون غاشًّا غرورًا، وإما أن يدع هذه الخطّة وذلك أليق به وأبقى لإخلاصه وأحفظ لكرامته.

لسنا والله من المتشائمين ولا المتهاونين بجلائل الأعمال، ولكن إن دام هذا السير ولم يحدث له غير فشكرًا لأبي الطيّب الذي كفانا مؤنة الاعتذار بقوله:

إذَا تَرَحَّلْتَ عن قومٍ وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون هُمُو[1]

مبارك بن محمَّد الميلي

(١) «الشّهاب»: العدد (٣١)، الصادر يوم الخميس ٦ ذي القعدة ١٣٤٤هـ ١٧/ ٦/ ١٩٢٦م.



نقد العلماء بدعة جديدة!

ظهر بظهور جريدة «المنتقد» أفرادٌ من أهل العلم ينتسبون للسَّلفيَّة.

فعزمتُ على ابتداع بدعة أرجو أن لا يشنَّ الغارة عليَّ السَّلفيُّون من أجلها.

ذلك أنِّي اتَّخذت شهر أكتوبر ميقاتًا لنقد أحدهم بالجريدة التي تخلف جريدة «المنتقِد» المظهرة لهذا الصنف من العلماء راغبًا من المنتقَد عليه أن يجيبني عمّا توقّفتُ في صحّة انطباقه على السلفية.

رأيتُ أن أقتصر على نقد هذا النوع من البشر.

أوّلاً: لحدوث ظهورهم، والنفس أميل إلى القديم المألوف دون الجديد المستحدث، فارتبنا في صدقهم لمخالفة تعاليمهم لتعاليم علماء اعتدنا منهم ملاينة العامة ومجاراة أميالها وتأييد أشياء أنكرها هؤلاء السلفيون.

ولا غرابة إذا توقفنا في صحّة ما لم يكن معتادًا لنا، فالعادة طبيعيَّة ثانية كما يقول حكماء الإفرنج.

ثانيًا: لتمحيصهم وامتحانهم، فإنّ السلف معروفون بالعلم الصحيح والفهم المستقيم وسلوك جادة الإنصاف ولو من أنفسهم.

ثالثًا: لأنهم إما عديمو الأتباع من العامة أو قليلوهم، وعلى قلَّتهم يغلب على ظنّي أنهم لا يتعصَّبون لمتبوعهم تعصّبًا أعمى، لأنَّ السلفيَّ يربّي أصحابه على الإصغاء للدليل وعدم تقديس الأشخاص.

رابعًا: لأنهم في غالبيتهم قليلون يمكنني معرفتهم وتمييزهم عن بقية من يدّعي العلم حتى لا أنتقد على أحد بمذهب غيره.

وقد ابتدأتُ خطّتي هذه في العام الماضي بنقد الأستاذ عبد الحميد بن باديس فأجابني بما شجّعني على خطّتي وقوّى عزمي على السير إلى الأمام في مهمّتي.

أما في هذا العام فقد وقع اختياري على الشيخ «السَّعيد الزواوي»[1] ذلك الشيخ الموقَّر إمام «جامع سيدي رمضان».

قرأتُ مقالاتٍ عديدةً لهذا الشيخ فرأيتُ بها صراحةً وليدةَ شجاعةٍ أدبيةٍ، وأنقالاً تعرب عن سَعة في الإطلاع، مما رجّحه لديّ أن يكون صاحب هذه السنة، والثاني لتنفيذ هذه البدعة أو السُّنَّة.

لا يجهل جزائري أن «جامع سيدي رمضان» قد اتُّخِذ منذ أزمان مركزًا تجتمع فيه طائفة جديدة من الطرقيين تقيم فيه مراسم حضرتها وطقوس عبادتها وشعائر ديانتها.

وأنت أيّها السَّلفي الصميم ـ أو المتطرّف ـ إمام ذلك الجامع الفسيح وخطيبه الفصيح، تحضر حضرتهم، وربما أثبت[2] عليهم ثناءً دينيًا، وربما كان ذلك فوق

---

(١) هو المعروف بـ «أبي يعلى الزواوي»، توفي سنة (١٩٥٢م)، انظر: «معجم أعلام الجزائر» (ص ١٦٤) لعادل نويهض.

(٢) كذا الأصل، ولعلّه: أثنيتَ.

المنبر، مع أن الجامع من بيوت الله التي يجب أن تكون مطهّرة من غير عبادة الله، ولا يعبد الله إلاّ بما شرع في كتابه العزيز وعلى لسان نبيه الكريم، وهو ما تدعون إليه معشر السلفيين.

أترى فضيلتك هذه الفئة سلفية ولو بعشر معنى الكلمة؟ وأن حضرتها مما اشتملت عليه من أقوال وهيئات كان يفعلها محمد بن عبد الله ﷺ.

إنَّ كان الأمر كذلك، فأرجو أن تثبت لي ذلك بالأدلة المعتبرة عندكم معشر السَّلفيِّين.

لستُ أنكر على فضيلتكم شيئًا من ماضيكم ولا نسألكم عن مستندكم فيه، لأنه يمكنكم أن تعترفوا بالخطيئة ـ إن كان هذا الفعل خطيئةً ـ وتعلنوا بالتوبة وهي كالإسلام تجبّ ما قبلها.

قد يكون إعلانكم بهذه الصفة ـ لو يقع ـ مفيدًا لي، ولكن أفيد منه سؤالكم عما سيقع في هذه السنة.

ذلك أن الشرذمة أعلنت في إحدى صحفنا دعوتها لسائر منوّميها إلى الاجتماع بجامع سيدي رمضان في هذا الشهر.

فهل كان هذا الإعلان بإذنكم؟

وإن لم يكن بإذنكم فهل أنتم راضون به منفّذون له؟

وإن لم تكونوا راضين وعجزت فضيلتكم عن صدّهم عن الاجتماع، فهل تعجزون أيضًا عن التغيير بالقول؟

هذا ما أراه إلى جانب سلفيتك ارتبتُ في صحّة اتّفاقه معها، ورجوتك لإجابتي عنه على ما هو المعروف عنك من الصراحة والشجاعة الأدبية، ذانك

الوصفان اللذان تعرّى منهما أكثر شبابنا وارتديتَ بهما على كهولتك وشيخوختك.

لا تظن أنّني كنتُ عليك مع مَن حمل عليك في هذه الأيام وأضفتُ سهمي إلى ما وجِّه لك من السهام.

لأنني لا أرى تلك المباحث من القضايا العامة التي أُسّست لها الصحف، خصوصًا صحفنا، فإنّها - وهي قليلة - باشتغالها بتلك المباحث تضيّع ما هو أمسّ بالحالة الحاضرة وأولى بالمعالجة.

هذا عذري في الوقوف دون نصرتك، وإن كنت غير محجّر عليكم طَرْق تلك المواضيع إذ لا تحجير على الأفكار.

ملاحظة: قد أُسأل: لِمَ أخّرتَ بدعتك الجديدة عن ميقاتها إلى شهر نفامبر؟

والعذر في ذلك أنيّ قرأتُ قبل هذا الشهر بشهور في جريدة «الشهاب» كلمة: «في سبيل الوفاق والتفاهم».

فنشطت لقِراءة ما بعدها، وإذا باقي الكلام يرشدني إلى أن المراد التفاهم السكوتي.

واليوم قرأت بمكان هذه الكلمة من تلك الجريدة كلمة غيرها:

«في سبيل الدعوة و الإرشاد».

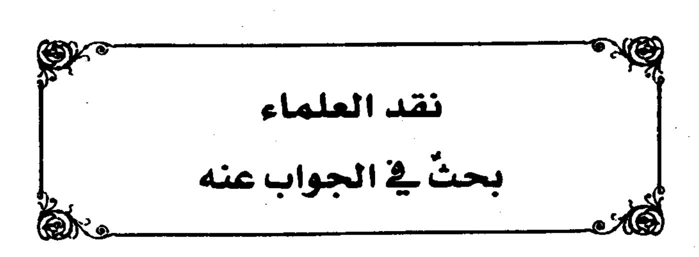
فأسكتتني الأولى وأنطقتني الثانية، فألفيتني في شهر نفامبر، فجعلت هذا الشهر وقتًا ضروريًا لبدعتي.

نسأل الله أن لا يعيد علينا هذه الضرورة مرّة أخرى[1].

بيضاوي

---

(١) «الشّهاب»: العدد (٦٨)، الصادر يوم الخميس ١١ جمادى الأولى١٣٤٥هـ ١٥/ ١١/ ١٩٢٦م.



نقد العلماء
بحثٌ في الجواب عنه

ظننتُ بالعالِمِ السَّلَفيّ الشيخ أبي يعلى خيرًا، وأنه سيجيبني عمّا وجّهته لجنابه من الأسئلة، فصدق ظنّي ـ في الجملة ـ وأجابني بما حبّب إليّ مراجعته حرصًا على الاستفادة من سَعة معلوماته وطمعًا في إظهار الحقيقة وإبرازها للقرّاء وضّاءة الجبين.

استهلّ سلفيّنا ـ أكثر الله من أمثاله فينا ـ جوابه بدعواتٍ سُنّيَّة ليست من وضع أصحاب الشطحات... الذين يؤلّفون ما لا يُفهَم من العبارات... فأرجو أن يكون فيها من المقبولين، وأدعو الله بمثلها لنفسي.

ثم نقل لنا أنموذجًا من مراسلات السَّلف الدالة على تناصحهم في الله وخضوعهم للحقّ ونزاهة كلامهم، مما يدلّ على قلوب طاهرة وصدور واسعة. ومتى كان الكلام من قلب طاهر اتّسعت غالبًا له الصدور.

لا أجدى على أخلاقنا من تطهير ألسنتنا وأقلامنا في المخاطبات والمحاورات، ولا أعْون على ذلك من نشر مراسلات أسلافنا الكرام، فهو صنيع يُشكَر عليه ـ واللهِ ـ سلفًا، وأشكر نفسي أيضًا أن كنتُ السبب في ذلك، وأحمد الله إذ وفّقني لمخاطبة هذا السَّلفيّ العفيف القلم.

نعمة لا يعرف قيمتها إلا من ابتُلي ـ مثل بيضاوي ـ بما ابتُلي به القائل:

ومن البليّة عذلُ من لا يرعوي عن غيّه وخطابُ مَن لا يفهم

لو اقتصر الشيخ أبو يعلى على تينك الرسالتين لعددتُ ما جاء في الرسالة الثانية جوابًا إجماليًا لأعذارٍ حالت بين قلمه والصراحة المعهودة منه، فأكتفي بقول مالك ﷺ: «فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالى... وإني أعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه».

ولربما حرمني بذلك من مراجعته ثانيًا؛ ولكنه زاد عنهما زيادةً وددتُ لو كانت على قدر السؤال فيحسن إليّ وإلى القراء.

لم يَخْلُ جوابُ الشيخ أبي يعلى من أشياء لا يسعني السكوت عنها، فقلتُ: «لعلي أراجع الشيخ فيفهمني»، خصوصًا وهو الذي دعاني إلى ذلك بما جاء في الرسالة الثانية: «ولا تدعنا من كتابتك، فلسنا ندعك من كتابتنا».

ولنحصر كلامي معه ـ هذه المرّة ـ في قسمين: تطبيق جوابه على مقالنا السَّابق، ما كان خارجًا عنه ورآه جنابه متعلقًا به.

وهذا ملخّص كلامي معه أوّلاً:

١ ـ جامع سيدي رمضان تجتمع به طائفة من الطرقيين... الخ.

٢ ـ ثناؤه عليهم فوق المنبر وغيره.

٣ ـ هل حضرتهم ـ بالمسجد ـ بأصواتها وحركاتها، كان يفعلها محمد ﷺ وأصحابه ﷺ؟

٤ ـ هل لفضيلته يدٌ في هذا الاجتماع بذلك المسجد؟

أمَّا الأمر الأوَّل فلم أبرزه في صورة سؤال لكونه معلومًا محقّقًا وقد أجاب عنه الشَّيخ بقوله: «كلّ ذلك ليس ذا وقوع، وإليكم الحقيقة».

اتهمتُ علمي عند قراءة هذه الجملة، وظننت أنه سينكر دعوى اجتماعهم بالمسجد، فوطّنت نفسي على الاقتناع بإنكاره وعدم مطالبته ـ في هذا الأمر ـ بالدليل؛ ولكن كان ماذا؟

أخذ الشيخ ـ في بيان حقيقته ـ يمدح رئيس الطريقة المستغانمية[1]، ويذكر معرفته لكثير من الشيوخ ـ شيوخ الزوايا ـ بالوطن وخارجه، وأنّ التعرّف بأمثال هؤلاء (الجنوس) من البشر شأن مَن قبلنا ومَن معنا ـ وشأن مَن بعدنا من عندي ـ وبعد كلام في هذا النمط اعترف بأنهم اجتمعوا بسيدي رمضان لما منعتهم الحكومة الاجتماع بعاصمتهم مستغانم.

والخلاصة أن الشيخ ينكر عليّ ـ فيما أظنّ ـ قولي: «منذ زمان» المفيد لقدم اجتماعهم بسيدي رمضان، والحقيقة أن الاجتماع حادث منذ السنة الماضية، والصواب ما قال، وعبارتي موهمة.

وأما الأمر الثاني فقد اعترف به، وقال: «كان كلّ ذلك» ثم أخذ يذكر حملاته على بدع المتصوفة.

ونحن نقول له: أنتَ صادق في ذلك ومحقّ، وهو ما رشّحكَ عندنا للنقد حيث أثنيتَ على طائفة أدرك بدعها الطرقيون أنفسهم.

وأما الأمر الثالث فلم يجبني عنه، وكأنه أنساه فيه إكثاره من مدح الطرقي العصري.

---

(١) هو الشَّيخ أحمد بن عليوة. انظر لزامًا «رسالة جواب سؤال عن سوء مقال» للعلَّامة ابن باديس ـ بتحقيقي.

وأمَّا الرَّابع فقد أجاب عنه جوابًا إيجابيًا، وعلّل ذلك بأنّهم مسلمون يريدون ذكر الله تعالى، ويجتمعون له في المسجد، وقد حضّ الله على عدم طرد المؤمنين[1]، وجعل المنع من ذكر الله في المساجد أقبح الظلم[2]، واهتم رسول الله ﷺ بتحريق بيوت المتخلفين عن الجماعة[3].

هذا كلامك يا أخي وهو ـ وحقّ إنصافك في غير هذا الموضع ـ كلام كاد يحملني على إساءة الظنّ بك وترك حبل القلم على غاربه يسطّر ما يشاء.

إنَّ عدم طرد المؤمنين حكاه الله عن نوح ﷺ يجيب بذلك الكفّار المزدرين بأتباعه.

وذكر الله تعالى في المساجد يجب أن يكون بما شرعه في القرآن وحديث نبيه ﷺ، ومن ذلك الصلوات المكتوبة والنافلة وتلاوة القرآن من غير تشويش على المصلِّين.

أغفلت إجابتي عن الأمر الثالث صراحة ـ ولا أقبل غير الصراحة ـ فإن أثبت أنّ ذكرهم مشروع لم يصحّ لك تنزيل الآية على الموضوع.

والنَّبيّ إنما همَّ بتحريق بيوت المتخلِّفين عن الجماعة لأداء الصلاة المكتوبة.

فانظر ـ أيُّها القارئ الحرّ ـ هل ترى في هذه الأدلة ما ينطبق على سؤالنا؟

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ..﴾ الآية [الأنعام:٥٢].

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا ..﴾ الآية [البقرة: ١١٤].

(٣) أي عن صلاة الجماعة في المسجد، كما في قوله ﷺ: «...ثُمَّ أُخَالِفُ إِلَى مَنَازِلِ رِجَالٍ لَا يَشْهَدُونَ الصَّلَاةَ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهِمْ..»، أخرجه مالك في «الموطأ» (٢٨٨)، ومن طريقه البخاري في «صحيحه» (٦٤٤ و ٧٢٢٤) عن أبي هريرة.

وتابع مالكًا سفيان بن عُيينة: أخرجه مسلم (٦٥١).

لقد تصرّفتَ في مدلول كلامي كي تنزّل عليه من الأدلة ما لا يتفق مع أصله وهو من الاحتيال الذي رأيتك تنكره في افتتاحية العدد (٥٨) من «الشهاب»، حاولتُ فكري لكي يوجد لهذه العثرة عذرًا يصحّ معه أن أقول لعلّها، فلم أجد إلاّ عذراً واهيًا وهو أنكم استعجلتم في الكتابة ولم تتأمّلوها جيّدًا.

هذا ما رأيناه في جانب تطبيق الجواب على الأصل أبديناه بإيجاز.

أمّا القسم الثّاني فإنّه تضمّن:

١ ـ ذكر التصوّف.

٢ ـ ذكر صاحب عبس...

٣ ـ دعوى أني عاتبته على مصاحبته.

٤ ـ مدحه لأتباع طريقته.

أما التّصوُّف فذكر في شأنه أن الأمة جمعاء متصوّفة، وإذا بدَّعناها وهجرناها ضاق علينا الملكُ: أرضُه وسماؤُه.

لا يتّسع هذا المقال الذي عزمتُ على إيجازه ما استطعتُ للبحث عن أصل التصوّف ودخوله في الإسلام، وإنّما أقول: إنَّ التصوُّف في أوائل احتمائه بالإسلام ودخوله تحت رايته مغايرٌ له كثيرًا عند المتأخرين حيث فشا الجهل بأصول الدين، وصار العالِم النِّحرير مَن يعرف مسائل العبادات والمعاملات، آخذًا لها من كتب الفقه، جاعلاً بينه وبين القرآن والحديث سَدًّا خَرْقُهُ من الكُفر.

وقد تكلّم أناسٌ من أهل العلم عن الصوفية المتقدّمين، منهم ابن الجوزي في كتابه «تلبيس إبليس».

وتحدّث عن المتأخرين الشيخ عبد الرحمن الأخضري ـ وهو صوفي ـ في القرن العاشر، وكلّ ما وصفهم به من الدنايا موجود بهم اليوم مع فرق فيها اقتضاه طول الزمان ونصرة الجهل، مثلاً يقول في أهل زمانه:

وظهـرت في هـذه الـبلاد   طائفـة البلـع والازدراد

واليوم لم يكتفوا بالبلع فقط، بل تطاولوا في البنيان وتوسّعوا في الأملاك على حساب الأمة، وزاحموا الولاة الأهالي بإدارات الحكومة تزلّفًا لأصحابها عسى أن يزيّنوا لهم صدورهم بالأوسمة...

ومن تزلُّفِ بعضِهم أنه ذهب إلى الولاية العامة، وقابل بها موظّفًا كبيرًا، فأراد أن يبرهن على إخلاصه للدولة بأن القرآن يأمرنا بطاعتها، وتلا الآية التي تأمر بطاعة الله ورسوله وأولي الأمر[1] ولم يزد كلمة «منكم»، فاتّفق أن كان ذلك الموظف يحفظ تلك الآية، فزاد الكلمة تبكيتًا له على تملُّقه السمج.

وهذه الطائفة التي ذكرها الشيخ الأخضري ليست هي الأمة، إنَّما هي شيوخ الزَّوايا الذين أضرُّوا بالأمة أكثر مما أضر بها حزب الاستعمار.

وأما الأمة فليست متصوّفةً فعلاً، وإنما تقدّس المتصوّفين من شيوخها، وتختلق حاشية الشيوخ ضروبًا من الخوارق تنسبها لمتبوعيهم تخديرًا لعقول العامّة.

ولستُ أدعو نفسي ولا أحدًا غيري إلى هجر الأمة، ولا أرى ذلك رشادًا، ولكنّي أدعو نفسي وكلّ من فيه غيرة دينية إلى إرشاد العامة وتنبيهها على مواقع غلطها ببيان الدِّين الصَّحيح والنهج القويم.

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ الآية [النساء: ٥٩].

ولا يصدنَّه عن ذلك اليأس من سماع قوله أو يقعد به ما يجده أمامه من المصاعب فإنه يكفيه أن يكون قد أدّى الأمانة.

وقد ذكر الله أهل الحقّ من اليهود وانقسامهم إلى ذوي رجاء وعظوا أهل الزيغ، وأهل يأس يثبّطون الأوّلين بقولهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾ الآية [الأعراف: ١٦٤]، إلى أن قال في حق الأولين: ﴿أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ﴾ [الأعراف: ١٦٥] ولم يخبرنا بمصير اليائسين المثبّطين.

فمجاهدة الضالّين عن سواء الصراط بالكتاب والسنة ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان: ٥٢] من أقوى أمارات الإيمان وأفضل القربات.

وقد قمتَ أيها الشيخ في هذا الغرض بما نرجو لك ثوابه مضاعفًا، فقد كتبتَ وخطبتَ ـ إلاّ خطبتك في مدح بعض الطرقين ـ مع صراحة وشجاعة، لا أخشى عليك تركها لأنك شيخ.

والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

ولعلّك بثباتك على خطّة الإرشاد مدّةً مديدةً، جرّبتَ ـ ولا أقوى دليلاً من التجربة ـ أنّ الناصح الأمين والمرشد المخلص لا تضيق عليه الأرض والسماء، ولا يفقد مَنْ يؤازره ويناصره إذ الحقّ لا يفقد ناصرًا.

وأمّا مدحه لصاحب المطبعة... فقد قال فيه:

«الشيخ المربّي الصُّوفي أبو العباس السيِّد[1]... وإنه ذو فهم وإدراك وأدب وشجاعة وتواضع، وامتياز عن سائر شيوخ الطرق».

(١) هو أحمد بن عليوة المستغانمي، شيخ الطريقة العليوية، وقد تقدمت الإشارة إليه قريبًا.

جاوزت في (مدحه) حدًّا أضرّ به   من حيث قدّرت (المدح) ينفعه

هذه الصفات بعضُها فطريٌّ والأخرى يتوقّف على العلم.

أمَّا الفطرية إن صحّت لصاحبها، فليست تدلّ صراحة على الديانة ولا على غيرها، إنما تدلّ على الديانة إن استُعملت في مرضاة الله، وتدلّ على شيء آخر إن استُعملت في تضليل الفكر العام وأكل أموال الناس بالباطل وتحريف الكلم عن مواضعه ـ كما فعل بالأجرومية وابن عاشر وغيرهما ـ...

وأمَّا الصفات العلمية فلم نعلم أنّ هذا الرجل قرأ بمدرسة علمية، ولكن شغل وقتًا صالحًا من حياته في صنع الأحذية وهي مدرسة عملية...

نوجز القول في هذا الفصل ونَدَعُ تفصيلَه إلى فُرصةٍ أخرى إذ لا ناقة لي ولا جمل في مدح هذا الرجل أو ذمّه، وما تسرّب إليه من قلمي فهو تقدير للضرورة بقدرها، فلا أتوسّع في شأنه أكثر من توسّع مخاطبنا.

وليصبر لكلماتنا التي نعارض بها أخانا أبو[1] يعلى، وليعتقد إنه ساعده الحظّ كثيرًا حيث كان بين مادح متساهل وقادح متغافل.

أيّها الشَّيخ: اتَّقِ الله، واعلم أنّك ستُحاسَب على هذه الشهادة، ولا تستسهلنّها لكثرة (الشهائد)[2] من غيرك، فقد علمتَ عاقبة جامعها...

ترفّع يا أخي عن مجاراة أصحاب الأغراض، فأنتَ عندي ـ واللهِ ـ أجلّ من

---

(١) كذا الأصل!

(٢) يشير الشيخ إلى كتاب «الشهائد والفتاوي فيما صحّ لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي» جمع محمد بن عبد الباري التونسي.

أن تتنازل إلى مدح...

إذا الفضلُ لم يرفعكَ عن شُكْرِ نَاقِصٍ على هِبَةٍ، فالفضلُ فيمن له الشُّكْرُ

وهب تلك الصِّفات موجودة ـ فرضًا ـ أيمنعك ذلك من إبداء مناكير طريقته وأنت الذي لم تبال بالشَّيخ السُّيوطي والشَّعراني وغيرهما!؟

يمنعني من أن أحدّث القارىء بفضل هؤلاء المنتقَدين على هذا الممدوح قول الشَّاعر:

ألم تر أنّ السيفَ ينقصُ قدره إذا قيل هذا السيفُ خيرٌ من العصا

وأما دعوى متابعتي إيَّاه على مصاحبته (صاحب القضية) فليس في كلامي شيء منه.

سألتُكَ ـ أو عاتبتُكَ ـ على إحياء بدع بمسجد تحت نظرك بحيث أنّك متمكّن من تغيير المنكر بيدك.

فإن قلتَ: ما يفعلون بالمسجد إلاَّ السُّنَّة، وبيّنت لي جميع أفعالهم به، مستدلاً لكل فعلٍ فعلٍ بالأدلة المعتبرة، أذعنتُ للحقّ وشكرتُكَ على ما أفدتني به.

أمَّا خارج المسجد فلا أسألك عن مصاحبة أحد وأنت أدرى بمن تعاشر، فلك أن تعاشر هؤلاء المسلمين ـ إن شاء الله ـ أو شيخهم، ولا تضطرّ إلى الاحتجاج بأنّ غيرك من السَّلَفِيِّين صاحَب غيرهم من الطرقيّين.

وأمَّا مدحه (لأتباع السرّ المطلسم) فقد وصفهم بالمحافظة على الصلوات الخمس وسدل اللحية الخ.

لا يمكنك أن تشهد لجميعهم بالمحافظة على الصلوات لأنك لست معهم في كلّ وقت خصوصًا القادمين من باريس والسينغال...

وأمّا إرسال اللحية فليس فيه كبير فضل[1]؛ لأنَّ حكم حلقها عند الفقهاء دائر بين الحرمة والكراهة، وكيفما كان لا نسمّيه بدعة لأنه لم يتخذ عبادة، والبدعة التعبّد بغير مشروع، ولا نقول إن رسول الله ﷺ يتبرأ مِنْ فاعله لأن غاية جرمه أن يكون صغيرة من الصغائر.

وبعد؛ فإن سلامة العقائد وطهارة الضمائر مقدّمة على تزيين الظواهر، فلا نكبر صلواتهم إن كانت عقائدهم فاسدة، و قد صلىّ قومٌ مع رسول الله ﷺ ولم ينتفعوا بصلاتهم.

إذا رامَ كيدًا بالصلاةِ مقيمُها فتاركُها عمدًا إلى الله أقربُ

وماذا يجدي سدل اللّحية إن كانت جميع الأعضاء مركوسة في حمأة البدع؟

ما أجدرها إذن أن ننشد في حقّها قول الأوّل:

---

(١) كيف وإعفاء اللّحية من السُّنن الواجبة!؟

أما أنّه سنة: فلفعله ﷺ، فقد «كان كثير شعر اللّحية» كما أخرجه مسلم (٢٣٤٤) عن جابر ابن سمرة رضي الله عنه.

وأمّا الوجوب: فلأمره ﷺ به في قوله: «...أَعْفُوا اللِّحَى» أخرجه البخاري (٥٨٩٣) ومسلم (٢٥٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وهي من خصال الفطرة كما في حديث عائشة رضي الله عنها عند مسلم (٢٦١)، والفطرة لا تقبل التغيير شرعًا كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

ألا ليت اللِّحى كانت حشيشًا فترعاها خيول المسلمينا

إنَّا لا نرى لِحِيَ هؤلاء القوم من الشعار العربي فإن أكثرهم ليسوا بعرب... وإنما هو شعار عليوي، يدل على ذلك أن أحدهم خوطب في السفر لزيارة شيخهم، فاعتذر بكثرة ضرورياته، فطولب بعوض ذلك أن يدفع لهم أجرة ركوبه ـ ليحجّ عنه أحد الفقراء أو تُهدى للشيخ ـ فلم يستطع، ولما ألحّوا عليه دخل بيته وتناول الموسى فحلق لحيته وجمعها والسبحة في لفافة وسلّم لهم الجميع...

وختامًا أرشدك يا أخي إلى مطالعة كتبهم مثل: «شرح ابن عاشر» و«تفسير سورة: والنجم» والديوان الذي سمّاه الأديب السيد حسين الجزيري[1] بحقّ «ديوان الضلال»[2].

ولعلك لا تحوجني إلى اشتمال صحيفة «الشهاب» بما في هذه الكتب من الهوس، تارة ترى الإلحاد، وطورًا عقيدة الحلول، وهكذا نجد بها جميع النِّحل إلاّ النحلة الإسلامية.

فانظر لنفسك وأرحني من عناء النقل والتنقيب فقد عهدتك تكره الجدل وتبغض قوانينه، ولك على ذلك أجر من أحيا سنّة أو أمات بدعة، والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه[3].

بيضاوي

---

(١) توفي سنة (١٩٧٤م)، كما في «مشاهير التونسيين» (ص ١٨٨) لمحمد بوذينة.

(٢) فيه أساء صاحبه ـ ابن عليوة ـ الأدب مع النبيﷺ! فكتب العلاّمة ابن باديس رسالة علمية نافعة في الردّ عليه سمّاها «رسالة جواب سؤال عن سوء مقال»، فليراجعها من شاء، فقد نشرت قريبا باعتنائي، والله وليّ التوفيق والهداية.

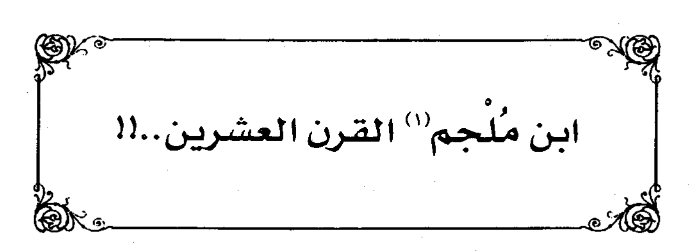
(٣) «الشِّهاب»: العدد (٧٣)، الصادر يوم الاثنين ١ جمادى الثانية ١٣٤٥هـ ٦/ ١٢/ ١٩٢٦م.

الشَّيخ مبارك الميلي مديراً

لمدرسة الأغواط

(١٩٢٧م- ١٩٣٣م)





ابن مُلْجم[1] القرن العشرين..!!

مَن هذا الملجم بسبحته الألفية..؟

مَن هذا الذي أراد تخريب مدينة العلم؟

مَن هذا الذي دفعته غيرته الوثنية إلى الانتقام من المصلحين بإذاية زعيمهم الأكبر الأستاذ عبد الحميد بن باديس؟

ذلك سالك من السالكين على يد الصوفي أبي العباس ابن عليوة! وأحد العارفين المفتوح عليهم بخلوته!

وما هو ابن عليوة...؟

هو رجل لا عقب له، يخدم على نفسه فقط..!

وما هي خلوته!؟

هي بيت يدخله من مريديه تارة واحدٌ وأخرى هي.. ولا يتجاوزون عدد

(١) هو عبد الرحمن بن ملجم المرادي، قاتل علي بن أبي طالب رضي الله عنه. توفي مقتولاً سنة (٤٠هـ)، انظر: «الأعلام» (٣/ ٣٣٩) للزركلي.

أصابع اليدين إلاَّ واحدًا..! مرسوم بهذا البيت أمام المريد كلمة (الله) ينظر إليها أيام إقامته بالخلوة التي يفقد فيها الأكل، ولا يخرج منها حتى يشاهد الله جهرًا أو يرى أبويه الهالكين! أو شيئًا آخر..!

وإذا خرج المريد من الخلوة صار مُحِبًّا للشيخ، وأخًا مخلصًا لمريديه عدوًّا أزرق لمن عداهم.

تنعقد من هؤلاء المريدين شبه جمعية فدائية آونةً، وشبه لجنة تنشر الدعوة غالبًا.

ففي الحالة الأولى تبحث عمن يستنقص الشيخ أو يجرح عواطفه اللّطيفة... لكن تحلّ به غضبها وتنتقم منه لشيخها، وقد تكرّرت اعتداءاتها على من لم يؤمن بغوثية شيخها.

وفي الحالة الثانية يتنقّل بعضُ أعضائها في البلدان و يتحدّثون عن الشيخ وما له من الأسرار ويشترون بعضَ أصحاب الذّمم الخربة ممن ينتسبون للعلم لكي يشهد لشيخهم أو يؤلّف كتابًا باسمه يصطادون به البسطاء ويغرّرونهم بأنه عالمٌ كبيرٌ، بل بحرٌ لا ساحل له...!

ومما حدث أخيرًا أن هذه الشِّرذمة اجتمعت وتحدّثت فيما تنشره جريدة «الشهاب» ـ عرضًا ـ ضدّ ترهات شيخها وقررت الانتقام من «بيضاوي».

ولماّ لم تعرف شخصه هوّلت على جريدة «الشهاب» وطلبت منها تعيينه، فلم يؤثّر ذلك في الإدارة شيئًا، وأجابتها بالرفض، وهناك قرّرت ـ بإجماع الأصوات ـ أن تعبث بحياة الأستاذ عبد الحميد بن باديس لكونه المشرف على تلك الإدارة.

بعثت شقيّها ليلة الثلاثاء ١٤ الجاري، فامتطى القطار من الجزائر إلى قسنطينة

يحمل لحية جدباء ـ عجرود ـ وسبحة باكورية ـ للبركة ـ وهراوة وحشية وموسى بدوية وورقة الذهاب والإياب... بنيّة اغتيال الأستاذ والعود ليلة الأربعاء ١٥ إلى الجزائر ينزل بها ضُحىً، ويلاقيه أعضاء جمعيته بكلّ حفاوة وتجلّة وإكرام!

وماذا صنع هذا الشقيّ المفتوح عليه..؟

وكيف كانت عاقبة المفسدين...؟

ضرب الأستاذَ على الساعة السابعة ونصف ليلة الأربعاء بهراوة على رأسه وخدّه الأيسر كي يضعفه ويدهشه ثم يقضي عليه بالموسى، ولكن غاب عنه سرّ شيخه ولم ينتفع ببركة شيخه ـ وربما كان معه حرز من الشيخ ـ وكانت الورقة ورقة ذهاب فقط... ولولا حنان الأستاذ وإنسانيته الكاملة لكانت ورقة ذهاب إلى دركه المعدّ له في العالَم الأخروي.

أمسك الأستاذُ هذا الشقيَّ الوقحَ بثباتِ جَنانٍ وقوّةِ فؤادٍ، وحاول الانفلات منه فانفلت، ولكن إلى غير منجاة، فقد أحاط به الناس وسدّوا عليه كلّ مذهب، ثم قبضوا عليه، وذهبوا به إلى المحافظة حيث زجّ في السجن.

ويوم الأربعاء ١٥ أُعلم شيخه من طرف بعض طلبة العلم بقسنطينة بتلغراف بشّروه بفعل تلميذه الصادق المخلص..!

وبقوا منتظرين: هل يكلّف أستاذ الأشقياء شابنا البوقاطو المتطوّع مرّة أخرى بالدفاع عن مريده...؟

نوقف القلم في هذه النقطة وننتقل إلى النظر فيمن تُلقى عليه هذه المسؤولية؛ مسؤولية الاعتداء على إمام السُّنَّة وأستاذ الأُمَّة!

المتبادر إلى الأذهان عامّة أن المسؤول عن هذا الاعتداء الوحشي هو ابن عليوة المربي لتلك الجمعية... ولكن العاقل يتوقف في هذا الأمر توقف حيرة، فإن هذا المربي! ـ على ما وصفه به الإمام الخطيب[1] ـ ذَكِيٌّ فَطِنٌ يبعد أن تخفى على فطانته عاقبة تعدّيه، ومؤيّده لا ينفّذ له مطلوبه إلاّ بعد أن يضمن له الحفظ والسلامة... وربما لا يتمّ ضمانه فيكون ذلك مضرًّا بناموسه وقادحًا في ولايته... أكثر بكثير من مقالات «بيضاوي».

هذا من جهة.

ومن جهة أخرى: فقد اعتاد أتباعه الاعتداء وتكرّرت منهم الجنايات ولم يصبهم شيءٌ، فربما أمن بذلك هذا المربّي مكر الله، وظنّ أن سرّه ما زال ساطعًا...

فإنْ صحّ هذا الاحتمال الأخير وقلنا إنه المدبّر لهذه الجريمة فقد تتشوّف النفوس إلى وجه الفرق بينه وبين سائر الطرقيين، فإن صحيفة «الشهاب» قد نشرت انتقادات تعمّ الطرقيين وأخرى خاصّة ببعضهم، ولم يقدم أحدٌ منهم على الانتصار لنفسه بمثل هذه الفعلة الشنعاء، بل منهم من صبر، ومنهم من أجاب بالكتابة في نفس تلك الصحيفة أو في أختها صحيفة «النجاح» فكان دفاعه بنفس السلاح الذي حورب به.

فَلِمَ شذّ هذا المربيّ الجديد والطرقيّ الحديث..؟ وخرق سياج الأدب، وابتدع بدعة أنجس من البدع التي يبثّها في أتباعه، وكان أضلّ من الذين يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آيات الله، لأنه سطا بالفعل!؟

---

(١) يعني الشّيخ أبا يعلى الزواوي، كما تقدَّم.

الفرق ظاهر لمن تأمّل قليلاً، فإنَّ هذا الرجل لم يزل في دور التأسيس، وهو رجل ذو همّة عالية! يريد أن يتغلّب على جميع الطرقيين ويكاثرهم بالمشركين به، المشتركين في ورده...! وله بناحيته منافسون أشدّ منه قوة وأبعد صيتًا فلمْ يقو عليهم لأنّ لهم سلفًا قد عمّ ذكرهم وطار صيتهم، فمعاصروه متسلّون عما أصابهم بانقياد العامة لهم والتفافهم حولهم، ولم يجد هو ما يتسلّى به لحداثته وضعف سمعته، فأثّرت فيه مقالات «بيضاوي» على لطافتها ونزاهة ألفاظها، وليس ذلك بغريب فقد قيل قديمًا: «خطرات[1] النسيم تجرح خديه...».

هذه آراء ظهرت لي أبديتها لم أرد بها نفع ابن عليوة ولا ضرّه، وسواء كانت المسؤولية عليه أم لم تكن، أفلا يكون حظّ منها لناشر دعوته ومزكّيه ومزكّي أتباعه الإمام الخطيب...؟

من الحيف أن نحرمه حقّه من هذه المسؤولية وهو الذي شهد لهذه الطائفة بالولاية التي لا يلحق صاحبها خوف ولا حزن، ولشيخها بالخصوص، فإنه إذا تكلّم مع رئيس الجمهورية فمن دونه شفى العليل وأزال الغليل!

فممن تخاف هذه الطائفة..؟

أَمِنَ الله وهي من الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون..؟ أم من الدولة وشيخُها محام كبير وسياسي خطير وخطيب قدير...؟

لا، لا، دع عنك أيّها القلمُ الهزلَ وتتبّع مسالك الكُتاب فليس الموضوع لذاك.

إنّ المقامَ مقامُ جِدٍّ، فخاطب الشيخ الزواوي وكلّ منتسب للعلم خطابًا

---

(١) في الأصل: نسمات! والتَّصويب من «الصِّراع» (٢/ ٢٢) لحمّاني.

جدِّيًا واستحثّهم للاتّحاد أمام هذا الحادث المؤلم المزري بسمعة الأمة الجزائرية عمومًا والطرقيين خصوصًا.

لِيُبْدِ كلُّ جزائري مقدرتَه العلمية وشجاعتَه الأدبية ـ سواء في ذلك الإصلاحيون والطرقيون والمحايدون ـ وليظهر غيرته على العلم وأهله، وليعلن باستيائه من هذه المعاملة العليوية..! ـ ولا أصفها بأكثر من ذلك ـ عاضدوا العلم ومن يسهر على سعادتكم وعارضوا الجهل والهمجية ومن يريد أن يركس الجزائر في حضيض الشقاوة باعتدائه على علمائها المبرّزين.

ليس هذا الحادث من نمط الحوادث التي يمرّ بها القارئ مرور مستطلع للأخبار، بل هو حادث غريب مزعج ـ للعالم والجاهل سواء ـ يقرؤه القارئ بامتعاض وتعجّب واستغراب، ويقرأ فيه الوحشية والخبث الأسود...

إنَّ من يمسك قلمه عن الخوض في هذا الموضوع فليوطّن نفسه للذلّ وليصبر لمثلها فكأن قد...

وعلى الحكومة ألا تنظر إلى هذه الجناية نظرها إلى سائر الجنايات الشخصية، بل هي جناية حزبية من قوم فوضويين لا يرون إلاّ حزبهم في الوجود.

يريدون أن يخفتوا كلّ صوت يعارضهم ويتغلّبوا ـ بجرائمهم الوحشية ـ على من لم يحبّذ سيرتهم ويسلك طريقتهم.

يريدون أن يُسكتوا من أباحت لهم الدولة الكلام، ويهتكون لبلوغ إرادتهم حجاب الأمن العام.

أمّا أنتَ أيها الأستاذ العظيم والمرشد الحكيم، عدّتنا العلمية وعمدتنا

الإصلاحية، فليس عليك إزاء هذا الاعتداء من غضاضة، وما بك من عيب، سوى أنك داع إلى الحقّ، وناصر للدّين، ومحارب للبدع والخرافات.

امتحنك الله في جهادك وابتلى صبرك وثباتك بهذا الشقيّ الغِرّ، ونحن لا نجهل خطر هذه السبيل.

ومن ظنّ ممن يلاقي الحرو ... بَ أن لا يُصابَ فقد ظنَّ عجزا

ولا نجهل أنّ اعتداء السفلة اللِّئام رفعةٌ لشأن المعتدى عليه في الدنيا، وتضعيفٌ لمثوبته في الأخرى، وكائن قبلك ممن أوذوا في سبيل الله.

ولكن مع هذا كلّه لا نرضى أن يمسّ شخصك المحترم بسوء، ونفديه بأنفسنا وأعزّ عزيز علينا، لا خدمةً لشخصك، ولكن خدمةً للأمة الجزائرية، فإنّ في حياتك وطول بقائك سعادتها بما تبثّ في شبحها من روح العلم الصحيح والعمل الثابت[1].

بيضاوي

(١) «الشهاب»: العدد (٧٨)، الصّادر يوم الخميس ٢ رجب ١٣٤٥هـ ٦/ ١/ ١٩٢٧م.

الأدب الجزائري يُبعَث من مرقده
أو
«بارقة أمل في عصر جديد»

إنّ للبشر روابط في الحياة تربط بين الأفراد والجماعات وتوحّد بينها حتى تصير أمّة، جسدها الوطن، وأعضاؤها أولئك الأفراد والجماعات، وروحها تلك الروابط.

ومن البديهي أنّ درجة الجسد في القوّة ودركته في الضعف على حسب ما لروحه من قوّة وضعف، فقوّة الأمة وضعفها على مقدار إحساسها بالروابط التي تربط بين أفرادها وجماعاتها.

والروابط شتّى دينية وطبيعية، وأقوى الروابط الطبيعية رابطة اللُّغة.

وقد عرف العرب في جاهليتهم وإسلامهم قيمة هذه الرابطة وأدركوا فضلها في توحيد كلمتهم وتهذيب أخلاقهم وترقية مداركهم، فشجّعوا أدباءهم برواية قصائدهم وتلقينها لصبيتهم، حتى لقد كانوا يولمون الولائم ويقيمون الاحتفالات لظهور شاعر في قبيلة ويهنّئون تلك القبيلة، على كثرة شعرائهم ووفور نبغائهم.

ثمّ بالغوا في رفع مستوى الأدب بإماتة ضعيفه ونشر جيّده ورفيعه، واتخذوا

لهذا الغرض النبيل موسمًا ـ في أيّام هدنتهم ووضع سلاحهم ـ تجتمع فيه أدباء القبائل، وتعرض نتائج أفكارها وغرائب قرائحها على أمير بيانها وبلاغتها الذي اعترفت له بالتقدّم في مضمار الأدب ثم تخضع لحكمه، وهي الأمّة التي لم تخضع لدولتي الرومان والفرس.

ولما جاء الإسلام يحمل للبشر أعدل الأحكام، ويسوّي بين الأنام، أقبل الناس عليه سراعًا، ونزلوا في ظل عدله اتقاءً من حرّ الجَوْر، فاختلطت الأمم، وعرف العرب أن لغتهم سيصيبها من هذا الاختلاط أضرّ الجوائح، فاحتاطوا لها، ووضعوا قواعد تحفظ وجودها، فكانت نتيجة ذلك الاختلاط وهذا الاحتياط أن أصبحت اللّغة العربيّة لغة علمية بعد ما كانت طبيعية، ولولا الاختلاط لبقيت طبيعيّة، ولولا الاحتياط لأصابها من الاضمحلال ما أصاب أختها الفينيقية.

تلك منزلة الأدب عند العرب قديمًا، أدركها غيرهم أخيرًا فأشادوا بذكر أدبائهم، واتخذوا المجالس العلمية لترقية لغتهم حتّى إن الأتراك ـ ولغتهم أضيق اللّغات ـ رأوا أنّ استقلالهم لا يتمّ ما لم يستقلّوا في لغتهم فأخذوا في ترقيتها ورفع مستوى أدبها عسى أن تنهض بالملك وتّسع العلم وفنونه.

وقد عاشت الأمّة الجزائرية ـ قديمًا ـ دهورًا طوالاً، وهي متشبثة بوحدة لغتها البربرية، متمتعة باستقلالها، و لولا أنّ يوبا الثاني ـ الذي كان عاصمة ملكه شرشال ـ نشأ بروما وأولع بالأدب الإغريقي لبقي للبربر الجزائريين استقلالهم، ولما استولى عليهم الرومان وفرضوا عليهم سيادتهم وضخّموا ملكهم على حسابهم!...

وقد أعاد العرب إلى الأمة الجزائرية وحدتها اللّغوية بإحلال العربية محلّ

البربرية، وأعانهم على ذلك حاجة البربر إلى العربية من الوجهة الدينية، فأصبح شعبنا سامي اللُّغة، عربي الآداب، يترقّى فيها حينًا وينحطّ آونة.

وأخيرًا بلغ من الانحطاط أن صار أدباؤه يشتقّون استعاراتهم وكناياتهم من الفنون التي لا صلة لها بالأدب مثل الفقه والتوحيد، ويزنون قصائدهم ببعض المنظومات التي يقرؤونها في المواسم ومجامع الأذكار فيقولون هذه القصيدة من بحر «البُردة» أو من بحر «الهمزية».

وقد كان هذا الانحطاط الأدبي مصحوبًا ـ طبعًا ـ بالانحطاط في سائر وجوه الحياة ومميزات الشعوب.

نزل الشعب الجزائري في دركات الخمول والجمود ـ وليس ذلك من طبيعته... ـ هاويةً بعيدة القعر، حتى إن نفخة الحرب الكبرى التي بعثت الأمم النائمة من مرقدها لم تكن كافيةً لإيقاظه، ولم يشعر بها إلاّ بعض الفتية من شعرائها الأحرار، بقيت لهم نافذة تمدّهم بالهواء الطلق، وتعينهم على النَّفَس في جوّ لم يغمده بخار الفحم الثقيل!..

شعر شعراؤنا بحياة جديدة فنفضوا أيديهم من ذلك الأدب البالي المشوّه بلغة التأليف، ونفذوا إلى الأدب الغضّ واستمدّوا من شعورهم الرقيق الطاهر، وعلى أمثال هؤلاء الشباب نعلّق آمالنا في تجديد الأدب الجزائري ورفع مستواه.

أقول هذا وبين يدي كتاب «شعراء الجزائر في العصر الحاضر» يحمل من المواضيع الاجتماعية ما هو جديرٌ بأن يكون أساسًا لحياة جديدة.

أعجبني من هذا السِّفر الجليل ـ أو إنجيل أدب هذا الجيل ـ ما حواه من أدب

رائع وبلاغة ساحرة وبيان فتّان في مواضيع هي مبعث الحياة وقوام الوجود، وأكبر سروري به أنه جمع ـ لأوَّل مرَّة ـ بين أدبائنا الذين تقلّهم أرض واحدة، وتظلّهم سماء واحدة ، ويتنفّسون في هواء واحد، ويتمتّعون بخيرات وطن واحد.

لقد كان قبل[1] اليوم الجزائري المزابي لا يمدّ يده إلى الجزائري غير المزابي، والجزائري غير المزابي لا يصافح أخاه المزابي، وكلٌّ يسبح في فلك خاص به، أمّا اليوم فقد تعارف أدباؤنا جميعًا واتّحدوا ـ ولله الحمد ـ تحت اسم الجزائر، وجمعت رسومهم دفّتا سِفر واحد.

وبصفتي مُحِبًّا للاتّحاد، مُحِبًّا للأدب العربي الراقي، مُحِبًّا لحياة جديدة تنشأ عليها ناشئتنا، لا يسعني إلاّ إسداء الشكر الخالص لأديبنا الفتي:

«محمد الهادي السنوسي»[2]

فبهمّته ذلّل صعاب هذا المشروع، وبثباته تحمّل مصاعب جمّة، وقضى على ما لاقى في سبيله من العقبات.

أيها «الهادي»! إن كنت تعلن لنا عزمك وحزمك بإعلان شروعك في الجزء الثاني واستئنافك للعمل من جديد ـ فليس ذلك بمانعنا من دهن عجلة عزيمتك بكلمات قليلة نعرب بها عن ابتهاجنا بعملك واغتباطنا بهمّتك.

إلى الأمام! فإنك في عنفوان شبابك، وإن أضعت الفرص اليوم فمن ذا الذي

---

(١) في الأصل: بل.

(٢) أديب شاعر، من تلاميذ الشيخ ابن باديس، توفي سنة (١٩٧٤م). انظر: «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (ص ١٧٨ ـ ١٨٠) لمحمد الحسن فضلاء.

يضمنها لك غدا؟

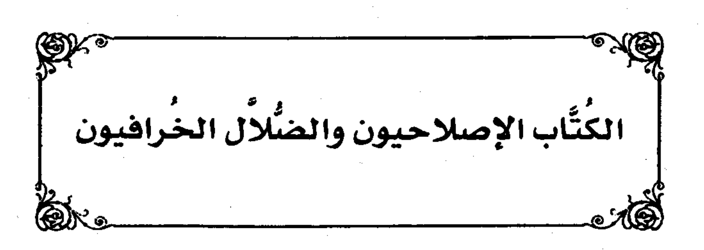
جدّ في عملك وابدأ لنا الجزء الثاني من مشروعك، فإن في الوطن أدباء من الحيف - بهم وبوطننا - أن تقبر أفكارهم وتعفى آثارهم في خدمة الأدب الجزائري.

إنّي أعتبر بروز هذا السِّفر الجليل مبدأ لتاريخ حياة أدبنا الجديد، وإنّ تأخيره إلى هذا الأوان لَمِمَّا يبعث العاملين في حياته على الإسراع في السير به، وليكن اعتمادهم على الطفرة أكثر من اعتمادهم على ناموس الطبيعة، وليعتبروا أنفسهم قائمين بواجبهم وواجب آبائهم المفرّطين!

إنَّ المسؤوليَّةَ عظيمةٌ والعملَ شاقٌّ، ولكن الشباب يأتي بالعجاب، فإلى الأمام أيّها الأدباء الكرام[1].

الأغواط | مبارك بن محمَّد السَّلَفي

(١) «الشِّهاب»: العدد (٨٣)، الصادر يوم الخميس ٧ شعبان ١٣٤٥هـ ١٠/ ٢/ ١٩٢٧م.



الكُتّاب الإصلاحيون والضُلاّل الخُرافيون

لقد حمل الكُتاب الإصلاحيون غير واحد..! على طائفة الضُّلاَّل الخُرافيين حملةَ الأُسود الضّراغمة على الحُمُر الوحشية، فلم تقابلهم بغير نهيق يملأ الفضاء، ونهيق يصمّ الآذان.

اجتمعت هذه الطائفة إثر تلك الحملة باصطبلها، ولم تستر أقذارها عن الأعين، فأبرزت للناس وريقة لطختها بسيال أمعائها وحمأة أفكارها، فشوّهت بها دمية الأدب الجزائري وغيّرت جوّه النقي.

حشرت - ولم تستح - وريقتها تلك مع الصّحف الجزائرية وهجمت على الكُتاب والتحرير هجوم أستاذها على الشعر والتفكير، وكان الأجدر بها - لو عرفت كيف تعيش - أن تصرف عنايتها إلى اصطياد البسطاء في ظلام الجهل بسلاح الخزعبلات وجوارح الدعاوي العريضة.

استعدّت هاتيك الطائفة - من قبل أن تخلق جريدة «المنتقد» - إلى نشر دعوتها بكلّ الوسائل، واشترت - بعد تجربة طرق كثيرة للدعاية - مطبعةً جمعت أموالها ممن ساقهم سوء طالعهم إلى مخالبها، وعزمت على إصدار جريدة لخدمة جناب القطب

المتجمّد! ولكن أستاذها ـ وهو من أفذاذ الأذكياء! ـ عرف أنها لا تروج إلاّ عند المشتركين في سبحته، فرفق بهم، ولم يجمع عليهم اشتراكين! وذلك مما لا يتنبّه له إلا من شاب فؤاده في اختبار طرق استدرار الدينار!

ولما جاءت نوبة الحديث عنه بجريدة «الشهاب» وجد الفرصة مناسبة لإصدار الجريدة ظنًّا منه أنّ الكُتاب الإصلاحيين سيرفعون من قيمتها ويضيّعون أوقاتهم في معارضة هذيانها فتتشوّف نفوس القُراء إليها وتروج عند غير المشتركين في سبحته! وفي رواجها أفظع سبّة للأمة الجزائرية وإن رضيتها بعض صحفنا رصيفة لها ووصفتها بالغرّاء! كأنها تتقرّب إليها بذلك ولم تجد سبيلاً إلاّ بنقل نعي بعض المتوفّين عنها.

ولعلّ هذا الغرض السخيف خفي على بعض الإصلاحيين فكتب عن تلك الوريقة بالشهاب، وجارته في ذلك الإدارة نفسها ـ مرّة فقط ـ وهو ما لا نودّ أن يقع من بعد.

اقترحُ على الكُتاب الإصلاحيين ـ بالجزائر وفاس وتونس ـ أن لا يشغلوا أقلامهم البليغة بسفاسف هذه الشرذمة فإنها لا تتأثّر بالكلام البليغ ولا يندى جبينها من الفضائح ولا نتيجة تبحث عنها غير اجتلاب الفلس من طرقه المذمومة.

لا تظنوا أنَّ هذا الاقتراح ـ إن قبلتموه ـ سيسرّها وتنشط في عملها إذ يخلو لها الجوّ ويتّسع أمامها الميدان، بل إنه لا يحزنها ويحيّرها لأنّ فيه حبس وريقتها عن الرّواج وإبقاءها في حوانيت باعة الخضر، إذ إنها لا تُباع ـ بقسنطينة ـ إلاّ عند أحدهم؛ لأنّهم لم يجدوا من باعة الدخان من هو ذو لحية تيسية!

لا تفهموا من اقتراحي هذا أني أطلب منكم ترك الكتابة رأسًا عن هذه الشرذمة، فإني إنما أطلب منكم الإعراض التامّ عن مناقشة تلك الوريقة لكونها

ساقطة تجلّ مجلتنا «الشهاب» عن الاشتغال بها.

نعم، إنَّ في الأمة من تغرّه الثرثرة، لذلك أحبّ أحيانًا التنازل لمناقشة الغوغاء و لكن في غير «الشهاب»، فلو وفّى الواعد بإصدار جريدة «المهماز» بوعده لكتبنا في هذه الجريدة باللّغة التي يفهمها أولئك الزعانف وأجبرناهم على الحياء.

ولكن اكتفوا ـ أيها الكُتاب المجيدون ـ بمناقشة الطائفة نفسها، وإبداء ترّهات طريقتها، وإظهار خزعبلات تعاليمها، ولا تضعوا معاولكم دون هدم صنمها.

ذلك الصنم العصريّ الذي اجتمع في وسطه العقائد الفاسدة المتباينة من مجسّمة وجبرية وباطنية وحلول مطلق وحلول معيّن، وغير ذلك، مما يجده من يصبر لقراءة «شرح ابن عاشر»، وهو شرح يشهد لصاحبه بأنه من أبرع من يحرّفون الكلم عن مواضعه.

ومع كوني أقترح عليكم أيّها الكُتاب ذلك الاقتراح، فإني أستمنحكم العفو ـ مرّة واحدة ـ في إبداء ملاحظات قد تتفكّهون بها على مقالة (المنسوب لأمّه)[1] كما هو قانون (اليقّاشين) خلاف ما جاء في الكتاب العزيز.

إنّني أشفق على هذا الكويتب «أو الكويذب» ولا أمزّقه تمزيق اللّيث للتّيس لأنه حديث عهد بقراءة «سيدي خالد على الجرومية»[2] ـ كما يقول أمثاله ـ حسبما

---

(١) هو الكاتب عدّة بن تونس، خليفة (الشَّيخ ابن عليوة) في رئاسة الطريقة. انظر: «صراع بين السنة والبدعة» (١/ ٢٣٣ وما بعدها) لأحمد حماني.

و«اليقاشون»: الذين يحترفون كتابة الحروز والتمائم.

(٢) كتاب «شرح الأجرومية» للشيخ خالد الأزهري المتوفى سنة (٩٠٥هـ)، هو أوّل ما يتعلمه الطلبة في النحو بجامع الزيتونة.

يدل عليه قوله: «حتى لا يصير السامع منتظرًا لشيء آخر» وقوله: «من قبيل المجموع لا من قبيل الجميع» قد غرّته نفسه ـ وهم طائفة الغرور ـ وحدثته بمنازلة «بيضاوي»! وهم شرذمة الدعاوي ـ ما بالك ـ لا أبا لك..! تلج مضائق لا ينفذ إليها سِرّ شيخك وتحمّل نفسك ما لا طاقة لك بِعِبْئِه ؟

لو كنتَ ممن يفهم الخطاب ويفقه معاني الكلام لتركتك تفزع من صولة كلّ كاتب... فزع البِكر من صولة الناكح... ولو استطعتُ أن أفعل كما فعل المتنبي مع ضيفه لربّيت فيك الحياء ولو كان وجهك من أديم الكلاب.

ولكنك تستطيع الصعود لفهم كلامي ولا أستطيع النزول لتفهيمك، فأشكر الذي منحك البلادة وطوّقك بالجهالة.

يقول ابن تونس إنني أسأت إلى القارئ بعنوان المقال ـ كأنه وكيل على القُراء ـ (يعني قَرَّاي)[1] لأنني ذكّرته بفتنة مشؤومة على المسلمين.

ولم يفهم ـ ومن أين يأتيه الفهم؟... ـ وجه المناسبة بين القضيتين التاريخية والحالية.

أليسوا هم الذين ذكّرونا بها؟

أليس الشؤم يذكّر بالشؤم ؟

﴿فَمَالِ هَٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٧٨].

ويقول ـ ابن أبيه ـ إن شيخه لا عقب له، كما أن النبي ﷺ لا عقب له!

لقد أذكرني بهذا حكاية عن بعض الماجنين: كان ماجن لا عقب له ثم توفيت زوجه فسأله بعض أصحابه كيف حالك؟ فأجابه بأنه مثل الله! فوقف السائل موقف

(١) كلمة عاميّة، يراد بها: الفضولي الذي يتدخَّل فيما لا يعنيه.

الدهش من هذا الجواب. فقال له ذلك الماجن: ألم أصبح لا صاحبة لي ولا ولد!؟

ولكن صاحب الحكاية هازل ماجن، أما ابن أبيه فهو جادّ محتجّ.

وبعد، فلم أُرِد ـ لو قُدِّر له الفهم ـ تعيير شيخه من هذه الوجهة، ومن تأمل قولنا: «إنما هو رجل يخدم على نفسه فقط» عرف المراد.

ومن شكّ في بلادة هذا المخلوق فلينظر إلى تسويته بين الكتّاب الإصلاحيين وبين إخوانه الفدائيين إذ يقول ـ انقل عبارته للبركة ـ: «وأي فرق تراه ـ بالله عليك ـ بين الجاني على المسلمين بيده وبين الجاني عليهم بلسانه».

أليس هذا التصريح ـ من كاتيب في وريقتهم الدفاعية ـ صريحًا في الدفاع عن ذلك الجاني؟

ثم أليس ذلك بحجة قاطعة على مشاركتهم في الجناية؟

ثم أليس ناطقا بأن عدّتهم الدفاعية هي الهراوي والمواسي؟

فهم يعتمدون فيما بينهم على السرّ وفي الخارج على الشرّ.

وقد أراد هذا المغبون ـ إلاّ من البلادة ـ أن ينفي عن رهطه الدفاع بغير القلم واللّسان فقال ـ نفعنا الله بفقد أمثاله ـ: «ولا تنس أن «في الزوايا خبايا»، ولتعلمن نبأه بعد حين، وما هي من الظالمين ببعيد».

هكذا يبرّر مثلك رهطه وينفي عنهم وصمة التآمر بالفتك والتعدّي على المصلحين.

ورجى الأخيطل من سفاهة رأيه　　　ما لم يكن لـه وأب لـه لينـالا

ارعدوا وأبرقوا وأعدّوا ما استطعتم للفتك بحياة دعاة الإصلاح، فليست لي عدّة في هذا الموقف غير سورة الفلق!

وقد عاب عليّ حضرة ابن تونس أني كتمتُ اسمي الصريح، فماذا تريد من معرفة شخصي؟

إنْ كان الكلام مع الكلام فكلامي بالجرائد منشور، فإن منّ الله عليك بفهمه فما ذلك على الله بعزيز، وإن لم تفهمه «فما علينا إذا لم تفهم البقر؟».

وإن كنتم تريدون شخصي لتمثلوا خزية ثانية فما أنا بمعينكم على ذلك.

هذه نقط ثلاثة في مقال واحد كلها تنادي بقبح سريرة هؤلاء القوم، وإنهم متحفّزون للفتك بكلّ من خالف عقيدتهم، والمسلمون كلهم على خلاف عقيدتهم حتى إن أصحاب الطريقة الشاذلية أنفسهم يتبرؤون منهم مع أن هذه الطريقة هي التي ينتسب إليها شيخهم.

فإنْ[1] أرْخت الحكومة العنان لهؤلاء الطّغام ولم توقفهم عند حدّهم، فإنّهم يعبثون بالأمن العام في سبيل مصالحهم الشخصية، والحكومة خطّتها حفظ مصالح النّاس عامّة والضرب على أيدي الجُناة بأيّ لون اصطبغوا وفي أيّ مظهر ظهروا.

قد نبّهنا ـ ونبّه غيرنا ـ الحكومةَ مرارًا إلى أضرار هؤلاء الفلتاء بالأمن العام، وذلك قيامًا بواجب سقط علينا بظهور وريقتهم الملعونة من قبل أن يلعن إبليس.

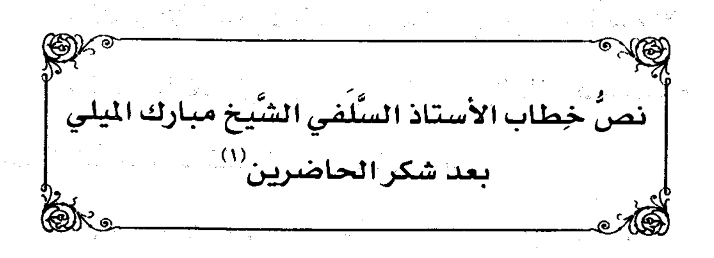
فلتمعن الحكومة نظرها فيها إذا أرادت ضبط الأمن، وما ذلك عليها بالصعب العسير[2].

بيضاوي

---

(١) في الأصل: بأن.

(٢) «الشهاب»: العدد (٨٦) الصادر يوم الخميس ٢٧ شعبان ١٣٤٥هـ ٣/ ٣/ ١٩٢٧م.



نصُّ خِطاب الأستاذ السَّلَفي الشَّيخ مبارك الميلي بعد شكر الحاضرين[1]

لا أُطيلُ على حضرات المستمعين بذكر تاريخ نشوء فِكرة إحداث مكتب قرآني بهذه القرية، وكيف تطوّرت هذه الفكرة؟

وكيف برزت إلى الوجود؟

كما إنّي لا أراني مضطرًا إلى تنسيق عبارات الثناء على همّة العاملين في تحقيق هذه الفكرة والمساعدين عليها، فإنهم قد أثنوا على أنفسهم بشعورهم بالكمال وسيثني عليهم هذا المشروع ما داموا محافظين على حياته.

أمّا الغاية من هذا المشروع فهي غاية شريفة.

فإنَّ غرضنا الوحيد أن نكوّن ناشئةً مهذّبةً تعمل بالدّين وتعظّم الوالدين وتحترم القوانين.

وهذا المقصد النبيل والغاية الحميدة لا يمكن الحصول عليهما في المكاتب الفرنسية وحدها ولا في المكاتب القرآنية بانفرادها بل لا بد من اجتماع النوعين واتحادهما معًا على تحصيل ذلك الغرض السَّامي.

---

(١) ألقاه في افتتاح مدرسة الأغواط.

وحاجة الساعي في هذه الغاية إليهما حاجة الراغب في الضوء إلى سلكي الكهرباء.

ذلك أن الأمة الجزائرية أمة عربية الدين، فرنسية النّظام الإداري.

والدّين بالنظر إلى المجتمع كالرّوح، والنظام كالجسد، فلا يكون المجتمع حيويًّا ناميًا ما لم يتمسّك بالدّين ويعشق النِّظام.

فالأمة الجزائرية لا تكون حيّةً إلاّ بالعربية لفهم دينها، والفرنسية لفهم قوانين دولتها وأنظمتها، و نحن نشكر الدولة الفرنسية على قيامها بتفتيح المكاتب المتنوّعة في جميع جهات الوطن الجزائري إذ قامت بأحد شطري الحياة.

ووكلت إلينا أمر الشطر الآخر حيث منحتنا حريّة فتح المكاتب العربية.

وههنا أصبّ على الأمة الجزائرية ـ أغنيائها ووجهائها ـ جامات اللّوم والتثريب حيث فرّطت في القيام بقسطها من العمل في سعادة الشعب الجزائري ، ومساعدة الدولة الفرنسية ـ دولة الحرية والإخاء والمساواة ـ على ذلك، فبقي هذا الشعب المسكين في أقصى نقط التأخّر رغمًا عن مضيّ ما يقرب من مائة عام وهو في أحضان دولة تعدّ ـ بحقّ ـ من أعظم دول العالَم مقدرةً على التمدين ونشر المعارف حتّى في الأمم التي لا عهد لها بذلك.

لقد جنى أغنياؤنا ووجهاؤنا على سمعة الدولة الفرنسية في الخارج جناية لم تحو دفّتا التاريخ نظيرًا لها، وتركوا لها نكتة في صحيفة تمدينها لا يمحوها غير تلافيهم لها بأنفسهم وتسابقهم بكل طاقاتهم في نشرها.

وذلك يسيرٌ عليهم لو يشاؤون.

لقد أصبح الجزائري ـ في الخارج ـ مضرب الأمثال في التأخّر والهمجية

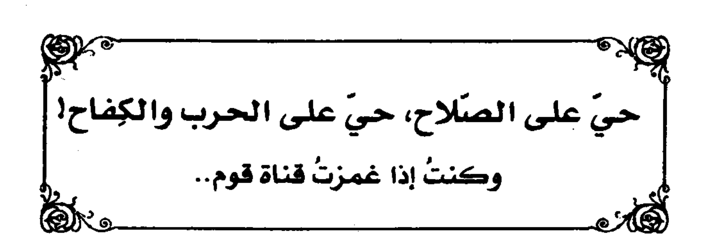
بتفريط أولئك الأعيان في إعانة دولتنا على خطّتها الجميلة ثم بنشريات بعض الكتاب المتطرّفين في سلق الأمة الجزائرية بكلّ المثالب الموجودة فيها وفي غيرها والمفقودة منها.

وذلك التفريط وتلك النشريات أمر سيّء في نفسه، سيّء في أثره.

وذلك ما يجعل سرورنا عظيمًا بهذا المشروع الذي اجتمعنا للإعراب عن ابتهاجنا ببروزه إلى حيّز الوجود.

حيث إنَّ رجال الحكومة بهذه القرية وأعيانها قاموا بواجبهم في خدمة الدولة الجمهورية، وحقّقوا إخلاصهم لها بمساعدتهم على تكميل تهذيب الناشئة حيث جمعوا لها بين التعليمين العربي والفرنسي، وفي ذلك الخير كله، والله الموفق(١).

(١) «الشهاب»: العدد (٨٨) الصادر يوم الخميس ١٣ رمضان ١٣٤٥هـ ١٧/ ٣/ ١٩٢٧م.



حيَّ على الصَّلاح، حيَّ على الحرب والكِفاح!

وكنتُ إذا غمزتُ قناة قوم..

مرحبًا بالكاتب المبين، مرحبًا بالأستاذ الكبير، مرحبًا بـ «بيضاوي»!

هذا هو «بيضاوي»! هذا الَّذي ترتعد لذكره فرائص الخرافيِّين، دخل المعمعة مع أخويه: الأستاذ «سمهري»[1]، والأستاذ «تأبَّط شرًّا»[2]!

ثلاثـــةُ آســـادٍ يُجانبهـــا الـــرَّدى وإن هـــي لاقاهـــا الـــرَّدى لا يجانبـــه

فليحيَ «بيضاوي»، وليحيَ معه أخواه، وليحيَ الشَّباب النَّاهض[3]!

* * *

القُرَّاءُ يعلمون أنِّي لستُ كاتبًا مكثارًا، ولا مهذارًا، ولا ولَّاجًا في كلِّ موضوع؛ لأنِّي كأغلب النَّاس لا أُتقِن كلَّ أبواب الكتابة، إذ ليست لي إلَّا روح واحدة، فلا أكتب في الفَلك مثلًا... والاقتصاد والسِّياسة والاجتماع والافتراق... الخ.

لهذا اخترتُ لقلمي موضوعًا واحدًا هو: نقد العلماء السَّلفيِّين؛ لأنِّي ظننتُه لا

(١) إمضاء مستعار للأستاذ محمد الأمين العمودي. انظر: «الصُّحف العربيَّة الجزائريَّة» (ص٨٣) لـ د. محمَّد ناصر.

(٢) إمضاء مستعار للأستاذ محمَّد السَّعيد الزَّاهري. المصدر نفسه.

(٣) تقديم بقلم محرِّر جريدة «البرق».

يكلِّفني أكثر من مقال أو مقالين في السَّنَة.

وقد علم القُرَّاء أنِّي اضطررتُ في سنتي الثَّانية إلى كتابة أكثر من مقالين، ثمَّ أعرضتُ عن موضوعي وأنا أعلم أنَّه لم يأخذ حقَّه من كلِّ وجه[١]، لا لعجزٍ في المادة ولا لعيٍّ في التَّعبير، ولكنِّي رأيتُ ـ ولا أظنُّ أنِّي أخطأتُ الواقع ـ أنَّ القُرَّاء قد أدركوا قضيَّتي مع الشَّيخ الزّواوي[٢]، فتركتُ لهم الحُكم الباتَّ فيها.

وفعلًا دار البحث في بعض فصولها بينه وبين إدارة «الشِّهاب»، ثمَّ تناول من فصولها الكاتب الأديب «تأبَّط شرًّا»، ذلك الكاتب الَّذي اختار هذا الإمضاء، لا لكونه ينطوي ـ فيما أحسب ـ على شرٍّ، بل لأنَّه عرف طرق الشَّرِّ ليقمح الشَّرَّ بالشَّرِّ.

وبينما أنا[٣] في عزلتي أعتقد انقضاء مهمَّتي وأتردَّد في كتابة مقال أغسل به صدّ أبي يعلى فيما علَّق به ولم يكن موجَّهًا إليه بالقصر الأوَّل، وأخشى مع ذلك أن أقصر في إفهامه أو يقصر في فهمي، فأثير حربًا معه من جديد!

بينما أنا كذلك إذا «نبأ عظيم» يحمله «البرق» فقبلته بانشراح صدر تحاشيتُ عن أن أكون من الَّذين يختلفون فيه، وقلتُ: لله «جسّاس»[٤] ما أعظم منَّته على المصلحين! نظم هذا الدِّيوان[٥] الَّذي سيقضي على ديوان الإبريز ويكشف الغطاء

---

(١) في الأصل: وجد!

(٢) هو الشَّيخ أبو يعلى الزَّواوي. انظر ما تقدَّم (ص١١٩).

(٣) في الأصل: ان.

(٤) إمضاء مستعار للأستاذ محمَّد السَّعيد الزَّاهري أيضًا، أفادنيه الأستاذ محمَّد ناصر ـ جزاه الله خيرًا ـ في مكالمة هاتفيَّة بتاريخ ٢٧/ ٣/ ١٤٣٠هـ.

(٥) في الأصل: دوان!

عن رجل السُّبح والعكاكيز!

أدخل عليّ نبأ «ديوان المصلحين» سرورًا عظيمًا، ولكنّي تعجَّبتُ من وجود اسمي بين رجاله إذ لم أدر أحضرت ذلك الدِّيوان وصادقتُ على ما رسم لي به من الخطَّة، أم رسمها لي الحاضرون من تلقاء أنفسهم، ثقةً بأنَّ كلمتهم لا تُردُّ، وعلمًا بأنَّ حكمهم لا يعقَّب!

رجعتُ إلى نفسي عسى أن أجد لديها ما يزيل عنِّي هذه الحيرة، فسألتها عن اجتماع «ديوان المصلحين» وهل كنتِ حاضرة به؟

فأجابت ـ متعجِّبةً ـ وهل...[1] نفس واحدة حتَّى تخصِّصني بالسُّؤال!؟ إن لهم أنفسًا وأرواحًا، فابحث عن مطلوبك ـ إن كنت من المصلحين ـ عند تلك الأرواح.

فذكَّرتني المثل العربي: «أساء سمعًا فأساء إجابةً».

ظنَّت أنِّي قلتُ لها «ديوان الصَّالحين» فأجابتني بذلك الجواب، ولم تَدْرِ أنِّي قلتُ لها: «ديوان المصلحين»، وهؤلاء المصلحون ليست لهم إلَّا روحٌ واحدةٌ، بدليل أنَّ أحد الصَّالحين .. اعتدى على أحد المصلحين كي يذهب بروحه الواحدة ويخلو له وجه الدَّجل لا ينازعه فيه طرقي، ولا يحول دونه إصلاحي.

عذرتُ نفسي في إساءتها السَّمع بأنَّ هذا الدِّيوان حديثٌ لا عهد لها به من قبل، فانصرف سمعها إلى القديم المألوف، ثمَّ أفهمتها هذا الاصطلاح الجديد اللَّذيذ.

عرفتُ إذ ذاك أنَّ المصلحين ظنُّوا بي جميلًا، وحكموا عليَّ غيابًا، وحسبتُ أنَّهم سيمهلوني ولو قليلًا، ولكن ما شعرتُ إلَّا من «سمهري» ينخس غيرتي ويستحثُّني

---

(١) كلمة غير واضحة في الميكروفيلم، ولعلها: الصالحون.

على الإجابة والدُّخول فيما دخل فيه «حزب المصلحين».

أراد الكاتب المُجيد «سمهري» أن يدفعني بحماس للميدان، ولكنَّه ـ الحقيقة ـ ثبَّطني بنظره العالي وقلمه السَّيَّال، فجعلني أحاول ـ بدل الكتابة ـ تحطيم قلمي أمام قلمه.

وما جاءني العدد التَّالي لمقالة هذا الكاتب المُجيد حتَّى قرأتُ ـ بصحيفة «البرق» نفسِها ـ مقالًا يعرف القُرَّاء إمضاءه في صدره، فلا يحتاجون إلى الإمضاء الأخير، فوجدت به تلك الرُّوح الَّتي نسبها «سمهري» إلى المنتسبين للعلم، أعوان الانتفاعيِّين المغرضين، فأيَّد هذا الواقع صدق نظرية كاتبنا في هذه القضيَّة، وسيؤيِّد المستقبل باقي نظريَّاته.

«سمهري» وغيره من كُتَّاب الشَّباب يريدون أن يكوِّنوا فكرًا عامًّا في الشَّعب غير الفكر العامِّ القديم، وهذا الكاتب الممضي مقالاته من مكانين يريد احترام فكر العوامِّ وتركهم في سُباتهم يتخيَّلون ما شادوا من غير أن نزعجهم في هذا الحلم اللَّذيذ...!

فنحن نريد أن يكون الفكر العاميّ تابعًا لفكر العلماء الأحرار، ونعلم ما في هذا من مصلحة الشَّعب، ولذلك لا نبالي بالعراقيل الكثيرة في سبيل تحقيق غايتنا، وهذا المخلوق يريد منَّا ـ كما يريد لنفسه ـ أن يكون فكر العلماء الأحرار تابعًا لفكر العوامِّ، وكفى بهذا الرَّأي ضررًا على الحياة الاجتماعية.

هذا المخلوق ينتسب إلى الأزهر ـ دائمًا ـ ويبدي هذا الفكر الخُرافي وأمثاله مرارًا، ثمَّ تراه في جريدة أخرى يدَّعي أنَّ الأزهريِّين مطهَّرون من الخُرافات بخلاف الزَّيتونيِّين والقرويِّين.

والإنس والجنُّ يعلمون أنَّ عظماء علماء الأزهر دعوا المسلمين إلى مؤتمر

الخلافة باسم الدِّين، وهم يعملون فيه بيد الإنكليز... وهم الَّذين قبلوا مقود المحمل الشَّريف...!

هاتان نقطتان كبيرتان في أنفسهما، صغيرتان بالنِّسبة إلى ما بقي لأولئك العلماء البعداء[1] عن الجمود والخُرافات في نظر صاحب الإمضاءين، فلندعهم ولننظر في أقرب مثال إلينا عن معهدي الأزهر والزَّيتونة، أزهريًّا جزائريًّا يقول: «الرُّجوع إلى الكتاب والسُّنَّة ضلالة»! وآخر يؤازر الزَّوايا ثمَّ يزورها... ولا نزيد على هذين ولا نضيف إليهما من لم يزل بالأزهر مثل العالِمين المفكِّرين: السَّيِّد إسماعيل بن على الجيجلي، والسَّيِّد العربي بن بلقاسم التَّبسِّي، وهو ممَّن نعرف بُعده عن الجمود منذ كان بالمعهد الزَّيتوني.

أمَّا الزَّيتونيُّون الجزائريُّون فهم ـ إلَّا ما شذَّ ـ قائمون في وجوه المبتدعين، وعاملون مخلصون للدِّين والوطن، ومحاربون للخُرافات والجمود، ومسلّحون في ميدان الهيجاء بالصَّبر والثَّبات ومعدَّات هذا الميدان، لا ينقصهم إلَّا علم الفلك لرسم السَّاعات بالزَّوايا...!

هذه كلمة عرضيَّة ألقيناها أثناء إجابة من دعانا للدُّخول في «ديوان المصلحين» من كتابنا النُّبغاء، بعثنا على تحليل الموضوع بها غرائب الصُّدف، إذ قرأتُ أوَّلًا مقال «سمهري» وما قاله عن بعض المنتسبين للعلم، ثمَّ قرأتُ بإثره مقالين لحضرة صاحب الإمضاءين، أحدهما بجريدة «البرق» الخاطف لأبصار أهل الأهواء قد علمت موضوعها، وثانيهما بجريدة «وادي ميزاب» الغرَّاء في النَّيل من

(١) في الأصل: البعداد!

رجال المعهد الزَّيتوني عمومًا، ورجال القضاء الإسلامي هنالك خصوصًا، بجراءة وقحة، يدرك القارئ النَّبيل منها أنَّ الكاتب لم يصل إلى دركةٍ من الجهل بجامع الزَّيتونة ورجاله مثل المرحوم الشَّيخ النَّخلي، والشَّيخ الطَّاهر بن عاشور، وغيرهما من الأحياء والأموات ـ إلى الدَّركة الَّتي ينادي عليها بها مقاله، وإنَّما كتب ما كتب واقتحم ما اقتحم إرضاءً للزَّوايا النَّاقمة على تونس الَّتي تخرَّج منها شُبَّانٌ كدَّروا عليها صفو حياتها!

ولعلَّ هذه الصدف تدعونا مرَّة أخرى إلى بسط الموضوع وإعطائه حقَّه.

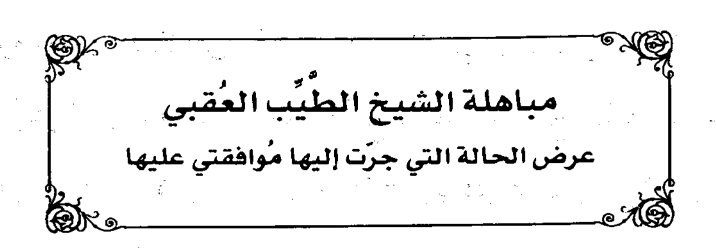
نبَّهني منظم ديواننا الكاتب الخبير «جسَّاس»، ثمَّ أوقد فِيَّ نارَ الغيرةِ الكاتبُ الضليعُ «سمهري» ذو النَّظر الصَّائب، ثمَّ أنطقني الكاتب النَّابغة «تأبَّط شرًّا» بقوله:

«وعلى كلِّ حالٍ، فإنِّي أجبته بما رأيته، فليجبك «بيضاوي» بما يراه».

أيُّها الأخوان! لا ترتابا من سكوتي، فإنِّي لا أرى إلَّا العمل يدًا واحدةً، وقد أردتُ أن أجيب بالفعل، لا لمجرَّد استحسان الفِكرة والوعد بالتَّنفيذ، فوجدتُ أمامي صورًا مختلفةً، أجَّلتُ بعضَها وأجملتُ بعضها في هذه الكلمات الوجيزة، فعذرًا أيُّها القُرَّاء، وإلى الملتقى أيُّها الأخوان[1]!

بيضاوي

(١) جريدة «البرق»: العدد (٩) الصادر يوم الاثنين ٣٠ شوال ١٣٤٥هـ، ٢/ ٥/ ١٩٢٧م.



مباهلة الشيخ الطيِّب العُقبي

عرض الحالة التي جرّت إليها مُوافقتي عليها

الأمم اليوم كلُّها تتدرَّج - إلاَّ أمَّة الجزائر - في مدارج الرُّقيِّ العلميِّ والاقتصاديِّ والسياسيِّ وسائر ضروب الحياة الشعبية.

الغربية منها تستزيد من التَّقدُّم في هذا الرقيّ لتحفظ سيادتها على من ساقه القدر إليها من معبدي الجهل وصرعى الخرافات والخلافات.

والشرقية تعاني ذلك لتسترجع حياتها، وتحفظ وجودها، وتحمي شرفها، وتباهل الواقعين في مجدها، القادحين في تاريخها.

وبينما هذه الأمم - على اختلاف غاياتها - تسعى وتجدّ في سبيل التقدّم نرى أمة الجزائر تعمل في نشاط تلك الأمم لعكس غاياتها، بل لغاية الجمود والانحطاط والتفرّق والتخاذل.

إن حالة أمة الجزائر في القرن العشرين لَحالةٌ عجيبةٌ مدهشةٌ: تفرّق بقدر ما فيها من الآحاد، جهل عامّ إلاّ بطرق الفساد، فقر غطّى الوهاد والنجاد، ثروة في الخرافات والدعاوى بعناد... الخ الخ.

وأقسم بكلِّ يمين يعتبره الموحّدون والملحدون والمشركون والطرقيون أنّ الجزائر لو تركت وطبيعة الزمان من غير دين يهديها ولا عدوّ يريدها، ما بلغت إلى هذه الدركة من الانحطاط، ولكانت أحسن مما كانت عليه الآن بكثير.

وأقسم ثانيًا بتلك اليمين أنّ عدوّها لو لم يكن مزدوجًا ـ داخليًّا وخارجيًّا ـ ما كانت مضرب الأمثال في التأخّر والتقدّم فيه!

فالجزائر[1] لها أعداء أجنبيون وأهليون لا تأخذهم فيها مرحمة ولا شفقة.

أما الأجنبيون فإنّنا كما لا ننكر وجودهم لا ننكر أفعالهم، ذلك بأنهم يرون حياتهم في موتنا وسعادتهم في شقائنا، فهم يتنعّمون ببؤسنا كما يتنعّم الصيّاد بترويع أسراب الحيوانات الوحشية، ولا يسرّهم اجتماعها واتّحادها إلاّ إذا رأوا في ذلك تكثيرًا للصيد واختصارًا للرماية.

ولا عليهم من ترويعها أو الإجهاز عليها لأنهم لا يرون لها وجودًا مستقلاً وإنما هو وجود مكمّل لوجودهم.

وأما أعداء الجزائر الذين هم من أبنائها فهؤلاء يكبر العقلاء أفعالهم ويتقرّبون إلى الله بحربهم وإشهار خبائثهم، ويخدمون الوطن العزيز بتطهيره منهم تطهيرًا علميًّا لا هراويًا...

شعر عقلاء الجزائر من شبابها العاملين المخلصين بأصل الداء الذي أقعد وطنهم، وعرفوا أن له مادتين: داخلية وخارجية، وأدركوا أنّ المادة الداخلية أضرّ

---

(١) لا يخفى أن قوله: «لها أعداء» قضية مهملة، فهي في قوة الجزئية، فللجزائر أيضًا أحباب ـ وإن قلُّوا ـ أجنبيون وأهليون، ولا يزالون ـ ككلِّ ذوي حقٍّ وباطل، وعدل وظلم ـ يتنازعون، والغلبة لأهل الحق والعدل وإن بعد حين. «الشهاب».

من الخارجية وإن كانت أصعب علاجًا.

إذ ذاك أخذوا في بري جسد الأمة كي يروها سادّةً الداء الداخلي الذي خفي عليها فأخذت تعمل لتقويته، وكانت الأمة تتألّم لذلك ظنًّا منها أن الشباب أخطأوا ناحية الداء، ورشح لها هذا الظن أن الشيوخ ـ وهم عندها أعرف من الشباب ـ لم يكونوا باحثين عن الداء من هذه الوجهة.

ولكنّ الشباب عرفوا أنّ الأمة مغرورةٍ بهيئات خاصّة كانت تراها محلّ العلم والإدراك فلم ينالوا[1] بانزعاجها ولا بإذايتها، خصوصًا وهم يعلمون أن جرثومة هذا الداء طال عليها الأمد فتمكّنت من جسد الأمة، ووجدت في الجهل أحسن وقاية تقيها الهرم، فقلعها يحتاج إلى قرع يصمّ الآذان ويفزع الجبان.

ولم يخفّف الشباب من ألم الأمة بتبنيجها ببنج النفاق خوفًا عليها أن يحدث فيها مرض آخر، واختاروا الصراحة وإن كانت آلم للأمة لأنها أوفق بعملهم من النفاق.

وأخيرًا دلّهم أحد الكُتاب ـ ويا ما أسرع انقيادهم للصواب ـ على عرق من عروق تلك الجرثومة فتوجّهوا إليه بفؤوس أقلامهم، وإذ ذاك طارت هراوة من ذلك العرق وقعت على أستاذهم عبد الحميد، ولكن الله حفظه من سوء وقعها.

هنالك أنشد الكَشوث[2] المحيطة بذلك العرق قول الشاعر:

جراحـات الـسنان لهـا التـآم ... ولا يلتـام مـا جـرح اللِّـسان

فعزمتْ على اتخاذ ورقة دعتها دفاعية، وندعوها في حقيقتنا ـ لا حقيقتهم ـ

---

(١) كذا، ولعله: يُبالوا.

(٢) نبت يتعلّق بأغصان الشَّجر من غير أن يضرب بِعِرقٍ من الأرض. «لسان العرب»

هجومية على الأعراض.

وبما أن الكشوث لا ورق لها فقد استعانت بعروق أخرى واستعارت منها الورق... وأصدرت ورقة باسم الدفاع عن الصوفية عامة لا عن عرقها العليوي خاصّة...!

وقد كنتُ معرضًا عن قراءة هذه الورقة ضَنًّا بالوقت من إضاعته في قراءتها ثم مناقشتها، وعلمًا بأنّ لدينا من الكُتاب من يناقشها ويكيل لها بكيلها أو أوفى، فإنّ واجب خطّتنا يقضي علينا باقتسام الأعمال، أحدنا يقوم بالتحرير الحار، والآخر بالتحرير المعتدل، وثالث بالتعليم، وهكذا.

وفي هذا اليوم قرأتُ بافتتاحية «الشهاب» عدد (٩٧) مقالاً لخطيب السلفيين وكاتبهم وشاعرهم الشيخ الطيّب العقبي تحت عنوان:

«بل نجيب ولعنة الله على الكاذبين»

فألفتَ هذا العنوانُ نظري بنوع خاصّ، واستعجلني لقراءته وتقديمه على ما كنتُ مشتغلاً به.

وإذا به يباهل سُكَيْرِج[1] التيجاني بالأمس والعليوي! اليوم، ولا أدري ماذا يكون غدًا، فإنَّ لسان حاله ينشد:

يومًا يمان إذا لقيتُ ذا يمن وإن لقيتُ معديًا فعدناني

ثمَّ قرأتُ تعليق الأستاذ عبد الحميد عليه فأحببتُ أن أضمّ صوتي لصوتها،

---

(١) هو أحمد بن العياشي سُكيرج، الفاسي المغربي، من أهل الطريقة التيجانية، توفي سنة ١٩٤٤م. انظر: «الأعلام» (١/ ١٩٠ ـ ١٩١).

وإن كنتُ أعلم أن جميع السلفيِّين يضمُّون أصواتهم لخطيبهم، صرَّحوا بذلك أم لم يصرِّحوا، وإنما اخترتُ التصريح لأنَّا ـ كما لا يخفى ـ من علماء الظاهر.

فها أنا ذا موافق للأستاذين على نصِّ المباهلة وزمانها ومكانها.

وأرجو ـ رجاء محبّ لمصلحة الجزئر ـ أن يُجْمِعَ الطرقيون أمرَهُم وشركاءَهُم، ويُعلِمونا بقبولهم للاجتماع في ذلك الزمان والمكان عسى أن تنتهي هذه المعركة التي يسوء كلّ عاقل وجودها بله دوامها، وتزول الضرورة الداعية إليها.

ولستُ أتفاءل بانتهائها ما دام الداعي إليها موجودًا، وحسبي أن آسف لوجود ذلك الداعي الذي يجعل كُتابنا البلغاء يستعيرون للدفاع عنهم أقلامًا عاشورية.

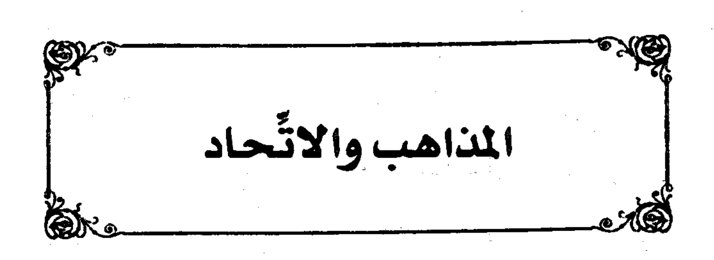
يا حبّذا اليوم الذي يجتمع فيه الإصلاحيون والطرقيون، ويتفقون فيه على تطبيق الدِّين الصحيح، لا على الاعتراف به فقط.

ما أحسنه من يوم ينشد فيه أحد الفريقين للآخر:

سوف ترى إذا انجلى الغُبارُ ... أفرسٌ تحتَك أمْ حِمَارُ[1]

مبارك بن محمد الميلي

(١) «الشِّهاب»: العدد (٩٨) الصادر يوم الخميس ٢٥ ذي القعدة ١٣٤٥هـ ٢٦/ ٥/ ١٩٢٧م.



المذاهب والاتِّحاد

الدِّيانة الإسلامية ليست ديانةً تدعو الناس إلى أن يعيشوا في عالَمٍ لا همَّ لهم بشؤونه، وتحتّم عليهم الاقتصار على عبادات شخصية كي يسعدوا في العالَم الآخر.

بل هي ديانة تنير للمهتدين بنورها طريق السَّعادة في هذا العالَم وفي ذاك العالَم، فاشتملت على العقائد الطاهرة والأخلاق الفاضلة، وسنّت قوانين القضاء، إمَّا بصفة تفصيلية ـ وذلك قليل ـ وإمَّا بصفة إجمالية كانت منارًا لاختلاف الناظرين فيها وسببًا لتعدّد مذاهب العمل بها.

وبما أنها شريعة جامعة للسعادتين فليس من المعقول رفضها والاعتياض عنها بالشرائع الوضعية التي إن كان فيها ضرب من السعادة فهو قاصر على عالَم المادة.

ومن طرق رفضها ابتداع البدع فيها أو انقسام العاملين بها طرائق مذهبية، كلٌّ تخذل الأخرى، حتى يأتي من هو أقوى من تلك الطوائف ويأخذ في اقتناصها طائفة طائفة.

أمَّا كون ابتداع البدع فيها رفضًا لها فواضحٌ؛ لأنَّ البدعة لا تُجامع السُّنَّة.

وأمَّا كون تخاذل أتباع المذاهب فيما بينهم رفضًا لها، فذلك لأن المستولي عليهم

ـ إذا كان غير دائن بدينهم ـ لا ينفذ كلّ ما في الديانة الإسلامية من الأحكام، فيرفض بعضها جبرًا، وبطول المدَّة يوجد من أبناء تلك الديانة نفسها من يرفضها اختيارًا، لجهله بها واستئناسه بالشرائع الوضعية.

وكلُّ هذا واقع مشاهد، فقد استفاد الأجانب من تخاذل المسلمين المنقسمين إلى طوائف ولم تستفد تلك الطوائف من تخاذلها غير سرور الواحدة منها بسقوط الأخرى تحت يد الأجنبي الذي تراه أقدر منها على التنكيل بعدوَّتها، وسرعان ما يصيبها ما أصاب أختها، و يذهب ذلك السرور، وياليته يعقبه في الحين شعور.

قضى المسلمون في رقدتهم ـ كل طائفة منعزلة عن الأخرى ـ دهورًا طوالًا، واليوم نرى الشرق في يقظة لا تتخللها سِنَة لأخذه من الكَرى حظًّا أوفر من يقظة الغرب...!

والجزائر المسلمة ـ وإن كانت شرقية ـ لم تزل في نومها وتخاذلها، ويظهر أن شيوخها أكثر نومًا من شبابها.

ذلك بأنَّ من شبابها من استيقظ، فأخذ يصيح ليوقظ إخوانه عسى أن يفكِّروا بعلم و إخلاص، فيما يستردُّون به سعادتهم.

وإنَّ مِن النيام مَن أزعجه ذلك الصوت فتحرَّك في مضجعه وفتح فمه قبل عينيه، معلنًا استياءه من هذا الذي أراد أن يفرّق الأمَّة المتَّحدة في النوم.

لا عليكم شبابنا، فارفعوا أصواتكم متَّحدين (إن أندى لصوت أن ينادي داعيان) لتلفتوا نظر الأمة إلى طريق سعادتها.

وليست سعادتها إلَّا في حفظ الديانة الإسلامية وتطبيقها.

أمَّا حشوها بالبدع الذي هو من طرق رفضها فليس مما يحسن السكوت عنه والتَّسامح فيه، إرضاءً للمبتدعين أصالةً أو تقليدًا، وإن لم يكن طريق إلى اتحاد الأمة ـ لا سمح الله ـ إلَّا بالرضا عن البدع والاعتراف بحقوق المبتدعين في بدعهم فلا خير في هذا الاتحاد، ولا أراه إلَّا اتحادًا على العبث بالديانة.

وأما تفرقة الديانة بالمذاهب فقد اقتضاه الإجمال فيها تارة والتعارض أخرى، وكل ذلك تَسَعُه الديانة، وليس في اجتماع المذاهب في وطنٍ واحدٍ ما يعوق عن الاتحاد ويدعو إلى النفرة.

فعلى الجزائريين ـ وهم مسلمون ـ أن لا يجعلوا اختلاف أئمَّتهم في جزئيات من دينهم سببًا للأحقاد وعلَّة للتَّضاد، فليس إمام أيِّ مذهب أولى بالاتباع ـ على الإطلاق ـ من غيره.

فإذا تعلَّم متعلّم مسائل دينه عن عالم بمسائل مذهب من المذاهب؛ لا يسوغ لمن لم يشاركه في ذلك المذهب أن يعاديه على تعلّمه من طريق لم يسلكها هو في العلم أو نقص من مذهبه لجهله به.

بل علينا أن نعمل بما نعلم من مسائل الدِّين، ونحترم ما عليه الآخر من الدِّين أيضًا وإن جهلنا تفصيله.

فلا يجعل أحدنا فهم مالك بن أنس لآية أو حديث هو الحجَّة القاطعة التي يعدُّ من خالفها خارجًا عن الدِّين، كما لا يجعل فهم عبد الله بن إباض[1] لآية أو

(١) رأس الإباضيَّة، وإليه نسبتهم، اضطرب المؤرِّخون في سيرته وتأريخ وفاته، انظر ترجمته المطوَّلة في «الأعلام» (٤/ ٦١ ـ ٦٢) للزِّركلي.

حديث هو الحقُّ، وما عداه باطل، متّبعه غير مسلم.

لقد كان أهل القرون الثلاثة الأولى التي هي خير القرون والتي عاش فيها أئمة المذاهب يختلفون في جزيئات[1] كثيرة حسبما أدَّاهم إليه اجتهادهم ولم يكن ذلك بمانعهم من الاتحاد.

وما وقع إذ ذاك من الفتن فليس منشؤه سدل اليدين أو قبضهما مثلاً، وإنما ذلك ثورة المحكوم على الحاكم بدعوى جوره، فالشَّاري يحارب نصرة للعدل الذي يراه، والحاكم يحارب صونًا لملك الدولة من الاندثار، وسواء كان الحقُّ لهذا أو لذاك فهي مسألة أخرى غير الاختلاف في جزيئات[1] العبادات التي ليس لنا اليوم غيرها.

ومن الشواهد الجزائرية على أن المسلمين كانوا متَّحدين رغم الخلافات الجزئية أن الدولة الرستمية ـ وهي إباضية ـ كان يتمتَّع بعدلها كلُّ من يستظلُّ بظلِّها من غير بحث عن مذهبه ـ صفريًّا أو واصليًّا أو مالكيًّا.

وأبو الحسن الصغير مؤرِّخ دولتهم لم يمنعه كونه مالكيًّا أن يسجِّل ثناءه عليهم ويشيد بعدلهم.

نعم، وقع في عصر الانحطاط والجمود منابزات بين أتباع المذاهب ومشاتمات كتابية، وذلك إمَّا لتعصب جاهليّ، وإمَّا إرضاءً للعامة وخضوعًا لرغبة الجهَّال.

وقد آن أوان نفض غبار الجمود وإطراح رداء الجبن، فقد رأينا وعرفنا ـ والحمد لله ـ علماء مخلصين مستقلي الإرادة لا يسلّمون أنفسهم للعامة، ولا يصرفون معلوماتهم حسب شهواتها، وهذا ما يجعلنا نتفاءل بالمستقبل ولا نتشاءم منه.

---

(١) لعلَّها: جزئيَّات.

ليس من الصواب في شيء أن نتخاذل فيما بيننا بإنكار اتباع مذهب نحن على علم أنه طريق من طرق فهم الدِّين، وليس هو الدِّين كلُّه، وليس من المعقول أن يزري أحدنا بالآخر زراية أتباع زعماء الأحزاب، ذلك بأن أولئك الأئمة إنما قصدوا بتعاليمهم إنارة فهم الدين لمن قصر عن درجتهم، ولم يرد واحد منهم تحجير فهم الدِّين إلَّا من طريقه.

ولما اقتصر الناس عن تلقِّي فتاويهم وقصر العلماء عن الإحاطة بأقوالهم واستعمال النظر في كلِّ قول منها؛ تخصَّص في كلِّ مذهب علماء به واعتقدوا صحَّة جميع أقوال متبوعهم لقصور الأنظار عن تعيين الصحيح من غيره، وسوّغ لهم هذا الاعتقاد أنَّ الإمام المتبوع لم يقصد تحريفًا في الدِّين ولا أراد غشّ المسلمين.

وكلُّ هذا أراه صحيحًا ما لم يتعدَّ العالم حدَّ محيطه، فيحكم على مذهب بجميع ما فيه بالخطأ، ويحكم النفرة بين اتباع مذهبين أو ثلاثة.

وإذا شاء القارئ أن أضرب له مثلًا لاتحاد المذاهب مع المحافظة على كلِّ مذهب على ما فيه، فأجلى مثل لذلك الدول التي تتركب من ولايات مختلفة النظام الداخلي.

لعلَّ أهمَّ مسألة في الاتحاد الجزائري الذي ننشده هو مسألة المذاهب، وإذا فهمناها فهمًا صحيحًا لم نرها مانعةً منه، بل يمكننا أن نتَّحد مع محافظة المالكي على مالكيته والإباضي على إباضيته، فنشعر شعورًا واحدًا بسوء الحال الحاضرة ونعمل يدًا واحدةً لعلاجها.

الشعب الذي يعيش تحت طقس سياسي، يجب على أبنائه أن يعتبروا أنفسهم جسدًا واحدًا هم أعضاؤه، ويتطلَّبون له من الغذاء والصحَّة والقوَّة ما يتطلَّبه أحدهم

لجسده الخاصّ.

إذا لم يجسد أحدنا مرضه فإنه يطلب له العافية، ولا يشحّ بماله الخاصّ في اشتراء الأدوية ودفع أجرة الطبيب، ومرض الجسد الشعبي هو التفرقة، وشفاؤه الاتحاد، فعلى أفراده أن لا يشحُّوا بأموالهم في علاج تلك التفرقة حتى يعتدل مزاجه، ويصبح صحيحًا، مُنعَمًا بالاتحاد.

وإذا وجَّه أحدُنا قواه لجمع المال كي يتقي عادية الجوع ومعرَّة الحاجة إلى الغير، فليعلم أن الجسد الشعبي يجوع أيضًا، ويجب على أعضائه أن يسعوا في تغذيته بالشركات التجارية والفلاحية، كي يحفظوه من عاديات المسغبة ومعرَّة الحاجة إلى الغير.

وهكذا ننظر فيما يعتري الجسد الفردي من الدَّاء وما يلزمه من الأدوية وتطبيقها على أحوال الجسد الاجتماعي.

وإذْ ذاك نجد أن ما يحتاج إليه الأول يحتاج إليه الثاني، ضرورة أنه متركب منه، وأن لا تخالف بين أحوال الجسدين إلّا من حيث الألقاب، وأن لا سبب لاختلاف الألقاب غير التَّمييز بين عوارض الجسدين بالقوة والضعف، فالصحَّة والاتِّحاد مثلًا شيء واحد في المعنى إلّا أنَّ أحدهما أكمل فائدة من الآخر.

كلُّ مَن في الوجود يبذل الجهود ليحظى من السعادة بالمقصود، ولكن لا سبيل إليها إلّا بالاتِّحاد، فمن سعى إليها من طريق المال أو الجهاد[1] فهو غير مبصر في سعيه، وإن ظن أنه فاز بالسعادة فهو واهم، وأقرب شيء إلى حاله حال الفقير يرى في منامه أموالاً وكنوزًا وأنه ربّما المتصرّف فيها، فما دام نائمًا يعتقد أنه غنيّ كبير،

(١) كذا، ولعله: الجاه.

ولكن الواقع يشهد بأنه لم يزل فقيرًا معدمًا.

فالجزائريون ما داموا غير متّحدين فهم غير سعداء، وإن ظنّ أغنياؤهم ووجهاؤهم أنّهم سعداء وأنّهم في غنية عن سلوك طريق أخرى للسعادة، وما داموا أنهم يعتقدون أنهم سعداء فهم رقود وإنّ حسبهم كثيرٌ من النّاس أيقاظًا.

الأغنياء والوجهاء ليسوا سعداء حقيقة ما دام الوسط الذي يعيشون فيه غير سعيد، ولكنهم أقوى أفراد الشعب على اقتحام مصاعب طريق الاتحاد، تلك الطريق التي تعدّ عندنا معشر الجزائريين أشبه شيء بالصعود إلى الجبل الأبيض «المونبلان»[1].

لا أرى في طريق الاتحاد لذاتها صعوبة ما، وإنما جاءتها الصعوبة من إيثار المصلحة الخاصّة القصيرة الأجل على المنفعة العامّة الطويلة العمر.

فإذا أشربنا حبّ الصالح العامّ سهل علينا الاتّحاد وحظينا بكل المراد، وإن هذا الوقت نراه قريبًا ويراه القانطون بعيدًا، والقول الفصل لعزيمة الشباب العاملين وإخلاصهم.[2][3]

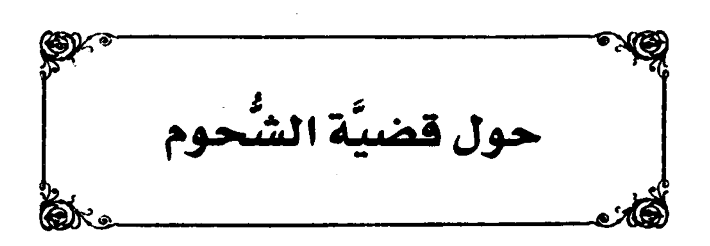
مبارك بن محمد الميلي

---

(١) كلمة فرنسية: «MONT BLANC»، وهي أعلى قمة في جبال الألب بفرنسا، قريبة من الحدود الإيطالية، وعلوُّه (٤٨.٨م) تقريبًا. كما في: «le petit larousse» (ص ١٢١٨).

(٢) نشارك صديقنا العلاّمة المصلح مبارك في فكرته وغيرته على الدين، أكثر الله من أمثاله في الأمة الجزائرية البائسة [وادي ميزاب].

(٣) جريدة «وادي ميزاب»: العدد (٣٤) الصادر يوم الجمعة ٢ ذي الحجة ١٣٤٥هـ ٤/ ٦/ ١٩٢٧م.



حول قضيَّة الشُّحوم

وقعت هذه الأيام معركة قلمية في قضية الشحوم الأوروبية، فمن مانع لها ومبيح...

وأحسن ما يُلاحَظ في هذه المعركة أنّ الأمة الجزائرية أصبحت متيقّظةً لما تنشره صحفها، غير غافلة عما تراه ماسًّا بدينها.

ولم تكن هذه المعركة بعيدةً عن روح الشدّة التي تقمّصها كُتَّابنا مع أنّ هذه المسألة علميةٌ بحتةٌ ليست كمسائل الزوايا مشتبكة بأغراض شخصية تحمل الباحث فيها ـ كما هو مشاهد ـ على خلط بحثه العلمي بالبحث في عرض ضدّه.

وإذا كان الكُتّاب قد انقسموا في المسائل الراهنة إلى قسمين: أحرار ومحافظين، فقد تعدّوا ذلك إلى الماضي، وصار الأحرار ينظرون إلى العلماء المحافظين (المقلّدين) من المتقدّمين بعين الحذر، ما وجدوا قولاً مدلّلاً بالكتاب والسنة إلاّ طاروا إليه وإن خالف أقوال جمهور لم يبينوا مستندهم في أقوالهم، وصار المحافظون يتّهمون الأحرار (المجتهدين غير الأئمة المصطلح عليهم) من المتقدِّمين في أقوالهم، ويفضِّلون عليها قولاً من عالم متقيّد بمذهب من المذاهب المقرّرة ولو لم يذكر دليله.

ولهذا قامت سابقًا ضجّةٌ لمسّ ابن عربي الحاتمي[1] الذي لم ترض آراءَه في الدّين طائفةُ الأحرار من المتقدّمين والمتأخّرين، واليوم نرى أولئك الذين يقدّسون الحاتمي يقعون في ابن العربي المعافري[2]؛ لأنّ من خصومهم من عزم على نشر كتاب له، ومنهم من استدلّ بقوله في مسألة فقهية.

وقد رأينا الشيخ الحافظي مرارًا يبدي سخطه من شدة أقلام الكُتاب، وينادي في كل فرصة تسنح له باستعمال الرفق في الانتقاد والمجاملة في المناقشة، ولكن أخيرًا عصفت به ريح العصر، ففاض قلمه بما كان ينهى عنه، وهذا مقاله في قضية الشحوم المدرج بعدد (٣٦) من «وادي ميزاب» الغرّاء، جُلُّه حملةٌ على من أجاب بحلّية الشحوم من الكُتاب، وطعنٌ في ابن العربي المعافري.

أتى في مقاله هذا بِحُجج وصفها بأنها «لا تقبل النزاع»،ولكني رأيتها ـ رغم ذلك ـ قابلةً للنزاع، فأحببتُ أن أبدي ما عندي فيها.

لستُ أريد من مناقشتي له في مقاله هذا أن أدافع عن الكاتبين: الجزائري والفاسي، فإنّ لهما قلمهما، ولا أن أدافع عن ابن العربي فإنّ لسان حاله يتمثل بقول حاتم:

«لَوْ ذاتُ سِوارٍ لَطَمَتْني»[3].

---

(١) هو المعروف بـ «محي الدّين بن عربي»، قدوة القائلين بوحدة الوجود. توفي سنة (٦٣٨هـ).

(٢) هو القاضي أبو بكر بن العربي المالكي، صاحب «أحكام القرآن» و«عارضة الأحوذي» وغيرهما. توفي سنة (٥٤٣هـ).

(٣) ومعنى المثل: لو ظلمني من كان كفؤًا لي لهان عليّ، ولكن ظلمني من هو دوني.

وقيل: أراد لو لطمتني حُرّة، فجعل السّوار علامة للحرية؛ لأن العرب قلّما تلبس للإماء السّوار، فهو يقول: لو كانت اللّاطِمةُ حرّةً لكان أخفّ عليّ.

انظر: «مجمع الأمثال» (٣٢٢٧) للميداني.

وإنما أريد أن أناقشه فيما لم أتفق معه فيه من حُججه «الدامغة»!

١ ـ قسم العلماءَ إلى ثلاثة أقسام، وبيّن لكلّ قسم وظيفته، وجعل ابن العربي من المرتبة الثالثة: «من المقلدين جزمًا، فكان عليه أن يقول بقول إمامه الوارد في المدوّنة» وإنه لمخالفته لما في المدونة «تجاوز المدوّن في مذهب إمامه إلى مرتبة ليس هو من أهلها»!

تقسيم العلماء بتلك الصفة قال به أُناسٌ وليس متّفقًا عليه.

فقد قسمهم ابن القيّم في كتابه «إعلام الموقّعين» إلى مجتهد ومتّبع ومقلّد، وفسر المتّبع بأنه من يتّبع قول إمام من الأئمة المجتهدين بعد معرفة دليله.

ومثل «حضرة العلاّمة صاحب التوقيع» يجدر به أن يطالع كتاب «إعلام الموقعين».

والمتّبع بهذا المعنى أعلى درجةً من مجتهد المذهب، لأنه ينظر في أقوال من تقدّمه من الأئمة ويعرضها على قواعد الشريعة بخلاف الثاني فإنما ينظر في قواعد إمام مخصوص ليستند إليها في فتاويه.

وكلّ من له إلمام بكتب ابن العربي يعلم يقينًا أنه متّبع، ومن كان من هذه المرتبة لا يتقيّد بمذهب، ولكن ابن العربي مالكي لأنه مضطلع بمذهب مالك، وكان في الغالب يرجّحه وينتصر له حتى أنه في مسألة خيار المجلس لما بيّن وجه بطلانها، قال: «وهذا مما لا يتفطّن له غير مالك!»[1].

على أنه لم يخرج في فتواه عن قول مالك كما سيأتي.

ومرتبة هذا الرجل في العلم والتقوى مما يقبح الجهل بها لاشتهارها، ولا

---

(١) في «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس» (٢/ ٨٤٥): «وهذا شيء لا يتفطن إليه إلاّ مثل مالك».

يتّسع هذا المقال لجلب أقوال المؤرّخين الأثبات في ذلك.

٢ ـ ابن العربي لم يفهم آية طعام الذين أوتوا الكتاب[١] حقّ الفهم، وأنّه يلزم عليه أن نرجع إلى سؤال أهل الكتاب في بيان ما هو طعامهم، وقد نهى الله نبيه ﷺ عن ذلك... إلخ.

ليس لابن العربي في تفسير هذه الآية فهم خاصّ، وإنما نقل فيها قولين: قول من حمل الطعام على عمومه، وقول من خصّه بالذبائح.

وقد نقل ذينك القولين أيضًا أبو بكر الجصّاص في «أحكامه»، وأسند الثاني إلى جمع من الصحابة والتابعين، فإن كان خطأ في فهم الآية فمن هؤلاء الصحابة والتابعين!

واستدلال الحافظي بالآيتين في غير موضعه، لأن الأولى تنادي بالنهي عن اتباع الذين لا يعلمون، والثانية كذلك مع زيادة ﴿مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٤٥]، وحلّية طعام الذين أوتوا الكتاب إنما نتّبع فيها القرآن لنصّه عليها، والتزامه أن ذلك محوج إلى سؤالهم يورده إن شاء على القرآن نفسه لا على ابن العربي!

أما أنا فلا أرى ذلك لازمًا لأن طعامهم ليس من الجزئيات التي نرجع في فهمها إليهم ونستمدّ حكمها منهم فنخشى أن يفتونا بأهوائهم؛ فإن من عرف أهل الكتاب، وهم معترفون بكتابهم خاضعون له في ذبائحهم، عرف طعامهم بالاستفاضة والسماع الفاشي من غير توقّف على سؤال شخص معيّن، كما أنهم اليوم يعرفون ذبائحنا من غير توقّف على سؤال عالم من علمائنا، ولولا ذلك ما أباح الله لنا

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿...وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ...﴾ [المائدة: ٥].

طعامهم، وهو ينهانا عن اتباع أهوائهم في الدِّين.

٣ ـ حشر في هذه الحجّة أمثلةً من المبادي الأولية في الأصول يعرفها من قرأ «الورقات»، وجعل ابن العربي يتجرّأ على كتاب الله! وأن آراءه واهية! إلخ ما أطال به من غير طائل.

ونحن لم ندر ما هو الرأي الذي انفرد به ابن العربي في تفسير هذه الآية؟

من رجع إلى «أحكامه» لم ير فيها ظلاً لرأي خاصّ إلا ما ذكره في مسألة النصراني يفتل عنق الدجاجة، فقد رأى أنّ ذلك من طعامهم وليس ميتة حتى يكون محرّمًا علينا.

وإليك ما يقوله في ذبائحهم بصفة عامة:

«فإن قيل: فما أكلوه على غير وجه الذكاة كالخنق وحطم الرأس.

فالجواب: أن هذه ميتة، وهي حرام بالنصّ، وإن أكلوها فلا نأكلها نحن كالخنزير» (ج١/ ص ٢٢٩).

فما هو حمل العام على الخاصّ أو المطلق على المقيّد الذي تنبهتَ له يا حافظي وغفل عنه الحافظ ابن العربي؟

اعرف منزلتك يا حافظي، ودع الثرثرة والتحامل على الناس، فإنه لا يجهل مكانة ابن العربي في العلم إلاّ من سفه نفسه وجهل قدره.

ثمّ مَن هم شيعة ابن العربي الذين حملتك بغضاؤهم على النيل منه؟

إنّ كلامك في ابن العربي بتلك الصفة ليس إلاّ وخمًا على شهرتك التي هي كلّ مُناك.

بالأمس تجزع على الشَّيخ عاشور[1] أن ناقشه الشيخ الطيّب، وتدّعي أنّ في كلامه المحكم والمتشابه! واليوم ترسل كلامك مع الحافظ أبي بكر جُزافًا لا تبالي بما تقول!..

إذا كان في صدرك حرجٌ على طائفةٍ من أهل عصرك فلا تظن أنّك تنال غرضك فيهم بهمزهم بأنّهم شيعةٌ لرجلٍ من أهل السنّة عظيم، على أن الذي يهتدي بعِلم عالمٍ لا يقال أنه شيعة له، وهؤلاء لم يزيدوا على أن استدلّوا بقول له دلّـله بالكتاب العزيز، فإن أخطأ فيه فيكفي أن يبين خطأه في ذلك بطريق علمي ولا تشترط أن يكون المخطّئ له قريبًا من درجته العلمية، بل قد يهتدي الحقير لما لم يهتد إليه الجليل كمسألة عامر بن الظرب[2] حكيم العرب مع راعية غنمه.

٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ما جاء في هذه النقط ليس إلاّ تأكيدًا لكون ميتة الكتابي لا تؤكل، وأن ابن العربي أخرج الدم من طعام أهل الكتاب دون الميتة، وهوّل بذلك...

وقد رأيت كلام ابن العربي وأنه أخرج الميتة أيضًا من طعامهم.

فإمّا أن يكون الحافظي اطلع على كلام ابن العربي، وتعلّم منه تخصيص طعام أهل الكتاب بغير الميتة أيضًا، ثم نسب ذلك لنفسه، وأخذ يردّ على ابن العربي ما قرّره.

وإمّا أن يكون لم يطّلع على «أحكام ابن العربي» ـ وغريب من أمثاله أن لا يطّلع عليها ـ فأخذ يهجم عليه من غير علم!

٧ ـ «إن إضافة الطعام لأهل الكتاب للعهد، والمعهود هو الطعام المشروع، أعني الذكاة الشرعية مثل ذكاتنا سواء بسواء» إلخ.

---

(١) هو الشَّاعر عاشور بن محمد الخنقي، تقدَّم.

(٢) كان يُقال له «ذو الحلم». انظر «الأعلام» (٣/ ٢٥٢) للزركلي.

هذا جهلٌ بالعربية وتلاعبٌ بالقرآن، فإنّ إضافة الطعام لأهل الكتاب إنما يعهد منها الطعام المباح لهم بصفتهم كتابيّين، لا بصفتهم موافقين لنا أو مخالفين، وههنا نقول: مَن هو المتجرِّئ على كتاب الله؟

وما استدلَّ به من حرمة أكل ذكاة مستحلّ الميتة إلاّ بحضور المسلم، ففي غير موضعه، لأنّ الكلام في الكتابي العامل بأوامر دينه من حيث الذكاة. وما أطال به من ذكر العكس والتناقض إنما هو غرام بمبادي العلوم العقلية من غير تروٍّ في تطبيقها، فلندع له ذلك الميدان يجري فيه طلق العنان.

٨ ـ «إنَّ أهل الكتاب بدّلوا وغيّروا» إلخ، هذه الحجّة ساقطة سقوطًا واضحًا، فإنّ تبديلهم سابق على الكتاب العزيز، وقد أباح لنا ذبيحتهم؛ فإن كان علم طعامهم لا يتوقف على سؤالهم ـ كما نرى ـ فذلك ظاهر، وإن كان يتوقّف على سؤالهم، فالله هو الذي أحالنا عليهم.

وقد ذكر الأئمة المتقدّمون مثل أبي بكر الجصَّاص الحنفي وأبي بكر ابن العربي والحفيد ابن رشد المالكيين هذه الشبهة التي أوردها الحافظي كأنها من مبتكراته، وأجابوا عنها بما سمعتَ، ويظهر للواقف على كلامهم أنّ الجواب مسبوقون به، فالمسألة مفروغ منها منذ أكثر من ألف سنة !

٩ ـ تكلّم ههنا على ذكاة مستحلّ الميتة وأنَّ الأوروبيِّين اليوم مستحلّون لها.

يا حبذا لو اقتصر البحث في هذا الموضوع على هذا القدر من بيان أن الأوروبيين اليوم ممن يستحل الميتة أم لا ! وسأبدي ما عندي في هذه المسألة قريبًا.

١٠ ـ إنَّ الإمام مالكًا يرى أن عقر الكتابي للحيوان يحرّمه... إلخ.

قدّمنا قول ابن العربي فيما أكلوه على غير وجه الذكاة، وليس فيه ما يخالف الإمام مالكًا، و أما «أن المالكية بأجمعهم براء منه» فإنّ البراءة ليست من مذهبهم يا حضرة الفقيه المالكي!...

وختم الحافظي كلامه بمناقشة ابن العربي في إلحاقه ذبيحة الكتابي بما يؤخذ من نسائه في الصلح حيث يجوز نكاحهن «والأكل دون الوطء في الحلّ والحرمة» (ج١/ ص٢٣٠).

وما علّل به الفرق ليس بظاهر، لأنه بناه على فتوى الإمام مالك بحرمة ما عقره الكتابي، ومسألة مستحلّ الميتة، وقد علمتَ أنّ ذلك خارجٌ عن الموضوع.

على أنّ ابن العربي أتى بمسألة الوطء تقويةً وتأكيدًا، واعتماده إنما كان على أن فتل عنق الدجاجة من طعامهم.

والخلاصة أنَّ ابن العربي موافق للإمام في أنَّ ما قتله الكتابي لا على وجه الذَّكاة فهو ميتة حرام عليه وعلينا، وإنِ ادَّعى الكتابيُّ أنَّ ذلك من طعامه فقد كذّبه الله فيه كما كذّبه في الخنزير والدَّم.

ومفتولة العنق التي أفتى ابن العربي بحليّتها رآها من طعامهم المشروع لهم المباح لنا بنصّ الكتاب، فمن نازعه في ذلك فليثبت أنّ ذلك ليس من ذكاتهم في دينهم .

وإذ قد انتهينا إلى هذا الحدّ من مناقشة الأدلة الحافظية فلننقل فقرات من كلام الأئمة في ذبائح أهل الكتاب، ثم نتبعها ببيان أن الأوروبيين اليوم من أهل الكتاب أم لا .

نقل أبو بكر الجصاص في «أحكامه» القول بتخصيص طعام أهل الكتاب

بالذبائح عن ابن عباس وأبي الدرداء والحسن[1] ومجاهد وإبراهيم[2] وقتادة والسُّديّ، واستظهر هذا القول قائلاً:

«لأن سائر طعامهم من الخبز والزيت وسائر الأدهان لا يختلف حكمها بمن يتولاَّه، ولا شبهة في ذلك على أحد، سواء كان المتوليّ لصنعه واتخاذه مجوسيًا أو كتابيًا، ولا خلاف فيه بين المسلمين، وما كان منه غير مذكّى لا يختلف حكمه في إيجاب حظره بمن تولىّ إماتته من مسلم أو كتابي أو مجوسي، فلما خص الله تعالى طعام أهل الكتاب بالإباحة **وجب أن يكون محمولاً على الذبائح التي يختلف حكمها باختلاف الأديان»** (ج٢/ ص٣٢٢).

ثم ذكر قصَّة أكله ـ عليه الصلاة والسلام ـ من الشاة المسمومة التي قدّمتها إليه اليهودية[3] من غير أن يبحثها عن المذكّي أيهوديّ أم مسلم، وضروريّ أنه لم يسألها أيضا عن كيفية الذكاة.

وقد قدّمنا لك كلام ابن العربي، وهو في معنى كلام الجصّاص، فكلاهما ينادي بأن ما ذكّاه الكتابيّ المحترم لدينه فهو من طعامهم المباح لنا، وهو نصّ الآية المدعّم بقصة أكله ـ عليه السلام ـ من شاة اليهودية.

وذكر ابن العربي وجه اختصاص الكتابي بجواز الأكل من ذبيحته دون المشركين وبقيّة المِلل ناقلاً ذلك عن شيخه أبي الفتح النابلسي، فقال:

---

(١) هو البصري، التابعي الجليل.

(٢) هو النخعي الكوفي، التابعي الفقيه.

(٣) أخرجها البخاري (٢٦١٧) عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

«إن الله سبحانه قد أذن في طعامهم، وقد علم أنهم يسمّون غيره على ذبائحهم، ولكنهم لما تمسّكوا بكتاب الله وتعلّقوا بذيل نبيّ جعلت لهم حرمة على أهل الأنصاب» (ج١/ ص ٢٢٩).

هذه زبدة القول في ذبائح أهل الكتاب المحترمين لكتابهم، وأما الذين لا يقيمون لكتابهم وزنًا، ولا يرون له عليهم أمرًا ولا نهيًا ولا يعتبرون في الذكاة سرًّا إلهيًا ـ إن هي إلاّ إزهاق الروح كيفما اتفق ـ فهؤلاء لا تؤكل ذبائحهم قطعًا كما تقدم.

والإسرائيليُّون والمسيحيُّون[1] أكثرهم اليوم ألحدوا وليس لهم من الانتماء لنبيّهم والاقتداء بسلفهم إلاّ التاريخ بالميلاد مثلاً، فما كان من ذكاة أحبارهم ورهبانهم ومن لم يزل يرى للدّين حرمة فإنه يؤكل، وما كان من الملاحدة وهم الأكثرون فإنه لا يؤكل.

وعليه فالشحوم الواردة من أوروبا لا تُؤكل اليوم لكثرة الملاحدة بها، وقد قال الفقهاء إذا رمى مسلم وكافر صيدًا فأصيب ولم يعلم من أصابه فإنه لا يؤكل للشكّ في حلّيته.

ومن أجاب من الكُتّاب بالإباحة اعتمادًا على فتوى ابن العربي في مفتولة العنق، فعندي أنه غير مصيب، لأن فتوى ذلك الإمام فيمن يحترمون من أهل الكتاب حرمة الدّين ويذكّون طبق ما جاء فيه، وأهل الكتاب في زمنه لم يزالوا كتابيين، والشحوم المسؤول عنها اليوم ينظر فيها لحال المتولّين لذكاة حيواناتها،

(١) التعبير عنهم بـ «اليهود» و«النَّصارى» أدقُّ، وراجع إن شئت البسط «معجم المناهي اللَّفظيَّة» (ص٩٣ ـ ٩٤) لبكر أبو زيد.

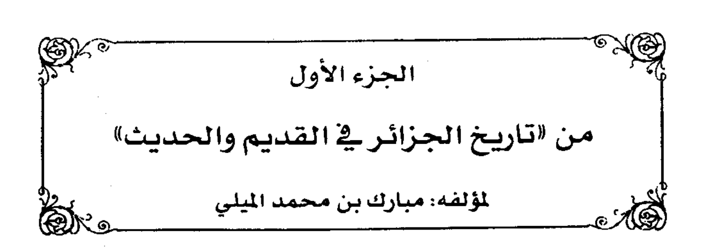
والمشاهدة تثبت أن جلّهم ليسوا أهل كتاب.

فمدار الحظر والإباحة على القصد إلى الذكاة الشرعية وعدمه، وقد أعرب عن ذلك الفقهاء بقولهم: «ذكاة الكتابي لا يشترط فيها إلاّ النية»[1].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) «الشهاب»: العدد (١٠٣) الصادر يوم الخميس ٣٠ذي الحجة ١٣٤٥هـ ٣٠/ ٦/ ١٩٢٧م.



الجزء الأول

من «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»

لمؤلفه: مبارك بن محمد الميلي

إنَّ الأمم لم يتَّسع تاريخها على نسبة حوادثها وعظمائها في العلم والسِّياسة.

وقد كانت الجزائر ـ من أقدم أزمنة التَّاريخ ـ من أغنى الأمم رجالًا وأكثرها حوادث.

ذلك بأنَّ أرضَها خصبةٌ طيِّبةُ الهواء، فتوالت عليها هجومات الأمم، ودافعهم أهلها الَّذين كانوا شديدي التَّمسُّك بحرِّيتهم، فتمرَّنوا على الحروب وترقَّوا وتقدَّموا من مخالطة تلك الأمم، وللحروب عوامل في ترقية الأمم.

إنَّ تاريخ الجزائر قبل الإسلام كان مبعثرًا في الكتب اليونانية واللَّاتنيَّة، وقد اعتنى به كتَّاب فرنسيُّون فأخرجوه من بطون هاتيك الدَّفاتر ووسعوه بما حفظته الأرض من آثار وكتابات.

ولم يزل حتَّى اليوم مجهولًا لدى الجزائريِّين الَّذين لا يقرؤون غير العربية ـ وهم جلّ القرَّاء ـ.

أمَّا بعد الإسلام فقد أكثر العرب الكتابة عن الجزائر ملوكها وعلمائها أو بيوتاتها.. إلخ

ولكن جُلّها محفوظ في خزائن خاصَّة لا تصل إليها يد محبِّ الاطِّلاع.

وهذا ما دعانا إلى كتاب يشتمل على تاريخ الجزائر منذ العصر الحجري إلى اليوم.

وقد قسَّمناه إلى أربعة كتب:

الأوّل: الجزائر قبل الإسلام.

الثَّاني: الجزائر العربيَّة.

الثَّالث: الجزائر البربريَّة الإسلاميَّة.

الرَّابع: الجزائر تحت الأجانب.

وفي كلٍّ كتاب أبواب عن الدِّيانة وسير العمران والحضارة والأدب.

ونحن نقدِّم إلى القرَّاء اليوم الجزء الأوَّل من هذا الكتاب وهو يتضمَّن: جغرافيَّة الجزائر الطَّبيعيَّة، أمَّة العصر الحجري، الأمَّة البربريَّة، الدَّولة القرطاجنيَّة، الدَّولة البربريَّة على عهد الجمهوريَّة الرُّومانيَّة، الدَّولة الرومانية دولة الوندال، الدَّولة البيزنطيَّة، الفتح العربي وذكر أمراء العرب.

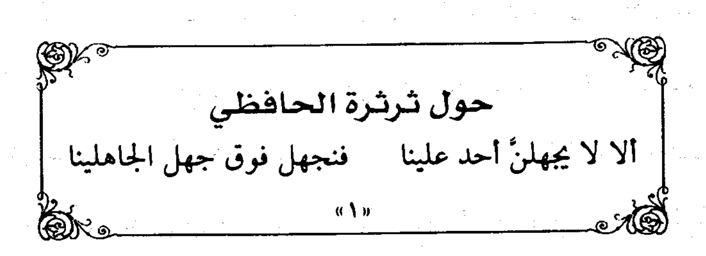
وينتهي بتأسيس الدَّولتين: الرُّستميَّة والأغلبيَّة.

وهذا الجزء مطبوع طبعًا جيِّدًا؛ في ورق صقيل، يحوي على ثلاثمائة وخمسين صفحة تقريبًا من القالب الكبير، تتخلَّله رسوم كثيرة في ورق ممتاز، وبآخره خريطة ملوَّنة لجغرافيَّة الجزائر الطَّبيعيَّة وبيان مراكز القبائل البربريَّة في القديم.

فنرجو من أبناء الجزائر وعشَّاق التَّاريخ أن يُقبِلوا عليه أو على تاريخهم الَّذي به حياتهم، إقبالهم على ما هو مادَّة غذائهم في الحياة الاجتماعيَّة، لأرواحهم وعقولهم[1].

---

(١) «الشهاب» (العدد: ١٠٦) الصادر يوم الخميس: ٢١ محرم ١٣٤٦هـ ٢١/٧/١٩٢٧م. بدون إمضاء.



حول ثرثرة الحافظي

ألا لا يجهلنَّ أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

«١»

جالت أقلام الكُتّاب في قضيَّة الشُّحوم الأوروبية، وجاء رجل في آخر الحلبة يتصبّب عرقًا، لا من الحياء، ولكن من إجهاد نفسه في لحاق مَن سبقه.

هذا الرجل ما زال يكرِّر نسبه العلميّ والقوميّ في آخر كل مقال له، ويؤكّد ترجمته في طالعة مقالاته؛ ترجمة هي: «حضرة العلاّمة صاحب التوقيع»، واسمه ونسبه: «المولود بن الصديق الحافظي الأزهري» وقد يزيد «الفلكي».

ولولا اتحاد الترجمة في طالعة المقالات على تعدّد مواضع النشر لتوهّمنا أن التوقيع الخالي من لفظ الفلكي غير المختوم به، لحرص هذا المخلوق على إثبات كلّ ما يعدّه من مميّزاته في جميع نشراته.

أفتى هذا الحافظي فيما كتب عن الشحوم بحرمة ذبائح أهل الكتاب ولو كانت على وجه شرعي لديهم، ولكنه أباح لحوم من ليس متّفقًا معه، سواء في ذلك الأموات والأحياء، غير أن قرمه[1] إلى لحم ابن العربي أشدّ لأنه ميت «والحيّ قد

(١) القرم: شدَّة شهوة اللَّحم حتَّى لا يصبر عنه. «النهاية»

يغلب ألف ميّت».

قرأنا هذه الفتوى فلم نسكت عن باطلها وكشفنا اللِّثام عن شُبهها التي دعاها صاحبها «حُججًا دامغةً» - ولعلّ الدامغة عنده من أخوات الماء الدافق - وبعد ما نشرتُ ذلك الردّ قرعت سنّ الندم على ما زلّت به القدم في جانب ذلك العَلَم، وخشيتُ أن يبطش بي لأنه صاحب التوقيع (إذ التوقيع إمضاء الملوك على ما يُنفَّذ باسمهم) فاستعذتُ بربّ الفلق من الحافظي وما سلق، فأعاذني منه بما جُبِل عليه من الثرثرة الجوفاء والدعاوى الحمقاء، واتضحت هذه الصفات وأمثالها فيما نشره أخيرًا بالورقة القديانية.

ناولني بعض الأصدقاء ذات يوم هذه الورقة التي لم نعهد منها غير الثلب لأعراض الرجال العاملين المخلصين، وإذا بها مقالة أوّلها بالأغواط وآخرها ببني حافظ، يزعم صاحبها الحافظي أنه ينقض كلامي في قضية الشحوم، فقلتُ: هذا ليس بغريب، وفوق كلِّ ذي علم عليم، وتحت كلِّ ذي جهل جهول.

لما شرعتُ في قراءتها لم أجد بها ما يُسمّى - عند العلماء - نقضًا، وإنما هي ثرثرة وتحامل ومحاولة في - غير وقتها - لتعلّم السخرية من الخصم بأسلوب أدبي، ولكن نقول لصاحبها: «الصيفَ ضيّعت اللَّبن»، فطرحتها، ولم أشتغل بها، لأنها ليست علمية فتُجابُ بالعلم، ولا أدبية فتجاب بالأدب، وقلتُ في نفسي: لا يعنيني مثل هذا.

ثم جاءت منها قطعة ثانية حكمتُ عليها حكم الأولى، وجاءت ثالثة وما زالت متنوّعة.

هنالك علمتُ أن الحافظيّ مفتونٌ بنفسه، مغرورٌ بثرثرته، وصاحب هذه النَّفس لابدَّ أن يعدّها منتصرة ما دام الخصم معرضًا عنه، فتردّدت في الإجابة، وأخيرًا تبيّن لي

أن الأَوْلى إنقاذ هذا المغرور من غروره، وتعريفه ـ أو تعريف القُرّاء ـ بقيمته.

ومن جهلت نفسُه قدرَه رأى غيرُه منه ما لا يرى

من نظر قليلاً في مقال الحافظي الذي رفع عنّا ببرودته شيئًا من حرارة[1] القيظ ألفى صاحبه من رجال الكنيسة على عهد القرون الوسطى؛ لأنه يبيح لنفسه ما يمنع عنه غيره ويتحكّم بهواه ويحكم في كسر بيته لنفسه، يرى له الحرية في نقد ابن العربي بذلك الأسلوب الوحشي، ويسلب غيره من الحريّة متى أراد مناقشته حتىّ بألطف أسلوب وأبعده عن الحطّ من قدر الخصم.

وقد شهد بعض رجال العلم والدّين بأن ما كتبناه في قضيّة الشحوم جارٍ على منهج الآداب، خال من الثلب والسِّباب، وليس هذا الشاهدُ حاضرًا معي حتى يتطرّق إلى ساحته أدنى ريب، بل هو بعيد عنّي أصلاً ومنشأً، وإنما هو قريب مِنِّي من حيث الرابطة العلمية التي تجمعني حتّى بالحافظي إن أذن لي بالتحلّي بهذا الوصف، ولم يوقّع على تجريدي منه.

وأظنّ أنّ كل قارئ منصف لا يعدو شهادة ذلك العالِم الجليل.

إذا أراد الحافظي بمقاله هذا الظهور على الخصم وأن تكون كلمته هي الأخيرة فقد فضح نفسه بعجزه عن الدفاع النزيه وعجرفته مع مَن ناقشه مناقشةً طاهرةً وخروجه عن الموضوع.

ولعلّ الحافظي لا يريد أن يحفظ نفسه من الفضيحة أمام الأدباء، وإنما يريد أن يحتفظ بسمعته مع العامة ويتبجّح أمامهم بأنه أجاب وأسكت من أجابه، ولذلك

---

(١) في الأصل: حمارة.

بالغ في الركاكة والثرثرة عسى أن أضجر فأعرض عنه، أو لعلّه ممن يدين بقاعدة «إذا ضَربكَ أحدٌ على خدّك الأيسر فأَدِرْله الأيمن»، فلم يقنع بالصفع الأول، وأراد أن أزيده وأضاعف له في الصفع.

وكيفما كانت نيّة الحافظي فإنّ نيّتي أن أُعينه على جهاد نفسه الأمّارة بالسوء حتّى تعبّد تعبيدًا وتبلغ الدركة السابعة، وذلك جزاء ما أبداه لنا من المواعظ والنصائح.

فإنْ شكر الحافظي إعانتي[1] فذاك، وإن غضب ورأى في كلامي ما يحفظه هوّنتُ عليه ونفّستُ من همّه بقول كعب بن زهير:

ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطل

١ ـ استهلّ الحافظي كلامه بتوجيه العِتاب إلى مجلّة «الشهاب» لاعتذارها عن عدم نشرها لمقاله في الحافظ ابن العربي.

كل ما أتى به في هذا الفصل إنما هو تقرّب إلى من يبغض «الشهاب» من الطرقيين، ولذلك نشره بجريدة أُسّست لمعاداة «الشهاب» وكُتابه الأحرار.

وهذا أحسن هديّة بقدّمها الحافظي بين يدي رحلاته الصيفية... فلتعذره مجلّة «الشهاب» لأنه مضطرٌّ في هذا الباب.

٢ ـ تقول حضرة العلامة... إلخ: أنني صرّحت بأن الغرض من كلامها مع ابن العربي هو التعريض بإدارة «الشهاب» التي تشتغل بطبع كتاب «العواصم»... إلخ، وبَنَتْ على ذلك أننا أسأنا بها الظنّ.

يكفي لبطلان هذا الزعم أن أنقل عبارتي في هذا المقام وهي:

---

(١) في الأصل: أعانني.

«واليوم نرى أولئك الذين يقدّسون الحاتمي يقعون في ابن العربي المعافري؛ لأنّ من خصومهم مَن عزم على نشر كتاب له، ومنهم من استدلّ بقوله في مسألة فقهية».

تأمّل يا مَن تحسن العربية ـ ولا عليّ كنتَ منصفًا أم لا ـ هل تجد في هذه العبارة التي لا تعني الحضرة غيرها إيماءً إلى ما تزعمه فضلاً عن التصريح؟

يعدّني القارئ مستبلدًا له إن أنا شرحتُ له هذه العبارة الواضحة.

أما أنتِ أيّتها الحضرة فإن كنتِ تحتاجين في فهمها إلى شرح فقد سقط معكِ الكلام، وإن كنتِ تفهمينها كما يفهمها كلّ من يقرأ العربية، فأنصفيني وقولي: أنا التي أسأت الظنّ أو الفهم أو جمعتُ بينهما.

٣ ـ تتبرّأ الحضرةُ من أنّها قصدت بردّها على ابن العربي النيل من أحدٍ أيًّا كان، ثمّ تقول: «فلو أنني اطّلعتُ على شيء من هذا الكتاب «العواصم» لبادرتُ بكلّ سرور لإبطاله بحجج دامغة رغم أنف الميلي أحبّ أَمْ كَره... إلخ».

يا أيّتها الحضرة كيف تتبرّئين من القصد السيّئ ثمّ تكونين مسرورةً بإبطال ما تفرضين اطلاعك عليه من كتاب «العواصم» من غير أن تعلمي هل يستحقّ الإبطال؟

حاولتِ أوّلاً أن تستري سريرتكِ فألبسكِ اللهُ رداءَها، وظهرتْ قريبًا، إذ بُحْتِ بسرورك بإبطال كِتابٍ قيِّمٍ من كُتب ابن العربي، ولا أرى سروركِ هذا إلاّ سعيًا وراء مرضاة الساخطين على الكِتاب.

استغفر الله! لعلَّ هذا الكلام من المتشابه فما علينا إلاَّ أن نفوِّض علمه إلى تلك الحضرة، ولكن نسألها: هل أبطلتِ كتابًا من الكتب التي اطّلعتِ عليها؟ أم رضيتها كلّها حتى كتب صاحب «البلاغ»، ولِمَ لَمْ تنقض كتاب «الأحكام» وقد

أقررتَ باطّلاعكَ عليه؟

نبّئيني أيّتها الحضرة بعلمٍ إن كنت صادقةً، أما أنف الميلي فبعيد رغمه من رجل يضطرب قولُه في النقطة الواحدة، ومع ذلك هو في تلك النقطة مُتَبَجِّحٌ مُدَّعٍ لما تكذّبه فيه نفسه.

وإذا لم تستطع الحضرة أن تثبت براءتها من المقاصد السيّئة، ولم تثبت إساءة ظنّي فيها لردّها على ابن العربي فليس لها ما تستند إليه في مطالبتي بإعلان التوبة، على أن ديني هو الذي يأمرني بالتوبة، وليس لهذه الحضرة عليّ من سبيل.

٤ ـ «لفظة الأحرار لا تُقال في لسان الشارع إلا على من يملك أمر نفسه... إلخ».

في هذا الحصر قصور وجمود لا يجمع بينهما إلاّ مثل حضرة العلاّمة... إلخ.

في «شرح الشمائل»[1] لملاّ عليّ قاري:

«روي عن عليّ كرم الله وجهه: أنّ قومًا عبدوا الله رغبةً فتلك عبادة التّجّار، وأنّ قومًا عبدوا رهبةً فتلك عبادة العبيد، وأن قومًا عبدوا شكرًا فتلك عبادة الأحرار، كما نقله عنه صاحب «ربيع الأبرار»[2]».

فسمَّى مَنْ عبد الله شُكرًا حُرًّا؛ لأنّه عرف مولاه حقّ المعرفة.

ونحن نقول الحُرَّ لكلّ من عرف الأشياء حقّ معرفتها وأفضى إلى حِكمها وأسرارها، وهم في علوم الدين الأئمة الذين يعرفون الحقّ بالدليل لا بالقائل.

فما الداعي إلى ذلك الحصر؟ هل الجهل باستعمال الألفاظ؟ أم الغرام بإيجاد

---

(١) في (٢/ ١٩٥).

(٢) هو الزَّمخشري، صاحب تفسير «الكشّاف»، المتوفى سنة (٥٣٨هـ).

نقطة للكلام؟ وليس الجمع بينهما على أمثال الحضرة ببعيد.

ثم هل كلمتا الأحرار والمحافظين أوروبيتان؟

الذي أظنُّه ـ ولعلَّه سوء ظنٍّ عند الحضرة ـ أنهما عربيّتان خالصتان، وليس للدّين لغة غير العربيّة، فإن كان لهما مرادف في اللّغات الأجنبية فلا أظنّ أنّ عاقلاً يتورّع عن النطق بكلمة عربيّة لكونها لها مرادف في لغة الكفّار...

ثم يا أيّتها الحضرة الورعة إلى هذا الحدّ! ما مستندكِ في استعمال النقط والتعجّبات وغيرها أثناء كتابتكِ؟ ولقد رأيتك تضع النقطة بين المتضايفين.

ولعلّكِ تجيبين بأنّكِ لستِ سلفية، ولكن لو كان لكِ شيء من الحذق لانتقدتِ عليّ استعمال الفواصل والنقط وغيرها أثناء كلامي مع أني سلفيّ.

وها هنا أقرّ بعجزي عن إجابتك لأنه ما كلّ كلام يجاب.

٥ ـ «على أنّ مقالتنا (كذا) المتتابعة والتي هي في موضوعات شتّى تدلّ وحدها على قيمتنا الفكرية... إلخ».

حقيقة، دلَّت تلك المقالات على قيمة صاحبها الفكريَّة، وأعربت عمّا اتّصف به من سوء الطويّة.

مِن هذه المقالات دفاعه عن شيوخ الزوايا الأحياء وتزكيتهم.

ومنها قدحه في الإمام الحافظ القاضي أبي بكر بن العربي، ولو جمع هؤلاء الشيوخ وأتباعهم في كِفَّةٍ، وقطرةً من مداد ابن العربي في كِفَّةٍ لرجحتْ بهم القطرة.

ومنها كتابته في هلال رمضان واتخاذها وسيلة إلى سبّ علماء تونس شيوخ «جامع الزيتونة» ورجال القضاء الإسلامي، وقد كان قبل دافع عن الشيخ عاشور

لأنه مادّة الطرقيين.

ومنها محاولة إثارة الأمة على الشيخ الطيّب العقبي ليقال إنّ لحضرة العلاّمة صاحب التوقيع تأثيرًا على الأمة، ويبقى له ذكر في التاريخ ولو سيئًا.

ومنها تحكّكه برجال حزب الإصلاح غير ما مرّة مع أنه كان أجاب الدعوة قبل ثم عاداهم لما لم يجد فائدة مادية.

ومنها نصيحته لمحمد بن عبد الكريم[1]، أستغفر الله بل أمره، فإن ابن عبد الكريم إنما هو أمير، وحضرة العلاّمة صاحب توقيع.

وما سكتنا عن عَدِّه أكثر، وعندي أن لو كان الحافظي كتب بكلّ مقالة حروزًا لكان أجدى عليه في حياته.

لا تظنّ يا صاحب التوقيع أنّ توقيعك على مدحك لنفسك يجبر الناس على الإذعان له، فإنّه ليس لك على أحدٍ أمرٌ ولا نهيٌ.

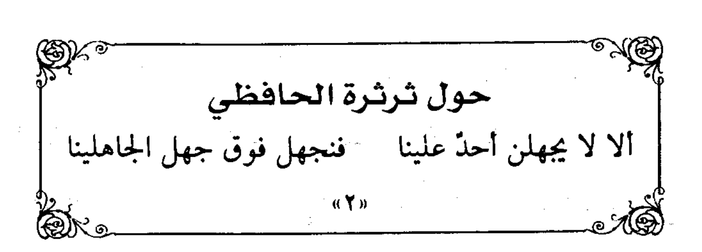
وإن تعجبْ فعجبٌ تبجُّحُ الحافظي بمقالاته الجوفاء وقدحُه في ابن العربي واستخفافُه به، وهو صاحب التآليف التي لم يطّلع الحافظي عليها، وهو في حاجةٍ إلى مَن يفهمها ما عثر عليه منها[2].

(لها بقية) مبارك بن محمد الميلي

---

(١) هو الأمير الريفي الخطابي، زعيم الثورة الريفية المعروفة باسمه في شمالي المغرب. توفي سنة ١٣٨٢هـ-١٩٦٣م. «الأعلام» (٦/ ٢١٦-٢١٧)

(٢) «الشهاب»: العدد (١١١) الصادر يوم الخميس ٢٦ صفر ١٣٤٦هـ، ٢٥/ ٨/ ١٩٢٧م.



حول ثرثرة الحافظي

ألا لا يجهلن أحدٌ علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

«٢»

٦ ـ بيّنا سابقًا أن ابن العربي ليس له فهم خاصّ في تفسير الآية، فنقلته الحضرة واختصرته اختصارًا مخِلاً خيانةً منها وتدليسًا على البسطاء ومن لم يطّلع على أصل مقالنا، وعلّقت عليه بقولها:

«قد خفي على حضرته أن الصحابة الذين ثبتت لهم آراء كلّهم مجتهدون... إلخ».

هذه الحضرة ترى أن كلّ ما اطّلعتْ عليه من أوّليات العلوم هو مما يخفى على غيرها، فنسبت إلينا خفاء مسألة من أشهر المسائل، وأرادت بذلك التوسّل إلى نقض كلامنا.

ما هكذا «مولود» تورد الحُجج!

رتّبت الحضرة حجّتها على نقض كلامنا هكذا:

ابن العربي تابع في فهم الآية للصحابة والتابعين، وهم مجتهدون، والمجتهد يخطئ ويصيب، ولكنهم أخطأوا في هذه الآية، فابن العربي مخطئ، غير أنهم لاجتهادهم مأجورون، وهو لتقليده مأثوم، وموافقته لهم لا تزيد مقالته إلاَّ ضعفًا

على ضعف أو مرضًا على مرض... إلخ ما هرفتْ به.

ونحن نقول إزاء هذا التخليط: ابن العربي ناقل أمين، فالهجوم عليه بهذه الصورة لا يقع إلاّ من سافل منحطّ التربية، وكونه قاصرًا عن رتبة الترجيح بين الأقوال المتعارضة ـ كما تتشدّق به الحضرة ـ لا يضرّ قولته إلاّ إذا كانت في تفسير آية الطعام أقوال متعارضة، وليس فيها إلاّ قولان بالتعميم والتخصيص.

فإن ادّعت الحضرة أنَّ في الآية أقوالاً متعارضة غير ما حكى الجصّاص وابن العربي فلتأتِ بذلك، ولها أن تستأنف البحث في كتب التفسير وتستعين بغيرها، ونحن نشكرها إن أفادتنا بذلك شكرًا يليق بعلوّ كعبها...

إنْ سلّمنا للحضرة ـ تطييبًا لخاطرها ـ دعواها أنّ موافقةَ عالمٍ في درجة ابن العربي أو دونه لبعض الصحابة يسمّى صاحبها غريقًا، فإنّما ذلك حيث وجدت طائفة أخرى من الصحابة تخالف الأولى في الفهم وتتناقض معها، وليس الأمر في مسألتنا كذلك.

وإذا كان الصحابة مجمعين على ذينك القولين اللذين لا تناقض بينهما، فغير معقول أن يخالفهم الأئمة المجتهدون ويخرقوا إجماعهم.

وقضية كلام الحضرة أن مالكًا خرق إجماع الصحابة وفهم من الآية غير ما يفهمون، وهو افتراء محض، وهجوم على الأئمة من غير معرفة أقدارهم.

لقد أعربت الحضرة عن عجزها عن جميع أقسام الحجّة: ادعت أنَّ حججها الأولى دامغة فإذا هي مدموغة، وركنت إلى السفسطة فغرقت، ولما أحسّت بالغرق نسبته إلى غيرها «رمتني بدائها وانسلت».

٧ ـ تتقزز الحضرة من تمثيلنا حال ابن العربي معها بحال حاتم مع الجارية حيث قال: «لو ذاتُ سِوارٍ لطمتني».

وروى القالي: «لو غير ذات سوار لطمتني».

ونحن نقرّها على تقزّزها، لأن هذا التمثيل مُخِلٌّ بقدرها في حين أنها في حاجة إلى الثناء، حتى إنها لم تكتف بثناء غيرها عليها ـ إن كان قد وقع من أحد غير صاحب الضلالة المنشودة ـ فأخذت تكرّر في هذا المقال الثناء على نفسها بنفسها علاوة عما التزمته بطالعة كلّ مقال لها.

نقرّها على تقزّزها ونعلّله بذلك التعليل اللّائق بها، ولكنّا لا نقرّها على ما عللته به من أنه غير لائق بمقام العلماء؛ لأن ابن العربي عندها عامي، وأنا ـ طبعًا ـ دون ذلك العامي بكثير، فإني في حاجة أكيدة إلى كتب هذا العامي وأتمنى لو يتوفق أهل الثراء إلى البحث عنها ونشرها.

لقد برهنتَ يا حافظي على أنك لا تفهم الأمثال، فإن كان لك حجج دامغة فهذا البرهان منها.

المثل كلام شبّه مضربه بمورده، ووجه الشبه ههنا أن نسبة قدرك من مقام ابن العربي على نسبة قدر تلك الجارية من حاتم، وأن الجارية لم تجرؤ على إهانته إلاّ وهو أسير مواليها، كما أنك لم تجرؤ على ابن العربي إلاّ وهو أسير قبره.

ووجه الشبه يؤخذ حسب المقام، ولا يتوسّع فيه بما لا يتفق مع مساق الحديث.

لنفرض أحدًا سمع قولك ـ مادحًا لنفسك ـ: «غير هيَّاب ولا وجل» فقال: الحافظي أسد، فبماذا نفسّر وجه الشبه بينك وبين الأسد؟

لا شكّ أننا نفسّره بشجاعتك الأدبية التي مثّلتها غير ما مرة على مرسح الهجوم على العظماء، ولا نفسّره بالشجاعة الحربية لأنك لست من أهلها، ولا بالوحشية، ولا بنتونة الفم، ولا بافتراسه لابن آدم الذي هو أكرم منه وأعمّ نفعًا.

٨ ـ تعتذر الحضرة عن تورّطي في إيراد المثل الحاتمي بأني لم أتأمل ولو قليلا في عبارة القزويني:

«ولكل كلمة مع صاحبتها مقام».

وقد أحسنتْ في اعتذارها لأني لست بعلاّمة حتى أضع كلّ كلمة مع صاحبتها، وإنما تستطيع ذلك الحضرة التي تُعَنْوِنُ مقالَها بقولها:

«أغلاط في الفهم وسوء الظن».

والتي تقول في سبب عدم نشر «الشهاب» لمقالها:

«هو فهم «الشهاب» كما فهم غيره من الإغراء عليه أننا عرّضنا... إلخ».

والتي تقول:

«أليس هذا منك تقليد (كذا) وأي تقليد؟».

والتي تكرر في طالعة كل مقال لها: «لحضرة العلاّمة صاحب التوقيع» مع أن العلاّمة هو كثير العلم، وقالوا فيه هو الجامع بين المعقول والمنقول، وصاحب التوقيع هو صاحب طغراء الملك، وليس الجمع بينهما مما يذوقه رجال الأدب العربي، إلى غير ذلك من التراكيب التي لا يحسنها غير بلاغجي.

لو كانت الحضرة تحسن الاستدلال وقدّر لها فهم كلام العلماء ما أتت بكلام «التلخيص» ـ الذي هو في تناسب المفردات عند التركيب الراجع إلى فقه اللغة ـ في

مقام الاستدلال على عدم مناسبة ضرب ذلك المثل لمقام العلماء في زعمها وفهمها أو تلبيسها.

٩ ـ تقسيم العلماء الذي أوردته الحضرة متفق عليه في علم الأصول، والذي أوردناه «تقسيم فردي بالرأي خارج أصول الفقه» فكيف أقول إنه خير مما أورده؟

أما أنّ تقسيم ابن القيم خيرٌ من تقسيم الأصوليين فلم أقله، بل تقوّلته عليّ الحضرة، سامحها الله إلاّ من الكذب المضرّ بالعلم.

وأما كونه تقسيمًا فرديًا فغير صحيح، ولا أرى فيه منافاة لتقسيم الأصوليين حتى نحتاج إلى ترجيح أحدهما على الآخر، فإنّ تقسيم الأصوليين من حيث الاجتهاد، وتقسيم ابن القيم (لا ابن الجوزي يا حضرة العلاّمة) من حيث الاقتداء، وفرق بين الاجتهاد والاقتداء: فإن المجتهد ينظر في علل النصوص ليقيس عليها، وفي الأدلة جمعًا وترجيحًا ونسخًا.

والمقتدي (المتبع) ينظر في أدلة النصوص كذلك، ولا يلزم أن يكون من أهل القياس ولا متقيّدًا بمذهب، والمجتهد قد يتقيّد بمذهب ولا ينظر في مسائل غيره، فبين المجتهد والمتّبع عموم وخصوص من وجه.

وقد ضاقت حوصلة الحضرة عن الجمع بين التقسيمين، وهي تدّعي التعرّف إلى علم الأصول مع أن المقرّر في ذلك العلم أنّ الجمع مهما أمكن مقدّم على الترجيح.

وبالغت في الضيق حتى ضيّقت وظيفة المتّبع، فجعلته من يتبع إمامًا مخصوصًا، وبنت على هذا الأساس المتين... أننا لم نفهم كلام ابن الجوزي ـ كما تسمّيه ـ مع أن الظاهر من حالها أنها لم تطلع على كلام ابن القيم ولم تعلمه إلاّ من

مقالي، ههنا يحسن قول الأوّل:

وإن عنـاءً أن تُفهِـم جـاهلاً فيحسب جهلاً أنه منك أعلم

على أننا قد قلنا سابقًا إنّ الخوض في هذه المسألة لا يجدي في الموضوع شيئًا، وإنما اضطررنا لمجاراة الخصم حتى لا يظن عجزنا عن نقض كلامه، وذلك أنّ ابن العربي لم يخرج في تفسير الآية عن مذهب مالك، ولو كان يرى فيها رأيًا آخر لبيّن فيها رأي مالك وآراء غيره ثم يذكر ما اختاره هو، وتلك عادته في «الأحكام»، ولا تخفى على من طالع ولو قليلاً منها.

١٠ ـ استدلّت الحضرة بما ورد في النهي عن سؤال أهل الكتاب على تحريم طعامهم لأن فيه سؤالهم.

فقلنا لها: لا يلزم سؤالهم وبيّنا بما لم تستطع الحضرة نقضه على قوّة رغبتها في ذلك.

ثم قلنا: «والتزامه أن ذلك محرج إلى سؤالهم يورده إن شاء على القرآن نفسه لا على ابن العربي».

ولم تُجِب الحضرة على شيء من هذا إلاّ بأن عدم التزامي للسؤال لا يلزم منه عدم التزام الغير، وهو جواب ـ كما ترى ـ أقطع أبتر أجذم.

١١ ـ أرادتِ الحضرة في ردّها على ابن العربي أن تتظاهر بمعرفتها لقواعد أصولية خفيت على ابن العربي.

فقلنا لها: إنها من المبادئ الأولية لا يفيدكِ التظاهر بمعرفتها، ولا يجمل بكِ أن تظنّي أن ابن العربي يجهلها.

أجابت الحضرة عن هذيان: القواعد قواطع... إلخ.

أنا أقول لها: إنها أولية لا تخفى على الحافظ ابن العربي حتى على فرض أنه عامي كما ترين، وهي تجيب بأن القواعد قواطع، ثم تطلب منيّ إمّا الإذعان لها أو نقضها.

سارتْ مشرِّقةً وسِرْتُ مُغرِّبًا

أنا لم أتعرّض إلاّ لنقض كلامك، وتلك القواعد ليست من وضعك حتى يفيدك إذعاني لها أو عجزي عن نقضها.

وبعد هذا يقول الحافظي: إنني أُلبِّس الحقّ بالباطل، وأوهم الناس أني عارضتُ الأدلّة الحافظية لِيقال من ذا قالها؟

قاتل اللهُ الوقاحة، وأخزى من يدّعي بما ليس فيه، أَكِلُ الحكم على من يلبّس الحقّ بالباطل إلى القارئ المنصف.

ثم ما هي أدلّتك التي عجزتُ عن نقضها! وهل أستفيد سمعةً ـ لو كنتُ باحثًا عنها مثلك ـ من نقض كلامٍ حججه الدامغة أوهن من بيت العنكبوت؟

ومن أنتَ يا حافظي حتى يقال في معارضتي لشبهك: من ذا قالها؟

لقد كنتُ أحسبك فوق هذه المنزلة الوضيعة، ولكنك بقولتك هذه وأشباهها قد دلّلتني على حقيقة نفسك «والمرء مخبوء تحت لسانه» فلا تلمني إذا وضعتها حيث تستحقّ الوضع.

١٢ ـ «أما منزلتي يا أخي فقد عرفتها بأنني أحد العلماء... إلخ».

الجنون فنون: تقول الحضرة في ابن العربي، إنه عامي، وتصف نفسها بأنها من

العلماء، ولست بمطيل هذا المقال بردّ تلك الصفات التي ادّعاها لنفسه عليه، فإنّ الرجل في حاجة إلى نشر مدحه على الجرائد، ولم يجد من يكفيه في هذه المهمّة، فانتدب لها قلمه السيّال، وأجاد في الموضوع، جزاه الله عن نفسه خيرًا، وعلى ابن العربي شرًّا، هكذا يكون حبّ النفس مفضيًا بصاحبه إلى نزع برقع الحياء، ولكن لا لوم عليه فقد كثر في عصرنا دعاة السُّفور.

صدق رسول الله ﷺ القائل: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ»[1].

فوا عجبًا كم يدّعي الفضلَ ناقصٌ!

وبعدما شبع من مدح نفسه قال: إن مقالتي ثرثرة مملوءة بالظنون الفاسدة... إلخ.

لو وصفتَ مقالتكَ التي نحن بصددها والتي تقدّمت وجلّ مقالاتك بذلك لكنتَ معربًا عن حقيقة وناطقًا بصواب.

أما مقالتي فقد تحرّيتُ فيها النزاهة بما لم تتحرّ الحضرة عُشره مع الحافظ ابن العربي، وقد شهد باعتدالي من هو أعدل من حضرة العلاّمة... ولم أكتبها إرضاءً لك يا حافظي بل إرضاءً للحق، لأنه لا يرضيك إلاّ أن يترك لك القُراء باطلك.

فَصِفْ مقالتي بما تشاء لك طويّتك، إذ ما أنتَ إلاّ خصمٌ مغرورٌ بنفسه، ولستَ حَكَمًا، بل لو كنتَ حكمًا لصدق عليك قول القائل:

ما أنتَ بالحَكَم لِـترضى حكومتـه ... ولا الأصيل ولا ذي الرأي والجدل

١٣ ـ «تأمّل منصفًا ـ أيّها المتحامل ـ في مقالتك فلو كان لها مثقال ذرّة من المناظرة الصحيحة... إلخ».

---

(١) أخرجه البخاري (٣٤٨٤) عن أبي مسعود رضي الله عنه.

مقالتي كلّها محررة بأسلوب المناظرة الصحيحة، وقد عرف القراء أنّي نقضت شبهك بأدلّة عجزتَ عن ثلم شيءٍ منها، حتّى التجأتَ إلى التلبيس تارةً والعجرفة أخرى والسكوت أحيانًا، وقد تجمع بين هذه الصفات في الفصل الواحد، وليست أدلّتي إقناعية فقط، على أنه لا يقنعك إلاَّ التسبيح بقوّة عارضتك أو عرض قفاك.

إذا شئت أن تعلم أيها القارئ ما بنى عليه هذا المخلوق كلامه في الفصلين؛ (١٢ ـ ١٣) فانظر قوله بعدما تقدّم: «ثم ترجع أخيرًا إلى قولنا بتحريم طعام أهل الكتاب».

لقد جمع الحافظي في هذه الفقرة ـ ببلاغته الباقلية ـ بين عيبين فيه من ألطف العيوب وأظرفها، عيب التعاظم، وعيب التعامي.

أما التعاظم، فقوله: إنني رجعتُ إلى قوله بتحريم طعام أهل الكتاب.

لا يسعني ههنا إلاّ أن أهنّئ وطني بوجود رجل يضاد قوله كلام رب العالمين، ونرجع نحن له بعدما كنّا متمسّكين بالكتاب العزيز.

ذي المعالي فليعلون من تعالى هكـذا هكـذا وإلا فـلا لا

قبَّح الله ضرورةً الجأتني إلى ردّ كلامٍ هذا حالُ صاحبه.

وأما التعامي فقوله: إنني ممن يفتي بحرمة طعام أهل الكتاب، وهذا مقالي كلّه ينادي بتمسّكي بالآية التي ما رأينا أحدًا قبل الحافظي رفضها ودعا إلى قوله المخالف للكتاب بوقاحةٍ وعنادٍ.

إنّ مقالي ذو مقاصد ثلاثة:

نقض شُبه الحافظي؛ وقد علم القُراء قلمنا النزيه في ذلك.

إثبات أنّ ابن العربي ليس له في الآية فهمٌ خاصٌ يستوجب عليه العِتاب المرّ؛ وقد أيّدنا هذا بما نقلناه من كلام الجصّاص، وليس على الحافظي إلا يأتينا بنقول عن أئمة التفسير تخالف ذلك.

إثبات أن الأوروبيين أكثرهم ملحدون فهم ليسوا أهل كتاب، والله إنما أباح لنا طعام أهل الكتاب.

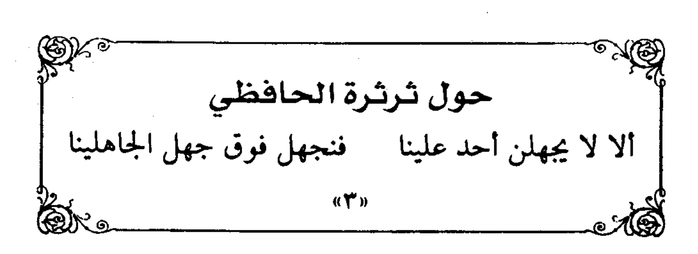
ومن اطَّلع على مقالنا ألفى ذلك واضحًا فيه بحيث إن هذه المقاصد لا تلتبس على أبلد بليد حتّى الحافظي.

ولذلك قُلنا: إن الحافظي مُتعامٍ في خلطه بين طعام أهل الكتاب المباح بالآية وطعام الملحدين المتفق على تحريمه، وليس غالطًا في الفهم لوضوح الفرق، ولا ملبّسًا لأنّ التلبيس لا يمكن في مثل هذا.

هذا هو الحافظي الذي يصف نفسه بأنه أحد العلماء، يتكلّم في المسائل العلمية لقصد إحقاق الحقّ وإبطال الباطل بالأدلة الأصولية والحجج الدامغة، لا أبلد ممن يجمع في مقال واحد بين هذه المتناقضات[1].

(لها بقية) مبارك بن محمَّد الميلي

(١) «الشهاب»: العدد (١١٢) الصادر يوم الخميس ٣ ربيع الأول ١٣٤٦هـ ـ ٢/ ٩/ ١٩٢٧م.



حول ثرثرة الحافظي

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

«٣»

١٥ ـ «وأما منزلة ابن العربي في العلم فلا تنكر سوى أنه يقول بالرأي... إلخ».

حضرة العلاَّمة الفلكي الأصولي أيضا يعلم ـ فيما أظن، وبعض الظن إثم ـ أن الرأي عند الأصوليين هو القياس، فالذي يقول بالرأي هو من يعتمد على القياس ويقلّل من النظر في علم الحديث.

وابن العربي حافظ من حُفّاظ الحديث له فيه كتب مثل «عارضة الأحوذي» و«شرحيه على الموطأ»[1]، وهي تشهد ـ كما شهد له مثل ابن فرحون[2] ـ بأنه مضطلع بالحديث، كما أنه مضطلع بسائر علوم الدين وآلاتها.

ومثل هذا لا يقل فيه أنه يقول بالرأي، وأن ذلك مما ينزع الثقة بكتبه، ولو كان للحافظي مثقال ذرّة من الإنصاف وقطرة من الحياء ما تجاسر على التفوّه بفقد الثقة من كتب ابن العربي وهو لم يطّلع منها إلاّ على «الأحكام»[3].

(١) يعني كتابيه «القبس في شرح موطأ مالك بن أنس»، و«المسالك في شرح موطأ مالك».

(٢) في «الدِّيباج المذهب» [ترجمة: ٥٠٩].

(٣) يعني «أحكام القرآن»، وهو مطبوع في أربعة أجزاء.

ولو كان يزن ما يقول لَنظر نظرةً في «الأحكام» ليعلم مقدار ثقة ابن العربي حيث إنه يحكي ما ورد في المسألة الخلافية من الأقوال ثم يعقبه بما يختاره منها من غير أن يخلط نظره بنقله.

ولم نر عالمًا ممن كتب عن حياة ابن العربي طعن في عدالته وجرح في ثقته، على أنّ مستند طعن هذا الجريء على أحرار العلماء، القَرِمِ إلى لحومهم، هو أنه يقول بالرأي.

فلو سلّمنا له أن ابن العربي من أهل الرأي لم يكن ذلك موجبًا لنزع الثقة من كتبه، فإنّ علماء الإسلام انقسموا من عهد التابعين إلى قسمين: حجازيين يقولون بالحديث، وعراقيين يقولون بالرأي؛ ومن العراقيين أبو حنيفة، ومذهبه لم يزل حيًّا بجهات كثيرة من الأوطان الإسلامية، ولم يطعنوا فيه لذلك بل اعتذروا عنه بكثرة الوضاعين في العراق، فاجتنب الحديث خشية الوقوع في الزلل، واعتمد الرأي في فتاويه.

لم يكتف الحافظي بهذا الهوس حتى زاد على ذلك أن ابن العربي يخرق إجماع الأئمة، كَبُرَتْ كلمةً تخرج مِن في العلاّمة... إنْ يقول إلاّ كذبًا وافتراءً.

أراد الحافظي أن يكون كاذبًا حاذقًا فذرّ الرماد في أعين القُرَّاء قبل التفوّه بهذه الاختلاقات بقوله: «وأما منزلة ابن العربي في العلم فلا تنكر».

قال ذلك ليغرّ القارئ بأنه يعترف بمنزلة ابن العربي، ثم أعقبها بتلك التقوّلات كي لا يحرج صدور الساخطين على ابن العربي، ويرضيهم بما يتفق مع هواهم لأنّ منفعته قيّدته بالسعي خلف مرضاتهم.

ومن سفسطته البلهاء أنه يقول: يكفي أن نمثل لخرقه الإجماع بتحليله لمفتولة العنق.

أفي مقام الجدال والنزاع يكتفي الخصم ـ لإثبات دعواه ـ بإيراد مسألة النزاع حُجَّةً لمدّعاه؟

لولا جئتَ على افترائك بمسائل أُخَر.

وتدليلاً على سَعة اطِّلاعه يقول: إن مفتولة العنق لم يتفق معه في حكمها سوى شاذٌ مثله خارج المذهب.

علم القُرَّاء المتبعون لما نشر في هذه المسألة بالصحف أنّ علماء المالكية وافقوا ابن العربي في حكم مفتولة العنق.

ويعني بالشاذِّ الخارج عن المذهبِ الإمامَ الجصّاص، وليس لهذا الإمام كلام في جزئية مفتولة العنق، والجصّاص من أساطين المذهب الحنفي، ولم يقل فيه أحد من أهل مذهبه ما قاله العلاّمة...

ولكن «صاحب التوقيع» لا يبالي بالواقع عندما تقضي إرادته السَّنِيَّة بالتوقيع على شيء.

فمن الطعن في الحافظ ابن العربي الذي اعترف بمكانته في العلم، إلى القدح في الجصاص الذي يجهل ترجمته وكتبه، إلى التخليط بين مفتولة العنق وهي جزئية، وطعام الكتابيين وهو كلية مأخوذ حكمها من الكتاب العزيز، وطعام الملحدين.

كلّ ذلك عند الحافظي سواء في التصوّر والحكم.

دع المعـــارف لا تغـــرق بلجّتهـــا (واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي)

١٦ ـ «راجع إن شئت الرهوني يتّضح لك مقام الرجل».

أشهر ما كتب الرهوني حاشيته على الزرقاني، وهي التي يعني الحافظي، وهذه الحاشية لم تؤلف لبيان سيرة الرجال ومنازلهم في العلم، حتى يحيلني عليها الحافظي، ولا يحيل نفسه على «الدِّيباج» أشهر وأوثق ما كُتب في تراجم المالكيَّة.

«حاشية الرهوني» كتاب في الفقه ضخّمه صاحبه بكثرة الأنقال في المسائل الفقهية، وقد يتفق أن ينقل كلامًا لا يتفق مع صاحبه فيه، فيأخذ في نقضه ثم يتوسّع في الانتصار لرأيه بالقدح في ضدّه.

وهذه عادة أكثر المؤلّفين في الفقه وغيره.

ولا يجهل من يتعاطى الفقه حملات البنّاني على الزرقاني، ولا حملات الرماصي على الأجهوري، والرهوني نفسه قد حمل عليه التسولي حملات.

وقد ألفنا ذلك في كثير من المصنَّفات فلا نستغربه، إنّما نستغرب من علاّمة نفسه أن يترك كتب التراجم المعتدّ بها، ويبحث عن ابن العربي في مجاميع الفقهاء التي لو أخذ بقول أصحابها فيمن يعترضونهم لزالت الثقة من كثير من رجال العلم ومن هؤلاء المعترضين أنفسهم، ولم يزل أهل العلم يقدّرون قدر الرجال الذين انتقدهم مناظروهم، فلم تَزُل الثقة من الأجهوري ولا من الزرقاني ولا من آلاف غيرهم.

وإن كان الحافظي ـ كما يدّعي ـ من أهل الفكر فليأخذ ترجمته من كتبه، وإن كان من أهل الفهم والإنصاف فإنه يذوب خجلاً مما سطّرت شِماله في الحافظ ابن العربي.

١٧ ـ قُلنا سابقًا: لا يجهل مكانة ابن العربي في العلم إلاّ من سفه نفسه وجهل قدره، فأحفظ ذلك الحافظي، وظنّ أني أعنيه بهذا الكلام، فأخذ يسأل: «ما وجه التلازم بين معرفة الشخص لنفسه وجهله لها وبين مكانة ابن العربي»؟ وأعقب ذلك بسرد مصطلحات منطقية لا يفهمها، وتعديد ما سمعه من كتب هذا الفن وغيره.

هوّن على نفسك يا حافظي، فلأنك علاّمة... لا تخفى عليك مكانة ابن العربي حتى تكون معنيًا بذلك الكلام، وإنما تعاميتَ عنها لغرض من الأغراض الخسيسة

ومقصد من المقاصد السافلة؛ ولكن ما هي العلاقة بين كلامي ومبحث التلازم؟

اختلط على الحافظي باب الحصر بباب التلازم، وما كان الاختلاط بينهما مما يقع فيه «حضرة العلاّمة» لولا أنه «صاحب التوقيع» يوقّع بما شاءت إرادته السَّنِية...

الحصر من قسم التصديق بأن يقال: ما الحافظي إلاّ مُخلِّط، وهذا لا يقال فيه: ما هو التلازم بين الحافظي والمخلّط؟

التلازم من قسم التصوّر، يكون بين معنيين علاقة بغير الكلية والجزئية، فيؤتى باللفظ الدال على أحد المعنيين ويُراد منه الآخر، ولذلك يوردون مبحث التلازم في باب الدلالة.

لو كتبتَ يا حافظي في غير هذا لكنتَ أقرب إلى السلامة وأبعد عن الفضيحة، ولكن حاولتَ موضوعًا أكثر من حوصلتك، وتهافتَّ على عِرض غيرك تهافت الفَراش على «الشهاب» فعثرت عثارًا لا لعًا له.

١٨ ـ «إني لا أريد (بشيعة ابن العربي) سوى القائلين بحلّية الموقوذة والمخنوقة من أهل الكتاب... إلخ».

هذا نمط من ذلك الغلط، فإن ابن العربي لم يقل بحلّية الموقوذة والمنخنقة، وقد صرّح بحرمة ما أكله الكتابي لا على وجه الذكاة.

وإذا كان ابن العربي يقول ـ كما يقول سائر العلماء ـ بحرمة الموقوذة والمنخنقة، فكيف تكون له شيعة تتشيع له في حلّيتهما؟

وإن وجد من يحلّل ما ذكر فليس بشيعة لابن العربي.

وبعد هذا التضليل يُقْسِم الحافظي على صفاء صدره وسلامة طريقه.

وكلّ من وقف على أسلوب كلامه في شيعة ابن العربي علم فجور هذه اليمين.

وقد كان يمكننا أن نصفك بصفاء الصدر لو كان تحاملك خاصًّا بشخص نازعك في مادّة ارتزاقك، فقد قيل: «كاد الفقر يكون كفرًا»[1]، أو لو كان تحاملك خاصًّا ببعض أهل عصرك في قطرك، فقد قيل: «المعاصرة حرمان»، أو لو تحاملت على بعض أهل عصرك من غير أهل قطرك، فإن للإنسان فلتات خصوصًا إذا استيقن أن المتحامل عليه لا يتنازل إلى إجابته، فيتخذ ذلك وسيلة إلى تغرير البسطاء بقدره، وأن رجله على رقبة كلّ عالم.

كان يمكننا أن نصف الحافظي بصفاء الصدر من غير احتياج إلى يمين لو اقتصر على ثلب واحد من أولئك الأصناف، أما وهو قد فعل ذلك كلّه وتجاوزه إلى من مضت عليهم قرون وهم معترف لهم بالثقة والأمانة والإمامة، فمن البلاهة أن نصدّقه فيما يصف به نفسه ولو حلف «بجميع الأيمان».

ثم يقول الحافظي: أنه ما رفع القلم في هذا الموضوع إلاّ لبيان الحقيقة وإفهام العامة، وأننا أسأنا به الظن.

لو كنتَ صادقًا في دعواك لكتبتَ ما كتبتَ بأسلوب علمي خال من العجرفة والشقشقة، ولكان ردّك علينا ـ إن صح أن يُسمَّى ردًّا ـ كذلك، ولكنك لم تأت في كلا المقالين إلاّ بالقدح والثلب وسوء الظن وفساد الفهم، على أنّ موضوع الشحوم قد كتب فيه الكُتاب قبلك بأطهر من كتابتك، فَلِمَ لم تكتفِ بكتابتهم، وهي كافية في

(١) يُروى حديثًا مرفوعًا بإسناد ضعيفٍ. انظر: «المقاصد الحسنة» (٧٨٩) و«الضعيفة» (٤٠٨٠).

إفهام العامة؟

أم ترى أن أولئك الكُتاب ليسوا بشيء وأن العامة لا تثق بغيرك؟

قد تقول: هذا من الظنون السيئة، ولكن بماذا نفسر صنيعك؟ اللهم إلاّ أن تشهد على نفسك بالعبث فتكون غير عاقل، وإذ ذاك نقول: «جَرْحُ العَجْماء جُبارٌ»[1].

وإذا قد بيّنا سوء نيتك فاسحب تهمتك لي بسوء الظن وطلبك مني التوبة من ذلك، على أن تكرارك لطلب التوبة وأنت تجترح كبائر الإثم وتكرّر سبّنا وسبّ من ليس على ذوقك من التلاعب بالدّين.

تدعو غيرك إلى التوبة إيماءً إلى أنك من التائبين وأنت غريق في حمأة الأعراض.

وأما قولكم: «وإلاّ حقّت عليكم كلمة العذاب» فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ويحلّ عليه عذاب مقيم.[2]

(لها بقية) مبارك بن محمد الميلي

---

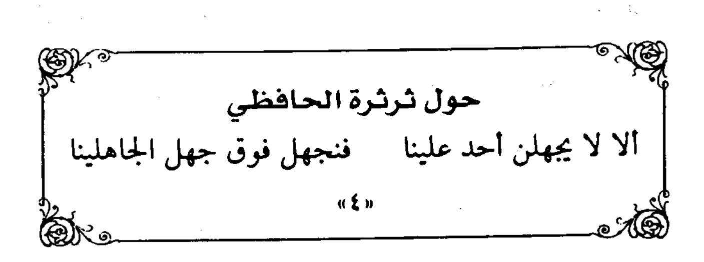
(١) حديث صحيح: أخرجه بهذا اللفظ مالك في «الموطأ» (١٦٨٧)، ومن طريقه البخاري (١٤٩٩) دون قوله «جرح»، ومسلم (١٧١٠) بلفظ: «العجماء جَرحها جُبار»: عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيّب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة مرفوعًا.

وتابع مالكًا اللّيثُ: أخرجه البخاري (٦٩١٢) ومسلم.

و (العجماء): البهيمة.

و(جُبار): أي هدر.

(٢) «الشّهاب»: العدد (١١٣) الصادر يوم الخميس ١١ ربيع الأول ١٣٤٦هـ ٨/ ٩/ ١٩٢٧م.



حول ثرثرة الحافظي

الا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

«٤»

١٩ ـ «إنَّ شهرة الرِّجال ليست بالدعاوى ولا بالتحامل ولا بالسفسطة وقلب الحقائق وإيثار [كذا] الخلاف والنزاع بين الطوائف».

الرَّجل أعرف بشهرته، فيبيّن لنا شهرة الرجال، يريد أن نقيضها هي شهرته، وهو كلام عليه منه شواهد، فإن كتابته في هذه القضية كلّها دعاوٍ وتحامل وسفسطة وقلب للحقائق.

وتعريضه برجال الحزب الإصلاحي لا نتعرض له في هذا المقال، إذ لعلّه يُقسِم لنا الأيمان الحافظية على أنه لم يرد التعريض بهم، فنكون قد أسأنا به الظنّ، ولحوم العلماء مسمومة، فكيف بحضرة العلاّمة...؟

وبعد هذا يأتي قوله في مصدر الشهرة: «على أنّ زمام الشهرة بيد الأمة، وهي وحدها ترقب الأعمال وتزنها بالميزان الصحيح».

هذا الذي أوقع «حضرة العلاّمة..» في الخبط، فأخذ يجاري الأمة في أميالها، ويخطب رضاها بإعلان الحرب على من يراها نافرة منه، وهذا الذي دعاه إلى منابذة

الحزب الإصلاحي والتعريض برجاله في غير ما مقال.

هبلتك[1] أمّك إن كان هذا هو فكرك: العامة هي التي تراقب الأعمال وتزنها بالميزان الصحيح، إذن العامة هي الحجّة على العلماء، لا أنهم هم الحجّة عليها، وهي التي تقودهم لا أنهم هم الذين يقودونها.

ثم استطرد كاتبنا البليغ... إلى نصيحتي بعدم الاغترار بمن يمدحني في وجهي.

صدق من قال: إن كثرة التنصح موجبة للتهمة، ما أبعد موضوعنا عن هذا، ولكن الحافظي مخلّط، كانت تحسن منه هذه النصيحة بعض الحسن لو قلنا مثله: إني من أهل النظر الثاقب، وأني أعدّ خططا توصلني إلى أعلى المطالب ويشاهدها سيرتي بين قومي وما خطه قلمي» السلام عليك يا حافظي.

٢٠ـ تذكر الحضرة أنه عُرِّض بها وهُمزت ولُمزت مرارًا وتكرارا، ولعلّها تريد أن تحشر نفسها بذلك في زمرة رجال الإصلاح، وتنازعهم صفتهم التي عُهدوا بها وثبتوا عليها، من إرشاد الأمة إلى أصول دينها، من غير مبالاة بأذية المؤذين بالفعل أو بالقول، عاملين في ذلك بقول من قبلهم:

اتــــقِ اللهَ، فـــأغبى الــــوَرى مَنْ أغضبَ الربَّ وأرضى العبيد

ولكي تحقق أنها ممن أوذي بالغثّ في قذفنا وأقذعت في السبّ، حتى إذا كِلنا لها بصاعها حسبت ذلك من ضروب الإذايات التي تعرض لعظماء الرجال.

وإن تعجبْ فعجبٌ حال هذه الحضرة: ترسل قلمها في ثلبنا ثم تلومني على

---

(١) يقال: هَبِلتْهُ أُمُّه، تَهْبَلُه هَبَلاً، بالتحريك، أي: ثَكِلَتْهُ.

عدم دفاعي عنها.

لقد طمعتَ يا حافظي في غير مطمع، فإني لا أدافع عن أحد كائنًا من كان، إلاّ إذا كان في الدفاع عنه دفاع عن مبدأ آمنتُ به ووقفتُ حياتي لخدمته، ومقالاتي ناطقة بذلك.

وكيف ترى لك عليّ حقًّا في الدفاع، ولا ترى لغيرك عليك حقًّا في ذلك؟

ألم أُؤذَ أنا؟

ألم يُؤذَ العقبي منك ومن غيرك؟

ألم يؤذ ابن باديس وهو ممن لا يخفى عليك علمه وجهاده في سبيل الدين؟

وأنا لا أدعوك إلى الدفاع عن أحد، وإنما أدعوك إلى كفِّ إذايتك عنَّا، وإراحة الصحف والقراء من خصامنا الذي لا يعود بالفائدة لا علينا ولا على غيرنا.

٢١ ـ قلنا سابقًا: «قد يهتدي الحقير لما لم يهتد إليه الجليل»، ففهم الحافظي أنه الحقير وابن العربي هو الجليل، واغتاظ لذلك.

ونحن نقول له: لك فهمك، ولكنّك لم تهتد إلى ما لم يهتد إليه ابن العربي.

وقد أراد أن يقول شيئا في هذا المقام، فلم يجد غير كلمات سردها وهي لا تنطبق على حاله؛ ولكنه روّح به عن نفسه، وله الحقّ في ذلك، غير أنه يومئ إلى أنه متّقٍ، والعلم لا يناله إلاّ المتّقون، واستدلّ لذلك بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

أمّا تقواك فقد دلّ عليها تحرّيك فيما تكتب وما تخاطب به غيرك من الأحياء والأموات.

وأما علمك فلا يخفى إلاّ على بصر لا تخدعه الشقشقة والدعاوى العريضة، ومن مظاهر علمك فهمك لِآية ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾، إذ جعلتها دليلاً لكون التقوى أصلاً للعلم، فعكست الحكم، وما هذه بأوّل قضية انعكستْ عليكَ، الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَـٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فهو يجعل الخشية «التقوى» فرع العلم، وأنت تقول بالعكس، والآية التي استدللتَ بها لا تدلّ لمدّعاك إلاّ لو كان نظمها هكذا: «واتقوا اللهَ يُعَلِّمْكُم» بجزم الفعل، أما نظمها التنزيلي فإنه يدلّ على استقلال كلّ جملة.

قال البيضاوي[1]: «كرّر لفظ الله في الجمل الثلاث لاستقلالها».

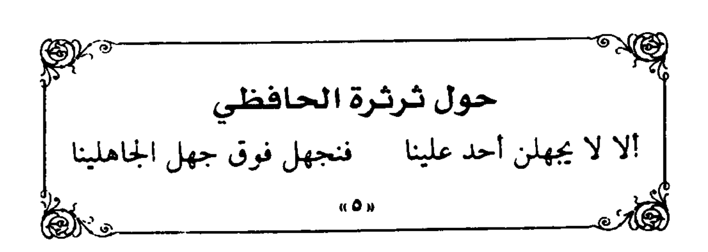
وللأستاذ الشيخ محمد عبده كلام نفيس في تفسير هذه الآية نقله الشيخ محمد رشيد رضا في «تفسيره» (ج٣/ ص١٢٨ ـ ١٣١)، فيلقف عليه من شاء هنالك[2].

(لها بقيّة) مبارك بن محمد الميلي

---

(١) في «أنوار التّنزيل» (١/ ٢٧١)، وفيه «لفظة» مكان «لفظ».

(٢) «الشهاب»: العدد (١١٤) الصادر يوم الخميس ٢٥ ربيع الأول ١٣٤٦هـ ٢٢/ ٩/ ١٩٢٧م.



حول ثرثرة الحافظي

ألا لا يجهلن أحد علينا   فنجهل فوق جهل الجاهلينا

«٥»

٢٢ ـ أراد الحافظي أن يفسّر آية الطَّعام بما لم يفسّرها به أحد من المفسِّرين، فقال: «إن إضافة الطعام للعهد... إلخ».

فقلنا له تفسيرك هذا جهل بالعربية وتلاعبٌ بالقرآن، وبيّنا ذلك بما تجافى الحافظي عن ردّه بالعلم، وإنما أعاد كلامه المنقوض، وزاد عليه التظلّم من تجهيلي له، وهو الذي جهل نفسه حيث يقول: «والمعهود هو الطعام المشروع أعني الذكاة الشرعية مثل ذكاتنا سواء بسواء ما عدا التسمية واستقبال القبلة».

وحيث لم يكتف ببياننا الأول فإنا نزيده بيانًا ونقول له:

إن كان قولك «أعني» بيانًا لمرادك، وفي آية من آياتك فإنا نسلّم لك ذلك، ولكن كان عليك أن لا يضيق صدرك لعدم إيماننا بآياتك.

وإن كانت كلمة «أعني» بيانًا لمراد الله من آية الطعام فلستَ نائبًا عن الله في قرآنه، وإن تساهلنا معك في التفسير بأعني بدل يعني فإنا لا نسلّم لك أن الله يعني ذلك المعنى البعيد من اللَّفظ من غير دليل عليه، وإن لم ترض التحاكم بالعربية

فإننا ننقل من كلام المفسرين [ما] يؤيِّد لك هذا المعنى.

ولا ينفعك للخروج من هذه اللّوازم أن تدّعي أنّ كلمة «أعني» بيان للمعهود، لأنه لا يصحّ تفسيرك للمعهود بذلك التفسير إلاّ إذا كان الله يعني ذلك المعهود، ولا يصحّ ذلك إلاّ بدليل، ولم تأت به.

وأما قولك في صدر الجواب: «عرفتَ بعض الشيء وغابتْ عنك أشياءُ» فإنّ القارئ يعلم قيمته عندما يقرأ بيانه لما غاب عني، إذ بينما هو ينتظر بيانًا جِدِّيًا وكلامًا مفيدًا إذا بالحافظي يعيد نفس ما في المقال المنقوض، قبّح الله اللّجاج.

سمع الحافظي قول القائل: «عرفتَ شيئًا وغابتْ عنك أشياءُ»، فأقحمه في كلامه من غير مناسبة، وتلك عادته فيما يحفظه، لا يبالي أيتّفق مع غرض الكلام أم لا.

٢٣ ـ بعد أن فسّر الحافظي بما نقلنا لك لفظه وأريناك ما فيه، قال: «بدليل أننا لا نجوِّز ذكاة مستحلّ الميتة منهم إلاّ بحضور المسلم».

فقلنا له: كلامنا في غير مستحلّ الميتة، وهو كلام من الوضوح بمكان، ولكن الحافظي ذهب عنه رشده، فأبى إلاّ أن يعلّق عليه بكلام مغلق خال من المعنى.

ونحن ننقل للقارئ هذا التعليق جميعه ونصّه:

«فلو كان الحال كما تفرض وتزعم لكان الواجب عليك أن تبادر بالردّ على جمهور الفقهاء أو على الأقل على الذين يقولون بحلّية الطعام، كنت تفهمهم بذلك الفرض الذي تفرضه مغالطةً لكافّة العلماء، محاولةً منك تصحيح كلام ابن العربي، هيهات وألف هيهات».

انظر ـ أيُّها القارئ ـ هل لهذا الكلام محصّل؟ ولعلّك ـ إن كنتَ مثلي من أهل

الظاهر ـ تحكم بأنه هذيان محموم.

٢٤ ـ وأعقب الحافظي ذلك الدَّليل بآخر فقال...:

«وبدليل عكس القضية وهو أن طعامنا لا يكون حلالاً لأهل الكتاب إلاّ إذا كان مشروعًا. وأمّا ما كان غير مشروع كالميتة فلا يكون حلالاً للكتابي، ولعل شيعة ابن العربي يسلّمون حكم العكس، وإلاّ لزمهم أن الشيء الواحد كميتة المسلم يتّصف بالحرمة والحلال، وهو تناقض، وغير وارد في الشرع الإسلامي.

وإن فرّقوا بين طعام المسلم وطعام الكتابي بأن جوّزوا ميتة الكتابي للمسلم وحرّموها من المسلم على الكتابي يردّ عليهم أن هذه تفرقة من غير فارق في الآية، وأنه تحكّم، فلم يجروا على قوانين الاستدلال، فليلزمهم بطلان مذهبهم على جميع التقادير...!».

وهذا كلام ـ على طوله وإتعاب صاحبه نفسه في استحضار المصطلحات المنطقية ـ عديم الفائدة واضح السقوط، لأنه تجاوز إلى التحكّم على الكتابيين فيما يباح لهم، فمن أين للحافظي أنّ ما يباح لنا من طعامهم هو ما يباح لهم من طعامنا؟

إنَّ مصدر الإباحة مختلف: فنحن نستبيح ما أباحه لنا كتابنا، وهم يستبيحون ما أباحه لهم كتابهم، ضرورة أنهم لا يؤمنون بكتابنا، ونحن نرى ما في كتابهم منسوخًا بما في كتابنا.

فقوله: لا يباح من طعامنا لأهل الكتاب إلاّ إذا كان مشروعًا: إن عنى مشروعًا عندهم فهو مسلّم، لكن لا يجديه ذلك في غرضه شيئا؛ وإن عنى مشروعًا عندنا فغير مسلّم لأنهم لا يؤمنون بشرعنا.

ولا يلزم من عدم تسليم حكم العكس تناقض، فالشيء الواحد يتّصف بالحرمة والحلال بالنظر لاختلاف الأديان، وهذا كثير، لا يسع الحافظي جهله أو العناد فيه.

هذا إذا نظرنا إلى عموم الكلام، أما إذا نظرنا إلى خصوص المثال، وهو الميتة، فقد علمت أن ذلك خارج عن الموضوع.

ولما رأينا هذا الكلام لا محصّل له لم نتعرّض لنقضه في المقال الأوّل؛ إلاّ بصفة إجمالية، ولكن الحافظي يريد أن يعطي مقاله صبغة وقيمة فكرية، بثرثرته وصياحه، فأخذ يتبجّح بأنّا عجزنا عن نقض فصله هذا، وهو فيما أتى به من ألفاظ العجرفة يؤكّد عدم حيائه، وأنه ليس له عقل يعقله عن القول القبيح، ولا علم يميّز به بين الفاسد والصحيح، فسبحان من خلق الأشياء أنواعًا، وجعل بين بعض أفرادها صلةً في العقل والخلق.

٢٥ ـ ذكر الحافظي من حججه الدامغة على حرمة ذبيحة الكتابي: أنهم بدّلوا وغيّروا، ولما نقضنا له هذه الشبهة وأثبتنا جهله بكلام العلماء في ذلك لم يستطع أن يجيب عن نقضنا بشيء، وأراد أن يستتر من فضيحة العجز بما هو أقبح، فتعلّق بقولنا:

«فإن كان علم طعامهم لا يتوقّف عن سؤالهم ـ كما نرى ـ فذلك ظاهر، وإن كان يتوقّف عن سؤالهم فالله هو الذي أحالنا عليهم».

اختصر كلامنا هذا اختصارًا مخلاً ثم قال:

«أما أنك لا تراه (سؤالهم) فقد أحسنتَ بمتابعتنا هذا».

هكذا تراه يقول: أنّنا تابعناه أو رجعنا إلى قوله، وهو مرض عضال تمكّن منه،

عافانا الله وإيّاكم.

ثم قال: «وأما قولك: فالله هو الذي أحالنا، فمغالطة وسفسطة سرت من الغرض الفاسد، وما انبنى على الفاسد فاسد طبعًا، لأن الشارع قد نهانا عن السؤال صراحةً، فكيف بعد هذا يقال إنه قد أحالنا؟».

وهذا كلام فاسد مختلّ، سرى إليه الاختلال من اختلال عقل صاحبه.

الله كما نهانا عن سؤالهم أباح لنا ذبيحتهم، فإن كنتَ تؤمن ببعض الكتاب وتكفر ببعض فلا شأن لنا بك، وإن كنتَ ـ كما هو المظنون ـ تؤمن به كلّه مثلنا فاجمع بين الدليلين بما هو خارج عن موضوع النزاع، وانقض جمعنا حيث كبر عليك التسليم به.

وإني لا أكلّفك ما لا تطيق، فلا أطلب منك إبداء وجه للجمع ـ خلاف وجهنا ـ من فكرك، بل أكتفي منك أن تنقل لنا عن أئمة التفسير ما يدلّ على التعارض بين آية الطعام وما ورد في النهي عن السؤال، وكيف جمعوا بين ذلك.

وقولي: «الله هو الذي أحالنا عليهم» إلزام للخصم، فإنه حيث جعل علم طعامهم يتوقّف على سؤالهم يلزمه أن يبيح سؤالهم، إن كان يؤمن بالآية، وليس معنى ذلك أنني أقول بسؤالهم والرجوع إليهم في شؤون ديننا.

هكذا يُفهم الكلام، وهكذا يُبحث فيه، وكنتُ أظنّ أن الحافظي يفهم الخطاب ويحسن ردّ الجواب، فكان هذا سوء ظنّ مني، ومُنيتُ برجل لا يعي ما يقول ولا يفهم ما يُقال له ولا تسمح له عظمته التي يحلم بها بالرجوع عن غيّه.

ومن البليّة عذلُ من لا يرعوي عن غيّه وخطابُ من لا يفهم

٢٦ ـ أبطلنا ما تعلَّق به الحافظي في بعض حججه من تبديل أهل الكتاب، وبيّنا أنها شبهةٌ قديمةٌ أجاب عنها المتقدّمون، ثم قلتُ:

«فالمسألة مفروغ منها منذ أكثر من ألف سنة».

فنقل الحافظي هذه الفقرة كمسألة مستقلّة، وتكلّم عنها بما يدلّ على أنه فهم المسألة بمسألة الذبائح مع أن سياق الحديث لا يدع احتمالاً في أنّها مسألة تبديل أهل الكتاب.

وترديده في بيان معناها كلّه حشو، لا معنى للاشتغال بردّه.

ولولا قصور هذا العلاّمة... في الفهم أو عجزه في الانتصار لباطله لَتعرّض لشبهة التبديل من أصلها، وعارض كلامنا فيها، ولم يلبّس على القارئ بجعل تلك الفقرة مسألة مستقلّة، وتحريفها عن معناها. وما هو بأوَّل مَن حرَّف الكلم عن مواضعه.

٢٧ ـ استدلّ الحافظي على حرمة ميتة الكتابي بكلام «المدونة».

فقلنا له: ابن العربي مع مالك في ذلك، ونقلنا له كلامه في «الأحكام».

ومع ذلك أصرّ هذا الرجل على دعواه مخالفة ابن العربي لمالك في ذلك، وأبى إلاّ العناد والمكابرة، كأنه يرى في اعترافه بخلطه ورجوعه إلى الصواب نقصًا في عالميته وحطًّا من أزهريته ونقصًا في مبالغته في علمه: «العلاّمة».

كان على الحافظي ـ وهو أصولي، منطقي، فلكي، اقتصادي، خشّاش في كلّ موضوع ـ أن يبدي لنا الفرق بين كلام «المدونة» الذي نقله وكلام «الأحكام» الذي نقلته، ولكنه تنكب ذلك لعدم إمكان الفرق، وأحسن، وحاول ذرّ الرماد في عين الحقيقة بكلام سمج، وأساء.

لو كانت الحقائق تجلى بمثل قولك يا حافظي في هذا الموضوع: «لو كان في

الإمكان أن تجمع بين سواد الليل وبياض النهار... إلخ» لكان يكفينا في نقض كلامك أن نقول:

لو كان في إمكانك أن تفرّق بين الحافظي والعجز والذبذبة والثرثرة والحماقة لسنا لك الفرق بين كلامي «المدونة» و«الأحكام»، أما وأنتَ لم تستطع ذلك، ولن تستطيع، ولا قاربتَ أن تستطيع؛ فخيرٌ لك أن تسلّم لمن استطاع الجمع، وتبحث عن موضوع آخر تستطيع الكتابة فيه:

إذا لم تستطع شيئًا فَدَعْهُ ... وجاوزه إلى ما تستطيعُ

٢٨ـ أفتى ابن العربي بحلّية الدجاجة يفتل عنقها النصراني، واعتمد في فتواه على أنها من طعامهم، ورأى أنّ فتل عنق الدجاجة من أنواع ذكاتهم، وأكّد فتواه بقياس طعامه على ما يؤخذ من نسائه في الصلح قائلاً: «والأكل دون الوطء في الحلّ والحرمة».

فأبى هذا القياسَ الحافظي معتلاً بأنّ علّته غير مطّردة بدليل أنّ هناك ما يأتيه الكتابي ولا يحلّ لنا إتيانه كالميتة، فبنى فساد العلّة على أن مالكًا يرى حرمة ميتة الكتابي، وابن العربي لا يراها، وقد بيّنا هذا الموضوع في نقضنا الأوّل، ولكن الحافظي لا يقنعه ذلك شيء، فعلّق على كلامنا ذلك بكلام يدور على تشدّده وعناده في أنّ بين مالك وابن العربي خلافًا في ميتة الكتابي، ويقول: «تقدّم ردّ هذه الموافقة مرارًا» والواقع أنه لم يتقدم له ردّها ولو مرّة واحدة، وإنما تقدّم له عدم قبولها، وليس ذلك ردًّا، وإنّما الردّ أن يبدي وجه الفرق بين كلامي «المدوَّنة» و«الأحكام».

وبعد هذا يدّعي أنّ في كلامنا تناقضًا وأنّا قرّرنا كون مفتولة العنق من طعام أهل الكتاب، وأخيرًا قرَّرنا أنها ليست من طعامهم، و هو افتراء محض من «حضرة

العلاّمة»، أعاد الله عليه رشده.

في أيِّ موضع قرّرنا أن مفتولة العنق ليست من طعام الكتابيين؟

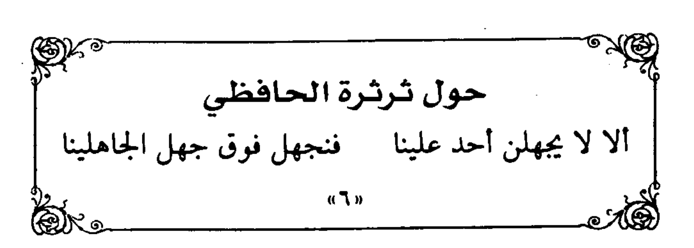
وَلِمَ لَمْ تنقل لنا العبارتين المتناقضتين؟

أتريد أن تدّعي ذلك من غير بيان ويسلّم لك؟

الواقع أنه لا يوجد في كلامنا تناقض وهو يعرف ذلك، وإن توهّم التعارض فإنما ترك نقل محلّه خشية الافتضاح بوضوح جهله بمقاصد الكلام، ولكن هذا الرجل المغرم بنفسه لا يحسن ستر جهله وبساطته، فلا يتبجّح في موضوع إلاّ افتضح واتّضحت عامّته التي يتبرّأ منها ويلصقها زورًا بعظماء الرجال[1].

(لها بقية) مبارك بن محمد الميلي

(١) «الشهاب»: العدد (١١٥) الصادر يوم الخميس ٢ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ، ٢٩/ ٩/ ١٩٢٧م.



حول ثرثرة الحافظي

الا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

«٦»

٢٩ ـ «ولما انتهى مما شاء وشاء له قلمه وضميره رجع أخيرًا إلى موافقتي بتحريم جميع ذبائح أهل الكتاب الواردة من أوروبا ولم يخالفني في شيء منها.

ولعل القارئ يلاحظ عليه أنه من حيث أراد معارضة الأدلة الحافظية أن لا يسلم النتيجة، ومن حيث أنه سلم النتيجة أن لا يعارض في أدلتها، هذا هو سبيل المناظرة المعقولة وخلافه مشاغبة وتمويهات وسفسطة وجدال بالباطل».

نقلنا للقارئ هذا الهوس على طوله لأن صاحبه جعله زبدة المناظرة بيني وبينه. وقد اشتمل على نقطتين بيضاوين في عيني النظر الحافظي:

أولاهما: أنني رجعتُ أخيرًا إلى موافقته، وقد تقدّم له مثل هذا التبجّج، وعلمتَ كلامنا عليه؛ وسمّى أهل أوروبا اليوم أهل كتاب، وقد علمتَ من مقالنا الأول أنهم ليسوا أهل كتاب لإلحادهم إلاّ القليل، وقد فهم ذلك الحافظي من مقالنا، ولكنه تعامى عنه توسّلًا لتنقيصي ورفع مقامه، غير أنه ـ كما قلنا ـ لا يحسن ستر أغراضه الفاسدة ويفضح نفسه بنفسه.

انظر أيها القارئ كيف سمّى أهل أوروبا اليوم أهل كتاب، وحمل كلامي على مقتضى تسميته مع تصريحي بخلاف ذلك ليبني من هذه الأوهام صورة التناقض الذي يزعمه في مقالي.

يفعل هذا ثم يصرّح في ردّه على أبي يعلى بنفس ما صرّحتُ به، إذ يقول في «وادي ميزاب» عدد (٤٧): «ولا أسمّيها بذبائح أهل الكتاب لأن الأوروبيين الآن لم يبق لهم أدنى تمسك بكتابهم بل نبذوه نبذ النواة».

أليس هذا قولنا سابقًا بالشهاب عدد (١٠٣) بعد كلام: «والإسرائيليون والمسيحيون أكثرهم اليوم ألحدوا، وليس لهم من الانتهاء لنبيهم إلا التأريخ بالميلاد مثلا»؟

هكذا يبحث الحافظي، وهكذا ينتصر لنفسه، وهكذا يؤدي الأمانة، إن الله لا يهدي كيد الخائنين.

وبعد، هل أقول: إن الحافظي رجع إليّ، وحرّر موضوع النزاع بينه وبين أبي يعلى من كلامي؟ لا أقول ذلك، وأَكِلُ الحكم للقارئ.

ثانيتهما: أنني لما رجعتُ إلى موافقته كان عليّ أن لا أعارض أدلته... إلخ.

هذه النقطة مبنية على تخليطهِ بين طعام الكتابيين وطعام الملاحدة، وقد أعربنا سابقًا عما بينهما من الفرق، وهو في غاية الجلاء، وإن كان الحافظي أنف من الاعتراف به، ولم يسنح أخيرًا بالاعتراف منه.

على أنني لو كنتُ متفقًا مع الحافظي نابذًا ـ لا قدر الله ـ لآية الطعام لم يكن ذلك بمانعي من مناقشة أدلته، فإنه لا يلزم من تسليم الدعوى قبول الدليل، إذ الدعوى قد يكون لها مسلك آخر في الاستدلال غير مسلك المدعي.

فالحافظي يرى أنه يلزم من إنكار الدليل إنكار المدلول، ولكونه علاّمةً أصوليًا منطقيًا يلزمنا أن نسلّم له رأيه، غير أن هذا التسليم يأباه الإمامان الغزّالي والرازي وغيرهما ممن قرر قاعدة: «لا يلزم من بطلان الدليل بطلان المدلول».

٣٠ ـ وملخّص ثرثرة الحافظي التي يدّعي أنها علم، وأن الكُتاب يعجزون عرفت[1] شيئا منها، وتحملنا سماجتها فأريناه قيمتها، ملخّص هذه الثرثرة ما يلي:

١ ـ قدحه في ابن العربي والجصّاص، وثلبه لشخصي. وهو مقصوده الأهم، ولذلك أكثر من السباب الصريح القبيح.

٢ ـ مدحه لنفسه، وهو لا يقلّ عنده في الأهمية عن ثلبه لي.

٣ ـ تحريفه لنقط في مقالي الأول عن قصد أو سوء فهم، وعلى هذه النقطة ينطبق عنوان مقاله: «أغلاط في الفهم وسوء الظن» وإنما زاد غيرها من النقط لأنه خشّاش في كلّ موضوع، فسرقه الطبع وجمع مواضيع تحت عنوان موضوع واحد.

٤ ـ غلطه في نظرياته على قلّتها، وجرأته على إبداء النظر وهو ضعيف الفكر أنه «صاحب التوقيع».

وقد توارى قلمه أمام كثير من حقائق مقالنا فلم يعترف بها، ولم ينفق عليها شيئا من بضاعته: بضاعة التحريف والتشويه للمعاني والألفاظ والأغراض، فبقيت تلك النقط ناصعة البياض في جبين الحقيقة، لم تحتج إلى أن نغسل عنها وضر القلم الحافظي.

هذا؛ وإن القضية: قضية الشحوم الأوروبية، فكان يكفي ـ كما قلنا سابقًا ـ أن

---

(١) كذا الأصل!

يبحث في حكم ذبائحهم، وهل هم أهل كتاب أم ملاحدة؟ وحكم كلٍّ معلوم.

ولكن الحافظي خلط في البحث، وتعرّض لحكم ذبائح أهل الكتاب المتمسكين بكتابهم، ولم يفصل تلك الذبائح من ذبائح أوروبا.

وما طالت المسألة هذا الطول وكثرت فيها النقوض والردود إلاّ من حيث التخليط بين ذبائح الفريقين.

ولولا ذلك التخليط لكان يكفي للجواب عن المسألة أسطر قليلة. وقديمًا قيل: «العلم نقطة كثّرها الجاهلون».

ولا مكثّر لهذه النقطة في هذه المسألة غير الحافظي، حيث جاء بتلك الشُّبه العشرة وتعصّب لها تعصّبًا أعمى، وبالغ في تبجّحه بها على سقوطها حتى كاد يقول: «إنه موسى جاء بالآيات العشر»، يحاول بذلك أن يبطل حكم آية الطعام حتى طمع أن يعضّ بأنيابه كلّ من عضّ عليها بالنواجذ، فعضّ على لسانه وغصّ بِريقه، وتلك عاقبة كلّ معتد أثيم.

٣١ ـ وبعد أن أجهد الحافظي فكره في اختلاق شتمنا وتشويه الحقائق زاعمًا أن ذلك علم، استشعر أن القارئ يفطن لبعد أسلوبه عن العلم، فاعترف من نفسه ـ عملاً بالمثل: «بيدي لا بيد عمرو» ـ بأنه لم يأت في رده بِشيء، واستحى أن يصرّح بذلك تصريحًا فأومأ إليه إيماءً حيث أحال القارئ على مقاله «بوادي ميزاب» ونقضي «بالشهاب»، ورأى أن ذلك كافٍ في استجلاء الحقيقة.

وأنا أوافقه على كون ذينك المقالين كافيين في الموضوع، وإن كانت عظمته تسمي ذلك رجوعًا إليها. وذلك أن المسائل العلمية متى اشتبكت بمسّ الأعراض

صعب على أكثر القراء تمييز جِدّها من هزلها وواقعها من تهكّمها.

وقد أسلفنا عذرنا في كون مقالنا هذا مشوبًا بها الأَولى تجريده منه بأن الحافظي هو الذي تعدّى على عرضي وجهر بالسوء من القول وأكثر في ذلك. وسمىّ أسلوبه هذا علما!

فاضطررنا لمجاراته في ذلك وإن كنا خالفناه في قالب القدح حيث أن أسلوبنا ألطف من أسلوبه، وخالفناه أيضا في أنا لا نستخفّ بالقراء فنسمّي لهم الهزل جِدًّا والقدح عِلمًا، بل كتبنا ما كتبنا مخلوطًا بالعلم وغيره، وعليهم فرز ذلك، ومسؤولية أتعابهم محمولة على كاهل الحافظي.

وبعد؛ فإن بقي الحافظي على اكتفائه بمقاله الأول ونقضي له فذاك، وإن استحب العمى على الهدى واختار أن يعود فهو مخيّر بين شيئين: إمّا الاقتصار على الوجهة العلمية وتطهير قلمه من مسّ الأعراض ولو إيماء، وإما أن يجري على عادته، و نحن ـ على كلِّ حالٍ ـ نعاملُه بما عاملَنا به.

قالوا الطعان فقلنا تلك عادتنا أو تنزلـون فإنّـا معـشر نُـزُلُ

وإني أعتقد أن الحضرة لا تغضب من مقالنا هذا وستظل به راضية، لأن ما فيه من تهكّم أو مسّ لها قد رضيت أصرح منه لنا، والحضرة كاملة الإيمان فهي لا تخالف قول رسول الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

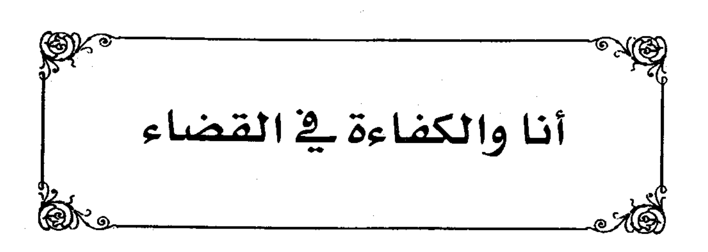
فنحن إنما كلنا لها بصاعها، فإن أربى كيلُنا فذلك من حسن القضاء[2].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) أخرجه البخاري (١٣) عن أنس رضي الله عنه.

(٢) «الشهاب»: العدد (١١٦) الصادر يوم الخميس ٩ ربيع الثاني ١٣٤٦هـ ٦/ ١٠/ ١٩٢٧م.



أنا والكفاءة في القضاء

يوصف للإنسان رياض فتعجبه ويحبّذ الدخول إليها؛ لينعم بصره بمنظر نضير ويشم العطر الصاعد إلى الجو من الأنوار المختلفة وانتشاق الهواء النقي المجتمع مما تنفست به تلك الأزهار الطيبة فيعرف حياة جديدة ويتمنى المكوث هناك فيستعمل مع حارس أو حُراس الرياض كلّ الحيل ويضرب دفتي دماغه لإخراج وسيلة كيفما كانت دنيئة أم شريفة.

وعند قبوله يصبح من مألوفي الروضة الغناء ويطفق في تسميم طقسها بنفثاته، فللحال تكسب عددًا سرمدًا يهجرها الناس لنقص بهجتها خوفًا من سريان المرض بطريق العدوى.

وإذا نصحت للعليل بمداواة نفسه حذر الخطر الفتاك ناصبك العداء وانتظر سنوح الفرص المساعدة لاستعماله عوامل الضغينة للانتقام، ملزمك بذاك احتمال السكوت أو الاعتلال بعلته وإلا فيبقى رافعا يد التهديد فوق رأسك.

ذلك ما نشاهده الآن بالوظائف إذا اعتنقها غير كفء فيوسعها تعقيبًا ذريعًا بين الخبط والارتباك مثلما نراه اليوم في بعض الأفراد منا بالانضواء تحت ألوية

القضاء حالما يباشرونه يستعبدهم حب الدرهم ويسير بهم حيث شموا رائحته مستعيضين شرفه ونضارته بثمن قليل، غير مكترثين بتشويه سمعته، معتلّين بفساد الزمان وقرن الرابع عشر المولّد حتماً للفجور والخبائث.

وهنا يذهب بي العجب مذهبه لسماع سخافة هاته الحجج الواهية والأقاويل الفارغة، ويستنطقني:

يا للعار ويا للفضيحة!

فالزمان باق على مجراه ولم يحد قيد أنملة عن سيره الطبيعي.

الفلك لا زال يدور دورانه، والشمس ما برحت تشرق، والأرض ما انفكت تنبت ما يودع فيها.

فلا أوافق على فساد الزمان إلا في وجهة أن القوس لم تعط باريها، والتطفل على موائد الوظائف قد تفاقم وتجسد مجد فخارت قوى المنتقد وانهار أمامه سد رجاء رجوع المياه لمجراها وصيَّر في نعوت الكفاءة في خطر.

هذا عين اختلال نظام المحاكم الشرعية واعتلال أسسها إلى أن بلغ التقهقر بالقضاء موقفا لا يروق في عين ذي الإمعان والتمحيص، خصوصا لعاشق الترقي والسير إلى الأمام.

وهو ـ أي القضاء ـ في انحطاط محسوس كاد الفناء يتسرب إليه من عدة أوجه مثلما تصيب الأَرَضَةُ الشجرةَ فتأكلها رويدًا رويدًا إلى أن تسقط من عال.

ولا زالت العجم تتوالى عليه من آونة إلى أخرى وعدم التلاقي لا شك بسبب إخلاء بنيانه أقله لا تبقى فيه، لا المحتالة الموصوبون بل المصابون بالترامي على

أعتاب التعدي.

وهذا هو السبب الرئيسي[1] في قلة الاعتناء بالفقه.

فإذا كانت الأحكام مبرمة على نصوص بابها الورق وفصولها النهب، وكانت النتيجة سليمة يوم الاستئناف، لماذا وربك يحفظ الفقه؟

وأنى يكون استعماله حيث أن الأغراض آبية والجهل مانع؟

مثل ذا فهم بعض...[2] القضاء وغيروا معناها بتسميم جوِّه وصيروا سماعه وجورا ونقلا على الأذهان.

انظر صاح الجرائم التي جرَّت إليه وأحالته غير صالح للتنفس حتى تدحرج عن موقعه كل مستطيب المقام ونالته الأسقام بطريق العدوى.

وربما بعث الله مرشدا للمفسد يشير له بالإقلاع عما يخشى فيه وإعطائه سيء المثل، أزبد هذا وأرعد وتطاول بأنه حوالي القبة الزرقاء، وأقام له بالتالي عده المراصد بمعابر شتى، وإذا قصه قال: «الآن شفي غليلي وقضيت (لا قدر الله) على هذا الرقيب المفسد لعواقبي»، بيد أنه يتغافل أن سريع الحساب لا بدّ آخذه إلى المحكمة النهائية كي يحاسبه ـ وأيّ حساب ـ على أموال الأيتام التي طالما أجهد نفسه لازدرادها، وتغالى في استنباط منافذ يأخذ منها ما استطاع لترضية شهوات أفلاذه المارقين، أقبح بهم من أفلاذ!!

هذا ناجم بلا مراء عن الجهل: المتراكمة غيومه، المدلهمة بالأذهان، الذين

---

(١) كذا في الأصل!

(٢) كلمة غير مفهومة في الميكروفيلم.

يرون أن الوظيف موقف كل أحد حتى الأجلاف. ولا يحسنون إلا قول: «أنا حكمت عليك ومجلس الاستئناف أمامك!» مع صبابة تعبر عن النزر اليسير من قواعد الفقه المحجوبة بسياج الأغراض.

قاتل الله الأغراض إذ لولاها لسهل بيان الخبيث من الطيب، ولاتضح الحق أبدًا ولتيسر الفقه أن يحمي حظيرة المحاكمين بمجموع قواه دون أدنى تريث، حالما تألقت أشعة العدل وظهر وجه الصواب.

وبالتالي أصبح أساس الحكم محكمًا لا يقبل رخوًا عند لمسه، ولا تشقيقًا عند قراءته.

نعم، تأبى المكاسة ـ سلاح المرتفعال والأشلّ ـ استعاضها بسمر الحصانة والاقتدار ما دام القطاري راضيا بها ولم يشمر عن ساعد الجد بطلب بدلها شحذ الأسلحة لتصفية راحة القضاء الإسلامي وإظهاره نقيا تفنيدا لمن يراه ركوه للمرتفع والطقاسة ويصوّح نحوه سهام الطعن ثم يتلو عليه آي الانطماس (لا قدر الله).

ناسيا أو متناسيا أن القضاء أعلى وأشرف المراتب في الإسلام لا يست محبته إلا النطاسي الكمي العارف لقواعده وذو همة لا تفشل لمرأى الدرهم أي لا تشوبها شوائب التدنيس والطمع في تشييد القصور أو شراء بعض الهكتارات.

وبعبارة أخرى: فالولاء لا يكفي لفاسد المزاج، خفيف الاستعداد.

إذًا فالعذر يعزو للمشخص والذنب على كاهله إذا لم يحسن أداء وظيفه، ولا عذر له إذا كان جاهلا لما له من مندوحة الانسلاخ الكلي عند وشاية في الأرض عن مهنة هو كفء بها فتزجه على منصة القضاء إذا لم يستكمل فضائله يعد شامة التعدي في عده القضاء تشير إليه الفضيلة بسخرية.

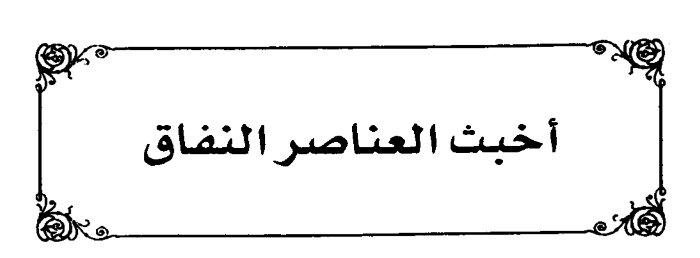
فبالكفاءة تعتدل الأمور وتحسن الإدارة وتنقص الشكاية.

والمرء إذا كان عبدا لعمله حق له الثناء، وكان به جديرا[1].

الهلالي

---

(١) «وادي ميزاب»: العدد (٧٣) الصادر يوم الجمعة ١٦ رمضان ١٣٤٦هـ ٩/ ٣/ ١٩٢٨م.



أخبث العناصر النفاق

يكتب المرء ـ وهو مناف أو موافق للدواعي ـ موضوعه آتيًا بالبراهين الدامغة إثباتًا أو هدمًا لما يقدّمه للقراء.

كثيرا ما شنَّف سماعي بآيات الإيمان ودلائل الأخوة، فكدت أطير فرحًا وصفقت يدي الاستحسان والتهليل لظفري بهذا الطائل الثمين المؤكد لي ما تناولته عن أساتذتي، فهششت وبششت لمرأى كل حامل لباب عربي وأفضيت له بخيرة أسراري، ظانًا بل موقنًا أنني مُنَاجٍ أخًا لا أوجس منه خيفة مستقبلا، وهو ينصح لي ويوازرني عند مسيس الحاجة، فيهين منا أي مشروع كان.

هكذا تتبين محجّة الأخوّة لكلّ مسلم طبّق ما يسمعه من الناس أو من الدرس.

فبهذا الاعتقاد يدخل المرء باب الحياة وقلبه صاف وصدره رحب للتفسّح بأرجائها تارة والاسترزاق مرة أخرى.

ولكن بعد خُطى قليلة يستقبله أخوه في الله بمظاهر مصطنعة يصعب على الضمير حلها والاطلاع عما وراءها فيتمهّل رويدًا ثم رضوخًا لقانون الأخوة يصبو إليه بمنّة جهده، ويدري ما يجده بالطريق مبشرًا لتوخي سبيل المواصلة تجاه هذا

الأخ مطمئنا له، بقول «بطاقور» ذاته في جسم آخر فتجمل معه المفاجأة ويحسن تبادل الآراء حتى أبغضه دون أدنى تأول بسيء العاقبة.

يلبث قليلا ثم يحس بِلسعاتٍ أفعوانية تواصله قطرات السم بواسطة أنياب خفية يخفف ذاته فيرتاح منها تنفيذًا لإرسالية وإحساساته الذَّاتيَّة في شرايين البغضاء والنِّفاق.

وعند تفطن المقدور بالأخوة الأفَّاكة يصرح المنافق: وا أسفاه! وا ويلاه! رافعًا -بصوت مهتاج- يديه إلى السَّماء، مبرِّرًا نفسه ومتحسِّرًا بلهجة حارَّة لضربات أخيه في الله.

ثمَّ يمكث ساعة أو سويعات على هاته الحالة، ويلتفت لضرب صدره استعدادًا لأخذ الانتقام لأخيه المغرور، وردِّ كيد العدوِّ في نحره، موهمًا أنَّ مصوّر الضَّرب مجهول، ويجهد نفسه في إخفاء إدانته بسدل كلل إخلاصه والتَّذكية الجوجاء، وذلك لتفرسه في إعطاء السُّمِّ بِيَدٍ، والتَّظاهر بالمداواة بيدٍ أخرى لصورة يبهم حتى على النطاسي مفعل الإحقاق والتَّمحيص.

وبالبحث الدَّقيق والمتواتر تجد المنافق يستعمل خلَّته في صورة السِّياسة طلبًا في شهرة حذقه ودقَّة رأيه حُبًّا في الفسوق عن الأنداد وإعلانًا لراية العظمة.

وما ذلك في عين الكيِّس إلَّا وسيلة المتمرِّدين لرواج بضاعتهم بإعطائهم إيَّاها كساء السِّياسة الخلَّابة بدل الرَّفض الكليّ، وتحلِّيهم بحلل الصَّفاء. قد غلب على ساذجي الأفكار التَّحدُّث بفلاح هؤلاء السِّياسيِّين.

ولئن سألتهم عن شرح سياستهم المحبَّذة ساروا بك للحال إلى مواطن المواربة وحضوك على الاتِّسام بها رغم منافاتها للشَّرع والمروءة.

ترى بها وجهًا ضاحكًا صبيحًا فتركن إليها وراءها وجه كئيب بشرٍّ يتطيَّر منه،

ألا وهو النِّفاق الجسيم يلمس برمّة الرَّاحة.

وليس من السَّهل معرفة الخبث النَّفسي عدا المحنَّك؛ فإنَّه على بصيرة من إشراقه بمحيا مبطنة بتراء بعينيه لقول الإمام عليٍّ:

النفس تعلم من عيني محدّثها ... إن كان من حزبها أومن أعاديها

عيناك قد دلّتا عيني منك على ... أشياء لولاهما ما كنتُ أدريها

وهذا الوصف لا ينطبق إلَّا على من سخت أقدامه عن مواقف الإيمان، ألا وهم المتطربشون بالنَّهار، المتقنِّعون عند غروب الغزالة[1]، ولهم بصراحة وجهان لا يجمعونهما في آنٍ واحد، ذلك أنَّهم مع أرباب الطَّربوش ينتسبون إليهم، ومع أرباب القبعة يصطفون معهم كذلك.

نعم، هاتان مندوحتان وفِّقوا لستر عيونهم بهما واحدة بعد الأخرى، ولكن إن ألجأتهم الظُّروف إلى الاجتماع بهؤلاء وأولئك معًا كيف يفعلون؟

أيجعلون القبَّعة فوق الطَّربوش أم هذا فوق ذلك؟ أم الأولى دون الثَّاني؟ أم العكس؟

بهذا تساءلت مرارًا ولم تجد جوابًا مقنعًا لولا ظهور نفاقهم جليًّا وتمحيص الحقِّ فالسَّاعة يتطرق إليهم من عدَّة أوجه الذُّلِّ والانكسار من الَّذين لا يتزحزحون عن قدمهم الاعتقادي وتتبُّعهم عين الازدراء حيثما حلُّوا ونزحوا!

ومبعث محاملتي على كتلة المنافقين أنَّ كلَّ إرشاد ووعظ رغم خدمتها لا تزيدها إلَّا قرارًا ولجاجًا، إذ مطارحة أفكارهم السَّخيفة لا ترجى طيلة مدَّة العمر.

وإليك حكاية تنبئك كيف عرفت النِّفاق وما كنتُ أعرفه إلَّا رسمًا.

---

(١) أي الشَّمس.

ذلك أنَّ تلميذًا كان أثناء قراءته يتظاهر بإيمان تامٍّ ويمتثل غايةً للأوامر الشَّرعيَّة ويجهر بعدوانه لمن حاد قيد شِبْر عن طريق الشَّرع، فاكتسب حبًّا من مشائخه وتمثَّلوا لأقرانه بحسن سيرته مرارًا[1]، ناهيك أنَّهم كانوا في الامتحان لا يشدِّدون عليه لقربه من الصُّوفيَّة وغرّه يوم إتمام شبه معلوماته تطوّر من الحذاء إلى الطُّربوش ورفض بسرعة الأفكار العربيَّة وللِّباس معًا والمبرم بكد وهزج لملء جوفه بالأشربة المخمرة وأنَّه كاد يخرج عن دائرة الاستغراب حسب ما روي لي ـ والرَّاوي ذو ثقة تامَّة ـ نبذ جلباب رمضان العام الماضي، ولما أرشده إمام البلدة أجابه بغلظة: دعني من الحطب البالي!

هذا الَّذي أودى بثلاثة أخماس من شبابنا وأشربهم كراهيَّة الصَّراحة والسَّير على المرتضى.

ها هي مدح صحيفة النِّفاق بأتمِّ المعنى للمغفَّل المكسو عقله بغشاوة البَلَهِ.

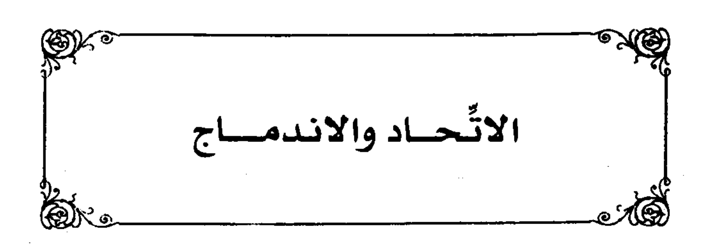
والَّذي يزيدني صراخًا هو عمل بعض الموظَّفين من المسلمين أثناء الحديث لا تسمع منهم إلَّا ما يسرُّك مِنَ التَّحلِّي بالعفَّة وعلوِّ الهمَّة، والتَّرغيب عن النَّقائص، ويحذِّرك من الوقوع فيها، خاتمًا أقواله بالحوقلة والعياذ بالله، ويجد ذلك من نفسه صورة صافية رقراقة تزيدك غبطة فيها، وإذا تراءت له أذناب «البي دي بنك» تنزع إلى أخذها ونزعها من ربِّها، خصوصًا إذا كانت بأيدي ضعيفي العقول الَّذين من سوء الحظِّ ساقته الظُّروف إلى محاكمته تحينًا بنبذ ثياب المرشد ويلبس بدلها ثياب المختلس، أليس هذا بنفاق!؟[2]

الهلالي

---

(١) في الأصل هنا: لأقرانه! ولعله تكرار.

(٢) «وادي ميزاب»: العدد (٧٨) الصادر يوم الجمعة ٢١ شوال ١٣٤٦هـ، ١٣/ ٤/ ١٩٢٨م.



الاتّحاد والاندماج

قد يخطر ببال المرء أحيانًا موضوع أو مواضيع للكتابة، يرى من الواجب عليه نشر ذلك للعموم، وقد يحول دون أداء هذا الواجب ما يشغل الفكر عن الوفاء به، فيقبر الموضوع أو الفكرة، وما أشدّ سرور المرء حينما يرى تلك الفكرة قد اتحد معه غيره فيها، ووفّق لنشرها.

ولقد كانت تخطر ببالي مواضيع تصرفني الشواغل عن إبرازها على صفحات الصحف، وقد أرى بعضها قد خطر لغيري أيضًا، من ذلك ما كتبته «المجلة الأهلية» عن «سي بن عليوة»، فقد خطر أن أعرّبه وأعلّق عليه، ولم تَدَع لي الشواغل إلى ذلك فرصة حتى رأيتُ الفصل معرَّبًا، ثم رأيتُ أخانا الكاتب المُجيد الشيخ السعيد الزاهري يريد التعليق عليه ويتربّص راحته، واليوم قد عوفي والحمد لله، فلم يبق له ـ في ظنّي ـ من مانع عن الوفاء بوعده.

ومن ذلك فكرة الاندماج، فقد لاحظتُ أثناء إقامتي ببعض المدن في عودي من ميلة إلى الأغواط أواخر جوان من السنة الماضية ـ أن هذه الفكرة أخذت تنمو بفضل جهود بعض نوابنا ورجالنا في السياسة! ـ.

وقد عاقتني العوائق عن إبداء فكري إذ ذاك في هذا الموضوع كأحد أبناء الجزائر الآملين لها خيرًا، وكدتُ أيأس من وجود فرصة لذلك؛ ولكن أبى اللهُ إلاّ أن تُنشَر هذه الفكرة على الوجه الذي أهواه وأرضاه، فقرأت في افتتاحية عدد (١٤٣) من مجلة «الشهاب» ما قرّت به عيني بيانًا لا خفاء فيه وحُججًا لا معارضة لها.

وكنتُ أظن أن دعاة الاندماج على علم بما يجري في الأوطان الأخرى من إعلاء شأن الوطنية، فهم يستحون أن يرفعوا أصواتهم أمام الأمم بكلمة الاندماج، وإنما يريدون نشر فكرتهم داخل الوطن الجزائري فقط، لا لكونهم معتقدين فضلها، بل لأنهم رأوها أقرب طريق لإعطاء الجزائر حقوقها من غير عناء يلحقهم ولا عراقيل يصعب عليهم تذليلها كما يفعل عظماء الزعماء من الشرقيين أولي المبادئ التي لا يريدون تعديلها وتقريبها من مصالحهم الشخصية.

كنت أظن ذلك حتى جاء العدد (١٤٧) من مجلة «الشهاب» يحمل مقالاً للسيّد زرقين يدافع فيه عن الاندماج ويبيّن فضله على الاتحاد، فعجبتُ لقوم يرفعون بمثل هذه النغمات في هاته الأوقات من غير أن يلتفتوا حولهم أدنى التفات...!

وعجبتُ كثيرًا من قول «الشهاب» الذي ما ربطنا به غير رابطة الصراحة والإخلاص، إذ جعل الخلاف بين ما نشرته المجلة وما نُشر بها للسيد زرقين خلافًا لفظيًا!

إن هذا القولَ يُعَدُّ في نظرنا خذلانًا للفكرة أو انهزامًا قويًّا أمام ضعيف!

ما الذي حمل السيد زرقين على أن يخالفكم في اللفظ، ويجعل كلمة الاندماج مكان لفظ الاتحاد، ويجعل الاتحاد مكان كلمة أخرى لا ندريها؟

ليس الخلاف ـ وربِّك ـ لفظيًا، ولكلٍّ من الاتحاد والاندماج معناه الخاصّ الذي لا يندمج في معنى آخر.

كان الأجدر بالسيّد زرقين إذ تحمّل تبعة التصريح على صفحات الصحف بهذا اللفظ المزري بالأمة الجزائرية، أن ينتقد فكرة الاتحاد بانتقاد حُججها التي ذكرتها المجلة، ولكنه تنكب هذا الصراط وأخذ يحاول إدماج معنى الاتحاد في معنى الاندماج، ويستدل لفكرة الاندماج.

وقد رأيتُ من تعليق المجلة على مقاله أنها لا تريد أن تناقشه في أدلته التي لا يصح شيء منها، فظهر لي أن أزيل غشاوة تلك الأدلة عن أعين القراء.

ولعل مناقشتي للسيد زرقين تبعث الكُتاب من أنصار الفكرتين إلى إبداء ما عندهم في ذلك، فإن صدق ما ترجيته فأرجو منهم أن تكون الكتابة عربية لأن المسألة متعلّقة بالأمة، ولسانها عربي، وأرجو أيضا أن تكون خاصة بإبداء الدليل والقدح في الدليل بعيدة عن الأشخاص، فإن ذلك مما يقرب أمد التفاهم ويفيد إحدى الفكرتين رجحانًا لدى الفكر الجزائري العام.

ادعى السيد زرقين أن سياسة الاتحاد قبرٌ لنا، وذلك لأن التمدن العربي الإسلامي مفقود من الجزائر، ولا يسعنا أن نبقى على حالتنا الحاضرة.

ونحن نقول: إن سياسة الاندماج هي القبر الذي لا نشر بعده، وفقد التمدّن العربي الإسلامي من الجزائر لا ينتج صلاحية الاندماج، بل يوجب علينا أن نسعى في إحيائه ونقله عن جيراننا وإخواننا أهل المشرق، وهذا التمدن الأوروبي الفرنسي الذي تراه لازمًا للأمة قد كان مفقودًا أيضًا من الجزائر، ولم يزل مفقودًا، فما الداعي

لترجيح تمدن بعيد عن دين الأمة وأخلاقها وعوائدها على تمدّن هو المتفق معها في كلّ ذلك؟

وكون الحالة الحاضرة غير لائق بنا البقاء عليها هو ما دعانا إلى التفكير في تغييرها، لكننا نريد أن تتطور بما يتفق مع ديانة الأمة، ولا يسلبها مميزاتها القومية.

قد يقال: إن في الرجوع للتمدن العربي الإسلامي وهو مفقود لدينا، بدلاً من الأخذ بالتمدن الأوروبي الفرنسي وهو بين أيدينا، عُدولاً عن السهل إلى الصعب وعن القريب إلى البعيد، ونحن نريد أن نأخذ حظنا من الحياة في أقرب مدّة وبأيسر سبيل.

ونحن نقول: إنّ قرب التمدّن وبعده ليس بالمسافة وإنما هو بالميل، والأمة الجزائرية لكونها إسلامية ولأكثرية العنصر العربي بها تميل إلى التمدّن العربي الإسلامي.

فوجود التمدّن الأوروبي الفرنسي بيننا لا يجعله أقرب إلينا من التمدّن العربي الإسلامي، وفكرة الاندماج التي ترونها أقرب طريق لرقيّ الجزائر هي في الواقع أبعد الطرق؛ لأن الأمة لا تميل إلى ذلك، وإن أكرهت على الاندماج من طرف نوابها وساستها ودلتها[1] زادت نفورًا من المكرهين لها ومن سياستهم، ولم تبق لها ثقة بهم وبأعمالهم، على أن الإدارات الجزائرية بعضها مدني وبعضها عسكري وبعضها مختلط، وفي الاندماج إسقاط للقسمين الأخيرين، فهل يعقل إسقاطهما من غير كبير معارضة ولا كثير نفخ وطبخ؟

والخلاصة أن سياسة الاندماج بعيدة في نفسها، بعيدة من الأمة، فهي سياسة عقيمة، والمنتصر لها غير حكيم.

---

(١) كذا، ولعله: دولتها.

ولو سعينا خلف التمدن الأوروبي والاندماج في الأمة الفرنسية - وقد أتينا ذلك أخيرًا - لبقينا دائمًا في مؤخرة الأمم الناهضة؛ لأننا نكون قد تمسكنا بتمدن في دور شيخوخته، فإذا جاء دور تمدن آخر لم نخرج من الأول إلى الثاني إلاّ وقد شاخ الأخير أيضًا، وهكذا دواليك.

والدَّليل على أن التمدن الأوروبي في دور شيخوخته ما جاء في مجلة «الزهراء» (٤/ ٥٠٩) قالت المجلة:

«تسود اليوم في أوروبا فكرةٌ خلاصتها أن أوروبا انتهت من تمثيل دورها التاريخي، وأنه لا يمكن قيام حركة جديدة بعد الآن إلا من الشرق».

ومن نظر نظرة عامة في أحوال المشرق والمغرب لم يَرْتَبْ في صدق تلك الفكرة.

شعر السيد زرقين بعدم ميل الأمة إلى الاندماج، فرجع إلى التاريخ القديم فوجد أسلاف الجزائريين به من البربر قد وافقوا على الاندماج، وصاروا في العصر الروماني رومانيين بكلّ معنى الكلمة، وبلغوا أن كان منهم أباطرة روما هم سبتمس سويرس وابنه قراقلا (سبتم سفار، كراكلا) ويوبا الأول وابنه يوبا الثاني.

ما كنا ظن أن مطّلعا على تاريخ الرومان مع البربر يقول: إن البربر صاروا رومانيين بكلّ معنى الكلمة غير لويس بيرتران الذي لا تخفى أفكاره على قُراء الفرنسية.

والواقع الذي يشهد له التاريخ الصادق أن البربر لم يتحدوا مع الرومان فضلاً عن أن يندمجوا فيهم، يشهد ذلك كلّ مؤرخ فرنسي غير لويس القرن العشرين...

أمَّا ارتقاء سويرس وابنه إلى إمبراطورية روما فقد كان في عصر الفوضى أيام

تحكّم الجنود في العرش الإمبراطوري، وصارت ترقي إليه من أعلى لها في المرتبات ونزل عند رغائبها، فليس في توليتها ما يدلّ على رومانيتها فضلاً عن رومانية أمتها.

بل إن بربريتها هي التي دفعتها إلى اشتراء ذلك العرش ليفيد أمتها البربرية، وفعلاً أفاداها بما هو مدوّن في التاريخ.

وأما يوبا وابنه فلم يتوليا عرش روما، وما قاله السيد زرقين غلط أو مغالطة، بل كلاهما كان ملكًا على أمته البربرية: يوبا الأول ورث ملكه عن أسلافه، وكان مستقلاً، وحارب عاهل الرومان الأعظم يوليوس قيصر(J.Sisar) حروبًا مبيدة، ويوبا الثاني كان تحت النفوذ الروماني وعاصمته شرشال.

وبعد، نقول للسيد زرقين: لو كان البربر صاروا رومانيين ما اندمجوا من بعد ـ على دعواك ـ في العرب، ولما كنت تطلب اليوم اندماجهم في الأمة الفرنسية.

ونقول لأنصار الاندماج: إذا كنتم ترونه السبب الوحيد للرقي فنبئونا عن الأمة التي اندمجت فيها فرنسا وسائر أمم أوروبا حتى ارتقت هذا الرقي، لعلكم إذا صدقتم التاريخ تجيبون بأنّ أيّ أمة ارتقت فبجهود العظماء المخلصين من أبنائها، فإن كنتم عظماء مخلصين فاعملوا لأمتكم بما يرقّيها في دائرة دينها وقوميتها، وإن كنتم عاجزين عن ذلك فدعونا من هذه الأفكار التي لا تزيدنا إلا ذبذبةً وشقاقًا، ولنتربص جميعًا حتى يمنّ اللهُ علينا بعظيمٍ مخلصٍ يخدم الأمة في دائرة دينها وقوميتها.

إنَّ الاندماج ـ كما قلنا ـ قبر لا نشر بعده، فالعاملون بسياسته عاملون على انقراضنا والتحاقنا بالأمم البائدة، ولم يبق لنا من وجود إلاَّ في صفحات التاريخ، ولا من ذِكْرٍ إلاَّ بأقبح ما يُذكر به المارقون من دينهم وقوميتهم.

فلنطهِّر عقولنا من هذه الفكرة التي تقضي على وجودنا وتلحق بنا سبّة الأبد وتضرّ بسياسة فرنسا خارجيًا، حيث إن الأمم التي يبلغها أن فرنسا تسعى لسلخ أمة تحت تصرفها من دينها وجنسيتها، لا تذكرها إلاّ بأقبح الذكر: فإن الأمم الأخرى تضنّ بجنسيتها ولا تجود بها مثل بعض شبابنا المدّعين للنهوض، وإن وجد من الفرنسيين من يعمل للاندماج فلم يرد بنا خيرًا أو يكون مخطئا وجه الصواب فردوا عليه رشده واسألوه:

لو وجد في عصر العرب بالأندلس هل يعمل لاندماج أمته في الأمة العربية؟

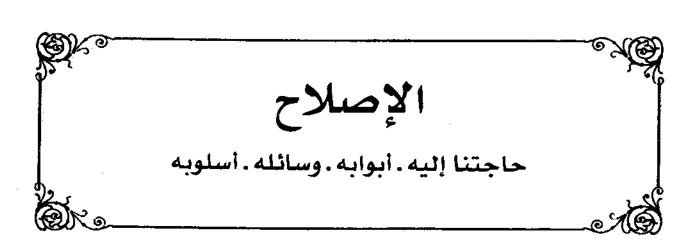
وهل أسلافه الذين تمسكوا بقوميتهم وأخذوا عن العرب وسائل رقيهم ـ هل هم مخطئون في سياستهم؟

إن البقاء على هاته الحالة التي نحن متفقون على مقتها خير ـ عندي ـ من الاندماج؛ لأنّ حياة منحطّة خيرٌ من ميتة شاذّة عن ميتة الأمم.

ولو أنّ المفكّرين في صالح الجزائر والعاملين لتطهير عقولنا من الأوهام يتفقون كلّهم ـ وهو ما لا يكون أبدًا ـ على فكرة الاندماج لوقفتُ في صفّ دعاة الجمود ونُصراء الخُرافات والأوهام، لأني أرى ذلك خيرًا من الاندماج.[1]

مبارك بن محمد الميلي

(١) «الشهاب»: العدد (١٥٢) الصادر يوم الخميس ٣ محرم ١٣٤٧هـ ٢١/ ٦/ ١٩٢٨م.



الإصلاح

حاجتنا إليه . أبوابه . وسائله . أسلوبه

الإصلاحُ دعوةٌ إلى نبذ الفاسد من العقائد والعوائد، وإرشادٌ إلى ما هو صالحٌ منها ليؤخذ به.

وغايته ترقية المجتمع في سُلَّم السَّعادتين الدُّنيويَّة والأخرويَّة.

وعقائد المجتمع أعمُّ من العقائد المقرَّرة في «الصغرى والوسطى والكبرى»، وعوائده أعمُّ من العوائد المقرَّرة في كتب العبادات.

الإصلاح الاجتماعي ذو مواضيع متعدِّدة بتعدُّد مناحي الحياة الاجتماعيَّة من دينيَّة وعلميَّة واقتصاديَّة وسياسيَّة، والحياة الاجتماعيَّة شبيهة بالحياة الفرديَّة من حيث عروض العلل لها وحاجتها إلى العلاج، لكن الحياة الفرديَّة يعالجها الفرد، والحياة الاجتماعيَّة تعالجها الجماعات، وإلى ذلك تشير الآية: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ...﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وعلاج الفرد على يد الطَّبيب، وعلاج المجتمع على أيدي مرشدين.

والفرد لاينفعه إلَّا علاج الطَّبيب العارف، فلو سلَّم نفسه إلى مدَّع بالطِّبِّ، جاهل به، لأضرَّ بحياته وزاد داءه قوَّة أو أحدث له علَّة أخرى، وكثيرًا ما ذهبت

عيون وشلَّت أعضاء بعلاج متطبِّب جاهل، وإذا كان الطَّبيب الجاهل يضرُّ المريض، فالمرشد النَّاقص يفسد المجتمع.

الإصلاح الاجتماعي ـ وإن كان متعدِّد المواضيع ـ ذو غاية واحدة وهي ترقية المجتمع حتَّى يكون طبقاته كأعضاء الفرد السَّالم من العلل والآفات.

وإذن لا تكون معارضة بين الجماعات القائمة بالإصلاح باختلاف المواضيع، فالمصلح الدِّيني لا يعارض الاقتصادي، وهذان لا يعارضان السِّياسي، كما لا تعارض بين الأطبَّاء المخصوص بعضهم بالجراحات، وبعضهم بالعيون، وبعضهم بالأسنان...

وهذه الحقيقة على بَدَاهَتِهَا قد خَفِيَت على بعض عقلائنا، ولعلَّ علَّة خفائها عنايتنا بالخلاف وتسرُّعنا في البتِّ والحكم.

أذكر أنِّي رأيت منذ أمدٍ مقالًا ببعض صحفنا لبعض محامينا بكى فيه ذهاب الغَيْرَة القوميَّة من شعبنا حتَّى أصبح الإسرائيليُّون يستخدمون بناتنا، ولا مهتمَّ لهذا الخطب، ولقد أصاب فيما لاحظ وأفاد، ولكنَّه رأى أنَّ من فصول هذا الموضوع الطَّعن في رجال الإصلاح الدِّيني، فأخذ يزدري عنايتهم بالبحث في العقائد والعبادات، وينعى عليهم عدم اهتمامهم بذلك الموضوع.

أمَّا أنا فأرى أنَّ الطَّعن في الإصلاحيِّين الدِّينيِّين بذلك لا يكون من فصول موضوع الكاتب إلَّا إذا كانوا هم السَّبب في جلب هذه المعرَّة، أمَّا وهم بُعداء عن جلبها بُعدًا لا يشكُّ فيه الكاتب نفسه، فالتَّعرُّض لأولئك الإصلاحيِّين إنَّما هو من عدم الفرز بين مواضيع الإصلاح وأبوابه على وضوحه.

الإصلاح الدِّيني ضرب من ضروب الإصلاح الاجتماعي ولكن له المقدمة عليها لكونه سببًا للسَّعادتين بخلاف بقيَّة الضُّروب فإنَّها قاصرة على السَّعادة الدُّنيويَّة، ولعلَّ أحدًا لا ينكر حاجتنا إليه فيدَّعي أن عقائدنَا سالمة وعباداتنا صحيحة، وإنَّ عوامَّنا لا يجهلون دينهم ولا يشتبه عليهم ما هو منه بما هو ملصق به، وأنَّ الخاصَّة منَّا وقدوة العامَّة من علماء وشيوخ زوايا بنجوة من البدع غير مقصِّرين في إرشاد العامَّة.

البصير المنصف لا يتوقَّف طرفة عين عن الحكم بانحطاطنا وفساد كثير من عقائدنا وبطلان طائفة من عباداتنا، ومن فاته إدراك ذلك تفصيلًا لم يفُتْه إدراكه إجمالًا، فإنَّ الأمَّة الصَّحيحة العقائد والعبادات تصدر عنها أعمال اجتماعيَّة صالحة، وشعبنا بمعزلٍ عن ذلك، سلَّمه الله!

الإصلاح الدِّيني ضروري لكلِّ مجتمع، فإذا كان الشَّخص لا يخلو من عوارض تضعف إدراكه أو تغيِّر مزاجه، فالمجتمع لا يخلو من عقائد وعوائد تحطُّ منزلته وتهوي به في درك الشَّقاء، وعلى نسبة ما يصيبه من فساد العقائد والعوائد يكون نصيبه من الانحطاط والتَّدهور، إن قليلًا فقليل، وإن كثيرًا فكثيرٌ.

ولعلَّ المجتمعَ الجزائريَّ أخصبُ المجتمعات الدِّينيَّة بفاسد العبادات وباطل الاعتقادات وأجدبُها من عقد صحيح وعادة حسنة، ولعلَّ السَّبب في خصبه بالفاسدات، والعلَّة في جدبه من الصَّالحات، غناه بشيوخ الإرشاد إلى الانحطاط الاعتقادي والعملي، وفقره من شباب الدِّعاية إلى التَّأخُّر الدِّيني والتَّقدّم الدُّنيوي.

والتَّأخُّر الدِّيني: الرُّجوع إلى ما كان عليه السَّلف الصَّالح.

والتَّقدُّم الدِّيني: مجاراة الجار في وسائل الحياة في هذه الدَّار.

الإصلاح الدِّيني ضروري للمجتمع الجزائري الَّذي تقدَّم في دينه فأسرع إلى كلِّ جديد مستحدث من البدع، وتأخَّر في دنياه فأخذ بكلِّ قديم بالٍ من الآلات والصَّنائع، سواء الصِّناعات العلميَّة والصِّناعات العمليَّة.

وليس من عذرٍ لرجال الدِّين من أبنائه في التَّقاعس عن الإهاب به إلى طريق الصَّلاح، إلى طريق الرَّشاد، إلى طريق السَّعادة!

قد يعتلُّ أحدنا بالدَّولة ولكن دولتنا لا دينية، فهي لا تتعصَّب لدين على دين، ولا تمنع قومًا من التَّفاهم في دينهم، والحريَّة الدِّينيَّة أوسع ما لدينا من ضروب الحريَّة.

وقد تعتلّ بالأمة بأنها شديدة التَّمسُّك بما توارثته عن أسلافها، ولكن نحن ندعوها إلى اتِّباع أسلاف أسلافها حتَّى تنتهي إلى صاحب الشَّريعة عليه الصَّلاة والسَّلام.

وأيضا لو اشتدَّت أمَّتنا في ذلك لكانت وارثة للشدَّة عن أسلافها، ولكان أسلافها متوارثين ذلك عن أسلافهم، وهكذا حتَّى تنتهي إلى السَّلف الصَّالح.

ولو كان الأمر كذلك ما وجدت لفظة السَّلف الصَّالح، ولا غرست بدع، ولا فسد عقد أو عبادة.

ولولا البدع لكنَّا مثل السَّلف الصَّالح في مظاهر حياتنا.

وهذا باطل لا يختلف فيه اثنان، أحدهما ذكيٌّ والآخر غبيٌّ.

وإذن مسؤوليَّة انحطاطنا وتقاعسنا ليست على الدَّولة ولا على الأمَّة، إنَّما هي على رجال الدِّين الَّذين ظنَّت فيهم الأمَّة الكمال الدِّيني، فانقادت لهم، فنحن نرى المسؤوليَّة على هؤلاء الأفراد من علماء وشيوخ زوايا...

الإصلاح الدِّيني واجب على من له في المجتمع ميزة دينيَّة من علماء وزعماء.

العلماء واجب عليهم الدَّعوة والإرشاد في نزاهة وإخلاص.

والزُّعماء واجب عليهم الانقياد والتَّأييد والتَّنفيذ، في سلامةِ صدرٍ وانشراح بالٍ.

والتَّقاعس عن هذا الإصلاح معرَّة في الدُّنيا وشقاوة في الأخرى.

المعرَّة لا تخفى على كلِّ حسَّاس قد مدَّ ببصيرته خارج الوطن، وعلم أنَّ هذا العصر قد فضح الشُّعوب المنحطَّة بكثرة مواصلاته وسهولة الاطِّلاع.

والشَّقاوة لا تخفى على كلِّ من درس القرآن وعلم شيئًا من الأحاديث الدَّالَّة على الوعيد الشَّديد في كتمان العلم والعناد في الحقِّ والجدال بالباطل.

وقد تعدَّدت وسائل الإرشاد في هذا العصر وسهلت طرقه، فلماذا لا تنهض مع تعدُّد الحوافز وتكرّر المخازي؟ وإذا نهض أحدنا فلماذا لا نعاضده؟ وإذا لم نعاضده فلماذا نعارضه؟ وإذا عارضناه فلماذا نعارضه بالبهتان؟ وإذا عارضناه بالبهتان لحاجة فلماذا يعارضه به من لا ناقة له ولا جمل في المعارضة والبهتان؟

ما عجبي من بائع دينه   بلذَّة يبلغ فيها سواه
وإنَّما أعجب من خاسر   يبيع أُخراه بدنيا سواه

الإصلاح الدِّيني له وسائل متعدِّدة، منها القديم والحديث.

فمن وسائله التَّدريس، فالمدرِّس يجب أن يكون مصلحًا يلقي المسائل ويطبِّق ما يحتاج منها إلى التَّطبيق على حالتنا الحاضرة بجهد فكره في استخراج نكت التَّطبيق أكثر ممَّا يجهده في حلِّ عبارة المصنِّف؛ لأنَّ العبرة بالعلم لا بالألفاظ، وفائدة العلم العمل لا الفهم، والتَّطبيق تمرين على العمل ودعاء إليه.

ومنها: الخطب الجمعيَّة، فالخطيب يجب أن يكون مصلحًا ينتقي مواضيع الخطابة ويقدِّم منها ما يراه أمسّ بصلاح المصلِّين بتحرِّيه في ذلك صحيح العلم متفطِّنًا إلى ما يؤثّر من لطيف المواعظ.

ومن نوع الخطب الجمعيَّة المحاضرات والمسامرات بالمجتمعات والنَّوادي.

ومنها: النَّشر والكتابة بالصحف السَّيَّارة، فيجب على الكاتب أن يخصِّص قِسْطًا من قلمه للكتابة الإصلاحيَّة متى كان من أهل المعرفة بالدِّين.

الإصلاح الدِّيني بواسطة الصُّحف السَّيَّارة من مستحدثات هذه العصور، ولكنَّه ليس بدعة في الدِّين إذ الكتابة في الصُّحف أو غيرها ليست من نوع العبادات المحدودة، بل هي من باب الدّلالة على الخير.

والبدعة ما أحدث في الدِّين باسم الدِّين من غير أن تدخل تحت قاعدة من قواعد الدِّين.

وأرى أنَّ الصُّحف الإصلاحيَّة أهمّ وسائل الإصلاح وأعمّها فائدة؛ لأنَّ الكاتب يفكِّر في كتابته وينقِّحها ثمَّ يقدِّمها للجمهور بخلاف المدرِّس مثلًا فهو أقلُّ عناية بدرسه من الكاتب، ثمَّ هو يقدّم لطائفة قليلة وقد تتناساه، والكتابة تبقى محفوظة.

إنَّ هذا الدِّين جاء بالتَّوحيد والاتِّحاد، فالواجب على الكُتاب أن يتَّحدوا أو يتقاربوا في أسلوب الكتابة القريبة من الإنتاج؛ لأنَّ توحيد الجهود هو القوَّة الَّتي تقضي على كلِّ ما يعترض سبيل تقدُّمها.

والأسلوب الَّذي أرى أن تتَّحد عليه هو توجيه الكتابة إلى العقائد والعبادات ببيان صحيحها وسقيمها، معتمدًا في ذلك على القرآن: كلام ربِّ العالمين، وصحيح

السُّنَّة: حديث خاتم المرسلين، وعمل السَّلف الصَّالح المشهود لهم بالخيريَّة وهم الصَّحابة والتَّابعون وتابع التَّابعين.

السَّلف الصَّالح نعتمد على عمله وعلى فهمه وشرحه، وتعديله للرِّجال وجرحه.

فتذكر البدعة الاعتقاديَّة أو العمليَّة مجرَّدة عن المتَّصف بها مستدلًّا على كونها بدعة بالدَّليل الشَّرعي، ثمَّ يؤخذ في بيان سوء أثرها في المجتمع.

ويتجنَّب الاستخفاف بالمبتدعين والتَّعريض بهم والتَّهكُّم بأفكارهم وأعمالهم، فإنَّ الكاتب وإن لم يقصد مبتدعًا معينًا يظنُّ به من ليس على رأيه أنَّه يعنيه وأنَّه يقصد أن يمسَّه في شخصه، ونحن ـ لا أكذب ـ نغضب لأشخاصنا أكثر ممَّا نغضب لديننا.

التَّعريض والتَّهكُّم من الأساليب المستعملة عند الأدباء، ولكن مسألتنا دينيَّة موجّهة إلى العامَّة قصدًا، وإلى الأديب عرضًا، فينبغي اجتناب هذا الأسلوب، أو التَّقليل منه ما أمكن.

وما دام التَّهكُّم بعيدًا عن الأشخاص ظاهرًا في أنَّ الكاتب قصد به الأدب، لا الأذى، فليس من الصَّواب أن نضيِّق على من اعتاده، أو ننكر الحقَّ من أجله، أو تعريض نفوسنا لذلك التَّهكُّم بأنفسنا.

وهذا الأسلوب يستدعي أن يكونَ الكاتبُ عالماً مخلصًا عاملًا.

أمَّا العلم والإخلاص فضروريَّان له.

وآية العلم الدَّليل الشَّرعي، وآية الإخلاص أن لا يكون للمرء فيما يدعو إليه مصلحة شخصيَّة ومنفعة ماديَّة.

وأمَّا العمل فكمالٌ له، وكان كمالًا؛ لأنَّه يزيد المصلح قوَّة في حجَّته، والمستمع انقيادًا لإرشاده، ولم يكن ضروريًا لأنَّ الحقَّ في نفسه حقّ سواء عمل به الدَّاعي إليه أو لم يعمل، ومن حِكم الصُّوفيَّة قولهم: «يجب على صاحب الكأس أن ينكر على الجلاس».

هذه آرائي بإيجاز في الكاتب المصلح وأسلوبه، ولستُ أدَّعي أنَّها أحكام نهائية لا تقبل التَّعقيب، وحجج دامغة لا يعمل فيها النَّقض، ولكنِّي أدَّعي أنِّي لم أدَّخر وسعًا ـ عِلم الله ـ في تحرِّي الصَّواب، وليس كلّ من تحرَّى الصَّواب مصيبًا، والشَّارع قد وصف المجتهد بالخطأ، ولذلك أدعو القرَّاء إلى إبداء ما عندهم في هذه النّقط ردًّا أو تأييدًا، حتَّى يتلخَّص لنا من أقلامهم ما يوضِّح السَّبيل، ويتَّخذ قاعدة لا يعدل عنها كي لا...[1]

الإصلاح الدِّيني بواسطة الصُّحف يحتاج طبعًا إلى تأسيس الصّحف، وما أصعب تأسيس صحيفة عربيَّة في وسطنا!

تأسيس الصحف يستدعي نفقات باهضة، فأين المال ؟ ثم أين الإقبال من الأمة؟...[2]

ومن لطف الله وجود شواذ في المجتمع البشري الَّذين يستطيعون أن يؤثِّروا في الوسط من غير أن يؤثِّر فيهم، ومن الشَّواذ في مجتمعنا الشَّيخ الطَّيِّب العقبي.

أسَّس الشَّيخ الطَّيِّب العقبي للإصلاح الدِّيني صحيفة باسم «الإصلاح»، ولقيت في مهدها مقاومة عطّلتها عن النُّهوض مدّة عامين غير أنَّ هذه المقاومة

---

(١) جمل غير واضحة لسوء التَّصوير.

(٢) جمل غير واضحة لسوء التَّصوير.

إدارية تونسيَّة غير جزائريَّة وغير شعبيَّة.

وقد قضى طيِّبُنا هذين العامين جادًّا في تذليل ما اعترضه من الصُّعوبات حتَّى تغلَّب عليها وأعاد علينا حياة «الإصلاح»، ولم يبق إلَّا واجبات لأمتنا نحو هذه الصحيفة كيف تقابلها؟ وهل تشكر ...[1]

لسنا نريد أن نقدِّم الشَّيخ الطَّيِّب للأمَّة تعريفًا به، فهو أعرف في هذا الوسط وخارجه، وهو الرَّجل الَّذي إذا ذُكر اسمه ذكرت الصَّراحة والنَّزاهة في علم وإخلاص وعمل...

إنَّ تأسيس جريدة «الإصلاح» بإدارة الشَّيخ الطَّيِّب العقبي يعدّ...

في حياة الإصلاح الدِّيني بالجزائر يبعث في النَّفس شعاعًا من الأمل في فوز هذه الدَّعوة.

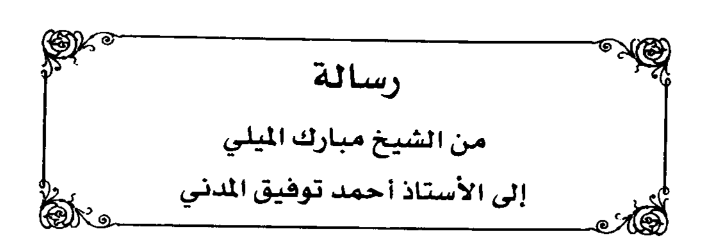
...[2]

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) في مكان النقط جمل غير واضحة للتَّصوير السَّيِّئ للمقال.

(٢) جريدة «الإصلاح»: العدد (٥) ـ الصَّادر يوم الخميس ١٥ جمادى الأولى ١٣٤٨هـ، ١٧/١٠/١٩٢٩م.



رسالة

من الشيخ مبارك الميلي

إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسوله الأمين.

الأغواط ـ ٧/ ٧/ ٤٨

أخي الأعزّ نابغة العصر وفخر القطر وغوث الوطن، سيدي أحمد توفيق المدني.

السَّلام عليكم ورحمة الله.

الآن اتصلتُ برسالتكم الواعدة لي بصدق الإعانة على مشروع ليس لي من مواده غير العزيمة والشعور بالواجب.

لقد كان سروري برسالتكم عظيمًا، لا من حيث صدق الوعد المنبثّ في جميع حروفها فقط، بل من حيث هناؤك أيضًا وتفرغك للأعمال المنتجة؛ فقد استشعرتُ أنكم في سَعة وقتٍ وهناءِ بالٍ، ومثلك من نودّ له بكلّ قلوبنا راحة من الشواغل، لا للكسل ـ أعاذك الله ـ ولكن للعمل الصالح الخالد.

لستُ في حاجة إلى أن أبسط لك ما أقاسيه من قلّة المادة، وضيق الوقت، وفقد المرشد إلى المظان، والمعين على التعريب، فقد رُزئتُ في هذا الجزء بانتقال

صديقي عيسى الزهار إلى المنصورة وعود الأخ عمر دهينة إلى التعليم، وليس لي سواهما بهذا البلد.

ها أنا ذا قد شرعت في الحديث عن دولة الحماديِّين، وهي دولة تجب العناية بنشر الدقيق والجليل من أخبارها لكونها من موضوع الكتاب المقصود بالذات.

ولكن من أين لي أن أزيد على ما في «ابن خلدون»؟

لو لم تُؤلَّف فيها الكتبُ لكان في المصاب بعض العزاء، لكن قد أُلِّف فيها كتبٌ متعدّدةٌ، فأين هي؟ ومَن لي بالدلالة عليها؟

وقفتُ أثناء مطالعتي لكتاب «التكملة لكتاب الصلة»[1] (ص١٥٦) فألفيتُ صاحب الكتاب ذكر أنَّ حماد بن إبراهيم ألَّف تاريخًا للعزيز الحمادي.

وذكر ابن أبي شنب في تعليقه بالفرنسية أنه يوجد في المكتبة الشعبية بالجزائر تحت عدد (١٥٨٨، ٣) (A La Bibl. NAT. D'Alger n°1588,3).

وقد طمعتُ في جلبه فأُعلمتُ أنه محظور إخراجُه من المكتبة، إنما يُرخَّص في مطالعته بها، وأنت تعلم أنّ كلّ محظور غير إلهي يمكن أن يأتيه الإنسان من غير أن يحسّ بوخز ضمير، فإن استطعت إخراجه وإرساله إليَّ ولو مع تضييق في أمد مكثه لدي، فإني لشديد الرغبة في ذلك.

قد أكاتبك بعد اليوم فيما يهمّ عملنا، ولكني أقتصر الآن على التنبيه لكتاب حماد أو ابن حماد ولتعريب فصول من «كاريت».

تحت يدي ترجمة فهرست كتاب كاريت، وقد أعدتُ النظر فيها فظهر لي أني

---

(١) هو لأبي عبد الله بن الأبار، الحافظ الأندلسي، المتوفى سنة (٦٥٨هـ).

أحتاج اليوم من أبوابها:

الباب الرابع من الكتاب الأوَّل.

الباب السادس، التاسع، من الكتاب الثَّالث.

إني التزمتُ في هذا الجزء وضع باب لبيان قبائل بني هلال وغيرهم من العرب، في أنسابهم ومراكزهم وحياتهم وعلاقتهم بالبربر، ووضع باب آخر لتفصيل قبائل البربر بعد هجوم الهلاليين.

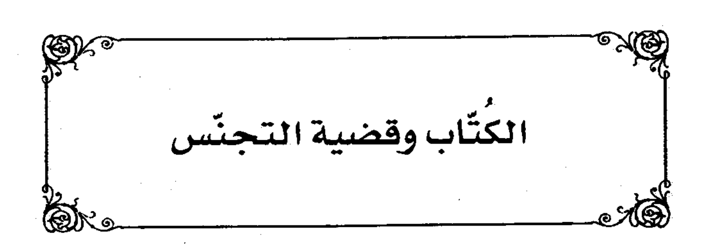
فما تجده في كتاب كاريت يعين على هذا فترجمه لنا، بارك الله في أنفاسك.

هذا ما أقتصر على طلبه الآن من الأخ.

دمت للعلم الحي والعمل الخالد، ولأخيكم:

مبارك بن محمد الميلي[1].

(١) «حياة كفاح» (٢/ ٢٠٩ ـ ٢١١) لأحمد توفيق المدني.



الكُتّاب وقضية التجنّس

الكُتَّاب الَّذين لهم مقدرة على البحث في شؤون الأمَّة الجزائريَّة من أبنائها ثلاث فِرق:

أحدهم: كُتَّاب باللِّسان الفرنسي لا دراية لهم بما يكتبه إخوانهم بالعربيَّة.

وثانيهم: كُتَّاب بالعربيَّة لا يدرون ما يبحث فيه إخوانهم بالفرنساويَّة.

وثالثهم: عارف باللِّسانين يمكن أن يكون حبل الصِّلة بين الفريقين الأوَّلَيْن، ولكن لم ينتدب أحدٌ لهذه المهمَّة الَّتي يعلِّق عليها العاقل آمالًا جسامًا، وظلَّ كلٌّ يسبح في فلك خاص به.

ومنذ أشهر نهض الكاتب البليغ صديقنا الأمين العمودي ـ وهو ممَّن جمع بين القلمين ـ فطرق موضوع التَّجنُّس الَّذي طالما كتب فيه كُتَّاب القلم الفرنسي، وأدخل هذا الموضوع للقلم العربي.

علم القرَّاء ما كتبته بـِ «الشِّهاب» في قضيَّة الاندماج، وآرائي في التَّجنُّس هي نفس آرائي في الاندماج، وكنت أودُّ أن لا نشغل صحافتنا العربيَّة بموضوع كهذا في حين أنَّ الأمم غيرنا لايدور حديثها إلَّا على ما يقوِّي قوميَّتها ويحفظ استقلالها

الجنسي والأخلاقي، ولا أقول غير ذلك.

أمَّا الآن ـ وقد نقل هذا الحديث إلى الصُّحف العربيَّة ـ فأودُّ البحث فيه وفاقًا للعمودي والعقبي، عسى أن نصل فيه إلى نتيجة محمودة.

ومن نتائجها تعرُّفنا بإخواننا وتعرُّفهم بنا عسى أن يزول اعتقادنا فيهم الإلحاد وأن يزول اعتقادهم فينا الجمود متى كانوا يعتقدون أنَّ المفكِّر هو من يتكلَّم بالدَّليل، وافقهم أو خالفهم.

إنِّي على وفاقٍ تامٍّ مع الأخ العمودي في خطورة الموضوع وخطورة نتائجه.

فلست أرى أن يقوم بالبحث في هذا الموضوع فردٌ أو رجلٌ مادِّيٌّ ينظر إلى الميزة في المرتَّبات والوظائف، ويغفل عن كونها لا تورث بخلاف التَّجنُّس.

اتَّصلتُ أمس بالعدد العاشر من «الإصلاح» وإذا هو يحمل في صدره مقالًا للأخ العمودي يدافع فيه عن نفسه هجوم الخرافيِّين والمتفرنجين، وما كان يخطر ببالي أن يهجم عليه من جهتين: مفرطة ومفرّطة، وهو لم يبد ما يناقض رأي إحدى الجهتين، وإنَّما دعا إلى إبداء الرَّأي في القضيَّة، ولكن قد وقع ما لم ينتظر! وهجم على كاتب منَّا عظيم! فهل يجمل بالكتاب الإصلاحيِّين إسلامه؟

نعم، هو وكيل من شأنه الدِّفاع عن غيره بَلْهَ نفسه، ولكن القضايا الاجتماعيَّة لا ينوء بها الفرد ولا يثبت لها ثباتًا منتجًا إلَّا من الوزر وعوضه.

إنِّي لم أُلَبِّ في مقالي هذا دعاء الدَّاعين إلى بحث موضوع التَّجنُّس، وإنَّما أضفت صوتي إلى صوتها فأنا أطلب معها فحص الموضوع عسى أن نصل فيه إلى كلمةٍ فاصلةٍ.

ولعلَّ كاتبًا آخر يكتب مثلي ضامًّا صوته لمن سبقه فيبقى الموضوع نفسه خطوًا من الحديث.ولعلَّنا نعتذر جميعًا بما اعتذر به الأوَّل من خطورة الموضوع وأنَّه لا ينوء بفصله الواحد والاثنان.

وإذن كيف يتسنَّى لأحدنا أن يبدي رأيه وهو فرد؟

وللقضاء على هذا الخيال لا أكتفي بضمٍّ صوتي إلى من سبقني، بل أزيد فأرسم خطَّة للبحث، فمن شاء اتَّبعها ومن شاء اخترع غيرها.

أرى أن نبحث قضيَّة التَّجنُّس من ثلاث جهات:

١ ـ من الوجهة القانونيَّة: بشرح التَّجنُّس وميزته القانونيَّة، وهل هو منطبق على المبادىء الدِّيمقراطيةَّ؟ وما غرض الدَّولة الفرنسيَّة الديمقراطية من سَنِّه؟

ولعلِّي لا أخطئ الصَّواب إذا قلتُ أنَّ هذه الجهة بالأخ العمودي أليق، وهو بها أولى وأحقُّ، وليس مثله من يحرجنا إلى التَّصريح بوجه إختيارنا له.

٢ ـ من الجهة الدِّينيَّة: يصوّر التَّجنُّس للحكم عليه، ولا يهمل الحديث عمَّن عطّلت بعض أحكام شريعتهم الإسلاميَّة: هل إلزامهم بذلك كالتزامهم من أنفسهم العمل بتعطيلها؟ وهل ذلك التَّعطيل يعدُّ لنا عذرًا في تعطيل ما بقي من أمر ديننا؟

ولعلَّ هذه الجهة بالأستاذ عبد الحميد باديس أعلق، ولعلَّه لا يمتنع من إجابة داعي الله، ولا يكتم علمًا آتاه الله إيَّاه، ولايبخل بخدمة دينه وقومه، ولا يعتلَّ بأنَّ في الأمَّة سواه، أو يتواضع بأنَّه دون الحديث في هذا الموضوع.

فهو يعلم أنَّ علماء الدِّين لدينا منهم الجبان الَّذي يخشى أن يوبَّخ على الكتابة في الصُّحف، ومنهم العاجز لفقد المواد الدِّينيَّة أو البيان القلمي، وهو يعلم أنَّ في

المخاطَبين من لا يقنع بحجيَّة كلام عالمٍ قديمٍ أو حديثٍ، وفيهم من لا يقبل الدَّليل من الآية أو الحديث إلَّا متى بيِّن له سِرّه وقبله من ناحية عقله لا من جهة إيمانه.

ولسنا نقول إنَّه لا يوجد في الوطن من لا يقوم بهذه الجهة غير باديس ولكن لا نعلم غيره، ولا يحقُّ له ولا لي أن نتَّكل على ما لم نعلم.

ثمَّ هو باديس والخصم في القضيَّة زنَّاتي، وقد اقتصر باديس الصَّنهاجي على خصومه من الزّناتيِّين، فنحن نتفاءل به خيرًا.

وإن أبى الجواب، فإنا نلحّ على «بيضاوي» ليعود إلى موضوعه: «نقد العلماء!».

٣ ـ من الجهة القوميَّة: ههنا ينظر الكاتب إلى كرامة الأمَّة والتجنُّس، ويزن بين فوائده الماديَّة وما عسى أن تفقده بسببه من ميزات اجتماعيَّة، ويدقِّق البحث في النتائج.

ثمَّ يضع بين يدي القارئ الأمَّة الآن وبعد قرن، ولا أقول بعد قرون أيضًا، لأنِّي أخشى أن يصوِّرها بصورة اليهود الَّذين طمعوا في تكوين دولة لهم فلم يجدوا مكانًا وأصبحوا أضحوكة من أجل ذلك بين الأمم.

وهذه الجهة تكون ميدان أقلام الكُتَّاب يركضون فيها بعد وقوفهم على حُكم الله في القضيَّة.

وبعد أن تتجلَّى الحقيقة يدخل الميدانَ الشُّعراءُ أيضًا فيوشون الحقيقة بخيالاتهم اللَّطيفة، وهكذا يمكننا أن ننتهي من حديث التَّجنُّس انتهاء لا عودة بعده إن شاء الله.

هذه جهاتٌ خطرت ببالنا فرسمناها لحينها وزففناها من وقتها إلى الكتَّاب، ولهم أن يولِّدوا جهة رابعة أو خامسة، فليس مرادنا الحصر، وكلّ ما نريده أن يخفَّ

الكُتَّاب لأداء ما لديهم في القضيَّة، ويسرعوا لإنهاء الحديث فيها حتَّى لا تبقى أمدًا طويلًا وهي الشُّغل الشَّاغل لأفكار قوم وأداة الشَّغب لدى آخرين، وخير البِرِّ عاجله[1].

مبارك بن محمد الميلي

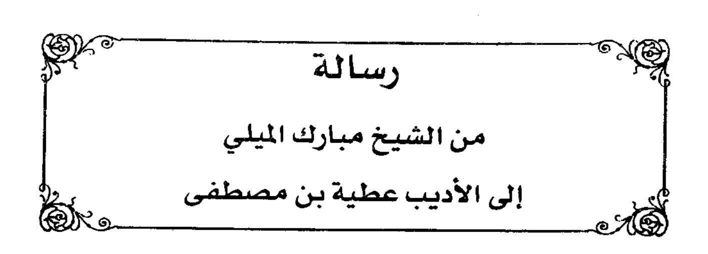
(١) «الإصلاح»: العدد (١٢) ـ الصَّادر بتاريخ ٨ رمضان ١٣٤٨هـ ٦/ ٢/ ١٩٣٠م.



الشيخ مبارك الميلي أمينًا لمال

«جمعية العلماء المسلمين الجزائريِّين»

(ماي ١٩٣١م)



رسالة

من الشيخ مبارك الميلي

إلى الأديب عطية بن مصطفى

الأغواط: ٨ في صفر ٥٠

١٩٣١/٦/٢٥

الأديب الفاضل السَّيِّد: عطيَّة بن مصطفى.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فقد أتتني رسالتكم وسُرِرْتُ بها لصحَّة تراكيبها وسلامتها من اللَّحن، فحمدتُ الله على انتشار العربيَّة بينكم، فإنَّ فهم الدِّين متوقِّف عليها، وما ذاق حلاوة الدِّين من حُرِمَ النَّظر في كتاب الله وأحاديث رسوله ﷺ. وما ذاق حلاوتها من لم يُرزَق حظًّا وافرًا من العربيَّة. فعلى نسبة الرَّجل من العربيَّة تكون نسبة مقدرته على فهم أصول الدِّين النَّقليَّة.

وقد كان ممَّا رجَّح به العلماء الإمام مالكًا على الإمام أبي حنيفة رضي الله عنهما أنَّ مالكًا أعلم منه بالعربيَّة وأحوال العرب.

فلا تسأموا - أعانكم الله - من مطالعة الكتب العربيَّة وأخبار العرب.

وحرِّضوا إخوانكم على ذلك، وعلِّموا ممَّا علَّمكم الله ما وجدتم إلى التَّعليم سبيلا، واللهُ في عَوْنِ العبد ما كان العبد في عون أخيه.

أمَّا إعرابكم الآية[1] فصحيح، لا يحتاج إلى زيادة بيان، ولا فائدة في التَّطويل إذا كان الخصم قاصرًا معاندًا.

وتقدير الآية: وما أنساني الحوت ذكره إلَّا الشَّيطان، ويوصل إلى قولنا: وما أنساني ذكر الحوت إلَّا الشَّيطان.

وبدل الاشتمال هو ما كان بينه وبين المبدل منه علاقة بغير الكليَّة والجزئيَّة، فالذِّكر هنا واقع على الحوت ومرتبط به، وليس كلّه ولا جزءه.

ولفظ «الله» لا ينادى إلَّا بـ«يا» خاصَّة، صرَّح به النُّحاة، وعلَّلوا ذلك بالسَّماع، إذ لم يُسمَع في كلام العرب نداء الله بغيرها، وإنْ وقع في كلام النَّاس نداؤه بغيرها فالحُجَّة في كلام العرب لا في كلامِ صوفيٍّ ولا غير صوفيٍّ، والصُّوفي إنَّما هو حُجَّة في فنِّه لا في غير التَّصوُّف.

وقوله في الحديث[2]: «نصفها» بدل من ما، و«ثلثها» يصحُّ أنْ يُعطف على النِّصف بحذف «أو»، ولكن حذفها قليل في كلام العرب، ويصحُّ أن يكون بدل

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿...فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ...﴾ [الكهف: ٦٣].

(٢) يشير إلى حديث عمَّار بن ياسر مرفوعًا: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ: وَمَا كُتِبَ إِلاَّ عُشْرُ صَلَاتِهِ، تُسْعُهَا، ثُمُنُهَا، سُبُعها، سُدُسُها، خُمُسها، رُبُعُها، ثُلُثها، نِصْفُهَا».

انظر: «صحيح سنن أبي داود» (٧٦١) للألباني.

بداء من نصف، كما تقول: فلان غيثٌ بحرٌ، تريد تشبيهه في كثرة نفعه للنَّاس بالغيث، ثمَّ يبدو لك ويظهر لك أن تشبّهه بالبحر.

ومعنى «كُتِب»: قُدِّر.

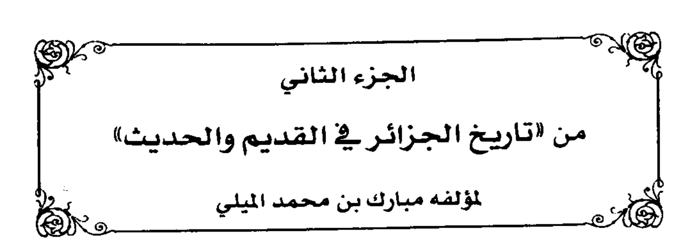
ولم يظهر لي ما يحتاج إلى الشَّرح والإعراب غير هذا.

ودمتم في العلم راغبين، وفي طريق الاستقامة سائرين، وبحفظ الله مكلوئين.

والسَّلام عليكم وعلى أحبابكم في الله، من أخيكم في الله:[1]

مبارك بن محمد الميلي

(١) رسالة خطية تكرَّم بها الأستاذ عمر قُصيبة ـ حفظه الله وجزاه خيرًا ـ على أخينا في الله: عز الدِّين رمضاني ـ بارك الله فيه ـ ومنه تسلَّمتها.



لم يَبْقَ اليوم وطنٌ من الأوطان جهل أبناؤه وغيرهم تاريخه غير وطن الجزائر، فرأيتُ أن أغسل عنَّا هذا العار بتأليف تاريخٍ لهذا الوطن على ما فيه من صعوبة وعقبات صعبة التَّذليل، فشرعتُ في العمل مستعينًا بالله وأتممتُ الجزء الأوَّل وتحمَّلتُ عناء طبعه، ثمَّ هو لا يزال الآن يشكو حبسه في الخزائن ويندب حظَّه من القُراء الَّذين أعرضوا عن اقتنائه مع حاجتهم إليه.

ولم يصدَّني ذلك عن المضيِّ في سبيل هذا العمل الشَّريف، فأتممتُ اليوم - والحمد لله - الجزء الثَّاني منه بتهذيبٍ يقرِّب على القارئ مطلوبه وترتيبٍ لم أُسْبَقْ إليه.

وهو يشمل على ما بعد الجزء الأوَّل من بقيَّة الكتاب الثَّاني في العصر العربي، وجميع الكتاب الثَّالث في العصر البربري يبتدئ حيث انتهى الأوَّل بالقرن الثَّاني وينتهي إلى القرن العاشر.

* وهذه بقيَّة أبواب الكتاب الثَّاني:

الباب الثَّاني: في الدَّولة الرُّستميَّة.

البَابُ الثَّالِث: في الدَّولة الإدريسيَّة.

الباب الرَّابع: في الدَّولة الأغلبيَّة.

الباب الخامس: في الدَّولة العُبَيْدِيَّة.

الباب السَّادس: في نزوح الهلاليين إلى إفريقيا الشَّمالية.

* وأبواب الكتاب الثَّالث هي:

الباب الأوَّل: في القبائل البربرية الجزائرية.

الباب الثَّاني: في الدَّولة الحَمَّاديَّة.

الباب الثَّالث: في دولة المرابطين.

الباب الرَّابع: في الدَّولة الموحديَّة المؤمنيَّة.

الباب الخامس: في أخبار العرب لعهد الحفصيِّين والمرينيِّين والزَّيَّانيِّين.

الباب السَّادس: في دولة بني مرين.

الباب السَّابع: في الدَّولة الحفصيَّة.

الباب الثَّامن: في دولة بني زيَّان.

وفي كلِّ هذه الأبواب الثَّلاثة عشر فصولٌ تشرح حياة القبائل العربيَّة والبربريَّة، وحالة الدُّول، وملوكها، وسياستها الدَّاخليَّة، والخارجيَّة، ونُظُمَها الإداريَّة، وحروبها، ومبلغها في الاقتصاد والعمران والحضارة، وسير العلوم والفلسفة والآداب، وما كان عليه المسلمون من مذاهب في العقائد والفروع والتَّصوُّف، وحال الدِّيانتين اليهوديَّة والمسيحيَّة.

وتجد أثناء الفصول تاريخ كثير من المدن ومبلغها من العظمة مثل تلمسان ووهران وتَنَس وتاهرت ومِلْيَانَة والجزائر وأشير والقلعة وبجاية وميلة وباغاية

وبسكرة وغيرها.

وفي الكتاب رسوم تاريخيَّة، وبآخره خريطة ملوَّنة، محكمة الوضع، متقنة الطَّبع، تبيِّن مواقع المدن القديمة ومراكز القبائل العربيَّة والبربريَّة.

هذا إجمال عن الكتاب الَّذي نقدِّمه اليوم للقرَّاء، ولعلَّهم يجدونه فوق ما وصفنا.

ورجاؤنا أن لا يكون حظُّه منهم كحظِّ سَلَفِهِ الجزء الأول.

وسيبرز ـ إن شاء الله ـ بعد أَشْهُر قليلة في ورق صقيل ووضع جميل تبلغ صفحاته من الحجم الكبير نحو (٤٥٠) أو تزيد.

ورغْمًا عمَّا تكبَّدناه من النَّفقات في جميع[1] مواده، ثمَّ في نشره، فقد خفضنا ثمن الاشتراك فيه ما دام تحت الطَّبع إلى ثلاثين فرنك (٣٠) داخل فيه أجرة البريد. وسيكون ثمنه بعد الطَّبع أربعين فرنك (٤٠).

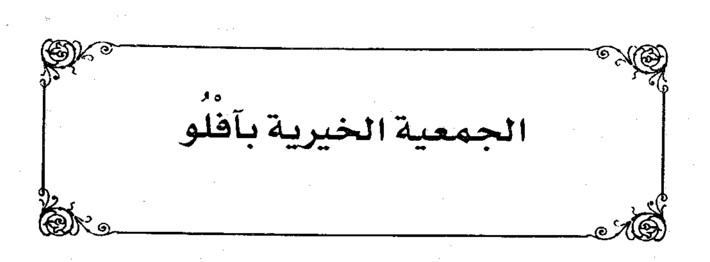
فمن كان له مَيْلٌ إلى الاطِّلاع على مجد أسلافه؛ فليشترك وليدعُ أحبّاءه إلى الاشتراك، ويوجّه الثَّمن مصحوبًا بعنوانه الواضح إلى المؤلِّف:

مبارك بن محمد الميلي بالأغواط ـ الجزائر[2]

---

(١) كذا، ولعله: جمع.

(٢) مجلة «الشِّهاب» المجلّد (٧) الجزء (٧) ـ الصادر: غرة ربيع الأوَّل ١٣٥٠هـ، جويلية ١٩٣١م. بدون إمضاء.



الجمعية الخيرية بآفْلُو

آفْلُو قرية في آخر عمالة وهران شرقًا جنوبيًا، تبعد عن الأغواط غربًا بثلاثين ومائة ميل (نريد بالميل الكيلوميتر)، وكثيرًا ما أجتمع بأماثل من سكانها، فيدعونني لزيارتهم، فلم يقدّر اللهُ تلبيةَ دعوتهم إلاّ صحبة الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين».

وإذا بآفلو قرية متوسطة العمران في بسيط بأعلى جبل العمور الشامخ قد رضيت عنه الطبيعة، فحبته بكلّ ما يسحر الألباب ويضع العقل تحت حكم العاطفة، فما شئتَ من مياه غزيرة عذبة، تروق منظرًا وتلذ مطعمًا، ومن أشجار شديدة الخضرة باسقة الأغصان وارفة الظلال، ومن هواء بارد صيفًا، جاف من الرطوبات لبعده من البحر وقربه من الصحراء.

ولفظة «آفلو» بربرية لأن الجبل كان لبني راشد من زناتة ثم تغلب عليه العمور من عرب هلال، وغمروا بقايا العنصر البربري، فلم يبق هنالك ظلّ للبربرية إلاّ في أعلام الأمكنة، ومن بينهم قبائل كثيرة تدّعي الشَّرف الشَّرعي.

ولآفلو شهرة بالجهال والاستسلام للهوى.

ولغلبة الهوى سببان فيما أرى:

أحدهما: جمال طبيعة الجبل؛ فإن للهواء تأثيرًا على الهوى.

وثانيهما: دعوى الشرف؛ فإن هذه الدعوى مع الجهل بتعاليم الدين وسيرة السلف الأخيار تجعل صاحبها يعتمد على نسبه ولا يبالي بارتكاب المنهيات، ولكن الشريف إذا ذكِّر تذكّر واتعظ، وإذا دُعي إلى ما يلائم شرفه من صالح الأعمال أجاب وأحسن العمل.

ومنذ سنة سُمِّي بآفلو ترجمانًا شرعيًا السيد عمارة مزيان، فأخذ ينشر الفضيلة بسيرته ودروسه، ثم أسس جمعية خيرية، فوجد من أهل آفلو إقبالاً عليها ومعاضدة له، وهكذا الكريم الأصل سريع الإجابة إلى المعالي.

وللجمعية غرضان:

مادي وأدبي.

أما المادي: فهو الأخذ بيد الفقير والمسكين وابن السبيل، والتوسعة على الأُسر الضعيفة الحال أيام المواسم والأعياد، وكفّ المفسدين عن تبذير أموالهم فيما لا يعني، والضرب على أيدي الدجالين الذين يأخذون أموال الناس بأباطيل البدع والخرافات.

وأما الغرض الأدبي فهو تثقيف العقول وتنوير الأفكار وتطهير القلوب من جرائم البدع والمعاصي.

وتتوصل إلى الغرض الأول بجمع الأموال من أهل الغيرة والفضل، وتتوسل إلى الغاية الثانية بإلقاء الدروس والخطب والمسامرات، وقد خطت في سبيل غايتها ـ مع حداثة سنّها ـ خطوات واسعة، وذلك ما يدل على إخلاص

أعضاء إدارتها، وحسن ظن الناس فيهم، وإسراعهم إلى تلبية دعائهم.

وقد كان نزولنا ببناية هذه الجمعية، فشاهدنا من النظام ونشاط الأعضاء واحترامهم لأوامر الرئيس ما ملأنا آمالا بجلائل نتائج هذه الجمعية، وعما قريب - إن شاء الله - تصبح «آفلو» مضرب الأمثال في الفضيلة وحسن الأخلاق وكمال الوقوف عند حدّ الآداب الشرعية.

كتبنا هذه الجملة عن هذه الجمعية عندما بلغنا أن رئيسها السيد عمارة قد انتقل إلى وادي الزناتي، فرأينا أن نسجل له هذه المفخرة عسى أن يعرف أهل وادي الزناتي له فضله ويستثمروا مواهبه ويؤيدوه فيما يحاول من إصلاح وسطهم، وعسى أن يعرف هو أيضًا أن حاجة الأمة إلى جلائل أعماله غير خاصة بناحية أو عمالة، فلا يألو جهدًا في خدمة شعبه أينما حل، وعسى أن يعرف أهل آفلو ماذا عليهم من مسؤولية أمام عقلاء الأمة الجزائرية إن هم لم يحافظوا - لا قدّر الله - على حياة هذا المشروع أو لم يعملوا على إنمائه.

فنحن بكتابتنا لهذه الجملة ندعو أهل آفلو إلى المحافظة على مشروعهم والسير به في سلّم الرقي، وندعو أهل وادي الزناتي إلى تأسيس مشروع من بابه أو من جنسه، وندعو السيد عمارة إلى الجِدِّ والنشاط في صالح قومه، ثم نسجّل على من أخلّ بواجبه ولم ينهض بما أُنيط بعهدته.

والشيخ عمارة مزيان متخرج من مدرسة الجزائر العليا، ذو دين متين وفكر ثاقب وخلق سمح وهمّة عالية، يختلط بالناس، ويلبس لباسهم، ويظهر لهم في مظهر عالم ديني، يعظهم ويعلّمهم آداب دينهم، وكان قبلُ مدرّسًا، فانتقل إلى الترجمة،

ونزل آفلو، فألفى أهله قومًا عربًا لم يختلطوا بالأوروبيين اختلاطًا يغيّر عليهم كريم طباعهم: فلا دعوى لديهم تمنعهم من أن يكونوا مرؤوسين لأهل العلم والفضل، ولا أغراض شخصية لهم تحول دون جمع كلمتهم.

فَسِرُّ نجاح الشيخ عمارة في مشروعه راجعٌ إلى إخلاصه ومحافظته على الزي القومي ومحافظة أهل آفلو على أخلاقهم العربية.

وإنا لنعرف في قُراء الفرنسية تراجم وغيرهم رجالاً ذوي غيرة على قومهم واستعداد لخدمة شعبهم بالمال والوقت ولكن لم يجدوا حولهم مشجّعين على العمل فانقطع منهم الأمل أو كاد، وحُرمت الأمة مواهبهم، وعلّة الخيبة قد تكون راجعة إلى الوسط لِإلفهم الانقسامات وحسدهم لكلّ عامل مخلص، فتراهم يضعون في طريقه العراقيل حتى لا يظهر عليهم، ولا يكون نجاحه حُجّة على تقصيرهم.

وقد تكون علّة الخيبة راجعةً إلى العامل، كأن يكون مغيّرًا لزيّه القومي، مزدريًا لعوائد قومه، منكرًا لفضائل أسلافه، متكلّمًا في آداب الدين برأيه، فتنفر الأمة منه، ويأخذ هو في همزها بالجمود والتعصب وما إلى ذلك، وههنا تخسر الأمة مواهبه ويخسر هو ثقتها.

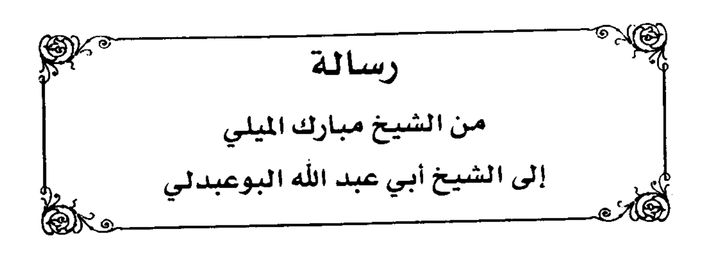
وقد يكون رمي بعض المتنوِّرين للشعب بالجمود والتعصّب صحيحًا لكنه لا يقوم له عذرًا في خيبته، فإن في الأمة من لا يعرف حبيبًا من عدوٍّ إلاَّ بمثل اللباس، وليس على الجاهل كبير ملام، إنما على العامل الموفّق أن يتعمق في درس طباع من حوله حتى يقف على الداء ثم يضع له ما يراه بحكمته من الدواء، وإن وجد المانع في بعض أزيائه التي استحسنها ذوقه؛ فليضحّ بذوقه الخاصّ، وليكن ذلك الذوق

أهون شيء عليه في خدمة شعبه.

ولست أقول أن الشعب الجزائري كله ينفر من الأزياء الإفرنجية فقد رأيتُ في نواحٍ عديدةٍ إعجاب الناس برجال ذوي أزياء إفرنجية كانت لهم مواقف في خدمتهم جليلة، ولكنني أقول: إنْ حالت تلك الأزياء في بعض الجهات من الوطن دون ثقة الناس بصاحبها فليكن شعبه أعز عليه منها[1].

مبارك بن محمد الميلي

(١) «الشهاب»: المجلد (٨) الجزء (٩) الصادر في جمادى الأولى ١٣٥١هـ سبتمبر ١٩٣٢م.



رسالة

من الشيخ مبارك الميلي
إلى الشيخ أبي عبد الله البوعبدلي

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

الأغواط في: ٠٩/ ٠٥/ ١٣٥١هـ

١٠/ ٠٩/ ١٩٣٢م

الشَّيخ الموقَّر المحترم سيدي أبو عبد الله البوعبدلي، السَّلام [عليكم] ورحمة الله وبركاته.

كان الشَّيخ العربي بن بلقاسم التَّبسِّي، والأستاذ عبد الحميد بن [باديس] يحدِّثاني عنك أحاديث طيِّبة، مرجعها إلى العلم الرَّبَّاني الـ...[1] الصَّالح.

وأمس عدتُ إلى الأغواط، فوجدتُ من فضيلتكم رسالة مفتتحة بأبيات [دلَّتني] - واختيارُ المرءِ صَفحة من عقله - [على] تلك الأحاديث، [وقامت] الرِّسالة لديَّ مقام ذاتكم المحترمة؛ [فذكرتُ] قَوْلَ الأوَّل:

(١) مقدارُ كلمةٍ لم نتمكَّن من قراءتها.

كانت مساءلة الركبان تخبرنا عن جعفر بن فلاح أحسن الخبر
ثم التقينا، فلا والله ما سمعت أذني بأحسن ما قد رأى بصري

وقد قبضتُ حوالة اشتراككم في «جمعيَّة العلماء المسلمين الجزائريِّين»،...[1] لكم مع هذه الرِّسالة وصل الاشتراك؛ لأنَّ مجلَّدات الوصولات [لدى] «الجمعيَّة» بالجزائر، وليس تحت يدي الآن مجلَّد واحد، وسوف [أرسل ـ أبعث] إليكم بالوصل عندما يأتيني المجلَّد، إن شاء الله.

سيِّدي إنَّنا في زمن طغى فيه الجهل، وانتشرت في الوطن [الصُّحف] علميَّة ودينيَّة، وأصبح كلُّ من تعلَّم حرفين يكتب ويخطب، ويدَّعي [الدَّعاوى] العريضة من غير حياء.

وأصبح كذلك كلُّ من انتسب إلى الشَّيخ [يدَّعي] أنَّه مرشد، دالٌّ على الله من غير خَوْف من ذلك اليوم، يوم يقول [الله] جلَّ وعلا: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦].

وهكذا اختلط الحابل بالنَّابل، والنَّاس إلى مَنْ يُوافق هواها أميل، وقست قلوبها عن سماع الـ[موعظة] الحسنة، فأصبحنا كمن قال الله فيهم: ﴿فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ﴾ [الحديد: ١٦].

وتلك سُنَّة الله في كلِّ أُمَّةٍ على ما أفاده الحديث: «**بَدَأَ الإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ**»[2]، والواجب على هؤلاء الغرباء أن يقوموا بنصرة الدِّين، غير متأثِّرين بالعراقيل، وليكونوا كما حكى الله عن دعاة الدِّين قبلهم إذ

(١) مقدارُ كلمةٍ لا يظهر رسمها على الصُّورة.

(٢) تقدَّم (ص٥٣).

قالوا: ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

وفي «صحيح مسلم»[(١)] من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

«مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي؛ إِلَّا كَانَ لَهُ [مِنْ أُمَّتِهِ] حَوَارِيُّونَ وَأَصْحَابٌ، يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ[(٢)] مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ، يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرُونَ، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ».

جعلنا الله وإيَّاكم من أولئك الغرباء، وأعاننا وإيَّاكم على الوفاء بما تعهَّدنا به [من عهد].

والسَّلام عليكم، وعلى كلِّ عامل بعلمه، [داعٍ إلى الله]، آمرٍ بالمعروف، ناهٍ [عن المنكر][(٣)].

وكتب

مبارك بن [محمَّد الميلي]

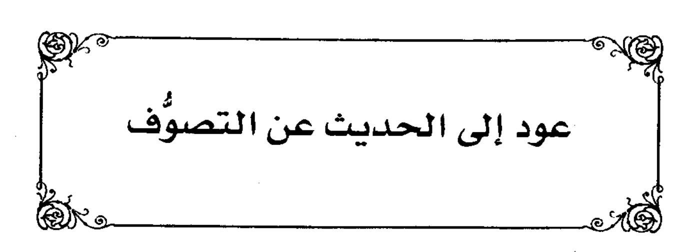
---

(١) برقم (٥٠)، والزِّيادة منه.

(٢) أي تحدث.

و«الخُلُوف»: جمع خَلْف، وهو الخالف بالشَّرِّ، وأمَّا الخَلَف ـ بفتح اللَّام ـ فهو الخالف بخير.

(٣) «الشَّيخ المهدي البوعبدلي: شهادات ووثائق» (ص١٠٣ ـ ١٠٦)/ إعداد: عبد الرحمن دوِّيب.



عود إلى الحديث عن التصوُّف

عقدنا للتصّوف فصلاً بالجزء الثاني من «تاريخ الجزائر في القديم والحديث»[1]، أوجزتُ فيه القول كبقية فصول الكتاب، وتحرّيتُ في الكتاب أجمع تصوير الحقيقة، ومن مارس كتب التاريخ شهد أن لغة كتابنا لغة تاريخ، مادتها صحة النقل وتحرير العقل.

ولا أدعي أن كتابي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فإنّ كلّ كلام للناس فيه المقبول والمردود إلاّ كلام رسول الله ﷺ.

وكم أُسَرُّ لو يتناول العلماء المنصفون كلامي بالنقد النزيه؛ لأن في ذلك ثروة علمية، وفضل خدمة للتاريخ الذي أودّ أن يُعنَى به قومي عناية تحيي فيهم الشعور الحق بعظمة أسلافهم، وتنير أمامهم طريق العمل لمستقبلهم، وليست حقوق البحث في التصوّف أو التاريخ محفوظة للميلي.

ولا يهمّني ـ شخصيًا ـ أن يتطاول جاهلٌ متعسّفُ للنقد بهواه، ولكن الغيور يستاء لمحاولة ستر الشمس بالغربال عن أناس لا ينظرون لأبعد من أنوفهم.

وقد يتخذ المرء من هذه الفوضى العلمية والأدبية عذرًا للسكوت، فيقول:

(١) في (٢/ ٣٤٠ ـ ٣٤٩).

لست مصحِّحًا عامًّا أُسأل عن كلّ خطإٍ أو خطلٍ ينشر بالصحف أو الكتب.

ولكن كيف الموقف مع من يواجهك بالخطاب ويتحكّم في كلامك بالتشويه ويتقوّل في غرضك بالهوى؟!

إنْ سكتَّ عنه عدّ سكوتك انتصارًا له وانكسارًا لك، وأن أجبتَ أسأت إلى البرهان إذ قرنته بالهذيان، وقد تحتار ثم تختار الثاني نزولاً على الأمر.

وفي هذه الأيام ظهر على مرسح «البلاغ» العليوي «كاتب صوفي» حاول نقض فصل التصوّف من تاريخنا فلم يعرب إلاّ عن نفسه بالبلادة والجراءة في غير حياء على العلم والأدب وأهلهما، فلم أر أن أرميه بحجر ضَنًّا بالوقت، لا خشية من غلاء سعر الأحجار، غير أن جمعًا من القُراء حملوني على الإجابة بحجّة أن في السكوت تطاولاً للمبطلين وحيرةً لكثير ممن لا يفرّقون بين الحُجَّة واللَّجَّة، فعدتُ إلى حديث التصوّف لأزيده اتضاحًا، ويزداد ذلك الصوفي افتضاحًا.

لعلماء المسلمين المتقدمين في تعريف التصوّف أقوالٌ تختلف لفظًا أو معنى، ونقتصر هنا على تعريف منها هوأنه: «إخلاص التوجّه لله تعالى».

فهو علم ديني، وقد بالغ جمهور المسلمين في إجلاله حتى إنهم ليتهمون من لم يجارهم في مبالغاتهم بضعف التدين، في حين أنهم يلتمسون العذر لمن جاهر بالاستغناء عن النظر في الكتاب والسنة، ثم إنك قلّما تجد أحدًا منهم يعرف معناه أو يعمل بما يتخيله من مدلوله، فالتصوف كما قال الكواكبي في السياسة:

«علم واسع جدًا ينقسم إلى فنون كثيرة ومباحث دقيقة شتى، وقلما يوجد إنسان يحيط بهذا العلم، كما أنه قلما يوجد إنسان لا يتكلم فيه» اهـ.

فإذا كنتَ عارفًا معنى التصوّف وتطلبتَ ظهوره في أعمال المسلمين وجدتَه أغرب من الغُراب الأعصم، وإذا أردتَ تصوّره من أعمال المنتمين إليه استبان لك أنه: «مغرم على العامّة ومغنم للخاصّة».

وهذا المعنى العملي هو الذي نكره على الصوفية أبو القاسم القُشيري في «رسالته»، والغزّالي في «الإحياء» وغير «الإحياء»، والمقبلي في «العلم الشامخ»، والشاطبي في «الاعتصام» و«الموافقات»، وابن تيمية في رسائله، وابن القيم في «مدارجه»، وابن الحاج في «مدخله»، وزروق في كثير من كتبه كـ «النصح الأنفع» وكـ «الجُنَّة للمعتصم بالكتاب والسُّنَّة» وكـ «عُدَّة المريد»، إلى ما لا يحصى من الكتب، وما جهلناه أكثر مما علمناه منها، لأن أرباب المغنم من الصوفية كثيرًا ما يثيرون أتباعهم أهل المغرم في وجه كل داع نصوح وينفرونهم من مجالسة ومطالعة كتبه، فيقضي الإهمال على كثير من كتب هذا النوع بالتلاشي والضياع، وهذا ما يحاوله صوفية الزمان، ولكن «جلّ عمرو عن الطوق».

ثم نرجع إلى كلام «صوفي» الزمان، فنجد منه هُراءً وسفهًا وطعنًا بالهوى واختلالاً في التركيب، وهذا نمرّ به مرّ الكرام، ونجد منه ما له علاقة بموضوع البحث، وهذا ما نجيب عنه، ونقسمه إلى أربع مسائل:

إحداها: بيان أفضل حالات العبادة.

ثانيتها: بيان أصل التصوّف ومعناه.

ثالثتها: تاريخ ظهوره.

رابعتها: رد تهمة تحريف النقل.

أمَّا المسألة الأولى فقد قلتُ فيها في أصل الكتاب أنه ـ عليه الصلاة والسلام ـ نهى

من أراد من أصحابه الانقطاع للعبادة، وصح عنه: «إنَّ اللهَ لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا»[1].

فنقله «صوفي» الزمان، وأعقبه بالتهويل وأنه ربما (كذا) يصادم ما عُلم من الدين بالضرورة، وردّ عليّ بخبر أهل الصُّفَّة وآية: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف: ٢٨]، وآية: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧]، وآية: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ٩]، وآية: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧]، وآية: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وفي بعض هذه الآيات تحريف فاته عند ما نبه على بعض أغلاطه في عدد آخر من «البلاغ»، فأثبتناه نحن حسب التلاوة.

وقد كان على «صوفي» الزمان أن يسلك في هذا المقام: إما الطعن في أصل دليلي، وإما الجمع بين دليلي ودليله، وإما سؤال أهل العلم عن الجمع بين الأدلة التي تعارضت عليه، أما صنيعه فهو صنيع من يؤمن ببعض الكتاب ويكفر ببعض.

وها أنا ذا أنقل الحديثين اللذين أشرت إليهما في أصل الكتاب ثم أُقفّي بوجه الجمع بين أدلته ودليلي.

في «الصحيحين»: عن أنس رضي الله عنه ـ واللفظ للبخاري ـ أنه قال:

«جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلما أُخبروا كأنهم تقالوها، فقالوا: وأين نحن من النبي ﷺ قد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر؟

قال أحدهم: أمّا أنا أصلي الليل أبدًا.

وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر.

---

(١) قطعة من حديث صحيح، يأتي بتمامه مع تخريجه بعد حديث.

وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا.

فجاء إليهم رسول الله ﷺ فقال:

«أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني»(1).

وفي «الموطأ» و«الصحيحين» ـ واللفظ لمالك ـ: «أن رسول الله ﷺ سمع امرأة من الليل تصليّ، فقال: «مَنْ هَذِهِ؟»، فقيل له: هذه الحولاء بنت تُويت لا تنام الليل! فكره ذلك رسول الله ﷺ حتى عُرفت الكراهيةُ في وجهه، ثم قال:

«إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَا يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، أكلفوا مِنَ العَمَلِ مَا لَكُمْ بِهِ طَاقَة»(2).

وما جلبه «صوفي» من الآيات ليس فيها ما ينافي معنى هذين الحديثين فيدلّ على إعنات النفس والانقطاع للعبادة.

فأما آيتا ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ﴾، ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ﴾، فأبعد ما يكون عن الموضوع.

وأما آية ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ﴾، فقد نزل في معناها ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾ [المعارج: ٢٢ ـ ٢٣] فالمراد من الدوام المحافظة والمواظبة، وفُسِّر أيضًا بالسكون والخشوع، فأين هذا من معنى الانقطاع للعبادة؟

وأما آية: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾، فأبعد عن هذا المعنى لأنها في التهجد.

وفي «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ قال:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٦٣) ومسلم (١٤٠١) عن أنس.

(٢) أخرجه مالك (٢٥٧ـ بشرح الزرقاني) عن إسماعيل بن أبي حكيم بلاغًا، وأخرجه البخاري (١١٥١ و٥٨٦١) ومسلم (٧٨٢ و٧٨٥) بنحوه موصولاً عن عائشة رضي الله عنها.

«أَحَبُّ الصَّلَاةِ إِلَى اللهِ صَلَاةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَى اللهِ صِيَامُ دَاوُدَ، وَكَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَيَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا»[1].

وأما آية: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ﴾ فليست أيضًا من هذا المعنى، ففي حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أنها نزلت في صلاتي الصبح والعصر[2].

وعن ابن عمر وابن عباس أنها في الذين يشهدون الصلوات الخمس[3].

قال المفسرون: وهي في معنى آية الأنعام ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢].

وقد روى مسلم في سبب نزولها عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال:

«كُنّا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: أطرد هؤلاء لا يجترئون علينا، قال: وكنتُ أنا وابن مسعود، ورجلٌ من هُذيل، وبلال، ورجلان لست أُسَمِّيهما[4]، فوقع في نفس رسول الله ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدّث نفسه، فأنزل الله ﴿وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الأنعام: ٥٢] الآية»[5].

وليس المرادُ بالذين يدعون ربهم أهلَ الصُّفَّة لأن الآيتين مكيتان، والصُّفَّة كانت بمسجد المدينة، وقد غلط من ظنهما فيهم نزلتا، ويكفينا بيان رسول الله ﷺ، فإن الله أنزل إليه القرآن ليبينه للناس.

---

(١) أخرجه البخاري (١١٣١) ومسلم (١١٥٩) ـ ١٩٠ عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٢) «الدر المنثور» (٥/ ٣٨٢) للسيوطي.

(٣) «تفسير الطبري» (٧/ ٢٠٣ ـ ٢٠٤)، و«الدر المنثور».

(٤) في الأصل: «نسيت اسمهما» وهو تحريف، وكذلك وقع في مطبوعة «تفسير ابن كثير».

(٥) أخرجه مسلم (٢٤١٣).

نعم، ورد الأمر بالانقطاع في قوله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨].

فروي عن ابن عباس ومجاهد وأبي صالح وعطية والضحاك والسدّي أنّ معنى «التبتل» هنا الإخلاص[1].

وفي «الصحيحين»: «أن رسول الله ﷺ رد على عثمان بن مظعون رضي الله عنه التبتل ونهاه عنه»[2].

وفسّر هذا التبتل بالانقطاع للعبادة.

وخبر أهل الصُّفَّة من الحديث المعاد، فالاستدلال به هنا فرط جهالة أو عناد، ولكن لا بد من ذكر شيء من خبرهم لردّ شُبهة الاستدلال بهم في هذا الموضوع.

«الصُّفَّة»: سقيفة في مسجد رسول الله ﷺ بالمدينة أوى إليها من المهاجرين من لم يجد شغلاً يكتسب به لسكناه أو قُوتِه، ومن وجدوا عملاً اشتغلوا به حتى كان أحدهم يلتقط نوى التمر فيرضّها ويبيعها علفًا للإبل ليتقوّت من ثمنها.

فأهل الصُّفَّة ألجأتهم إليها الضرورة، لا فضيلة الانقطاع للعبادة، ولذا فارقوها لما زالت الضرورة ووجدوا ما يشتغلون به من الكسب.

قال الشاطبي في «الاعتصام»[3] ما حاصله:

«إن المقصود بالصُّفَّة لم يدم ولم يثابر أهلها ولا غيرهم على البقاء فيها، ولا عُمِّرت بعد النبي ﷺ، ولا اتخذ صدور هذه الطائفة من الصوفية زاويةً ولا بناءً يُضاهون به الصُّفَّة للاجتماع على التعبد والانقطاع عن أسباب الدنيا كالفُضيل وابن أدهم والجُنيد وإبراهيم

---

(١) انظر «تفسير ابن كثير» (٧/ ١٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٥٠٧٣) ومسلم (١٤٠٢) عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

(٣) في (١/ ٢٦٣).

الخواص والمحاسبي والشبلي، و إنما محصول هؤلاء أنهم خالفوا رسول الله ﷺ والسلف الصالح وشيوخ الطريقة التي انتسبوا إليها، ولا توفيق إلا بالله» اهـ.

ما أوضح الرُّشد لولا سيِّء النَّظر.

وأما المسألة الثانية فملخّص قولي فيها: أن التصوّف معرّب تيوصوفية اليونانية ورسمتها بالحروف الفرنجية[1]، وأن معناه عندهم «طريقة رياضية[2] لمعرفة الله» وأن بروخ اليهودي قد ألّف فيه كتبًا في القرن الحادي عشر الهجري والسابع عشر الميلادي.

فأخذ «صوفي» الزمان يبدي ويعيد، ويطيل فلا يفيد، وخلاصة كلامه أني أوّل من جعل التصوّف يونانيًا وليس لي على ذلك دليل، وأنّ النقل عن الإفرنج واليونان وذكر ابن سينا وبروخ ليس من الفن في شيء، وأنّ علماء السلف أثنوا على التصوّف ولم أنقل كلامهم، وأنّ لفظة التصوّف ثابتة من قبل تأسيس الدولة العباسية فهي غير يونانية.

فأما كون التصوُّف لفظة يونانية فلم أره في كتب المتقدمين لعدم شيوع استعمال اللغات الأجنبية عندهم، ولكنهم لم يثبتوا لهذه اللفظة أصلاً عربيًا سالمًا من النقد، ولم أقله أنا من عندي نفسي يا «صوفي» الزمان، بل سبقني إلى ذلك الأستاذ محمود العقاد، وتواردتُ عليه مع الشيخ رشيد رضا في كتابه الجزء الأول من «تاريخ الأستاذ الإمام»[3] إذ كان كتابه وكتابي تحت الطبع في سنة واحدة، وما اطّلعتُ على كتابه إلاّ بعد بروز كتابي من المطبعة.

---

(١) أي هكذا: (theosophie) كما في «تاريخ الجزائر» (٢/ ٣٤١) للمصنف.

(٢) في الأصل: رياضة، والتصحيح من المصدر المتقدم.

(٣) في (١/ ١٠٩ ـ ١١٠).

وهبني كنتُ أول من تنبّه لهذا المعنى، أتعدّه فضل اطّلاع أو خرقًا للإجماع؟

يا حضرة «الصوفي» إن إجماع طائفة من الناس على عدم العلم بالشيء لا ينفي عدم ثبوته في الواقع، وقد بينا سبب غفلة المتقدمين من كُتاب العربية عن هذا الأصل، فهذا من الإجماع الذي يحسن أن يخرق، واللفظة ثابتة في قواميس الإفرنج، مشروحة بالمعنى الذي نقلناه، منسوبة إلى اليونان بحروفها ومعناها.

وليس يصحّ في الأذهـان شيءٌ إذا احتـاج النهـارُ إلى دليـل

وليطمئن القارئ فضل اطمئنان أنقل له كلام رشيد رضا في مبحث التصوّف من ذلك الجزء قال:

«ويقول بعض الناس أن الصوفي منسوب إلى كلمة «سوفا» أو «سوفي» بعد التصرّف فيها بالتعريب، والكلمة يونانية، معناها الحكمة، والصوفية الحقيقيون كلهم طلاب حكمة، وهم من صنف الفلاسفة الإشراقيين عند اليونان، وذلك أنه لما دخلت الفلسفة اليونانية البلاد الإسلامية أخذ كلّ أناس منها ما يناسب استعدادهم، فعُني بعض الناس بالعلوم النظرية وبعضهم بالعلوم العملية مع العمل، وذلك قسمان: ما[1] يتعلق بالظاهر كالطب، وما[2] يتعلق بالباطن كرياضة النفس وتهذيب الأخلاق... وهذا هو موضوع التصوف».

«ويعرف أهل التاريخ أن هذا التصوّف قديم العهد في البشر، فهو معروف عند براهمة الهند إلى اليوم، وعند أهل الصين أيضًا، ومن الصينيين طائفة يسمون أهل الطريقة، لهم شارات كشارات أهل الطريق وأعلام يكتبون عليها[3] كلمات

---

(١) و(٢) في «تاريخ الأستاذ محمَّد عبده» في الموضعين: «قسم يتعلّق...».

(٣) في الصَّدر المتقدم: «عليهما».

دينية كالذي تراه كلّ يوم عند أهل الطرق» اهـ.

وبعد، فلك يا «صوفي» أن تذعن لهذا البيان ولك أن تكفر به، ولكن ليس لك أن تحكم بأني قلتُ ما قلتُ من عند نفسي لم يسبقني به أحد.

نعم، كان عليك ـ لو رُزقتَ التوفيق ـ أن تقول لم أره في غير كتابك، ثم تطالبني بالسند، ولكنكم يا صوفية الزمان تقولون «ألسنة المُحِبِّين أعجمية» فألسن المبغضين منكم أشدّ عجمة.

وأما كون النقل عن الإفرنج واليونان وذكر ابن سينا وبروخ ليس من الفن في شيء فكلام يحتاج في فهمه إلى رياضة أعجمية!

أيّ فنّ تعني؟ أليس كتابنا في فنّ التاريخ؟ أم الإفرنج يجهلون التاريخ؟ أم تاريخ التصوّف وقفٌ على طائفة خاصّة أمثال جنابكم؟

أعد نظرًا وقيّد كلامك ليدرك...

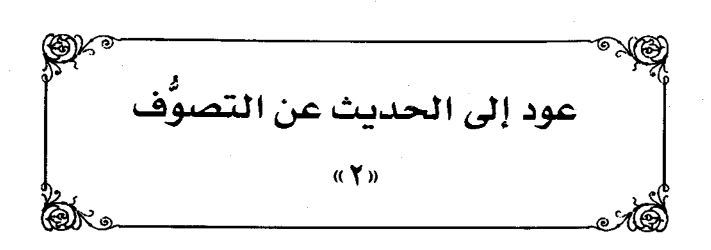
إنّ الواقع يشهد للأوروبيين بالتقدم علينا في المباحث العلمية، فلا بد من الاستعانة بكتبهم لكل من رام كتابة علمية فنية ولا سيما في التاريخ.

فإن كنتَ تنكر وجود تصوّف يوناني ومعرفة ابن سينا له وكتابة بروخ فيه ولو مُلئت بذلك بطون الكتب ودواوين الأدب فإني أعترف بالعجز عن جوابك، وأنشد تسليًا:

ومن البَلِيَّةِ عذلُ من لا يَرْعَوي   عن غَيِّهِ وخطابُ مَنْ لا يفهم[1]

(تليها بقية)   مبارك بن محمد الميلي

(١) «الشهاب»: م٨ ج١٢ الصادر في شعبان ١٣٥١هـ ديسمبر ١٩٣٢م.



وإن كنتَ تريد أن تحجر عليّ التعرّض لتصوّف اليونان ومن أخذ به أو كتب فيه فإني لا أعترف لك بهذه الهيمنة ولست بدياني.

وأما أنّ الشاطبي وعبده وغيرهما أثنوا على الصوفية فليس بواجب عليّ ولا مستحب أن أنقل كلامهم.

ثم إن كنتَ تعني أنّ في الصوفية أهل علم ودين يستحقّون الثناء فهذا لا أنازعك فيه، وقد أثبتُّ أن منهم سُنّيّين وذكرت منهم الجُنيد وشيئًا من كلامه، ووصف الرجل بالسُّنَّة أبلغ الثناء عندي، فإن وافقتني فما هذه الجعجعة؟

وإن رأيت لفظة «صوفي» أشرف من كلمة «سُنّيّ» فلكم دينكم ولي دين.

وإن كنتَ تعني أنّ الصوفيةَ كُلَّهم أجمعين أكتعين أبتعين أبصعين ـ وجنابك أحدهم ـ يستحقون الثناء وأنهم صفوة الله من خلقه؛ فهذا ما لا يوافقك عليه الواقع ولا الشاطبي ولا عبده ولا غيرهما، وانظر «الاعتصام» و«الموافقات» تجد الشاطبي يفرّق بين الصادقين القليلين وبين جمهورهم المدّعين.

وقد نقل الحافظ ابن حجر الاتفاق على الحكم بكفر وزندقة من اعتقد أنّ الخضر وليّ ثم فضّله على موسى، ومن قال: آخذ حكم الله عن قلبي وأعمل بمقتضاه من غير حاجة إلى كتاب ولا سُنَّة، ومن قال: أنا لا آخذ عن الموتى وإنما آخذ عن الحيّ الذي لا يموت، ومن قال: أنا آخذ عن قلبي عن ربي.

وقد أطال في «الفتح»[1] في تقرير هذه المسألة.

والمطّلع على كلام الصوفية يجد هذه الدعاوي صادرة عنهم، ولا أعني أنهم كلهم ادّعوها، وإنما أعني أن كل مدّع لها فهو صوفي، فكيف يستحق الصوفية الثناء بإطلاق؟

وقد عبّر «صوفي» الزمان عن ثناء الشاطبي وغيره على الصوفية بالتعريف وأنكر عليّ مرة عدم الاقتصار على مثل تلك التعاريف، ومرة قال أني عرّفت الفنّ بغير ما عرّفه به المتقدّمون، فكان بين كلاميه اضطراب.

فأما إنكار التوسّع وعدم الاقتصار فلا يسيغه له العلم.

وأما دعوى أني خالفتُ المتقدّمين في تعريف التصوّف، فلم يُقِم عليها ـ كعادته ـ دليلاً، وأيّ منافاة بين قولنا: «التصوف طريقة رياضية لمعرفة الله» وقولهم: «هو إخلاص التوجه لله» أن الإخلاص نتيجة الرياضة، فالتعريفان أحدهما للمبدأ والآخر للغاية، وكلّ من المبدأ والغاية إن أستند للواردات فقط فهو تصوّف اليونان وأتباعهم من الزنادقة، وإن تقيد بالكتاب والسنة ـ كما نقلنا في أصل الكتاب عن الجُنيد ـ فهو التصوف السُّنِّيّ.

---

(١) «فتح الباري» (١/ ٢٩٢ـ٢٩٣).

وأما ثبوت لفظة التصوّف قبل تأسيس الدولة العباسية ـ إن صح ـ فلا ينفي أن التصوف يوناني أدخل في الإسلام كما دخلت الفلسفة وغيرها، وتحقيق ذلك فيما يلي.

وأما **المسألة الثالثة** فقد نقلتُ فيها عن السهروردي أنه قال: لم يُعرَف التصوّف إلى المائتين من الهجرة، وأعقبته بقولي:

«ولا يُعَرف بالضبط تاريخ ظهور التصوّف ولا واضعه ولا أول صوفي» .

ثم قلتُ: «ودخلتْ لفظة التصوف اليونانية إلى العربية لما تُرجمت كتبُ اليونان والهند في الدور العباسي لا سيما أيام المأمون».

فنقل «صوفي» الزمان كلامي هذا على هذا الوجه:

«ذكرتم أيها الشيخ أنّ كلمة التصوّف لم تُعرف إلاّ في القرن الثاني بعدما تُرجمت كتب اليونان في عهد خلافة المأمون بن الرشيد العباسي، وإذن فهي كلمة يونانية، هذا ملخّص ما جئتم به» اهـ.

نقلت نصّ كلامه هذه المرة لأن تلك الجملة أوضح جملة معنى وأسلمها من الأذى، ثم هي أدلّها على أمانته في النقل، إذ نسب لي تاريخ ظهور التصوّف، وهو للسهروردي، وعبّر بالحصر وكلامي خال منه، بل صريح في أني لم أجد تاريخ ظهور التصوّف بالضبط، وجعل ترجمة كتب اليونان خلافة المأمون مع أني قلت في الدور العباسي لا سيما أيام المأمون، فاحتفظ أيها القارئ بهذا الشاهد لأمانة «صوفي» في النقل لتستشهده في المسألة الرابعة إن شاء الله.

وبعد؛ فإن صناعة العلم تقضي على «صوفي»:

أولاً: أن يخطّئني في النقل عن السهروردي أو يناقشه هو، ولكنه احترمه لأنه

صوفي، والأدب عند صوفية الزمان إنما يكون مع المتصوّفين فقط.

وثانيًا: أن يبيّن لنا بالضبط تاريخ ظهور التصوّف وواضعه وأول صوفي.

وثالثًا: أن يبطل وجود تصوّف يوناني أو ترجمة كتبهم إلى العربية.

لو فعل ذلك لشكرته وشكره العلم واعترفت له بالقصور الذي حرص على إلصاقه بي، لكنه لم يفعل شيئًا من ذلك!

أما القصور - يا ربيب القصور - فقد اعترفتُ به في مقدّمات الجزء الأول، ولكن لا بالنسبة لمن يكتب ككتابتك ويفكّر كتفكيرك ويتأدّب كتأدبك!

وخلاصة كلام «صوفي» في هذه المسألة أن التصوّف عرف في الإسلام قبل ترجمة كتب اليونان، واستدل لذلك بستة دلائل:

أحدها: ما روي أن الحسن البصري المتوفى سنة عشر ومائة قال: رأيتُ صوفيًا في الطواف، فأعطيته شيئًا فلم يأخذه، وقال: إن معي أربعة دوانق يكفيني ما معي.

ثانيها: ما روي عن سفيان الثوري المتوفى سنة (١٢١) (كذا) أنه قال: لولا أبو هاشم الصوفي ما عرفتُ دقيق الرياء.

ثالثها: ما روي عن سفيان أيضا أنه قال: أعزّ الخَلقِ خمسة أنفاس، فذكر: وفقيه صوفي.

رابعها: ما جاء في مجلة «المعرفة» أن «كلمة التصوف كانت تطلق على الزاهد المتعبد من قبل مجيء الإسلام».

خامسها: ما نقل أنه في سنة مائتين ظهر بالأسكندرية طائفة يسمون بالصوفية.

سادسها: ما نقل أن المأمون دخل عليه رجل في لباس الصوفية فسأله عن أمور ثم خرج إلى مسجد فإذا خمسة عشر رجلاً في مثل لباسه ينتظرونه، فأخبرهم

بجواب المأمون إياه وافترقوا.

هذه الأدلة في جملتها تنادي بحدوث التصوّف وكونه طارئًا في الإسلام، ولا نزاع في ذلك ، لأن هذا اللفظ لم يستعمله رسول الله ﷺ في أحاديثه ولا بلغنا استعماله عن صحابي ولا وُصف به صحابي ولا تابعي.

وقد قال ابن خلدون: أنه «من العلوم الشرعية الحادثة في المِلّة».

وقال القُشيري في «رسالته» ما ملخصه: «إن المسلمين كانوا أوّلاً يُسمَّون صحابة ثم تابعين، ثم أتباع التابعين ثم قيل لمن لهم شدّة عناية بأمر الدِّين: الزُّهّاد والعُبَّاد، ثم ظهرت البدع فادّعى كلّ فريق أنّ فيهم زُهَّادًا، فانفرد خواصّ أهل السنة باسم التصوف» اهـ.

فأنت ترى القُشيري ـ وهو إمام في التصوّف ومن أكبر دعاته ـ يجعل طبقة بين أتباع التابعين والصوفية، ويجعل حدوث التصوّف بعد ظهور البدع.

ولسنا بصدد مباحثته في قوله أن خواصّ أهل السُّنَّة انفردوا باسم التصوّف لما شاركتهم المبتدعة في اسم الزهاد ، كأن المبتدعة يشقّ عليهم أن يشاركوهم أيضا في اسم التصوّف!

وكلام السهروردي ككلام القُشيري في أن التصوّف إنما حدث بعد القرون الثلاثة المشهود لها بالخيرية، ولا أظنّ هذه النقطة تحتاج في تقريرها لأكثر من هذا، وإذا تقرر حدوث التصوّف في الإسلام فلنبحث عن تاريخ ظهوره عسى أن نهتدي إلى أهله.

قال القشيري ـ ونحوه للسهروردي ـ: «واشتهر هذا الاسم قبل المائتين من

الهجرة، ونحن نذكر في هذا الباب أسامي جماعة من شيوخ هذه الطريقة من الطبقة الأولى إلى وقت المتأخرين منهم» اهـ.

وابتدأ من شيوخ الطبقة الأولى بإبراهيم بن أدهم، ووفاته سنة إحدى وستين ومائة، وهي السنة التي توفي فيها سفيان الثوري، لا سنة إحدى وعشرين كما قال: «صوفي»، وقد كنا نحمله على الخطأ المطبعي لولا تنبيهه في عدد آخر من «البلاغ» على بعض الأغلاط فلم يذكر هذه.

ولم يذكر القُشيري في أهل الطبقة الأولى من هو أقدم وفاة من إبراهيم بن أدهم، وهذا يفيد أمرين:

أحدهما: أنه لم يكن من مشاهير المائة الأولى وأوائل الثانية مَن عُرف بالتصوف.

وثانيهما: أن التصوف كان قبل طبقة إبراهيم بن أدهم إذ يبعد أن يعترف الناس لهؤلاء ويشهروهم من غير تقدّم أناس مهّدوا لهم العامة حتى استأنست لهذا اللقب، ومع هذا لم نزل جاهلين بتاريخ بداية التصوف فلنتطلبه فيما جلبه «صوفي» الزمان!

فأما الخامس والسادس من أدلته فيفيدان انتشار التصوف بعض انتشار آخر المائة الثانية، وهذا معنى قولي في الكتاب «لا سيما أيام المأمون» وإنما أتى «صوفي» بهما لأنه حرّف كلامي فقوّلني ما لم أقل، وزعم عليّ أني جعلتُ خلافة المأمون تاريخًا لترجمة كتب اليونان ودخول كلمة التصوّف إلى العربية.

ثم إن هذين الدليلين يفيدان كون التصوّف يونانيًا ؛لأن انتشاره كان مصاحبًا لانتشار الكتب اليونانية المترجمة.

وأما الدليل الرابع فيفيد أن التصوف عربي جاهلي، وهذا قول الحافظ ابن

الجوزي أن الصوفي منسوب إلى صوفة الذين كانوا يجيزون بالحُجاج في الجاهلية، وقد ردّه ابن تيمية، واختصرتُ ذلك في أصل الكتاب، فما معنى الإغراب بالنقل عن مجلة عصرية، والمسألة مبسوطة في كتب الأوّلين، ومختصرة في الفصل الذي بين يديك تنتقده ؟

هكذا هكذا وإلا فلا لا...

(طرق العلم غير طرق الدعاوي)

وأما الدليلان الثاني والثالث فيفيدان وجود التصوّف زمن سفيان الثوري، وقد علمت أن إبراهيم بن أدهم أقدم رجال الطبقة الأولى من الصوفية كان معاصرًا للثوري، ولكن «صوفي» ظن وفاة سفيان قبل تأسيس الدولة العباسية فأتعب نفسه في استخراج هذين الدليلين، ومن المشتهر أن أبا جعفر المنصور عُني بترجمة الكتب، يونانية وغيرها، عناية شديدة ، ووفاته كانت قبل وفاة الثوري سنة (١٥٨).

وبعد، فلم يبق معنا إلاَّ الدليل الأوّل الذي يقضي بوجود التصوُّف قبل تأسيس الدولة العباسية.

وحيث أن القضية دينية تاريخية فلنا أن نسلك في نقد ذلك الدليل طريقة المحدِّثين رجال الدّين[1] الذين يبحثون في السَّنَد أوّلاً وعن المَتْن ثانيًا، وحينئذ نطالب «صوفينا» بتصحيح روايته سندًا ومتنًا.

ولنا أن نسلك طريقة المؤرّخين الذين يبحثون في المتن فقط، وطريقة المؤرّخين في هذه القضية أدنى إلى المفاهمة فلنسلكها.

---

(١) تقدم أن الإسلام لا يعرف «رجال الدِّين» وإنما يقال: علماء ومجتهدين!

وحيث إنّا أثبتنا في تاريخنا كون التصوُّف يوناني الأصل عن بحث وتحرير رجعنا إلى ما لدينا من المواد التي تعين على زيادة التحرير في هذا الموضوع فألفينا ابن النديم صاحب «الفهرست» يحدثنا عن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان بقوله:

«كان يُسمّى حكيم آل مروان، وكان فاضلاً في نفسه، وله هِمَّة ومحبَّة للعلوم، خطر بباله الصنعة، فأمر بإحضار جماعة من فلاسفة اليونان ممن كان ينزل مدينة مصر ، و قد تفصح بالعربية ، وأمرهم بنقل الكتب في الصنعة من اللسان اليوناني و القبطي إلى العربي، وهذا أول نقل كان في الإسلام من لغة إلى لغة» اهـ.

وخالد بن يزيد ولد سنة ستين من الهجرة، فنقل الكتب اليونانية إلى العربية كان في المائة الأولى، ولا يبعد أن يقتدي بخالد في هذا العمل رجال آخرون، ومن الغريب عادة تأثير اليونان والفُرس علميا في بعض من يجالسونهم من العرب الذين طوّحت بهم الفتوحات إلى أبعد الجهات.

إذا تقرّر هذا فليس بنا حاجة إلى ردّ تلك الحكاية المنقولة عن الحسن البصري، بل هي مؤيدة لكون التصوّف يونانيًا لأنها تدل على أن الصوفي يومئذ أغرب من كلّ غريب، وذلك لأن النقل عن اليونان لم ينتشر انتشاره في الدور العباسي، فكان الصوفي في الدور الأُموي غريبًا، وكلّما انتشرت الترجمة عن اليونان ازداد التصوّف نُمُوًّا.

وبالجملة إنّ فيل التصوّف كلّما وجّهته نحو مكة أو المدينة برك، وكلما وجّهته إلى أثينا أو القسطنطينية نهض مهرولاً، ومن سلم من الهوى والتقليد الأعمى كفاه هذا البيان، وإلا فما أضيع البرهان عند المقلد!

وإنّا في تحقيقنا لتاريخ التصوف ورجعه إلى اليونان لا نقصد إلى إهانة هذا العلم ولا إلى تهمة الصادقين من رجاله بنقص ديني، وإنما غرضنا تحرير المسائل العلمية على ما هدى إليه الدليل، ثم تنبيه المسلمين إلى أن هذا علم من العلوم التي تخضع لحكم الكتاب والسنة، وأن مسائله كمسائل الفقه مثلاً تقبل البحث وفيها القوي والضعيف.

وأما من يحاول التمرّد على الكتاب والسنة ممن ينتحل التصوّف فإنا نعدّ ذلك منه نزعة يونانية ونزغة شيطانية.

وأما **المسألة الرابعة**، فقد قال «صوفي» الزمان:

«إنكم نقلتم عن ابن خلدون نقلاً لا يتفق مع الأمانة، وشأن المؤرخ أن يكون أمينًا، وذلك أنكم اقتصرتم على ما استطرده ابن خلدون من كون التصوّف أفسده بعض الدخلاء، وتركتم ما ذكره في صدر الفصل عند تعريفه للفن في مقدمته حيث يقول: «إن طريقة هؤلاء القوم إلخ»».

ثم أشار إلى ما نقلناه من «رسالة التصوّف» لابن تيمية فيمن نُقلت عنهم حكايات غريبة في التواجد لسماع القرآن، ونقل هو من فتاويه ما يطابق كلامه في تلك الرسالة من أن الاضطراب الشديد والغشي والموت والصيحات ليست من حال النبيﷺ والصحابة، وأعقبه بقوله:

«وإذن فَلِمَ عدلتم عن هذا النقل الذي هو أصرح وأوضح إلى غيره؟ فهل لكم غرض غير الغرض الذي أجاب به حضرة الشيخ ابن تيمية؟؟ وعلى كلّ حال «اقتصار المؤرخ في النقل على ما يوافق بغيته يبعث الناس على الارتياب في سائر نُقُولِه» اهـ.

ما كنّا لنرفع رأسًا لِرمي «صوفي» مجهولٍ لنا بخيانة النقل، وكتابنا وما نقلنا منه بين أيدي الناس، غير أن الكاتب والناشر أو الكاذب والناشر، جعلاها مسألة عظيمة وألفتا إليها الأنظار!

وملخّص كلامه الذي وضعناه أمام قارئ هذا المقال أننا خُنَّا النقل عن ابن خلدون، وأن ما نقلناه عنه أتى به استطرادًا، وأن اقتصارنا على أحد كلامي ابن تيمية تهمة تسحب ذيل الريب على كل نُقُولِنا.

وإذا وضعتَ أمامك فصل التصوّف من كتابنا ومن كتاب ابن خلدون رأيتَ أنّ ما نقلناه عنه ذكره هو في طور من أطوار تاريخ التصوّف، وهو طور امتزاجه بالإسماعلية، وفي هذا الطور نقلناه نحن، فلا ابن خلدون أتى به استطرادًا ولا أنا نقلته محرّفًا، وكذلك نقلتُ من رسالة ابن تيمية ما قيل في قضية خاصة هي قضية الإفراط في التواجد وأنه محمول إمّا على التصنّع أوالبدعة، وكلامه في هذه القضية الخاصة المنقول من «فتاويه» لا محصّل له غير ما في رسالته، فهل في هذا يا عباد الله ما يمسّ بأمانة النقل؟

اللهم إليك المشتكى من أناس ذوي نفوس هي داء الإنسانية، همّهم التضليل والتلبيس والدعاوي العريضة، وهم لا يكادون يفقهون قولاً.

(مَن يَسْمَعْ) لفظ أمانة النقل (يَخَلْ) أنّنا حرّفنا كلام ابن خلدون أو اختصرناه بما أخرجه عن معناه، أو أننا آثرنا أحد كلامي ابن تيمية لستر حقيقة، ومن لا يعبأ بكلّ ما يسمع إلاّ بعد الغربلة ذكر قهرًا عليه قولهم: «أسمع جعجعةً ولا أرى طحنًا».

وكان «صوفينا» المجهول الثقة العدل الرضا يحاول خيانة النقل بإيهامه أنّ بين

كلامي ابن تيمية اختلافًا، على أنك إذا بحثت في كتابته وجدت لخيانته النقل شواهد، تقدم بعضها أثناء هذا المقال، ومنها إيهامه أنه نقل صدر فصل التصوف من ابن خلدون من أوله، مع أن ابن خلدون افتتح الفصل بقوله:

«هذا العلم من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصله أن طريقة هؤلاء القوم إلخ».

فحذف «الصوفي» الأمين من أول الفصل ما ينادي بحدوث التصوّف في الإسلام، وكلمة (وأصله) الدالة على أن خير ما في التصوف هو ما وافق عبادة الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم أجمعين، ومع هذا يصمني بخيانة النقل! هذا مضرب المثل: «رمتني بدائها وانسلت» ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون.

وربما طال المقال على القارئ حتى أنساه آخرُه أوّلَه، وربما فهم من بعض النقط التي اقتضاها الحجاج خلاف المراد، فألخِّص له ما عندي في العبادة والتصوف في جمل واضحة من غير إعادة للأدلة:

١ ـ أفضل العبادة ما سَلِمَتْ من التقصير المورِّث للغفلة، ومن الغلوّ المفضي إلى السآمة أو ترك الأسباب.

٢ ـ التصوف يوناني، وكلّ ما نقل عن اليونان من علوم الفلسفة نظرية أو عملية لا يُرفَض بجملته، وإنما يُرفَض منه ما خالف التعاليم الإسلامية، لا فرق في ذلك بين تصوف وغيره، وما رأينا عالماً ولا صوفياً يصدّ الناس اليوم عن المدارس الفرنسية، وجلّ علومها يونانية رومانية!

٣ ـ لا ننكر التصوف المقيّد بالكتاب والسنة، وننظر إلى رجاله ومسائله نظرنا إلى رجال ومسائل بقية علوم الدين كالتوحيد والفقه، فنجلّ رجال الجميع، ولا

نَنزّههم عن الخطأ في بعض اجتهاداتهم، ونعتقد صحة العمل بمسائل الجميع كلّ في فنه، ولا نقف حيارى أمام ما قام الدليل على بطلانه منها، وليس هذا من الاجتهاد المستبعد على العلماء منذ أزمان، ولكنه من الاختيار الذي يضطر إليه العالِمِ عندما يقف على أقوال مَن قبله وأدلتهم.

٤ ـ نرى أن في مسائل التصوّف دِقّة، وفي العمل به لا يسلم منها إلا المضطلع بالكتاب والسنة، فرجال التصوّف السُّنِّيُّون الصادقون قليلون جدًا، وتحذير العلماء من الفلسفة الصوفية كتحذيرهم من الفلسفة الكلامية، يريدون بذلك المحافظة على العامة ومن قرب من درجتهم من الزيغ، ولا يقصدون إلى ذمّ الفلسفة من حيث هي.

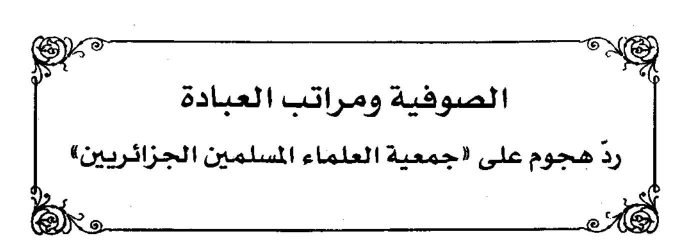
أما صوفية الزمان فللتحذير منهم معنى آخر وهو أنهم اتخذوا من تعظيم أسماء المتقدّمين والانتماء إليهم قولاً لا عملاً أحبولة لاصطياد الفلوس، وقديمًا قيل: «أكلت الدنيا بأدب الخليل»، ولكلِّ عمومٍ خصوصٌ.

فإن كفى هذا البيان وإلا فأوّل الغيث قطر... وبالله التوفيق[1].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) «الشهاب»: م٩ ج١ الصادر في رمضان ١٣٥١هـ جانفي ١٩٣٣م.



الصوفية ومراتب العبادة

ردّ هجوم على «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

جاء في مجلة «الشّهاب» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٦٥] ما نصّه:

«زعم قوم أن أكمل أحوال العابد أن يعبد الله تعالى لا طمعًا في جنّته ولا خوفًا من ناره» .

ثمّ أخذ في ردِّ هذا الزّعم، فانتصر الحافظي لذلك الزعم بمقال جاء في طالعته:

«إنَّ الكاتب يعني بالقوم السّادة الصوفية، وأنّ كاتب هذا الفصل هو صديقنا حضرة الأستاذ الشّيخ عبد الحميد بن باديس رئيس «جمعية علماء المسلمين».

وههنا يتساءل القاريء: هل يتوقّف تحرير المسألة على بيان أنّ الزاعمين هم الصّوفية؟ وهل يتوقّف على بيان أنّ الكاتب هو الأستاذ عبد الحميد؟ وهل يتوقّف على بيان أنّ هذا الأستاذ هو رئيس «جمعية العلماء المسلمين»؟

والذي يظهر أنّ تحرير المسألة لا يتوقّف على شيء من ذلك، وأنّ الحافظي ما أراد من تلك البيانات إلاّ التظاهر باحترام الصّوفية والتّشنيع على باديس في تخطئته لهم ورمي «جمعية العلماء المسلمين» التي يرأسها باديس بأنّها تؤذي الصّوفية،

وفائدته التي يرجوها من هذه النّزغات هي إرضاء المنشقّين عن هذه الجمعية الذين أسّسوا جمعية أخرى قدّموه لرئاستها، وليس لهؤلاء المنشقّين المشاقّين غايةٌ أكثرَ من محاربة الجمعية الأولى، فأقام لهم رئيسهم الحافظي بهذا الرّدّ على هذا النّحو شاهدًا من شواهد إخلاصه لهم، ثم أعقبه بشواهد كثيرة نشرها بصحيفة سمّاها «الإخلاص» وسينشر بها من أمثال تلك الشّواهد ما يجعله لدى مرؤوسيه هو عين «الإخلاص».

هذا الحافظي الذي يريد اليوم وقف حياته على محاربة «جمعية العلماء المسلمين» قد كان عضوًا في إدارتها، وكانت الدّعوة تُوَجّه إليه في كلّ اجتماع إداري ولا يحضر، ولا حضر يوم الاجتماع العمومي في نهاية السّنة الأولى للجمعيّة، فلمّا انشقّ مَن انشقّ عن الجمعية وقف في صفّهم وأصبح إمامَهم، وكلّما عقدوا اجتماعا وجدوه أمامهم، وصارت الجزائر أقرب إليه من حبل الوريد! هكذا يكون الإخلاص!

وقد اتّخذ كثير من ذوي الغايات الشّخصية التّغنّي لمحاسن الصُّوفية إكسيرًا لقومٍ وسلاحًا على آخرين.

اتّخذوه إكسيرًا للعامّة يقلّبونها به إلى قطعة ذهبية ينفقون منها متى شاءوا، واتّخذوه سلاحًا على العلماء النّاصحين كلّما خافوا على خرافة الإكسير من الافتضاح.

ومنذ أخذ العلماء النّاصحون في الدّعوة والإرشاد بالدّروس والمقالات أخذ الشّعب الجزائري يتنبّه لخرافة الإكسير، ويمسح عن مرآة قلبه ران الخرافات الفاشية، ويتحرّك للفضيلة، يتقدّم نحو الحياة العلمية بفتح المدارس والنّوادي في سائر النّواحي.

ولعلّ الله تعالى لم يشأ أن يبقى الشّعب الجزائريّ جامدًا في عصر الحركة

العامّة؛ ولم يشأ أن يخرق بجموده يومئذ عادته، فإنّ المعجزة خُتِمت بختم النبوّة، والكرامة لا تكون ـ بفضل الله ـ بإهانة شعب كامل.

ولتنظيم الدّعوة والإرشاد وإحياء الكتاب والسنّة تأسّست «جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين» التي يرأسها الآن الأستاذ باديس، فتشاءم منها كلّ من يرى حياته في موت الشّعب، وكلّ من كان رجاؤه في نقود الأوراق أقوى من رجائه في الخلاّق الرزّاق، وأداروا الرّأي بينهم فقرّروا إما قلب «الجمعية» إلى ما يوافق أهواءهم، وإما الانسلاخ منها ومحاربتها بجمعية أخرى، فلمّا خابوا في محاولة قلبها أسّسوا جمعية أخرى باسم «جمعية علماء السنّة» التي يرأسها الحافظي، وزحفوا لحرب الجمعية الأولى بِصُحُفِهِم: «البلاغ» و«الإخلاص» و«المعيار»، وجعلوا شعارهم القرآن والحديث، ولكن من وقف على صُحُفِهم علم أنّهم ما أرادوا إحياءهما، وإنّما أرادوا ستر فرارهم من حكمهما فكانوا كمن قال فيهم ابن القيّم[1]:

«أنزلوا النّصوص منزلة الخليفة في هذا الزّمان: له السكّة والخُطبة، وما له حكم نافذ ولا سلطان».

ولعلّ حكمة هذه المعارضة تقوية دعوة الحق بتصفية الدّعاة من المغرضين وضِعاف الإرادة، ثمّ تمكينها من قلوب العامّة بأخذهم لها عن نظر وتأمّل.

وقد بحثتْ جمعيةُ المعارضة عن وسط تعيش فيه، فتظاهرت بحماية التصوّف والصوفية، لأن العامّة ـ ومن قرب منهم إدراكًا ـ يعتقدون أنّ الصوفية مطلقًا هم صفوة الخلق، وهم وحدهم العُبّاد الزُهّاد، وأنّ التسليم لأقوالهم وأحوالهم نجاة،

---

(١) في «مدارج السالكين» (١/ ٣٤٩) نحوه.

ونقد شيء منها خسران.

ولاعتقاد الحافظي بهذه المكانة لدى العامة تظاهر بتعظيمهم والذبِّ عنهم، فربط بحثه مع باديس في كمال العبادة بالصوفية ليثير عليه في ظنّه العامة، وقد سبق له منذ سنوات محاولة أخرى مع الشيخ الطيّب العقبي أشدّ وأقوى وأصرح من هذه، فلم يتّعظ بخيبته فيها.

ولولا ما شرحناه من مقاصد الحافظي التي حملته على مناهضة باديس ما رفعنا القلم في هذه القضية، فإنّنا في حاجة إلى معرفة أصل العبادة فضلاً عن كمالها، وعذر باديس أنّها عرضت له أثناء التّفسير، وعذر الحافظي أنّه هزّته غيرته على الصوفية، فقامت قيامته، وسالت بدموع الحزن يراعتُه، وبارت لدى النقّاد بِضاعتُه، وعذري أنّني رأيتُ مقاصد الدِّين أصبحت وسائل للتشفّي ومحاولة الانتقام وتطلّب الظهور، وإنّ العاقل ليكتفي منّي في هذا الموضوع بما سطّرته، ولكن اعتياد المعارضين للتبجّح ورمي غيرهم بالقصور حملني على تتبُّع مقالة الحافظي بالنّقض من غير تعرّض للأغلاط اللّفظية والخطّية.

وأهمّ ما جاء في تهويله بذكر الصوفية نقطتان:

النقطة الأولى: تفسيره لـ«قوم» في كلام باديس بالصوفية توسّلاً لرميه بمسّ كرامتهم والجراءة والتطاول عليهم وعدم التأدّب معهم.

والجواب عنها:

أوّلًا: أنّ الزاعمين ذلك الزعم هم بعض الصوفية كما يأتي في عبارة الحافظ ابن كثير.

وثانيًا: أنّ باديس لم يعيِّن الزاعمين لا بالشخص ولا بالوصف الخاص، وهذا نهاية الأدب مع السلامة من تبِعة كتمان العلم.

وأنت أيّها الحافظي أحقّ بما وصفتَ به باديس مع الصوفية، لأنّكَ أنتَ الذي بيّنتَ أنّ أولئك القوم الزاعمين هم الصوفية «فما بلَّغَ المكروهَ إلاّ مَن نقل»، وأنّ وقيعتك في باديس وتزهيدك العامّة في علمائها الناصحين لأكبر جريمة تجدها يوم تجد كلّ نفس ما عملت من خير محضرًا، يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون.

والنقطة الثانية: إشارته لحديث: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، وأنّ انتقاد باديس خروج عن وجوب النصيحة لله ولكتابه ولرسوله وأئمّة المسلمين وعامّتهم، وحمله لأئمّة المسلمين على السادة الصوفية، وأنّ النصيحة لهم: أن نثِقَ بهم وبعلومهم غاية الثقة، وأن نتلقّاها بالقبول والإحسان، وأن نحسن الظنّ بهم.

والجواب: أنّ حديث النصيحة رواه مسلم[1] عن تميم الداري مرفوعًا، ولفظه: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»، قلنا: لمن؟ قال: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**».

وملخّص معناه: أنّ النصيحة لله: هي الرغبة في طاعته وتقديم حقِّه على حقِّ الناس، ولكتابه: تعليمه والعمل بما فيه، ولرسوله إحياء سنّته، ولأئمّة المسلمين حملهم على العدل وحمل الرعيّة على طاعتهم في الحقّ، ولعامة المسلمين إرشادهم وتعليمهم ما ينفعهم دنيا وأخرى، وأئمّة المسلمين هم الخلفاء والأمراء، وفي معناهم أئمة الاجتهاد، والنصيحة لهم بِبَثِّ معارفهم وفضائلهم وعدم اتِّهامهم بالهوى في الدِّين.

---

(١) برقم (٥٥).

ودعوى الحافظي خروج باديس عن وجوب النصيحة ناشئة عن تفسيره للنصيحة بغير معناها، بل بمعنى الغشّ الذي هو ضدُّها، فإنّنا إذا وثقنا بعلومهم كلّ الثقة، وتلقّيناها بالقبول لم ننصح لهم بالتنبيه على الخطأ، وقدّمنا حقّ احترامهم على حقّ الله، وأهملنا الكتاب علماً وعملاً، وأَمَتْنَا السُّنَّة، ولم نرشد العامة إلى ما ينفعهم متى تعلّقوا اعتقادًا أو عملاً بقول غير صحيح.

ومعلوم أنّ المجتهد يصيب ويخطئ، وأنّ الصحابة كانوا يردُّون بعضهم على بعض، ولولا تخطئة العلماء بعضهم لبعض ما تعدَّدت المذاهب ولا كثُرت الأقوال في المذهب الواحد، ولولا أنّ النقد من الدِّين ما ألّف المحدِّثون كتب الجَرح والضعفاء، ولا يخلو من الانتقاد كتاب من كتب التفسير و الحديث والكلام والفقه والأصول وعلوم العربية.

وعلى شرح الحافظي للنصيحة يكون المسلمون من عصر الصحابة حتّى اليوم غير ناصحين لأنّهم ردُّوا بعضهم على بعض في الحياة وبعد الممات، ولم يتلقّوا أقوال مَن سبقهم بالقبول، فبحثوا عن أدلّتها وصوّبوا وخطّأوا، ابق أنت ونصيحتك يا حافظي!

وأمّا قولك عن الصوفية: «أنّ هؤلاء المحقّقين أئمّتنا»، فإن عنيتَ أشخاصًا منهم فاذكرهم بأسمائهم وأثبت لهم ذلك الزعم في كمال العبادة، ثمّ نطبّق النصيحة على ما نشاء أو على ما يشاء العلم.

وإن عنيت الصوفية وكفى ـ وهو ظاهر إجمالك ـ فإنّ غرضك قد يرضى هذا كما رضي تفسير النصيحة بالغشّ، ولكنّ العلم يأبى موافقتك في الموضعين، والظاهر من عدم تثبّتك فيما تقول أنّك تكتب لطائفة خاصة تعرف هواها وتخطب رضاها.

الصوفيون مجتهدون، وهم كمجتهدي غيرهم يصيبون ويخطئون، وفي الصوفية البَرُّ والفاجر، والحاذق والمغفَّل، والسُّنِّيّ والبدعيّ والزنديق، وقد اختلطت أقوالهم في المصنّفات ولم يميِّز رجالَهم أصحابُ الطبقات، فاحترامك للصوفية عموماً هو من معنى تفسير النصيحة بالغشّ.

قال أبو سليمان الداراني الصوفي: «ربّما تقع في قلبي النكتة من نُكَت القوم أيّاماً فلا أقبل منه إلاّ بشاهدين عدلين: الكتاب والسنّة».

وفي «إسعاف المبطّأ»[1] للسيوطي ما نصّه: «قال ابن وهب: سمعتُ مالكًا يقول: لقد أدركتُ بالمدينة أقواماً لو استُسقِيَ بهم القَطر لسُقُوا، وقد سمعنا من العلم والحديث شيئاً كثيراً وما أخذتُ عن واحد منهم، وذلك أنّهم كانوا قد ألزموا أنفسهم خوف الله والزهد، وهذا الشأن ـ يعني الحديث والفُتيا ـ يحتاج إلى رجل معه تُقًى وورَعٌ وصيانةٌ وإتقانٌ وعِلمٌ وفهمٌ، ويعلم ما يخرج من رأسه وما يصل إليه غدًا في القيامة، فأمّا زهد بلا إتقان ولا معرفة فلا ينتفع به، وليس هو بِحُجَّة، ولا يُحمَل عنهم العلم».

وكلام أبي سُليمان يفيد أنّ الصوفية السُّنِّيِّين لا يعملون بخواطرهم ما لم توافق الكتاب والسُّنَّة، فوزن ذلك الزعم في كمال العبادة بالكتاب والسنة كما فعل باديس هي طريقة الصوفية السُّنِّيِّين.

وكلام الإمام مالك يفيد أنّ صلاح المرء في نفسه لا يجعله قدوة ما لم يجمع إلى صلاحه علم الدِّين ونقد الأقوال والرِّجال. وهذا خلاف ما عليه العامّة وأشباههم

---

(١) (ص٥).

من الطلبة في الاغترار بكلّ متظاهر بالصلاح، ولا سيما إذا انتحل التصوُّف مذهبا.

ولزيادة تقرير هذا البحث ننقل عن السيوطي في «اللآلئ المصنوعة» بعض ما نقله عن الحافظ ابن الجوزي.

قال عند ذكره أقسام من وقع في حديثهم الموضوع والكذب والمقلوب ما نصّه[1]:

«القسم الأوّل: قوم غلب عليهم الزهد والتقشّف فغفلوا عن الحفظ والتمييز، ومنهم من ضاعت كتبه أو احترقت أو دفنها ثمّ حدَّث من حفظه فغلط».

ثمّ قال ما خلاصته:

«القسم الثالث: قوم وضعوا الأحاديث في الترغيب والترهيب، ومضمون فعلهم أنّ الشريعة ناقصة وتحتاج إلى تتمّة، ومن هؤلاء غلام خليل، وكان يتزهّد ويهجر شهوات الدنيا ويتقوَّت الباقلاء صرفاً، وغُلقت أسواق بغداد يوم موته، فحسَّن له الشيطان هذا الفعل القبيح»[2].

وكتب الجرح من فنون الحديث مشحونة بالعبّاد والزهّاد من الصوفية وغيرهم.

ومسألة كمال العبادة التي أنطقت الحافظي الصَّموت عن أباطيل مرؤوسيه الكثيرة قال فيها الحافظ ابن كثير في «تفسيره»[3] ما نصّه:

«وقال بعضُ الصوفية: العبادة إمّا لتحصيل ثواب أو درء عقاب.

قالوا: وهذا ليس بطائل إذ مقصوده تحصيل مقصوده؛ وإمّا للتشريف بتكاليف

---

(١) في (٢/ ٤٦٧).

(٢) في (٢/ ٤٦٩).

(٣) في (١/ ٤٨).

الله تعالى، وهذا أيضا عندهم ضعيف، بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدّسة الموصوفة بالكمال.

قالوا: ولهذا يقول المصلّي: أصلّي لله، ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصلاة.

وقد ردّ ذلك عليهم آخرون، وقالوا: كون العبادة لله ـ عز وجل ـ لا ينافي أن يطلب معها ثواباً ولا أن يدفع عذاباً، كما قال ذلك الأعرابي: أما إنّي لا أُحسِن دندنتك ولا دندنة معاذ، إنّما أسأل الله الجنّة وأعوذ به من النار، فقال النبي ﷺ: «حَوْلَهَا نُدَنْدِنْ»[1]» اهـ.

وقد استدلّ باديس لكون كمال العبادة يصاحب الرجاء والخوف بما ذكره الله في صفات عباد الرحمن أنّهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾، وبما حكاه عن خليله إبراهيم من قوله: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى﴾ [الشعراء: ٨٢]، وبما جاء في دعاء القنوت: «نَرْجُو رَحْمَتَكَ وَنَخَافُ عَذَابَكَ»[2]، وبعموم ما جاء عن الأنبياء في تعوُّذهم من عذاب الله وسؤالهم لما عنده.

قال الحافظي: «إنّ قول عباد الرحمن: ﴿رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ خالٍ من القصر فلا يمنع اتصافهم بغير الصِّفاة (كذا) المذكورة، فالآية لا تدلُّ على دعوى باديس لا بالمنطوق ولا بالمفهوم».

وجعل هذا من قواعد علم البلاغة وأصول الفقه التي غفل باديس عن تطبيقها، وذهب في وهمه يتمطّى!

---

(١) صحيح أبي داود (٧٥٧) للألباني.

(٢) تخريج أحاديث «تفسير ابن باديس» (٤٤).

وجوابه: أنّ الآية مشتملة على القصر لأنّ المسند والمسند إليه كليهما معرفة، وتعريف الطرفين قد يفيد القصر.

قال القزويني في «التلخيص»: إنّ تعريف المسند بلام الجنس قد يفيد القصر.

ونظمه الأخضري في «الجوهر المكنون» بقوله:

وقصروا تحقيقاً أو مبالغةً بعرف جنسه كهند البالغة

وقرّر السيّد في حواشي «المطوّل»: أنَّ تعريف الإضافة والصّلة كالتعريف بأل يكون للجنس وللعهد بأقسامها.

وقد بسط هذه المسألة الشيخ عبد القاهر في «دلائل الإعجاز» في عدّة صحائف[1].

وهذا القصر هو مِن قصر الصِّفة على الموصوف فلا تكون تلك الصِّفات لغير عباد الرحمن، ويجوز أن يكون لهم صفات أُخَر لكن بشرط أن لا تُناقِض الصفات المثبتة لهم، فإذا قلتَ: عليّ الشجاع، جاز أن يكون لعليّ صفات أُخَر من كرم وأكل ونوم وكلّ ما لا ينافي الشجاعة.

وإثبات الخوف من النار لعباد الرحمن وقصره عليهم يناقض صفة عدم الخوف من النار، فلا يتّصفون بعدم هذا الخوف، وبهذا اتّضح صدق فهم باديس وسقوط مناقشة الحافظي.

ولم يتعرّض هذا الحافظي لبقيّة أدلّة باديس، وإنّما نقل أنقالاً أعقبها بقوله:

«والخلاصة أنّ البحث العلمي الذي شرحناه في دليل الخصم كافٍ في إبطال دعواه، وما نقلناه من كلام المفسِّرين والمحدِّثين والفقهاء والحكماء زيادة بيان على مدّعانا».

---

(١) في (ص ١٣٨ ـ ١٥٣).

أمّا بحثه العلمي فهو ذِكره لألفاظ المنطوق والمفهوم والقصر وقواعد العلوم وعلم البلاغة وأصول الفقه، وقد عرفت قيمة هذا البحث العلمي الذي عالج به دليلاً واحدًا من أدلّة خصمه فعجز عن ثلم حرف منه، ولا أدري بماذا يفسِّر سكوته عن بقيّة الأدلّة؟

وليس في نُقوله التي يتبجّح بها استدلالٌ بآية أو حديث، والمسألة دينية، والله يقول: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩]، والردّ إليهما هو عرض قضيّة النِّزاع على الكتاب والسنّة الثابتة، لا الإعراض عنهما والسّعي وراء آراء الرِّجال.

والمبتدىء الذي لا يعرف ألفاظ المنطوق والمفهوم والقصر ونحوها يعلم أنّ الحجّة في كتاب الله وحديث رسوله ﷺ، لا فيما يحكيه المفسِّرون أو الشُّرَّاح من حكايات أو إشارات، فـ«الأربعون النوويّة» مثلاً حُجَّة فيما أفادته من أصول الدِّين وأحكامه، وليست الحجّة في حكايات الفشني[1] وغيره من الشُّرَّاح.

وجميع نُقوله وما تخلّلها من كلامه ترجع إلى أقسام:

الأوّل: آراء لا تصلح للاستدلال، بل هي في حاجة إلى دليل من الكتاب والسنّة، ولا دليل عليها منهما.

القسم الثاني: ما هو صحيح في نفسه، ولكن لا ينتج له مطلوبه، وهذا كقول

---

(١) هو شهاب الدِّين أحمد بن حجازي الفشني، المصري، الشَّافعي، المتوفَّى في حدود سنة (٩٧٨هـ)، له «المجالس السَّنيَّة في شرح الأربعين النَّوويَّة».

انظر: «إيضاح المكنون» (٣/ ٥٦) و«هديَّة العارفين» (٥/ ١٤٧) و«الأعلام» (١/ ١٠٩ ـ ١١٠).

الفخر الرازي: أنّ العبادة واجبة لله ولو لم يكن ثواب ولا عقاب، ودليله قوله ﷺ: «اعْمَلُوا وَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَنْ يُدْخِلَهُ عَمَلُهُ الجَنَّةَ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله!؟ قال: «وَلا أَنَا، إِلا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ»[1].

وهذا لا ينافي رغبة العبد في ثواب الله الذي تفضّل به عليه.

ومن هذا القسم قوله: أنّ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام يُعلِّمون البشر أنواع القُربات من الله تعالى، والناس على قدر مراتبهم.

فنقول له: هذا عليك لا لك، فإنّ تعليم الرسول ﷺ لنا جاء مصحوباً بالترغيب والترهيب، ولم يبيِّن لنا أنّ للعبادة حالة أعلى مجرّدة من الخوف والرّجاء.

القسم الثالث: ما هو صحيح في نفسه، فحرّفه إلى ما يوافق غرضه، وهذا كنقله عن أبي بكر بن العربي أنّه فسّر الإخلاص بتجريد العمل عن كلّ شيء إلا لوجهه تعالى.

وقد شعر بعدم شهادة هذا النقل له، ففسّره بقوله: «من جملة الشيء الذي يجب تجريد العمل منه هو الثواب والعقاب أو الجنّة والنار»، ولو كان مُحِقًّا ما حاول مثل هذا التلفيق الذي فيه استخفاف بالدين واستغفال للقارىء.

ومن هذا القسم دعواه أنّ قوله ﷺ في حديث الإحسان: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»[2] يدلُّ على أنّ العبادة العالية ما كانت للذّات مجرّدة من رجاء الجنّة وخوف

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٦٧) ومسلم (٢٨١٨) عن عائشة بنحوه، وأخرجه مسلم (٢٨١٦) عن أبي هريرة.

(٢) قطعة من حديث جبريل عليه الصلاة والسلام، أخرجه مسلم (٨) عن عمر بن الخطاب، وأخرجه البخاري (٥٠) ومسلم (٩) عن أبي هريرة.

النار، وأحال القارىء على شرَّاح هذا الحديث، والذي قاله شرَّاح الحديث: أنّ فيه حثًّا على الإخلاص لله ومراقبته بإتمام الخضوع والخشوع، وذلك أنّ العبد إذا عمل أمام سيِّده أحكم عمله وأتقنه رغبةً في رضاه وخوفاً من سخطه.

القسم الرَّابع: ذِكره لمحبّة الله تعالى توسُّلاً إلى كونها تنافي الرّجاء والخوف، وهذا غلط، فإنّ محبّة الله ورسوله ﷺ من الإيمان. ولو كانت المحبّة لها تنافي الرغبة والرهبة لانتفى الإيمان جملة. وقد فسّر العلماء محبّتهما بما يجامع الرغبة والرهبة.

قال الحافظ ابن حجر[1]: «محبوب الإنسان إمّا نفسه أو غيره، أمّا نفسه فهو أن يريد دوام بقائها سالمة من الآفات، وأمّا غيره فإذا حقّق الأمر فيه فإنّما هو بسببِ تحصيلِ نفعٍ ما على وجوهه المختلفة حالاً ومآلاً».

وقال ابن القيّم في «مدارج السالكين»[2] ما خلاصته:

«الناس أربعة أقسام:

أحدهم: مَن لا يريد ربّه ولا ثوابه، فهؤلاء أعداؤه حقًّا.

ثانيهم: مَن يريده ويريد ثوابه، وهؤلاء خواصُّ خلقه.

ثالثهم: مَن يريد مِن الله ولا يريد الله، فهذا ناقص غاية النقص، وهو حال الجاهل بربِّه.

رابعهم ـ وهو محال ـ أن يريد الله ولا يريد منه» اهـ

وكتب السَّيد رشيد رضا على كلام الحافظ ابن كثير الَّذي نقلناه في صدر هذه

---

(١) في «فتح الباري» (١/ ٨٣) بتصرف.

(٢) في (٢/ ٨١ ـ ٨٣).

المسألة، ما نصُّه:

«المراد من كون العبادة لله أنَّها تفعل بأمره ابتغاء مرضاته وثوابه، ومنه كمال معرفته في الآخرة. فمن ردَّ إرادة الثَّواب فقد ردَّ القرآن والسُّنَّة وعطَّل الشَّريعة.

ومن المعلوم القطعي أنَّ الله تعالى أمر العباد بعبادته لأجل تزكيتهم وتأهيلهم للحياة الأبدية في الجنَّة، لا لأجل ذاته فهو غني عنهم وعن عبادتهم.

ونصوص الكتاب والسُّنَّة في ذلك مشهورة، ويعقل كونها لذاته إلَّا إذا فُسِّر بمعرفته ورؤيته. وهذا من الثواب الذي يقصد العابد لنفسه، فلا يبقى لفلسفتهم معنى» اهـ.

وقد استبان لك ممّا تقدَّم:

١ـ أن الحافظي لم يُرد بردِّه خدمة العلم ولا نصيحة الأمّة، بل خدمة جمعيّته والتودّد لأولياء نعمته.

٢ـ تقويله الصوفية ما لم يقولوا بنسبته ذلك الزعم لجميعهم وهو لبعضهم.

٣ـ تفسيره للنصيحة بمعنى الغشّ، وإيهامه أنّ المسلمين من عصر الصحابة حتّى اليوم لم يكونوا ناصحين.

٤ـ سقوط كلامه على آية: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ﴾ [الفرقان: ٦٥].

٥ـ سكوته عن بقيّة أدلّة خصمه النقليّة والعقليّة .

٦ـ غفلته عما كان في نُقوله صحيحًا وهو عليه لا له.

٧ـ تأويله من غير دليل لما شعر بكونه لا يفيد مطلوبه.

٨ـ التجاؤه إلى آراء الناس في مسألة مقرّرة في كتاب الله وحديث رسوله .

٩ـ إعراضه عن الاستدلال بالأدلّة الشرعيّة في قضيّة دينيّة.

١٠ـ صحّة استنتاج باديس وصدق حكمه، وأنّ كمال العبادة يصاحب الخوف والرّجاء، وقد ضرب ابن القيّم لذلك مثلا، فقال(١):

«القلب في سيره إلى الله ـ عزَّ وجلَّ ـ بمنزلة الطائر، فالمحبّة رأسُه، والخوفُ والرجاءُ جناحاه، فمتى سلِم الرّأس والجناحان فالطائر جيِّد الطيران، ومتى قُطع الرأسُ مات الطائر، ومتى عُدم الجناحان فهو عرضة لكلّ صائد وكاسر» اهـ.

وليزداد الموضوع جلاءً، نورد بعض الأدلّة الشرعيّة على صحّة مصاحبة الخوف والرجاء لكمال العبادة:

١ـ ما ورد من الترغيب في الطاعة والوعد عليها بالجنة، ومن الترهيب من المعصية والوعيد عليها بالنار، وهذا في الكتاب والسنّة لا يُحصى كثرة، بل هذه هي وظيفة الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨ والكهف:٥٦].

٢ـ ما ورد من وصف الجنّة والتشويق إليها وذكر النار والتنفير منها، ولا يكاد يُحصَى في الكتاب والسنة.

٣ـ حكايته تعالى عن أنبيائه وهم أكمل الخلق بقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠].

٤ـ حكايته تعالى عن أصفيائه الذين عبدهم المشركون بقوله: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ

(١) في «مدارج السالكين» (١/ ٥١٧).

﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء: ٥٧].

٥ـ حكايته تعالى عن أولي الألباب بقوله: ﴿سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩١] الآيات، وكانﷺ يتلوها إذا استيقظ من نومه للتهجُّد[1].

٦ـ مخاطبته لأفضل الخلق على الإطلاق بقوله: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ١٥﴾ [الأنعام: ١٥، ويونس: ١٥، والزُّمَر: ١٣].

٧ـ جعله تعالى الخشية من نتائج العلم بقوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

٨ـ ما ورد في عدّة أحاديث من قولهﷺ: «إِنِّي وَاللهِ لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ»[2].

منها حديث عائشة في «الموطّأ» وغيره: أنّ رجلاً قال لرسول الله ﷺ وهو واقف على الباب وأنا أسمع: يا رسول الله، إنِّي أصبح جُنبًا وأنا أريد الصيام، فقال ﷺ: «وَأَنَا أُصْبِحُ جُنُبًا وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ، فَأَغْتَسِلُ وَأَصُومُ» فقال له الرجل: يا رسول الله إنّك لستَ مثلنا، قد غفر لك الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، فغضب رسول الله ﷺ وقال:

«وَاللهِ إِنِّي أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَخْشَاكُمْ للهِ وأَعْلَمَكُمْ بِمَا أَتَّقِي»[3].

---

(١) أخرجه مالك (٢٦٤) ومن طريقه البخاري (١٨٣و٩٩٢و..) ومسلم (٧٦٣) ـ ١٨٢ عن ابن عباس.

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري (٥٠٦٣) عن أنس ـ وقد تقدم بطوله ـ وأخرجه مسلم (١١٠٨) عن عمر بن أبي سلمة.

(٣) تخريج أحاديث «تفسير ابن باديس» (١٧١).

٩ـ ما ثبت من وعده ﷺ بالشّفاعة لكلّ من طلب له الوسيلة.

ومن ذلك حديث ابن عمرو عند مسلم وغيره أنّه سمع النبي ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمْ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بها عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا لِيَ الوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إلا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ»[1].

١٠ـ ما ورد من الأمر بالدعاء وسؤال الله.

ومن ذلك حديث أبي هريرة عند الترمذي وغيره مرفوعًا: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ اللهَ يَغْضَبْ عَلَيْهِ»[2]، وحديث النّعمان بن بشير عند أصحاب السُّنن الأربع أن رسول الله ﷺ قال: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»[3].

وبعد، فإن اقتنع الحافظي وأقلع عن غلطه فلنفسه بغى الخير، وإن كابر أو أوعز إلى بطانته من أرباب الأقلام البذيئة بالسباب لنا، فلنا حقّ الدفاع: ﴿وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ﴾ [البقرة:١٩٤][4].

مبارك بن محمد الميلي

---

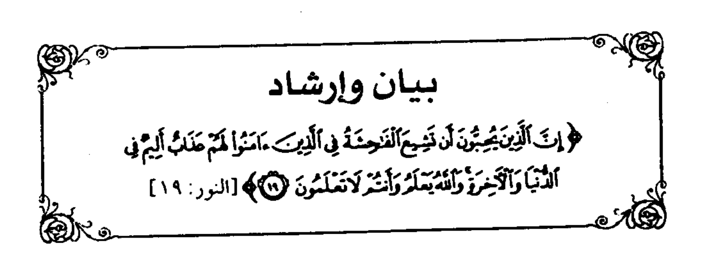
(١) أخرجه مسلم (٣٨٤) وأبو داود (٥١٩) والترمذي (٣٦٢٣) والنسائي (٢/ ٢٥ ـ ٢٦) وأحمد (٢/ ١٦٨) واللفظ له، عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢) «الصحيحة» (٢٦٥٤).

(٣) تخريج أحاديث «رسالة الشرك» (١٠٩) بقلمي.

(٤) «الشهاب»: م٩ ج٢ الصادر في شوال ١٣٥١هـ، فيفري ١٩٣٣م.



بيان وإرشاد

﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝١٩﴾ [النور: ١٩]

إنّ «جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريين» مؤسّسة شعبية تعمل لتهذيب المجتمع في دائرة الدِّين والقانون بالوسائل المشروعة.

والتهذيب إقبار للرذائل وإقبال على الفضائل.

وإنّ قاعدة «درء المفسدة مقدَّم على جلب المصلحة» تدعو كلّ عاملٍ نصوحٍ إلى أن تكون عنايته بمحاربة الرذيلة أشدّ منها بإحياء الفضيلة.

وقد قضى الله أن تكون في المفاسد الاجتماعية مصالح شخصيّة كما قيل:

مصائب قوم عند قوم فوائد.

وعُبَّاد المصالح الشخصية هم عراقيل كل حركة إصلاحية في جميع الأزمنة والأمكنة، فلا غرو إذا وُجدوا بالجزائر ووقفوا حجر عثرة في طريق «جمعية العلماء المسلمين»، ولا غرو أن يكونوا أشخاصاً بارزين وفي حماية مصالحهم جادِّين.

ولو تسلَّحوا لحماية مصالحهم الشخصيّة بأنواع المفاسد الموجودة في المجتمع من قبل لم يستغرب العقلاء موقفهم، إذ غايتهم أنّهم قوم حافظوا على مصالحهم

ومفاسد شعبهم، من غير أن يقبلوا خيرًا أو يحدثوا شرًّا، وكم لهم في الأوطان المنحطّة من أشباه ولكنّهم أحدثوا سلاحاً لا أنكر منه في الدِّين، ولا أقذر منه في الدنيا، ولا أضرّ منه على الآداب ،ولا أفسد منه للمجتمع.

هذا السلاح هو الهجر والفُحش والبَذاءة والبُهتان واختلاق العورات وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات.

وسالحوا هذا السلاح كُتاب ليس لهم وازع من دين أو حياء، ولا لهم حدّ في انتهاك الأعراض والحرمات.

ومبتكر هذا السلاح رجل ماضيه أشدّ جهالة من مستقبله، فسمّاه عبّاد أهوائهم: أبا المشاريع الخيرية.

وموزِّع هذا السلاح جريدة «المعيار»[1] التي يديرها ذلك الرجل.

والمسرورون بهذا السلاح هم أعداء العلم الذين يرون حياتهم وحياة الشعب على طرفي نقيض.

والمحارَبون (بالفتح) بذلك السلاح هم العلماء المصلحون أعضاء إدارة «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين».

وكأنّ المحارِبين (بالكسر) لهؤلاء العلماء بذلك السلاح أرادوا أن يحملوهم على التخلِّي عن وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعدما عاهدوا الله على القيام بأعبائها، ذلك بأنّ من موانع هذه الوظيفة أن يؤدِّي تغيير المنكر إلى ارتكاب

---

(١) ظهر العدد الأول منها بالعاصمة الجزائر في ١٨/ ١٢/ ١٩٣٢م، ومديرها مصطفى هراس.
انظر: «الصحف العربية الجزائرية» (ص ١٢٦ ـ ١٣٠) للدكتور محمد ناصر.

منكر أشنع وأفظع، فإذا رأينا هذا المنكر الجديد سكتنا عن المنكر القديم، فإن كان هذا مرادهم فقد أرداهم إذ رضوا أن يكونوا بمنكرهم الشنيع من موانع تغيير المنكر، ثم لا يعترف أولئك العلماء بمانعهم ولا يبالون بنتونة سلاحهم، وسيستمرُّون ـ إن شاء الله ـ على خطّتهم موفين بعهدهم ما وجدوا إلى التوفية سبيلا.

وقد كان من حقوقنا وفي استطاعتنا أن نجازي القوم من جنس عملهم، فقد قال الله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَا﴾ [الشورى: ٤٠]، وقال أيضا: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦ﴾ [النحل: ١٢٦]، وقال أيضا: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقد ثبت في «الصحيحين» أن رسول الله ﷺ كان يقول لحسّان بن ثابت رضي الله عنه: «أَجِبْ عَنِّي: اللَّهُمَّ أَيِّدْهُ بِرُوحِ القُدُسْ»[1].

وروى أبو عمر بن عبد البرّ في «الاستيعاب»[2]: أنّ طائفة من مشركي قريش كانوا يهجون رسول الله ﷺ، فقال قائل لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه: اهج عنّا القوم الذين يهجوننا، فقال: إنْ أذن لي النبي ﷺ فعلتُ، فاستأذنوا له رسول الله ﷺ، فقال: «إِنَّ عَلِيًّا لَيْسَ فِي ذَلِكَ هُنَالِكَ[3]، مَا مَنَعَ القَوْمَ الذِينَ نَصَرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِسِلاحِهِمْ

(١) أخرجه البخاري (٤٥٣) ومسلم (٢٤٨٥) عن أبي هريرة.

(٢) في (١/ ٣٤٢/ ت: ٥٠٧).

وبنحوه أورده الحافظ في «الفتح» (١٠/ ٦٧١) معزوًا لابن وهب في «جامعه» وعبد الرزاق في «مصنفه» [(٢٠٥٠٢)] عن ابن سيرين مرسلاً.

وأخرج بعضه البخاري (٣٥٣١) ومسلم (٢٤٨٩و٢٤٩٠) ـ ولفظه أتم ـ عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) في الأصل: هناك، والتصويب من «الاستيعاب».

أَنْ يَنْصُرُوهُ بِأَلْسِنَتِهِمْ؟» فقال حسّان: أنا لها، فقال رسول الله ﷺ: «كَيْفَ تَهْجُوهُمْ وَأَنَا مِنْهُمْ؟» فقال: والله لَأَسُلَّنَّكَ منهم كما تُسَلُّ الشعرةُ من العجين، فقال له: «ائْتِ أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّهُ أَعْلَمُ بِأَنْسَابِ الْقَوْمِ مِنْكَ».

هذا تلخيص رواية ابن عبد البر.

رأينا ما أوذينا به من سلاح «المعيار» وعلمنا حقوقنا التي منحنا إيّاها كتاب ربِّنا وسنّة رسولنا ﷺ للدِّفاع عن كرامتنا، فلم نستعمل حقَّنا المشروع رجاء أن يثوب إلى أولئك الجُناة على الآداب رشدهم فيقلعوا على تلك الخطّة السّافلة، أو يعرّفهم عقلاء الأمة بسوء صنيعهم فيعلنوا بسخطهم عليهم، لا دفاعا عنّا، ولكن غيرة على الآداب العامّة ووقاية للمجتمع من مفاسد أقلام تُشيع الفاحشة في الذين آمنوا، فلم يتحقّق ذلك الرجاء بل خاب، ووجد لسلاح القوم كلاب، فصاروا جميعًا بهذا السلاح فرحين، وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فاكهين.

صبرنا على هذا كلِّه مع وضوح حجّتنا في حفظ كرامتنا، ولم نزل صابرين لنتانة ذلك القذر علماً بأن من يريد تنظيف مستقذر لا بد أن تصيبه رائحته الكريهة، ولكنّ الأذى لم يقصر على أشخاصنا، بل صار المُعجَبون بذلك السلاح من خُبثاء الأنفس يضحكون من أوليائنا وأنصارنا، وإذا مرُّا بهم يتغامزون، فضاق إخواننا بأناتنا ذرعا، وكاتَبَنا بعيدهُم وشافَهَنا قريبُهم بلزوم المقاومة، فلم نشأ لهم أن يلزّوا مع السفهاء في قرن، ولم نشأ للشعب أن ينشر فيه ما يذهب بوقار الكبير وحياء الصغير، وكان ذهاب ذلك ذهابًا لشُعب من أهمِّ شُعب الإيمان.

وفي اجتماع شوّال نظر أعضاء الإدارة في موقفهم بين تهييج المغرضين وتهييج الموالين، فغلّبوا العقل على العاطفة، وقدّموا حقّ الآداب العامة على حقِّهم،

وأصدروا قرار ١٣ شوال بالإعراض عمّا يُوَجَّه إليهم من سباب وسفه وشغب وشتائم وقذف، فلم يزد هذا القرار الذي أُذيع بالصّحف العربية أولئك المفسدين إلاّ تهييجاً، ولم يطق الموالون لنا الصبر على موالاة هجوم المهيِّجين، ولم يستشيرونا في الدِّفاع عنا بل في الدفاع عن أنفسهم، فأصدروا جريدة باسم «الجحيم»[1] لتقاوم جريدة «المعيار» وتخاطبها باللغة التي استحسنَتْها.

وإنّنا نعلن ببراءتنا من الجريدتين، وسخطنا على خطّتهما، واستيائنا من لغتهما، وعدم تحمّلنا لتبعة نتائجهما، وإذا كنّا نرى أنّ البادئ أظلم، ونعلم أنّ العرب تقول: «المرء مقتول بما قَتل به، إنْ سيفاً فسيف، وإنْ خنجرًا فخنجر»، فإنّ الشّارع منع المقتصّ من استعمال بعض الأسلحة التي يستعملها الجاني.

هذا بياننا اضطرّنا إلى إذاعته بروز جريدة «الجحيم» لا أطال الله حياتها وحياة سالفتها.

وإنّا لا نيأس من تأثير الذكرى في الكُتّاب والقُرّاء والأعيان، فنتقدّم إليهم بكلمة إرشاديّة عسى أن تجد أُذُنا واعية.

يا كتّاب «المعيار والجحيم»! تذكّروا أنّ عليكم حافظين كرامًا كاتبين، وأقلعوا عن تدسية نفوسكم: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٩ ـ ١٠].

يا كُتّاب الصحيفتين! إنّ لكتابتكم أثرًا تجنونه في الأخرى، وأثرًا يجنيه المجتمع في الدنيا، وإنّ الرذائل ليتفاوت قبحها بتفاوت عمومها وخصوصها كما تتفاوت أنواعها بتفاوت مفاسدها، ورذيلتكم التي تنشرونها قد جمعت بين الوصفين: تناهي

---

(١) ظهر العدد الأول بقسنطينة في (٣٠/ ٣/ ١٩٣٣م).

انظر: «الصحف العربية الجزائرية» (ص ١٣٣ ـ ١٣٤).

مفسدتها في نوعها، وتناهي عمومها بانتشارها، إذ لا مفسدة أكبر من رمي الحريم بكلّ عظيمة، ولا انتشار أعمّ وأبقى على الأجيال من الكتابة بالصحف الدورية.

ويا قرّاء الجريدتين! هلا قابلتموهما بالإعراض ولم تشجِّعوهما على انتهاك الأعراض، فلولا المستمع ما تكلّم المتكلِّم، ولولا القارىء ما كتب الكاتب. وبهذا كان المتعلِّم شريكا للمعلِّم. وقد قيل:

وسمعك صُنْ عن سماع القبيح | كصون اللِّسان عن النطق به

فإنّك عند سماع القبيح | شريك لقائله فانتبه

ويا أعيان الأمّة! أين أنتم من هذه الفضائح؟

أَفَقَدْتم النّفوذ أم فُقِدَ منكم الرجل الصالح؟

لا يصلح الناس فوضى لا سُراة لهم | ولا سُراة إذا جهّالهم سادوا

رأينا من أعياننا من سعوا لدى الحكومة في إسكات علماء الأمّة، وإخلاء بيوت الله من الموعظة الحسنة والحكمة، فلماذا لا نرى منهم من يسعى في إطفاء هذه الفتنة وتطهير الوسط من هذه الأقذار وإعفاء الأمّة من هذا العار؟

أيوجد فينا من يسنّ السنن السيِّئة ولا نجد من يسنّ السنن الحسنة؟

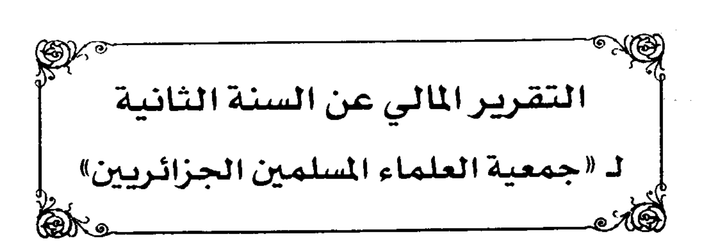
إن دام هذا ولم يحدث له غير | لم يُبْكَ مَيتٌ ولم يُفرح بمولود

اللهم أحسن عاقبتنا في الأمور كلِّها، وأجرنا من خزي الدنيا ومن عذاب الآخرة[1].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) جريدة «السُّنَّة»: العدد (٢) الصادر يوم الاثنين ٢٢ ذي الحجة ١٣٥١هـ ١٧/ ٤/ ١٩٣٣م.



التقرير المالي عن السنة الثانية

لـ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

حرّره أمين مالية الجمعيّة الأستاذ: مبارك الميلي
وتلاه بنادي الترقي على الجمعيّة العمومية
يوم الثلاثاء ٠٤ ربيع الأول سنة ١٣٥٢هـ

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على الأنبياء والمرسلين، وأكمل ذلك لخاتمتهم أفضل الخلق أجمعين، وعلى آله الطيِّبين الطاهرين، وعلى أصحابه الهادين المهتدين، وعلى من سلك طريقتهم في اتباع الحقِّ ونصرة الدِّين، جعلنا الله وإيَّاكم من هؤلاء السالكين.

ثمّ السلام عليكم أيُّها الجمع السالم من أمراض الأغراض وأدواء الأهواء!

السلام عليكم أيها الجمع المكسِّر (بكسر السين) ـ غير المكسَّر ـ لقيود الجمود وأصنام الأوهام!

السلام عليكم أيُّها الجمع المرجوّ لنشر مبدأ الأخوّة مقرونا بالنصيحة وتغيير المنكر!

أمّا بعد، فإنّ السعادة مطلب كل عاقل وأحمق، وإنّما يمتاز العاقل بإصابة

سبيلها، أمّا غيره فتلتبس عليه الطرائق حتّى يظنّ أنّه على سبيل نجاة وهو على شفا حفرة من الهلاك.

ألا وإنّ سبيل السعادة الاستقامة، ووسيلة الاستقامة التربية الحسنة، ولا غنى لبشر عن التربية والتهذيب.

واعلم بأنّ الناس من طينة ... يصدق في الثلب لها الثالب

لولا علاج الناس أخلاقهم ... إذًا لفاح الحمأ اللازب

والربّ أوّل وصفٍ وصفَ الله به نفسه في فاتحة كتابه العزيز، ولعلّ وجه أوّليّته التّنبيه على أهميّة التربية، وإنّ في تكرار الفاتحة في كلّ ركعة من صلواتنا ما يحول دون الغفلة عن هذه الأهمية.

والمرء ما دام كلاً على غيره، مكفولاً [...][1] أحد أوليائه، فالكافل له مُطالَبٌ بتربيته لآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦].

قال علي بن أبي طالب ﷺ وكرّم وجهه مفسّرا للآية: «علّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدّبوهم»[2].

فإذا بلغ المرءُ أَشُدَّه وأصبح عضوًا عاملاً في الهيئة الاجتماعية: فإن كان عاميًّا فعليه أن يتطلّب أهل العلم لتربيته، لآية: ﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣﴾

---

(١) كلمة غير واضحة في الأصل، ولعلها: من.

(٢) «مستدرك الحاكم» (٢/ ٤٩٤)مع «تلخيصه» للذهبي، و«صحيح الترغيب والترهيب» (١١٩) للألباني، و«الاعتناء بتهذيب أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني» (١) بقلمي.

[النحل: ٤٣ والأنبياء: ٧]، وإن كان عالماً فعليه الإرشاد وبذل النصيحة، للآيات والأحاديث الكثيرة في هذا المعنى.

ولقد كان سلفُنا صالحاً بهذه التربية، ثمّ خلفتهم أجيالٌ أبعدُها عن التربية أبعدُها عن زمنهم، فكان حظُّها من الذلّ والشّقاء على نسبة تفريطها في تلك التربية الإسلامية، وكانت مصداق آية: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ١٦﴾ [الحديد: ١٦].

وقد يتعذّر المخذول لقسوة قلبه وفسوق جوارحه بطول العهد وبُعده عن السلف الصالح، ولقطع هذا العذر قفّى اللهُ على تلك الآية بما يحذّر من اليأس ويبعث على الرّجاء، فقال ـ جلّت حكمته ـ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٧].

ولهذا لم تعدم الأجيال البعيدة عن عهد السلف الصالح علماء مرشدين وصلحاء مربِّين، وإن اختلفوا قلّةً وكثرةً وظهورًا وخفاءً وعافيةً وابتلاءً.

وهؤلاء المرشدون والمربّون هم المعنيّون بقول ابن عاشر ـ رحمه الله ـ:

يَصحبُ شيخاً عارفَ المسالك ... يَقيــهِ في طريقــه المهالــك

يــذكّـــــــــره اللهَ إذا رآه ... ويوصــل العبــدَ إلى مــولاه

ولم يقل ابن عاشر:

يصحب شيخاً جاهل المسالك ... يسلبه مــن كيسه الفرانـك

يــــذكّره القـــبر إذا رآه ... ويــترك العبــد إلى هــواه

وقد شعر علماؤنا باختلال التربية، فنهضوا لإصلاحها حتّى تنتج الاستقامة

الموصلة إلى سعادة الدنيا والآخرة، ثمّ شعروا بضرورة الاجتماع وتنظيم الوسائل فأسّسوا «جمعية العلماء المسلمين الجزائريّين» التي نحن في استقبال عامها الثالث، أطال الله حياتها وثبّت خُطى رجالها حتّى يؤدوا أمانة التربية الإسلامية الصّحيحة إلى شعبهم الكريم.

وإنّ في تأسيس هذه الجمعية لقضاءً على ظاهرتين من أدلّ الدلائل على فساد تربيتنا:

إحداهما: ما كان عليه أغلب علمائنا من التحاسد والشقاق حتّى أنّ البلدة الواحدة تجدها منشقّة إلى حزبين إن كان بها عالمان أو إلى ثلاثة إن كان بها ثلاثة، وهلمّ جرًّا.

الظاهرة الثانية: ظاهرة الخضوع للعامّة وطلب رضاها للطمع في مالها، فأهملت وظيفة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي لا حياة للتربية بدونها، وأصبح الغش من دلائل الكياسة وحسن السياسة، وفشت قاعدة: «إذا وجدت قوماً يعبدون حمارًا فعليك بكثرة الحشيش» وكأنّ من يحفظ هذه القاعدة أكثر كثيراً ممن يسمع حديث: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[1].

وأملنا وطيد، وثقتنا بالله قويّة أن يتمّ القضاء على هاتين الظاهرتين بسلامة الجمعية من مكائد الكائدين، وطول حياتها لإحياء سنن الدين، وإنّا لنرجو من رجالها المخلصين أن يصدقوا ما عاهدوا الله عليه، غير مبالين بسخط مَن سخط.

اتّقِ اللهَ فأغبى الورى   من أغضب الرَّبَّ وأرضى العبيد

وإن كان لفتنة الفتّانين أثر فليكن في مالية الجمعية لا في همم رجالها، على أنّ

---

(١) أخرجه مسلم (٥٥)، وقد تقدم بتمامه.

مالية الجمعية قد سارت إلى الأمام فقد بلغت: «٦١٢٢١.٤٠ فرنك» أربعين سنتيما وأحدا وعشرين فرنكا ومائتين وأحدا وستّين ألفا، منها فضل السنة الأولى وهو: «١٩٢٣٩.٤٠ فرنك» أربعون سنتيما وتسعة وثلاثون فرنكا ومائتان وتسعة عشر ألفا، ومنها ما قبض في هذه السنة الثانية ولكنّه للسنة الأولى وهو: «٣٢٦٠.٠٠ فرنك» ستّون فرنكا ومائتان وثلاثة آلاف، فيكون المقبوض لهذه السنة الثانية خاصّة هو: «٣٨٧٢٢.٠٠ فرنك» اثنين وعشرون فرنك وسبعمائة وثمانية وثلاثين ألفا.

وهذا الدّخل يتكوّن من جميع جهات الوطن كالجزائر والقليعة وبوفاريك والبليدة والمدية والبرواقية والجلفة وزنينة والأغواط وغرداية وبوسعادة وتلمسان وسيق ومستغانم وقسنطينة وعين مليلة وباتنة وبسكرة وتبسّة ومسكيانة وسوق هراس وشاطوردان والعلمة «سانتارنو» وسطيف وآقبو وسيدي عيش وبجاية وجيجل والميلية والقرارم وميلة، وما في حكمهن.

وهذا ممّا يوضّح كون الجمعية جمعية الشّعب ولا يدع متمسّكا لمن يحاول تصويرها بصورة طائفيّة.

وإذا وازنتم بين دخل السنتين ألفيتم مصداق قولنا أنّ مالية الجمعية قد سارت إلى الأمام، ومع ذلك نرى أنّ هذه المالية ضعيفةٌ إذا قيست بقوّة الأمّة، حقيرةٌ أمام عظمة المشروع، ولكن ما يُعَدُّ ضعيفًا حقيرًا ـ وهو مجرّد من كلّ اعتبار ـ قد يُعَدُّ قويًّا عظيماً مع اعتبارات، وإنّ من الاعتبارات التي تجعل ماليتنا هذه قويّة عظيمة استحكام حلقات الأزمة، واشتداد فتنة الفتّانين، واشتغال رجال الإدارة عن إحضار برنامج يتوقّف تنفيذه على الأموال الطائلة.

وإنّ ممّا يجري مجرى الدخل ـ وإن لم يعدّ فيه ـ قيام الشعب بحاجيات وفود الجمعيّة أينما حلّت، وتكفُّلهم بلوازم إقامتهم وسفرهم، وإحضار السيّارات الخاصّة لركوبهم إظهاراً للحفاوة بهم، وإنّ ما أنفقه الشعب على هذه الجمعيّة في هذا الباب يعدّ بالآلاف العديدة.

تلك كلمتنا عن الدخل.

أمّا الخرج فقد بلغ في هذه السنة «٢٦٥٢٦.٧٥ فرنك» خمسة وسبعين سنتيما وستة وعشرين فرنكا وخمسمائة وستة وعشرين ألفا، منها ما عزّزت به صحيفة «السنّة» على وجه القرض وهو: «٣٩٣٧.٥٥ فرنك» خمسة وخمسون سنتيما وسبعة وثلاثون فرنكا وتسعمائة وثلاثة آلاف.

فالخرج الحقيقي للجمعيّة هو «٢٢٥٨٩.٢٠ فرنك» عشرون سنتيما وتسعة وثمانون فرنكا وخمسمائة واثنان وعشرون ألفا.

والباقي على الخرج والقرض وهو «٣٤٦٩٤.٦٥ فرنك» خمسة وستّون سنتيما وأربعة وتسعون فرنكا وستمائة وأربعة وثلاثون ألفا، والباقي منها بالبنك «٣٤٥٣٨.٤٠ فرنك» أربعون سنتيما وثمانية وثلاثون فرنكا وخمسمائة وأربعة وثلاثون ألفا.

والباقي تحت يدي الآن وهو «١٥٦.٢٥ فرنك» خمسة وعشرون سنتيما وستّة وخمسون فرنكا ومائة فرنكا.

وإن ذلك الخرج على ضئالته قد تناول نواحي من ضروريّات الجمعية، كالاجتماعات الإداريّة، ووفود الوعّاظ، والعناية بتوحيد الصيام والإفطار، وطوابع البريد، والمواصلات، وأجرة البرقيّات والمخاطبات السلكيّة، والمطبوعات والنشريّات

المختلفة، كالرسائل وأوراق الأعضاء، ومنشور البيان بعد الاجتماع العمومي، ومنشور الاحتجاجات بعد اقتراح ذلك النائب، ومنشور النداء لعلاج الأزمة الخانقة.

وإنّ ضئالة هذا الخرج قد أتت بنتائج دينيّة اجتماعيّة ذات بال، وما ذلك إلا لأنّ المال لا يُنْفَق إلا في سبيله.

قليلُ المالِ تُصلحُه فيبقى ولا يبقى الكثيرُ مع الفساد

فعلينا أن نجود في الخير وأن نبخل على الشر، وإنّ خير الخير العِلم، فمتى أيّدناه بمالنا أيّدنا حياتنا وأحيينا بيننا التربية الإسلامية الكافلة بالسعادتين: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ [الحشر:٩، والتغابن:١٦].

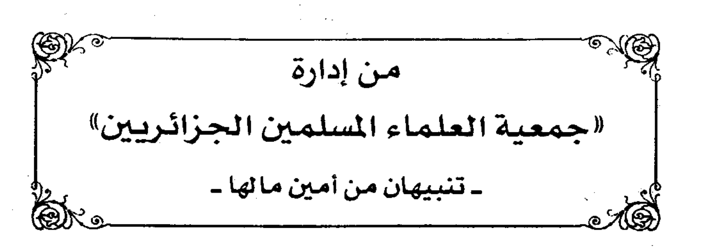
وقد قيل: «المال قوام الأعمال»، وأنا أقول: «العلم أمير، والمال وزير» فإذا فُقِدَ الوزير ضَعُفَ الأمير عن التدبير، فاضطربت أحوال الرعيّة، وكانت من الفناء قاب قوسين، فإن تركت الأمير وحده فقد ألقت بيدها إلى التّهلُكة، وإن أرادت النجاة فعليها أن توجد من بينها وبنيها وزيرًا يشدّ عضد الأمير، وفي هذا المعنى جاءت الآية: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وبعد؛ فإنّ دفتر الحسابات حاضر، وإن كنتم واثقين بمجلس إدارتكم في هذا الحساب فارفعوا أيديكم. (هنا سكت المقرِّر، ورفع الحاضرون أجمعون أيديهم موافقين واثقين) والسلام عليكم سلام سنّة وأخوّة[1].

مبارك الميلي

---

(١) جريدة «الشريعة»: العدد (٢) الصادر يوم الاثنين ١ ربيع الثاني ١٣٥٢هـ ٢٤/ ٧/ ١٩٣٣م.



من إدارة
«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»
ـ تنبيهان من أمين مالها ـ

ـ ١ ـ

إثر الاجتماع العامّ في هذه السَّنة قرَّرت إدارة الجمعيَّة رفض مجلَّدات الوصولات القديمة، وقرَّرت وضع مثال للوصولات الجدد على شكل غير شكل الوصولات القديمة.

وقد طُبعت الوصولات الجدد وأُرسل من مجلَّداتها إلى بعض رؤساء الشُّعب مع رسائل الحثِّ على النَّشاط في العمل للنهوض بالجمعيَّة ماديًّا وأدبيًّا.

وقد نشرت «الصِّراط» في عدده الثَّاني تنبيهًا بهذا المعنى، وإنَّما أعدناه اليوم تذكيرًا للعاملين، وتحذيرًا من تزوير من يحاول التَّزوير.

ـ ٢ ـ

إنَّ ضبط ماليَّة «الجمعيَّة» لا يكون بغير الوصولات، فمن كلَّفته الجمعيَّة بقبض الاشتراكات فعليه أن يسلّم فيما قبضه وصلًا للمقبوض منه.

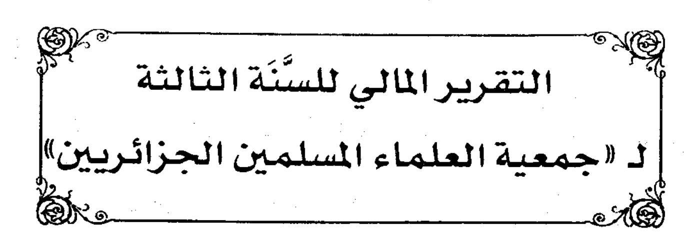
ومن أراد الانخراط في هذه الجمعيَّة وأدَّى لها مالًا فليطلب من القابض وصلًا فيما أدَّاه، ويكون الوصل من الوصولات الجديدة.

نشرنا هذا تذكيرًا وتحذيرًا أيضًا.

ومن أراد مخاطبة أمين المال فهذا عنوانه:

EMBAREK EL MILI
A MILA[1]

(١) جريدة «الصراط»: العدد (١١) ـ الصَّادر يوم الاثنين ٩ شعبان ١٣٥٢هـ ٢٧/ ١١/ ١٩٣٣م. بدون إمضاء.



التقرير المالي للسَّنَة الثالثة
لـ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

تلاه أمين المال بنادي الترقي مركز الجمعيّة
يوم الثلاثاء ٥ ربيع الثاني ١٣٥٣هـ / ١٧ يوليو ١٩٣٤م

الحمد لله الغنيِّ العليم، والصلاة والسلام على رسوله ذي الخُلُقِ العظيم، وعلى آله وأصحابه وكلٍّ من سلك صراطهم المستقيم.

ثمّ سلام عليكم أيّها المشائخ العاملون لإحياء السنّة وإماتة البدعة، الآمرون بالمعروف، النّاهون عن المنكر.

والسلام عليكم أيها السادة المؤيِّدون للعلم ودعاة الخير.

السلام عليكم أيّها الجمع الذي سمع أقوالاً للجمعيّة وأقوالاً على الجمعيّة، فلم يَرْتَبْ في حسن مقاصد الجمعيّة ولم يغترَّ بأراجيف أعدائها.

السلام عليكم أيّها الجمع الذي يستمع القول فيتّبع أحسنه.

أمّا بعد، فإنّ رأس الحكمة مخافة الله، وجماع الحماقة خشية سواه؛ وإن سِرّ التّوحيد خوف الله وحده ورجاؤه وحده؛ ومنبع الشرك الخوف من المخلوق والطمع فيه.

وقد وُجِدَت في العالم الإسلامي ـ بالجزائر وغيرها ـ طرائق، منها ما أُسِّس بنيانه على تقوى من الله ورِضوان، فانقلب شرًّا على الإسلام بعوامل الجهل وطول العهد بتعاليم المؤسّس، ومنها ما أسِّس من أوّل يوم على الابتداع في الدِّين وتضليل المسلمين، والخير والشرّ قديمان في المجتمع البشري.

وقد ساد الجهل منذ أمد في هذا الوسط الجزائري حتّى خضع كثير من العلماء للرؤساء الجهّال، واعترفوا لهم بالخصوصيّات، وسلّموا لهم كلّ الأقوال والأعمال، فكان هذا تزهيدًا في العلم وتضعيفًا لقبح الجهل، فعمّ الجهل أو كاد، وانقطع العلم النافع أو كاد.

والعلم النافع هو الذي يورث صاحبه خوف الله وحده: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

والجهل ـ وكلّه ضار ـ هو الذي يورث صاحبه خوف غير الله تعالى.

وقد خطب المشائخ بالأمس خُطَبًا أعربت عن أنّ بالجزائر خِصاماً بين العلم والجهل، بين الهُدى والضلال، بين السُّنَّة والبدعة.

وقد ينبو هذا القول عن سماع بعض الناس فينكر، ولا يعقل أن يكون خصام بين العلم والجهل، بين الهدى والضلال، بين السنّة والبدعة، لأنّ حسن الشِقّ الأول وقبح الثاني من الضروريّات التي لا يختلف فيها عاقل وأحمق.

والحق أنّ المشائخ الخطباء صادقون فيما قالوا ومصيبون فيما به حكموا، وإنّ المحاربين للعلم والهُدى والسُّنَّة ليسوا يحاربونها لذواتها حتّى يكونوا مجانين لا يفرّقون بين سواد وبياض، وإنّما يحاربونها باعتبارها وسائل لخوف الله وحده ورجائه وحده؛ وإنّهم يحافظون على الجهل والضلال والبدعة لا باسمها ولا لذواتها ولكنّها وسائل للخوف منهم ومن آبائهم وذريّاتهم، خوفاً يدرّ عليهم خيرات الدنيا ويمكِّنهم من لذائذها تمكينا.

ولمّا خضع الكثير من العلماء لأولئك الرؤساء الجهّال عجز القليل الصالح من العلماء عن بثِّ العلم والهدى وإحياء السنّة، ثمّ أرشد الله طائفة منهم إلى الاجتماع واكتساب القوّة من الاتحاد - «والمرء ضعيف بنفسه قويّ بأخيه» - فأسّسوا «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» التي سمعتم بالأمس بيان حالها، وما قامت به من أعمال، من تقرير رئيسها المحترم، والآن تسمعون بيان ماليتها من هذا الماثل أمامكم، وما أحسن ذكر المال في مجالس العلم فإنّه يشعر بأنّ هذا العلم يُراد منه العمل، ولا عمل إلا بالمال، وقد قلنا في تقرير السنة الماضية «العلم أمير والمال وزير» وهل يستغني الأمير عن الوزير؟ أو يفيد الوزير بدون أمير؟

مبلغ مالية الجمعية في هذه السنة هو ٧٩٥٠٩ ٦٥ خمسة وستون سنتيما وتسع فرنك وخمسمائة وتسعة وسبعون ألفا منها فضل السنة الماضية وهو ٣٤٦٩٤.٦٥ خمسة وستون سنتيما وأربعة وتسعون فرنكا وستمائة وأربعة وثلاثون ألفا.

والمقبوض في هذه السنة الثالثة هو ٤٤٨١٥.٠٠ خمسة عشر فرنكا وثمانمائة وأربعة وأربعون ألفا، وهو يزيد على المقبوض في السنة قبلها بنحو ثلاثة آلاف،

وهي زيادة في نظرنا ذات اعتبار لأنّا كنا نتوقّع أن يكون مقبوض هذه السنة أقلّ كثيراً مما قبلها؛ لأن الموانع التي منعت مالية السنة الثانية من النموّ اشتدّت في هذه السنة الثالثة، فالأزمة أشدّ، وما من كتاب يأتيني من رؤساء الشُّعب في أنحاء الوطن إلاّ وهو يشكو اشتداد الأزمة ويعتذر به عن ضعف ما أيّدت به الأمة الجمعية، وفتنة الفتّانين وإشغال رجال إدارة الجمعية عن إحضار برامج العمل كان وقعهما في هذه السنة أقوى، فنحن نحمد الله أن لم يقع ما توقّعناه بل جاء الأمر على عكس ما كنا نخشاه.

وقد رغب مني كثير من رجال الجمعية أن أفصّل دخل الجمعية وأنسب لكل شُعبة ما جاء من قِبَلِها، فنزلتُ عند رغبتهم، وأكّد ذلك عندي ما رأيته من خلل في إدارة البريد، فكثيرا ما أخبرني رؤساء الشُّعَب بأنهم وجّهوا لي عدد كذا وأنا لم أتصل بشيء من ذلك.

فشُعبة بريكة أخبرني رئيسها الشيخ موسى الزقاق الحاضر هنا بأنه أرسل إلي ٢٧٩٠.٠٠ تسعين فرنكا وسبعمائة وألفين في حوالتين، وأطلعني على وصلي الحوالتين، فإذا أحدهما بتاسع أبريل والآخر بعاشره.

والشيخ أحمد بن الدراجي أمين شُعبة سوق أهراس أخبرني بأنه وجّه إليّ بأربعين فرنكا وسبعمائة.

والشيخ الحسين دهينة أمين شُعبة الأغواط أخبرني ـ وهو حاضر هنا ـ بأنه أرسل إليّ حوالة بعشر فرنكات ومائة تكملةً لما أرسل إليّ قبلها.

كلّ هذا لم أتّصل به، ولعلّ هنالك غيرهم وقع لهم مثل هذا ولم أعلم به، فكان لزاماً أن أبيّن ما قبضتُ من كلّ شُعبة، وأوصي كلّ من أرسل إلينا بشيء لم يجده في

هذا البيان أن يخبر إدارة بريده ويخبرني أنا أيضًا لأبحث في إدارة بريد ميلة، ثم أكاتبه بما يصنع.

وهاكم البيان من غير مراعاة في ترتيب البلدان:

الجزائر	٦٩٧٥	قسنطينة	٥٢٣٥
المدية	٣٦٩٠	ميلة	١٧٣٥
البرواقية	٠٢٠٥	الميلية	٠٥١٥
قصر البخاري	٠٥٤٠	جيجل	٠٩١٥
الأغواط	٠٦٥٠	بجاية	١١٤٠
بوسعادة	٠١٦٠	البرج	٠٥٠٠
سيدي عيسى	٠١٠	قلعة بني عباس	٠١٤٥
بوفاريك	٠٢٢٠	عين مليلة	٠٩٠٠
سيق	١٨٤٥	القنطرة	٠٧٧٠
مجلد أبي اليقظان	٠٥٠	مجلدات مجلس الإدارة	٢٧٤٥
	١٤٨٨٥		١٤٦٠٠

تلمسان[1]	٢٠٠٠	بسكرة	١٢٦٥
باتنة	٠٧٤٥	صدراتة	١٣٥٥
عين التوتة	٠٢٥٠	سوق أهراس	٠٥٠٠
خنشلة	٠١٠٠	قالمة	٠٢٨٥
مسكيانة	٠٧٥٠	شاطودان	٠٥٦٥
تبسة	١٦٩٠	عزّابة	٠٠٩٠
بوقاعة	١٠٢٥	قنزات	٠٤٦٠
وادي أميزور	٠١٣٠	العلمة	١٥٠٠
القرارم	٢٥٠٠	عين عبيد	٠٠٢٠
	٩١٩٠		٦١٤٠

وقد أحببتُ أن أذكر عين عبيد مستقلة لأنه جاءني منها اشتراكان فكأنّ صاحبيها يقولان: ﴿رَبِّ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي﴾ [المائدة: ٢٥].

وجاءتني إشتراكات فردية من زنينة وغرداية أيضاً لكني جمعتُ ماليتها مع ميلة إذ قطعت وصولاتها من مجلد ميلة.

وإنّ هنالك بلداناً لم تذكر هنا لا لأنها معادية للجمعية أو غير راغبة في الانخراط في سلكها، وإنما لأن منها ما أدّت اشتراكها منضمّة إلى بلدة أخرى[2]،

(١) وسيدي بلعباس مع تلمسان [الشّهاب].

(٢) كسيدي بلعباس فإن ماليتها أُديت منضمّة إلى شُعبة تلمسان [الشّهاب].

ومنها ما لم تؤد في هذه السنة، واعتذر لي رؤساء شُعبها بموانع حالت دون قيامهم بتنبيه الناس إلى أداء الاشتراك، ورسائل هؤلاء المعتذرين محفوظة عندي، ولم أستطع الآن مراجعتها ولكني أذكر من الشُّعَب التي اعتذرت شُعبة سطيف وقمار والسكيكدة، وأعتذر لاخواني المعتذرين الآخرين عن عدم التصريح بأسمائهم بخيانة الذاكرة وفقد الوقت الكافي لمراجعة الرسائل.

وأما ما أنفقته الجمعية في هذه السنة فقد بلغ ٣٠٦٢٧.٣٥ خمسة وثلاثين سنتيما وسبعة وعشرين فرنكا وستمائة وثلاثين ألفا.

منها عشرة آلاف عُزِّزت بها صحف الجمعية: «السُّنَّة» و«الشريعة» و«الصراط»، ولم تعزّز الجمعية بماليتها صحيفة أخرى لا عربية اللسان ولا فرنسية، فلا تصغوا لتقوّل المرجفين الخراصين.

ومنها خمسمائة وألف أُعين بها تلاميذُ الأستاذ عبد الحميد، ومنها خمسة آلاف في سفرات الرئيس لعدّة جهات، وسفرات بعض أعضاء الجمعية بأمره لمصلحة الجمعية، وباقي الخارج هو في ضروريات الجمعية من كراء المركب والمسكن أيام الاجتماع الإداري، وطبع المنشورات والدفاتر والرسائل والمخبرات في شأن الصيام والإفطار عناية بتوحيد الأمة في شعيرة عظيمة من شعائر دينها، وفي طوابع البريد والوصولات وأجرة البرقيات والمحادثات السلكية في القضايا المستعجلة، ولم يتجاوز الإنفاق حد الضروريات إلى الحاجيات بله الكماليات، وهذا ما جعل فضل الداخل على الخارج كثير من غير أن تعطّل مصلحة للجمعية وجد الأعضاء إليها سبيلا، ولا تحوجوني في بيان الخارج إلى أكثر من هذا الايضاح، فالدفتر حاضر لكلّ

من أراد زيادة البيان.

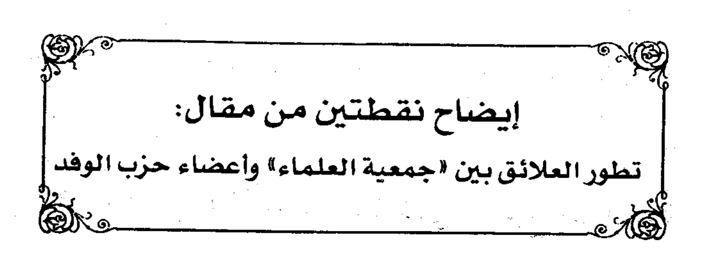
وقد بلغ فضل الداخل على الخارج في هذه السنة ٤٨٨٨٢.٣٠ ثلاثين سنتيما واثنين وثمانين فرنكا وثمانمائة وثمانية وأربعين ألفا.

فإن كنتم واثقين بمجلس إدارتكم في هذا الحساب فارفعوا أيديكم (**هنا رفع الجميع أيديهم معلنين ثقتهم إلاّ الشيخ الشريف الصايغي فإنه علاوة على تصريحه بالثقة طلب إحداث لجنة تراقب المالية، واضطرب كلامه اضطراباً في تعليل ذلك. فرُفِضَ طلبُه بالإجماع**).

وختاما أدعوكم إلى الجدّ في توسعة دائرة جمعيتكم كي تتسع دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأحثكم على إمدادها بالمال كي تنمو أعمالها الخيرية، وفي هذا الغرض جاء قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥][1].

مبارك بن محمد الميلي

(١) الشهاب: م ١٠ ج ٩ الصادر في جمادى الأولى ١٣٥٣هـ، ١٢/ ٨/ ١٩٣٤م.



إيضاح نقطتين من مقال:

تطور العلائق بين «جمعية العلماء» وأعضاء حزب الوفد

ميلة: ٧/ ١١/ ٣٤

الأخ الكريم والكاتب الحُرّ الشيخ أبو اليقظان.

سلام واحترام...

وبعد ، فقد سُررت ببروز «الأُمَّة» في حين اشتداد حاجة الأُمَّة إليها وإني لأرجو أن يكون حظّها في قُرائها من حظّ الأُمَّة الجزائرية في رجالها البارزين.

وقد قرأتُ ما نشرته «الأُمَّةُ» للأُمَّةِ من «جمعية العلماء» في العدد السابع، فرأيتها موفّقة فيما نشرت ومحسنة جدًا في قولها على أنَّ لكلّ فرد مسلم من أبناء القطر الجزائري أن يتدخّل في شؤون بلاده الدينية والدنيوية بصفته الفردية...إلخ.

هذا الفصل الذي أعربتم به عن حقّ طبيعي ما كان يخفي الأغراض.

ونهج سبيلي واضحٌ لمن اهتـدى   ولكنها الأهواء عمَّت [فأعمت]

ثم قرأتُ افتتاحية العدد الثامن من «الأُمَّة» فألفيتها من جنس ما قبلها صدقًا وتصويرًا للقضية، إلاّ في نقطتين لم تكن لديكم فيها معلومات كافية، ولكونكم

تهوون نشر الحقيقة كما هي ومن يعينكم على هذه الخطة رأيتُ أن أحرّر كلمات في إيضاح تينك النقطتين، أما الصحف المغرضة فقد تركناها وسنتركها تضلّل قُراءها، فإن المقال الواحد لا يرتق فتق تلك الصحف...[1] من تضليلها بتأسيس صحف صادقة.

أولى النقطتين: تعبير «الأُمَّة» عن معارضتي لترشيح «بو الصوف» بالهفوة، وإيضاحها أن «بو الصوف» هذا يحمل لي حقدًا قديمًا، ولما نزلتُ ميلة في العام الماضي فكّرتُ فيما يزيل هذا الحقد أو يستره، فعُرِضَتْ فرصةٌ لاجتماعنا فانتهزتُها ولكن لم تنتج أكثر من اعتبارها تمهيدًا لاجتماع آخر، ثم عُرِضَت آخِرُ فرصةٍ ولكن أسفرت عن انفجار بُركان حقده انفجارًا أيأسني من محاولة علاجه مرة ثالثة، والفرصتان كلتاهما في فبراير سنة ١٩٣٤.

وما جاء شهر مارس حتى أثمره[2] حِقدُه تلكَ الرسالةَ التي أرسلها إلى عامل قسنطينة وصوّر فيها عقيدته في الإسلام وضغينته لجمعية العلماء ولأمين مالها، وقد نشرت تلك الرسالة بجريدة «لاديفانس».

وقبل كتابة تلك الرسالة بيوم ابتدأ تداخل ابن جلول في القضية لكن بصفة زادتها ضغثًا على إبالة، ولعلّ صحيفة «الأُمَّة» لا تريد نشر حقائق عن صفة هذا التداخل، فلا نطيل بها هذه المقالة، وأنا مستعدٌّ لتلبية قُرائها متى طلبوها مني.

إذن معارضتي لترشيح «بو الصوف» ليست بالهفوة، بل هي نتيجة طبيعية لأسباب حقيقية.

---

(١) كلمة غير مفهومة في الميكروفيلم.

(٢) كذا في الأصل.

وإني لأعتقد أن «جمعية العلماء» قد قصدت ـ بحسن نية ـ في سكوتها عن رسالة بوالصوف وعدم احتجاجها عليها لأنها عندي أشنع من اقتراح ابن علال، فإن ذلك الاقتراح إنما اقتضى منعنا من المساجد الرسمية، أما تلك الرسالة فإنها تقتضي منعنا من كلّ مكان وتشريدنا من كلّ اجتماع.

ونكتفي الآن بهذا القدر من إيضاح هذه النقطة.

وثاني النقطتين: دعوى أني ألححتُ على الصائغي في تبرئة ساحتي، وأنه أصرّ على رأيه حتى أمكنّه من حسابات الجمعية، وهذا عندي غير معقول ولا موافق للواقع.

أما أنه غير معقول فإن الصائغي طلب في الاجتماع العام إحداث لجنة لمراقبة المالية، ولم يطلب مني أن أُطلعه شخصيًا على دفتر الحسابات، وأنا لم أمنع أحدًا من ذلك الدفتر فأمكّنه منه الآن، وليس إحداث لجنة من خصائص أمين المال، بل هي من خصائص الاجتماع العامّ، فلو قرّر الاجتماع العام هذا الاقتراح نفّذه المجلس الإداري، ولكنه رفضه فأُهمِل، فلم يبق على صاحب الاقتراح إلاّ الرِّضا والتَّسليم أو الانسحاب من الجمعية، هذا هو المعقول.

وأمّا أنَّه غير موافق للواقع فإنِّي لم أطلب من «الصائغي» أن يبرئ ساحتي فضلاً عن أن أُلحّ عليه في ذلك، وإنما وقع اجتماعي به بطلب من الشيخ الطيّب العقبي في إدارة «الشهاب» أمام المشايخ: عبد الحميد بن باديس والطيّب العقبي والعربي التبسي ومحمد خير الدِّين وغيرهم.

فطلب المشايخ أن نتسامح أنا والصائغي، فقلتُ للصائغي: كتبتَ في وآذيتني، فقال: نعم! فقلتُ له: هل كتبتُ أنا فيك وآذيتك؟ فقال: لا! فقلتُ: فماذا تطلب

مني؟ فقال: المسامحة! فقلتُ له: لما اعترفتَ بالواقع فقد سامحتُك، فَسُرَّ الحاضرون لوقوع التسامح على هذه الصورة البسيطة رغم شناعة الإذاية والجدّ في إذاعتها.

وبعد كلمات من الحاضرين في إظهار سرورهم بهذه النتيجة لمساعيهم الخيرية قلتُ لهم: إن اعتراف الصائغي وقع في محلٍّ خاصٍّ أمام جمع خاصٍّ، وأما كتابته فقد نُشِرتْ بالصحف السيارة! فأجابوا بأن صورة هذا المجلس لابد من إذاعتها، وانتهت هذه القضية على هذه الصورة.

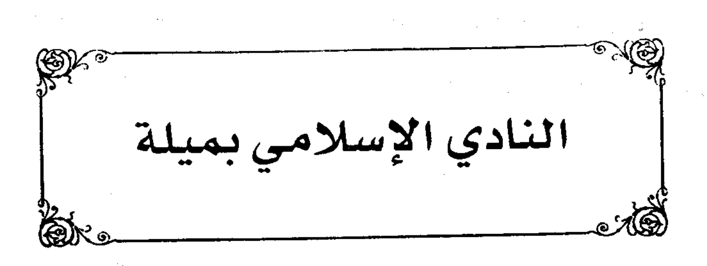
هذا ما أردنا إيضاحه لِقُرَّاء «الأُمَّة» التي تحرص جدّ الحرص على إفادة قُرائها بالحقائق، أما قُراء الصحف المغرضة فليعتمدوا على سوء ظنّهم في أخبارها فلسنا مستعدين لإشغال ثانية من أوقاتنا تصويب أخطائها.

وفي الختام أشكر الأخ أبا اليقظان على شروعه في خدمة قضية «جمعية العلماء» والوفد بقلم نزيه ونية طيبة، وأرجوه المضي في هذه الطريقة البيضاء.[1]

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) جريدة «الأُمَّة»: العدد (١٠) الصادر يوم الثلاثاء ١٢ شعبان ١٣٥٣ هـ ٢٠/ ١١/ ١٩٣٤م.



النادي الإسلامي بميلة

يسعى هذا النادي بجدّ ونشاط لتحقيق غايته التي وُجد لها، وهي غاية دينية علمية إنسانية اجتماعية، وافتتح حياته وسعيه في سبيل غايته الشريفة بتلك الحفلة الرائعة التي حمل «الشهاب» الأغرّ نبأها إلى قُرائه، وقد اهتزّ لها فرحًا وطربًا كلّ من كانت غايتُه في الحياة موافقةً لغاية هذا النادي، واغتمّ لها غضبا واشتدّ لها كيدًا كلّ من قعدت به هِمّته عن السموّ لمثل تلك الغاية النبيلة.

وإذا كان كلّ ما في الوجود لا يخلو من مُوالٍ ومُعادٍ فلن يبالي هذا النادي بمن يقدحون في شرف غايته ولن يزيد على أن يتمثّل بقول الأوّل:

وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ فهي الشهادةُ لي بأني كاملُ

خرج رجال النادي من تلك الحفلة متأثّرين لما سمعوا من خُطبائها من حِكم عالية ونصائح غالية، ورأوا أن السير إلى تلك الغاية الشريفة لا يكون إلاّ بمثل تلك الخطب والمحاضرات، وتكرار أمثال تلك النصائح والحِكم بهذا النادي، والشيء إذا تكرّر كان خليقًا به أن يتقرّر.

أجمعت الكلمةُ على أن يكون الأستاذ مبارك الميلي محاضرًا أسبوعيًا بهذا النادي وعُرضت عليه هذه الرغبة، فلبّى الطلب عِلاوة على ما هو قائم به من دروس وعظ وإرشاد للعامة والطلبة في التفسير والحديث، ودروس علم وتربية للطلبة في الفقه والنحو والصرف والمنطق، وافتتح محاضراته بانتظام يوم ١٢ ماي، وكان من المفيد تعميمها بالنشر غير أنه حال دون ذلك أنّ الأستاذ المحاضر لا يكتب محاضراته، ونقلها وقت الإلقاء من غير اختزال متعذّر، وتلخيصها بعد الإلقاء شغل عنه التلاميذ بدروسهم.

وقد ألحّ الناس على الأستاذ بأن يلخّص هو نفسه محاضراته أو يعهد إلى أحد التلاميذ بتلخيصها،

فإن يسّر الله ذلك عمّت فائدة هذا النادي، وهو ما كنا نبغي.

وإذا فاتنا أن نلخّص هذه المحاضرات فلا يعجزنا أن نذكر مواضيعها وبعض ما علق بالذهن منها، ولعلّ في هذا وفاءً ببعض رغبة المتطلّعين إليها، وقد علق بأذهاننا نصّ ديباجة المحاضرة الأولى؛ وهو[1]:

* * *

«الحمد لله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، ثم أكمل الصلاة والتسليم على من خاطبه الله بكلامه القديم، فقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضُّحى: ١ ـ ٥]، ثمَّ الرِّضى على الآل والأصحاب الذين نهجوا للناس مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب.

ثم قال: إن اسم هذا المحلّ يوجب على المحاضر فيه أن يعتني بالمجتمع بما يوسّع دائرته ويقوّي روابط الأُلفة والمحبّة بين أفراده، ويوجب عليه أيضًا أن تكون محاضراته مفرغة في قالب إسلامي، وإن غايته تقيّد المحاضر بمحاضرات دينية علمية إنسانية اجتماعية.

ولما كانت هذه المحاضرة الأولى فلا بد أن يكون موضوعها كُلّيًا شاملاً، ثم نتدرج فيما بعدها نحو المواضيع الجزئية وهكذا سُنَّة هذه الحياة.

بل إنّ في موضوع هذه المحاضرة نفسها تدرجاً من كُلّيٍّ عام إلى ما هو كالجزئي لما قبله.

اشتملت هذه المحاضرة الأولى على خمس وصايا:

الوصية الأولى: تقوى الله، افتتحها بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ﴾ [النساء: ١٣١] والتقوى أعمّ كلمة وأشملها لغاية

---

(١) تقديم هذه المحاضرة وتلخيصها من تحرير مجلة «الشهاب».

المؤسسة إذ هي عبارة عن تطهير النفس من الرذائل، واستكمالها بالفضائل، مع مراعاة أن عليها في الحياة الدنيا رقيبًا يجازيها على تقواها أو فجورها في الحياة الأخرى.

وأخذ في تقرير معنى التقوى وحاجة الإنسانية إليها وبيان فوائدها بما تنشرح له الصدور وتطمئن إليه القلوب.

الوصية الثانية: الاتحاد في الخير، استشهد لها بقوله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقرّرها أيضًا ببيان حاجة الإنسانية إليها وذكر فوائدها.

وختم الكلام في هذه الوصية بأن الدعوة إلى الاتحاد من الخير الذي نسعى لتعميمه. وإذا لم يُجب بعض الناس هذه الدعوة فليس الذنب ذنب الداعي بل الذنب ذنب المعرض عن الاجابة، وليس توفيق المرء إلى الخير لأحد إلا لله وحده.

الوصية الثالثة: التحابب ونبذ أسباب الشقاق، وهي كالوسيلة لما قبلها، وأساس هذه الوصية قوله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[١].

الوصية الرابعة : المحافظة على حياة هذه المؤسسة واعتبار أن التعب في حمايتها من أيدي وألسنة السوء إنما هو راحة، وأنّ شأن كلّ محبوب أن يُحاط بمكاره، وقد قال ﷺ: «حُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ وَحُفَّتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ»[٢].

وإذا كان المؤسّسون قد بذلوا جهودًا عظيمةً في تأسيس هذا النادي فلنبذل

---

(١) أخرجه البخاري (١٣) عن أنس، وقد تقدم.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٢٢) عن أنس بن مالك، و(٢٨٢٣) عن أبي هريرة، وأخرجه البخاري (٦٤٨٧) عن أبي هريرة بلفظ: «حُجبت» في الموضعين.

جهودًا أقوى منها في حمايته، فإنّ من تعب في تحصيل شيء كان به ضنينًا.

الوصية الخامسة: النشاط في تكوين مشاريع خيرية أُخَر وعدم الوقوف عند هذه المؤسسة الواحدة؛ لأن الوقوف في الحياة سير إلى الوراء، وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشَّرح: ٧ ـ ٨].

* * *

وموضوع المحاضرة الثانية: العلم، ذكر مآخذه وفضله وفوائده، واستشهد لكل فصل من فصول المحاضرة بالآيات والأحاديث وأقوال الحكماء وحِكم الشعراء، وصوّر حالة الأمة العالمة وحالة الأمّة الجاهلة، وقبّح استخفاف أمّتنا بالعلم، وبيّن أنه علّة العلل في شقائها المادي والأدبي، وحرّض على تعلّم العلم بأيّ لسان وفي أيّ غرض، غير أن المرء يقدّم منها ما هو أمسّ بسعادته دنيا وأخرى، فإنّ العلوم نتائج أفكار آلاف من الرجال، والإحاطة بها يستدعي عُمرًا يقرب من مجموع أعمار تلك الأجيال.

وبعد إسهاب محمود مؤثّر دعا الحاضرين إلى تحقيق نصرتهم للعلم، وبيّن لهم الطرق العملية في هذا السبيل؛ وهي:

١ ـ تعلّم الأُمِّيِّين منكم للكتابة والقراءة، وهو عمل لا يستدعي طول الحصّة اليومية، وإنما يلزمه المواظبة وعدم الانقطاع.

٢ ـ تعلّم الأبناء بإحداث مدرسة عصرية، وقارنَ ههنا بين المكاتب الفرنسية والكتاتيب القرآنية التي لم تزل على الطراز القديم، وبيّن أن علّة نفور الأبناء من

الكتاتيب القرآنية هو فقدها لما هو موجود في المكاتب الفرنسية من معرفة المعلّم بكيفية التأديب والترغيب والترهيب، واستجماع المكان لشروط الصحة وأسباب الراحة ومظاهر الجمال.

٣ ـ إحياء ما كان قبل من إطعام الطلبة الغرباء وتيسير التعلّم لهم، فبذلك ينتشر العلم في البوادي، والبادية هي مادة الحياة للحاضرة، فالعناية بتربية البادية عناية بحياة الحاضرة.

٤ ـ محبّة أهل العلم وتأييدهم في أعمالهم العلمية وإزالة ما يعترض سبيلهم، وقد ورد أن إماطة الأذى عن طريق السيارة شُعبةٌ من شُعب الإيمان[1]، فكيف إماطة الأذى عن طريق قافلة العلم».

❊ ❊ ❊

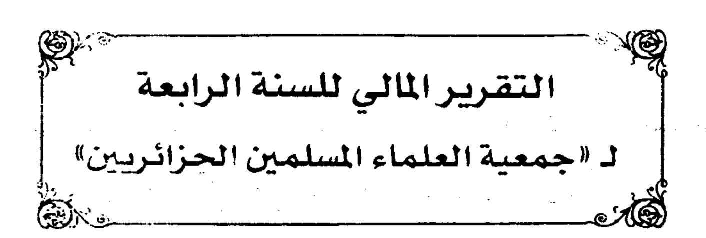
وموضوع المحاضرات الأُخَر: إعانة الفقراء، تشجيع المشاريع الخيرية، تهذيب الأخلاق وبثّ روح المحبّة بين المتساكنين، إصلاح الحياة الزوجيّة.

وقد اكتفينا بالإشارة إليها عن تلخيصها فرارًا من التطويل الذي قد يكون عائقًا للقارئ عن حسن الإفادة من المقال، ولعلّنا نلخّصها لقُراء العدد التالي، إن شاء الله[2].

---

(١) كما في الحديث الصحيح: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ»، أخرجه مسلم (٣٥) والبخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٨) عن أبي هريرة.

(٢) الشهاب: م١١ ج٤ الصادر غرة ربيع الثاني ١٣٥٤ هـ، ٣/ ٧/ ١٩٣٥م.



التقرير المالي للسنة الرابعة

لـ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

تلاه أمين ماليتها «بنادي الترقي» من مدينة الجزائر على الاجتماع العام صباح يوم الثلاثاء ١٨ جمادى الاخيرة و ١٧ سبتمبر عام (١٣٥٤هـ/ ١٩٣٥م)

الحمد لله الذي جعل لنا القرآنَ إمامًا، وأنزل فيه: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]، والصلاة والسلام على النبي الأمين الذي وصفه ربه بقوله: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾ [التكوير: ٢٤]، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم السلام عليكم أيتها الطائفة القائمة بالحق، الداعية إليه باللين والرفق، الناصرة له بالصبر والصدق، فلم يضرها بفضل الله مَن خالفها من الخَلق.

أما بعد؛ فقد قيل: «المال قوام الأعمال» وقد نطق بذلك القرآن في آية: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾ [النساء: ٥]، في قراءة غير نافع وابن عامر.

قال البغوي[1] في تفسيره لهذه القراءة: «وأصله «قَوَامًا» فانقلبت الواوُ ياءً لانكسار ما قبلها، وهو ملاكُ الأمر وما يقوم به الأمر، وأراد هاهنا قوام عيشكم الذي تعيشون به.

قال الضحاك: به يُقام الحجّ والجهاد وأعمال البِرّ، وبه فكاك الرقاب من النار».

وجعل ابن كثير في «تفسيره»[2] من أنواع السفهاء من يكون سيئ التصرف لنقص العقل أو الدِّين.

وقد ابتُليت الأُمّةُ منذ دهر بأناس ناقصي العقل بالجهل والجمود والغرور، ناقصي الدين بترك الواجبات وفعل المحرمات، ودعوى الخصوصيات، فأنفقوا من جهلهم على الأُمّةِ ما جعل جمهورها يأنس إلى الجهل وينفر من العلم، وأنفقوا عليها من جمودهم ما جعلها تسرع إلى قبول المُحال لاعتيادها سماعه، وتبادر إلى إنكار الواجب الضروري لغرابته عندها وجدّته بزعمها، وأنفقوا عليها من غرورهم ما جعلها تطمئن إلى وعدهم، ولو كان وعدهم بنص القرآن وعيدًا ووعيدهم بنص الكتاب عند الله وعدًا أكيدًا، وأنفقوا عليها من نقصان دينهم ما جعلها تضيّع الصلوات وتقيم الأوراد، وتأتي المنكرات، وتتكل على صلاح الشيوخ والأجداد، وهكذا سلبوا الأمة عقلها ودينها وأفسدوا عليها آخرتها ودنياها.

هل ترون مَن هو أحقّ مِن هؤلاء بالسفاهة وأبعد في الضلالة؟

لا، لا أحقّ منهم بالسفاهة ولا أبعد منهم في الضلالة إلاّ من آتاه الله عِلمًا

---

(١) في «معالم التنزيل» (١/ ٣١١).

(٢) في (٢/ ٢٠٣).

فخدمهم به، ورزقه مالاً فآتاهم إياه.

فاتقوا الله أيها العباد، وراجعوا طريق الرشاد، وانظروا لعاقبتكم بعين الحِكمة والسداد، فلا تؤتوا أولئك السفهاء أموالكم التي تجهلون أمر مصيرها، ولا تمسكوها عن الجمعيات التي تحاسبونها على قليلها وكثيرها.

وإن «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» من الجمعيات التي تُطلعكم كلّ عام على حِسابها، وتدعوكم كلَّ سنةٍ إلى الاطّلاع على دفتر ماليتها، وقد وثق العدوّ قبل الصّديق بأمانتها المالية، وإن أقامت الضّجّة حولها مرارًا نفوسٌ من الخير خالية، وبالشرّ عامرة وإليه ساعية، لا تحمي دينها من الإهمال، ولا قوميتها من الإذلال؛ بل هي تشاغب رجال العمل، وتحاول أن تنزع ما للأمّة فيهم من ثقة وأمل، فقولوا لها: شاهت الوجوه وإنما يعرف ذا الفضل من الناس ذووه.

إن مالية الجمعية بتركب من فضل السنة السابقة، ومما قبض للسنة الماضية متأخرًا عن الاجتماع العام، ومما قبض لهذه السنة الحاضرة.

ففضل السنة الماضية هو: ٤٨٨٨٢.٣٠ ثلاثون سانتيمًا واثنان وثمانون فرنكًا وثمانمائة وثمانية وأربعون ألفًا.

وما قبض لتلك السنة متأخرًا هو: ٠٤٣٨٠.٠٠ ثمانون فرنكا وثلاثمائة وأربعة آلاف.

وما قُبض في هذه السنة هو: ٤٥٢٠٠.٠٠ مائتا فرنك وخمسة وأربعون ألفا.

ومجموع ذلك هو مالية الجمعية. وذلك ٩٨٤٦٢.٣٠ ثلاثون سانتيمًا واثنان وستون فرنكًا وأربعمائة فرنك وثمانية وتسعون ألفًا.

والخارج في هذه السنة هو: ٣٢٤٠٤.٩٥ خمسة وتسعون سانتيمًا وأربع فرنكات وأربعمائة واثنان وثلاثون ألفًا.

ففضل هذه السنة هو: ٦٦٠٥٧.٣٥ خمسة وثلاثون سانتيمًا وسبعة وخمسون فرنكًا وستة وستون ألفًا.

وتفصيل الداخل من كلّ شُعبة سواء فيه ما قبض لهذه السنة أو لما قبلها فيها هو:

تلمسان	١٩٥٠.٠٠	بجاية	٠٨٠٠.٠٠
بريكة	٣٠١٠.٠٠	سكيكدة	٠٢٠٠.٠٠
بوسعادة	٣٢٥.٠٠	قنزات	٠٦٣٠.٠٠
سوق أهراس	١٥٤٥.٠٠	قالمة	١١٦٠.٠٠
الأغواط	٢٢٣٥.٠٠	جيجل	٠٨٨٥.٠٠
أقبو	٠٢٧٠.٠٠	سيق	١٠٢٥.٠٠
القُل	٠٣٥٥.٠٠	الحروش	٠٤٩٥.٠٠
عزابة	١٠٩٥.٠٠	خنشلة	١٤٧٥.٠٠
قلعة بني عباس	١١٣٥.٠٠	المدية	٣٣٧٠.٠٠
تا ملوكة	٠٣٢٠.٠٠	الجزائر	٨٠٢٠.٠٠
المسيلة	٢٢٥.٠٠	بوفاريك	٥٠.٠٠
أمّ البواقي	٠٥٨٠.٠٠	عين عبيد	٠٠٩٠.٠٠
تيارت	٠٢٠٠.٠٠	الشيخ أبو اليقظان	٠٠٧٠.٠٠
شاطودان	٠٧٣٠.٠٠	عين البيضاء	٠٥٦٥.٠٠

القرارم	٢٠٣٥.٠٠	ميلة	١٤٦٠.٠٠
غليزان	٠٣٠٠.٠٠	البليدة	٠٩٨٠.٠٠
عنابة	٠١٢٠.٠٠	سيدي أبو العباس	٠٩٠٠.٠٠
قصر البخاري	٠٦٩٠.٠٠	البرواقية	٠٣٤٠.٠٠
الغزوات	٠٢٥٠.٠٠	باتنة	٠٩٥٠.٠٠
سطيف	٠٩٢٠.٠٠	قمار	٠٩٦٠.٠٠
قسنطينة	٥٤٨٥.٠٠	وادي الزناتي	٠٠٨٠.٠٠
تبسة	١٢٥٠.٠٠	الطاهير	٠٠٥٠.٠٠

وقد جاء تسجيل المالية داخلاً وخارجًا بدفتر المقررات سبعمائة وثمانون فرنكا من شُعبة مستغانم ومجلد الشيخ أبو اليقظان ذكرناها عند تلاوة التقرير حتى لا يظنّ ضياعها، ولكنها إنما تعدّ في مالية السنة القابلة.

أما تفصيل الخارج فها هو بيانه.

٠٠	١١٣٧٨	في ركوب ومسكن ومأكل أعضاء الإدارة أيام الاجتماعات
٣٥	٠٦٩١١	الرسمية
		في أسفار الوفود في العمالات الثلاثة وأسفار عيّنتها الإدارة
٠٠	٠١٠٥٨	لمصلحة الجمعية.
٤٥	٠٣٧٤٨	في الدفاع عن الجمعية بالبرقيات وغيرها.
		في طبع وتوزيع منشورات الحُجّاج والوفود وغيرها وطبع

٠٠	٠١١٨٠	رسائل وأستار.
		في اكتراء الكراسي وموزّع الصوت بالاجتماع العام وفي لوازم
٨٥	٠٠٨٤٦	اجتماع شُعبة قسنطينة.
٠٠	٣٧٥٠	في مخاطبات وبرقيات لتوحيد الصيام والإفطار.
٠٠	٠٢٠٠٠	في إعانة مشاريع خيرية كمدرسة تبسة وجامعي عين مليلة
١٠	٠٠١١٦	وعزابة.
		في إعانة طلبة قسنطينة.
١٥	٠٠٥٢٦	في طوابع وُصولات. وقد تبرّع كثيرٌ من الشعب فلم يعدّوا
٧٥	٠٠٤٨٦	على الجمعية هذه الطوابع.
٣٠	٠٠٤٠٣	في طوابع بريد رسائل ولفافات وصولات.
		في محادثات سلكية في أمور مستعجلة.
		في برقيات غير الصيام والإفطار.
٩٥	٢٢٤٠٤	

هذه هي مالية الجمعية دخلاً وخرجًا جملةً وتفصيلاً، فهل أنتم عليها موافقون وبحساب مجلس إدارتكم واثقون؟.

(وهنا رفع الجميع أيديهم بالوفاق والثقة).

وإنّ في عناية جمعية علمية دينية بضبط المالية على ما ترون لَسِرًّا إن فهمتموه خفّ ما نلاقيه من عَناءٍ في هذا السبيل.

هذا السِّرُّ هو إرشادكم عمليًا إلى ضبط أموالكم والعناية بها؛ ضبطًا يضطرّكم

إلى تعلّم القراءة والكتابة والعمليات الأربع الحسابية، وعنايةً تبعثكم على الكسب والازدياد كي تجدوا ما تنفقون منه في هذه الحياة وما تقرضونه الغني الحميد تدّخرونه ليوم الجزاء، فأنا أوصيكم بحبّ المال ولكن باعتباره وسيلة للسعادتين، وإنما ذمّ الله حبّ المال إذا كان حُبًّا جمًّا؛ يستولي على القلوب فيزيل منها الرحمة، وعلى العاطفة فيأخذ منها الرقّة، وعلى المشاعر فينزع منها غريزة الميل إلى السمعة الحسنة.

وإنّ حُبَّ المال على ما أوصيناكم به هو عين الزهد الذي جاءت به شريعتنا، لا ذلك الزهد المكذوب المتصوّر بالمقلوب كأغلب تصوراتنا الدينية والحيوية.

وقد زاد الداخل في هذه السنة زيادة ذات بال، فكانت مالية الجمعية ـ والحمد لله ـ في زيادة مطّردة.

وقد كنتُ أعتذر عن ضعف الداخل بأعذار في أوّلها ضيق الحال واشتداد الأزمة؛ ولكن زيادة هذه السنة التي لم تعرف الجزائر في حياتها أشدّ منها على ماليتها تضطرّ كلّ معتبر بالحوادث إلى إلغاء هذا العذر في مشروعٍ عامٍّ كهذا، وتنبّه قارئ كتاب الحياة إلى أن المشاريع العامة تعتمد على عمارة القلوب أكثر مما تعتمد على امتلاء الجيوب، فإذا عمرت القلوب بالخير أنتجت من الآثار ما يدهش كلّ غير.

وكنت أعتذر عن ضعف المالية بفقد برامج للعمل يضعها مجلس الإدارة بينكم لتوازروه على تنفيذها، فوفّقت الإدارةُ في هذا العام ـ على شدّة اضطرابه بفتن الفتّانين ودسائس الدسّاسين أكثر من ذي قبل ـ إلى وضع برنامج علمي وعملي قد سمعتم تفاصيله في اليومين الماضيين، وبذلك قطعت الجمعية هذا العذر على أمين ماليتها في تقرير العام القابل. وأعلمتكم أن حاجتها إلى المال في سنتها الخامسة

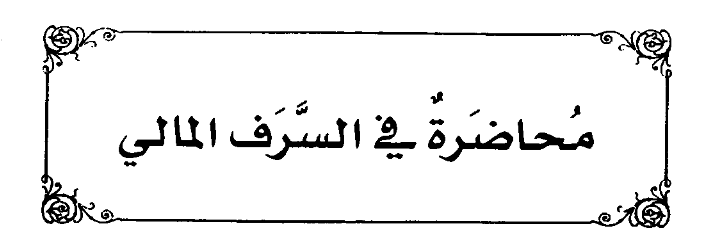
القابلة أشدّ من حاجتها إليه في السنوات الماضية، فسابقوا إلى إعانتها على تنفيذ برنامجها، وسارعوا إلى إمدادها بكلّ ما تتأيّد به على مقتضى إيمانكم بحسن برنامجها، لا على حسب ماليتكم التي لم تضع الطبيعة حَدًّا لها، وكونوا من الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربّهم راجعون أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون.

وأختم هذا التقرير بتلك الآية التي ختمت بها التقارير السابقة، عسى أن يرسخ معنى الآية الصحيح في قلوبكم فتظهر آثارها في أعمالكم، وتنقذوا أُمَّتكم من تهلكتها بالاقتصاد في الإنفاق الخاصّ وخِفّة البذل في الإنفاق العامّ.

قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥][1].

مبارك بن محمد الميلي

(١) «سجل مؤتمر جمعية العلماء» (ص٧٧ ـ ٨٣).



مُحاضَرةٌ في السَّرَف المالي

معناه، ذمّه، الوعيد عليه، عاقبته، حدّه في المحرّم، في المندوب، في المباح، من وجوهه: الصداق، الوليمة، الهضيمة، الضيافة، الهديّة، موازنة بينه وبين الاقتصاد، كيفية مقاومته، طرق المقاومة.

ألقاها الأستاذ مبارك بن محمد الميلي العضو بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، في اجتماعها العام المنعقد بنادي الترقي من مدينة الجزائر

يوم الاثنين مساء ١٧ جمادى الاخيرة، ١٧ شتنبر، سنة ١٣٥٤هـ ـ ١٩٣٥م

***

الحمد لله الذي جعل الإسلام دينًا وسطًا، لا ناقصًا عن حدّ الاعتدال ولا ذاهبًا عنه شططًا، نحمده أن جعلنا من أهله وجنوده، ونسأله التوفيق للعمل بآدابه والوقوف عند حدوده.

ثم الصلاة والسلام على خاتم النبيئين، وأول المسلمين، القائل وقوله الجدّ: «مَا عَالَ مَنِ اقْتَصَدَ»[1]، وعلى آله وأصحابه الذين نصروه بحسن الانقياد، ونشروا دعوته بالحكمة والسداد، وعلى من تبعهم متخليًا من السرف متحليًا بالاقتصاد.

(١) ضعيف الإسناد: انظر «محاضرة في السَّرف المالي» (ص ٢٩ ـ ٣٠) لمبارك الميلي، باعتنائي.

أما بعد؛ فيا أيها السادة، كنتم لمن خلفكم خير قادة، إن هذا سوق لا ينفق فيه إلاّ الدِّين الخالص والإرشاد الناصح، وميدان لا يبرز إليه إلاّ من جمع الله له بين سَعة الاطّلاع وحسن الاختيار، وبين صدق اللهجة وعذوبة البيان.

وأنا ليس لي من البضاعة ما أطمع في نَفاقه لديكم، وليس لي من البلاغة ما يحسن عرضه عليكم، غير أن الجمعية كلّفتني بإلقاء كلمات عليكم في موضوع:

«السرف المالي ووجوهه، ووجوب مقاومتها، وكيف تقاوَم».

فلم أر التواني عن استجابة دعائها وهي جمعية جِدّ، ولم أستجز القعود عن تلبية ندائها وهي تدعو إلى الرشد، فإن وجدتم حديثي خلوًا من الفائدة فالمسؤول عن ضياع وقتكم من كلّفني بهذا الحديث، وإن وجدتم فيه بعض الفائدة فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

السَّرَفُ ـ أيها السّادة ـ يُطلَق إطلاقًا عامًّا على معنى هو: «تجاوز المرء الحدّ في فعل من أفعاله».

فالغُلُوُّ من شُعبه.

ولعلاجه جمع علماءُ السُّنَّة أحاديثَ الاقتصاد في الطاعة في أبواب كُتبهم، ووضع الغزّالي كتابه «الاقتصاد في الاعتقاد».

وقد نهى عنه الكِتاب وذمّه في غير ما آية؛ منها: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ [النساء:١٧١ و المائدة:٧٧]، ﴿وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١﴾ [الأعراف:٣١]، و﴿وَأَنَّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ ٤٣﴾ [غافر: ٤٣]، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ مُسۡرِفٞ كَذَّابٞ ٢٨﴾ [غافر: ٢٨].

ويُستعمَلُ السَّرَفُ استعمالاً خاصًا؛ فيُراد منه: «تجاوز المرء الحدَّ في الإنفاق».

وهو أخو التبذير، كلاهما إضاعة للمال.

وقد حذَّر القرآنُ منه في آيات، منها: ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ [النساء: ٦]، ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ﴿٢٧﴾﴾ [الإسراء: ٢٦-٢٧]، ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

ولولا محاربة الإسلام للسَّرَف ما كان يندبنا إلى تقليل الماء في الطهارة، وهو لا قيمة له في أكثر الأوقات وأغلب الجهات.

قال ابن أبي زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وقِلَّةُ الماءِ مع إحكامِ الغسلِ سُنَّةٌ، والسَّرَفُ منه غُلُوٌّ وبِدَعَةٌ».**

السَّرف الخاصّ - أيها السّادة - هو موضوع حديثنا، وإنما ذكرنا السّرف العامّ لأنّ كلّ ما ورد في ذمّه والوعيد عليه متناولٌ للسّرف الخاصّ.

وقد أخبرنا القرآن أنّ المبذِّر أخو الشيطان وأن الشيطان كفورٌ لربه، فالمبذّر كفورٌ لربّه وسائر في طريق الكفر لربه، وكفى به حكمًا ممن قوله الحقّ وله الملك يوم ينفخ في الصور.

عاقبة السّرَف المالي في الآخرة أن يُلْقَى بصاحبه في النار، وعاقبته في الدنيا أن يُلْقَى به في المتربة والصَّغار.

فالسَّرَفُ المالي هو الذي ألقى بكثير من أُسرنا بين أيدي المرابين الذين إذا ذكرتَ لهم الرحمة وأثنيتَ عليها حسبوها غنيًّا مُغرَمًا بكراسي النيابة أو مُبتلًى بخصومة العباد،

أو في معنى هذين، ممن يُهين المال في سبيل إهانته ويشتته لتشتيت شمله.

والسرف المالي هو الذي وضع بيوتًا كانت ذا مجد وسؤدد.

والسرف المالي هو الذي أخرج من أيدينا أملاكا ـ وأيّ أملاك ـ إلى أيدٍ ترى من أشرف أعمالها سلبنا قوت يومنا.

والسرف المالي هو الذي قعد بالأمة الجزائرية عن تعمير المساجد وإنشاء المدارس واتخاذ ملاجئ للفقراء والعجز.

وبالآخَرة إن السرف المالي هو الذي قسّى القلوب وأمات الشعور، وجعل ما في وجودنا من منفعة فلغيرنا، وما فيه من مضرة ومعرّة فعلينا.

فكانت «الجمعية» موفقة في اختيار هذا الموضوع لو أنها اختارت له غيري ممن يصوّره تصويرًا ينفذ إلى القلوب على قسوتها، ويحرّك المشاعر على غلظتها، ويفتح البصائر على طول غفلتها.

إذا كان السَّرَفُ ـ أيها السادة ـ هو تجاوز الحدّ، فإن الحدّ منه مشروع ومنعه معروف، فما حظره الله علينا فقد حدّنا عنه، فإنفاق فلس واحد في المحظورات تجاوزاً للحد المشروع يُعدّ سرفًا تترتّب عليه مضارّه الأُخروية والدنيوية.

وما ندبنا إليه الشرع فقد رخّص لنا في تركه ليترك لنا فُسحة النظر في عواقب الانفاق في المندوبات وحقّ اختيارها بعضها على بعض عند تواردها.

فالسرف في المندوبات هو كثرة الإنفاق التي تؤدي إلى إهمال مندوبات هي أعمّ نفعًا وأعظم أجرًا؛ أو تفضي إلى العجز عن حقوق الناس من أداء دَين أو نفقة عيال.

فالإنفاق على الفقراء لحفظ حياتهم الفانية القاصرة النفع ليس كالإنفاق على

تعليم البنين والبنات لحفظ حياتهم الخالدة المتعدية الفائدة، وهكذا تختار من وجوه الإنفاق في الخير ما هو أبقى لميسرتك، وأجدى على أمتك.

وما أباحهُ الشرع لنا فقد وكل فعله وتركه إلى نظرنا واختيارنا.

فالمباحات في نظري هي للمكلَّفين بمثابة المسائل التمرينية للمتعلّمين، الغرض من تلك التمارين تقويةُ مَلَكةِ الذكاء في المتعلِّم وتعويدُه على تطبيق الكُلِّيات على الجزيئات وتسهيل استحضار القواعد عند عروض أمثلتها.

على نحو ذلك أفهم الحكمة في تشريع المباحات، فبها تنمو في المكلَّفين قوة التفكير، ويتدربون على اختيار الوجه الأصلح وإصابة موضع الحكمة فيما يفعلون أو يذرون.

وبهذا تنحلّ شبهة كثيرًا ما تخدع الناس، يقوم أحدنا على عمل مباح فينكر عليه إخوانه الذين رأوا فيه ضررًا فيجيبهم بأنه مباح مستوي الطرفين، وليس كذلك دائمًا، فقد تُعرَضُ للمباح اعتباراتٌ شرعيةٌ ترجِّح أحد طرفيه، فيصير الطرف المرجوح مرغوبًا عنه شرعًا، وربما نشأ عنه ضرر أخروي، وقد يعرض له اعتبارات شخصية أو زمنية ترجِّح أحد طرفيه، فيصير الطرف المرجوح مذمومًا عقلاً وسببًا لضرر دنيوي.

فالفلاّح مَثلاً له أن يكتري هيكتارًا بألفين ليبذر به شعيرًا يأتي له بعد عام بمائتي فرنك، ولكن أما ينكر الناس على هذا الفلاّح؟ وهل تنهض حُجَّته عليهم بأن عمله مباح؟

إذن السَرف في المباح موكول إلى العُرف واعتبار حال المُنفِق، فربّ إنفاق هو

سرف بالنظر لحال شخص، وغير سرف بالنظر لآخر.

وإذا أردنا أن نبيّن السرف في المباحات قلنا إنه: «الاسترسال في قضاء مآرب النفس وإحضار مشتهياتها في المأكل والمسكن والملبس والمنكح».

وهذا فقه عمر رضي الله عنه: «كفى بالمرء سرفًا أن لا يشتهي شيئًا إلاّ اشتراه فأكله»[1].

هذا ما رأينا إلقاءه إليكم من معنى السرف وعواقبه الوخيمة، وتحديده في المحظورات والمندوبات والمباحات.

أما وجوهه فكثيرة، والكلام في أغلب الوجوه يستدعي حديثًا مستفيضًا، وكلامًا طويلاً عريضًا، ويقبح فيه الإيجاز الذي يشبه أن يكون وميضًا[2].

من ذا الذي يضمن استيعاب نشاط السامعين للحديث إذا استعرضَ المتكلِّمُ في مجلسٍ واحدٍ السَّرفَ في الخمر والقمار والزنا والرشوة وسائر المنهيات؟ وفي الفلاحة والتجارة وغيرهما من المباحات؟ وفي القهوة والأتاي والدخان[3] وغيرهن من الزوائد التي صارت عند الكثير ألزم من الضروريات؟ وفي الزردة والزيارة وما إليها من البدع المنكرات؟

وإنما يحسن بمن يطرق هذا الموضوع بصفة الخطابة في مثل هذا الجمع أن يختار من وجوه السرف بعض ما هو أظهر في المجتمع وضرره أخفى على كثير من العقلاء.

فأنا الآن أذكر لكم من وجوه السّرف الصداق والوليمة والهضيمة والضيافة والهدية،

---

(١) ضعيف: المحاضرة (ص ٤٥ ـ ٤٦).

(٢) أي خفيًا.

(٣) ضمّه للمنهيات هو الصواب، لتوارد الأدلة النقلية والعقلية على تحريمه.

وأُقفّي على كلّ واحد منها بإلفات النظر إلى مفاسده إلفاتًا يحملنا على لزوم مقاومته.

١ ـ فأما الصداق: فالغرض منه التفرقة بين النّكاح والسّفاح.

واختلفوا في حدّ أقلّ ما يجب منه، ولكنهم لم يختلفوا أنه لا حدّ لأكثره.

وقد تغالى الناس فيه تغاليًا بعثهم عليه التفاخر بالتكاثر واعتقاد أنه سبب للمجد أو مظهر من مظاهره، فحاطوا النكاح الضروري للبنين والبنات بصعوبات قلّ من يقدر على تذليلها، وسنّوا له عوائد تخور العزائم لمحاولة تغييرها أو تبديلها، ثم نظروا إلى الشَّوار[1] نظرهم إلى الصداق فأغرقوا فيها كلّ الإغراق.

ترى المصدق أو المشور يرهن أملاكه إن لم يبعها أو يأتي على أهمّ ذخيرته إن لم يستنفدها ليقال أن عروسه أو كريمته جاءت بالخمسينات والمآت من الملابس، وبكذا وكذا من أنواع الزينة التي يبليها النظر قبل الجسد، ويذهب برونقها الهواء قبل الغمس في الماء.

ولو أنّ السّرف في الصَّداق والشَّوار كان بتمليك الزوجين أصولاً تغلّ أو حيوانات تنتج لكان في منفعته ما يخفّف قليلاً من مفسدته، ولكنه كما ترون وتسمعون ضريبة فادحة يستخلصها منّا نوعٌ من التُّجار لا نجدهم للتنفيس على معسر ولا لبناء مشروع خيري.

نشأ عن هذا السَّرَف ـ سِوى الأضرار العامّة لكلِّ سرفٍ ـ أضرارٌ لا يُستهان بها:

١ ـ **أحدها**: غرس الكراهية في نفس الزوج لما يحدثه التكلّف في الصَّداق من ضعف رابطة المحبة والرحمة التي هي مساك الحياة الزوجية.

---

(١) بالفتح: متاع البيت. كما في «النهاية» لابن الأثير.

وثمرة هذا الغرس هو سوء العشرة أوالفراق الذي يجرح العواطف ويسيء حياة الأبناء.

٢ ـ **ثانيها**: عنوس المرأة بالعجز عن الشَّوار أو الصداق، والعانس منغّصة لحياة أسرتها.

٣ ـ **ثالثها**: عزوبة الرجل بعجزه عن ذلك السرف في الصداق، والرجل الأعزب عضوٌ أشلّ في الأغلب.

٤ ـ **رابعها**: إنكاح البنت غير مَن تميل إليه ويميل إليها، جريًا خلف كثرة المال، ودوسًا لعاطفة المحبّة بسبب رقّة الحال.

٥ ـ **خامسها**: كثرة الطلاق لانبناء عقدة النكاح على السرف في الصداق لا على المحبة والوفاق.

٦ ـ **سادسها**: ضعف الأخلاق وانتشار الشرور من أجل اضطراب النفوس، الناشيء عن العزوبة والعنوس، فإن النكاح سكون وطمأنينة للزوجين، قال الله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الروم: ٢١].

٧ ـ **سابعها**: ضعف الأمة بقلّة النسل ورقّة الدِّين وصرف مواهب الشباب إلى الاشتغال بالفارغات بل العامرات بالمساوي، والذي يألف مناظر الغرام والهزل لا يستطيع أن يقف موقف الجِدّ والبطولة.

ونختم هذا الوجه من وجوه السرف بكلمة صحّت عن عمر بن الخطاب عند أحمد وأصحاب السنن.

قال ﷺ ـ والأُمّة غنيّة بكثرة الغنائم وقلّة أبواب الإنفاق ـ:

«ألا لا تغلوا في صداق النساء، فإنها لو كانت مكرمةً في الدنيا وتقوى عند الله لكان أولاكم بها النبي ﷺ، ما أصدق رسول الله ﷺ امرأة من نسائه، ولا أُصدقت امرأةٌ من بناته أكثر من اثنتي عشرة أوقية، وإن كان الرجل ليبتلى بصداق امرأته حتى يكون لها عداوة في نفسه وحتى يقول كلفت إليك عرق القربة»[1].

والاثنتا عشرة أوقية تزيد على أربعمائة درهم، ولكنه نهى عن الزيادة على الأربعمائة، وعزم على وضع الزائد في بيت المال، فردّت عليه امرأة بقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا﴾ [النساء: ٢٠] فرجع لها[2].

وكان وقّافًا عند كتاب الله، ولم يرجع إليها في ذمّ الغُلُوِّ وإن فيه مفاسد، ولكن في تحديد أكثر الصداق وتمليك الزائد للمسلمين.

ونرى أن عمر ﷺ كان لا يعجزه الجواب بأنه أمير، وللأمير أن يقصر المباح على أحد طرفيه حسب المصلحة العامة، ولكنه اختار التسليم لوجوه:

أحدها: خشية أن يكون وضع الزائد على ما حدّه في بيت المال غصبًا؛ إما لمال المصدق أو لمهر الزوجة.

وثانيها : أنه كان يرى نفسه ـ كما هو الواقع ـ أسوة وقدوة، فسلّم للمرأة ليعلّم الأمة احترام الأفكار وعدم التعصّب للنفس.

يدلّ لذلك ما رواه مالك في «الموطأ»: أنه احتلم في سفر واشتغل بغسل أثر

---

(١) صحيح: انظر «المحاضرة» (ص ٥٦).

(٢) قصة ضعيفة منكرة: انظر «المحاضرة» (ص ٥٧ ـ ٥٩).

الاحتلام من ثوبه حتى أسفر. فقال له عمرو بن العاص: «لو تركت ثوبك يغسل فإن معنا ثيابًا». فأجابه بأنه ليس كلّ الناس يجدون ثيابًا؛ ولو فعلتها لكانت سُنة[1].

وثالثها: الوقوف عند ظاهر القرآن واتهام النفس بأن في التأويل انتصارًا للفكرة، والتأويل في الأغلب تضليل للنفس وتعطيل للنصّ، ولولا السرف في التأويل ما سُترت عنا محاسن الدِّين، ولا تعذّر على المرشدين جمع كلمة المسلمين.

٢ ـ وأما الوليمة: فقد فعلها رسول الله ﷺ وأمر بها، والغرض منها إظهار النكاح والإحسان إلى الفقراء، وكانت في صدر الإسلام بسيطة خالية من السرف والتكلّف.

ففي «صحيح البخاري»[2] أنه ﷺ أولم على صفية بنت حُيي وعلى زينب بنت جحش من أمهات المؤمنين ـ رضوان الله عنهن أجمعين ـ بتمر وسمن وأَقِط.

وفيه[3] أنه أولم ﷺ على بعض نسائه بِمُدّين من شعير.

وكذلك الوليمة على فاطمة بنت أفضل الخلق كانت بِمُدّين من شعير كما في الطبراني[4].

وقد أسرف الناسُ في الولائم، فتنافس الأغنياءُ في مظاهر الترف، وقلّدهم مَن دونهم، كلٌّ بما يجدّ ويجهد؛ فما شئتَ من فُرش مبثوثة لأقدام الوجهاء، محرومة منها أعين الفقراء، إلى ستائر منمّقة، وموائد منوّعة.

---

(١) صحيح: انظر «المحاضرة» (ص ٥٩ ـ ٦٠).

(٢) بالأرقام: (٤٢١٣ و٥٠٨٥ و٥١٦٣).

(٣) برقم: (٥١٧٢).

(٤) «المحاضرة» (ص ٦٢).

ويمتدّ هذا السرف أيامًا تختلف باختلاف أقدار المولمين، ولا تخلو الولائم عادةً من منكراتٍ تُكْلِمُ الدِّين، وتُغضِبُ ربَّ العالمين، وعوائدَ مستنكرةٍ تقدح في مُروءة المولم، وتجرح أصدقاءه من إعطاء المدعوين أموالاً للراقصين والراقصات، وجمع المولم منهم مالاً يفتخر بكثرته، وهو ما يعبّر عنه في جهات من الوطن بـ«العون» وفي أخرى بـ«التاوسة» وفي أخرى بـ «الغرامة».

انبعث الناس إلى الولائم بغير الباعث الشرعي فأثمر لهم مفاسد:

١ ـ منها صعوبة النكاح بالعجز عن سرف الولائم، وصعوبة النكاح تُفضي إلى ما تقدّم من العنوس والعزوبة وضعف الأخلاق وضعف الأُمّة.

٢ ـ ومنها تغيّر قلوب المتحابيّن والمتصاهرين بعدم إعطاء المدعوين منهم للراقصين والراقصات ما يرضي المولم، أو بقلّة ما يبذلونه له من «العون أو التاوسة أو الغرامة»، أو بزيادة بعضهم على بعض في ذلك.

وأُلفةُ القلوبِ نعمةٌ لا يستهين بها إلاّ الأنانيون الذين لا يهمّهم غير ذواتهم، وقد امتنّ الله بها على الصحابة رضوان الله عليهم، فقال: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وقال لنبيه ﷺ: ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وتبديد المسرف في الولائم لِنعمةٍ لا تُشترى بما في الأرض جميعًا ينسينا بتبديده لأملاك كثيرة، وإهانته لنفوس عزيزة.

٣ ـ ومنها إهانة الفقراء، وهم من حيث الخلق أخفّ إجرامًا، ومن حيث الدِّين أيسر إنقيادًا، ومن حيث المجتمع أكثر إنتاجًا.

وقد جاء عن أبي هريرة موقوفًا عند البخاري ومرفوعًا عند مسلم: «شَرُّ الطَّعَامِ الوَلِيمَةُ يُدْعَى الغَنِيُّ وَيُتْرَكُ الفَقِيرُ»[1].

فإذا أردنا السداد، وسلوك طريق الاقتصاد، فلنقتد بولائم السلف، ولنقصد فيها إلى المقصد الأشرف من إعلان الزواج، ونفع العديم المحتاج.

٣ـ وأما الإطعام على الموتى: وهو ما يُسمَّى في لساننا «النعي»، وفي لسان سلفنا الفصيح «الهضيمة» وأحسنوا في هذا الاسم، فإنّ فيها هَضمًا وأكلًا لأموال اليتامى ظلمًا.

يَتكلَّفُ وَلِيُّ الميِّت إطعامَ الناس على نحو طعام الولائم وإعطاء أُجرة للطلبة على قراءتهم القرآن وللمريدين على ذكرهم للأذكار، وقد تستمر قراءة القرآن التي هي للأجرة لا للأجر مدة تزيد على الشهر، ويستمرّ نحو ذلك في بعض الجهات استعداد ولي الميت لوفود التعزية بالذبائح والأطعمة والأشربة من قهوة وأتاي، وقد يتفق له اليومان والثلاثة متوالية لا يفد عليه فيها وافد فيفسد ما هيأه، ثم يظن انقطاع الوفود فلا يستعدّ فيفد عليه حالتئذٍ جمعٌ يشتّت همّه في جمع موادّ ضيافته.

هكذا نُعامِلُ المصابين منّا بالتضييق والإرهاق، وتبديد ما جعل الله لهم من التركة بالإنفاق؛ بل نحمّلهم ارتكاب الديون، وطلاقة الوجه وضحك العيون؛ ولا نعذرهم عند التقصير، ولا نعفي عوراتهم من التشهير؛ ولا ترقّ قلوبنا لصغار الأولاد، ولو لم يبق لهم بعد هذا السَّرف إلاّ الرماد؛ بل نأكل ونسترط، ونأخذ

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٧٧) عن أبي هريرة موقوفًا ـ كما قال الشيخ ـ ومسلم (١٤٣٢) موقوفًا ومرفوعًا.

ونغتبط؛ والله تعالى يقول: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا۟ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُوا۟ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ٩ ـ ١٠].

وقد أثمر هذا السرَفُ الممقوتُ ـ علاوة على افتقار أُسر، وافتضاح بيوت أُخَر ـ مفاسدَ:

إحداها: ضياع اليتامى، فلا مال يبقى على كرامتهم، ولا قدرة على عمل لِسدِّ حاجتهم، ولا أقرباء يُراعون حقّ قرابتهم، ولا جمعيات تقوم بكفالتهم، فإن ماتوا صغارًا كان موتهم علينا سبّة وعارًا، وإن أصبحوا كبارًا، جنوا على المجتمع أضرارًا.

ثانيتها: سوء حال الأيامى، فالزواج متعذّر عليهن في الغالب، وذوو قرابتهن يرون في حفظ صبيتهن خدمة على الأجانب، إن عملن فبوجه كاسف، وإن قعدن فبقلب لاهف.

ثالثتها: قسوة القلوب والغفلة عن عِظة الموت، فَقُرَّاءُ القرآن ترى الميت بينهم وهم يأكلون ويتلذّذون، ويتحدّثون ويضحكون، ويغتابون ويعيبون، ووفود التعزية للمصاب يمتحنون، فإن وجدوا لديه من لوازم الضيافة ما يقضي لباناتهم[1] قالوا: «مَا مَاتْ مَنْ خَلَّى مثلك؛ خلاَّها تبارك الله عَامْرَهْ»، وإن لم يجدوا ما يسدّ نهمهم، ويبهت نظرهم، قالوا: «خْلَتْ دارْ فْلاَن» .

وأيّ قلبٍ أغلظُ من قلبٍ لا يتّعظ بالموت؟

---

(١) جمع لبانة: الحاجة من غير فاقة، بل من همّة.

وإنّ لسانَ حالِ الأموات، لَأفصحُ من لسان الأحياء بالعظات، قالت امرأة تبكي أخاها:

وكانـتْ في حياتِـكَ لي عِظـاتٌ فأنـتَ اليـومَ أوعـظ منـك حيًّـا

رابعها : صرف القرآن عن الغاية التي أُنزل من أجلها.

فالقرآن الذي أُنزل تذكرةً لمن يخشى، أُنزل ليدّبّروا آياته وليتذكّر أولوا الألباب؛ أصبح بِضاعةً تُباع للمرضى والموتى.

والقرآن الذي لو أنزل على جبل لرأيته خاشعًا متصدّعًا من خشية الله، أضحى لا يتجاوز حناجِر قُرَّائِه.

والقرآن الذي يجعل من الجَبانِ شُجاعًا، ومن الشحيح جوادًا، صار أهلُه ـ إلاّ من رحم ربّك ـ أجبنَ الناس وأشحَّهم، إن هذا لهو المصيبة التي لا يقاس بها ثكل ثاكل، والداهية التي تصفر حقيقة منها الأنامل!

فإذا أردنا في هذا الأمر الاستقامة، وسلوك طريق السلامة؛ فلنقرأ القرآن للاتعاظ والاعتبار، ولا نتوسّل به إلى الدرهم والدينار؛ ولنعف المصابين من تلك العوائد، ومدّ الموائد، بل يصنع لهم الطعامَ الجيرانُ وذووا الأرحام.

روى أبو داود والترمذي وغيرهما أن رسول الله ﷺ قال: «اِصْنَعُوا لِآلَ جَعْفَر طَعَامًا فَقَدْ أَتَاهُمْ مَا يُشْغِلُهُمْ»(1).

٤ ـ وأما السَّرف في موائد الضيافات فترى المضيِّف يتكلّف تأثيث منزل

(1) حديث حسن: «المحاضرة» (ص ٧٠ ـ ٧١).

الضيافة وزخرفته واقتناء الأواني الرفيعة؛ فإذا نزل به الضيف أغرب بإحضار الفواكه في غير إبانها؛ وبالغ في تنويع الأطعمة والحلاوى، إلى غير ذلك من مظاهر التَّرف، وأسباب السَّرف.

يبعث المضيِّف على ذلك الإسراف إمّا طلب مرضاة الضيف وتكرمته؛ وإمّا حبّ الإعجاب بجوده ومقدرته؛ وإمّا خشية كلام الناس فيه وأذيته، فلو قصّر في شيء مما جرت به عادة أمثاله بتقديمه للضيوف، لَعُدَّ تقصيرُه أو قصورُه استخفافًا بضيوفه، ولُؤمًا رضعه في صباه.

حُكي لي أنّ رجلاً موسرًا يسكنُ بِضيعةٍ بعيدة عن القُرى أضاف أصدقاء له؛ وقدّم إليهم من فلاحته وكسبه لحمًا حنيذًا، ولبنًا حليبًا، وفاكهةً طريّةً، وأطعمةً شهيّةً، ولكنه لم يتحفهم بفناجين القهوة، ولا بكؤوس الأتاي، فعدّوها له إساءة طغت على ذلك الإحسان، وتحدّثوا بها متعجبين ومتنقصين، فبلغه انتقادهم وانتقاصهم، فدعاهم مرّة أخرى فنزلوا عليه بعد الزوال، فأسرع إليهم بفناجين القهوة؛ ولم يزل يتردّد إليهم بها حتى منتصف الليل، فعملت فيهم عملها، واشتّد بهم الجوع، وهمّوا بالبوح للمضيِّف، فتردّدوا ثم هجم أحدهم عليه بقوله: «أين العَشاء؟»، فأجابه : «هذه تتمة العَشاء السابق!».

وكان جادًّا فلم يطعموا عنده هذه المرّة غير القهوة، ولقد وُفِّق في جوابه الفعلي كما أحسن في جوابه القولي.

وفي مضارّ السَّرف في الضيافات غرس مبادي الجفاء في القلوب، وأصول الشحّ في النفوس، ذلك بأنّ الرجل ينزل به أو ببلده من يودّ إضافته؛ ولكن العادة

الغالبة تجعل الضيافة عليه ذلك الحين متعذِّرة أو متعسِّرة، فيقع في حرب بين حكم الضمير، وأمر العادة، وقد يجيب صوت الضمير ـ وحبّذا ـ ولكن بنقص وكدر.

وقد ينزل على حكم العادة، فلا يضيّف النازل، ويبقى حَيِيًا منه خزيان. ولكن بتكرّر هذا الانقياد للعادة يعتاد ترك الضيافة، ولو مع الاستطاعة، فيجفو قلبه، وتشحّ نفسه، ويقع لغير هذا الرجل مثل ما وقع فيه، فتقطع صلة ما أمر الله به أن يوصل أو تكاد.

فعلينا أن نجود جودًا خاليًا من الكُلفة والتبذير، وأن نعتقد أن كمال الجود في كثرة الضيافات، لتمتين الروابط والصِّلات، لا في كثرة المأكولات ثم قطعها عند الحاجة إليها.

وبالجملة، إن الأحسن هو أن نصرف الضيافة الضخمة الواحدة إلى عدّة ضيافات هيّنة، كما نصرف ورقة الألف إلى أوراق شتّى من ذوات عشرين وخمسين، وقد قال مُعلِّم الجود ومكارم الأخلاق ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ**»[1].

٥ ـ وأما التكلّف في الهدايا فالباعث عليه وثمرته كالباعث على السَّرف في الضيافة وثمرته، فإن لم يجد الرجل أو المرأة ما يملأ العين من الهدية تركاها، فتركا بذلك صلةً ينبغي أن تُتعاهد، وقد يُهدَى إلى المرأة أو الرجل ما لا يملأ العين، فيغضبان ويطلقان في المهدي لسان السوء.

وقد أدّبنا الإسلام في هذا الأمر بمثل حديث: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَى كُرَاعٍ لَأَجَبْتُ،**

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٧٨) عن أبي هريرة.

وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ لَقَبِلْتُ»[1]، وحديث «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فرسن شاة»[2]، وفِرْسَنُ الشَّاةِ أحقرُ ما فيها.

ليس نظر الإسلام إلى الضيافة والهدية من حيث إنها فرصة لملء البطون، أو معرض لصناعة الأطعمة والحلاوى، بل مقصوده منها ربط الصِّلات، وتنمية المودّات.

هذا ما أردنا التنبيه عليه الآن من وجوه السَّرف ومفاسدها، ولعلّنا قد أسرفنا في القول من حيث التطويل الذي يستغنى عنه بالمعنى لا من حيث توفية الموضوع حقه، وإذا شعرنا بالسرف فلنعُد إلى الاقتصاد.

الاقتصاد هو الاستقامة على نهج الاعتدال بين طرفي الإفراط والتفريط، وهي الرتبة التي عناها ابن الوردي بقوله:

بـيـنَ التبـذيرِ وبُخـلٍ رتبـةٌ وكِـلا هـذين إنْ زاد قَتَـلْ

أخرج الإمام أحمد عن أبي الدرداء ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «مِنْ فِقْهِ الرَّجُلِ قَصْدُهُ فِي مَعِيشَتِهِ»[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ۝٢٩﴾ [الإسراء: ٢٩].

---

(١) أخرجه البخاري (٥١٧٨) عن أبي هريرة، وقد تقدَّم قريبًا.

(٢) أخرجه البخاري (٢٥٦٦) ومسلم (١٠٣٠).

و(فِرْسَن الشاة): عُظيم قليل اللحم، وهو للبعير موضع الحافر للفرس، ويطلق على الشاة مجازًا. «الفتح»

(٣) ضعيف الإسناد: المحاضرة (ص ٧٨).

وجعل القرآن المقتصدين من عباد الرحمن الممدوحين فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧].

وحُكي أن عبد الملك بن مروان قال لابن أخيه عمر بن عبد العزيز حين زوّجه ابنته فاطمة: ما نفقتكَ؟ فقال له عمر: «الحسنة بين السيئتين»، وتلا آية: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ﴾.

رضي عبد الملك بالاقتصاد نفقةً لفاطمة، وهي التي بلغت مكانةً من المجد عبّر عنها الشاعر بقوله:

بِنتُ الخليفةُ والخليفةُ جَدُّها   أُخْتُ الخلائفِ والخليفةُ زوجُها

قال المؤرِّخون: لا يصدق هذا البيت على امرأة سواها ممن تقدمنها أو تأخرن عنها.

الاقتصاد - أيها السادة - ضدّ التبذير والسَّرف كما أنه ضدّ الشُّحّ والبُخل.

فكلُّ ذمٍّ جاء في كلام الله ورسوله وكلام الحكماء لهذين الطرفين فهو مدح وثناء على الاقتصاد، وكلُّ ما يُذكَر من الآثار السيئة، والعواقب الوخيمة لذينك الطرفين، فهو تنبيهٌ على محاسن الاقتصاد وفوائده.

فالاقتصادُ مُفْضٍ بصاحبه في الآخرة إلى الجنّة إن شاء الله؛ وفي الدنيا إلى العِزّ والكرامة، إلى جعل وجودنا لنا وحياتنا عامرة بالآثار الخالدة.

لنتصوّر سرفنا في مثل الدخان والشّمة والقهوة والأتاي مما لا لذّة فيه ولا نعيم، ثم لنتصور اقتصادنا بترك هذه الأعشاب نجد في ذلك الاقتصاد ما يكفي للنهوض بمشاريع واسعة؛ من علمية وصناعية، وتجارية وفلاحية.

ذلك أننا ستة ملايين، فلنفرض سدسنا يتعاطى الدخان والشمّة؛ وينفق فيهما

كلّ واحد فرنكا كلّ يوم، فهذا مليون فرنك يذهب كلّ يوم في الدخان والشمّة.

ولنفوض ثلثينا يشرب القهوة والأتاي؛ ويستهلك كلّ واحد ربع فرنك في اليوم، فهذا مليون آخر يخرج كلّ يوم في القهوة والأتاي.

فلو أننا استبدلنا بهذه الأشياء مشاريع خيرية، مقبوضها كلّ يوم مليونان من الفرنكات؛ لكانت مشاريعنا أغنى المشاريع وأقواها، ووجودنا أشرف الوجودات وأعزّها، **فكيف لو اقتصدنا بترك المحرّمات، ونبذ قبائح العادات، وكفّ النفس عن بعض المشتهيات؟**

نشكو التأخر والانحطاط، ونقيم على خطّتي التفريط والإفراط!

فحالنا حال من يشكو مرض السكر ويتمادى على شرب العسل وأكل الحلاوى، إن داءنا منّا وعلاجه بأيدينا، فلتكن لنا إرادة قويّة في طرح السَّرف، وخُطًى ثابتة في سلّم الاقتصاد، ولا نمثّل الأُعجوبة التي قال فيها الأوّل:

ومن العجائبِ والعجائبُ جَمَّةٌ   قُرْبُ الحبيبِ وما إليه وُصولُ
كالعيسِ في البيداءِ يقتلُها الظَّمَا   والماءُ فَوْقَ ظُهُورِها مَحْمُولُ

ونرى الآن ـ أيها السَّادة ـ أنه قد استبان لكم السَّرف المالي، واتضح لكم بعض وجوهه؛ وآمنتم بوجوب مقاومته على أيِّ وجهٍ كان، واندمجت في غضون الكلام السابق كيفية المقاومة؛ وهي تعتمد على ثلاث دعائم:

١ ـ ذكر ما جاء في السَّرف من آيات وأحاديث وأقوال حكماء، وهي ناحية نقلية.

٢ ـ بيان مضار السَّرف ومفاسده، وهي ناحية عقلية.

٣ ـ أمثلة من اقتصاد السلف، وهي ناحية عملية تطبيقية.

ولابد لإثمار المقاومة من تعميم كيفيتها بين طبقات الأمة، وللتعميم وسائل:

١ ـ **إحداها**: التعليم المسجدي؛ فيقطع الوعّاظ من أوقاتهم دروسًا في تفسير آية من آيات السَّرف؛ أو حديث من أحاديثه، ويبنون دروسهم على الدعائم الثلاث التي وصفنا.

٢ ـ **ثانيتها**: التعليم المكتبي؛ فيلقي المعلّم في أمثلة قواعده ودروس آدابه بعض ما جاء في السرف مما يقلّ لفظه، ويقرب فهمه.

٣ ـ **ثالثتها**: الخطابة؛ فتنشأ خُطب في مواضيع السرف تكون نماذج تُحتذى.

٤ ـ **رابعتها** : المحاضرات بالنوادي.

٥ ـ **خامستها** : المقالات والقصائد بالصحف السيارة.

٦ ـ **سادستها**: إنشاء الأشعار العامية يُتغنى بها بين الطبقات التي لا تغشى المساجد والنوادي، والتي لم تزل بعيدة عن التأثر بالفُصحى.

٧ ـ **سابعتها**: تخليد الحديث في هذا الموضوع بالتأليف والجمع، وتيسير تعميمه بالنشر والطبع ؛ فتعهد الجمعية إلى من ترى فيه الكفاءة بالتأليف، أو بجمع المختار مما يُلقى في الموضوع بالفُصحى وبالعامّية، وتنشيط الكُتاب والأدباء والخُطباء بجوائز على ما تستحسنه من آثار أقلامهم وقرائحهم، وتشارك في تعميم ما يطبع باشتراء نسخ منه وإهدائها مجّانًا.

٨ ـ **ثامنتها**: الأسوة الحسنة، فيتقدّم من يملك الشجاعة الأدبية إلى إلتزام الاقتصاد، واطراح السرف فيما يغني من وجوه السرف المعتادة، ويسعى في تقوية جانبه بحمل بعض أصدقائه على خطّته، والمتشاركون في هذه الخطّة يجمل أن

يؤكّدوا عزمهم بالتحالف على التزامها.

والقدوة الحسنة هي التي تجعل لكلام الله وَقْعًا في القلوب، ولأوامر الدِّين احترامًا في النفوس، ولِعظاتِ المرشدين تأثيرًا في المجتمع.

والقدوة الحسنة هي التي تجعلنا أمّة جدٍّ وعملٍ، لا شرذمة هزلٍ وتواكُلٍ، فإنّ وقوف المرشد عند حدّ القول يحمل المستمع على الوقوف عند حدّ السماع، وقرنه القول بالعمل يبعث السامع على قرن السماع بالاتباع.

فالقول المجرّد يبعث على القول المجرّد، والامتثال بالعمل يبعث على الامتثال بالعمل، وهذا سرّ نجاح السلف، وفشل الخلف.

وهذا مغزى الجمعية في دعوتها إلى حياة السلف.

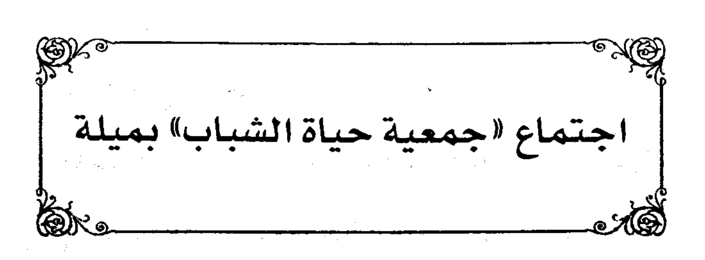
فما كان في حياة السلف من دين؛ فالجمعية تقف فيه وقوفهم عند الكتاب والسُّنَّة، واجتهاد فُحول الثقات.

وما كان في حياتهم من دنيا، فالجمعية تأخذ منه الجِدّ وبُعد النظر؛ فتختار من حياة هذا العصر الأرفع الأنفع، وهذا نثر ما نظمه شاعرنا إذ قال:

أمـا الحيـاة فإننـا معـشر جـدد ... فيهـا ولكننـا في ديننـا قـدما[1]

مبارك بن محمد الميلي

(١) «سجل مؤتمر جمعية العلماء» (ص١٤٣ ـ ١٥٨).



اجتماع «جمعية حياة الشباب» بميلة

الأُمَّة الجزائرية كريمة سخيّة بمالها؛ شحيحة بدينها. ومتى اجتمع في أُمَّةٍ السَّخاءُ بالمال؛ والشُّحُّ بالدين؛ كانت جديرةً بأن تأخذ بين الأمم مكانتها المحترمة وتتبوّأ منزلتها الرفيعة، هذه نتيجة لازمة لاتِّصافِ الأمّة بذلك السخاء، وذلك الشحّ.

والأمّة الجزائرية التي نعتقد ـ بحقّ ـ اتصافها بذينك الخلقين نراها لم تجن ثمرتها، فمالَها شذّت عن هذه القاعدة العامّة؟ وما بال شكلها ـ وهو من الضرب الأول من الشكل الأول ـ أنتج الخِسَّة لا الشَّرف، والضَّعَة لا الرِّفعة؟

الحقّ أنّ الأمّة الجزائرية لم تشذّ عن القاعدة العامة؛ وإنّ خساسة نتيجتها تابعة لخساسة في مادّة شكلها؛ فإنّ سخاءها بمالها لم تضعه في محلّه؛ وشحّها بدينها لم يكن عن معرفة بحقيقة ما تشحّ به، بل إنّ عامّتها تبذل أموالها في الزيارات والخصومات، وخاصّتها من الأغنياء تبذل أموالها في أوراق الانتخابات والوصول إلى الأوسمة؛ وبَذْلٌ كهذا من الخاصّة والعامّة لا يأتي بفائدة للمجتمع ولا يسمى سخاء إلاّ كما قال الأول:

وقالوا هـي الخمـرُ تُكنـى الطـلا كـما الـذِّئْبُ يُكنـى أبـا جعـدة

أو كما قال الآخر:

«وجه جميل والفعال قبيحة».

أما دينها الذي تشحّ به فهو عبارة عن أقوال جلّها يتبرأ منه الدِّين، وبعضها المشروع لا يتّصل بالقلوب، أما الأفعال فظنّ شرًّا ولا تسأل!

ودين كهذا إنما هو هوى يساير صاحبه لا دين يسيّر الخاضع إليه، وشحّ بمثل هذا ليس شُحًّا بالدين إنما هو شحّ بما تشتهيه النفس الأمّارة وينكره العقل السليم، وهل ينتج عن ذلك البذل وهذا الشحّ إلا الصَّغار والضَّعَة؟

السخاء الممدوح هو السخاء على المجتمع لا على النفس، والشحّ الحسن هو شحّ العقل لا شحّ النفس، وهذان النوعان من السخاء والشحّ هما اللّذان يثمران العزّ والرفعة.

وبتوفيق الله ثم بجهود علماء ناصحين أخذت الأمة الجزائرية الكريمة تتعرّف الدِّين الذي عليها أن تشحّ به والموضع الذي عليها أن تسخو فيه، ومن المدن التي أخذت تظهر فيها ثمرات جهود أولئك العلماء مدينة ميلة.

يعلم قُرَّاء «الشهاب» الذي لم يكن لنا سواه منذ عامين أن السيد الحاج محمد ابن ناصف قد أهدى من داره الفسيحة ما جعل مسجدًا جامعًا تُقام به الصلوات، وتُلقى به الدروس والعِظات.

ويعلم قُرَّاء «الشهاب» الموقّر أنه قد تأسّست مِن بعدُ جمعيةٌ باسم (النادي الإسلامي) فقامت هذه الجمعية بمثل ما قام به ذلك المسجد من السعي وراء جمع

الكلمة وتطهير القلوب وتوجيه الأنظار نحو الصالح العام.

واليوم ليعلم قُراء «البصائر» أن ذلك المسجد وهذا النادي كوّن جمعية أخرى هي (جمعية حياة الشباب) وهاكم نص الفصلين الثالث والرابع من قانونها الأساسي:

٣ ـ غاية الجمعية ترقية عقول المسلمين كبارًا وصغارًا بالعلوم العربية والفرنسية، وتهذيب أخلاقهم بالآداب الإسلامية ونتائج العقول البشرية.

٤ ـ تتوسّل الجمعية إلى غايتها بإنشاء مدرسة أو مدارس، وبجعل مكتبة عمومية، وبإلقاء محاضرات في محالّها المنسوبة إليها.

وقد تمّت الأعمال القانونية لتأسيس الجمعية بمصادقة الحكومة على قانونها الأساسي، فشرعت في العمل لتلك الغاية بكلّ جدٍّ ونشاط.

وافتتحت أعمالها باشتراء دار بأربعين ألفًا على أن تجعل مدرسة، ونيتها أن تبني فيما حولها من البياض التابع لها مسجدًا جامعًا على صفةٍ تُسَهِّل على المرأة حضور مجالس الوعظ وصلاة الجمعة والجماعة وتكفل لنا المحافظة على حجاب ذاتها، ورفع الحجاب عن عقلها، وقد قدّر إتمام هذا المشروع بما يزيد عن المائة والخمسين ألفا.

ويوم الثلاثاء الحادي عشر من ذي القعدة اجتمعت جمعية «حياة الشباب» بالنادي الإسلامي بميلة فضاق بالحاضرين على اتّساعه، وأُضيفَ إليه ما حوله من البيوت فكان يومًا عظيمًا دلّ على عموم الشعور؛ والاستعداد للنهوض بخدمة العلم والدِّين.

رأس الاجتماع السيد الحاج عمرو بن سي المبارك الملاك والتاجر، وتقدّم

للكلام كاتب هذه الأسطر فعرّف الحاضرين باشتراء الجمعية للدار وسعيها لبناء مسجد للرجال والنساء، وشرح لهم الصفة التي يكون عليها فوافقوا كلّهم باستحسان وانشراح.

ثم قدّم إليهم القانون الأساسي فوافقوا على فصوله بالإجماع، ثم قدّمت إليهم قائمة المترشّحين لإدارة الجمعية فأجمعوا على انتخابها، واستغرقت هذه الأعمال أقلّ من نصف ساعة، وهذا دليل على اتحاد الأفكار وحسن الثقة بالرجال المباشرين للأعمال.

ثم قام كاتب هذه الكلمات فرغّب الناس في البذل ومدّ يد المساعدة لإبراز المشروع من القوة[1] إلى الفعل، وعرّفهم بمعنى الإنسان وأنه جسد وروح تجب العناية بهما لكن العناية بالجسد عناية الوسائل، والعناية بالروح عناية المقاصد، ووضّح لهم غلط الناس في اهتمامهم بأجسادهم وإهمالهم لأرواحهم.

واستغرق هذا الخطاب الذي فهمه كلّ الحاضرين واستحسنوه ما يقرب من ساعة، وسنحاول تلخيصه. فإن وجدنا في الذاكرة ما يهمّ القارئ فسوف نرسل به الى «البصائر» إن شاء الله، وإن لم يأتكم فإني أعتذر إليكم سلفًا بخيانة الذاكرة التي أضناها كرّ الغداة ومرّ العشي وهجومهما عليها بما لا نجد عليه مُعينًا إلاّ الله.

وهذه قائمة رجال إدارة الجمعية:

- الشيخ عمار بن عميرة، ملاك ومعلم بالفرنسة/ رئيس.
- السيد الطلحى بن الزروق، ملاك ونجار ونائب بلدي/ نائبه.
- السعيد بن المعلم، ملاك ونائب بلدي سابقًا/ كاتب.

(١) كذا بالأصل!

- عبد الله بن الأزعر، ملاك وتاجر/ نائبه.

- البشير طيار، ملاك/ أمين مال.

- السعيد بن الأزعر، ملاك وتاجر و نائب بلدي/ نائبه .

- عبد الله بو المرقة، ملاك وتاجر/ عضو مستشار.

- علاوة بن الاهشيلي، ملاك وتاجر ونائب بلدي/ عضو مستشار.

- محمد ضنبرى، ملاك وفلاح ونائب بلدي/ عضو مستشار .

- العربي البوعَوني، نائب بلدي سابقا/ عضو مستشار.

- الشريف بن قاره مصطفى، ملاك/ عضو مستشار.

- الشيخ عبود بن سي عيسى، مقدم الحنصالية/ عضو مستشار.

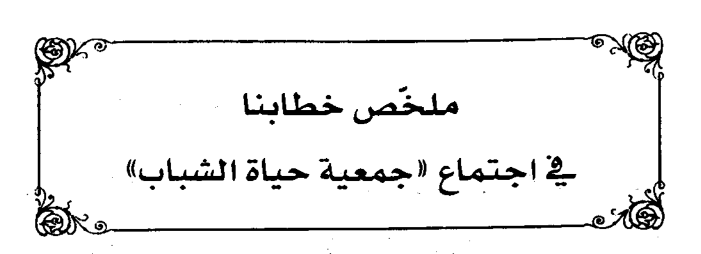
- أحمد بن مرزوق، تاجر/ عضو مستشار.

- عمر بن عبد الرحمان، تاجر/ عضو مستشار.

- حناشي محمد، خياط عصرى/ عضو مستشار[1].

مبارك بن محمد الميلي

(١) جريدة «البصائر»: العدد (٧) الصادر يوم الجمعة ٢١ ذي القعدة ١٣٥٤هـ ١٤/ ٢/ ١٩٣٦م.



ملخّص خطابنا
في اجتماع «جمعية حياة الشباب»

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى.

ثم السَّلام عليكم أيها السَّادة!

إذا أراد أحدُنا أن يبالغ في مدح آخر ويوجز قال: «هو إنسان»، وإذا أراد أن يذمّ غيره في مبالغة وإيجاز قال: «ليس هو بإنسان».

والذي يُقال له «أنت إنسان» يشعر بهزّة طرب وانبساط تبدو علاماتها على وجهه، والذي يُقال له «لستَ بإنسان» تعلو وجهه آيات الغضب ولا يملك لسانه عن الجواب بما يؤكّد غضبه .

وهذه المقدّمات تدلّ على أنّ كلمة (إنسان) تحمل معنى شريفًا وتجمع أسبابًا من الكمال وتأخذ من الفضيلة لبّها، ولكن هل ظهرت آثار ذلك في أعمالنا وأقوالنا؟

أيها الإخوان! إنّ الإنسان عبارة عن ازدواج روح بجسد، والجسد ماديّ حسِّيّ يتوقّف صلاحه على صلاح ماديّ حسِّيّ هي المعدة، والمعدة لا تنفع البدن على صلاحها إلاّ إذا أُلقي فيها شيء حسيّ هو القوت.

أما الروح فهي كالجسد في أن وجودها ضروري وأن صلاحها يتوقّف على معدة وقوت ولكنها ليست مادية حسية كالجسد؛ كذلك معدتها وقوتها ليسا ماديين حسِّيّين، والضرورة مع ذلك حاكمة بوجودهما.

إن معدة الروح هو العقل؛ وإن قوتها هو العلم، فروح بلا عقل كجسد بلا معدة، وعقل بلا علم كمعدة بلا قوت.

أيها الإخوان! إنّ حيازتنا لشرف الإنسانية لا تكون إلاّ بعنايتنا بجزئيها الجسد والروح، وإن الإسلام الرفيع قد جاء بالمحافظة عليهما.

فإذا خشي أحدنا ضرر الماء بجسمه فإنه ينتقل إلى التيمم، وهذا من المحافظة على البدن.

وأمرنا بالصلاة وتكرارها في اليوم خمس مرات وجوبًا، والصلاةُ صِلةٌ بين الروح وبارئها، ففي الصلاة وإيجابها عناية بالروح.

ومدح الكتاب العزيز العقل وأمر بالتفكر في غير ما آية، وذلك عناية بمعدة الروح.

وكان أول ما نزل من ذلك الكتاب هو الأمر بالقراءة وذكر العلم والقلم، ثم جاءت الآيات في مدح العلماء والعلم، وتلك عناية بقوت الروح.

أيها الإخوان! إذا تأملنا الإسلام الكريم وجدناه يعتني بجزءي الإنسان: الروح والجسد؛ ولكن عنايته بالروح أشد، فهو لم يدعنا إلى الإكثار من الأكل كما دعانا إلى الإكثار من الصلاة، ولم يمدح المعدة والخبز كما مدح العقل والعلم؛ فهل نحن على نهج الإسلام في ذلك سائرون؟

إن أشدّ ما يتأسّف العاقل عليه وأعظم ما يحزن الناصح من أجله هو اهتمامنا

بأجسادنا، وإهمالنا لأرواحنا، ها هي الأراضي يتهالك الناس على امتلاكها لبذر قوت الجسد، وها هي الديار يتنافس العباد في اقتنائها لتمتيع الجسد، وها هي المصانع يتفنّن الخَلق في نتائجها لمنفعة الجسد.

فأيّ أرض ملكناها لبذر العلم قوت الروح؟

وأيّ دُورٍ اقتنيناها لحفظ العلم قوت الروح؟

وأيّ مصانع أنشأناها لمنفعة جانب الروح؟

يمرض جسم أحدنا فيسارع إلى الطبيب ويبذل له ما يرضيه ويهون عليه ما تملك يده في سبيل شفاء جسمه، وها هي أرواحنا مريضة، ومعدها (العقول) سقيمة وأقواتها (العلوم) عديمة!

فهل مشينا إلى أطبائها العلماء ولو مشية الهوينا؟

وهل بذلنا لهم من دنيانا شيئا؟

وهل هان علينا بعض ما نكسب في سبيل شفاء أرواحنا؟

ثم هل يستطيع أدعياء الإنسانية أن يُجيبوا عن هذه الأسئلة بالايجاب؟

وازنوا بين العلماء أطباء الأرواح وبين أطباء الأشباح؛ تجدوا ثروة الأطباء لا تقف عند حدّ، وتجدوا أوقاتهم عامرة بالمقبلين عليهم، وتجدوا لديهم القصور الفسيحة لمرضى الأجسام.

أما فقر العلماء فمضرب الأمثال؛ وأما أوقاتهم فلولا كُتبهم واشتغالهم فيها بمطالعتها لكانوا في وحشة لا تبعد عن وحشة القبور، وأما الدُّور لمرضى الأرواح فَسَلْ عن عدد المدارس وصفتها؛ أليس في هذه الموازنة المبنية على المشاهدة ما يجعل

الجواب عن تلك الأسئلة سلبيًا بالضرورة؟

أيها الإخوان! إن النِّساءَ شقائقُ الرِّجال في الإنسانية، شقائقهم في التكاليف الشرعية، فهن ذوات جسد وروح.

ولأرواحهن كأجسادهن معدة وقوت، وقد كلّفهنّ اللهُ بتصحيح العقيدة وإقامة الصلوات، وغير ذلك من فعل الواجبات وترك المنهيات.

وإذا كانت الإنسانية لا تكمل إلاّ بالعناية بجزئيها الجسد والروح، فإن المجتمع البشري لا يكمل إلاّ بالعناية بجزئيه الذكر والأنثى.

وإذا كان الإسلام يطلب من الأنثى ما يطلب من الذكر فلا معنى لإهمال جانب المرأة، وإذا كان الإسلام قد جعل الرجال قوّامين على النِّساء، فإن الإعراض عن تيسير طرق العلم عليهنّ والقيام بفروض دينهنّ جناية لا تعادلها جناية.

أيها الإخوان! إن «جمعية حياة الشباب» قد رأت أن تعتني بجانب الروح، فاشترت دارًا لتعليم الصغار ذكورًا وإناثًا، وعزمت على بناء مسجد كبير للذكور والإناث، وإنّ هذا العمل يستدعي نحو المائة والخمسين ألفًا، وقد جَمَعَتْكُم اليوم لتطلعكم على ذلك وتطّلع على رأيكم في هذا العمل فهل أحسنتِ الجمعيةُ؟

[أجابوا كلهم بالاستحسان].

وإذن قد لزمكم أن تقوموا بشكر الله، وتؤيّدوا هذه الجمعية في هذا العمل الخيري المحض، وحيث إن المشروع للذكور والإناث فليشارك في تكوينه الذكور والإناث ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩].

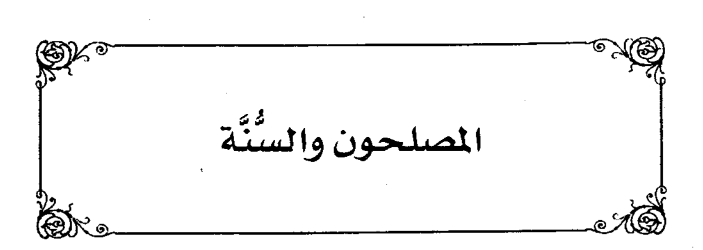
هذا ما حضرنا من ذلك الخطاب وقت التلخيص البعيد عن وقت الإلقاء

بخمسة أيام لم يكن الفكر فيها مستريحًا؛ وقد حافظنا على ما حضرنا من المعاني والترتيب، أما الألفاظ فهيهات أن نحافظ عليها.

وقد كتبتُ لكم أمس بكلمة عن هذا الاجتماع، وذكرتُ لكم هذا الخطاب وأنا ـ واللهِ ـ إلى اليأس من تلخيصه أقرب، ولكن الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله[1].

مبارك بن محمد الميلي

(١) «البصائر»: العدد (٨) الصادر يوم الجمعة ٢٨ ذي القعدة ١٣٥٤هـ، ٢١/ ٢/ ١٩٣٦م.



المصلحون والسُّنَّة

تقوم الدّعوة الإصلاحية على أساس الكتاب والسُّنَّة ؛ فلا جرم كان رجالها من المعتنين بالسُّنَّة القائمين عليها روايةً ودرايةً، الناشرين لها بين الناس ، ومن عنايتهم تحرّيهم فيما يستدلّون به ويستندون إليه منها ، فلا يجوز عليهم إلاّ ما يصلح للاستدلال والاستناد، ولا يذكرون منها شيئًا إلاّ مع بيان مخرّجه ورتبته حتى يكون الواقف عليه على بيّنة من أمره ، مما لو التزمه كلُّ عالِمٍ ـ كما هو الواجب ـ لما راجت الموضوعات والواهيات بين الناس فأفسدت عليهم كثيرًا من العقائد والأعمال .

ونحن ننشر إثر هذا حوارًا دار بين مُصلحَيْن يدلّ على ما ذكرناه في المصلحِين من الاعتناء والتحرير[1]:

***

«ميلة في ١٠ رمضان ١٣٥٤

المعلِّم النصوح والمتعلِّم البحاثة الأخ الشيخ الفضيل الورثلاني، السلام عليكم ورحمة الله...

منذ يومين وقع بصري في خاتمة الجزء الأول من «الحاوي للفتاوي» ـ فتاوي

(١) هذا التقديم لمجلة «الشهاب»، ويغلب على ظني أنه من تحرير الشيخ ابن باديس كما لا يخفى على من عرف أسلوبه في الكتابة، والله أعلم.

السيوطي ـ على هذا الحديث:

روى الحاكم في «المستدرك» وصححه والبيهقي في «شُعب الإيمان» عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ:

«لَا تُنْزِلُوهُنَّ الغُرَفَ، وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ الكِتَابَةَ ـ يعني النساء ـ وَعَلِّمُوهُنَّ الغَزْلَ وَسُورَةَ النُّورِ»[1].

فذكرتُ أنكَ كنت سألتني عنه فلم تجد عندي عِلمًا به، واليوم لما وقفتُ عليه ورأيتُ أن الحاكم صحّحه ظهر لي أن أبحث عنه، فإنّ الحاكم على جلالته في علم الحديث لا يُعوَّل كثيرًا على تصحيحه حتّى أنّ النُّقَّاد قالوا: لو لم يؤلّف «المستدرك» لكان خيرًا له.

طالعتُ فهرست كتاب «حُسن الأسوة فيما ثبت من الله ورسوله في النسوة» لصديق خان، فلم أجد مبحثًا يناسب هذا الحديث، وتتبعتُ خاتمته التي خصّها لذكر الأحكام الخاصّة بالمرأة، فلم أجد هذه المسألة.

ورجعتُ إلى التفاسير؛ فوجدتُ البغوي قد روى آخر سورة النور هذا الحديث بسنده إلى محمد بن إبراهيم الشامي، قال: حدثنا شُعيب بن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، فذكره.

هنا رجعتُ إلى «ميزان الاعتدال» للحافظ الذهبي لأتعرف هل في هذا السند ضعفاء، فألفيته يذكر في ترجمة محمد بن إبراهيم الشامي عن الدار قطني أنه كذّاب، وعن ابن عدي أن عامة أحاديثه غير محفوظة، وعن ابن حبان أنه لا تحل الرواية عنه

---

(١) حديث موضوع: «الضعيفة» (٢٠١٧).

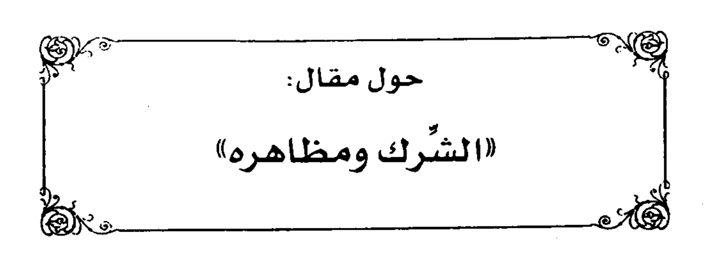
إلاَّ عند الاعتبار ، كان يضع الحديث، ثم خرّج له أحاديث منها حديثه عن شُعيب ابن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة، فذكره كما أورده السيوطي إلاّ قوله: «يعني النساء».

والظاهر أنّ الحاكم رواه من طريق هذا الشّامي لأنه لو كان له متابع في هذا الحديث لم يورده الذهبي في ترجمته، ولم يصحّ قول ابن عديّ: أن عامة أحاديثه غير محفوظة، ولو كان عندنا «المستدرك» لاسترحنا من هذا الخرص.

وبعد، فلنكتف بها لدينا ولا نَقْفُ ما ليس لنا به علم، والسلام عليكم من أخيكم[1]:

مبارك بن محمد الميلي

(١) «الشهاب»: م ١٢ ج ١ الصادر غرة محرم ١٣٥٥هـ أبريل ١٩٣٦م.



حول مقال:

«الشّرك ومظاهره»

«لم ننشر في هذه المرَّة مقال «الشِّرك ومظاهره» للأستاذ الميلي؛ لأنَّه لم يُرسل إلينا ببقيَّة المقال.

وقد جاءنا منه كتاب يذكر فيه سبب تأخُّره عنَّا بإرساله، ويبدي لنا ملاحظات حول نشر هذا المقال، نشكره عليها. ولا غرو، فمثله أولى النَّاس بمعرفة الواجب والعمل به قبل الدَّعوة إليه. وسنعمل ابتداءً من العدد الآتي بإشارته إذا وصلت إلينا بقيَّة المقال قبل تحضير مواده.

أمَّا ما اشتمل عليه كتاب الأستاذ في هذا الموضوع فهو قوله:»[1].

***

كتبتُ إليكم أوَّل مرَّة أنِّي دخلتُ موضوعًا لا أدري متى وكيف يكون الخروج منه؟ ولم أزل على تلك الجهالة! ولم يدعني إلى الكتابة فراغ في الوقت ونشاط في القلم، بل إنِّي أشعر بتقصير مع إخواني الَّذين يسرُّني سرورهم ويحزنني حزنهم، ثمَّ لم أُعرِب عن ذلك بتعزية أو بتهنئة. وإنَّما تكلَّفتُ الكتابة في «البصائر» لئلَّا أكون قدوة سيِّئة لمن يقصر في خدمتها؛ فاخترتُ موضوعًا علميًّا كثيرًا ما نطرقه

---

(١) ما بين «...» تقديم من «البصائر»، ويغلب على ظني أنه من تحرير مديرها يومئذ الشيخ الطيب العقبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

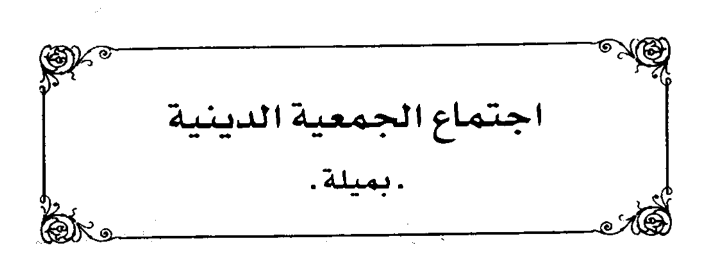
في دروسنا حتَّى تسهل عليَّ الكتابة سهولة تتغلَّب على الموانع؛ ولم أختر تنويع المواضيع وانتقاء الأساليب؛ لأنِّي أشعر بعجز عن مقاومة ما يعرض لي مع ذلك من العراقيل.

وقد طال هذا المقال الَّذي ما زلتُ لا أدري متى ينتهي؟ وطال تبوّؤه صدر الصَّحيفة؛ فأرجو أن تزحلقه عن الصَّدر؛ لأنَّ من حقِّ القارئ أن يرى مواضيع الصَّدر متنوِّعة، ومن حقِّ الكاتب أن لا ييأس من تصدير مقاله الَّذي يكون أهلاً لذلك.

أرجو أن تنشروا عنِّي تلك الكلمة وتعملوا بها[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤)، الصادر يوم الجمعة ١٨ محرم ١٣٥٥هـ، ١٠/ ٤/ ١٩٣٦م.



اجتماع الجمعية الدينية

.بميلة.

الدِّين الإسلاميّ يدعو الناس إلى الاتّحاد في الخير والتعاون على الصالح العام، وهذا المبدأ السامي من مبادئ هذا الدين السماوي يكاد يكون ضروريًا معلومًا لدى المسلم وغير المسلم.

والحياة الحاضرة تفرض على الناس الاتفاق في مبدأ والتعاون على الوصول إلى غاية، وتنادي بأعلى صوتها أن الفردَ ما لم ينضم إلى غيره ضعيفٌ، ولا حقّ عندي لضعيف.

إذن الإسلام والحياة العصرية يتقاضيان من المسلم الجزائري الاتحاد في المبادي الصالحة والتعاون على بلوغ الغايات النافعة، وهذا هو النبض الذي بحسّه تدرك قوّة حياة الأمة وضعفها.

وإذا تمثّلت الأُمّة الجزائرية المسلمة كشخصٍ نبضه الاتحاد على المبادئ الحسنة والتعاون على إدراك الغايات الشريفة، ثم وضعتَ يدكَ على هذا النبض اليوم ألفيتَ أنّ بها حركةً تدلّ على سريان الشعور في سائر أطرافها بمعنى الحياة التي يتقاضاها

منّا الدِّين والعصر، وإن أقوى مظاهر الشعور فيها الرغبة في الدين الخالص والعلم النافع.

و«ميلة» من مدن الجزائر التي ظهرت بها تلك الرغبة، وأخذت بقسطها من ذلك الشعور، فتأسّست بها جمعية «النادي الإسلامي» وعملت لجمع الكلمة وخدمة العلم والدين، فنشأ عن ذلك تأسيس «جمعية حياة الشباب» التي عرّفت بها صحيفة «البصائر» الغرّاء في عددها السابع.

ثم وقع السعي في تأسيس جمعية دينية، فتمّت الأعمال القانونية، ووقع إثرها الاجتماع العام، وهو الذي نعلن به الآن لقُرَّاء «البصائر» كبشرى لكل من يفهم معنى الحياة الحقّة ويسرّه أن تشارك فيها الأمة الجزائرية؛ وكمثال من الأعمال الصالحة الصحيحة يحتذيه من يشرّفه الله فيؤهّله لخدمة الإسلام ولغته.

كان موعد الاجتماع الساعة الثانية بعد زوال يوم السبت عاشر صفر وثاني ماي بالنادي الإسلامي، فما حان الوقت حتى امتلأ النادي وساحاته بالناس على اختلاف طبقاتهم، فكان هذا اليوم الحاشد حُجَّةً للمتفائلين وحُجَّةً على المتشائمين.

رأس الاجتماع السيد زروقي الطلحي النائب البلدي والعضو بجمعية «حياة الشباب» وكان الكاتب هو السيد غمراني محمود العضو بإدارة «النادي الإسلامي»، وقد حفّ أعضاء إدارة هاتين الجمعيتين وأعضاء إدارة الجمعية الدينية حول منضدة واحدة إشعارًا بأنّ الجميع يعملون لغاية واحدة.

وتقدّم للكلام كاتبُ هذه الكلمات، فألقى على ذلك الجمهور خِطابًا عرّفهم فيه بمعنى الحياة التي تتطلبها الإنسانية وفرّق لهم بينها وبين الحياة البهيمية وضرب لهم

الأمثال المؤثّرة؛ وبيّن لهم أنّ تعدّد الجمعيات بميلة ليس منشؤه الاختلاف في الغاية ولا التنازع في طلب الظهور وإنما هي وسائل الحياة متعددة وإن كان المطلوب واحدًا؛ كما قيل في ضدّ الحياة:

تعدّدت الأسبابُ والموتُ واحد

ثم قام كاتب الجلسة، فتلا القانون الأساسي؛ مادة مادة، فأقرّوه بالإجماع ثم قدّم إليهم قائمة الأعضاء الذين قدّموا القانون للحكومة وقاموا بالأدوار اللاّزمة قبل هذا الاجتماع، فانتُخِبوا بالإجماع.

ثم وقع الشروع في تسجيل من أراد الانخراط في الجمعية بسجلّها، واستمر العمل حتى أُذّن بالعصر فخرج الناس للصلاة واستمر إقبالهم على تسجيل أسمائهم بعد الصلاة.

وعلى الساعة السادسة من صباح يوم الثلاثاء ثالث عشر صفر وخامس ماي وقع الشروع في حفر أساس المسجد المجاور لمدرسة «حياة الشباب» في حفل حافل.

وعند الشروع في الحفر رفعت الأكفّ بالابتهال إلى الله تعالى، فدعونا، وأمّن الناس بهذه الكلمات:

«اللهم أعنّا على إتمام هذا المشروع، وأدم عمرانه بالدين الخالص والعلم النافع، اللهم إنا نسألك لمن أعان فيه ببدنه أو بماله أو بكلمته أن تبارك له في ماله وبدنه ودينه، اللهم تولّ من يريد التخذيل عن هذا العمل الجليل، واكفنا إياهم بما شئت».

وحيث أن تأسيس الجمعيات الدينية الحرة من الخير الذي نريده لأمتنا، ومن البِرِّ

الذي أُمرنا بالتعاون عليه فقد رأيتُ أن أنشر للأمة القانون الأساسي لجمعية ميلة عسى أن يكون في نشره تيسير على من يهمهم أمر دينهم ويرغبون في خدمة الإسلام خدمة حرة نظامية.

مبارك بن محمد الميلي

نصّ القانون الأساسي

١ ـ تأسّست بميلة جمعية دينية تُسمى «الجمعية الدينية الإسلامية الميلية» وذلك طبق قانون ٢٧ سبتمبر ١٩٠٧.

٢ ـ مركز الجمعية بميلة، ومحلها بدار السيد الحاج محمد بن ناصف على الشارع الكبير، ودائرتها هي دائرة قاضوية ميلة.

٣ ـ غاية الجمعية هي المحافظة على جميع الشعائر الدينية الإسلامية والقيام بها.

٤ ـ تتوسّل الجمعية إلى غايتها بإنشاء المساجد في دائرتها للعبادة وتعليم ما تتوقف عليه العبادة وتوظيف من يقوم بالشعائر الإسلامية في مساجدها.

٥ ـ أعضاء الجمعية على قسمين: شرفيين ومشتركين، والعضو الشرفي هو الذي يؤدّي مائة فرنك سنويًا، والعضو المشترك هو الذي يؤدّي أربعة وعشرين فرنك سنويًا.

٦ ـ إدارة الجمعية تتركّب من رئيس ونائبه وكاتب وأمين مال ونائبه وسبعة أعضاء مستشارين، ينتخبهم الأعضاء الشرفيون والمشتركون لمدّة عامين.

٧ ـ مالية الجمعية تتكوّن من اشتراكات الأعضاء، ويسوغ لها الجولان لجمع التبرعات لخدمة غايتها.

٨ ـ مالية الجمعية تخرج في إنشاء المساجد وتوظيف موظَّفين بها.

٩ ـ للجمعية امتلاك ما يلزمها لاجتماع أعضائها ورجال إدارتها وخدمة غايتها العمومية [بناءات للأعمال الدينية ومحال للدروس الدينية].

١٠ ـ يجب عرض حالة الجمعية ماديًا وأدبيًا كلّ سنة في جلسة عامة ليطّلع عليها كلّ الأعضاء، ويجوز عقد جلسات عامّة فوق العادة إذا احتيج إلى ذلك وأخبر بها الرئيس.

١١ ـ الجمعية لا حد لها إلا إذا اتفق جميع أعضائها وصوّتوا على فسخها.

أعضاء إدارة الجمعية:

الشيخ مبارك الميلي (رئيس).

السيد الحاج عمر بن سي المبارك (نائبه).

دريدي محمود (كاتب).

الحاج البشير طيار (أمين مال).

الحسن بن قارة مصطفى (نائبه).

الحاج محمد بن ناصف (مستشار).

الخضر بن عميرة (مستشار).

دحمان بن دحمان (مستشار).

الاعرابه محمود (مستشار).

الطاهر بن المعلم (مستشار).

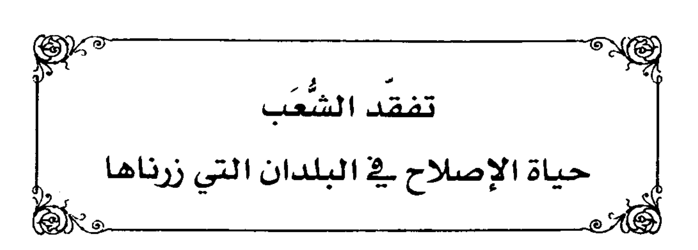
المولود بن يونس (مستشار).

مربعي محمد (مستشار).

محمد العربي (مستشار)[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٢١) الصادر يوم الجمعة ٨ ربيع الأول ١٣٥٥ هـ، ٢٩/ ٥/ ١٩٣٦م.



تفقّد الشُّعَب
حياة الإصلاح في البلدان التي زرناها

«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» هي جمعية الوطن الجزائري أجمع، تمثّله من الناحيتين الدينية والعلمية، ومن طبيعة الجمعيات المتنائية الأطراف اتخاذ لجان لها في أنحاء محيطها، وقد نزلت «جمعية العلماء» على حكم هذه الطبيعة، فنظرت في أول عام لتأسيسها في مسألة اللّجان، ونفّذت ذلك في ثاني عامٍ لها، وسمّت لجانها شُعبًا (جمع شُعبة).

وإنّ شُعب الجمعية هي الواسطة بين مجلس الإدارة والأمة، وهي خير مُعين للإدارة على خدمة غاية الجمعية، وفائدة تعاون الشُّعب والإدارة تقوى وتضعف على حسب قوة وضعف اتصال الإدارة بالشُّعب، فكان من الطبيعي تقوية حبل الاتصال بين الفريقين المتعاونين، وذلك إما بالتراسل وإما بالتزاور، ولكن التزاور أقوى صلةً وأبقى أثرًا.

كانت إدارة «جمعية العلماء» تقتصر على إيفاد وفودها مرّة في السنة لتأسيس الشُّعب وتفقّد ما أُسِّس منها والاتصال بالأمة وإبلاغها دعوتها التي تأسست الجمعية لخدمتها، ولم تتجاوز المرة في السنة لاشتغال أغلب مَن تعتمدهم في الإيفاد بالتعليم.

وفي هذه السنة رأت الإدارة أن توفد متفقدين بين يدي وفودها المعتادة تقويةً لصلة الشُّعب بالإدارة وزيادةً في الاتصال بالأمة، وهي خطوة متقدّمة في خدمة غاية الجمعية، نرجو أن تثبت وأن تعقبها خطوات.

وقد علم قُراء العدد العشرين من صحيفة «البصائر» قرار الجمعية في هذا الشأن، ومن كلّفتهم بالتفقّد، والبلدان التي عيّنتها لكلّ متفقّد، وكانت قرارات في جلسة شوّال تعيّن أعمال الوفود، وأن منها كتابة كلمات عن الناحية التي زارها الوفد ، وتقدمة تلك الكلمات إلى صحيفة الجمعية «البصائر».

ولما كنتُ من جملة المتفقّدين وأتممتُ جولتي رأيتني في حاجة إلى الراحة ، ووجدتني لا أستطيع أن أؤدي للقراء ما يتطلعون إليه عن النواحي التي زرتُها، فعزمتُ على أن لا أكتب في الموضوع شيئًا، ووكلتُ الكتابة إلى نشاط أنصار الجمعية في النواحي التي زرتُها.

ولكن بادرتُ إثر جولتي إلى الاجتماع بالرئيس الأستاذ عبد الحميد، فقصصتُ عليه بعض ما علق بذهني من الجولة، فكلّفني كتابة ذلك، فاعتذرتُ بالضعف الذي اعترى جسمي واحتلّ فكري، فلم يُقِلْني، ولم يسعني حينئذ إلاّ أن أكتب ولا عليّ، فإن لم يجد القاريء ما يهمّه فالمسئول عن عنائه هو الآمر بالكتابة لا المباشر لها.

قبل أن نقدّم للقُرّاء بعض الإفادات عن رحلتنا نصوّر لهم الحالة الفكرية التي كانت عليها الجبال الساحلية حين عزمنا على الجولان بها.

لم أر الطريقة اشتدّت في حربي وبثّ الدعايات الواسعة ضدّي واختلاق الأقاويل المنفّرة مني كما رأيته في هذه السنة؛ ولكن الثقة بالله أجدى من دعايات

المفسدين، وقد قال الله واعدًا من يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّآ أَذًى﴾ [آل عمران: ١١١].

وكذا رأينا في هذه الغمرة صدق وعد الله، فهم لم يضرّونا بأراجيفهم إلاّ أذى، ولم يزيدونا بها إلا إقدامًا.

وقد تمنّوا أن يوقعوني في قبضة الحكومة ولكن ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، فكان من تدابيرهم أن أغروا إخوان الطريقة الحنصالية الذين يمرّون بميلة في زيارتهم لجبل الزواوي بأن يدخلوا ميلة رافعين أصواتهم بشعائرهم الطرقية، ضاربين الأرض بأقدامهم إبلاغًا في الضلالة وإغراقًا في الهمجية.

ويوم الجمعة خامس عشر ماي عاد هؤلاء الإخوان من زيارتهم، ومثّلوا دورهم فقابلهم الأولاد بما يقابلون به «بوطبيلة» وتسارعوا إليهم كما يتسارعون إلى أصحاب القرود، كلّ هذا وأعيان ميلة مشغولون بإطعام الطعام سرورًا بشروعهم في بناء المسجد الجامع، لا علم لهم بما يجري.

انتشرت هذه الحادثة الصبيانية بسرعة البرق واستقر في أسرع من لمح البصر أن مباركًا الميلي قد أغرى أهل ميلة بإخوان حنصالة فأهانوهم أشدّ إهانة، وكان هؤلاء الإخوان من سكان الجبال الواقعة فيما بين فرجيوة والطهير.

قَبِل سكّانُ الجبال تلك الإشاعات الفاجرة وغضبوا لإخوانهم، فاستعدّوا للإيقاعِ بأهل ميلة في سوق زغاية التي تعمر كلّ يوم اثنين، ونهبِ بضائعهم التي يجلبونها لهذه السوق، وشاع خبر هذه الغارة فيما بين يوم الجمعة ويوم الاثنين، ولكن

أهل ميلة لم ينقطعوا عن السوق واستعدّوا للطوارئ وقد شاهدوا في السوق علامات الغارة، ولكن لم يقع شيءٌ تصديقًا للمثل الشائع: «إذا أردتَ السِّلم فاستعدّ للحرب».

تعاوت ذئاب الطرقية على اختلاف مشاربهم بخبر هذه الحادثة وهوّلوها تهويلاً يدلّ على ما في نفوسهم لرجال «جمعية العلماء».

أثناء هذا الاضطراب الذي رأيناه يزداد كلّ يوم قوةً وانتشارًا عزمنا على الاتصال بسكّان تلك الجبال لنريهم كذب مُضلِّليهم ولنري مُضلَّليهم أنّا لا نرهب إلاّ قوة الحق، فأعلمتُ الشُّعب التى كُلِّفت بتفقّدها بأيام زيارتي لهم، وابتدأتُ بشُعبة جيجل.

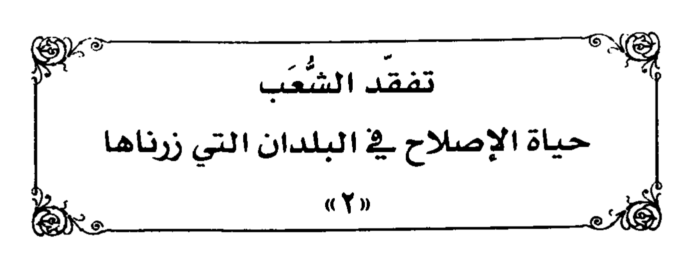
في صبيحة يوم الأربعاء ثالث جوان وثالث ربيع الأول خرجتُ في سيارة إلى جيجل، نقل معي السادة الحاج محمد بن ناصف ومحمد ضنبرى وسي عبد الله ابن الأزعر ومحمد الهادي بن عميره، وكلهم من الرجال البارزين، وبعضهم ممن لهم قرابات وعلاقات بسكان تلك الجبال.

عرّجنا في طريقنا على الميلية؛ فأصحبنا منها السيد محمود ربوش معلّم القرآن بها؛ وقصدنا أيضا قرية الشَّقْفَة، فاسترحنا بها قليلاً، واجتمعنا ببعض أهلها، ثم ذهبنا إلى جيجل[1].

(يتبع)

---

(١) «البصائر»: العدد (٢٨) الصادر يوم الجمعة ٢٧ ربيع الثاني ١٣٥٥ هـ ١٧/ ٧/ ١٩٣٦م.



تفقّد الشُّعَب
حياة الإصلاح في البلدان التي زرناها
«٢»

جيجل من مراسي الوطن الجزائري الشهيرة ، تقع شرقي بجاية عاصمة بني حماد؛ وكانت من غُرر مدن الدولة الحمادية، ثم اجتازت عدّة أدوار حتى استولى عليها نصارى جنوة؛ وكان بها اندري دوريا الرجل المسيحي(١) الذي اشتهر بحروبه البحرية ضد الإسلام؛ ثم أصبحت قاعدة لغزوات عرّوج وأخيه خير الدين؛ ومنها فتحا الجزائر وافتكّاها من أيدي إسبانيا، واستقر(٢) بَعدُ بالجزائر، فصارت من ذلك الحين قاعدة هذا الوطن بحدوده الحاضرة.

ومن أشهر أُسر جيجل اليوم أُسرة ابن خلاف وأسرة بوربون وأسرة ابن يحي. وتمتاز جيجل الحاضرة من بقية مدن الوطن بحزم أهلها واستقلالهم بالتجارة، وبتضلّعهم من المعارف الفرنسية مع شدّة تمسّكهم بالإسلام .

---

(١) لو قيل: النصراني، لكان أدقّ لأن الله سمّاهم «النصارى» لا «المسيحيين».

انظر: «معجم المناهي اللفظية» (ص ٩٣ ـ لفظ «إسرائيليون») لبكر أبو زيد.

(٢) كذا بالأصل!

وكانت تشكو فقد معلّم لِلِّسان العربيّ بها، فمنّ الله عليها بالشيخ محمد الطاهر الساحلي[1] خرّيج جامع الزيتونة ومن أبناء قبيلة بني خطاب إحدى القبائل المشهورة من أوائل الإسلام بجبال جيجل، فالتفّ أهل المدينة حوله وأسّسوا «مدرسةالحياة» التي يديرها اليوم بحزم ونشاط ، ويلقي بالمسجد مواعظ للعامة.

والخلاصة أن جيجل مدينة جزائرية عرفت ما تحافظ عليه من القديم وما تأخذ به من الجديد، وما زلنا نقول لها في الخير: هل من مزيد؟

لما نزلنا بجيجل قابلنا بها رئيس الشُّعبة الشيخ محمد الطاهر مدير مدرستها وواعظ مسجدها، وقابلنا كثير من أعيانها، ووجدنا الإصلاح متمكّنا فيها، ثم اتّضح لنا ذلك بشّدة إقبالهم على الدرس الذي ألقيناه بالمسجد.

كان موعد إلقاء الدرس بعد صلاة العشاء، فلما دخلنا ألفينا المسجد غاصًّا بالجالسين وأبوابه مسدودة بالواقفين، وكان موضوع حديثنا حديث «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ...**»[2]، وطال كلامنا عليه، فلم نر من الحاضرين إلاّ مزيد الإصغاء والاستحسان.

---

(١) توفي رحمه الله سنة (١٩٩٠م). انظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (٢/ ٢٠٦ ـ ٢٠٩) لمحمد الحسن فضلاء.

(٢) تمامه: «:**رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالاً، فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا**».

أخرجه البخاري (٧٣) ومسلم (٨١٦) عن عبد الله بن مسعود، وأخرجه بنحوه البخاري (٥٠٢٥) ومسلم (٨١٥) عن عبد الله بن عمر، وأخرجه البخاري أيضًا (٥٠٢٦) بنحوه عن أبي هريرة.

وبعد الدرس اجتمعنا بأعضاء الشُّعبة فأوصيناهم بتقوى الله، وأن يكونوا قدوةً حسنةً في الخير، وأن يُعنوا بخدمة جمعيتهم بإفهام الناس حسن غايتها وبإرسال الاقتراحات المفيدة لمجلس إدارتها وبوضع تقارير عن أكثر البدع والمعاصي فُشُوًّا عندهم ليسير وعاظ الجمعية على ضوئها، وأن يوسّعوا دائرة الجمعية بإدخال المشتركين فيها، وكان هذا حديثنا مع كلّ شُعبة.

ولا نريد شرح ما قابلنا به أهل جيجل من حفاوة وإكرام في المأكل والمشرب والمنزل، فتلك طبيعة في أغلب الوطن الجزائري ولا سيما سكّان سواحله وصحاريه.

ومن الغد يوم الخميس غادرنا جيجل قاصدين التعرّف بسوق الشقفة، وعرضنا على الشيخ محمد الطاهر مرافقتنا، فأجاب بكلّ رغبة وانشراح، ونزلنا بالشقفة قبل الزوال بنحو ثلاث ساعات.

والشقفة قرية على ربوة شرقي قرية الطهير قريبة منها وتحت جبال بني يدر، وهي مدينة تامة وسط متصرفية الطهير الممتزجة.

وتحت القرية سوقها الشهير الذي يقصده كلّ يوم خميس قبائل كثيرة من سكّان تلك الجبال، وتقريب القول فيه أنه كفهرست للقبائل من سكّان الجبال الساحلية الذين قاموا علينا بتلك الغارة النكراء.

نزلنا خارج السوق تحت ظلال شجر الزيتون المتناثر هنالك على الضفة الغربية لواديها الكبير، وجاء أناس لمقابلتنا، فأحسنوا المقابلة، وفي صدورهم ما في صدورهم، ثم زرنا السوق، وتفرّق من استصحبونا لجسّ نبض تلك الإشاعات، فوجدوا القوم في غليان واضطراب.

وعند الزوال اجتمع إلينا خلق كثير، فقدّمنا للصّلاة بهم الشيخ العربي كبيش من سكان تلك الناحية ومن تلاميذ الأستاذ عبد الحميد، وبعد الصلاة طلبوا مني أن أسمعهم كلمة في الوعظ؛ فألقيتُ عليهم هذه الكلمات:

«اعرف ربك، طهر قلبك، اخش ذنبك».

وهي كلمات رويناها بالمعنى، وأصلها ما رواه أبو عمر ابن عبد البر في كتابه «جامع بيان العلم»[1]؛ عن جعفر بن محمد، قال:

«وجدنا علم الناس كلّه في أربعة[2]؛ أولها: أن تعرف ربك، والثاني: أن تعرف ما صنع بك، والثالث: أن تعرف ما أراد منك، والرابع: أن تعرف ما تخرج به من ذنبك»[3].

وقد بسطنا لهم القول في شرح تلك الكلمات، فكنا نشاهد الوجوه أثناء الدرس تنتقل من الانقباض إلى الانبساط، وكانت ترد علينا أثناء الدرس أسئلة تنمّ عن شيء في الصدر؛ فأحسسنا بانقطاعها وانسلال ذلك الشيء منها إن شاء الله.

وكان مما اقتضاه القول في شرح تلك الكلمات الحثّ على طلب العلم وإيراد قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ﴾ [التوبة: ١٢٢] الآية، وبيّنا لهم الطريق العملي لتكوين طائفة علمية بينهم، فطالبونا بمن يرشدهم في الحال، فأشرنا إلى الشيخ محمد الطاهر والشيخ العربي كبيش، فأجابا إلى ذلك وسُرَّ الجمع بهما.

---

(١) في (١/ ٦٢/ ٤٣).

(٢) في الطبعة المحقّقة من «الجامع»: أربع.

(٣) في المصدر نفسه: «..ما تخرج من دينك؛ وقال بعضهم: ما يُخرجك من دينك».

وبعد الدرس وقعت أسئلة أهمها القراءة على الموتى؛ فقلتُ لهم:

أَوَّلاً؛ اعلموا أن كلام الله أرفع الكلام وتلاوته أفضل الأذكار.

وثانيًا: أنّ تلاوته عبادة.

وثالثًا: أن الله لا يُعبَد إلاّ بما شرع.

ورابعًا: أن قبول العبادة والثواب عليها من المغيّبات التي لا نجزم بحصولها.

والقراءة على الموتى لم يشرعها رسول الله ﷺ، واختلف العلماء في إهداء ثواب التلاوة للحي أو للميت؛ هل يَصِلُ لِلمُهدى له أم لا يصله؟

فإن أصررتم على التلاوة لمعنى حسن كمجاملة وليّ الميّت فلا يجوز لكم الأكل من طعام فيه حقّ القاصرين، ولا يجوز لكم أخذ الأجرة لأنكم إن قرأتم للأجرة لم يكن لكم ثواب حتى تبيعوه، وعلى فرض أنكم لم تقصدوا الأجرة فإن حصول الثواب غير مستيقن حتى يباع، وإياكم ومخادعة النفس لكم بأنكم تقرأون لله وولي الميت يعطيكم لله، فإنّ الواقع أنكم لو لم تقرأوا لم يعطكم.

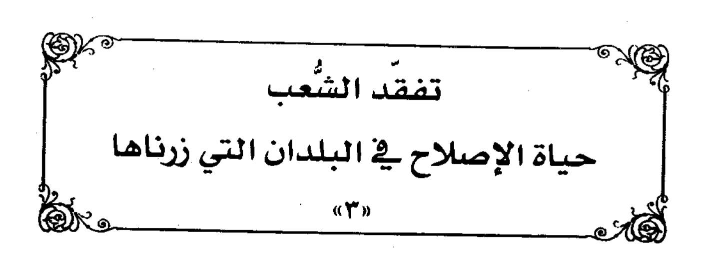
ولم يخل مكان من الأمكنة التي نزلتها في جولتي هذه من السؤال عن هذه المسألة؛ فكان جوابي عنها بنحو ما تقدم.

وجزمنا بالقول بامتناع الأجرة على القراءة لأن القائلين بجوازها يعلّلونها بمقاصد لا تقصدها العامة التي نعرفها، وإنما تريد العامة إعطاء الأجرة بدلاً من الثواب الذي يصل للمقروء عليه[1].

(يتبع)

---

(١) «البصائر»: العدد (٢٩) الصادر يوم الجمعة ٥ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ ٢٤/ ٧/ ١٩٣٦م.



ولابأس أن ننقل كلمة ها هنا لابن القيم بيانًا لمأخذنا فيما أفتينا به، قال في «إعلام الموقِّعين»:

«والناس لهم قولان:

أحدهما: أن القراءة لا تصل إلى الميت، فلا فرق بين أن يقرأ عند القبر أو بعيدًا منه عند هؤلاء.

والثاني: أنها تصل.

ووصولها فرع حصول الثواب للقاري، ثم ينتقل منه إلى الميت، فإذا كانت قراءة القاري ومجيئه إلى القبر إنما هو لأجل الجُعل لم يقصد به التّقرب إلى الله لم يحصل له الثواب، فكيف ينتقل عنه إلى الميّت وهو فرعه؟ فما زاد بمجيئه إلى التربة إلاّ العناء والتعب، بخلاف ما إذا قرأ لله في المسجد أو غيره في مكان يكون أسهل عليه وأعظم لإخلاصه ثم جعل ثواب ذلك للميت وصل إليه». [ج٣/ ص٤٢٢/ ط سنة ١٣٥١]

ومن الشقفة توجّهنا إلى الميلية، ولما بلغنا قهوة بَرَمَة (بفتحات) أنزلَنا أهلُها،

فاسترحنا بها ، وسيأتي الكلام على هذا المحلّ عند عودتنا إليه من بعد.

بتنا ليلة الجمعة بالميلية، وأسّسنا بها الشُّعبة، وألقينا على الناس كلمات في معنى حديث: «**اللَّهُمَّ إنَّا نَسْأَلُكَ الهُدَى وَالتُّقَى وَالعَفَافَ وَالغِنَى**»[1].

والميلية قرية حدثت في العصر الفرنسي تقع شمال ميلة بنحو خمسين ميلا عصريًا، وهي منسوبة إلى ميلة لأن موضعها كان ينزله فرسان بورنان بن عز الدين من ناحية ميلة؛ فنُسبت البقعة إليهم.

والقبائل المحيطة بها كسائر القبائل الجبلية قعد بهم الفقر وعمّهم الجهل؛ وتمكّن منهم الجُبن من الموظَّفين، وأضرّت بهم الثقة بالمرابطين المضلِّلين، وهذا وصف أغلبي، وفيهم من يتعرف إلى الحياة ويحبّ الإصلاح، ويبحث عن الحق، ولا نقول إن النادر لا حكم له؛ فقد عرّفنا التاريخ أنّ من عرف الحقّ وتمسّك به وأحسن الدعاء إليه ، فإن الحكم له وإن كان نادرًا، والعاقبة للمتقين.

وصباح الجمعة توجّهنا إلى القرارم فصلينا الجمعة بها، وألقينا الدرس بعد صلاة الجمعة في حديث: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**»[2] ثم اجتمعنا بالشُّعبة، وتغدينا عند رجل القرارم السيد (الحاج محمد بوزيان) وهو رجل غني مصلح، ولو كان عشر أغنيائنا مثله لكانت حالتنا الدينية والعلمية في أحسن حال.

---

(١) أخرجه مسلم (٢٧٢١) والبخاري في «الأدب المفرد» (٦٧٤) والترمذي (٣٤٩٨) وابن ماجه (٣٨٣٢) وأحمد (١/ ٣٨٩ و٤١١ و٤١٦ و٤٣٤ و٤٣٧ و٤٤٣) وغيرهم عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ**...» وقال الترمذي : «حديث حسن صحيح».

(٢) حديث صحيح، تقدم.

والقرارم قرية حدثت أيضًا في العصر الفرنسي، تبعد عن ميلة إلى الشمال الشرقي بخمسة عشر ميلاً، وتقع تحت جبل سقاو (بقاف بدوية) ذي المياه الغزيرة العذبة الباردة، وهو الجبل الذي كان به بنو ثابت سادة بني تليلان في العصر الموحدي أيام بني عبد المؤمن بن علي، ثم كان لهم ذكر وشرف في عهد الحفصيين.

ومن القرارم عُدنا على ميلة، وقد انتهت الحلقة الأولى من جولتنا فلم نلبث إلاّ يومين حتى شرعنا في الحلقة الثانية.

في صبيحة يوم الاثنين ثامن جوان وثامن عشر ربيع الأول توجّهت إلى العلمة (سنت ارنو) في سيارة تحمل معي السادة: محمد ضنبري، والحاج محمد ابن ناصف، وابن أخيه محمد الطاهر، ورئيس النادي الإسلامي محمد الهادي ابن معنصر، وكانت شاطودان في الطريق فنزلنا بها، واستصحبنا إمامها رئيس شُعبتها الشيخ محمد بوصالح.

ولما بلغنا العلمة نزلنا بمحل السيد المبروك الخفّاف، وقصدنا هنالك أركان الإصلاح مثل السيد المدني بن يس والسيد أحمد بن الحكيمي والسيد الخضر الميلي في طائفة، ثم هيؤوا لنا محلاً بالنادي.

وكان موعد الدرس بعد صلاة العصر بالمسجد فاجتمع الناس، وتكلّمنا على حديث: «مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا»[1] وعرّفناهم بمعنى الوليّ والكرامة اللّتين يعتبرهما الدِّين ويعترف بهما رجال «جمعية العلماء المسلمين».

وكان إمام المسجد جالسًا بالمحراب عن يساري لم نسمع منه إلاّ كلمات

(١) صدر حديث قدسي، أخرجه البخاري (٦٥٠٢) عن أبي هريرة.

الاستحسان؛ ولكن بلغنا أنه إذأ خلاَ له الجوّ وانفرد بالعامّة لم يتورّع عن رمي «جمعية العلماء» بالطامّات، وإذا فقد الناسُ العلمَ الصحيحَ الذي يتحاكمون إليه نزّلوا العادة منزلته وتحاكموا إليها.

«لكل امرئ من دهره ماتعوّدا»

وفي الليل اجتمع بقاعة النادي الفسيحة جمعٌ كثير؛ فألقينا عليهم كلمةً في تاريخ النوادي وتطوّرها وفوائدها.

والعلمة من القرى التي حدثت في العهد الفرنسي تقع شرقي سطيف على سبعة وعشرين ميلاً منها، وفي شماليها إيكجان حيث قرية بني عزيز؛ وهو الذي استقر به أبو عبد الله الشيعي، فكان مبعث الثورة على الأغالبة ومنبع الدولة العُبيدية.

ومن الغد توجّهنا إلى سطيف، ونزلنا بنزل عمومي، ولقينا من أعضاء الشُّعبة صديقنا السعيد السباعي ممن جمعت بيننا دروس الجامع الأخضر فجامع الزيتونة، ثم لقينا من الأحباء السيد عبد القادر بن علاق والسيد أحمد الخضر ابن الحاج عمار، والثلاثة من غير سكان سطيف، ثم اجتمعنا ببعض المصلحين، ومن الليل اجتمعنا ببعض أعضاء الشُّعبة في النادي.

وسطيف قرية تاريخية قديمة، تمسّكت بدعوة الأغالبة أيام ثورة أبي عبد الله الشيعي، فتغلّب عليها وخرّبها، فلم يتجدّد عمرانها إلاّ في العهد الفرنسي، ولو كنت أصف في مقالي هذا موقع المدن وجودة هوائها وعذوبة مياهها وجمال شكلها لوجدت في سطيف مكان القول من هذه النواحي ذا سَعة.

ومن الغد قصدنا إلى شاطودان واسترحنا بالعلمة وتغدّينا بها على السيد

الحاج الحوّاس بن الحسين من البيوت المعتقَدة في بلدية العلمة، ولكن الله وفّقه فانتفع بدعوة الإصلاح واعترف بها ولم يغترّ باعتقاد العامّة فيه وفي سلفه.

وألقينا الدرس في شاطودان بعد صلاة العصر في مسجدها الحرّ في حديث مسلم: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً»[1] الحديث بطوله، وحضر الدرس من الناس ما دلّ على تمكّن الإصلاح في تلك الناحية.

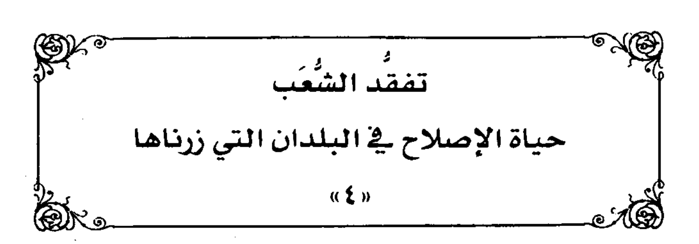
وهنا لاحظنا أنّ كلّ مدينة أو قرية دخلناها في جولتنا هذه لم تخل من جمع إصلاحي يستطيع أن يحمي نفسه من فتن المفسدين، وأن يبلّغ كلمة الحقّ والخير إلى الراغبين، وأنّ كلّ مركز إصلاحي به مدرّس حرّ غير طمّاع، تجد فيه الإقبال على وفود الجمعية ودروسهم أقوى و أرجى ثمرة[2].

(يتبع)

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة.

(٢) «البصائر»: العدد (٣٠) الصادر يوم الجمعة ١٢ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ، ٣١/ ٧/ ١٩٣٦م.



وشاطودان من تلكم القُرى الحديثة، تقع على العدوة الشمالية من الوادي الكبير الذي ينزل منها إلى قسنطينة ويصبّ في البحر أمام قبيلة الجناح؛ وهي في مواطن صدويكش القبيلة الكبرى من قبائل كُتامة التي كانت لها في تلك السهول سيادة وتمكّن، ومن بقاياهم بنو عبد النور المعروفون حتى اليوم بالنجدة والفروسية وإن لم يبق لهم من هذين الوصفين كبير أثر لأن عموم الفقر وشمول الأمن ذهبا بالرغبة في الخيل من بني عبد النور وغيرهم.

ومن شاطودان عُدنا إلى ميلة، وقد انتهت الحلقة الثانية من رحلتنا يوم الخميس، فلم نلبث إلاّ قليلاً حتى جاءتنا الدعوة من قبيلة (الجناح) إلى زيارتهم يوم الجمعة والتعريج على سوق (بني حبيبي) الذي يعمر كلّ يوم جمعة، فلبّينا الدعوة؛ وكانت الحلقة الثالثة.

والباعث على هذه الدعوة أنا كنا نعرف السيّد محمد بوكعباش؛ وهو من قبيلة الجناح من أسرة مرابطية، سكن قسنطينة؛ وبها عرفناه، وحضر دروس الأستاذ عبد

الحميد، فنفعه الله بها؛ ثم عاد إلى مسقط رأسه، فلما اجتزنا إلى جيجل ومررنا بقهوة بَرَمَة (بفتحات) سألنا عنه فلم نجده؛ ثم سألنا عنه في عودتنا فلم نجده أيضًا؛ ولكن السيّد مصطفى بَرَمَة صاحب القهوة أنزلنا واعتذر بأنه لم يعرفنا أمس، وهذا من حسن احترامهم للعلم؛ وإلاّ فإنه لم يفعل ما يدعو إلى الاعتذار، فلما عاد السيد محمد بوكعباش من سفره أُعلم بمرورنا، فرغب هو وأسرة بَرَمَة في استدعائنا.

خرجنا من ميلة صبيحة يوم الجمعة تاسع عشر جوان وتاسع عشرين ربيع الأول؛ وصحبنا السادة عبد الله بن الأزعر ومحمد الهادي بن عميرة ومحمد ضنبري، وكان يومئذ بميلة السيد علي مرحوم[1] المسلمي من تلاميذ الشيخ عبد الحميد ومن فرقة بني مسلم القريبة من الجناح أو «الأجناح» فصحبنا واسترحنا بالميلية، فرغب شبابٌ منها في مرافقتنا إلى جمعة بني حبيبي؛ فأقلّتهم سيارة، وبلغنا سوق الجمعة قبل الزوال بنحو ثلاث ساعات؛ فوجدنا في انتظارنا السيد محمد بوكعباش وطائفة من «الأجناح»، وما نزلنا حتى اجتمع إلينا مُعظَمُ مَن في السوق مِن سائر القبائل، ثم لحقتنا سيارة من القرارم بها طائفة من مصلحيها.

وكان موعد الدرس قبل الزوال بساعتين، فهيّؤوا لنا خارج السوق موضعًا تحت ظلال الزيتون، واجتمع الناس إلى ذلك المكان، وتفرقوا على مواقع الظلال مصغين إلى ما ينقذهم من الضلال، وكان الدرس تفسير سورة الفاتحة، فكان فاتحة عهد جديد بتلك الجهات.

وما انتهينا من الدرس حتى حانت صلاة الظهر، فصلينا واجتمع الناس

---

(١) توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٩٨٤م). انظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٤).

للأسئلة المختلفة، بعضها يرجع إلى الاعتقادات، وبعضها إلى العبادات، وبعضها إلى المعاملات؛ ولم ينقطع وابِلُ هذه الأسئلة إلاّ بعد الزوال بساعتين مما يدلّ على تعطّش الناس إلى العلم.

جمعة بني حبيبي هذه سوق أسبوعية في قبيلة بني حبيبي على واد صغير يمرّ بشرقيها ويصبّ في الوادي الكبير المنحدر من قسنطينة؛ وهذه السوق في جمعها للقبائل أشبه بسوق الشقفة، ومن حيث قوة الطرقية والمرابطية تفوق الشقفة لأن أهل الشقفة مقادم يعملون لفائدة غيرهم من أصحاب الزوايا الكبرى، أما أهل سوق الجمعة فيعملون لأنفسهم، ولكن وجدنا الناس في الجمعة أيسر إقبالاً.

وأشهر المرابطين الذين يتحكّمون في القبائل المحيطة بجمعة بني حبيبي هم أولاد العابد؛ وضريح جدّهم قريبٌ جدًا من الجمعة، ومن أولاد العابد فرقة الدراوشة، ومسكنهم قريبٌ أيضًا من الجمعة، وهناك رجلٌ يُشار إليه بالعلم والشرف يُسَمَّى الشيخ عمار بن فيالة، وجدّه كان قائد الثوار من تلكم الجبال في سنة إحدى وسبعين ميلادية؛ ونزل على ميلة، وكانوا ينهبون أموال المسلمين ويستخرجون دفائنهم من حبوب وإدام ودراهم.

وأغلب هؤلاء ومن انضم إليهم من صغار المرابطين مجموعون على حرب «جمعية العلماء» بسلاح الكذب الذي سهّله عليهم ثقة العامّة بهم؛ فالله يهديهم أو يكفينا كيدهم بما شاء[1].

ومن سوق الجمعة توجّهنا إلى «الأجناح»، فنزلنا على السادة بَرَمَة (بفتحات

---

(١) «البصائر»: لا خصوصية لهؤلاء بل كلّ من يريدون استغلال الأمة يحاربون الجمعية بهذا السلاح.

وترقيق الراء).

و«الأجناح» قبيلة في جبال تحتها البحر، وغربيها بنو صالح، وشرقيها بنو حبيبي، والجميع تابعون لمتصرفية الطهير مجاورون غربًا لمتصرفية الميلية.

وبَرَمَة فِرقة من الأجناح؛ ذات نفوذ فيهم وفضل، وكبيرهم السيد محمود بَرَمَة خَيِّرٌ فاضلٌ مفكِّرٌ في تُؤدة وهُدوء، وقهوة بَرَمَة جاءت على طريق جيجل ـ الميلية؛ ليس بينها وبين البحر إلاّ الرمال.

أكرَمنا السادة بنو بَرَمَة وألزمونا البيات عندهم والمقام صباح يوم السبت، فأسعفناهم برغبتهم لما فيها من قصد الخير، فكان مساء يوم الجمعة إلى الليل في أسئلة أغلبها في الفروع وكذلك صبيحة يوم السبت.

واستدعى بنو برمة أعيان القبيلة للحضور فحضروا إلاّ إمامًا منهم عُرف ببغضه وعدائه لجمعية العلماء، وطلبوا منا الدرس فألقينا عليهم كلمات في معنى ما نقله البخاري في «صحيحه»[1] عن ابن عون التابعي الجليل قال:

«ثلاثٌ أُحبّهن لنفسي ولإخواني: هذه السُّنَّة أن يتعلّموها ويسألوا عنها؛ وهذا القرآن أن يتفهّموه ويسألوا عنه؛ ويَدَعُوا الناس إلاّ من خير».

ثم أسّسنا الشُّعبة؛ وعُدنا بعد الغداء إلى ميلة وقد تمّت الحلقة الثالثة من رحلتنا.

---

(١) ذكره تعليقًا في «كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة»: (باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ)، ووصله محمد بن نصر المروزي في «كتاب السنة» والجوزقي من طريقه، ووصله أبو القاسم اللالكائي في «كتاب السنة» كما قال الحافظ في «فتح الباري» (١٣/ ٣٠٩). وانظر «تغليق التعليق» (٥/ ٣١٩ـ٣٢٠) له أيضًا.

وأهمّ ما فيها هو التعرّف إلى سكّان الجبال الساحلية فيما بين الميلية وجيجل إلى أطراف فرجيوة شمالاً، وذلك بدرسي سوقي الشقفة والجمعة.

وكان إدخال الدعوة الإصلاحية إلى سكان تلك الجبال أهمّ لأمرين:

أحدهما: أن بقية النقط التي زرناها مدن وقرى قد سمعتْ قبل اليوم ـ على تفاوت ـ دروسًا من أعضاء الجمعية.

وثانيهما: أن سكان الجبال ذوو صلابة في دينهم، فإذا عرفوا الحق تمسّكوا به وثبتوا عليه وأورثوه أعقابهم، لأنهم لا ملاهي لديهم ترقّق دينهم، ولا رفاهية تفسد عليهم خلق التواضع فيستكبرون عن دعاة الهدى.

وحيث كان سفرنا إلى بني حبيبي والأجناح يوم الجمعة رأينا أن نختم هذا المقال بحكم السفر يومها ناقلين ذلك من «زاد المعاد» لابن القيم.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ أثناء الكلام على خصائص يوم الجمعة:

«السادسة عشر: أنه لا يجوز السفر في يومها لمن تلزمه الجمعة قبل فعلها بعد دخول وقتها.

وأما قبله؛ فللعلماء ثلاثة أقوال ـ وهي روايات منصوصات عن أحمد ـ:

أحدها: لا يجوز.

والثاني: يجوز.

والثالث: يجوز للجهاد خاصة.

وأما مذهب الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيحرم عنده إنشاء السفر يوم الجمعة بعد الزوال.

ولهم في سفر الطاعة وجهان:

أحدهما: تحريمه، وهو اختيار النووي.

والثاني: جوازه وهو اختيار الرافعي.

وأما السفر قبل الزوال، فللشافعي فيه قولان: القديم: جوازه، والجديد: أنه كالسفر بعد الزوال.

وأما مذهب مالك، فقال صاحب «التفريع»[1]: ولا يسافر أحد يوم الجمعة بعد الزوال حتى تصلى الجمعة ولا بأس أن يسافر قبل الزوال؛ والاختيار أن لا يسافر إذا طلع الفجر وهو حاضر حتى يصلي الجمعة.

وذهب أبو حنيفة إلى جواز السفر مطلقا». (ج١/ ص١٠٢/ ط ١٣٤٧).

وقد وصل ما نقلناه عنه بأحاديث وروايات تركناها لطول كلامه فيها واقتصارًا على مذاهب الأربعة التي لا تخرج عن تلك الأحاديث والروايات.

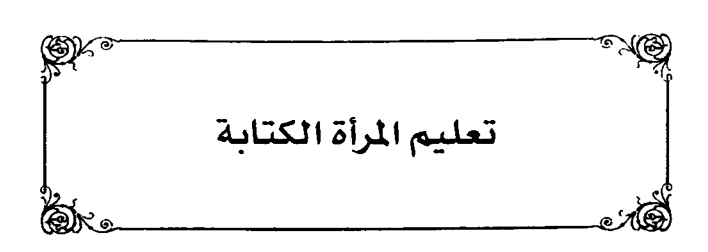
وسفرنا نحن كان يوم الجمعة قبل الزوال، فنزِّل عليه ما بين يديك من الأقوال؛ والله المسئول أن يقرن أعمالنا بالنجاح والقبول[2].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) هو أبو القاسم عُبيد الله بن الحسن بن الجلاّب البصري، فقيه مالكي، له كتاب في مسائل الخلاف، وكتاب «التفريع» في المذهب، مشهور معتمد. توفي منصرفه من الحج سنة (٣٧٨هـ). له ترجمة في «ترتيب المدارك» (٢/ ٤٥٢) للقاضي عياض، و«الديباج المذهب» (ت: ٣٠١) لابن فرحون، و«شجرة النور» (ت: ٢٠٥) لمحمد مخلوف، و«الأعلام» (٤/ ١٩٣) للزركلي.

(٢) «البصائر»: العدد (٣١) الصادر يوم الجمعة ١٩ جمادى الأولى ١٣٥٥هـ ٧/ ٨/ ١٩٣٦م.



تعليم المرأة الكتابة

قد أتى على الإنسان الجزائري حينٌ من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا بالعلم الحيّ والحياة العلمية، وما كان في بعض مدنه وقُراه من علم لم يكن له من الحياة ما يقوى به على لفت أنظار العامة إليه وترغيبهم فيه حتى يرضوا به حَكَمًا في عقائدهم وعوائدهم، وما كان في مجموع الإنسان الجزائري من حياة لم يصحبها من العلم ما يعرف به فضل الإنسان على الجماد فلا يخضع له وقوة الحي على الميت فلا يستعين به.

والعلم والجهل، والحياة والموت، كالحركة والسكون واليقظة والنوم، صفاتٌ متقابلةٌ إذا اتّصف الإنسانُ بواحدةٍ منها علم أنه لم يتصف بضدّها، وإذا عرا عن صفة لم يشكّ أنه لم يعر عن مقابلها.

فإذا لم يكن الإنسان الجزائري في أدوار انحطاطه مذكورًا بالعلم الحيّ والحياة العلمية فهو مذكور بما ينشأ عن الجهل والجمود من قوة الاعتقاد في بعض الأموات وذريتهم وشدة الخضوع لكثير من الصخور.

وتلك حياة لا تفترق عن الموت إلاّ بأنّ الميت معذور ولا عذر لمن حيي تلك الحياة، وذلك إيمان لا يفضل الكفر إلاّ بأن الكافر قد يكون معه من العقل ما يرجى

له به الخير ويعرف به الحق، وقلّما يرجى الخير والاهتداء للحق من مؤمن بتصرف الأموات في الأحياء وخشية الإنسان من غضب الأشجار والأحجار.

ولم يزل الإنسان الجزائري - ذكوره وإناثه - على ما وصفنا منذ أواخر الدولتين الزيانية والحفصية لا يزداد مع الأعوام والأجيال إلاّ بُعدًا عن العلم الحيّ والحياة العلمية، حتى أخذ أفراد من أبنائه منذ عشر سنوات ونيِّف يتذوّقون العلم المتصل بالعقل، والعمل المتصل بالقلب، فحاولوا بثّ العلم الحيّ في الأمة وتوجيهها نحو الحياة العلمية.

أوّل من حمل إلى الأمة الجزائرية صوت العلم العاقل ولفتها نحو العمل المُجدي هي صحيفة «المنتقد» سلف «الشهاب»، فكانت أداة التعريف بين الرجال الذين يحملون فكرة تسيير الأمة نحو سعادتها لا مسايرتها لمنافعهم، وكانت منارة سامكة تسمع الأمة منها نداء أولئك العلماء كما يسمع النائمون قول المؤذن آخر الليل: «الصلاة خير من النوم» فكان من الأمة من قال: «لبيك» ومنها من قال: «حتى النوم ما عندك ما تقول فيه»! وهكذا عادة الله في خلقه أن لا يجمعوا على إنكار الحق ولا على قبوله: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٣٦].

كان من نتائج ذلك النداء واستجابة الذين يسمعون أن أخذت تظهر في الوطن الجزائري مدارس حرة غايتها تربية القلوب على احترام الدِّين الخالص واتّباعه، وتغذية العقول بما تقوى به على النظر في الحياة العصرية لتأخذ من وسائلها ما يلائم دينها وتهضمه قوميتها، وإذا كان فيما أسّس اليوم منها قصور عن تلك الغاية فَلِعِلَلٍ بعضها معنوي وبعضها حِسِّيّ، ولن تزال تلك الغاية هدفها تعمل لها

حسب منّتها وتعتذر عن التقصير عنها بما اعتذر به القائل:

على قَدْرِ الكساءِ مددتُ رجلي ... ولو طال الكِساءُ لها لَطالتْ

ولما أخذت حركة تأسيس تلك المدارس في الانتشار ظهرت مشكلة من يعمرها من النشء، فقال فريق: نعمرها بالبنين والبنات، وقال آخرون: نعمرها بالبنين دون البنات.

ولا يكاد يخلو مجلس من مجالس أركان الإصلاح التي يذكر فيها التعليم من الحديث في هذه النقطة نقطة إدخال البنات المكاتب وإفضاء كلٍّ برأيه ونظره فيها.

فكان من حُجج الفريق الأول:

١ ـ إنّ فساد القلوب وانحطاط العقول كانا شاملين للأمة ذكورها وإناثها، فيجب أن يكون إصلاح القلوب وترقية العقول عامّين في الذكور والإناث.

٢ ـ وإن المرأة شقيقة الرجل في الإنسانية، فلتكن شريكته في التربية والتهذيب، ولا تُظلَم بحرمان حقّها من ذلك.

٣ ـ وإن الأمّ هي المدرسة الأولى التي يتلقّى فيها الأبناء معلوماتهم الأولية التي تصير كطبيعة لهم، فعلينا أن نصلح هذه المدرسة لتهيء لنا أبناء لايتعاصى علينا إصلاحهم.

٤ ـ وإن الأنثى مكلَّفة في حكم الإسلام بمثل ما يكلَّف به الرجل، لايفترقان إلاّ فيما يرجع إلى القوة والسيادة فيختص بالرجل، كالإمامة وولاية مناصب الحكم؛ وإلاّ فيما يعود إلى الضعف والحنان فيختص بالأنثى، كالحضانة، وتنزل اثنتين منزلة واحد في الشهادة.

٥ ـ وإن الأنثى شريكة الرجل في منزله، وقرينته في حياته، لا غنى لأحدهما عن الآخر، فلا بد من تشاركهما في التهذيب وتقارنهما في التثقيف ليرغب الفتى في الفتاة وتعرف الفتاة كيف تعاشر الفتى، ثم ليكونا ـ وهما زوجان ـ أقرب إلى الوفاق وأبعد عن الشقاق.

فأما العناية بالفتى وإهمال الفتاة فينشأ عنهما البعد بين من يحسب تقاربهما والنفرة بين من تتوقّف السعادة على سكونهما أحدهما إلى الآخر، ومن ذلك البُعد وتلك النفرة تتكون أزمة زواجية فترغب الفتيان عن نكاح الفتيات، ويضطر الفريقان بحكم الطبيعة إلى اتخاذ الأخدان والتجاهر بالفجور والعصيان، وفي ذلك سقوط الأُسر والكفر بالفضيلة، وانقطاع العَقِب وذيوع الرذيلة.

وليس ما صوّرناه في هذه الحال مبنيًا على النظر والتخمين؛ بل هي الحقيقة التي سطعت ـ ويا ليتها لم تسطع ـ من إقبال أبنائنا على التعليم الفرنسي ومعرفتهم للحياة من كوى «الإيكولات»[1] وبقاء بناتنا محرومات من كلّ تهذيب.

ولستُ أريد إلى إدخال البنت إلى «الإيكولات» ولا أن آسف لبعدها عنها، وإنما أردتُ أن أضرب مثلاً واقعيًا لمن يريدون إدخال البنين إلى المكاتب الحرة دون البنات، فإنهم مفضون ـ لا محالة ـ إلى تلك الثمرة التي أثمرها إقبال البنين وحدهم على «الإيكولات».

إن مشكلة زواج الشبان المسلمين المتعلّمين أصبحت من المشاكل التي تجب العناية بالنظر فيها، وقد ابتدأ البحث فيها أحد أصدقائنا بما نشره في جزء محرّم هذه

---

(١) كلمة جارية في اللّسان العاميّ الجزائري، وأصلها فرنسي [Les ecoles] والمراد: المدارس الفرنسية.

السنة من «الشهاب»[1] تحت عنوان:

«الشبان المسلمون والزواج».

وكتب إلينا في منتصف مارس برغبته في اطلاعي عليه من إدارة «الشهاب» قبل النشر لأرى رأيي فيه، فلم يقدّر لي الذهاب إلى قسنطينة قبل نشره.

ثم جاءتني أواخر مارس نفسه رسالة من صاحب «الشهاب» يطلب مني أن أكتب تعليقًا على ذلك المقال، فكانت شواغل صرفتنا عن تحقيق رغبة الأخوين: المنشىء والناشر حتى بعد زمن النشر بُعدًا يقبح معه العود إلى ذلك المقال بالتعليق، ولكن لا يقبح العود إلى ذلك الموضوع بالتحرير، وعسى أن يتيسر لنا في المستقبل إبداء نظرنا في ذلك الموضوع الصعب العلاج.

وكان ما أدلى به الفريق الثاني في منع البنت من تعلّم الكتابة:

١ ـ أن إدخالها المكتب جمع بينها وبين الابن، وفي ذلك الاختلاط ما نخشى عاقبته وخطره على العفاف والفضيلة.

٢ ـ وإن تعليمها الكتابة يسهل عليها الوصول إلى وساوس نفسها، ويقرب منها ما يدعوها إليه هواها، وعبّر بعضهم عن هذه النقطة بقوله: «المرأة المدّادة تحتاج إلى قوّادة».

وخلاصة ما أدلى به هذا الفريق هو الاسترابة بالبنت، والمحافظة على خُلق الحياء الذي هو أجمل ما في المرأة.

ثم يجيب عن حُجج الفريق الأول بجواب واحد هو أن تلك الحُجج توجب تعليم المرأة ما تعرف به دينها وإدارة منزلها وتربية أولادها، وذلك ممكن بطريقة التلقين

---

(١) في (١٢/ ١٥ ـ ٢١).

الخالي من الكتابة، فالاستراابة بالأنثى خاصة بتعليمها الكتابة غير متناولة لتعليمها العلم.

ونحن نرى ما يراه الفريق الأول، ونجيب عن اختلاط البنين والبنات في المكتب بأن البنت ما لم تبلغ حدّ الحجاب مختلطة مع الابن في الأزقّة والرحاب، وهذا مشاهَدٌ لا مغمز فيه، وليس الاختلاط في الأزقّة حيث لا مربّي ولا رقيب بأضمن لِعفّة البنت في مستقبلها من الاختلاط في المكتب أمام المعلّم المربّي.

ونجيب عن تلك المفسدة التي أُنيطت بكتابة البنت أنها مفسدة متخيّلة لم تتحقّق بعد، ولكنا شاهدنا من المفاسد في تعليم البنين الكتابة ما يُقوِّض بنيان الدِّين ويزلزل صروح القومية ويقتلع رواسي الأخلاق!

أليس الرجال هم الذين يحرّرون صحفًا سيارةً بكلّ ما يوهن الدِّين ويقوّي اليأس من الإصلاح ويغري العاطل بتنقّص العامل؟

أليس مِن الرجال مَن يكتب مستخفًا بالقومية الجزائرية منكرًا لوجودها التاريخي مستحسنًا لاندماجها فيمن هو أقوى منها عادة؟

أليس من المتعلّمين الكتابة من اتخذوا بيوتًا للرقية المنكرة والكهانة الضالّة والوساطة بين متخذي الأخدان ومتخذاتهم؟ ترى خلف كللها العجوز والعوان والفتاة يجلسن إلى صاحب ذلك البيت فرادى وقرانى...!

فلو كانت أمثال هذه المفاسد العارضة لصناعة الكتابة تؤثر في محاسنها ومنافعها لمنعنا البنين من الكتابة قبل أن نمنع منها البنات، ولكن الكتابة تنشد بلسان حالها قول الشاعر العربي:

وتلك شكاة ظِاهرٌ عنك عارُها

وهل كرّه الجمال إلى الناس أن من الجميلين والجميلات من يتخذ جماله مركبًا

للآثام؟ وهل فضّل العقلاء لذلك الذمامة على الوسامة؟

ونجيب عن اتخاذ التلقين سبيلاً لتعليم البنت أن اللّقانة لو كانت تغني عن الكتابة لأغنت في الذكور، فالاعتماد على اللّقانة تعمّد لترك البنت في الجهالة.

نعم، تجدي اللّقانة قومًا لهم طباع صافية وقرائح جيدة وحياة بسيطة، ولن تجمع لك هذه الصفات في أمة بعد الصحابة رضوان الله عليهم.

إذا اعترفنا بضرورة تعليم البنت فلا وجه للنزاع في لزوم تعليمها الكتابة، وإنما علينا أن نفكّر في طريقة الجمع بين تعليمها والمحافظة على أنوثتها وعدم ترجّلها، وهذه هي الناحية التي أراها جديرة بالبحث وتقليب وجوه القول فيها، ولا يجمل إدماجها في موضوع حديثنا، بل يجب أن يكون موضوعًا مستقلاً، فلنعُد إلى حديثنا.

نرى أننا قد أتينا على ما حضر من وجوه النظر في تعليم الكتابة للأنثى من البشر، ولكن موضوعًا كهذا لا يغني فيه النظر عن الأثر.

كانت فاتحة الحديث في تعليم المرأة الكتابة من ناحيتها الأثرية هو السؤال الذي ألقاه عليّ الأخ الشيخ الفضيل الورثلاني عن حديث: **«لَا تُنْزِلُوهُنَّ الغُرَفَ وَلَا تُعَلِمُوهُنَّ الكِتَابَةَ... الخ»**[1].

فأجبته عنه برسالة خاصّة ذكرتُ فيها أن الحاكم في «المستدرك» قد صححه، وأن الحاكم على جلالته في علم الحديث لا يُعوَّل كثيرًا على تصحيحه، وأنّ النُّقَّاد قالوا: «لو لم يؤلّف المستدرك لكان خيرًا له»، وإن من رجال هذا السند محمد بن إبراهيم الشامي وهو مطعون فيه، ونقلتُ عباراتِ الأئمة فيه من «ميزان الحافظ الذهبي».

---

(١) تقدم أنه حديث موضوع.

وهذا القدر رأيتُه يكفي مَن خاطبته بتلك الرسالة، لكن إدراة «الشهاب» الأغرّ اتّصلتْ بها، فرأتْ أن تنشرها، فنشرتها في جزء المحرم فاتحة سنة ١٣٥٥، فاتخذها المشاغبون أداة من أدوات مشاغباتهم، فرأيتُ أن أعود إلى هذا الموضوع لأن ما يكتب بصفة خاصّة ربما لا يكفي في خطاب العامّة.

أما أن الحاكم ذو جلالة في علم الحديث فهذا ما لا نزاع فيه.

وأما أن تصحيحه في «المستدرك» لا يعوّل عليه كثيرًا فلأن الحفاظ قد حكموا بأن فيه الضعيف والموضوع.

قال السخاوي في «الضوء اللامع» عند ترجمته لنفسه وذكر مروياته ـ وقد ذكر منها «مستدرك الحاكم» ـ:

«وهوكثير التساهل بحيث أدرج في كتابه هذا الضعيف بل والموضوع المنافيين لموضوع كتابه» (٨/ ١٠).

وقال الذهبي في ترجمة الحاكم من «الميزان»:

«إمام صدوق لكنه يصحّح في «مستدركه» أحاديث ساقطة ويكثر من ذلك، فما أدري هل خفيت عليه؟ فما هو بمن يجهل ذلك، وإن علم فهذه خيانة عظيمة» (٣/ ٨٥).

وقال الذهبي أيضا في ترجمته من «تذكرة الحفاظ»:

«ولاريب أن في «المستدرك» أحاديث كثيرة ليست على شرط الصّحة بل فيه أحاديث موضوعة شان «المستدرك» بإخراجها فيه». (٣/ ٢٣١)

وأمّا أنّ النُّقّاد قالوا: «لو لم يؤلّف المستدرك لكان خيرًا له»، فهو ما تفيده العبارات السابقة عن الذهبي والسخاوي، وقد صرح الذهبي بذلك في «تذكرته»،

فقال بعدما تقدّم نقله عنه في ترجمة الحاكم:

«وليته لم يصنّف «المستدرك» فإنه غضّ من فضائله بسوء تصّرفه» (٣/ ٢٣٣).

وأما أن محمد بن إبراهيم الشامي مطعون فيه، فيكفي أن نُعيد ما نقلناه في رسالتنا التي نشرها «الشهاب» عن «ميزان الذهبي»، وهو قوله:

«عن الدارقطني: أنه كذاب، وعن ابن عدي: أن عامة أحاديثه غير محفوظة، وعن ابن حبان: أنه لا تحل الرواية عنه إلاّ عند الاعتبار، كان يضع الحديث.

ثم خرّج له أحاديث ، منها حديثه عن شُعيب بن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«لَا تُنْزِلُوهُنَّ الغُرَفَ وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ الكِتَابَةَ - يَعني النساء - وَعَلِّمُوهُنَّ الغَزْلَ وَسُورَةَ النُّورِ»[1].

وظننا أن الحاكم رواه عن طريق هذا الشامي، وقفّينا على هذا الظنّ في تلك الرسالة بقولنا:

«ولو كان عندنا «المستدرك» لاسترحنا من هذا الخرص، وبعد فلنكتف بما لدينا ولا نَقْفُ ما ليس لنا به عِلمٌ».

ولما بلغ «الشهاب» إلى الشيخ محمد نصيف[2] بجدّة تفضّل بنقل سند هذا

---

(١) تقدم أنّه حديث موضوع.

(٢) هو العالم الفاضل الكريم، صاحب الأيادي البيضاء على الدعوة الإصلاحية وعلمائها، في الجزائر وغيرها من البلاد الإسلامية. توفي سنة ١٣٩١هـ/ ١٩٧١م.

انظر : - محمد نصيف، حياته وآثاره. لسيد أحمد والعلوي، نشر المكتب الإسلامي - بيروت.

- آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤/ ١٢٢ - ١٢٥).

الحديث من «المستدرك» وتلخيصه للحافظ الذهبي، وهاك عبارته:

«النَّهي عن تعليم الكتابة للنساء»

حدثنا أبو علي الحافظ أنبأ محمد بن محمد بن سليمان ثنا عبد الوهاب بن الضحاك ثنا شُعيب بن إسحق عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«لَا تُنْزِلُوهُنَّ الغُرَفَ وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ الكِتَابَةَ ـ يَعني النساء ـ وَعَلِّمُوهُنَّ المَغْزَلَ وَسُورَةَ النُّورِ»[1].

هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

انتهى. «المستدرك» للحاكم.

عبد الوهاب بن الضحاك ثنا شعيب بن إسحاق عن هشام عن أبيه عن عائشة مرفوعا: **«لَا تُنْزِلُوهُنَّ الغُرَفَ وَلَا تُعَلِّمُوهُنَّ الكِتَابَةَ وَعَلِّمُوهُنَّ المِغْزَلَ وَسُورَةَ النُّورِ»**[2]، صحيح.

قلتُ: بل موضوع، وآفته عبد الوهاب، قال أبو حاتم: كذاب.

انتهى. الذهبي من «تلخيصه للمستدرك».

هذه العبارة التي نقلها الشيخ محمد نصيف.

ومنها يظهر أن الحاكم لم يروه من طريق ذلك الشامي، ولكن الذهبي بيّن أن الحديث من طريق عبد الوهاب بن الضحاك موضوع أيضًا، فتبيّن أنّ الحديث موضوع على كلّ حال، ومن ادّعى تصحيحه فليأتنا بسند غير هذا لنعلم حال رجاله.

---

(١) و(٢) حديث موضوع كما قال الحافظ النقاد الذهبي ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره.

وإذا بطل نهي الشارع عن تعليم النساء الكتابة فقد جاء عنه الإذن بها.

فقد روى أبو داود في «سننه» قال: حدثنا إبراهيم بن مهدي المصيصي حدثنا علي بن مسهر حدثنا عبد العزيز بن عمر بن عبد العزيز عن صالح بن كيسان عن أبي بكر بن سليمان عن أبي حثمة عن الشفاء بنت عبد الله، قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا عند حفصة رضي الله عنها فقال:

«أَلَا تُعَلِّمِينَ هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلَّمْتِيهَا الكِتَابَةَ»[1].

قال الشيخ أبو سليمان الخطابي في «شرحه سنن أبي داود» مانصه:

«النملة قروح تخرج في الجنبين، ويقال إنها تخرج أيضًا في غير الجنب، تُرقى فتذهب بإذن الله عزّوجلّ، وفي الحديث دليل على أنّ تعليم الكتابة للنساء غير مكروه» (٤/ ٢٢٧).

والشفاء هذه صحابية جليلة من المهاجرات، ذكر أبو عمر بن عبد البر في ترجمتها من «الاستيعاب» أن رسول الله ﷺ قال لها: **«علّمي حفصة رقية النملة كما علّمتها الكتاب»**.

وذكر الحافظ ابن حجر في ترجمتها من «الإصابة» هذا الحديث بلفظ «كما علّمتها الكتابة»، والكتاب والكتابة شيء واحد.

ثم ذكر من أخرج حديث رقية النملة حتى قال:

«وأخرجه أبو نعيم عن الطبراني من طريق صالح بن كيسان عن أبي بكر ابن سليمان بن أبي حَثْمة أن الشفاء بنت عبد الله قالت: دخل عليّ رسول الله ﷺ وأنا

---

(١) «الصحيحة» (١٧٨).

قاعدة عند حفصة، فقال:

«مَا عَلَيْكِ أَنْ تُعَلِّمِي هَذِهِ رُقْيَةَ النَّمْلَةِ كَمَا عَلّمتها الكِتَابَة»[1]. «الإصابة» (٤/ ٣٤٢).

ثم ذكر عن الشفاء هذه خبرًا في غير أمر الرقية والكتابة وقال:

«وفي سنده عبد الوهاب بن الضحاك وهو واه».

وهذا يؤيّد حكم الذهبي على حديثه المتقدم بالوضع.

وإذا سقط حديث النهي عن تعليم النساء الكتابة وثبت حديث الإذن فيه لهن، استقام الاستدلال على ما ارتأيناه من جعل المكاتب الحرة مفتّحة الأبواب في وجوه البنين والبنات.

وهكذا تعاضد النظر والأثر في هذا الموضوع الحيوي المعتبر.

وإذا رجعتَ إلى كتب الفقهاء وجدتَهم يذكرون حكم التلاوة من الحفظ أو من المصحف للمحدث والجنب والحائض، وذلك مبني على وجود من يقرأ ويكتب من النساء، ولو لا ذلك لما ذكروا الحائض.

قال الشيخ خليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «مختصره»[2]:

«ومنع حدثٌ صلاةً وطوافًا ومسَّ مصحفٍ... لا درهمٍ وتفسيرٍ ولوحٍ لمعلّمٍ ومتعلّمٍ وإن حائضًا».

ولما ذكر موانع الحيض ذكر منها مسّ المصحف وأخرج منها القراءة، فقال

---

(١) المصدر السابق.

(٢) (ص١٤).

الدسوقي:

«قوله: ومسَّ مصحفٍ أي ما لم تكن معلِّمةً أو متعلِّمةً وإلا جاز مسّها له».

وإذا انتهينا من بيان حكم تعليم الكتابة للبنت وأثبتنا أنها كالابن في ذلك لم يبق إلاّ أن ننصح للمسلمين بتعليم أبنائهم وبناتهم العلم النافع.

ونجاح المتعلِّم في عصرنا متوقّف على الكتابة، فالعلم مقصد، والكتابة وسيلة لازمة له اليوم، فكلّ ما تقرأه وتسمعه في فضيلة العلم فللكتابة حظّ منه، وكلّ أمر بالعلم ففيه معنى الأمر بالكتابة.

وفي «تفسير الحافظ ابن كثير»[1] عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦]، عن الضحاك ومقاتل ما نصه:

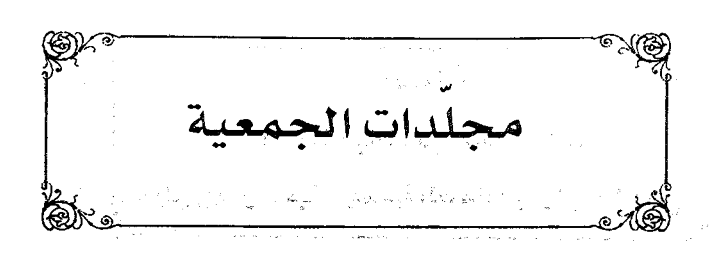
«حقّ على المسلم أن يعلّم أهله من قرابته وإمائه وعبيده ما فرض الله عليهم وما نهاهم الله عنه»[2].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) في (٧/ ٥٨ ـ ٥٩)

(٢) «الشهاب»: م١٢ ج٦ الصادر في جمادى الأولى وجمادى الثانية ١٣٥٥هـ أوت وسبتمبر ١٩٣٦م.



مجلّدات الجمعية

إنّ أمين مال «الجمعيّة» الذي تحت يده مجلداتها غائب عن مقرِّه بميلة استشفاءً من مرض تعب في تحمّله.

وقد كلّف مَن يفتح رسائله بميلة، ويقوم مقامه في توزيع المجلّدات على طالبيها حتى لا يتعطّل سير «الجمعيّة».

فالواجب على أنصار «الجمعيّة» الذين ليست لهم مجلّدات أن يكتبوا باسم أمين المال «مبارك بن محمد الميلي بميلة» طالبين ما يحتاجون إليه، وأن لا ينتظروا إرسال المجلّدات إليهم من غير طلب؛ فإنّ ذلك يفوِّت عليهم العملَ.

ها قد أبدَينا عذرنا وبيّنّا طريق الحصول على المجلّدات، ونبّهنا العاملين ـ أنصار الجمعيّة ـ إلى المبادرة بطلب المجلّدات. والله المستعان[1].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (٣٣) الصادر يوم الجمعة ١٧ جمادى الثانية ١٣٥٥هـ، ٤/ ٩/ ١٩٣٦م.

رسالة

الأستاذ مبارك بن محمد الميلي

إلى رئيس شُعبة «جمعية العلماء» بعرش «الأجناح»

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد الكريم الأخ في الله سي محمود برَمَة، سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

أقدّم لجنابكم شكري على إحسانكم إلى هذا الضعيف واعترافي بجميلكم الذي أسديتموه لي، ومن لا يشكر الناس لايشكر الله.

قد رأينا منكم حسن تقدير للعلم في الوقت الذي تكالب فيه أعداء أنفسهم على الحطّ من قيمة العلم وأهله واستحلال أعراضهم واختلاق الأقوال الشنيعة عنهم، فنحمد الله لكم أن بصّركم بالحقّ في وقت اشتداد الظلام... وننبهكم إلى أن تحمدوا الله على هذه النعمة قائلين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣].

وقد رأينا منكم حسن انقياد للحقّ وعمل به وحمل للناس عليه ، وتلك من الطاعات التي قلّ اليوم أهلها، وشغلوا عنها بالاتكال على شيوخهم وآبائهم أو

بملاهي دنياهم وشهوات أنفسهم؛ فهذه من النعم التي يشكر المسلم الله عليها؛ والله يقول: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقد رأينا منكم أخلاقا كريمة من جود وبشاشة وحسن ملاطفة، وتلك صفات يخصّ بها الله من أحبّه من خلقه، فقم بحقّ هذه الصفات عليك باستعمال الجود مع أهل الله الدالّين على الله بالعلم الصحيح والعمل الصالح، واستعمال البشاشة وحسن الملاطفة مع الناس أجمعين، فإنّ الخلق عيال الله، إلاّ أن يكون مفسد يريد صرف الناس عن الحقّ أو يسعى في الفتنة فهذا ليس أهلاً للبشاشة وحسن الملاطفة، بل يعامل بما يقطع فساده ويكفي الناس شرّه.

وإنني أحمد الله أن عرفت رجلاً مثلكم، وأساله تعالى أن يديم حسن أخوتكم وصلاح أبنائكم وأن يسبغ عليكم نعمه فى الدنيا والآخرة.

والسلام عليكم ورحمة الله، من أخيكم في الله[1]:

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) البصائر: العدد (٣٣).

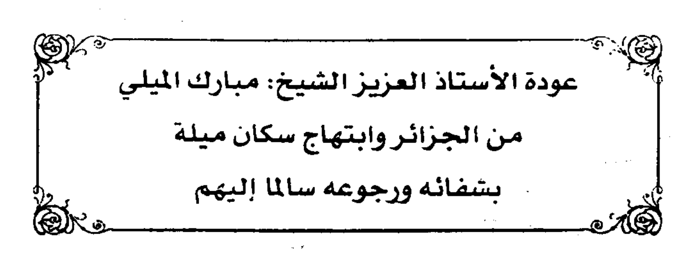
وقد ذيّلتُها بهذه الكلمة:

«هذه هي الرسالة بعينها التي بعثها الأستاذ الميلي إلى رئيس الشُّعبة بعد رجوعه إلى ميلة أحببت أن أطلعكم عليها لِعلمي أنكم تُسَرُّون لمثل هذه الأعمال المفيدة والخدمات الجليلة التي تؤيد الإسلام والمسلمين.

ثم إنني أقترح عليكم نشرها تنشيطًا لقوم آخرين، والسلام عليكم ورحمة الله.

مرحوم علي بن أحمد المسلمي

تلميذ ابن باديس، ونائب كاتب الشُّعبة بعرش «الأجناح»



عودة الأستاذ العزيز الشيخ: مبارك الميلي من الجزائر وابتهاج سكان ميلة بشفائه ورجوعه سالما إليهم

عدتُ من الميلية على الساعة الثانية والنصف بعد زوال يوم الأربعاء التاسع عشر شعبان ١٣٥٥ وقصدت النادي الإسلامي كالعادة لأستريح به بعض دقائق فوجدت أمام النادي المذكور وداخله أناسا تعلو وجوههم علامات السرور والابتهاج، فقلت في نفسي أن من عادة السرور أن يختص بشخص أو شخصين أو أسرة واحدة ـ فما بال هذا السرور يعم سكان ميلة بالتمام تقريبا ولم أزل سابحا في بحر التأمل في هاته القاعدة حتى سمعت أحد الحاضرين يقول: لا بل علمنا أن خروجه من قسنطينة يكون على الساعة الثانية بعد الزوال، وسمعت الآخر يقول: إن خروجه من هناك يكون قبل ذلك ـ فكفتني هاته المحاورة مع إيجازها وغمضها، وأيقنت أن هذا السبب في هذا الابتهاج العام هو قدوم الأستاذ الجليل الشيخ «مبارك» وما برحت أتحقّق الخبر حتى شعرت أن نفس ذلك السرور الذي كنت أتعجب من أجله قد استولى علي كلي ومنعني من السؤال وصار كأنه يكلمني بلسان حاله قائلا: أجل افرح لقد حقّ لك الفرح فإنّ السبب في وجودي بينكم هو قدوم ذلك الرجل ذي القلب الكبير العامر بالإيمان ـ الواثق بالله ـ المنتصر للحق الباذل النفس والنفيس في سبيل الإسلام وأبنائه ألا وهو الأستاذ مبارك.

الساعة الثالثة بعد الزوال: تحيّر بعض الحاضرين وتفوّه أحدهم باكتراء سيارة والذهاب لملاقاة الأستاذ خارج البلد ، فما أتم كلامه حتى امتلأت سيارة كانت من محاسن الصدف موجودة أمام النادي وما سارت تلك السيارة مائة ذراع حتى تلتها ثانية وكنت من جملة الراكبين في هاته وكنت ألاحظ أثناء الطريق على وجوه هؤلاء الراكبين سرورا زائدا على ما كانوا عليه في ميلة أيقنت أن السبب فيه كونهم

حظوا برؤية الأستاذ ببضع لحظات قبل الباقين.

بعدنا عن ميلة بسبعة كيلومترات فوجدنا الأستاذ على شاطئ الطريق يؤدي فريضة صلاة العصر هو ومن قدم معه في سيارة ذهبت أمس لمقابلته في محطة قسنطينة، فما أتم صلاته حتى بلغ عدد السيارات التي أتت لمقابلته أربعا، فليسمح لي القارئ هنا إن لم أكتب عن هذا المشهد ألا وهو تحية الجماعة للأستاذ خارج البلد وذلك لأنه لا يمكن لقلم حقير مثلي أن يعبر بدقة عما شاهده في تلك اللحظات.

عودتنا إلى ميلة: ركبنا السيارات عائدين إلى ميلة والتقينا في أثناء الطريق بما بقي من سيارات الكراء فبلغ عدد السيارات ثمانية، وعلى طول الطريق كنا نجد جموعا تحبس سيارة الأستاذ لتحييه وكنت ألاحظ منهم أنهم لم يقنعوا بمصافحته بل لو كانت القلوب تخرج من الصدور لما ترددوا في إخراجها ليرى الأستاذ العزيز نقاءها وعطفها عليه.

ها قد وصلنا وها هو النادي الذي بعد أن أرسل بعض رجاله للقاء الأستاذ يحتشد ليستقبله وقد لاحت عليه علائم الأفراح وأمسى في عرس، نعم هو يوم أجلُّ من العرس ألا وهو يوم وصول مؤسسه، وصول العقيدة الصحيحة والإيمان القوي والإخلاص النادر.

ماذا رأيت في النادي؟ هنا أيضا توقف قلمي وأبى أن يترجم ما رأيته غير أن نوعا من الجسارة ألزمه على التمادي في الطريق التي سلكها من غير أن يكون أهلا لها، فالتزم وأملي رأيت أمة مخلصة تجتمع بمختلف ناسها من شيوخها إلى زعمائها ونوابها إلى طلبتها وعمالها حاشدين قلوبهم جميعا حول الأستاذ الجليل قطب الإصلاح الديني.

رأيت هاته الأمة تتسابق للحفاوة به لتتحقق سلامة صحته ولتفوز بهنيهات منه شاكرة المولى عز وجل على شمائله.

ثم قام السيد «الحاج محمد بن ناصف» وتلا آيات من الذكر الحكيم وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠﴾ [الصف: ١٠]. إلى آخر السورة، ثم تلاه السيد «محمد ابن دنوس» وألقى خطبة لخص فيها حياة الأستاذ العلمية والعملية منذ وصوله إلى ميلة مع ذكر ما للأستاذ من المواقف التي تشهد له بالحزم والغيرة على أمته وما قاسى أثناء أعماله التي أراد الله أن يكللها بالنجاح.

هذا وكنت أقرأ في فؤاد كل شخص من ذلك الجمع الذي غص به النادي مع سعته خطبة لا ينطق بها لسان ولا يسطرها قلم وكل حرف من حروفها الروحية ناطق بالترحيب بالأستاذ الجليل

وبالشكر والثناء على المولى تبارك وتعالى الذي شفاه وأعاده إلى البلد ممتّعًا بالصحّة التامة.

أجاب الأستاذ ذلك الجمع بخطاب شيق مملوء إخلاصًا لذلك الجمع علق منه بالذهن ما يلي:

* * *

«الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، ثم السلام عليكم أيها الجمع المسلم وكفى بالإسلام وصفًا شريفًا.

أما بعد فقد قال الفيلسوف العربي أبو العلاء المعري:

تَعَـبٌ كُلُّهَـا الحيـاةُ فـما أَعْـ ... جَبُ إلاَّ مِـنْ راغـبٍ في ازديـاد

لقد صدق فيلسوفنا في حكمه على الحياة غير أن من ألطاف الله جل وعلا أن لم يجعل هذه الأتعاب الحيوية أتعابًا خالصةً في الثقل فخفّفها بأوقات من السرور.

إنّ أهمّ ما يسرّ العاقل في هذه الحياة أن يستطيع إيصال الخير إلى غيره وأن يشاهد مظاهر المحبّة تعلو وجوه المتساكنين.

وأن هذا الجمع الطيب لتتمثل فيه هاتان الصفتان فنحن لم نجتمع ها هنا إلاّ لسعينا للخير لبعضنا بعضًا ولم يحدنا إلى هذا المكان إلاّ حادي المحبّة والوِداد.

أيها الجمع المسلم! لقد كنتُ ـ وأنا بعيدٌ عنكم ـ أشعر بما بدا على وجوهكم الآن من آيات العطف على شخصي الضئيل والاهتمام براحتي، ولا غرابة في هذا الشعور على بعد المسافة فإن الروح لا تعرف مسافة.

ولقد كنتُ أنتظر هذا اليوم الذي أجتمع فيه بكم بكلّ شوق فلم أتأخّر يومًا واحدًا عن الوقت الذي سمح لي فيه الطبيب بالسفر وأعلمني بالاستغناء عن العلاج.

لقد تركت صبيةً صغارًا أجد من الحنوّ عليهم ما يشعر به كلّ أب نحو بنيه

ولكني أصارحكم ولا أقول إلاّ حقًّا إني لم أجد من الشوق إليهم ما وجدته من الشوق إليكم، لا لضعف عاطفة أبوية، ولكن لأنني أراهم في حرز بين أحضان أخوالهم، ثم هم لصغرهم غير شاعرين بما حلّ بجسمي.

أمّا أنتم فإني أدركت شدة قلقكم لغيبتي عنكم وقوة تشوقكم لأخبار راحتي فكنت لا أجد ما أقابل به ذلك العطف والاهتمام إلاّ أن أحضر أمامكم وتشاهدوا فضل الله علينا وعليكم بالشفاء السار. فهذا هو الذي جعل اهتمامي برؤيتكم أعظم من اهتمامي بفلذات كبدي».

* * *

ثم ختم الخطاب بإعرابه عن شدّة تأثره لهذا المشهد الفائض إخلاصًا ورحمةً واحتفاظه به كذكرى روحية لطيفة.

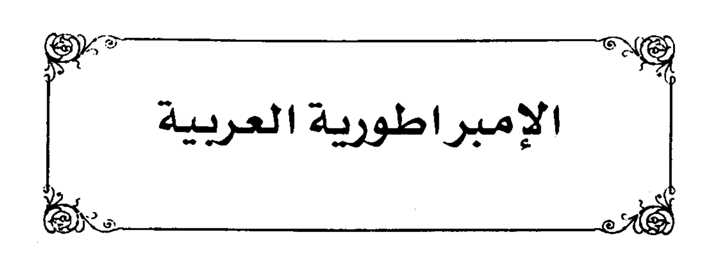
وبعد، فقد نشرنا على قُراء «البصائر» نبأ عودة الأستاذ العزيز مبارك إلى ميلة ليستيقن أصدقاؤه من راحته ويشاركوا إخوانهم الميليين في سرورهم بهذه النعمة التي يعدّونها من أجلّ النِّعم، ثم لتخرس ألسنة أفّاكة طالما اختلقت الأقاويل في غيبته وتعليلها حسب أمانيهم التي ما هم ببالغيها إن شاء الله[1].

ميلة: معنصر عبود

الوكيل الشرعي

---

(١) «البصائر»: العدد (٤٥) الصادر يوم الجمعة ١٢ رمضان ١٣٥٥هـ، ٢٨/ ١١/ ١٩٣٦م.



الإمبراطورية العربية

«وجّهتْ مجلّة «الرابطة العربية» الراقية سؤالاً عن إمكان إنشاء الإمبراطورية العربية إلى الزعماء وكبار القادة والمفكّرين في العالَم العربي، ونشرت ردودهم ، وكان ممن وجّهت إليهم السؤال مؤرخ الجزائر الأستاذ مبارك الميلي ، فأجابها بما ننقله عنها فيما يلي»[1]:

* * *

رد الأستاذ مبارك الميلي الجزائري

أمّا بعد؛ فقد شرّفتمونا بتوجيه أسئلتكم لنا عن إنشاء الإمبراطورية العربية وأخجلتمونا بحشركم لنا ضمن رجال العلم والفكر من قادة الشرق، فإني عبد قليل الاطلاع لضيق مادة صحفنا، وندرة التآليف الأدبية في وطننا بلغتنا، وكوني لم أفارق الجزائر إلاَّ إلى تونس، أو بالأحرى إلى جامع الزيتونة، وليس لأمثالنا من قُراء العربية في هذا الوطن أيّ عمل عمومي حُرٍّ أو حكومي يتمرّن المرء به على الحياة العملية ويكتسب منه تجربةً صادقةً وفكرًا واقعيًا غير خيالي.

ولما قرأتُ رسالتكم خطر لي أن لا أجيب بغير السكوت في خجل وأسف،

(١) هذا التقديم من مجلة «الشهاب».

ثم ذكرتُ قوله تعالى: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ﴾ [الطلاق: ٧].

ورأيتُ لجنابكم حرمةً يُعَدُّ إهمالُ طلبها جنايةً شنيعةً، وخشيتُ أن لا أُعذَر، وأن أُتّهم - عِياذًا بالله - بقلّة المبالاة بالرّجال العاملين، ورجوتُ أن يتشجّع غيري من الإخوان الجزائريين على الكتابة في الصحف العربية حتى تخرج الجزائر من عزلتها ويكثر ترداد اسمها في الشرق، فتصبح معرفة لا نكرة، ومذكورة غير منسية.

هذه الأسباب هي التي حملتني على الإجابة ولكن في اختصار، فإن الأسئلة بلغتني متأخرة، وسيتأخّر - لبُعد الشقّة - نشر الجواب، فلا يُنشَر - إن استحق النشر - إلاّ وقد عرف القُراء كثيرًا من الآراء في هذا الموضوع، فيمتنع أن آتيهم بجديد يشوّقهم إلى المطالعة.

١ - الذي عندي في حالة العالم العربي الحاضرة أنها حسنة من ناحية الشعور بالآلام واليقظة إلى الآمال، فيكاد العالم العربي يتّحد في آلامه وآماله، ثم هي محتاجة إلى جهود جبّارة، وأعيُن ساهرة، لتثبيت ذلك الشعور وتلك اليقظة، ووضع النظم العملية لاستغلالها تثقيفًا واقتصادًا حتى يعمّ الاتحاد سائر أسباب الحياة.

إنّ الحرب الكبرى هي التي يرجع إليها الفضل في يقظة العالم العربي، فقد كان قبلها معتزًا بماضيه مكتفيًا بمجد أسلافه، مهملاً لحاضره، مفسدًا له، غير مفكّر في مستقبله ولا عامل له، فهزّته تلك الحرب هزّة عنيفة شعر معها ببعض آلامه، وفتحت له كُوة إلى المستقبل عرّفته شيئًا من آماله، وبعد أن كان ينفر من أخيه ويحاربه، ويركن إلى الأجنبي ويعتمد عليه، أصبح يشعر بضرورة الاعتماد بعضه على

بعض، وأن النفور من القريب والثقة بالغريب عار وخزي وضعف وانتحار، وإن الواجب عليه أن يطوي ماضيه بما فيه من أحقاد ومعاداة، وأن ينشئ مستقبله على أسس التعارف والتقارب والتسامح، وأن يكون همّه الوئام بدل الانتقام، والبناء بدل الهدم، والإنسانية العامة بدل النفسانية الخاصة.

وإجمال القول أن العالم العربي كان يعتمد في الشرف على الأصل وفي قوته على غيره، واليوم صار يشعر بالاعتماد على نفسه في بناء منارة شرفه وحصن قوته، ثم هو لم يزل في حاجة إلى سنّ نُظُم حيوية تحقّق له الأحلام وتطبّق له الأفكار، ولا مُعين له على ذلك كالثقة بالنفس وثقته بعضه ببعض.

٢ـ وإني أستنكر لفظ (الإمبراطورية) لأنه من مواد القاموس السياسي، والسياسة بمدلولها الحاضر ميدان الدسائس والوساوس ومبعث الحذر من الجار والتباس النصوح بالغدّار، فتفقد الثقة ويضيع وقت الرجال باستخراج رموز الأقوال.

والرشد أن لا يُمسّ وضع «العالم العربي» الحاضر من الوجهة السياسة بأدنى تغيير. وكلّ محاولة لتغييره مخاطرة وبيلة لا يتناولها لفظ البناء ولكنها تدخل في معنى الهدم.

وليس إنشاء المعاهدات والمحالفات بين دول «العالَم العربي» من تغيير الوضع السياسي الذي أحذره وأحذّر منه، كما أنها ليست من إنشاء الإمبراطورية العربية في شيء.

وواجب الصحافة الصادقة الرزينة ومن أهّلته مواهبه لأن يكون حديث الأجيال ليتبوأ منزلة سامية في التاريخ العربي هو العمل المنظّم لتوحيد «العالم العربي» في كلّ مظاهره الحيوية، وتنمية الروابط بين شعوبه، وتجنّب توحيده سياسيا، فإنّ الحياة السياسية أراها في وضعنا الحاضر نتيجة لا مقدّمة.

٣ـ ويبدأ العمل لوسائل العزّة العربية بكلّ ما يربط بين الشعوب ويحقّق الوحدة، وذلك بإنشاء الجمعيات والصبر على ما يعترض من عقبات في تحقيق ما نأمله للعرب من خيرات.

وأعمال الجمعيات متنوعة الوسائل متّحدة الغايات، أذكر منها الآن:

أ ـ توحيد الثقافة: بعقد الجولات في الأوطان العربية للتعارف بجمعياتها العاملة وأشخاصها البارزين، وتعريف تلك الجمعيات وأولئك الأشخاص بعضهم ببعض بالتصوير والنشر في الصُّحُف والرسائل.

ويتعمّم النشر حتى يسهل على كلّ جزء من أجزاء «العالَم العربي» الاطّلاع على ما في بقية الأجزاء من صُحف ومؤلّفات.

وتعميم هذا النشر يكون بتشجيع الجمعيات لكلٍّ من المنشئ والقارئ، وبوضع برنامج كلّي للتعليم يمكن تطبيقه في كلّ الأوساط العربية ينفق منه القويّ والضعيف كلٌّ بمقداره، وذلك بعد الوقوف على أوطان «العالم العربي» بالجولات والاطلاع على مبلغ تفكيرها من النشرات.

ب ـ وتوحيد الأخلاق: بتجديد الخُطب الجمعية وتوحيد المسامرات في النوادي وإنشاء المقالات في الصُّحُف، ووضع الرسائل السهلة التراكيب الواضحة المعنى، وتنشئة رجال يكونون في الأخلاق المثل الطيّب والقدوة الحسنة.

ج ـ وتوحيد الدِّين اعتقادًا وعبادةً ومعاملةً : بتحرير ما لا يعدّ المرءُ مسلمًا إلاّ به وما يعدّ معه المرء مارقًا من الدِّين، حتى إذا أجمع علماء الإسلام على شيء من ذلك وانتهى القول فيه حُملت العامة عليه، وما بقي محلّ خلاف أُعلن التساهل فيه

ومُنع من الخوض فيه بما يؤول إلى الفتن المذهبية وتُرك للناس اختيارهم في ذلك لمن يثقون بدينه وفقهه.

هذه نواح ثلاث تتوقف عليها الوحدة العربية، فتجب المبادرة بالعمل لها.

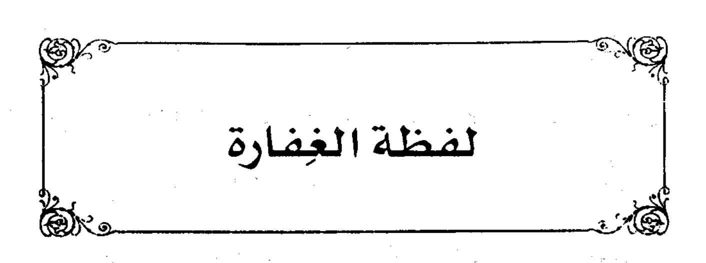
أما الأعمال الاقتصادية والصناعية وما يقرّب علينا اللّهجات واللّباس والتجمّلات والعادات فيمكن تأديتها مصاحبة للنواحي الثلاث إن لم يعجزنا فقر الرجال.

هذا ما عنّ لنا في الجواب عن تلكم الأسئلة، فإن وجدتم ضعفًا في التفكير فقد اعتذرتُ عنه في صدر الرسالة، وإن رأيتم مني خلافًا في الرأي فمثلكم من يحترم الأفكار[1].

(ميلة/ الجزائر) **مبارك الميلي**

---

(١) «الشهاب»: م١٢ ج٩ الصادر في رمضان ١٣٥٥هـ ديسمبر ١٩٣٦م.



لفظة الغِفارة

«الغِفارة» لفظة لا يعرفها لساننا نحن سكّان الشمال من عمل قسنطينة، وأول ما طرقت سمعي بجنوب عمل الجزائر لما انتقلتُ إلى الأغواط، وأقمتُ سبع سنوات بين عرب في أنسابهم ولهجاتهم حتى إني سمعتُ منهم كلمات تعدّ من غريب العربية الفصحى عند علماء اللغة.

لهذا لما كتبتُ عن الغفارة بالعددين (٤٢ و٤٣) من صحيفة «البصائر» نسبتُ لفظها إلى جنوب وطننا، فطلع علينا العدد (٤٤) من تلك الصحيفة بكلمة عن لفظ «الغفارة» للشيخ الجليل العالِم السلفيّ الأستاذ (أبي يعلى الزواوي) الذي لقّبه الأخ الشيخ الطيّب العقبي «شيخ الشباب وشابّ الشيوخ».

وكلّ من عرف هذا الشيخ وأنصفه اعترف له بهذا اللّقب وسلّم له هذا الوصف، وكلمة «الغفارة» من شواهد ذلك، فإنّا نعرف من زواوة شُبانًا أُدباء يُعنون بالصحف فيقرؤونها ويكتبون بها، ولكن الشيخ سبقهم إلى ملاحظته علينا في لفظ الغفارة.

فالله يبارك في حياته، ويطيل عمره لخير الإسلام وأهله.

استفدنا من ملاحظة الشيخ وجود لفظة «الغفارة» في لسان قبائل الشمال من عمل الجزائر وأنها غير خاصّة بعرب الجنوب، ولكنه بتّ حكمه في كونها بربرية الأصل وأن سكّان المغرب كله قبل الإسلام صنهاجيون إذ قال:

«وهي «الغفارة» كلمة قبائلية زواوية صنهاجية، والوطن من المغرب الأقصى إلى منتهى طرابلس صنهاجي فعربي، أعني أنه بربري صنهاجي قبل الإسلام، فعربي بعد الإسلام».

والحكم بكون سكّان المغرب صنهاجيين خلاف ما عليه النسّابون فليراجع «ابن خلدون» أو ما لخصناه بكتابنا «تاريخ الجزائر في القديم والحديث» (١/ ٦٤ ـ ٦٦).

وأما الحكم ببربرية «الغفارة» فلعل الشيخ استند فيه إلى قِدم البربر بهذا الوطن وسبقهم العرب إليه ولا يكفي ذلك لبتِّ هذا الحكم، ولا بدّ لصحته من معرفة «الغفارة» بهذا الوطن قبل مجيء العرب وذلك من المتعذّر.

ثم إن الشيخ فسّر «الغفارة» بالزيارة ونحن فسرناها بالخفارة.

والزيارة على المتعارف عندنا: أداء مالي غير محدّد النوع والمقدار والزمان، فإنّ الخادم يؤدّي لمخدومه عند تلاقيهما أو زيارة أحدهما الآخر ما تيسّر عليه، ولكن الغفارة محدّدة النوع والمقدار والزمان، لازمة على ورثة التابع لورثة المتبوع كما شرحتها في العدد (٤٢) من «البصائر».

ويشهد لكون «الغفارة» عربية:

١ ـ كونها في لسان قبائل عربية محضة لم تختلط بالبربر مثل الأرباع وأولاد نائل والبوازيد.

٢ ـ وكون تأثير العربية في البربر أقوى من نفوذ البربرية إلى العرب، فإن تبربر العرب مثل «توابة بجبل أوراس» لا يكاد يذكر في جانب استعراب لسان البربر لمكان العربية من الإسلام ومكان الإسلام من البربر، فإذا وجدنا لفظة كالغفارة في اللسانين وخفي شأنها علينا كان الحكم بعربيتها أقرب.

٣ ـ وإن وزن الغفارة من الأوزان العربية.

٤ ـ ولفظها قريبٌ جدًّا من لفظ الخفارة التي لا يشك في عربيتها، بل هما متحدان، واختلافهما بالحرف الأول ـ وهو حلقي ـ لا يجعلهما كلمتين؛ لأنّ حروف الحلق كثيرًا ما تبدل بعضها من بعض، وهذه كلمة «أراق الماء» يقول فيها العرب «هراق» وتقول فيها عامتنا «حراق الماء».

٥ ـ ومعنى الغفارة بالخفارة أشبه منه بالزيارة، وقد بيّنا معنى الغفارة ومشابهته لمعنى الخفارة فيما نشر بالبصائر. وبيّنا في هذه الكلمة افتراق الزيارة من الغفارة على ما عرفناه من استعمال الناس.

وبعد هذه الشواهد لا أزال كما كنتُ لم أبتّ الحكم بعربية الغفارة وإنما أراه ظنًّا غالبًا.

وقد ختم الشيخ أبو يعلى كلمته باقتراح مراجعته وتحكيمه فيما يعود إلى لسان البربر.

وأنا أعترف بحاجتي إلى تنفيذ هذا الاقتراح، وأسأل الله أن يبلّغنا أمنيتنا في الشيخ بإطالة حياته لإفادتنا فيما يعنّ لنا من أقوال وأحوال البربر.

وبعد؛ فلعلّ من القُرّاء من يعيب علينا إطالتنا هاته في موضوع كهذا، فنقول له:

أولاً: نحن في شهر رمضان، والصائم في حاجة إلى تمضية الوقت فيما يخفّ على فكره وسمعه، وهذا غرض يتطلبه الكاتب والقارئ معا[1].

وثانيًا: إن الشيخ أبا يعلى أظهر في كلمته من لطيف الآداب ما استحق المكافأة عليه، والله يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾ [النساء: ٨٦]، وهذه بيني وبين الشيخ أبي يعلى.

وثالثًا: إن ملاحظة الشيخ كانت نزيهة، وفي تكرار الملاحظات البريئة على القُراء تثبيتٌ لِلَكة المناقشات الطاهرة في أنفسهم ووقوفٌ بهم على طريق خدمة الحقائق واحترام الأشخاص، وهذه ناحية تهمّ الأدباء.

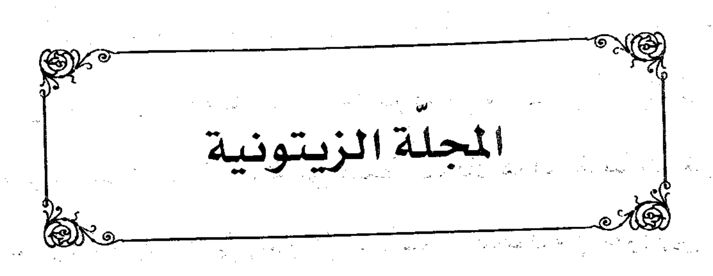
ورابعًا: إني انقطعت عن الكتابة منذ أمد، فأردتُ أن أحاولَ فتح شاهية الكتابة، وفتح الشاهيات إنما يكون بما يخفّ حمله ويسهل هضمه، وهذا أمر يعنيني[2].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) وردت علينا هذه المقالة في شهر رمضان كما أشار كاتبها ولكن لكثرة المواد لدينا تأخر نشرها إلى اليوم. [البصائر].

(٢) البصائر: العدد (٤٨) الصادر يوم الجمعة ١١ شوال ١٣٥٥هـ، ٢٥/ ١٢/ ١٩٣٦م.



المجلّة الزيتونية

«اجتمعنا بالأستاذ مبارك الميلي في شهر رمضان الماضي ودار الحديث على النهضة الإصلاحية التي ظهرت بجامع الزيتونة المعمور وكان من ثمارها «المجلة الزيتونية»، فأخبرني الأستاذُ أنه كتب لها تقريظًا وأرسله إلى إدارتها، وكنا نحسب أنه يصدر بجزء شوّال. ولما اجتمعتُ بالأساتذة أصحاب المجلة بشهر شوّال أخبروني باتصالهم بالتقريظ، واعتذروا عن تأخره بكثرة المواد، وذكروا لي أنهم سينشرونه ـ مع تعليق على شيء فيه ـ في جزء ذي القعدة، فصدر الجزء ولم ينشر فيه، فلما اجتمعتُ بالأستاذ الميلي في العشرين منه تذاكرنا أمر التقريظ وتأخّر نشره، وسألته هل فيه ما جعل نشره على الإخوان ثقيلا؟ وطلبتُ منه أن يطلعني عليه وأن يأذن لي في نشره فأعطانيه فلم أجد فيه إلاّ كلّ ما يسر ويفيد فبادرتُ بنشره فيما يلي»[1]:

* * *

جامع الزيتونة أقدم الكليّات الإسلامية الثلاث، ومنه انبعث الضوء نحو المغرب فتأسّس بفاس جامع القرويين، ثمّ انفصل منه نور نحو المشرق، ازدهر بالقاهرة فكان الجامع الأزهر.

فلجامع الزيتونة الفضل العام على العالَم الإسلامي في حياته الفكرية، ثمّ له

(١) هذا التَّقديم من مجلة «الشهاب»، وهو من تحرير الشيخ ابن باديس كما لا يخفى.

علينا الفضل بصفة خاصة، فبه انتفعنا فيما كتب لنا من علوم الدين ووسائلها.

لذلك تجدنا نهوى جامع الزيتونة ونعرف له منزلته فيسوءنا ويضعنا كلّ ما يتتابه من خلل، ويسرّنا ويشرّفنا كلّ ما يدركه من شرف، وإنّ هوانا له لهوى عاقل، وإنّ معرفتنا لمنزلته لمعرفة سالمة من التعصّب، فلا هوانا يمنعنا أن ندرك ما به من ضعف، ولا هو يحملنا على إكبار كلّ ما يتّصل به فنكون من المغرورين.

نكتب هذا وبين أيدينا أثر من آثار ذلك الجامع المعمور، هو الجزء الثالث من «المجلة الزيتونية» الممتعة التي يحمل عرشها أربعة من شيوخه المدرّسين وفتيانه الأقوياء، ممن جمعتنا وإياهم حِلق الدروس، وذكرونا اليوم بإرسالهم لنا هذا الجزء.

إني لأشكر رجال إدارة المجلة وأعجب بهمّتهم لنهوضهم بهذا العمل الجميل الجليل ولحفظهم لعهد اجتماعنا في الطلب وإن تطاولت عليه غبر وحقب.

ثم لِنعُد إلى مجلتنا فلننظرها بعين ذلك الهوى العاقل في غير تعصّب أو احتقار، فإنّا نجدها روضة باسقة الأغصان، وارفة الظلال، متنوّعة الأشجار، ناضجة الثمار.

وإذا كان بها نقص فبالإضافة إلى مجد ذلك الجامع التالد، إذ هي لسانه المعرب عن مبلغ حياته الفكرية وبيانه العربي، وعلى تلك الحياة وذلك البيان يقوم مجد جامعنا الطريف، وكلّ ما يخشى الهائم بحبّ جامع الزيتونة أن يقصر طريفه عن تالده، بل أن لا يفوق حاضره ماضيه حتى لا يخرج عن سُنَّة النشوء والارتقاء.

إن الذي سرّني جدًّا وملأني ثقةً بحسن مستقبل مجلتنا وتحسين سمعة جامعنا هو اشتباك إمضاءات فتية ناشطين بإمضاءات شيبٍ متبصّرين، وإنّ تعاون فتوة

الفتيان وحنكة الشيوخ على الأخذ بيد هذه المجلة لمّا يبشّر بثبوت قدمها في سلّم الكمال، ويضمن لها السير في طريق الاستقامة والاعتدال ، ويربّي النشء على احترام الكبار، ويدعو الكبار إلى مشاركة الشبان، وفي امتزاج هاتين الطبقتين قضاء على الجمود وسلامة من التطرّف.

وليسمح لي رجال إدارة مجلتنا بإبداء ملاحظة مجملة هي من باب النظر إلى مجلتنا بعين ذلك الهوى العاقل، ذلك أنّ القواعد العلمية الإصطلاحية ينبغي أن يُستعان بها على الفهم ولا تُستعمَل للتفهيم بهذه الصُّحُف السيارة التي يُخاطَب بها كلّ الطبقات ويقصد فيها إلى تقريب المعاني من أذهان لم ترتض بالدرس ودقائق عبد الحكيم والخيالي، وإلى تمكين العظات من القلوب القاسيات، وإدخال القواعد الاصطلاحية في مخاطبة كلّ الطبقات قد يكون عائقًا للكُتاب عن اجتناء ثمرات أقلامهم وعقبةً تصدّ القُراء من الانتفاع بنصح النصحاء.

وقد جاء الكِتابُ المبينُ هدايةً عامّةً، فكان خاليًا من الأوضاع الخاصّة والاصطلاحات العلمية.

وعلى قدر الاغتراف من بيان الكِتاب العزيز يحصل الارتواء للقراء والتأثير من الكُتاب، وتلك غاية العاملين المخلصين.

مبارك بن محمد الميلي

(ش)[1]: لقد أصاب الأستاذ غاية الصواب فيما ذكره في شأن القواعد العلمية والاستعانة بها في الفهم دون التفهيم، وهو ما نتحرّاه فيما نكتبه من «مجالس التذكير» وما نلقيه في درسنا العام.

وهذا الذي سبق الأستاذ إلى إبدائه وكتابته قد وُفِّقتْ إليه لجنة تفسير القرآن بمصر فجاء بتقريرها الذي نشر بشوّال تحديد غرضها هكذا:

«وضع تفسير يقصد به إلى فهم معاني القرآن الكريم كما يدلّ عليه نظمه العربي المبين ومعرفة ما فيه من أنواع الهداية، ويكون في متناول جمهرة المتعلّمين فهمه والاهتداء به إلى معاني القرآن في سهولة ويسر».

ولتحقيق ذلك تُبع القواعد الآتية في التفسير:

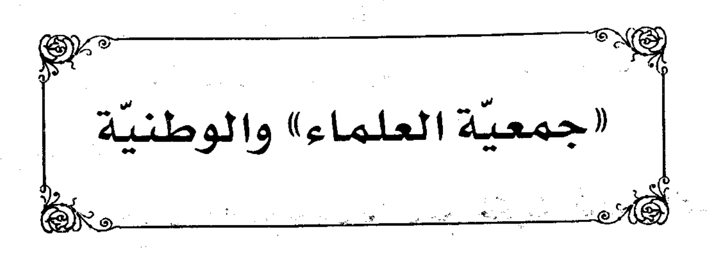
١ ـ أن يكون التفسير خاليًا ما أمكن من المصطلحات والمباحث العلمية إلاّ ما استدعاه فهم الآية» الخ.

فإذا لم يكن هذا الرأي مقبولاً عند الأساتذة أصحاب «المجلة الزيتونة» فلهم أن يبدوا رأيهم فيه تعليقًا على التقريظ بعد نشره، وإنني أرغب من إخواني أن ينشروه تحقيقًا لما سمعته منهم من الرغبة في مشاركة جميع الأقلام الزيتونية في المجلّة لتظهر بمظهرها الزيتوني العام[2].

---

(١) هذا التعليق لمجلة «الشهاب»، وهو بقلم الشيخ ابن باديس كما يظهر لمن تأمّله.

(٢) «الشهاب»: م١٢ ج١٢ الصادر في ذي الحجة ١٣٥٥هـ فيفري ١٩٣٧م.



«جمعيّة العلماء» والوطنيّة

إلى حكومة الجبهة الشعبيّة.

إلى لجنة البحث البرلمانية.

لا نعلم في وطن الجزائر جمعيّة أقومَ خطّةً وأوضحَ غايةً وأصرحَ لهجةً من «جمعيّة العلماء المسلمين الجزائريّين»، ثمّ لا نعلم في هذا الوطن جمعيّة غيرها لَقِيَت ما لَقِيَته مِن معاكسات الإدارات، واختلاقات بعض الأحزاب، واتّهامات غُلاة الاستعمار.

هجم على «الجمعيّة» أعداؤها من هذه الأصناف بأسلحة؛ منها سلاح «الوطنيّة» الذي كثر استعمالهم له في هذه الأيام أيام زيارة «لجنة البحث» لهذا الوطن برئاسة السيّد «لقروزلير» الحرّ المنصِف.

وقد شرح البارِزون من رجال «الجمعية» في كلّ مناسبة موقفهم مع الحكومة ومع الأمّة ومع بقيّة العناصر المتساكنة، وأنّهم يعملون عن علم وإخلاص للمصلحة العامّة على الأصول التالية:

١ـ المحافظة على البقيّة الباقية من دين الإسلام؛ ببيانها لأبنائه، وبالإعراب للحكومة عن تمسّكنا بتلك البقيّة، وعدم رضانا عن كلّ قانون يَمَسّ بها.

٢ـ المحافظة على مميّزات المسلم الجزائري، من لغة وأدب وخُلق شريف وعادة غير ضارّة به، ولا بِجارِه الأوربي.

٣ـ المشاركة في لسان «فرنسا»، وما يحمله من علوم ومعارِفَ تزيد العقل قوّة، والحياة جِدّة.

٤ـ إصلاح الحياة الاجتماعيّة بالتّعاون مع الحكومة والعناصر المتساكنة، على وجه يحقّق الإصلاح المنشود، ويقوّي روح الثّقة بالحكومة، وعاطفة الإخاء بين المتساكنين.

إنّ عملاً يقوم على هذه الأصول هو العمل الذي يتّفق ورغبةَ الأمّة المسلمة الجزائريّة، ويحقّق لفرنسا أنّها حكمت أمّة غيرها عن طواعِية.

فإن كان هذا العمل هو معنى «الوطنيّة» عند خصومنا فنحن به معترفون، وبسبّته متشرّفون، ولكلّ أذًى يلحَقنا في سبيله مستعذِبون.

وإن كانت «الوطنيّة» في لسان أولئك الخصوم معنًى آخرَ غير ذلك فنحن نعلِن في صِدقِ إنكارَنا له، ونتحدّى عن ثِقةٍ مَن يريد إثباتَه علينا، ونصرّح بإخلاصٍ أنّنا بُرآء منه.

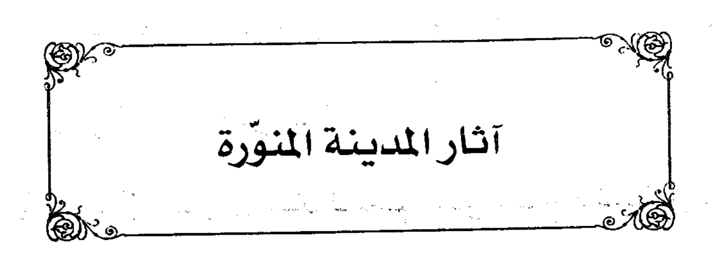
هذا ما نسجّله ونلقي به في أُذن حكومة «الجبهة الشعبيّة» التي نرجو أن لا تَغلبنا الأيّام على ثقتنا بها، وفي أُذن «لجنة البحث» المحترَمة التي لا يزال ظنّنا حسنًا بنتيجة بحثها، ونُلقي به لكلّ من يريد أن يفهَم حقيقَتنا كما هي، سواء كانت لنا أو علينا، فنحن متحمّلون لمسؤليتها وواثقون بمشروعيّتها[١].

مبارك بن محمد الميلي

أمين مال «جمعية العلماء» ورئيس الجمعية الدينية بميلة

---

(١) «البصائر»: العدد (٦٥) الصادر يوم الجمعة ١٨ صفر ١٣٥٦هـ، ٣٠/ ٤/ ١٩٣٧م.



آثار المدينة المنوّرة

في «الموطأ» أجلّ آثار فقهاء المدينة المنوّرة، وفي «الصحيحين» أيضًا عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم طلَع له أُحُدٌ فقال:

«هَذَا جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ، اللَّهُمَّ إِنَّ إِبرَاهِيمَ حَرَّمَ مَكَّةَ، وَأَنَا أُحَرِّمُ مَا بَيْنَ لَابَتَيهَا»[1].

أخبر الرّسول الكريم عليه أفضل الصّلاة وأكمل التّسليم أنّه يحبّ جبَل أُحُد، وأنّه يُلحِق ما بين لَابَتي المدينة بحَرَم مكّة.

والمسلم ـ بحكم إسلامه ـ يحبّ النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، ويسلِّم لحكمه تسليمًا؛ فعلَيه أن يحبّ جبَل أُحُد؛ لأنّ محبوبَ المحبوبِ محبوبٌ، وأن يحرّم ساحة المدينة، ويحترم ما يُضاف إليها من مَعالِم، وما يُذكَر بها من أماكن.

وهذه العرب في جاهليّتها إذا شَبَّبَ شعراؤها بغَانِيَة وصَفُوا ما نَزلَته مِن مَغانٍ وما يُوصل إليها مِن مَذاهِب.

وهؤلاء فُحول المدِيح النّبويّ يُبدون في طلائِع قصائِدهم عواطِفهم نحوَ طَيبَة

---

(١) أخرجه مالك (١٧١٠ ـ بشرح الزرقاني) والبخاري (٢٨٨٩ و٢٨٩٣) ومسلم (١٣٦٥) عن أنس.

وأعلامِها التّاريخيّة، كقول الصّفي الحِلّي[1] مَطلَع بَديعيّته:

إن جِئتَ سَلعًا فَسَل عَن جيرَةِ العلـمِ وَاقرَا السّلامَ عَلى عَـرَبٍ بِـذِي سـلمِ

ومثل قول عبد الغَنيّ النّابلسي:

يَا مُنـزِل الرَّكـبِ بَـين البـان فَـالعلم مِـن سـفحِ كاظِمَـة حَيِيـت بِالـدِّيمِ

وقَبلهما البُوصِيري يقول في طالع بُردَته:

أَمَـن تَـذكُرُ جِـيرَان بِـذِي سـلمِ مُزِجَت دَمعًا جَرَى مِـن مُقلَـة بِـدَمِ

أَم هَبَّـتِ الـرِّيحُ مِـن تِلقَـاءِ كَاظِمَـة وَأَومَض البَرقُ فِي الظّلماءِ مِن إِضَـمِ

وآخرهم أميرُ الشّعراء شَوقِي يقول فاتحَةَ نهجِ بُردَته:

رِيـم عَـلى القَـاعِ بَـين البـان فـالعلمِ أَحلَلنَ سَفكَ دَمي في الأَشهُرَ الحرمِ

مكّةُ ومشاعرها تذكّر بالخليل وحَنِيفيّته، وطَيبَةُ ومعالمها تذكّر بالحبيب وشريعته العامّة التّامّة، وما بذل من مُهَج ووضّح من حُجَج في سبيل نشرها ونصرها، لكن الإسلام الذي فَرض على أهله حجّ مكّة وزيارَة مشاعرها رَفع عنهم الحرَج وخفّف عنهم الحكم، فلم يُرهقهم بفرضيّة شدّ الرّحال إلى طَيبة ومعالمها، غيرَ أنّ حديث أنس المتقدّم يُومئ إلى إيجاب هذِه الزّيارة إيجابًا أدبيًّا.

وفي إسناد تحريم مكّة إلى الخليل، وتحريم المدينة إلى الحبيب ـ مع أنّ أصل التّحريم من الله ـ تنبيهٌ إلى داعي هذا التّحريم، وإشارة إلى تأكيد ذلك الفرض الأدبيّ.

---

(١) توفي سنة (٧٥٠هـ). الأعلام (٤/ ١٧ ـ ١٨).

وقد عُنِي فقهاء المسلمين في مناسكهم بذكر مكّة ومشاعرها؛ إذ كان الحجّ المفروض صراحةً إنّما هو إليها، واقتصروا على المفاضلة بينها وبين مكّة، ولسنا نَعرِض في هذه الكلمة إلى فصل الحكم في تلك المفاضلة، ولا نرمي ـ معاذ الله ـ إلى تضعيف شعور المسلمين نحوَ قِبلَتهم ومناسك حَجّهم، فلا يَلُوح إلى ذلك إلّا زِندِيق، وإنّما أريد أن لا يَقِلّ شعورنا نحو طَيبة عن شعورنا نحو مكّة، وأن نذكّي جَذوة هذا الشّعور بمُطالعة ما يصف لنا ما هنالك من آثار، والتّطلّع إلى ما يجد ثَمّة من أخبار، وإلفاتنا الأنظار نحو آثار المدينة المنوّرة لضعف العناية بهذا الموضوع، حتّى أنّه صدر كتاب بالعنوان الذي وضعناه لهذا المقال، وطبع منذ سنوات، وأنا شخصيًا لم أسمع به حتّى أهداه إليّ مؤلِّفُه الكاتب الأديب والمفكّر الحكيم الأستاذ عبد القُدُّوس الأنصاري.

وقد أنشأ هذا الكاتب الخبير مجلّة باسم «المنهل»، فلم أعثُر على أيّ عدد منها حتّى طلبتها منه، هذا مع خِبرتنا بكثير من تآليف مِصر قبل بروزها من المطبعة!

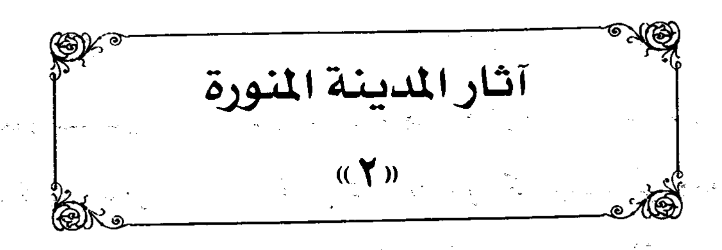
إنّ عنايتنا بآثار المدينة المنوّرة تأتينا بفوائدَ دينيّةٍ وعلميّةٍ وأدبيّةٍ، فمطالعة آثار الفاضل الأنصاري تذكّر ـ لمجرّد اسمِهِ ـ بالأنصار وسَبقِهم إلى إجابة داعي الله، وتَبريزِهم في نشر الدّعوة بالأنفس والأموال في غير تطلّع إلى رئاسة، ولا تطلّب لحُطام، وتنقُلك هذه الذّكرى إلى ما كُتب لهم من فَوزٍ، وما حَازُوه من عِزٍّ، ثم تضطرّك إلى الحكم بأنّ هذه النّتيجة لازمة لتلك الخطّة الشّريفة في ذاتها المشرفة بغايتها.

هذه فائدة أولى، وهي على جلالتها عرضيّة بالنّظر لموضوع الكتاب[1].

(يتبع) مبارك بن محمد الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (٨٠) الصادر يوم الجمعة ٢٦ جمادى الثانية ١٣٥٦هـ ٣/ ٩/ ١٩٣٧م.



آثار المدينة المنورة

«٢»

وقد خرجتُ أنا من مطالعة «آثار الأنصاري» و«مَنهله» بفائدة ثانية: وهي دَحضِ شُبَه الزّاعِمين اختصاصَ كُتّاب الأوروبّيّين ومفكّريهم بالأسلوب المنطقِي والغَوص النّظري، واستجلاءِ الحقيقة دون إغراقٍ في الخيال.

وأنا أُشهِد الله أنّي قد وجدتُ هذه الميزاتِ والخواصّ في آثار الأنصاري وكُتّاب مجلّته، وهم أعرَقُ في العُروبة، وأبعد عن مخالطة أروبا.

فلَم يَبقَ من مستَنَدٍ لذلك الزّعم إلّا ضعف الاطّلاع على نتائج الأقلام العربيّة المستقِلّة في ثقافتها عن أروبا، أو قوّة عنصر الأُنوثة في أفكار المسلمين بذلك الزّعم الدَّهِشِين من عَظمَة أروبا الماديّة.

وإن أبى زاعِمٌ إلّا القول بأنّ هؤلاء الكُتّاب تأثّروا بما تُرجِم من كُتب الأروبّيّين لم نُبالِ بمُضيّه في سبيله، ولكن نقول له: إنّنا وقعنا تحت مدنيّة أروبا منذ أجيال، ولم ينبُت بيننا كثير ممن يمثّلون في كتابتهم وتفكيرهم تلك الميزات، على النّحو الذي ألفيناه عند هؤلاء الكتّاب من العرب الخُلّص، ونحن مثلهم عرب، فما الذي جعلهم يتأثّرون بالمدنيّة الأروبيّة على بعدهم منها، وقعد بنا نحن عن ذلك مع وقوعنا تحت نفوذها الأمدَ الطّويلَ؟!

إن دلّ هذا على شيء فهو أنّ مدنيّة أروبا كالنّار تتقوّى بما وقعت عليه وتتلِفُه، وتنعِش من لم تستولِ عليه ويتقوّى بها.

ثم نعود إلى القرّاء فندعوهم إلى اقتناء كتاب «آثار المدينة المنوّرة» للأنصاري، يعرّفهم بطائفة من دُور الصّحابة ومساجد المدينة وما حولها، والحصون والآبار، وما يتّصل بالعهد النّبوي من آثار.

يجد فيه المؤرّخُ إيضاحًا للأعلام التّاريخيّة، وتحديدًا عصريًّا للمسافات بينها، والمتديِّنُ تشويقًا إلى تلك البِقاع المحبوبة، والمحدِّثُ ضبطًا لأماكِنَ جاءت في أحاديثَ أُخِذَت منها أحكامٌ.

وندعوهم أيضًا إلى الاشتراك في مجلّة «المنهل» بعنوان صاحبها (عبد القدّوس الأنصاري)، وهي تخدم الأدَب والثّقافة والعلم.

ثم هي من آثار المدينة تعطيكَ صورةً واضحةً عن حياة أهلِها الفِكريّة، وحجّةً ناهضةً في المنافحة عن العَرب وإِكبارهم والاعتزاز بنسبتهم.

وثمن الكتاب عشرُ فرنكات غيرَ أُجرة البريد، وبَدل الاشتراك ستّون فرنكا للعموم، وخمسة وأربعون للأساتذة والطّلبة.

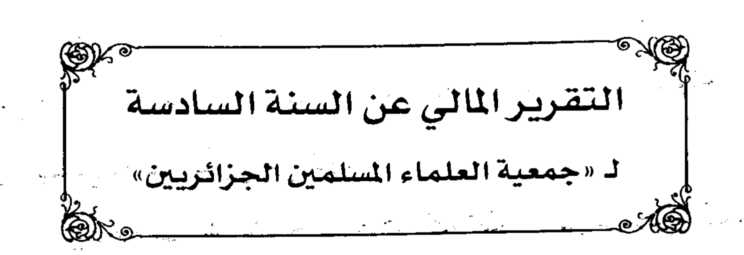
وتشجيعُ تلك الحركة المباركة عَون على الخير، «والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه»[1][2].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) جملة من حديث صحيح، تقدم ذكر الشيخ لصدره وهو: «من نفس عن مؤمن كربة..»، وتقدم ثمة تخريجه.

(٢) «البصائر»: العدد (٨١) الصادر يوم الجمعة ١٢ رجب ١٣٥٦هـ، ١٧/ ٩/ ١٩٣٧م.



التقرير المالي عن السنة السادسة

لـ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

تلاه أمين المال[1] بقاعة المجستيك من مدينة الجزائر على الجمعيّة العموميّة

يوم السبت صباحًا ٢٠ـ٧ـ٥٦/ ٢٥ـ٩ـ٣٧

الحمد لله الغنيّ الجَوَاد، العالِم بما يُصلِح العباد، والصّلاة والسّلام على النّبيّ الهاد؛ من جاء بشريعة تجمع إلى تزكية العقل إنارة الفؤاد، وعلى آله وأصحابه الأمجاد؛ الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم كلّ الجهاد، وعلى كلّ مَن سلك مثلهم سبيل الرّشاد، إلى يوم النّشور والمعاد.

ثمّ السّلام عليكم يا خير جمع عرفته الجزائر في لياليها المظلمات، وأيّامها النّحسات، فذكّرها بما كان لها في الأيّام الخاليات، وأهاب بها إلى بعث تلك العصور الزّاهرات.

أمّا بعد: فيا أيّها السّادة، إنّ الإنسان الواحد قَوامه جسمٌ ماديّ، يحفظه قُوت، ويُدِيره رأسٌ، ثمّ روح معنويّ، يدبّره عَقلٌ، ويُصلِحه عِلم.

(١) كُتب في أعلى هذا التّقرير من «جريدة البصائر»:
«خطاب الأستاذ الشيخ المبارك الميلي، أمين مال الجمعيّة في عرض حالتها المالية».

وإنّ كلّ جَمعٍ إنّما هو متكوّن من الفَرد؛ فهو يحمل خصائصه وعناصره، فكلّ جمع أو جمعيّة جسمُه المادّي هُم أعضاؤه، وقوّته هو المال المجموع من أعضائه، ورأسُه هو زعيمُه الذي أَهّلَته للزّعامة مَواهبُه وثقةُ ذلك الجمع به، وروحُ كلّ جمع أو جمعيّة هي الغاية التي جمعت أفرادَه، وعقلُه هي القوانين والنُّظم التي يسيرُ عليها، وعلمُه هو إحسان الوسائل التي تبلّغه غايتَه.

أيّها السّادة، إذا كان كلّ جمع أو جمعيّة يتركّب من الفرد، ويحتاج إليه احتياجَ المجموع إلى أجزائه؛ فإنّ حاجة الفَرد إلى ذلك المجموع، وارتباطَ حياته الخاصّة بحياة المجموع العامّة ضروريّة لا بدّ منها.

وليس لإحدى الحياتَين انفكاك عن الأخرى واستغناء عنها، ولولا توقّف الحياة الخاصّة على الحياة العامّة ما أنزل الله الشّرائعَ، ولا بعث بها الرّسل عليهم الصّلاة والسّلام.

أيّها السّادة، إنّ فائدةَ النّظر الاستنتاجُ، والذي نستنتجه من هذه النّظرة الواقعيّة غيرِ الخياليّة هو:

أوّلًا: أنّ كلّ شعب أو وَطن خلا مِن جمعيّة ذاتِ غاية تجمع شَملَه، وتخدم مصالحَه إنّما هو وَطن قَفر وشَعب مَيت.

فإن تحرّك ذلك الميت فإنّما حركته بغيره ولغيره، وإن عمّر ذلك القَفر فإنّما عِمارَتُه بإجلاءِ ساكِنيه وإقصاء قاطِنِيه.

وثانيًا: أنّ كلّ جمعيّة لا تقوم على نُظُم معقولة، وماليّة مضبوطة، فهي جِسم بلا رُوح، أو رُوح بلا جسم، وجِسم بلا رُوح إنّما وُجوده لغيره لا لنفسه، ورُوح بلا

جِسم إنّما هي مِن عَالَم آخَر لا يستفيد منها أهلُ هذا العَالَمَ عَالَمَ الشّهادَة.

أيّها السّادة، إنّ مثالَ الهياكِل الخالية من الرُّوح بوَطننا هي هذه الزَّوايا الطُّرقيّة المنتشرة في كلّ ناحية انتشارَ الجهل والفَقر؛ فإنّ مادّة تلك الهياكِل من المسلمين، ولكن مساعِيها العامّة أنّها هي لغير المسلمين، وهذا يسجّله التّاريخ القريب لهاتِه الطّرق وتُقِرّه المشاهدة الحاضرة.

وإنّ مثالَ الرُّوح التي كادت تكونُ بلا جِسم هي «جمعيّة العلماء»، جمعِيّتكم؛ فإنّ غايتها التي لا أشرفَ منها تشهَد بأنّ لها رُوحًا وأيُّ روح! وهَل أشرفُ من خِدمة العِلم والدِّين، وإصلاحِ المجتمَعِ على نورِهما؟

ثمّ هذه الغاية منظّمة بقوانينها المُحكَمَة، يقوم على تطبيقها رجالٌ ذوو عِلم وكَفاءَة.

فلو أنّ هذه الجمعيّة ـ على ما لها من رُوح شريفَةٍ ـ لم يكن لها شيء من المال لكانت مِن عَالَمَ غيرِ عالَمَنا، لا يفيدُنا وجودُها في نفسها فائِدَةً، ولكن كان لها بعضُ المال فكان لها بعضُ الفائدة، ولو أنّ مالها كان أوفَرَ لكانت خَدماتُها أجَلّ.

أيّها السّادة، إنّنا نريدُ أن نعلِنَ عن جمعيّتكم حقيقَتَين إعلانًا ليس فيه إفشاءُ سِرٍّ، وإنّما هو تنبيه غافل:

الحقيقة الأُولى: هي أنّ الجمعيّة قويّة في جُزئها الرُّوحي، ضعيفة في جُزئها المادّي.

والثّانية : هي أنّ ثَمراتِها دون قُوّتها الرُّوحيّة، وفوقَ حالتها المادّيّة.

ولوضوح هاتين الظّاهرتين لا لُزُوم للتّدليل عليهما، والشّعور بهاتين الحقيقتَين يقضي بأنّ كلّ تقصير في تقويةِ ماليّة الجمعيّة يُعتَبر تعطِيلًا لقوّتها الرُّوحيّة، وجِنايةً على العِلم والدِّين بهذا الوطن.

أيها السّادة، قد عرّفنا نبيُّنا ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنّ حظّنا من الدّنيا إنّما هو حظّ الغَريب أو المسافِر، لقوله لابنِ عُمرَ فيما رواه البخاري[1]:

«كُن فِي الدُّنيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَو عَابِرُ سَبِيلٍ».

وفَهْمُ هذا الإرشاد النّبويّ على وجهِه أن تَعرِف أنّ للمالِ ناحِيَتَين؛ ناحِية امتِلاك، وناحِية استِهلاك، ففِي حال الامتِلاك حثَّكَ على السَّعي ورَغّبك في الكَسب، وفي حال الاستِهلاك زَهّدك في تمتِيع النّفس بالممنوع، وفي الاستِرسال في المباح المفضِي إلى الغَفلة عن الواجب النّافع، ولهذا لم يَذُمّ الكتاب العزيز الغِنى إلّا باعتبار نتائِجه الضَّارَّة، فقال: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧﴾ [العلق: ٦ ـ ٧].

أيّها السّادة، إذا أَجدنا الفَرق بين حكمِ الاستِهلاك وحكم الامتِلاك، وكنّا كما يريد مِنّا دينُنا أمّةَ جِدٍّ وأعمالٍ؛ لا شَعبَ كسل وخَيال لَزِمَنا أن نُجارِي الجار في خِدمة الأراضي وعِمارة الدِّيار، وإتقان الاحتراف والاتِّجار مِن غير أن نخرج عن حُدود واهِب الدِّرهم والدِّينار، ثمّ لا نَشِحّ بعدُ بما ملكت أيدِينا عن مشاريعِنا الاجتماعيّة وجمعِيّاتِنا ذواتِ الغاياتِ السّامية، وهذا هو الذي كان عليه سَلفُكم الصّالح؛ لا يقعُدون عن الكسب، ولا يُمسِكون من الشُّحّ.

ولِأضرب لكم مثلًا: الزّبَير بن العوّام [رضي الله عنه] حَوارِيّ الرّسول [ﷺ] وابن عمّته صفيّة وأحد العَشَرة، فقد أخرج البخاري في «صحيحه»[2] أنّه لما مات رضي الله عنه ترَك أرضين ودُورًا بالمدينة والبَصرة والكوفَة ومِصر، فقُوِّمت يومَئِذٍ بخمسين ألفَ

---

(١) برقم(٦٤١٦) عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما.

(٢) برقم (٣١٢٩) من حديث عبد الله بن الزبير رضي الله عنه.

أَلفٍ ومائتَي أَلفٍ، لم يكن فيها شيء أصلُه من جِبايَة أو خَرَاج أو إِمارَة إِلَّا شَيئا غَنِمه في غزواتِه. هذا والفِلس لذلِك العَهد أرفعُ قيمَةً وأعزُّ شَأنًا مِن أَلفِ فرنك اليَوم.

أيّها السّادة، إنّ الله يحِبّ المؤمن القويّ كما في الحديث[1]، وإنّ قوّة المؤمن تظهر في جمعه بين الثّروة والزّهد فيها، وإنّ الذي يُؤهّله لهذه المنزلة الرّاقية هو فقهُه لمثل آية ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

جاء عن السّلف أنّ الوقوع في التّهلُكة هو بالبخل وترك الإنفاق في طُرق الخير.

وعبّر عن ذلك مجاهد المفسِّر التّابعي تلميذ تُرجمان القرآن[2] فقال: «لَا يَمنَعُكم مِن نَفقَةٍ فِي حَقٍّ خِيفَةُ العَيلَةِ».

وجاء عنهم أيضًا أنّها نزلت في القُعود عن الجهاد والرُّكون إلى الملاذ، وليس بين الوَجهَين تَنافٍ، فكلّ قُعود عن نُصرة الحقّ وفِعل الخير هو إلقاء للنّفس باليَد إلى التّهلُكة.

وفِقهُ الآية: أنّ الهلاك في التّقصير خَوفَ الهلاك؛ فهي قَلبٌ لاعتِقاد المقصِّر، كما قُلِب اعتِقادُ الهلاك في القِصاص بقوله: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقد جاء أصل هذا المعنى في قوله: ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦].

أيُّها السَّادة، إنّما نكرّر هاتِه الآية النّاهية عن الإلقاء باليَد إلى التّهلُكة في كلّ تقريرٍ تقرِيرًا لها في أذهانِكم، وتثبِيتًا لمعناها الصّحيح في نفوسكم، وقد قُلنا في طالِعة

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة مرفوعا: «الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ...» الحديث.

(٢) يعني الصحابي الجليل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.

هذا التّقرير إنّ الجمعيّات تقوم على النُّظُم المعقولة، والماليّة المضبُوطة، وقد وضعتُمُوني موضِع ضَبطِ للماليّة، فهاكُم الحساب.

- بقِي في اجتماع السّنة الماضية	٦٢٨٢٥،٤٥
- دخَل من الشُّعب لهاتِه السّنة وما لحِق فيها لما قبلها	٧٣٣٨١،٥٠
- ودخَل مِن بيع سِجلّ المؤتمر	٣٧٩٠
- مجموع ذلك	١٤٠٠٠١،٩٥
- وجُملة الخارِج	٨٠٣٥٠،٢٥
- وبقِي اليوم لجمعيّتكم	٥٩٦٥١،٧٠

وهذا تفصِيل ما قُبض في هذا العام:

شُعبة الجزائر	على يد الشّيخ العُقبي	٥٢٩٠
-	// السّيّد بطحوش	٦٧١٥
-	// الشيخ أبي اليقظان	٩٢٠
تلمسان		٢٠٠٠
		١٤٩٢٥
شُعبة قسنطينة		٤١٥٠
المدية		٦١٨٦
البرواقية		١٧٤٥
قصر البخاري		٦٢٥
		١٢٧٠٦

شُعبة:		شُعبة:	
قالمة	١٣١٥	تبسة	٢٢٧٥
عين قشرة	١٣٢٥	عزابة لسنتين	٤٧٠
بلعباس	٩٤٠	بريكة	٣٠٠
سكيكدة	١٣٥٠	أريس	٤٦٠
القنطرة لعامين	٥٠	ميلة	١٦٧٥
قمار	٧٢٠	شرشال	٦٩٣
الواد	١٤٠٠	صدراته لعامين	٢٥٢٠
الأصنام	٥٧٠	عنابة للماضية	٣٠٠
دلس	٩٧٥	شاطودان لعامين	٨٢٥
بوسعادة	٥٠	سوق هراس لعامين	٨١٥
مستغانم لعامين	٦٥٠	كروبير للماضية	٥٠٥
سيدي عيسى	٢٠٠	غليزان	٥٥٠
(جمع)	٩٩٩٥	(جمع)	١١٣٨٨

برج منايل	١٢٠٠	الأغواط	١٢٠٥
القرارم	٢٠٠٠	سطيف	٢١١٥
سيق	١٧٥٥	قلعة بني عباس	٥٥٠

وهران	٧١٥	الميلية	٧٧٠
أقبو	٣٥٠	خنشلة	٢٦٥
بوفاريك	٥١٢،٥	عين البيضاء	١٠٠٠
عين ياقوت	٤٥٠	مسكيانة	٤٠٠
تاملوكة	١٣٢٥	تيزي وزو	١٠
الجلفة	٢٢٠	المعسكر	٣٠٥
ميشلي	٣٤٠	الأجناح	٢٧٠
(جمع)	١٨٨٦٢،٥	(جمع)	١٩٨٧٨

بجاية	٥١٠	جيجل	١٣٥٠
تيارت	١٢٠	العلمة	٩٥٢
بسكرة	١٦٨٠	باتنة	١٠٠٠
عين مليلة	٣٨٨	قنزات	٥٨٥
		لجنة الإدارة	٤٢٥
			٢٤١٩٠

جملة الداخل: ١٤٠٠٠١،٩٥

جملة الخارج: ٠٨٠٣٥،٢٥

جملة الباقي: ٠٥٩٦٥١،٧٠

هذا وقد طبع من «سجل المؤتمر» ثلاثة آلاف نسخة تباع الواحدة بخمسة عشر فرنكا، ولم يُبَعْ منه لقرب العهد بتوزيعه وعدم سماع الكثيرين به إلاّ مائتان وثلاث وخمسون نسخة، بالجزائر ست وخمسون، وببلعباس خمس عشرة، وبقمار عشرًا، وبالأصنام ثمانيًا، وبميلة إحدى وعشرون، وبالمدية ثلاث عشرة، وبعين البيضاء تسعًا وعشرين، وبتبسة خمسين، وببجاية اثنتين ، وبباتنة أربعين، وبقالمة تسعًا.

أمّا تفصيل الخارج فهو كما يلي: ٨٠٣٥١،٢٥

في أوراق ومِداد وأقلام ومحادثات سلكية لمكاتب الرئاسة والكتابة والرقابة وأمانة المال ٢٨٠٢،٥٠

وفي كراسي ومكروفون اجتماع السنة الماضية ومحلّ المجستيك اليوم ٢١٣٠،٠٠

وفي الاجتماعات الإداريّة؛ مَركبًا ومَسكنًا ومَأكلًا ٨٨٨٥،٠٠

وفي المشاريع العلميّة والدّينيّة بفرنسا وبالجزائر ٣٣١٢٣،٥٠

وفي أسفار الوفود بالعمالات الثلاث ١٧٣٨٥،٧٥

وفي طبع المناشير وتوزيعها وأوراق واحتجاجات ٤٧٧٩،٢٠

وفي طوابع بريد ووصولات ٢٤٤،٣٠

وفي طبع «السّجل» عِلاوة على ستّة آلاف في السنة الماضية ٩٠٠٠

وفي إمداد «البصائر» عِلاوة على عشرة آلاف في السنة الماضية ١٢٠٠٠

هذا تنصيل الخارج المجمل، وإجمال الخارج المفصّل في دفتر جمعيّتكم الموضوع تحت نظر من شاء الاطلاع عليه منكم، ولا تهابون من طلب حقّكم في الاطلاع؛ فإنه غير منافٍ للثّقة بمجلس الإدارة.

وبعد، فهل أنتم على هذا الحساب موافقون، وبمجلس إدارتكم واثقون؟ (أجمعوا برفع الأيدي على الوِفاق والثّقة).

وإنّا لنرى في هذه السّنة زيادة في الدّاخل وفي الخارج أيضًا، مما يرشدكم إلى أنّ الجمعيّة في تقدّم مطّرد والحمد لله، وأنّ إدارتكم تنفق قدر ما تجد، وتعمل بمبدأ العربي القائل: «على قَدر الكساء مددتُ رجلي».

أيّها السّادة، أوصِيكم وإيّاي بتقوى الله؛ فإنّها سبيل الكمال والسّعادة، وأُحذّركم مِن العِصيان؛ فإنّه عِلّة الرّذِيلة ومَنبت الشّقاء، وأُوصِيكم بالجِدّ في الكَسب والإتقان للعمل؛ فإنّها سبب القوّة والتّفوّق ومادّة الإحسان وصِلة الأرحام، وأُحذّركم البطالة والخرق؛ فإنّها مَصدر العجز والتأخّر، ثمّ أُوصِيكم بالبَذل والسّخاء في المشاريع النّافعة؛ فإنّها مَنبع حياة المجتمع وسلّم رُقيّ الأمّة، وأُحذّركم من الشُّحّ في المصالح العامّة؛ فإنّه إلقاء بالأيدي إلى التّهلُكة وجِناية على الجِنس ومقوّماته من دِين ولغَة وعادة صالحة.

وقد اختصرنا الاستشهاد على هذه الوصايا والتّحذيرات من الكتاب والسّنّة اقتِصادًا في الزّمن، واكتِفاءً بشعور النّفس العام في ذلك.

وإن حَرصتم على تنفيذ هذه النّصائح الإسلاميّة كنتُم من المخلِصين بقوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝١٧ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ۝١٨﴾ [الزُّمَر: ١٧ ـ ١٨][1].

(١) «البصائر»: العدد (٨٣) الصادر يوم الجمعة ٢٥ رجب ١٣٥٦هـ ٣٠/ ٩/ ١٩٣٧م.



رحمه الله تعالى

(1896م - 1945م)

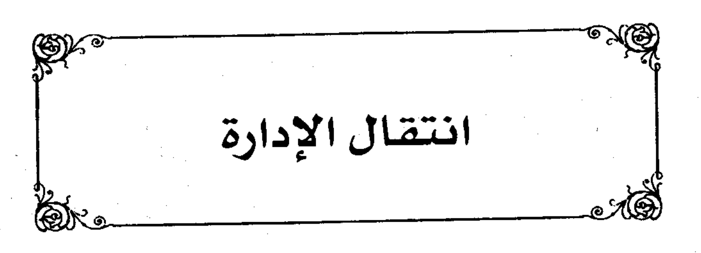
(المجلد الثاني)

جمعها ورتبها وعلق عليها وخرج أخبارها

أبو عبد الرحمن محمود

دار الرشيد





انتقال الإدارة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، يؤتي الحكمة من يشاء، ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرًا كثيرًا، والصلاة والسلام على المبعوث بجوامع الكلم الهادي إلى صراط مستقيم، صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض، وعلى آله وأصحابه الهادين المهديين.

﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

أما بعد؛ فإنّ الحكمة هي العلم الصحيح المثمر للعمل النافع، وإن صراط الله هو الدِّين الخالص، وإنّ أصل الهداية إليه والاهتداء به بالدعوة إلى الله على بصيرة وموالاة السلف الصالح ومصافاة الصدور.

وإن الغاية من تأسيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» هي إعلان تلك الحكمة وإبلاغ ذلك الدِّين الخالص، وإنّ مبنى خطّتنا وقوام وسيلتها في الوصول إلى غايتها هي الدعوة عن بصيرة، والائتساء بمن سبقونا بالإيمان، وتطهير الصدور من الأحقاد، وتحليتها بمحض الوداد.

وإن من أهمّ الخطط وأعمّ الوسائل لتحقيق الغايات ونشر الدعوات إنشاء الصُّحُف السيّارة التي تحفظ جيّد الأقوال وسديد الأنظار، وتدخل بها على الطالب في مسكنه، وعلى التاجر في متجره، وعلى الصانع في مصنعه، وعلى الملإ في ناديهم، وعلى المسافرين في مراكبهم، بل لا يحجبها عن الفتيات خدر ولا حرس، ولا يحول بينها وبينهنّ خَفَرٌ ولا شرس.

وما وُجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وُجدت لها صحف تعبّر عنها، وتبشّر بها، وتدافع دونها، ثم جاءت «جمعية العلماء» فجمعت أشتات الحاملين لتلك الفكرة، وضمّت إليها أطرافاً من الخاملين فيها ومن الحاملين عليها، فثبت من ثبّته الله، وانخزل[1] من خذله ضعف إيمانه.

وفي أواخر السنة الثانية للجمعية استطاعت إنشاء صحيفة خادمة لغايتها، ناطقة بلسانها، مبلّغة لدعوتها، فعرف لها القُراء: «السُّنَّة» فـ«الشريعة»، فـ«الصراط»، ثم هذه «البصائر».

اختارت إدارة الجمعية لإدارة «البصائر» الكاتب المبين، والخطيب البليغ، والداعية البصير الأستاذ الشيخ «الطيب العقبي»، واعتمدت في هذا الاختيار على تلك الصفات التي عُرف بها «العُقبي»، إلى ماضيه الصحافي شرقًا وغربًا، فقد كان بالمشرق من محرّري صحيفة «القِبلة» بمكّة من أرض الحجاز، ثم كان بالمغرب مديرًا ومحرِّرًا لصحيفة «الإصلاح» ببسكرة من مدن الجزائر.

وكانت الظروف التي برزت فيها «البصائر» ظروف انتقال من عصر

(١) كذا في الأصل، ولعلها: انخذل.

م. «ميرانت» الشهير بحملاته على «جمعية العلماء» وبعدائه الشخصي للأستاذ العُقبي إلى عهد م. «ميو» الذي أظهر نحو الأستاذ عواطف جميلة، وفتح أذنيه للجمعية فتحًا فتح باب تبادل الثقة وقوّى الرجاء في إدبار عصر التشاؤم وإقبال عهد التفاؤل.

نظرت «الجمعية» في اختيارها لإدارة «البصائر» ـ والحالة تلك ـ إلى كفاءة المدير ومقدرته، غير حاسبة حسابًا لأشغولته، ولا مصيخة إلى معذرته، لحسن ظنّها بالعهد الجديد، وإن مديرنا سيترك لمهمته ويتفرغ لمهنته، ولكن:

ما كلّ ما يتمنّى المرءُ يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

فقد تضاعفت حول مديرنا الدسائس، وضايقته في ضرورياته الأشغال، فلم يطمئن له معها بال، ولا استراح من هجوم بلبال، وزاد في عنائه أن ليس لمضايقة تلك الأشغال ثمرة مادية ولا لذة روحية، وأنها حالت بينه وبين تحقيق ظنّ إخوانه في إبراز الجريدة على صورة تناسب سمعة الجمعية، وتعرب عن حقيقة موهبة المدير، وأصبح يشعر بانحطاط الجريدة من ناحيتها المادية والأدبية انحطاطًا مُزريًا به وبالجمعية معًا.

فلم يطق إضافة هذا الهمّ إلى همومه وكرّر على إخوانه أعضاء المجلس الإداري للجمعية رجاءه في الإعفاء من إدارة الجريدة، ولكنهم لم يجيبوا طِلْبته رغم شعورهم بما شعر به، وأخيرًا أبرم حكمه وأبلغ إدارة الجمعية بصفةٍ باتّةٍ استقالته من إدارة الجريدة، فشكر له إخوانه صبره وقبلوا منه استقالته وعذره.

ونظرتْ إدارة الجمعية في من يتولى إدارة الجريدة فأسندتها إلى هذا العاجز

إسنادًا لم يكن له فيه اختيار، ولم يكن لها فيه مستند غير حسن الظن.

أَبَيْتُ هذه التولية إباءً نظرتُ فيه لمصلحة الجمعية بأني لم تتقدّم لي صلةٌ بإدارة الصُّحُف إلاّ بكتابة مقالات كسائر الناس، ونظرتُ فيه لمصلحة جسمي بأني لم أزل في حاجة إلى الراحة لا تمكنني من مباشرة عمل منظم مستمرّ شاقّ، ولا سيما إدارة جريدة لجمعية عظيمة كجمعية العلماء في وطن لم يفقه حقّها عليه وواجبه نحوها في إمدادها بصحيح الأنظار وشيء غير قليل من النضار، وما يقوم مقامه في هذه الديار.

وبعد أن دافعتُ عن وجهة نظري دفاعًا صادقًا لم يسترب فيه أعضاء الإدارة دفعوني إلى إدارة الجريدة ولم يدفعوا دفاعي عن نفسي وعن مصلحة الجمعية بغير حسن الظنّ بي ورجاء مساعدة الأقدار لصحتي، فتقدّمتُ إلى العمل وأنا أردّد قولهم في المثل: «مُكْرَهٌ أخاكَ لا بَطَلٌ» متكلاً على المولى الأجلّ، فما خاب عبد عليه اتّكل.

ثم آمل من الكُتاب والقُراء جميعًا أن يفقهوا حقيقة هذه الصحيفة ويقدّروها قدرها، فهي صحيفة جمعية ومبدأ، وعلى كلّ مؤمن بمبدأ أن لا يدّخر وسعه في نشر صحيفة تخدم ذلك المبدأ ، ولا يألو جهده في إمدادها ماديًا وأدبيًا، وعلى كلّ فرد من أفراد جمعية أن يقوّي صوتها في الدعوة إلى مبدأها ويطلق لسانها الناطق باسمها.

إن «جمعية العلماء» ذات سمعة عالية واسعة، ولا يحفظ لها تلك السمعة ويزيدها ظهورًا وإكبارًا داخل الوطن وخارجه من أوليائها ومن أعدائها كرقيّ صحيفتها الممثّلة لخطّتها في خدمة الدِّين، وعملها في ترقية المجتمع، وقد وضع الرئيس الأستاذ عبد الحميد باديس دستور ذلك في افتتاحية العدد الأول من «السُّنَّة»، فقال:

«عملُنا نشرُ السنة النبوية المحمدية وحمايتُها من كلّ ما يمسّها بأذية، وخطّتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم، ودعوة المسلمين كافّة إلى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم، وغايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدي نبيّهم في الأقوال والأفعال والسير والأحوال حتى يكونوا للناس كما كان هو ﷺ مثالاً أعلى في الكمال».

وتطبيق هذا الدستور الحكيم يتطلّب من حيث التحرير أقلامًا متفاوتة الدرجات، متنوّعة المواضيع، حسب تفاوت الناس في الاستمداد من السُّنَّة، وحسب تنوع بيان السُّنَّة للواجبات والإصلاحات في الفرد وفي المجتمع، إلى مباحث علمية وعمرانية تدخل في بيان تلك السُّنَّة.

ويتطلّب من حيث المال صدق بائع الجريدة وأمانته وحسن أداء المشترِك وغيرته، ثم تعميم نشرها بيعًا واشتراكًا، وهي لا يمكن أن تقوى على الحياة ما لم يكن لها على الأقل ثلاثة آلاف مشترك يؤدّي واجبه من غير طلب أو مع طلب في غير إلحاح.

وقد قدّم بعض أهل الغيرة والنظر اقتراحات ترفع ـ إن شاء الله ـ مستوى الجريدة، فقابلتها إدارة الجمعية بالاعتناء وقبلتها من غير استثناء، ونحن نسجّلها في هذا المقام راجين تنفيذها من أنصار الجمعية وأرباب الأقلام:

١ ـ على العلماء البارزين أن يُعنَوا بتحرير المقالات الراقية في صحيفتهم.

٢ ـ وعلى شباب العلماء أن يتقدّموا إلى ميدان الكتابة وإن لم تنضج أفكارهم بشرط واحد هو أن لا يثوروا من تصرف الإدارة فيما رأت التصرّف فيه بالتنقيح أو بالتلخيص

أو بالإهمال، فإن الثقة أساس التعاون، والمدير قد يرى ما لا يتفطن له الكاتب.

٣ ـ وعلى من آنس من نفسه المقدرة على التحرير أن يكاتب الإدارة لتتخذه مكاتِبًا في جهته بشرط واحد هو الصدق في التصوير، مع مراعاة أنّ الجمعية وجريدتها فوق حزازات النفوس ونزاعات الأحزاب، فالمكاتب يقصد إلى تصوير الحقيقة، لا إلى شفاء النفس من فرد أو جماعة.

٤ ـ وعلى أعضاء الجمعية أن يخبروا إدارة الجريدة بكلّ عمل يقومون به في خدمة الجمعية، وبكلّ عقبة تعترض سيرهم نحو غايتها، وبكلّ ظلامة تقع عليهم من أجل مبادئها، لتقوم إدارة التحرير بإبلاغ ذلك إلى الفكر العام، فتبيّن سير الجمعية، وتخلّد مواقف العاملين، وتشهّر بالظلمة الباغين.

٥ ـ وعلى رؤساء الشُّعب وكلٍّ غيور من أنصار الجمعية أن يرتبطوا بإدارة الجريدة للاتفاق على خطط العمل في نشر الجريدة بيعًا واشتراكًا، وتنمية ماليتها لتقوى على السير المنظم والرقيّ المطّرد.

وستكون الجريدة إن قام كلّ فريق بما عليه من تلك المقترحات مشتملةً بعد المقال الافتتاحي على أبواب هي: أخبار الجمعية في الجهات، أخبار العربية والإسلام في العالم، مقالات العلماء، مقالات شباب العلماء.

ومعنى هذا التبويب أنّ تلك النواحي أهمّ ما رأت إدارة الجمعية الاعتناء به، وليس معناه أنّ كلّ عدد يشملها جمعاء، ولا أنّ ما خرج عنها لا ينشر وإن كان مما يدخل في خطة الجمعية ويتصل بغايتها.

وهنالك ناحية أُلفِتُ إليها نظر شبابنا لما لها من المكانة في خدمة المجتمع

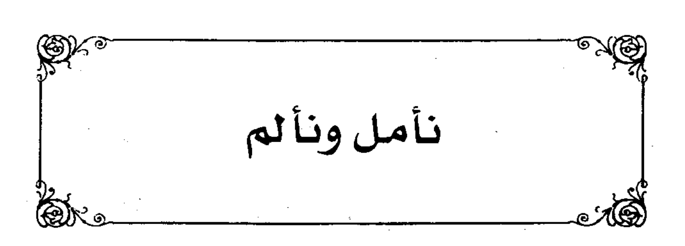
وترقية الشعور وتوحيده، ألا وهي ناحية الأدب إنشاءً ودراسةً.

وإذا كانت هناك صعوبات في دراسة أدبنا وإحياء ماضيه لفقد المواد والوثائق فإنّ قوة الشباب يجب أن تذلّل الصعاب وأن تثب إلى المطلوب وُثوبًا لا يوجب مبدأ التدرج ولا يستنكر مبدأ الطفرة، فإن ميزة الشباب الإفراط، وميزة الكهولة الاعتدال، وميزة الشيخوخة كثرة الأمل وقلّة العمل، فإن وجدنا شيخًا يحمل روح الكهل أو الشاب فتلك من حسنات الأيام، وإن رأينا شابًا في معنى الكهل أو الشيخ فذلك خروج عن سُنَّة الطبيعة ومقتضى الحكمة.

وإنّا لنرجو أن نرى في هذه الصحيفة آمال الشيوخ واعتدال الكهول وإفراط الشبان، وفي تحقيق ذلك الرجاء خيرُ الإسلام والعروبة وسعادة الجزائر[1].

مبارك بن محمد الميلي

(١) «البصائر»: العدد (٨٤) الصادر يوم الجمعة ٢٤ شعبان ١٣٥٦هـ، ٢٩/ ١٠/ ١٩٣٧م.



نأمل ونألم

إذا قلتَ نحن نأمل ونألم أغضبتَ بعضَ الطبقات، وقد تعدّ بهذه المقولة مُهيِّجًا للأغرار، مُشوِّشًا للأحوال، فوضويًا ضدّ النظام، ثائرًا على الحكمة الاجتماعية التي أعرب عنها الشاعر العربي بقوله:

لا يصلح الناس فوضى لا سُراة لهم ولا سُراة إذا جُهّالهم سادوا

وإذا وزنت المقولة بميزان العلم لم تجدها أكثر من قولك نحن أناسي، فإنّ من طبيعة الإنسان أن يأمل ما يلائمه، ويألم مما يعاكسه، وهل في قولة المرء:أنا إنسان، طغيان وعدوان؟

لا، لا، لم ينطق ناطق بأحقّ من قول القائل: أنا إنسان آمل وآلم.

نقرأ في أوليات علم المنطق المبتذلة قول الحكماء «الإنسان حيوان ناطق»، وتجدهم يشرحون الحيوان بأنه جسم نام حسّاس متحرّك بالإرادة، وترى أنهم يعنون بالنطق التفكير وإدراك الأوصاف العامة المشتركة بين جملة أشياء.

وكون الإنسان جسمًا ناميًا يحوجه إلى الغذاء والقوت وكلّ ما يحفظ جسمه

وينمّيه، وكونه حسّاسًا متحرّكًا باختياره يعطيه حاسّة الشعور بحاجته، ويجعله يأمل البلوغ إليها ويسعى في طلبها فيلذّ له الوصول إلى مبتغاه، ويألم لخيبة أمله وفشل مسعاه.

وطبعه على التفكير والغوص على المعاني يميّزه عن الأحجار والأشجار، ويفصله عن السّباع والأنعام، ويضطرّه إلى علوم تنمّي فكره وتغذّي عقله وتصحّح إدراكه، ويحوجه إلى ألفاظ يكتسب بها علومه، ويفصح بها عن أفكاره ويصوّر منها مداركه، ويلفته إلى عدالة تحفظ حقوقه وترسل مواهبه وتظهر شرفه على ما يشاركه في الجسمية من جماد ونبات أو في الحركة الاختيارية من وحوش وأنعام.

وإذا من قال نحن نأمل قوتًا لأجسامنا وعلمًا لأرواحنا ولغةً لجنسنا وحقوقًا لحياتنا، ونألم من الجوع والجهل والجور وجحد الكرامة التي امتن الله علينا بها في قوله: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠] لم يكن في أمله أوّلاً وألمه من تلك الجيهات الأربع أخيرًا إلاّ إنسانًا طبعيًا، لم يطلب إلاّ ما يوجبه الطبع، ولم يأت في أمله بنكر أو بدع، ومن نكر عليه أن يأمل وأن يألم فالأجدر به أن ينكر على الطبيعة لا على المطبوع، وهل ينكر أحد على الماء إذا أغرق وعلى القبس إذا أحرق؟

غير أن الأمل والألم قد ينبعثان عن الحسّ والمشاهدة، ويرجعان إلى الجسم وحالته المعتادة، من طعام وشراب وما إليهما من أسباب، وحينئذ لا يكون صاحبهما إلاّ ممثّلاً لطبيعة مطلق الحيوان من النملة إلى الفيل.

وقد يجول الفكر في الماضي لاستخراج العِبر، وفي الحاضر لإدراك ما للحياة من صور، وفي المستقبل لتخيّل ما يطرأ من غير، فينشأ عن ذلك الفكر أمل في إعزاز النفس وتمجيد الجنس، ويحصل الألم من تقصير في واجب نحو الأباعد والأقارب، أو صدّ

صاد عن حقّ مُراد، فمن ذلك التقصير قعود المتشابهين في الحياة عن الاتحاد، ومن ذلك الصدّ وضع طائفة في الحقوق دون غيرها من العباد، فيحكم لصاحب ذلك الأمل وهذا الألم بأنه امتاز عن مطلق سائر الحيوان، ولكنه لم يخرج من مقتضى طبيعة الإنسان.

والأمل والألم المبنيان على الفكر هما مقياس إنسانية المرء ارتقاءً وانحطاطًا، فيكون من الرقيّ حيث بلغ أفق آماله اتساعًا وارتفاعًا، وعلى درجة حاسّة آلامه نباهةً وحرارةً من غير أن تذهب بالنفس، ولا أن تقتل الرجاء باليأس، ويكون نصيبه من الانحطاط على حسب ضيق دائرة أمله واتضاعها ؛ وباعتبار بلادة طبيعته وضلالها في تقدير الألم، كالذي يضجر من مسّ شوكة إياه ولا يئن لسلخ جلده وقطع شواه، وقد يبلغ به الانحطاط دركة الأموات كما قال الحكيم العربي:

مَـنْ يَهُـنْ يَسْهُلِ الهـوانُ عليـه مـا لجـرحٍ بِمَيِّـتٍ إيـلامُ

وأنت أيها المسلم الجزائري إنسان لا تقصيك عن إنسانيتك حكمة حكيم أفلاطوني، ولا ينتزعها منك جبروت جبّار فرعوني، فأعلن أننا نأمل ما يحفظ كرامتنا ويرقّينا، ونألم مما يلحق بنا هوانًا ويؤذينا، وإنّا لا نخشى أن نأمل ونألم، فإن أدنى الأمل حديث نفساني، وأوّل الألم شعور وجداني، وأنّى لمطلق البشر أن يطلعه الله على غيبه أو يمكّنه من الحيلولة بين المرء وقلبه؟

ومن استطاع أن يمنعك العمل لن يغلبك على الألم والأمل، والاحتفاظ بهما غير قليل ، فهما رأس مال جليل.

لِنُزِحْ عن أفكارنا كلّ حجاب يمنعنا أن نأمل، ولنزل عن قلوبنا كلّ غشاء يحرمنا أن نألم، ولنطلب كلّ الأسباب التي تفسح لنا المجال لنأمل، وكلّ العوامل

التي ترقق شعورنا لنألم.

لنكسر قيود الجمود التي غلّ بها عقولنا كلّ مستعبد لنا باسم صلاح الشيوخ والجدود، ولنقطع دابر العوائد ذات المناكر العديدة والمفاسد، فإنْ لامنا لائمٌ أو خادعنا آثِمٌ قلنا له: قد أخذنا نأمل ونألم.

لنحتقر كلّ من احتقر الحق ولا نهب إلا الفساد في الأرض، فإن هدّدنا طاغية أو حذّرنا باغية أعلمناه أنّا نأمل ونألم.

لنطلب الحقّ المضاع والعلم المشاع بالقول الجليّ والغرض البريّ، فإن حرمنا سوء ظنّ بعض الولاة، أو شوّش علينا أمرنا صخب المستبدين الغلاة فلنبق نأمل ونألم.

ليدخل «لفظ نأمل ونألم» كلّ أذن دخلتها كلمة «فاقوا»، فإن من استفاقوا من الغفلة واستيقظوا من النوم هم الذين يصدقون إذا قالوا نحن نأمل ونألم.

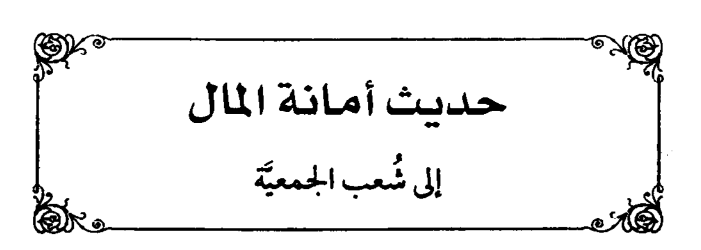
لنبلّغ كلّ الناس أنّ في الجزائر حركة في الخير نحو الكمال ومع النظام، أساسها أنّا نأمل ونألم وعدّتها أنّا نأمل ونألم، فإن استراب بقيمة حركتنا غبيّ قنوط، أو شكّكنا في فائدتها ماكر سليط، قلنا يكفينا أننا أناسي نأمل ونألم.

ومتى احتفظنا بطبيعتنا في أن نأمل ونألم أجدْنا التفرقة بين الإحسان والإساءة، وعلمنا بما معنا من فكر أنّ حكمهما في العقول متباعد، وشعرنا بما لنا من روح أن أثرهما في النفوس مختلف، وأدركنا بما لدينا من تمييز أن جزاءهما متغاير.

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٤][1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٨٥) الصادر يوم الجمعة ١ رمضان ١٣٥٦هـ ٥/ ١١/ ١٩٣٧، بدون إمضاء.



حديث أمانة المال

إلى شُعب الجمعيّة

١ـ أدّت شُعبة البُلَيدة إلى أمين مال الجمعيّة ما تحصّل لديها، ولكنّه سجّل المالِيّة باسم «البَرواقيّة» فبرزت كذلك في التّقرير المنشور بـ«البصائر»، فمن شاء تصحيح ذلك التّقرير فليَضع اسم «البلَيدة» مكانَ اسم «البَرواقيّة».

٢ـ إنّ من الشُّعَب ما بلَغتنا ماليّتها بعد تلاوة التّقرير، ومنها ما ألحقت مبلغًا آخر كذلك، فليَعلَم أهلها أنّ ما أدّوه مسجّل للتّقرير الآتي إن شاء الله.

وهذه الشُّعب هي: البَرواقيّة وشلّالة وعزّابة وجيجَل والأجناح.

٣ـ أخبرنا بعضُ رؤساء الشُّعب أنّ لديهم ماليّة للجمعيّة ولم نتّصل بها، فالرّجاء أن لا يتساهلوا في الأمانة، وأن يبادِروا بأدائها.

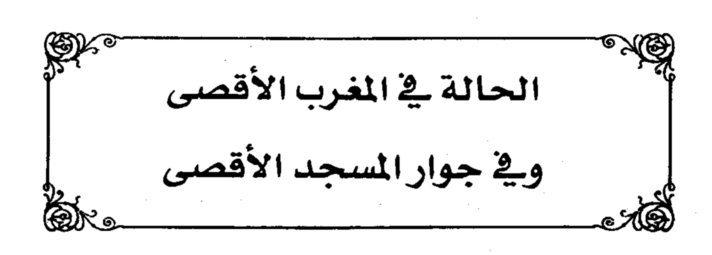
٤ـ الأيسر والأوفَق بالاقتصاد أن توجّه الماليّة على طريق «الشّيك بُوسطَال»، ويجب أن يُكتَب بالنّاحية المعدّة للرّسائل مِن بطاقة «الشّيك» رسالةٌ عربيّة تشتمل على اسم الباعث، وعنوانه، ومبلغ ما بعث به، وبيان كونه للجمعيّة من الاشتراكات

أو من بيع نسخ «السّجل»، أو كونه للجريدة بَيعًا أو اشتراكًا، أو كونه لصاحب الشّيك من قبل تأليفه «رسالة الشّرك».

ويكتب في الشّيك بالحرف الفرنسي ما صورته:

Alger - Chèque Postal 187-88
[١]M. Cheikh Mobarek El-Mili à Mila constantine

(١) البصائر: العدد (٨٥) بدون إمضاء.



الحالة في المغرب الأقصى وفي جوار المسجد الأقصى

تفيد أنباء شقيقتنا المغرب أنَّ هنالك حركة من إخواننا في مطالبة الحماية بحقوق مشروعة، وإنَّ هذه الحركة تركّز على المنطق المعقول والإيمان الرَّاسخ، وأنَّ حكومة الحماية تعتبرها حركة عداء للدَّولة الفرنسيَّة اعتبارًا أهمّ مستنداته سوء ظنّ الحاكم بالمحكوم، وأنّها اتَّخذت لقتل هذه الحركة كلَّ وسائل العنف والقسوة من سجن وترويع وترهيب حتَّى إنّها أطلقت يد الولاة الجائرين ينتقمون ممَّن لهم معهم عداوة شخصيَّة باسم الحكومة، وهذا من أقبح ضروب التَّنكيل، وقد اشتملت هذه المعاملات الجائرة مدن المغرب وقُرَاه وحواضره وبواديه.

وإنَّه ليسوءنا أن نسمع أخبار هذه الإجراءات العسكريَّة القاسية في عصر المدنية والاعتراف برحم الإنسانية الَّتي يجب أن تُوصَل، وننصح للحكومة أن تبني هيبتها على أساس العدل وإنصاف المظلوم وإجابة المستغيث، فذلك أهنأ لها وأجدى لعظمتها.

أما عرب فلسطين: مسلمهم ومسيحيّهم، فلا تجد في تاريخ الظُّلم البشري ما يماثل ظلم حكومة الإنكليز لهم، وإذا كان التَّاريخ يعيد نفسه فإنَّ هذه الحالة ليست

إعادة لأخرى قبلها، ونسأل الله أن لا تُعاد بعد: فمن نفي العظماء وتشريدهم إلى «سيشل» معقل سعد زغلول من قبل، ومن سجن للألوف المؤلَّفة، إلى تحجير على كثير من النَّواحي أن يخرجوا من مساكنهم ويستصرفوا في قضاء مآربهم، إلى ضرائب ماليَّة باهضة لا ينوء بها أولوا القوَّة فضلًا عمَّن انهكت قواهم حوادث وعد بلفور.

وقد بلغ من جرأة الإنكليز أن عزلوا الزَّعيم العظيم السَّيِّد محمَّد أمين الحسيني من رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى وتسمية انكليزي مكانه رئيسًا للجنة الأمور الدِّينيَّة والشَّرعيَّة والأوقاف وجبرت المسلمين على أن يكون منهم من يساعده في إدارة الشُّؤون الإسلاميَّة، فلمَّا أجمعوا على الامتناع من قبول هذه الخطة أوالحطّة سنَّت قانونًا لمعاقبة كلِّ من يرفض هذه المساعة منهم أشدَّ عقاب.

أمَّا السَّيِّد الحسيني فقد اعتصم من هذا العدوان الطَّامي، اعتصم بحرم(1) بيت المقدس، وأقام هنالك ثلاثة أشهر، وشدَّد الإنكليز الحصار عليه حتَّى خيف على حياته من أن تعبث بها أيدي المجرمين.

وهنالك فارقَ موئلَه متنكِّرًا، وقصد إلى الشَّام ونزل بيروت، فرحَّبت به الحكومة هنالك.

وقد استاء العالَم الإسلامي والعربي أيَّما استياء لمعاملة الإنكليز عرب فلسطين واشتدَّ نكيرهم على مضايقتها للسَّيِّد الحسيني، كما سرّهم مقابلة الحكومة الفرنسيَّة

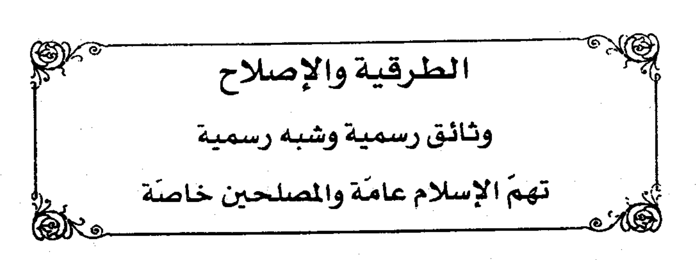
---

(1) الحرم بمكة والمدينة خاصة، أمّا بيت المقدس أو المسجد الأقصى فلا يُسمَّى حرمًا كما حقّقه شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٣٤٦) وفي «مجموع الفتاوى» (٢٧/ ١٤ـ ١٥).

هذا الزَّعيم الجليل العزيز لما نزل بيروت.

وما زالت معاملة انكلترا لعرب فلسطين تتدرَّج من سيِّء إلى أسوأ، وما زالت إدارة عربها أُباة الضَّيم في ثباتها المعهود المبني على الإيمان الرَّاسخ بمشروعيَّة مطالبهم ووسائلهم إليها، وقد كدنا نيأس من ارعواء انكلترا عن غيِّها وبقاء مكان للنُّصح في نفسها ولم يبق لنا رجاء إلَّا في لطف الله وعنايته بحرمه ثمَّ باتِّحاد العرب حول فلسطين وإمداد يد المعونة إليها من جميع المسلمين[1].

(١) «البصائر»: العدد (٨٥) بدون إمضاء.



الطرقية والإصلاح

وثائق رسمية وشبه رسمية

تهمّ الإسلام عامّة والمصلحين خاصّة

«البصائر»:

حضرة الكاتب[1] الفاضل كان من أنصار الطرقيِّين ومن عمد كُتابهم، التحق بالشيخ ابن عليوة، فاتخذه محرِّرا بـ«بلاغه» مدّة، ولما تأسّست «جمعية العلماء» كان من أعضائها الممثلين للطريقة العليوية، فلما خرج العليويون من «الجمعية» وأسّسوا فيمن انضم إليهم «جمعية علماء السُّنَّة» كان هو من أعضاء جمعيتهم البارزين، هذا طرف من ماضيه لابدَّ من التنبيه عليه.

والآن قد انضم إلى مصلحي «قالمة» واتخذته شُعبتها مدرِّسًا لها بعدما أعلن لديها ولاءه للإصلاح وبراءته من الطرقية، نسأل الله لنا وله ولجميع الأمة أن يهدينا طريق الحقّ، ويثبّت أقدامنا في سلوكه حتى نلقاه غير مبدّلين ولا مغيّرين.

وهذا أوّل مقالٍ يُرسِل به إلى صحيفة «جمعية العلماء»، فنشكره على تأييده للحقّ، ونودّ لو كان أول مقال له في إعلان انضوائه للمصلحين وبُعده من الطرقيين

(١) هو الأستاذ محمد المهدي القالمي.

وأسباب ذلك، ثم يعقبه ببيان ما وقف عليه من دخائل الطرقية الحاضرة، إذًا لكفانا مؤنة هذا التنبيه و التعليق، ولعلّه يفعل بَعد إن شاء الله، فإنّ هذا الموضوع لا يفوت بتقديم هذا المقال عليه.

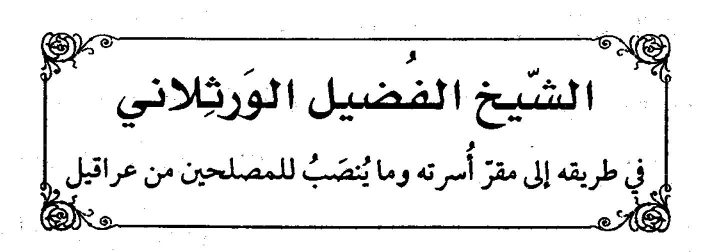
والطريق الذي ظنّه الكاتب غاب عن المصلحين وأنَّه أقرب لبلوغ الغاية نوافقه على أنه صالح لإفهام الناس نفسية الطرقية، وقد يكون أقوى سلاح لهدمها؛ ولكن هدم الطرقية ليس هو غايتنا، فإنّ أسمى غاية لنا هي إنارة الأفكار وتطهير القلوب، ولم يغب هذا الطريق عن المصلحين في الجملة وإن غابت عنهم التفاصيل، فإنّ من المعلوم عند جميع العامة أن المشايخ هم الذين جاؤوا بالفرنسيين، يعنون مشايخ الطرق، وأنهم أتوا بهم من طريق التصرّف في الكون، ولكن اليوم فهموا الطريق التي جاؤوا بهم عليها.

ومناقشتنا للكاتب في مقاله وتنبيهنا على شيء من ماضيه لا نقصد بهما إلى الحطّ من كرامته ولا إلى تنقيص مقالته، فإن التوبة النصوح من مثل ذلك الباطل مما يرفع من شأن الرجل ويبيّن قوة إرادته وغاية الله به.

وإنّ ما في هذا المقال من تأييد الإصلاح والبحث عن أقرب الوسائل لتعميمه بين طبقات الشعب يعطيه قيمة المقالات المبتكرة الناضجة الفكرة، وهذه الناحية في المقال ترفعه إلى درجة الكمال[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٨٥) دون إمضاء.



الشّيخ الفُضيل الوَرثِلاني

في طريقه إلى مقرّ أُسرته وما يُنصَبُ للمصلحين من عراقيل

الشّيخ الفُضيل الورثِلاني شابّ نشأ في بَني وَرثِلان من بلاد القبائل الصّغرى، وتثقّف ثقافة عربيّة على الأستاذ عبد الحميد بن باديس بالجامع الأخضر، وذهب في السّنة الماضية إلى فرنسا للقيام بمهمّة دعوة المسلمين هنالك إلى الدِّين الخالص، وتعلّمِ لسانِه العربيّ، واتّخذ مركزَه في باريس.

وبهذه النّبذة من حياة فتانا الورثِلاني تعلَم سرّ ما اجتمع فيه من صراحة الشّباب وحِدَّة القبائليّ، ومنطِق الثّقافة العربيّة، وجَراءَة الحرّ الباريسيّ، واجتماع هذه الصّفات هو المثل الأعلى الذي ننتظره من شبابنا الجزائري.

وقد عاد فتانا من فرنسا، وأقام مدّة بمدينة الجزائر؛ أدّى فيها خَدماتٍ جليلةً لدِينِه وأمّته.

ونشرت «البصائر» تكريم الشّباب بها له وتقديرهم لمزاياه.

ونشرت الصّحافة الاستعماريّة أخبارًا وتُهَمًا لتقذِف به تحت سُلطة القانون، وتضعه في تَنُّور غضب الحكومة.

وكلّنا يعلَم أن لا قيمة لِتُهم تلك الصّحف الموجّهة إلى رجالنا العامِلِين لسعادة شعبهم؛ لأنّها تعمل على مبدأ «الغاية تبرّر الوسيلة»، وغايتها هي بقاء الشّعب على خُموله وجُموده، وتُهيبه من كلّ ما يخالف هوى المعمِّر القاسي القلب.

نعم، نستفيد من تلك التُّهَم معرفةَ مَواطن القوّة من مجتمعنا، ورجال التّأثير من أمّتنا؛ لأنّ أصحاب تلك الصّحف أحياء يحسِنون معرفةَ العُروق الحيّة من مجتمعنا فيتَنَاذَرُون من أجلها.

وبعد انتهاء «جمعيّة العلماء» من أعمالها بمدينة الجزائر، وافتراق أعضائها إلى مراكزهم، أخذ الشّيخ الفُضيل في طريقه إلى مقرّ أُسرته ومَلعَب بَنِيه الّذين طالت غَيبَتَه عنهم، وطال شوقهم إلى مُحيّاه، وكان هو يشعر بذلك، فيَحدُوه شعوره هذا إلى طيِّ المسافة بينه وبينهم طيًّا، ولكن كان داعي القِيام بمهمّته الإصلاحيّة يحُول دون مطاوَعة حادِيه إلى أُسرته.

نزل سطيف، وعقَد بها اجتماعًا عامًّا حضره خلقٌ كثير، فخطَب فيهم خِطابًا بليغًا أثّر في نفوسهم تأثيرًا عميقًا، وَزَان به طبقة الشّباب، وزاد به تعلُّق الحاضرين بجمعيّة العلماء، ولم يَدَعوه يفارقهم حتّى وعَدَهم بالعَودة إليهم يومًا آخر، فوَثِقوا بوَعده، ومثلُه مَن يَفِي.

ومن سطيف توجّه إلى بني يَعلَى، بدَعوةٍ من أهلها ورغبةً منهم حتّى الذين كانوا في أعمالهم بَعِيدين عن قريتهم ولا يمكنهم الحضور، وإنّما أيّدوا برغبتهم رغبةَ المقيمين من إخوانهم، واستمعوا إلى وحي ضمائرهم بإبلاغ ذلك الصّوت إلى مواطنيهم.

فقَصَد أوّلاً قنزات، وتحدّث بها مرّات واعظًا مرشدًا، فلم يفارقه التّأثير الذي

رافقه في جميع مواقفه، وكان من آثار ذلك التّأثير أن أخذوا يستعِدّون لعقد اجتماع كبير باهِر، يستَدعون إليه من جاوَرَهم من أهل القرى والمداشِر، فوزّعوا المناشِير بالعربيّة وبالفرنسيّة، وبعثوا بالدّعاة المخبِرين مشافهةً بهذا الاجتماع الذي اختاروا له يوم الجمعَة بعد الخُطبة والصّلاة.

ودعا أهلُ الشّريعة فُضيلَنا فلبّاهُم، واقتَبلوه اقتِبالًا فخمًا مَهيبًا، جاءه حتى المجاورون لقرية الشّريعة، وأحيا معهم ليلة إلى الصّباح، وخطَب فيهم أكثر من عشر مرّات، وكان سرّ إخلاص الخطيب يظهر على أسارِير وجوه المستَمِعين.

ثمّ عاد إلى قنزات بعدما صار يومُ جُمُعتِها حديثَ المجالس؛ فمِن شبّان تتحمّس، ومِن شيوخ في العواقِب تتفرّس، إلى أعوانٍ للحكومة تتحسّس، وأوبَاش تتجسّس، فما أتى يوم الجمعة إلّا وقنزات في مشهد لا عَهدَ لها به من جُموع وافِدة، وطوائِف من الموظّفين حاشِدة، وأحاط الحرس الحكومي المسجد الجامع، وطوّقوه من جميع نواحِيه.

جاء وقت الصّلاة وموعد الاجتماع، فاكتظّت رحاب المسجد وساحته بعدما غصّ داخِلُه بأُلوف الحاضرين، وألقى الشّيخ الفُضيل بعد الصّلاة درسَه في هُدوءٍ وسُكون ووَقار رُغم كثرة الحاضرين كثرةً لا تنضبِط إلا بقوّة روحيّة.

وقد ساءَ أعوانَ الإدارة المحلّيّة مُرورُ هذا الاجتماع ـ المنقطِع النّظير في دائرتها، وعلى عَهدها ـ مِن غير حُدوث حادِث يبرِّر تدخّلها لإفشاء غلِيلها ممّن لم يحترموا هَواها، وإن احترموا قانون دولتها.

فلم تكتَفِ بتطويق المسجد بالحرس، وجَعلِه كأنّه في حال حِصار حتّى أسرّت

إلى القائِد وحاشيَته والجَندَرمَة وفُرسان المتصرِّفة المعروفين عندنا باسم «الدّواير» بأن يحتلّوا المسجد ويدخلوه بنِعالهم، ففعلوا، وقد صبر المسلمون لهذه الإهانة اللّاحقة بدِينهم الذي يمثِّلونه بأنفسهم محافظةً على رَوعة الاجتماع، وحِرصًا على ثَمرَته.

وإنّا لنسجّل هاتِه الإهانة للدِّين وحُرمةِ مكانته، كما نسجّل محاولةَ الإدارة المحلّيّة لإثارة الفتن وخلق الهرج بهذا الاستِعداد على هاتِه الصُّورة من غير داعٍ.

ونسجّل إلى ذلك أنّ إهانة الدِّين لم تقع بقنزات فقط، وأنّ ذلك الاستِعداد المرعِب لم يكن هو الأوّل في الوطن الجزائري، وأنّ ذلك الهدوء من المسلمين قد تكرّرت مناظِرُه أمام الحكومة في جميع اجتماعاتِ «جمعيّة العلماء».

ونُشهِد الفِكرَ العام بهذا التّسجِيل على تمسّكنا بالنِّظام، واستغناء اجتماعاتِنا عن تلك الاحتياطات، وتحرُّش الحكومة برجالنا، ومحاولة خلق العراقيل في طريقنا، والسَّعي لاستِفزاز الشّعب، وإثارة عواطِفه لحماية شَرَفه الدِّينيّ، حتّى نُنعَت بالثّورة ونُوصَم بالعداء للدّولة، ونُرمَى بالاستِخفاف للحكومة، فيَجِد خُصوم هذا الشّعب المحتاجِ إلى الرّحمة مَساغًا لِصبِّ صواعِق قَسوتِهم عليه.

إنّ قُساة المعمِّرين الجزائريّين يُطالِعون أخبار تصرُّفات المقِيم العام في المغرب الأقصى وشدّته على إخوانِنا هنالك شدّةً جاوزت الحدّ المعهُود للأحكام العُرفيّة، فضلًا عن الأحكام المدنِيّة، ويُطالِعون حوادثَ فلسطِين وبَطش الحكومة الإنكليزيّة برجالِه نَفيًا وسِجنًا وإرهاقًا بالتّكاليف الماليّة وغيرها، يُطالِعون أخبار المغرب الأقصى وحوادِث جيرانِ المسجِد الأقصى فيَتمَنّونها بالجزائر، ليكونَ على شَعبِنا الغُرم ولَهم الغُنم، وتأثرهم بتلك الأخبار والحوادث أَشبَه بتأثّر الصِّبيان واللُّصوص بمناظِر السّرقات والجرائم في السّينما.

وإنّنا لنَنصح للشّعب بمُضيّه في سبيله على ما عُهِد به من هدوء وسكون، ونَنصَح لِلحُكومة بالعُدول عن طرِيقَة إحداثِ أسباب الضَّغط والسَّير على حَدِّ المثَلِ التُّونسي: «زنيه وحدّه»، يريدون أكرِههُ على الزِّنا ثمّ أقِم علَيه الحدّ، وهذا نِهاية الظّلم والجَور في الحكومات الدّستوريّة؛ فإنّ حَركَة الشّعب خالِية مِن الشَّغَب وليس فِيها ما يَمَسّ بأصل السّلطة الحكوميّة، ولا هِي موجّهة ضدّ الأمّة الفرنسيّة، بل الأمرُ بِالعَكس فهِي حَركة تُقارِب بَين المتَساكِنِين عَلَى اختِلاف أجناسِهم وأديانِهم في دائِرة القَانُون الفرنسي.

فإن عَرفَت الحكومة ذلِك وقَضَت على سُوء الظّنّ الحادِث لها مِن وِشايَات الانتِفاعِيّين استَفادت مِن هذه الحركة المباركة، فالشّعب عامِل لفائِدة تقدّمه ورُقيّه فقط، مُعتَرف بالجميل لكلّ مَن يأخذ بيَده في طريق عملِه، وفي مُقدّمة مَن يعرف له تلك المزِيّة هذِه الحكومة، متَى مدّت يدَها إليه، وكما يَعتَرف بالجمِيل لأهلِه يحتَفِظ بكراهيّته لكلّ من أساء إليه ودَسَّ الأشوَاك في طرِيقِه.

وستُؤيِّده الأيّام فيبلُغ ما يَصبُو إليه من كَمالٍ، ويحسن الجزاء على الأقوال والأعمال[1].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (٨٦)، الصادر يوم الجمعة ٨ رمضان ١٣٥٦هـ، ١٣/ ١١/ ١٩٣٧م.

تتمّة الحديث عن الاجتماع العامّ
لـ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»
وأهمّ قرارات المجلس الإداري الجديد

نشرتْ هذه الصحيفة في صدر عددها (٨٣) كلمة وجيزة مستعجلة عن هذا الاجتماع وخلاصة عن مؤتمر المعلّمين الأحرار، وسجلتْ تقريري الرئيس وأمين المال والقصيدة العصماء لشاعر «الجزائر الفتاة» الأستاذ محمد العيد.

وكان في العزم أن تستوفي فيما يلي من أعدادها أحاديث هذا الاجتماع الذي امتاز عمّا قبله بكثرة الوافدين وشدّة تأثر المتكلّمين والمستمعين عسى أن تبقي رسم هذا التأثر وتنقله لمن لم يحضر، فتجد فيه الأرواح المريضة بداء اليأس خير علاج لدائها وألطف نسيم لإنعاشها، وتجد فيه النفوس المؤمنة بحياة الجزائر المسلمة أبهر حُجّة لزيادة إيمانها وأبلج مَحجّة لسيرها نحو غايتها.

غير أنّ الجريدة احتجبت مدّةً اقتضاها حال انتقالها من مدينة الجزائر إلى مدينة قسنطينة، فلم تبرز حتى برز عدد شعبان من مجلة «الشهاب» الغراء مسجّلاً تفاصيل ما جرى في هذا الاجتماع وما أعقبه بتلمسان في كلام منسجم بليغ، فكان ذلك مما رجع بنا عن العزم الأول إذ لا نستحسن الاشتغال بما طال عليه الأمد وأغنت عنه مجلّة إصلاحية راقية لا يجمل بمصلح أن يغفل عما فيها ولا سيما في صحيفة كصحيفتنا

أسبوعية لا تفي بتسجيل ما يجدّ من حوادث الإصلاح وأحاديث المصلحين لو كان لها كُتّاب يكاتبونها في ذلك باعتناء، ولعلهم سيكونون إن شاء الله.

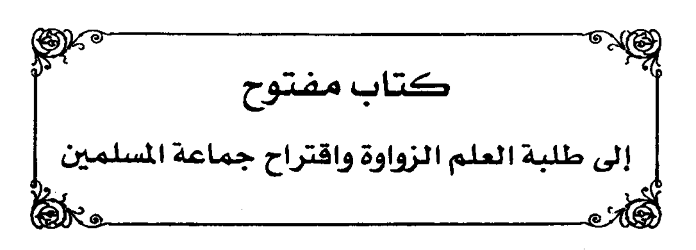
وقد تأخّرت الكتابة العامّة للجمعية بإرسال ما يختصّ بها للنشر لعلمها بهذا الانتقال وكون المدّة التي تقضيها الصحيفة في الاحتجاب من عالَم الغيب الذي لا ندّعيه ولا نصدّق من يدّعيه بعد ختم النبوة.

وبعد أن برز العدد الرابع والثمانون وصُفِّف ما بعده جاءنا منها ما هو من موضوع الاجتماع العام ومن نتائجه، فنشرناه في هذا العدد إفادة للشعب بسير جمعيته[1].

قلم التحرير

---

(١) «البصائر» العدد (٨٦) بدون إمضاء.



كتاب مفتوح

إلى طلبة العلم الزواوة واقتراح جماعة المسلمين

«البصائر»:

هذه دعوة صريحة فصيحة لإحياء ما عطلناه باختيارنا وإهمالنا من أحكام ديننا في أحوالنا الشخصية، وجّهها شيخ العلم والسّنّ[1] إلى الزواوة خاصّة؛ لأن تعطيل الأحكام الشرعية في الأحوال الشخصية بالتراب القبائلي أظهر؛ لأنّ القضاء هنالك توثيق، لا أحكام وتطبيق، فهي إلى القاضي المدني (الجوج)[2].

ونحن نعتبر هذه الدعوة الصريحة كسبب النزول تتناول الزواوة أوّلاً وبالذات، ويدخل فيها معهم مَن شابههم في بعض الحالات.

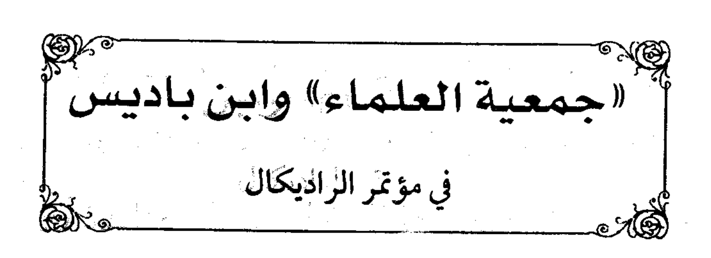
ولصراحة تلك الدعوة لا نحتاج إلى التنبيه على سلامتها من القدح في عموم قُضاة الوطن، ولا على كونها غير ثائرة على عموم القانون المدني، ولعلّ في عدم تنبيهنا تنبيهًا مفصّلاً ضربًا من التنبيه لمن لا يفهمون الخطاب، ويريدون التقرّب بالمصلحين من الكُتاب إلى بعض المقامات والأعتاب[3].

---

(١) هو الشيخ أبو يعلى الزواوي رَحِمَهُ اللَّهُ، كاتب المقال.

(٢) كلمة عامية، أصلها فرنسي: [Juge] ومعناها: القاضي.

(٣) «البصائر»: العدد (٨٦) بدون إمضاء.



«جمعية العلماء» وابن باديس

في مؤتمر الراديكال

انعقد بمدِينة «لِيل» مِن فرنسا مؤتَمَرُ الحِزب الرَّادِيكَالِي في الثّلاثِين مِن أكتوبَر الأَخير، وعُنِيَت الصّحافة الفرنسيّة بنقل أحادِيثه وتسجيل مُقرّراتِه لأهميّته الكبرى من حيثُ الظّروفُ التي وقع فيها، والرّجالُ الذِينَ حضَرُوه ممّنْ يَشغَلون المناصِب العُليا في الحكومة الحالية المشكّلَة بأيدِي زعماءِ هذا الحِزب.

وكانت حَركة إفرِيقِية الشّماليّة وحالتها الفِكريّة مِن المسائِل البَارِزة في جَدول أعمال هذا المؤتمر؛ فتقدّم فيه نُوّابها لإفادة المتطلّعين لأخبارها، وتَلَوا التّقارير الضّافِية عنها في حماس يتَناسَب مع الصّورة التي تخيّلوها، وبالَغوا فيها حتّى تراءى لهم أنّ هذه الأوطانَ مفلِتَة منهم ومعتَمِدة على خُصومهم مِن دُوَل أروبا.

ونحن نَستَنكر هذِه المبالغات المنافِية للواقع، والمضلّلة لِرجال الحكومة المنصِفِين، والمهيّجة لِدَاء سُوء الظّنّ بين الحاكم والمحكوم، في وَقت نَرى الحاجة فِيه إلى تَبادُل الثّقة وتعطِير الجوّ بحُسنِ الظّنّ أشدّ وألزَم.

وكان مِن الخطباء بهذا المؤتمر في هذا الموضوع «م. قسطفنو» النّائِب البرلماني

عن الجزائر، فنَقَلت عنه صحِيفَةُ «لاديبش» القسنطينيّة ـ في عددها الصّادر يوم ٢١ من أكتوبر ـ أنّه صرّح بوُجود عناصِرَ وطنيّة في الجزائر ذاتِ حماسٍ جنونيّ؛ منها «جمعيّة العلماء»، ولم يَستشهِد على هذا الحكم بشَيء مِن قرارات الجمعيّة وأعمالها، وتصريحاتِ رئيسها باسمِها، وكتاباتِ صحِيفَتِها النّاطقة بلِسانِها، ولكنّه أتى بعِبارة مُنتَزعة عمّا قبلَها وما بعدَها انتِزاعًا أبعدَها عن مَرمَاها، وأخرَجها عن مَعنَاها، وهِي وارِدَة في جُزءِ محرّم ـ أفريل سنَة ٥٥ ـ ٣٦ من مجلّة «الشّهاب» للأستَاذ عَبد الحَميد بنِ بَادِيس.

هذِه العِبارة التِي انتَزعوها وانزَعجوا مِنها هي: **«الأمّة الجزائريّة الإسلاميّة لَيسَت هِي فرنسا، ولا تُرِيد أن تَصِير فرنسا»**.

هذه هِي الجملة التِي أخذَ مِنها ذلِك الخطِيب أنّ في الجزائر وطنيَّةً ذاتِ حماسٍ جنونيّ، وعرض بأنّها تخدِم عَرشَ مُوسولِيني، وعَرشَ هِتلِير، وهذِه هي الجُملَة التِي هَدَته إلى أنّ «جمعيّة العُلماء» مِن عناصِر تلك الوطنيّة، يا ضَيعَة المنطِق!

حَملت مجلة «الشهاب» الغرّاء في ذلِك الجُزء حَملةً صادِقَة على الذِين يُنكرون الأمّة الجزائريّة المسلِمَة، ولا يَعترِفون بتارِيخها المجِيد، ولا مميزاتِها القَوميّة مِن لغَةٍ ودِينٍ وعَوائِدَ وأخلَاقٍ، وذلك لجهلِهم بِها أو لعَجزِهم الأدبيّ عن الإفصَاح عَنها.

والبَاعِث لهم على هذا الخَبط هُو رَغبَتهم فِي حَمل الأمّة على الاِندِماج فِي الجِنس الفرنسي، واستِسهَالهم لِطريقِه التِي تضمن لهم الفَوز بالحقُوق عَاجِلًا، وتُوفِّر علَيهم الوَقت فِي انتِظار إنصَافِ الحكومَة لنا، ونحن على حالِنا، وتكفِيهم عَناء التَّعب في تقدِيم المطَالِب واتّخاذِ الوَسائِل لسَماعِها.

وغَرَض المجلّة من تِلك الحَملَة تَقرِير ما أنكرُوا مِن النّاحيَة العِلمِيّة، واستِحالة

ما استَسهَلوا مِن النّاحيَة العَملِيّة، فعبّرت عنِ الإستِحالة بِقولها:

«ثمّ إنّ هذِه الأمّة الجزائريّة الإسلاميّة ليست هي فرنسا، ولا يُمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصِير فرنسا ولو أرادت، بل هي أمّة بعِيدَة عن فرنسا كلّ البُعد في لُغتِها، وفي أخلاقها، وفي عُنصرها، وفي دِينها، لا تريد أن تَندَمِج».

وأعقَبَت ذلِك بقولها:

«ثمّ إنّ هذَا الوَطن الجزائِريّ الإسلاميّ صَدِيق لفرنسا مخلِص، وإخلاصُه إخلاصٌ قَلبِي لا إخلاص ظاهِري؛ يخلِص لها إخلاص الصَّدِيق لصَدِيقه، لا إخلاص التّابع لمتبُوعِه، فهو في حالَة السّلام والأمن يَطلُب مِن فرنسا أن تحتَرِم دِينَه ولُغتَه» الخ.

وهذَا المعنى تجِدُه في «الشهاب» كلّما دَعَت إليه المناسَبة، فقد جاء في جُزء ربيع الأوّل ٥٦، ماي ٣٧ ما يلي:

«إنّ الشّهاب معتزّ بخطّته، ثابت على مبادِئه، وهو يتَشرّف بأن يكون ممثّلا لِلقوميّة الإسلاميّة الجزائِريّة».

ثمّ يقول مرّةً أخرى:

«إنّ هذِه القَوميّة الإسلاميّة الجزائِريّة التِي لن تَفنَى ولن تَزُول، ليست بالحرَكة الهدّامَة، ولا هِي بالحرَكة المُثِيرة المُهيِّجة، كلّا، إنّما هي حرَكة أمّة تريد أن تحفَظ نفسَها وتَصُون ذِكرَى أسلافِها، وتحتَفِظ بمُمَيّزاتها وثَرائِها العَتِيق، وتمدّ يد الصَّداقَة والوَلاءِ، والإنعِطاف والإرتِباطِ المتِين لدولة الجمهوريّة إن هي مدّت لها يدَ

الوَلاء والإنعِطاف وعامَلَتها مُعامَلة الصَّدِيق لصَدِيقِه أو الأَخ لأخِيه أو الوَالِد لإبنِه، لا معاملَة السّيد لعَبده أو المخدُوم لخَادِمه».

هذِه هِي وطنيّة مجلة «الشّهاب» مشروحة في نفس الشّهاب، أو هي وطنيّة الأستاذ ابنِ بادِيس مفسّرة بقَلَمه، ليس فِيها تَأوِيلُ ولا تَحرِيفُ ولا تَبدِيلُ، وطنِيّة مَن يَطلُب مِن فرنسا أن تحتَرم دِينَه ولُغتَه، وطنيّة مَن يتبرّأ مِن الهَيَجان ويُصرّح بالارتِباط المتِين بِدولة الجمهوريّة إن هي أحسَنَت مُعامَلته.

هَل في هذِه الوطنِيّة خَطر على فرنسا؟

هل فِيها فائِدة لعَرش مُوسيليني أو عَرش هتلير؟

لا، كلّ ذلِك لم يكن.

أمّا «جمعيّة العلماء» فقد بيّنَت خطّتها في عِدّة مناسبات في التّقارير الرّئيسيّة[1] السّنويّة، وفي صحِيفَتها، ونحن ننقل هنا على سبِيل التّذكِير ما جاء فِي صَدر هذِه الصَّحِيفة «البصائر» بعدَدِها الصّادر في ١٨ صفَر ٥٦ ـ ٣٠ أبريل ٣٧، ونقَلته إلى الفرنسية «الديفنس» الغرّاء في العَمود الأخِير مِن الصّفحة الأولى مِن العدَد الصّادر في سابع ماي ٣٧، قالت عن رِجال الجمعيّة «أنّهم يعمَلون عن عِلم وإخلاصٍ للمَصلَحة العامّة على الأُصُول التّالِية:

١ ـ المحافَظة على البقيّة الباقِية مِن دِين الإسلام ببَيانِها لأَبنائِه، والإِعرَاب للحكومة عن تمسّكنا بِتلك البقيّة، وعدَم رِضانا عن كلّ قانون يَمَسّ بها.

٢ ـ المحافَظة على مميِّزات المسلِم الجزائِريّ مِن لُغَة وأدَب وخُلُق شَرِيف

---

(١) كذا بالأصل!

وعَادَة غَيرِ ضارّة به، ولا بِجَارِه الأروبي.

٣ ـ المشارَكة في لِسان فرنسا، وما يحمِلُه مِن عُلوم ومَعارِفَ تَزِيد العَقل قوّةً والحَياةَ جِدّةً.

٤ ـ إصلَاح الحياةِ الاجتماعيّة بالتّعاوُن مع الحكومَة والعناصِر المتَساكِنَة على وَجهٍ يُحقِّق الإِصلاح المنشُود، ويقوِّي رُوح الثّقة بالحكومَة، وعاطِفَة الإِخاء بَين المتَساكِنِين.

فهَل هذا العمَل هي الوَطنيّة التي تَقِفُ شُعورُ الفرنسيّين منها على اختلاف أحزابِهم؟ أم في هذِه الأُصول والمبادِئ وطنيّةٌ ذاتُ حماسٍ جُنونيّ؟ أم فِيها ما يَمُتّ بصلَة إلى عَرش مُوسيليني وهِتلير؟

يا لِضَيعَة البَيان لمن وَغر مِنه الصّدرُ والخرف عنك بالجَنَان.

وبعدُ فقَد تبيَّن المقصودُ من الوطنيّة الإِسلاميّة الجزائريّة التى يُؤمِن بها الأستاذُ عبد الحَمِيد، وتَعترِف بها جمعيّة العلماء، واتّضَح أن لا خَطَر فيها على أصل السِّيادة الفرنسيّة، ولا عداءَ فِيها لِلجِنس الفرنسيّ.

وما دامَت الحكومة الفرنسيّة تعتَرف بحُرّيّة الأديانِ وتَدِين بحريّة الأفكار لم نَجِد في تلك الوطنيّة ما يُنافِي مبادِئها ويَخرُج عَن أُصول تَشريعها.

فإذا قيل إنّ الأمّة الإسلاميّة الجزائريّة غيرُ الأمّة الفرنسيّة فَلْتَفهم أنّ المرادَ ما بين الأُمّتَين مِن فَوارِقَ دِينيّة وخُلُقيّة وعادِيّة، وهي فَوارِقُ مُعتَرف بها، ضَروريّة لِوَصف فرنسا بأنّها دَولَة إسلاميّة، ولو نكّرَت علينا تِلك الفَوارِقَ وحَاولَت جَبرَنا علَى انتِزاعِها لم يَصدُق علَيها أنّها دَولة إسلاميّة، ويجب أن تَحمِل الفَوارِق بين الأمّتَين

مَحَل اختِلاف المبادِئ بَين الحِزبَين مِن أمّة؛ فإذا كانَ الرَّادِكَالي غيرَ الاشتِراكِي، ولَيس بَينهُما مِن العَداوَة ما يَخشَى مَعَه أحدُ الفَريقَين مِن الآخر علَى سِيادَة الدَّولة، فَليكُن الأَمر كذلِك في مُغَايَرة الأمّة الجزائِريّة لِلأمّة الفرنسيّة، لا يُراد مِنه أَنّ إِحدَى الأمّتَين مُعادِيةٌ للأُخرى، ناقِمَةٌ مِنها وجودَها، ساعِيةٌ في مَحوِها.

إنّنا نعتَقِد أنّ في الحكومة الفرنسيّة وفي الأمّة الفرنسيّة رِجالًا مُنصِفِين لَو بَلَغَتهم وطنِيّتُنا على حقيقَتِها لم يَنزعِجوا مِنها، ولم يُكبِّروها علَينا، بل يُؤيّدونَنا علَيها احتِرامًا لِلعُهود وخِدمةً لِلإنسانيّة، ولمثل هؤلاءِ نَكتُبُ، عَسَى أن تبلُغَهم كِتابَتُنا ويقِفُوا على الحقيقَة.

ونعتَقِد أيضًا ـ عن خِبرَةٍ ـ أنّ هنالِك مِن الفرنسيّين مَن يَنطوِي على عَداءٍ لِلإسلام وبُغضٍ لِأهلِه، وما الحرّيّة الدِّينيّة عندَهم إلّا طِلَاءٌ سَطحِيّ، وليسَت مَبدأً مُنتزَعًا مِن عقائِد النَّفس، وأنّ هنالِك مِنهم مَن يُسِيء الظَّنّ بِغَير جِنسه ولا يَثِق بتَصريحاتِ أُولي الضَّمائِر المحترَمَة، ولا يَطمَئِنّ إلى المشروع مِن أعمال الهَيآتِ الممتازَة، وهَؤلاءِ هُم خُصوم الجزائِر المسلِمَة العَنِيدُون وأعدَاءُ فرنسا، ولكن مُمَوَّهُون، وما هُم إلّا رُوّاد مَصالِحِهم الخَاصّة.

فَلنُشَهِّر بِهم الأمّةَ المسلِمة الجزائِريّة، ولْتَحذَرهم الطّبقة الحاكِمة المُنصِفة حتّى لا يَسُود سوء الظّنّ فتفسد القُلوبُ، ويَعمَلَ الزَّمانُ عملَه فيُحقّق لِلمغلُوب ما ظنّ به الغالِب.

أخرج أبو داود عنه ﷺ أنّه قال: «إِذَا ابتَغَى الأَمِيرُ الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفسَدَهُم»[1].

---

(١) «صحيح سنن أبي داود» (٤٨٨٩) للألباني.

قال في «تيسير الوصول»[1]: «والمراد أنّ الإمامَ إذا اتّهم رَعِيّتَه وجَاهَرَهم بِسُوء الظّنّ أدّاهُم ذلِك إلى ارتِكَاب ما ظنّ فِيهم فَفَسَدوا».

فإذا كانَت الوطنيّة الخَطِرة على فرنسا هِي اليَوم تُهمَةٌ فلا يَعمَل عليها رِجالُ الحكومَة، ولْيَعمَلوا علَى تَبرِئَتنا مِنها، وإن استَمرّت هاتِه التُّهمَة وأُوذِيَ بِها ـ لا قدّر اللهُ ـ زُعَماؤُنا فَستَعُود بِطُول الأَمَد، أو عبر الدّهر حقيقَة واقِعيّة.

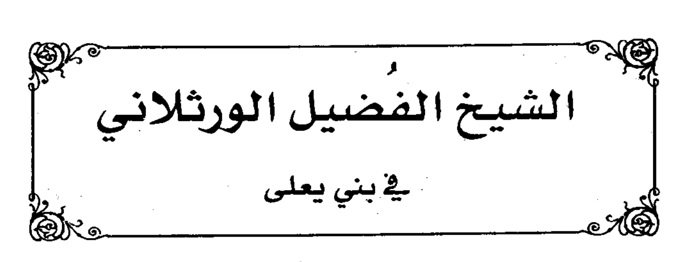
قَد استَطعنا البَيانَ فبَيّنا، وقَدِرنا على النُّصح فأَسدَينا، وما علَينا إلّا أن نَنتَظِر ما **يَكونُ بَعدُ مِن أثرٍ**[2].

---

(١) للشَّيخ عبد الرَّحمن بن علي الشَّهير بابن الديبع الشَّيْباني اليمني، المتوفَّى سنة (٩٤٤هـ)، اختصر فيه كتاب «جامع الأصول لأحاديث الرَّسول» لابن الأثير الجزري، المتوفَّى سنة (٦٠٦هـ).

انظر: «كشف الظُّنون» (١/ ٥٣٥ ـ ٥٣٧).

(٢) «البصائر»: العدد (٨٧) الصادر يوم الجمعة ١٥ رمضان ١٣٥٦هـ ١/ ١١/ ١٩٣٧م، دون إمضاء.



الشيخ الفُضيل الورثلاني

في بني يعلى

كتب إلينا الشّابّ النّجيب السيّد الرّبيع بن صديق، أَحَد تلامِيذ الشّيخ سَعِيد صالحي العُضو الإدارِي لجمعيّة العلماء مَقالًا طوِيلًا استَهلّه بالحدِيث عن الشّيخ الفُضَيل وصِفاتِه الممتازَة ونُزولِه قَرية قنزات، ثمّ وَصَف حَفاوَة أهالي الشّريعة به لما زَارَهم، وصفًا أبانَ عن شعور قويّ بالحاجة إلى الإصلاح، وعن تقدِير فائِق للرِّجال المصلِحين، وتمثّل ذانِك الشّعور والتّقدير في جميع الطّبقات مِن شيوخٍ وكُهولٍ وشُبّان وصِبيَةٍ ونساءٍ، وكان فيما أُلقِي مِن دروسٍ وخُطَب وأناشِيد تمكين لذينِك الشّعور والتّقدِير.

ثمّ رجَع بنا إلى قنزات وحدِيث عَبَث رِجال السّلطة بمسجِدِها، وتهاوُنِهم بالأمكِنة المقدّسة واستِخفافِهم بالمسلِمين حيثُ مَسُّوهُم في أعزّ ما يحتفِظون به مِن شعائِرهم.

ولكثرَة الموادّ وضِيق صحِيفة أُسبوعيّة عن استِفائها اكتَفَينا بالإشارة إلى هذا المقال الذِي سَبق أن نَشرت «البصائر» في موضوعه كلِمةً سدِيدَةً للشّيخ سعِيد صالحي، ثمّ مقالًا افتِتاحِيًّا.

وعسى أن لا يعُدَّ الكاتِب هذِه الإشارة إهدارًا لأَتعابِه في تحرِير مقالٍ طويلٍ حارٍّ، فإنّا نقدّر أتعاب المفكّرين، وعسى أن لا تُبرِد هذه الإشارة مِن نفسه حرارَة الشّباب ونشاطَه في إِمداد «البصائر» بما يُهِمّ القُرّاء.

ونُشِير عليه وعلى غيره مِن شَبابِنا أن لا يُعوِّدوا أقلامَهم على الإسهاب الذِي قد يَحول دُون رغبَة القارِئ في إِتمام المقال، وأن يَلتزِموا في كتابتهم الصِّفات الآتِية:

١ ـ ضَيق البِطاقة؛ بحَيث لا تَزيد عن عَرض عَمود واحِد مِن أعمِدة الجرِيدة **إلّا قَلِيلًا.**

٢ ـ كتابتُها مِن وَجه واحِد فقَط.

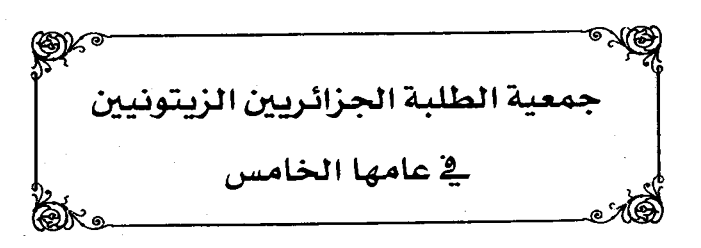
٣ ـ تَوضِيح الخطّ؛ فإنّكم تكتُبون لمصفِّف يُصوِّر ما يَرى، لا إِلى عالِمٍ يَفهَم بالقَرائِن، والمصفِّف فِي المطابع لا يُنظَر فِيه لأَكثَر مِن معرِفَته لِلحُروف.

٤ ـ نظافَة الخطّ بِسلامَتِه مِن المَحوِ والتَّخرِيج والتَّشطِيب.

وخِتامًا نُكرِّر لكُتّابنا أنّ الإدارة لا تَستَخِفّ بالأفكار، ولا تَغمِطُ أحدًا، ولكن الشّاهِد يَرى ما لا يَراهُ الغائِب، فَليَحمِلوا تَصرُّفها على المحمَل الحَسَن، وَليَثِقُوا بأنّها تَحرص الحِرصَ كلَّه على قُلوبِهم وائتِلافِها الذِي هو نِعمة لا تُشتَرَى بالدُّنيا لإِيمانِها بِقوله تعالى: ﴿ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ [الأنفال: ٦٣][1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٨٧) بدون إمضاء.



جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين في عامها الخامس

«البصائر»:

شبابُ كلِّ أمّة هم رمز قوّتها الحِسِّيَّة، وتلاميذها هم معقد الأمل في قوّتها الروحية، وشبابنا المتعلّمون هم الجامعون لهاتين القوتين والحاملون لهاتين الأمانتين، فليشعروا بمنزلتهم وليستعدوا لمهمّتهم.

وأبناء الجزائر الوافدون على جامع الزيتونة ـ أدام الله عمرانه ورقيّه ـ هم طائفة من ذلك الشباب المتعلّم، وقد حدّد الكتاب العزيز خطّة هاته الطائفة في آية التوبة: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [التوبة: ١٢٢].

وشعورهم بمنزلتهم يقضي عليهم بالجِدِّ في التحصيل وحسن السلوك، واستعدادهم لمهمّتهم يوجب عليهم أن يتقاربوا ويتفاهموا ويتّحدوا حتى إذا رجعوا إلى قومهم لينذروهم لم يشوّشوا بعضهم على بعض ولا على الأمة بالخلافات والنزاعات والخصومات.

وإنَّ الذي يجعل «جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين» في مقدّمة الجمعيات

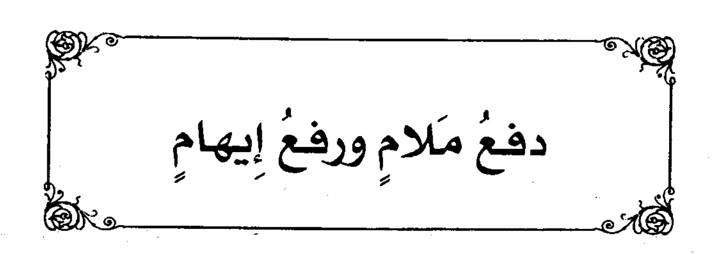
الجدّية العاملة لإحياء الدِّين وإسعاد الشعب هو سعيها المتواصل غير المنقطع لجمع جميع أبنائنا ضمن غايتها وتحت لوائها لتعميم الشعور بينهم بمنزلتهم وتوحيدهم على الاستعداد لمهمّتهم.

وإن «جمعية العلماء» التي هي جمعيتهم ترغب أن تسمع آمالهم وآلامهم، سواء بالنشر على صحيفتها أو بالإسرار إلى رئيسها، لتوجّه آمالهم اتجاهًا يعود على الشعب باليُمن والبركة، ولتعالج آلامهم بما تملكه من وسائل، وتستعدّ لإيجاد المفقود منها.

﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ١٠٥][1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٨٧) بدون إمضاء.



دفعُ مَلامٍ ورفعُ إيهامٍ

«البصائر»:

اتِّخاذُ شُعبة قالمة للكاتِب[1] الفاضِل مدرّسًا اعتَمدنا فِيه على رسالَة مِن أَحدِ رِجال تِلك الشُّعبة مُؤرّخة بِثاني عشَر شَعبان الأخير، وهِي تحتَ يَدنا، وقد صرَّحنا في التَّعلِيق على المقال السَّابِق بأنّا لا نقصِد إلى الغَضِّ مِن مَنزلة الكاتِب، وليسَ مِن دَأبِنا أن نَتنقّص النَّاس، ولا أن نَرضى عن تَنقُّصهم.

وأمّا حِيادُه واختِيارُه خطّة العِلم فإنّ الحِياد يَجمُل إن لم يَكن الصِّراع بَين حقٍّ واضِح وباطِلٍ مَكشُوفٍ، وخطّة العِلم أرفَع الخطَط متى لم يَقعُد صاحبُها عن أمرٍ بمَعروف ونهيٍ عن مُنكَر، وليست نُصرة الحقّ والقِيامُ بالأَمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر مِن التَّحزُّبات الجانِية على الشّعب، بل مِن الفُروض الدِّينيّة الاجتماعيّة التِي لا حَياة لمجتمَع اجتَمَع على تَركِها.

وما نَقلَه هُنا من تعلِيقنا على مَقالِه السَّابق في شأن الطُّرقيّة هو مُرتبط بِقوله هنالك: «وغابَ عن المصلِحين أنّ هنالك طرِيقًا أقربَ لبُلوغ الغايَة المنشُودة» الخ.

---

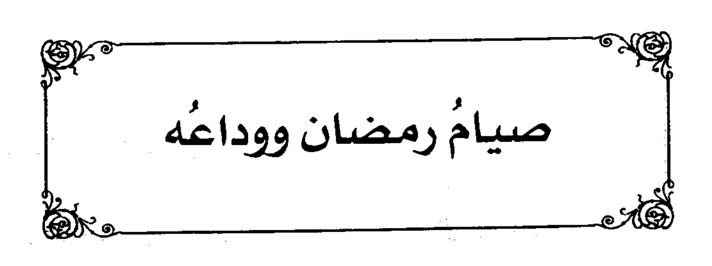
(١) هو الشَّيخ محمَّد المهدي، وقد تقدَّمت الإشارة إليه في هامش (ص٤٨٩).

فكان غرضُنا مِن تلك القَولة أنّ حَربَنا للطّرقيّة وسِيلةٌ لِلغايَة المنشُودة التِي هي إِنارة الأفكارِ وتطهِير القُلوب، وليسَ هَدمُ الطّرقيّة هو الغايَة المنشودة، فلا يظنَّ ظانٌّ أنّا في تلك القَولة نُقِرّ الطّرقيّة ونَعترِف بها، بل كلّما زِدنا تفكيرًا في عِلَل انحِطاطِنا ازدَدنَا يَقينًا بأنّ الطّرقيّة رأس تِلك العِلَل، وأن لا طُرقَ في الإسلام.

وقد قال ﷺ لمن سأله أن يقول لَه في الإِسلام قَولًا لا يَسأَل عَنه أحدًا غيرَه مُكتَفِيًا بِهِ: «قُلْ آمَنتُ بِاللهِ ثُمَّ اسْتَقِمْ» أخرجه مسلم[1]، وأَصلُه في الكتابِ العَزِيز: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ﴾ [فُصِّلَت: ٣٠، الأحقاف: ١٣][2].

(١) برقم (٣٨) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه.

(٢) «البصائر»: العدد (٨٧)، بدون إمضاء.



صيامُ رمضان ووداعُه

إذا تفقهتَ في الصيام وما شرع له الإسلام من آداب وجدته من خير ما يكمّل المرء، ويزكّي النفس، ويصلح المجتمع، فإنّ تكرّر الصيام كالتردّد على دروس راقية في التربية والأخلاق، ومجيء رمضان من كلّ سنة كافتتاح مدرسة سنوية، لذلك يقبل بها كلّ مكلّف شرعًا ، من كلّ مكلّف طبعًا، بعمل جليل أو حقير في الهيئة الاجتماعية.

وإذا فقهتَ ما في مدرسة الصيام من منافع للفرد والمجتمع، فتصوّر سعادة الأسرة الإنسانية الكبرى لو أنّها كلّها دخلت هذه المدرسة ، ونجح معظم تلاميذها في فهم دروسها وإجادة تطبيقها.

من أجل ذلك ندب الله إلى الصيام وكتبه في شهر رمضان.

وإنا ننبه في إيجاز على لفظ الآداب الخلقية[1] المستفادة من مدرسة الصيام لمن وفّق إلى دخولها، وانتبهت بصيرته لدقائق دروسها.

١ ـ فمن ذلك تربية الإرادة؛ لأنّ الصائم يدع باختياره ما تدعوه نفسه إليه، ولكن

---

(١) في الأصل: الخلقة.

الخير في تركه، ومن غلب هواه شهرًا متتابع الأيام لا يعجز أن يغلبه في بقية شهور العام، وبتكرّر السنين على تغلّبه يصبح غلبُ الهوى والنفس عادةً ميسورةً، وكثير[1] من الناس يألف شيئًا ثم يصبح منكِرًا له بِعقلِه ولكن لا يدعه من ضعف إرادته.

فالإرادة بتربيتها وتقويتها هي التي تُعين المقتصد والتائب على ما يهمّ به من ترك قهوة ودخان مثلاً، أو خمر وميسر وغيرهما، فكلٌّ من الغنيّ والفقير، والشريف والوضيع، والصحيح والمريض، في حاجة شديدة إلى إرادة قوية.

٢ ـ ومن ذلك التعوّد على الصبر، لأن الصائم يجد ما تشتهيه نفسه ويصبر عن تناوله، وأنتَ في الدنيا بين مطالب عالية لا تُدرَك إلا باستسهال الصعاب، ومصائب عاتية لا يهون وقعها إلاّ بالجلد، ومن حُرم الصبر ضاعت من يديه مطالبه، وقضت على آماله في الحياة مصائبه.

٣ ـ ومن ذلك تكريرُ المراقبة لله في السر والعلانية، لأن الصائم قد يخلو منفردًا، ولا يردّه عن تمتيع نفسه بما لذّ من طعام وشراب إلاّ شعوره بعلم الله به، وعدم رضاه ذلك منه، ومن كان صاحب مراقبة فهو ذو ضمير، ومن كان له ضمير يحجزه عن القبائح والدناءات فقد استكمل إنسانيته.

٤ ـ ومن ذلك اكتسابُ عِفّة اللِّسان، لأنّ الصائم يمسك عن الرفث والصخب، ومجازاة من سبّه، ومجاراة من سفه عليه، واللّسان ترجمان القلب وآلة التخاطب، فإذا صلح دلّ على صلاح القلب وحسن المعاشرة، وهنالك رضا الله ورضا الناس، وهنالك الهناء والسعادة.

---

(١) في الأصل: وكثيرًا.

٥ ـ ومن ذلك تنبيهُ عاطفة الرحمة، لأن الصائم يجد من مسّ الجوع والعطش ما يشعره بحقيقة ألمهما، ويدلّه على ألم ما إليهما من عري ومرض، فيتصوّر ذلك عند مشاهدة مُصابٍ تصوّرًا يحمله على التخفيف من ألم المُصاب بكلمة طيّبة هي مبلغ مستطاعه، أو بإعانة مادية إن قدر عليها، والرحمة من صفات الربّ، وهو لا يتصف إلاّ بالكمال، ومن ضعفت رحمته ضعفت إنسانيته وكثفت وحشيته.

٦ ـ ومن ذلك تكوين الشعور بالمساواة، لأن الصائمين مستوون في حكم الصيام، وهذا الشعور يرفع المُستضعَف عن الاستكانة لمن أراده بإهانة، ويبعث فيه العزّة مَن حاول استعباده، وينزل بالمستكبر عن عليائه ويزيل منه داء كبريائه، وإذا عمّت المساواة انطلقت العقول وأخرجت قوى النفوس مواهبها، فسعد البشر حيث لا رقيب متجبّر ولا واشٍ متملّق.

٧ ـ ومن ذلك تغذية الشعور بالإحسان وشكر المحسن، لأن صيام رمضان شكر على نعمة الهداية بإنزال القرآن. ومعرفة الجميل لأهله استزادة من الجميل وتشجيع عليه.

٨ ـ ومن ذلك الاحتفاظ بالذكريات التاريخية، لأن صيامنا اليوم رمضان، هو إحياء لذكرى ذلك الشهر الذي بُعث فيه رسولُ الرحمة ومُتمِّمُ مكارم الأخلاق، وأنزل فيه أوّل آيات من القرآن في الدعاء إلى القراءة والتعلّم وتمجيد العلم وتكريم القلم.

وكلّ شعب احتفظ بذكرياته التاريخية فقد احتفظ بمادّة وجوده، ولم يكن سهل المساغ لمن اهتمّ بابتلاعه، فإن جرؤ جريء على ازدراده مزدريًا بمقوّمات قوميته بقي له كالشجا بين حلقه والوريد.

يدرك هذه الآثار وما إليها لعبادة الصيام مَن تفقّه في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة:١٨٣]، وقوله سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ومن وقف كذلك على ما جاء من أحاديث في فضل الصيام وآدابه.

وبعد، فهل قدّر الناسُ قدر رمضان، أم وقف الصائمون على أسرار الصيام وقصدوا إليها؟

لقد قدّر الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ قدر هذه العبادة، وفقهوا أسرارها، فظهرت عليهم آثارها وجنوا ثمراتها، فكانوا خير أمة عرفها التاريخ عدلاً وفضلاً، وبساطةً في العيش، ورقيًا في العقل، وحريةً واحترامًا للنظام.

أما اليوم ، ودهرًا قبل اليوم، فقد أمسى المسلمون يتبرّمون من الصيام، وفيهم ـ وما أكثرهم بالحواضر ـ من انحلّوا من هذه الشعيرة ورفضوها رامين مَن حافظ عليها بالجمود والتهمّج، وعامّتهم لا يتأدّبون بأدبه ولا يشعرون بفوائده.

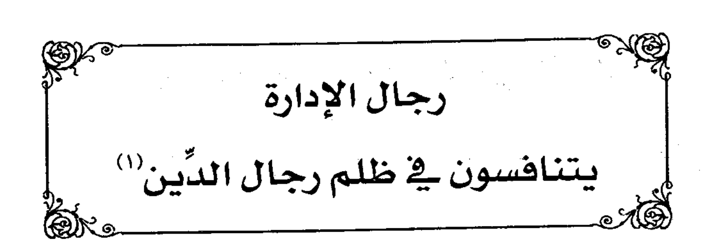
صباحهم كسل وهيام، ومساؤهم ضوضاء وخصام، وليلهم تبذير في المباح والحرام، فإذا انقضى الشهر ودّعوه وداع المستثقل لظلّه، وخرجوا منه خروج المجرم من السجن، وكان عيدهم كفرًا لا شكرًا، وحوبةً لا توبة.

يجب أن نرجع إلى سيرة السلف الأُوَل لنستعيد ما أضاعه علينا الخروج عنها، فنقدّر رمضان قدره، ونودّعه وداع من عرف فضله وسرّه، فيكون عيدنا شكرًا على نعمة محبوبة، وحفاوة بمنحة موهوبة، لا نتنعّم فيه إلاّ بما يُرضي المنعم، ولا نستطيب فيه إلاّ ما ليس فيه مأثم، ثم يكون عامنا استذكارًا لدروس مدرسة الصيام،

واستحضارًا لفوائدها الجسام، فإن فعلنا كُنَّا الأقوام يرضى علينا الملك العلاّم، ويقرأ حِسابَنا كلُّ الأنام، ويُعتدّ بنا في حالي الخطر والسلام[1].

مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (٨٨) الصادر يوم الجمعة ٢٢ رمضان ١٣٥٦هـ ٢٦/ ١١/ ١٩٣٧م.



رجال الإدارة يتنافسون في ظلم رجال الدِّين[1]

ما كاد يجفّ المداد من حديث اعتقال الشيخ عمر دردور[2] حتى بلغنا تهديد الشيخ سعيد البيباني[3]، فكان حاكم أوراس أوحى إلى زميله في بوقاعة، وهذا أوحى إلى الآخر في أقبو. وهذا الأخير لما لم يجد من يُهين في شخصه دين المسلمين في حوزه مدّ يده إلى البيبان حيث يقيم أخونا الشيخ سعيد الإبراهيمي، فأخذ يهدّده عن بُعد بالانتقام منه إذا هو لم يكفّ عن نشر الإصلاح.

وكلمة الفصل معهم أنّ هذا الدِّين خالد، وأتباعه أربعة مائة مليون يَفْدونَه بأرواحهم، فخير لكم أن تُخفِّفوا من إضرام النار![4]

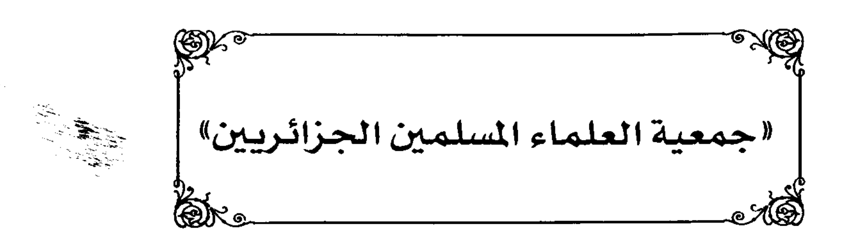
---

(١) الإسلام لا يعرف هذا المصطلح: «رجال الدين»، وإنما يقال: «علماء» و«فقهاء» و«أئمة» ونحوها. انظر: «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد رحمه الله.

(٢) انظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح» (٣/ ٥٧ ـ ٦١) لفضلاء، ثمَّ إنَّه انتقل إلى رحمة الله بتاريخ ١٩/ ٣/ ٢٠٠٩م

(٣) توفي رحمه الله سنة (١٩٧٦م) . انظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (٣/ ١٣٣ ـ ١٣٧).

(٤) «البصائر»: العدد (٨٨)، بدون إمضاء.

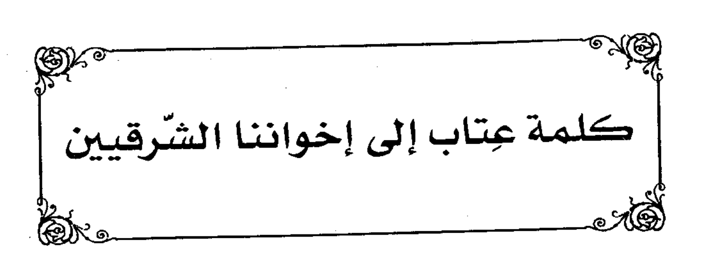


بلِسانِها «البصائر» تُهنّي بهذا العِيد المبارك أعضاءَها وأنصارَها وكلَّ مَن تَربِطها بِهم رابِطة الإِسلام، وتَضَرَّعُ إلى الله الذِي وحَّدهم في هذا اليَوم على مَظاهِر الزِّينة والعواطِف الأَخويّة أن يُؤلّف فيه بين قُلوبهم، ويَجمع بينهم في الآمال كَي يجتَمِعوا على عِلاج ما بِهم مِن آلامٍ، وتَحقِيق ما يَصبُون إليه من أحلامٍ حتّى يَعود علَيهم هذا العِيد وقد بدّلوا بالاستِعباد سِيادَةً، وبالامتِهان اعتِزازًا، وبالمزعِجاتِ هَناءً.

ثمّ تُهنّي نفسَها بمُضيّ عامَين لبصائِرها مُستقبِلة عامَ صحِيفَتها الثّالِث بآمالٍ تعتَمِد في تحقِيقها على الله ثمّ على أهل الشّعور والغَيرة مِن كتّابٍ وأُدباءَ ومُشتَركين وبَاعَة، «وَاللهُ فِي عَونِ العَبدِ مَا كَانَ العَبدُ فِي عَونِ أَخِيهِ»[1][2].

(١) جملة من حديث نبوي صحيح، وقد تقدم.

(٢) «البصائر»: العدد (٨٩) الصادر يوم الجمعة ٢٩ رمضان ١٣٥٦هـ ٣/ ١٢/ ١٩٣٧م، بدون إمضاء.



كلمة عِتاب إلى إخواننا الشّرقيين

الشّيخ فَرحات بن الدّرّاجي[1] مَفخَرة مِن مَفاخِر الزّاب، وشخصيّة بارِزة بَين شبابِنا المثقّف النّاهِض، دَؤُوب على المطالَعة والتّحصيل، صَبور على البَحث والتّحليل، وهو مِن أَضوَإ مَصابِيح المستَقبَل، لَو كثُر أمثالُه لم يَبقَ مُستقبل نَهضتِنا مجهُولًا لِلأخ الفاضِل الشّيخ عبد المجِيد حِيرش[2] الذِي نشَرنا نَظرتَه فِي العَدد السّابق.

وإذا قَدّمنا الأخ الشّيخ فَرحات بهذِه الكلِمات فليسَ لكونِه مجهولًا؛ فإنّه نائِب الكاتِب العامّ لجمعيّة العُلماء البارِزة في الشّمال الإفرِيقي، والذّائِعة الصِّيت في العالم المتَمدِّن، ولَسنا نَجري في تقدِيم مَن نُقدّمه على سُنَن أَغلَب الصّحافة فِي كَيل الأَوصاف جُزافًا، أو مَنحِها تحتَ تأثِير الأَغراضِ والعواطِف، وإنّما نَجري في ذلك جَريَ المؤرّخ النّاقِد.

جاءنا هذا المقالُ[3] مِن حَضرة الشّيخ فَرحات، فصدّرنا بِه هذا العَدد الذِي

---

(١) توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٩٥١م). انظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح» (١/ ١٥٤ ـ ١٥٧).

(٢) توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ سنة (١٩٨٥م). المصدر نفسه (١/ ١٥٠ ـ ١٥٣).

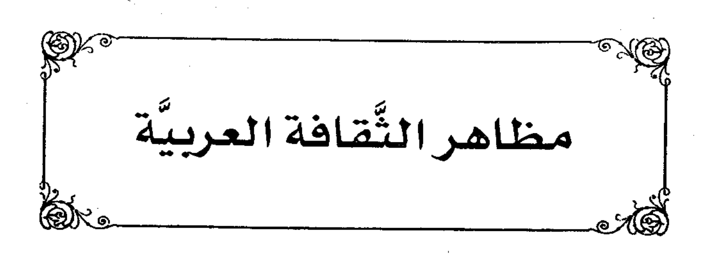
(٣) بالعنوان أعلاه.

يُصادِف القُرّاء في نَشوَة التّهاني العِيديّة، ومَظهر المؤاخَاة الإسلاميّة، ولم نُؤخّره إلى ما بعد؛ لأنّا لا نَرى مُنافاةً بين العِتاب والتّهنِئة الأخويّة، بل نَرى العِتاب مِن أَقوى الأَسباب لإِعدادِ المودّات وإِحكام الصِّلات[1].

قلم التحرير

---

(١) «البصائر»: العدد (٨٩)، بدون إمضاء.



مظاهر الثَّقافة العربيَّة

«فاجعة ميسلون»: بقلم الكاتب المجيد والوطني الحازم الأستاذ محي الدين السفرجلاني، خلّد فيه بطل ميسلون العظيم يوسف العظمة، شهيد الشهامة العسكرية والإخلاص للقضية العربية.

وقد توسّع فيه بذكر حديث القضية العربية في ثورتها على الحكومة التركية وتعاونها مع دول الحلفاء وتأسيس الحكومة العربية الفيصلية حتى احتلال فرنسا لدمشق.

فهو سجلّ تاريخيّ للقضية العربية والوطنية الشامية، لا يستغني عنه أديب عربي، ولا يختص بالقارئ الشامي.

والكتاب سهل التعبير، جيّد الطبع، يقع في نحو ثلاثمائة وخمسين صفحة، يُطلَب من المؤلّف والمكاتب العربية الشهيرة بخمسة عشر قرشًا مصريًا، فنحثّ الأُدباء على اقتنائه.

ـ ٢ ـ

«الثمرة الأولى»: نشرة جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين:

تشتمل على دراسات وبحوث للهجرة النبوية وحياة صاحبها ـ عليه أفضل صلاة وأطيب تحية ـ، ثم خُطب وقصائد.

كلّ ذلك بأقلام شباب هذه الجمعية وبعض الشيوخ ممن انتدبهم هؤلاء

الشبان لهذا الميدان كدليل على برورهم بمن تقدّمهم للعمل الإصلاحي وعدم غرورهم بمجهوداتهم القيّمة.

وما أحسن الشباب الذي يعتدّ بعمله ولا يغتر بنفسه ولا يعقّ من صلح من آبائه بغمطه حقّه.

والكتابُ مفيدٌ في موضوعه الهجرة، فهو جديرٌ بالاقتناء جدارة الهجرة بالدراسة، ومطبوع طبعًا واضح الحروف، نظيف الورق، مُحلًّى بِعِدَّة رسوم للشَّباب وبرسوم المشايخ: الأستاذ ابن باديس، والأستاذ أبي يعلى، والأستاذ ابن محمود[1].

ويقع في زهاء ثمانين صفحة، ويباع بأربع فرنكات.

فنحثّ القُرّاء على اقتنائه استفادة لفوائده ودراسةً لطموح شبابنا وتأييدًا لحركة أبنائنا.

ـ ٣ ـ

«تونس المصوّرة»: مجلّة أدبية إخبارية جامعة، تصدر في غرَّة كلِّ شهر عربي مؤقَّتًا، لمديرها ورئيس تحريرها الأستاذ سعيد بوبكر[2]، صاحب مجلَّة «العالم» سابقًا.

جاءنا العدد الأول منها، فتصفَّحناه فإذا هو جدير بالعناية والتَّشجيع، يسدّ فراغًا في صحافة إفريقيا الشَّمالية بعنايته بتصوير الحوادث رسمًا وكتابةً.

وثمن العدد فرنكان، نرجو لها الرَّواج ومزيد الرُّقي[3].

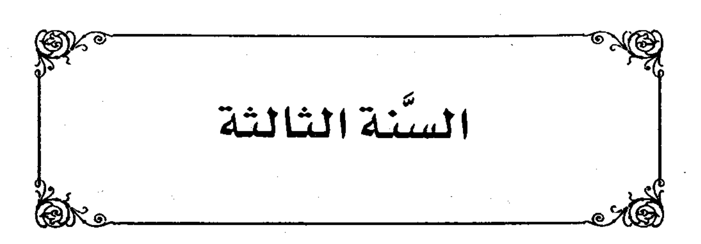
---

(١) هو الشيخ محمد المختار بن محمود، من أعلام الزيتونة بتونس، توفي سنة (١٩٧٣م).
انظر: «مشاهير التونسيين» (ص ٥٧٦).

(٢) توفي سنة ١٩٤٨م. المصدر السابق (ص ٢٤٠ ـ ٢٤١).

(٣) «البصائر»: العدد (٨٩) بدون إمضاء.

بسم الله الرحمن الرحيم



السَّنة الثالثة

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾﴾ [الفرقان: ٦١]، وقدَّره منازلَ لِنَعْلَمَ عددَ السِّنينَ والحساب.

والصلاة والسلام على المبعوث بخير مِلّة أُقِّتت تعبّداتها بمواقيت الأهلّة، وعلى آله وأصحابه وكلّ من استنّ بسنّته وتأدّب بآدابه.

أما بعد، فقد بزغت شمسُ هذه الصحيفة على العالَمِ الإصلاحي، بعد طول انتظار يوم الجمعة غُرّة شوّال سنة ١٣٥٤، فكان يومئذ للمصلحين ثلاثة أعياد: عيد الفطر وعيد الجمعة، وعيد إشراق هذه الصحيفة، فرأينا أن نحتفظ بهذه الذكريات على الوجه الممكن، وقرّرنا أن تكون الجمعة الأولى من شوّال كلّ سنة هي ابتداء السنة الجديدة لهذه الجريدة، أطال الله حياتها سنين عديدة في خدمة الإسلام والعروبة بأنظار سديدة، وإلى هذه الذكريات التذكير بتاريخنا وإحياء العمل به، فإنّ التاريخ الهلالي تاريخ عربي إسلامي، وشهوره عربية إسلامية.

والذكريات التاريخية تجري من الأمم مجرى الشرايين من الأفراد، فالشعب

الأشدّ اعتبارًا في الحياة الاجتماعية هو الشعب الأشدّ احتفاظًا بذكرياته التاريخية.

وفي العمل بالتاريخ الهلالي رمزٌ إلى محافظتنا على صِلاتنا بآبائنا الأولين وبرورنا بهم، وفي الاستغناء عن التاريخ الميلادي نفور من الاندماج، وكراهية للاحتلال الأدبي المفضي إلى ذلك المسخ الإندماجي.

ومن هنا اخترنا أن نعدّ عمر هذه الصحيفة بالسنين القمرية، ونرجو من كلّ غيور على الإسلام والعروبة، مهتمّ بحياتهما وقوّتهما، أن يعدّ عمره[1] نفسه بالسنين القمرية وأن يدوّن مذكّراته بالسنين القمرية، وقد كان أسلافنا بهذا يؤرخون أحاديثهم وأحداثهم.

ولا يضيق صدرنا لوجود التاريخ الميلادي إلى جانب القمري، لأنّا قوم لا نكره الأجنبي ولا نرفض الاتحاد معه، وإنما نرفض الاندماج، ونمقت من يكفر جنسه ويلتصق بغيره، لأن جنسه ضعيف في الحال وغيره قويّ الآن.

ولعل في هذا بيانًا لخطتينا الداخلية والخارجية، وهي بكلّ صراحة وسذاجة: العمل لرفع مستوانا الاجتماعي في دائرة الإسلام والعروبة، من غير كراهية لجنس أو مبدأ أو شخص إلاّ جنس الظلم ومبدأ التفوّق، وشخص الظالم والمتفوّق.

قضت «البصائر» من عمرها عامين لم تخرج فيهما عن ذلك المبدأ، ولا قصرت في تطبيقه إلاّ ما كان من تقاعد الكُتاب المبرِّزين عن الأخذ بيدها في ناحية التحرير، وتقاعس كثير من القُرّاء عن أداء ما لها عليهم من ناحية المال، والتحرير الراقي والمال الوافي هما جناح كلّ صحيفة لا تستطيع التحليق في جوّ مبدئها بدون اجتماعهما.

---

(١) كذا بالأصل.

وقد دخلنا السنة الثالثة آملين من الكُتاب أن يؤدّوا ما عليهم للبصائر من حقوق أدبيّة، ومن القُراء أن يقضوا ما عليهم لها من واجبات مادية، وذلك لتقوم بمهمّتها الدينية والاجتماعية على ما ينتظره منها أولياؤها المؤمنون بشرف خطتها، والمرتاحون لإجادة تطبيقها.

هذه ناحية الأمة.

أمّا من جهة الحكومة فما زلنا مغفولاً عن مطالبنا، مطالب «جمعية العلماء» في رفع القرار الجائر المانع لنا من حقّنا في مساجدنا، وفي إزالة العراقيل أمام رغبة الشعب في تعليم أبنائه، وفي تسوية الصحافة العربية بالفرنسية في الحقوق، وفي قطع المظالم المتكرّرة على رجال الجمعية، وكفّ اعتداء إدارات النواحي على شرفهم وتجنّيها عليهم.

لم تغفل «جمعية العلماء» عن المطالبة بتلك الحقوق، فتراها تبرق إلى المراجع العليا بها في اجتماعاتها العامة ، وتحتجّ على كلّ مظلمة في حينها وتشهّرها، وما تسلّم م. ميو مقاليد إدارة الشؤون الأهلية بالولاية العامة حتى طلبت إدارة الجمعية مقابلته، وبسطت له قضيتها مشافهة وكتابة، ثم قابلته مرّة أخرى، ثم قدّمت له عريضة نشرتها هاته الصحيفة في عددها الحادي والعشرين الصادر في ثامن ربيع الأول سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦/٥/٢٩) وما تأسّس المؤتمر الإسلامي الجزائري حتى كانت مطالب الجمعية ضمن مطالبه، وحملها الوفد إلى باريس وبسطها لرجال الحلّ والعقد من حكومة الجبهة الشعبية.

وبهذا العرض الموجز لقضية «جمعية العلماء» تعلم أن صداها لم ينحصر بين جدران الإدارات الصغرى، بل بلغ الولاية العامة واجتاز البحر إلى باريس، ومضى

على هاته القضية بتلك الإدارات العليا من الزمن ما يكفي ويجاوز الكفاية بفحصها وعلاجها وإنصافها فيها، ولكن ماذا كان؟

كان ما يرى مبصرٌ ويسمع واع!

المساجد لم تزل محجّرة علينا لا نعظ بها إلاّ برخصة، ولا تُعطَى الرخصةُ لسائلها غالبًا، ولا حقّ لسائل الرخصة على مانعه منها يطالبه به، والمكاتب القرآنية تُغلَق بأدنى الأسباب، ولا تُمنَح الرخص لطلابها مع استكمال الصفات القانونية، ورجال الجمعية محفوفون بالشكوك الإدارية، محاطون بالتهم بما هو بعيد عن خطتهم، معرّضون بدسائس مدبرة لطائلة القانون، وما سجن الأستاذ العقبي بالذي يعزب عن الأذهان، ولا حديث اعتقال الشيخ ردور بالحادث الوحيد.

فالمبصر لا يبصر في معاملة الحكومة لجمعية العلماء إلاّ زيادة الضغط وتضييق الخناق وشدّ الوثاق، والواعي لا يسمع إلاّ أنّ مطالبة الجمعية بحقوقها الطبيعية تهييج، وثباتها على مبدئها تعصّب، وإخلاصها في خدمة دينها وقوميتها خدمة للجامعة العربية ضدّ الغربيين.

هذا مؤتمر الريديكال في شعبان الماضي (أكتوبر)، يُجْمِعُ فيه نُوَّابُ الشمال الإفريقي على خطورة حركة المسلمين على النفوذ الفرنسي، وتُوصَف فيه «جمعية العلماء» بأنها من عناصر الوطنية الطائشة، ثم يظهر رأي أولئك النواب بصفة رسمية في خطاب وزير الدولة المكلّف بشؤون إفريقيا الشمالية م.سارو، الذي ألقاه في لجنة الجزائر والمستعمرات يوم الأربعاء ٢٠ رمضان الحالي (٢٤/ ١١) إذ يثبت أن في المغرب والجزائر وتونس عناصر الهيجان ويَدًا أجنبية، ويقول عن الجزائر حسبما

جاء في «لادبيش» القسنطينية الصادرة غداة الخطاب ما خلاصته:

هنالك تأليف فكري بين مبادئ متنوّعة تضمّ أحزابًا مهيّجة، تبتدئ من الشيوعية إلى حزب الشعب الذي يترأسه مصالي الحاج ، الأعظم خطورة، ويذكر م.سارو من هؤلاء العلماء، ويصفهم بأنهم يسترون تحت ردائهم الديني كراهيةً للأجنبي ودهاءً سياسيًا.

قد بيّنا [أن][1] خطتنا لا ضير فيها على أحد، وكرّرنا بياننا في عدّة مناسبات، ونحن صرحاء في أقوالنا، وقد يكون منا من روّض عقله على إدراك مقاصد السياسيين، ولكن ليس فينا من عوّد لسانه استعمال لغة السياسة.

وقد أعطينا ثقتنا بحكومة الجبهة الشعبية، وتقدّمنا إليها بمطالبنا عن حسن ظنّ فيها ، ونحن شرفاء في مواثقنا لا ننقض ما أبرمناه، ولا ننكر الجميل من أهله، ولكن الجميل الواقعي لا الخيالي.

وبعد، فنحن واثقون بالله ثقةً لا يؤثّر في متانتها ضغط ضاغط، عالمون بمشروعية مطالبنا علمًا لا يشكّكنا فيه إتهام متّهِم، ثابتون على خطّتنا ثباتًا لا يُدَهْدِهُه[2] رعبُ راعب، ومن تقدّم إلينا بالإحسان شكرنا، ومن رمانا بأذى صبرنا، والعون عليه عن الله انتظرنا ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾ [الحج: ٤٠][3].

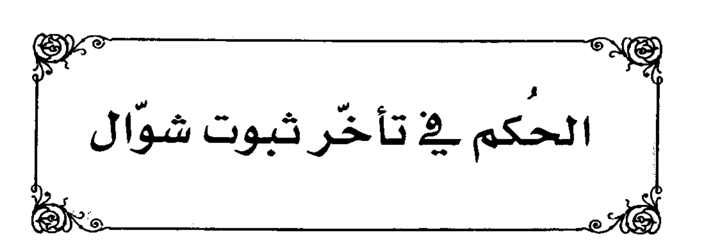
مبارك الميلي

---

(١) ساقطة من الأصل.

(٢) أي يدحرجه.

(٣) «البصائر»: العدد (٩٠) الصادر يوم الجمعة ٦ شوال ١٣٥٦هـ، ١٠/ ١٢/ ١٩٣٧م.



الحُكم في تأخّر ثبوت شوّال

عن أبي عُمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار ﷺ قالوا:

«غمّ علينا هلال شوّال فأصبحنا صيامًا، فجاء ركبٌ من آخر النهار، فشهدوا عند رسول الله ﷺ أنهم رأوا الهلال بالأمس، فأمر الناس أن يفطروا من يومهم وأن يخرجوا لعيدهم من الغد»(١).

رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن حبان في «صحيحه»، وصححه ابن المنذر وابن السكن وابن حزم والخطابي وابن حجر في «بلوغ المرام».

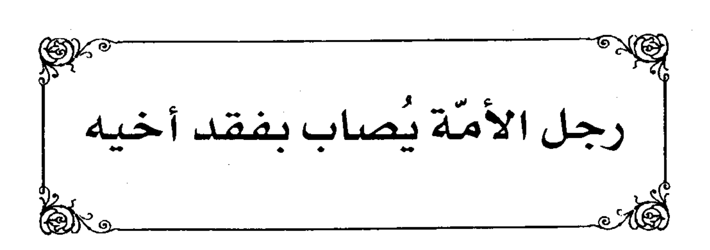
قاله في «نيل الأوطار» (٣/ ٢٦٣)..

وقد كان ثبوت شوّال هذه السنة على مثل ما في هذا الحديث في أغلب جهات الوطن الجزائري، فبلغني أن من الناس من احتار في أمر الصلاة ، ومنهم من أصرّ على الصيام، ومنهم من أفطر، ولكن اغتاظ من التزام الحكم الشرعي الذي نشأ عند هذا التأخير، وأعلن إعجابه بالخرّاصين الذين يصومون ويفطرون بظنونهم، فقمنا بعد صلاة العيد، وذكّرناهم بهذا الحديث، وأثبتناه هنا ليكون حُجَّةً للمستنّ وحُجَّةً

(١) صحيح سنن أبي داود (١٠٥٠) للألباني.

على المعاند، وختمنا خطابنا بآيتي ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾﴾ [الزُّمَر: ١٧ ـ ١٨][1].

(١) «البصائر»: العدد (٩٠) بدون إمضاء.



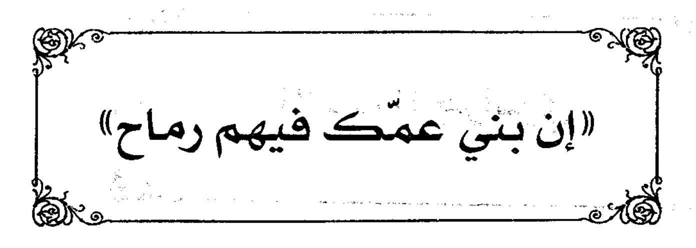
رجل الأمّة يُصاب بفقد أخيه

لَيلةَ الاثنين الأخِير مِن رمضانَ توفّي السّيّد سَلِيم بن السّيّد محمد المصطَفى ابن بَادِيس وأَخو الأستَاذ الجلِيل الشّيخ عبد الحمِيد بن بادِيس، ودُفن يومَ الثّلاثاء فِي مَشهدٍ مِن جمِيع الطّبقات والهيآتِ، قلَّما رَأت قسنطينة مثلَه، وذلِك لمكانَة الأُسرة البادِسيّة في النّفوس، ومنزِلتها في القُلوب.

ونَحن نُعزّي السّيّد محمّد المصطَفى وأبنَاءَه الأستَاذَ عبدَ الحمِيد وبَقيّة إخوَتِه، ونَسألُ اللهَ لَهم الصّبر والسّلوَان، وللفَقِيد المغفِرَة والرِّضوان[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٠) بدون إمضاء.



«إن بني عمّك فيهم رماح»

«البصائر»:

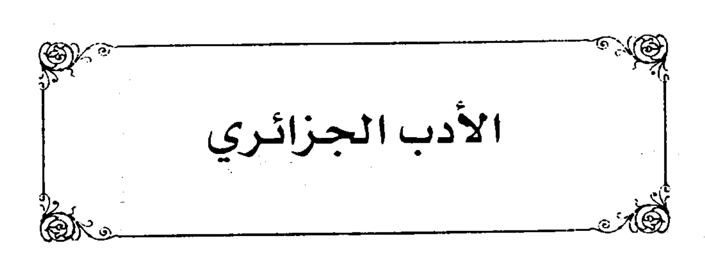
لا يُغمَط حَقُّ المؤسّس ولا تُبخَس جهودُ السائرين بتلك المؤسسة[1] نحو القوة والإنتاج، وليس من آداب العاملين أن يقصروا أنظارهم على خصوص أعمالهم، ولنكن مسرورين بالنتيجة الحسنة كانت على يد المؤسّس أو خلفه، وليكن هذا آخر مناظر الجدال حول تلك الجمعية ورجال إدارتها، ولتكن رماح الجميع في نحور أعداء مشارعنا[2] العلمية والاجتماعية[3].

---

(١) يعني «جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين» التي وقع حولها الجدال.

(٢) كذا في الأصل.

(٣) «البصائر»: العدد (٩٠)، بدون إمضاء.



الأدب الجزائري

الأدب شعور ووجدان عن حِسٍّ وتفكير وعِرفان.

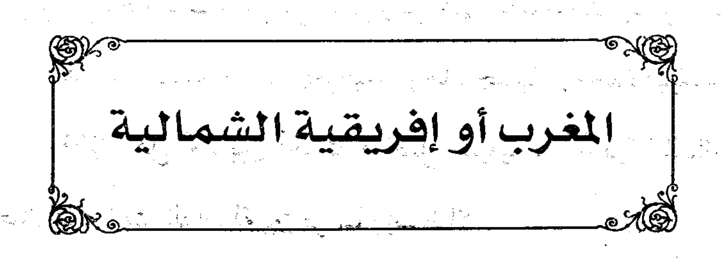
والأدب ـ مُسيِّرًا للشعوب أم مُسايرًا لها ـ هو مرآتها الصقيلة تنجلي بها صورتها الأخلاقية والاجتماعية. وهو سجلّها الصادق يحفظ آلامها وأحلامها وأميالها.

لذلك فتحنا هذا الباب لنعرف به حقيقة ما عليه الشعب الجزائري ولنعرّفه به ما حقّه أن يكون عليه.

فهو تصوير للداء وتقدير للدواء.

ولأجل أن يقوم هذا الباب بخدمة شعبنا خدمةً صادقةً نثبت به ما كان من جيّد الأدب وما كان من سقطه[1].

(١) «البصائر»: العدد (٩٠) و(٩١) بدون إمضاء.



المغرب أو إفريقية الشمالية

المغرب عند متقدمي الجغرافيين وإفريقيا الشمالية عند متأخريهم اسم لهذه الأوطان الأربعة المعروفة اليوم بطرابلس، وتونس، والجزائر، ومراكش.

ونظرة على الخريطة العامة تريك ما للمغرب من فضيلة الموقع وميزة الموضع، فهو على البحر الأبيض سبيل المدنية والحضارة من عهد الكنعانيين المعروفين بالفنيقيين، يصل بسهولة بين قارات الدنيا: آسيا وإفريقية وأروبا.

وبتملك الكنعانيين لهذا البحر انبسطت حضارتهم على الدنيا القديمة، وبقي ذكرهم وإن انقرض من قرون جنسهم، وبغلبة الرومان عليه اتسعت ممالكهم، وعظمت إمبراطوريتهم، وحفظت في البناء آثارهم، وبعمارة الأساطيل العربية له مدّ العرب أيديهم إلى أوربا وأبقوا بها مهابةً ورعبًا في قلوب أهلها .

وأخيرًا لو لم تذهب ريح أهل المغرب في العهد العثماني بالتنازع بين أهل أوطانه الأربعة لم تأخذ انجلترا لقب «سيّدة البحار» ، ولما كانت لأوربا هذه العظمة المادية.

وليست ناحية المغرب الجنوبية بالناحية العديمة الجدوى، فهي تتّصل بالصحراء الكبرى حيث الذهب الإبريز والتجارة الدارة للأرباح في غير كساد.

أما المغرب نفسه فهو الأرض الخصبة الصالحة لفلاحة كلّ النباتات والأشجار، وتربية كلّ الحيوانات والمواشي، فهو وطن غنيّ بنفسه، غنيّ ببحره، غنيّ بصحرائه.

هذا المغرب هو وحدة جغرافية، ووحدة جنسية، ووحدة دينية، ووحدة سياسية.

فانظر هل تجد بين أجزائه فواصل طبيعية من أودية كالدانوب بأوربا، أو جبال كالبرنات الفاصلة بين فرنسا وإسبانيا؟

وانظر إلى سكانه تجدهم قديمًا البربر، وحديثًا دخل عليهم العرب ثم الترك، فلم يكن منهم من يشعر بأنه مالك معمّر والآخر مملوك مستعمَر، وإذا كان بينهم نزاع فهو كما يكون بين أبناء العمومة من القبيلة الواحدة، نزاع له أسبابه التي لا تعود إلى الفوارق الجنسية، وإن وجد من يشعر بهذه الفوارق فهو لشذوذ في الطبع، أو شذوذ في الظروف التي أحدثت ذلك الشعور.

ثم انظر إلى دين المغرب تجده قديمًا الوثنية، فلما عرف المسيحية عرفها على وجه لا يتنافى مع جوهر الوثنية، ثم جاء الإسلام فعمّه، وطبع عليه طابعه الخالد.

أمّا السياسة فقد عرفت له ملوك في العهد الكنعاني لم يكن لهم حدود قارة، فقد تجد الملك من قسنطينة تتبعه طنجة غربًا وصفاقس شرقًا، وقد تجد الملك من الناحية الغربية يسود الجهة الشرقية، فكان ملوك ذلك الجيل فمن بعدهم أشبه في تعدّدهم بتعدد أمراء البيت الواحد يتنافسون في الاستعلاء على كرسي المملكة الواحدة.

ثم جاء الإسلام فرأينا القيروان عاصمة للمغرب أجمع أيام الدولة الأموية وفي عهد الدولة العُبيدية، ورأينا مراكش عاصمة له كله في عهد الدولتين العظيمتين: دولة المرابطين ودولة الموحّدين ، وما كان بعد أو قبل من تعدّد العواصم بهذا المغرب كتيهرت وبجاية

وتلمسان بل ورقلة وتقرت ، فذلك لتكافؤ المتنافسين، لا لاختلاف أصول السياسة وغاياتها، واختلاف الملوك ليس وحده اختلافًا للسياسة ولا منافيًا بذاته لوحدتها.

هذا عرض موجز ننبّه به من اغترّ بالدعاية الاستعمارية التي تحاول تذليلنا لاستعبادها باحتقار ماضينا حتى ظنّ مَن ظنّ عن قصر نظر أو عن سوء قصد أن هذا المغرب خُلق للاستعمار، ولم يعرف في حياته عزّ الحرية ولا هناء النظام.

أما من حفظه الله من داء تلك الدعاية فهو يؤمن بوحدة المغرب عن علم وخبرة أو عن شعور ووجدان، وأحدث مظاهر هذا الإيمان حديث الإضراب الذي وقع أخيرًا بتونس، وقد جاء بأحرف بارزة في الوجه الأول من صحيفة «العمل» لسان الحزب الدستوري التونسي، عدد (٤١) ما نصّه:

«يذكر الديوان السياسي للحزب الحر الدستوري الشعب التونسي بالوفاء للشعبين الشقيقين الرازحين تحت أثقال الظلم الصارخ، وليذكر الشعب التونسي دائمًا أن واجب التضامن أمر طبيعي بين شعوب وحّدها التاريخ في دينها وفي لغتها وفي أخلاقها، فلنعلن تضامننا بالإضراب عن العمل يوم السبت ١٧ رمضان ٢٠ نوفمبر في هدوء وسكينة حتى يبدو مظهر الحزن على الشعب رائعًا لا تشوبه شائبة تخرجه عن طوره المرسوم.

«والشعب التونسي بلسان حزبه الوحيد يبعث بتحياته إلى زعماء القطرين في السجون والمنافي ويتمنى للشعبين حياة حرة سعيدة».

«الديوان السياسي»

وقد تم الإضراب في موعده بنجاح باهر رغم تهديد الحكومة، كما ذكرته الصحف التونسية، وشكر للتونسيين كلٌّ من المراكشيين والجزائريين هذا الإحساس، أو هذا الإعراب بالإضراب لمن يسوموننا التفريق والعذاب.

وقد أثبتت صحيفة «العمل» في أعلى صفحتها الأولى من العدد (٤٢) نص برقية الأستاذ عبد الحميد بن باديس، قالت:

«الشيخ عبد الحميد بن باديس يشكر الأمة التونسية في شخص الرئيس الجليل».

«قسنطينة ١٨ رمضان ٥٦ ـ ٢١ نوفمبر ٣٧».

حضرة الدكتور الماطري رئيس الحزب الحر الدستوري التونسي.

بلسان إفريقية الشمالية والجزائر أشكركم وأشكر الحزب الحر الدستوري، وأشكر تونس على عطفكم الأخوي الصادق، وأهنئكم بالفوز بالإضراب لإعلان تضامن إفريقية الشمالية بالفعل لأوّل مرّة». [عبد الحميد بن باديس]

ومراد الأستاذ بقوله: «لأول مرة» خصوص عصر الاستعمار الأوروبي لهذا المغرب.

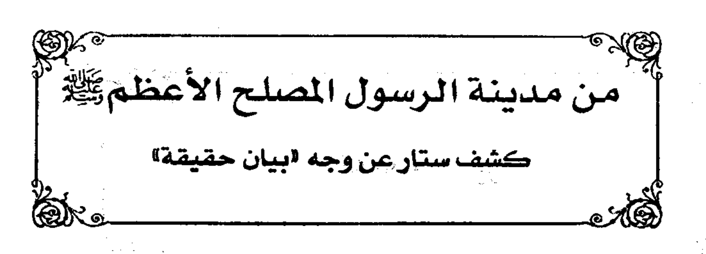
وإذا أثبتنا قول العمل «بلسان حزبه الوحيد» فإنما هي أمانة النقل لا المجاراة في التعريض إن كان تعريض، فإنا نعرف الحزب الحر الدستوري ولا نعترف بالخلاف بين شِقّيه من رجال اللجنة التنفيذية ورجال الديوان السياسي، ولا نميل إلى أحد الشِقّين لأن بتّ الحكم في النزاعات الداخلية مما لا يجمل بمريد لذلك الشعب ومحبّ الرزانة لنفسه.

وقد أرسل الأستاذ عبد الحميد في نفس تاريخ البرقية السابقة برقية إلى أبي الدستور الأستاذ عبد العزيز الثعالبي يهنّئه فيها بفتح ناديه العظيم، ويرجو أن يكون به فتح جديد لتونس العزيزة وإفريقية الشمالية .

حقّق الله الآمال، وجمع على صالح المغرب قلوب رجال الأعمال[1].

مبارك الميلي

(١) البصائر: العدد (٩١) الصادر يوم الجمعة: ١٣ شوال ١٣٥٦هـ ١٧/ ١٢/ ١٩٣٧م.



من مدينة الرسول المصلح الأعظم ﷺ

كشف ستار عن وجه «بيان حقيقة»

انتقلَت إلينا إدارَة «البصائر» مِن الأستاذِ العُقبِي، فسلّم لنا عِدّة مقالاتٍ بَقيت على النّشر، عَثَرنا ضِمنَها على هذا المقالِ، فرَأينا أن لا نَنشُره لأمرَين:

أَحدهما: طُول الفَصل وبُعدُ العَهد بالمقالِ المردُود عليه.

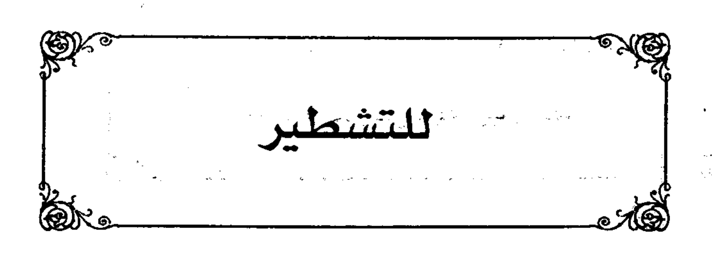
وثانيهما: رَغبَتنا في عَدم الخَوض في مُناقَشات شَخصيّة، نودّ أن نَحترِم نفسَها ونَحتَرِمها على كلّ حال؛ فإنّ المتناقِشَين مِن مدِينة مَن بَعثَهُ اللهُ لإتمامِ مَكارِم الأَخلاقِ، وفَضيلَتُهم أَوّلُ وأولَى مَن يعمَل بقوله تَعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

ثمّ جاءنا كِتاب مِن حَضرة صاحِب المقال يُؤكّد رَغبَته في نَشره، وحِرصَه على إذاعَته بصحِيفة «البصائر» فَلبّينا طلبَتَه ونَشرنَاه تطيِيبًا لخاطِره، راجِين مِن كُتّاب المدِينة المنوّرة وأُدبائِها أن يُمدُّوا هذِه الصّحيفَة بما فِيه إحياءٌ لسنّة ساكِنِها ـ عليه الصّلاة والسّلام ـ وإعلاءٌ لحُرمَة مُجاوِرِيه مِن أمّته التِي خاطَبها تعالى بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠][١].

قلم التحرير

---

(١) «البصائر»: العدد (٩١) بدون إمضاء.



للتشطير

أيَا مَن بِالوُعودِ أَجَبْتُمُونا ... شِفاهًا فِي المجَالِسِ أو كِتَابَه

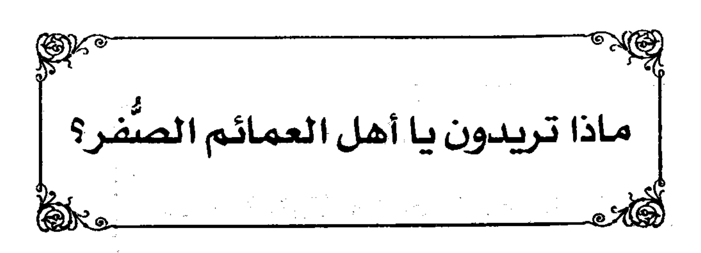
تَبَيَّنَ مِنكُم إخلَافُ وَعدٍ ... خَجَلنَا مِنهُ عَنكُم بِالنِّيَابَه...

بَيتان لأدِيب جزائِريّ نَشرنَاهُما للتَّشطِير خِدمةً لِلأدَب والقَضِيّة الجزائِريّة، فعَلَى الأُدباء أن يُدلُوا إلى صحِيفَتهم بِجيّد آدابِهم.

وسَتُؤسَّس لجنَةٌ أدبيّة لتَقرِير الجوائِز التِي هي كأوسِمَة شَرَفيّة، واختِيارِ التّشاطِير التِي يَستحِقّ أربابُها الجوائِزَ، ثمّ يُعلَن عن المجلين في حَلَبة التَّشطِير ومَا استَحقّوه مِن جوائِزَ[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩١)، بدون إمضاء.



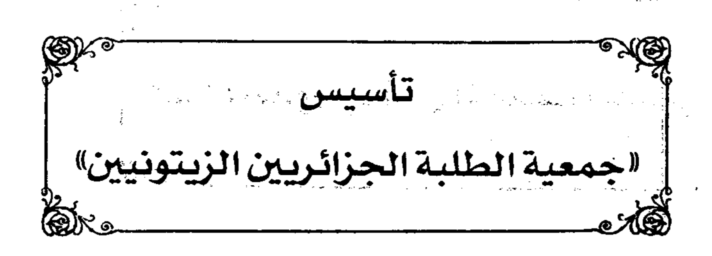
«البصائر»:

الآية[1] في المناجاة والمحادثة السرية، ثم هي منسوخة، فإثبات الزيارة المالية بها جهلٌ باللُّغة وبأحكام الدِّين، وتفسير للكتاب بالرأي والهوى، وذلك من تحريف الكلم عن مواضعه الذي أضلّ بني إسرائيل[2].

---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ..﴾ [المجادلة: ١٢].

(٢) «البصائر»: العدد (٩١) بدون إمضاء.



تأسيس «جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين»

«البصائر»:

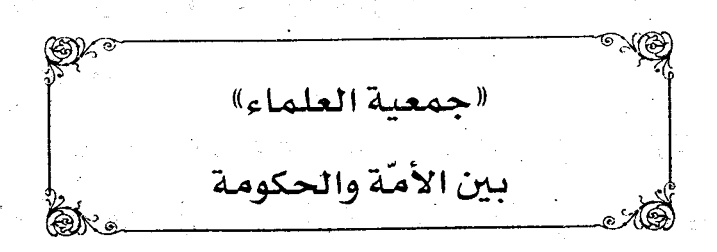
نقول ـ للتاريخ فقط ـ إنّ فكرة تأسيس جمعية لطلبة الجزائر بتونس كانت قديمة عند قدماء الطلبة الجزائريين الزيتونيين، وقد حاولنا تنفيذها، فعطّلنا ما أشار إليه الكاتب[1] من عراقيل، وصرفنا صوت الواجب إلى خدمة العلم والدِّين في وطن الجزائر عن المضيّ في تذليل تلك الصعوبات.

وإنا لنشارك الكاتب في فكرة تأسيس مأوى لتلاميذ الجزائر بتونس ، وندعو الشعب أجمع ليستعدّ إلى البذل في هذا السبيل متى دُعي[2].

---

(١) هو مصطفى بن سعد الجيجلي.

(٢) «البصائر»: العدد (٩١) بدون إمضاء.



«جمعية العلماء» بين الأمّة والحكومة

«جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» تعمل للمحافظة على الإسلام النقيّ من الخرافات والبريء من المحالات، وعلى العروبة الخالدة العزيزة على كلّ عربي وكلّ مسلم وإن لم يكن عربي الجنس.

فليست هي حزبًا خاصًا ولا ضدّ حزب خاصّ، وإنما هي جمعية الأمّة المسلمة الجزائرية إذ لا نجد في أقصى رمال الجزائر أو أمنع جبالها من يبرأ من الإسلام الصحيح أو يستنكف عن العروبة.

وإذا وُجد في هذه الأمة من يخالفها في شعورها نحو الإسلام والعروبة، فهو أحد رجلين: إما من الذين أفسدتهم تربية المبشرين المسيحيين، وإما من الذين أضلتهم تعاليم المكاتب اللادينية، وهما فريقان قليلان في نوعهما، ضئيلان في مجموع الأمة.

من أجل هذا نرى الأمة شديدة الرغبة في رجال «الجمعية» البارزين ليزوروا مواطنها ويذكّروها بدينها، ونراها شديدة التعلّق بهم ليدلّوها على النظم النافعة في إحياء العربية وعلى الرجال الأكفاء لتعليمها.

فرجال «الجمعية» مضطرون بحكم تلك الرغبة وذلك التعلّق إلى الجولان في الوطن للوعظ والإرشاد، وإلى السهر على التعليم العربي الحرّ لترقيته وإزالة الموانع من طريقه.

وقد بكّر م.ميرانت الذي كان مديرًا للشؤون الأهلية بالولاية العامة إلى إساءة الظنّ بجمعية العلماء، وكنّا نظنّ أنه سيعترف بغلطه في هذه الجمعية، وأن هذا الغلط سينتقل من الولاية بانتقاله منها! ولكن كنّا غالطين في حسن ظنّنا، كما كان هو غالطًا في سوء ظنّه، فلم يزل نظر الحكومة إلى هذه الجمعية مريبًا من عهده حتى اليوم.

وهنا وقفتْ «الجمعية» موقف الأمين الحكيم، فلم تقصّر مع الأمة فيما استطاعت القيام به لها، ولا خانتها في رغبتها وتعلّقها طمعًا في رفع ريبة الحكومة عنها، ثم هي لم تثر على قانون الحكومة ولا أخرجتها مضايقة الحكومة عن حدّ الاعتدال، وقد كان ابتداء هذه المضايقة في السنة الأولى للجمعية في رجب سنة خمسين (نوفمبر ١٩٣١م) ومضى عليها الآن ست سنوات ودخلت في السابعة، فلم تجد الحكومة طول هذه المدة حُجَّةً تَدين بها «الجمعية»، وهذا مما يدعو إلى الاستغراب من الإصرار على تلك الريبة.

وبناء على موقف الجمعية بين الأمة والحكومة خرجت وفودها في هاته السنة كسابق عادتها، ووقفت على مضايقة الحكومة في سنتها الحاضرة كما وقفت عليها في السنوات الماضية، ورأت من إقبال الأمة عليها وحرصها على دينها وعروبتها ما يزيد المطلّع خبرة بنفسية هاته الأمة وتصديقا بأن هاته الجمعية هي جمعية الأمة.

كان من المقرّر أن يذهب إلى صحراء قسنطينة وفدٌ يتركّب من المشايخ: عبد

الحميد ابن باديس رئيس الجمعية، والعربي التبسي كاتبها، ومحمد خير الدين مراقبها، وعبد العزيز ابن الشيخ الهاشمي من أعضاء إدارتها، ومبارك الميلي أمين مالها، فانتهز الرئيس فرصة راحة تلامذة الجامع الأخضر لعيد الفطر وأمر بالسفر إثر العيد.

خرجنا من قسنطينة مساء الثلاثاء رابع شوال إلى بسكرة، وفي صباح الأربعاء غادرناها إلى الواد (سوف)، وقد صحبنا من بسكرة غير أعضاء الوفد الشيخ حمزة بوكوشة العضو الإداري والسيد الحاج البشير الخلادي من أعيان الواد القاطنين ببسكرة.

بلغنا الوادي بعد الزوال فوجدنا رئيس ملحقته بالإدارة، فقصدنا إليه، ورأينا منه رجلاً رزينا يقدّر الرجال والأحوال فأحسن مقابلتنا، ولكنه أظهر لنا مخاوف من اختلاطنا بالأمة وأنه يخشى أن تهيج الفتنة بين أنصار الإصلاح وأصحاب الطرق، فمنعنا من الوعظ بالمساجد، وأذن لنا في الزاوية القادرية ، لأنها تحت تصرف الشيخ عبد العزيز ابن الشيخ الهاشمي أحد أعضاء الوفد.

وبعد هاته المقابلة وقعت مقابلات أُخَر من رئيس الملحقة والشيخ عبد العزيز، وكان آخر ما ختمت به في ذلك اليوم أن قال رئيس الملحقة للشيخ عبد العزيز إني: لا آذن للوفد أن يذهب إلى أيّ قرية من قرى سُوف، ولا أن يلقي درسًا بغير محلّكم الخاص، وكان الشيخ عبد العزيز شريف النفس، حكيم الرأي، صادق الاعتقاد في مبدأ الجمعية، فلم يجار الرئيس في تخوّفه ولا أغضبه في محاورته ولا ترك سبيلاً لظهور الجمعية واتصالها بالأمة إلاّ أرشد الوفد إليه.

وفي صبيحة الخميس كتب رئيس الجمعية الأستاذ عبد الحميد إلى رئيس الملحقة رسالة كالجواب على تمنّعه من جولاتنا بِسُوف، هذا نصها:

«سعادة السيّد الحاكم، بعد التحية نشكركم على حسن مقابلتكم لنا ونعلمكم أنّا وفّينا بما وعدناكم به، فألقينا مواعظ دينية كان لها الأثر الطيّب في نفوس الحاضرين من الذين كانوا على كثرتهم في هدوء وانتظام، وافترقوا مسرورين.

هذا، وقد استدعانا بعض أحبابنا خارج الواد إلى محلاّتهم الخاصّة، [فلبّينا دعوتهم كما هو الواجب علينا ، ونحن ذاهبون إلى محلاّتهم الخاصة،][1] لا محالة، ولا تكون الآثار التي نتركها من بعدنا إلاّ خيرًا، كما هي عادتنا حيثما حللنا، وتفضّلوا بقبول فائق احتراماتنا».

وبعد كتابة الرسالة استدعى رئيس الملحقة كُلاًّ من رئيس الجمعية والشيخ عبد العزيز فذهبا إليه، وسلّما له الرسالة، فأجابهما بأنه إنما يمنع الوفد من المساجد والمحلاّت العامّة، ويترك له الحرية في المحلاّت الخاصّة، على أنه استؤذن يوم الجمعة في إلقاء الدروس بسوق الوادي، فلم يمنع إذ تحقّق أن الوفد وفد سلام لا فتنة معه، ومن هنا رأى الوفد أن يودّعه عند مغادرته الواد.

ولست بصدد وصف ما لقي الوفد من أهل سوف من حفاوة وإكرام ومقابلات كأنها مظاهرات، فذلك ما يجده القارئ في مقالاتٍ لكُتَّابٍ ستنشر إن شاء الله.

وفي مساء السبت عُدنا إلى بسكرة، وذهبنا صبيحة الأحد إلى طولقة ولم نر ضرورة من مقابلة المتصّرف في الزيبان، كما أننا لم نعرض عنه استخفافًا به، وتلقتنا الأمة بكلّ شوق في حشد حاشد، واجتمعت في مسجد طولقة ووجدنا الأبواب مفتّحة، فلم نر مانعًا من إلقاء الدروس به، وبعد أن أتمّ الأستاذ الرئيس درسه

---

(١) ما بين المعقوفتين استدرك وصحح في العدد (٩٣) من «البصائر».

وشرع الأستاذ التبسي في درسه رأينا أعوان الحكومة المحلية يزعجون الجالسين في أبواب المسجد ويأمرونهم بالقيام، فلم نشأ أن نكون سببًا في أقلّ هرج، فأمر الأستاذُ الرئيسُ الناسَ بالخروج وخرجنا في صمت عميق والناس لا تريد أن تفارق الوفد في الطريق، وها هنا استؤذن شيخ طولقة في الاجتماع بساحة فسيحة فأذن، وتمّ للوفد وللأمة فوق ما كانوا يريدون.

وكان الاجتماع في بسكرة مساء يوم الأحد، وفي القنطرة مساء يوم الاثنين، وفي سيدي عقبة صباح يوم الثلاثاء، فاستعدّ متصرّف الزيبان لمقاومة الاجتماع بسيدي عقبة، وأرسل خليفته إليه قبل أن نأتيه، ولما أتيناه وجدنا هذا الخليفة قد قيّد أسماء من وجدهم في انتظارنا، وإذا بباب مقام سيدي عقبة مغلق، فقال الأستاذ الرئيس: لا أغادره أو يفتح، فجاء الخليفة ففتحه للوفد خاصة على أن لا يكون به غير مجرد الزيارة، وسأل عن المحلّ الذي نريد إلقاء الدروس به، فقيل له الزاوية القادرية، فقال: هي من المحلات العامة التي أمنعكم منها، ونازعه الشيخ العربي التبسي في اعتبارها من المحلات العامة، فأصرّ على رأيه .

وهنا لم يعدم أهل سيدي عقبة وسيلة لتحقيق رغبتهم في سماع دروس الوفد، ففتحوا لنا بستانا من بساتينهم، عاينه هذا الخليفة وذهب إلى مكتب شيخ البلدة بسيدي عقبة، فأخبر به متصرّف الزيبان، واستدعى الأستاذَ الرئيسَ فأعلمه بأنه لا يمنع من الاجتماع فيه على شرط أن يكون الاجتماع دينيًا، ثم جاء وحضر الدروس الدينية، ولما تمّ الاجتماع قال للأستاذ الرئيس: إنني أعتبره اجتماعًا عامًّا لا خاصًّا، فأجابه بأنه وقع وفق ما أنتم فيه، ثم كتب إليه ما نصّه:

«السيد خليفة الحاكم بسيدي عقبة: تحيةً واحترامًا... بعد ما كنتم أخبرتموني بأن السيد الحاكم لا يمانع في اجتماع ديني في مكان خاصّ، عقدنا اجتماعنا الديني في مكان بجداره وببابه، وقد حضرتموه من أوله إلى آخره، فشاهدتم الهدوء والنظام».

ولعل الأدباء في طولقة، وبسكرة وسيدي عقبة، والقنطرة، سيُغْنَون بوصف تلك الاجتماعات العظيمة، وما اشتملت عليه من مظاهر الحفاوة والتقدير، وما نثر فيها من مواعظ وحِكم.

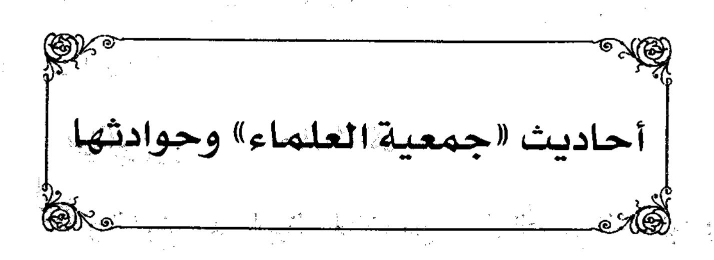
وحسبنا أن نسجّل في هذا المقال موقف «الجمعية» بين الأمة والحكومة، وأنّ الأمَّةَ شديدةُ الإقبال على جمعيتها، وأنّ الحكومةَ شديدةُ الحِرص على معاكسة «الجمعية».

والذي نراه من هذه الحالة أنّ الحكومة غير مبالية بإرادة الأمة مع أن المعقول في سائر الحكومات هو احترام إرادة الأمة، بل لا معنى للحكومة إلاّ تمثيل إرادة الأمة وتنفيذ ما رأته أغلبيتها، ولسنا نرضى عن استثناء إرادة الأمة الجزائرية من حكم إرادات سائر أمم الدنيا ذات الحكومات الدستورية[1].

مبارك الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٢) الصادر يوم الجمعة ٢٠ شوال ١٣٥٦ هـ ٢٤/ ١٢/ ١٩٣٧م.



أحاديث «جمعية العلماء» وحوادثها

١ـ الورثلاني:

هو الشّيخ الفُضَيل الوَرثِلاني، مُعتمَد «جمعيّة العُلماء» في فرنسا: يعلَم القُرّاء حدِيث نُزوله بالجزائر ومَا قامَ بِه مِن أعمالٍ إلى أن جاءَ إلى قسنطينة، واحتَفلَت بِه ذلِك الاحتِفال.

وقد جاءَنا أنّه بَعد مُبارحة قسنطينة نَزل بسطيف، وعرّف فيها بجمعيّة العلماء، واختَلَط بالشّباب، ورأى استِعدادَه لأداء ما عَليه لأمّته لَو وَجد قائِدًا.

فعلَى الجمعيّة أن تفكّر بجِدّ في استِثمار مَواهِب هذا الشّباب، وأن لا تَدَعهم فَوضَى مِن غير قائِد يُوحّد غايَتَهم وخطّتهم.

ومِنها تَوجّه إلى بني يَعلى؛ فَألقى دروسًا وأحيَى نُفوسًا، وألَحّ عليه أهلُ بِجايَة، فَزارَهم صُحبَة الشّيخِ سَعيد صالحي وبعضِ تلامِذَته.

وانعقَد اجتماعٌ بها ليلَة السّبت غرّة شوال، حضَره ما يَزيد على ألفَين، ودامَت الخُطب أربعَ ساعَاتٍ ونِصفًا، وكانَت الخُطب صرِيحَةً في وَصفِ الدّاء والدّواء، فكانَ تأثِيرٌ عمِيقٌ، وزيادَة شُعور بِفضل «جمعيّة العُلماء».

وخُتم هذا الاجتماع بِعرض احتِجاجٍ ضِدّ مَظالم الحكومَة، تَضمّن تقرِيرَ أعمالِ «جمعيّة العُلماء»، وتجدِيد الثّقة بها، فكان هذا الاجتماع مِن أهمّ الاجتِماعات في خِدمَة القضيّة الجزائِريّة.

٢ـ الجنَّان:

هو الشّيخ عبد الحفِيظ الجنَّان، من رجال التّعليم المعرُوفين في قسنطينة، ومن أعضاء «جمعيّة العُلماء» العامِلين.

يقوم بتَعلِيم النّاشِئة في جمعيّة التّربية والتّعليم بقسنطينة، وبوَظِيفة مُؤذّن في الجامع الأخضر.

وقد نَشرت صحِيفة «النّجاح» خبرًا يُفيد أنّ السيّد عامِل العَمالة قَد عَزله مِن مَنصِبه يومَ ١٤ ديسمبر ولا سَبب لِذلك، وهذا اليَوم هو نَفس اليَوم الذِي تُهيّأ فِيه تلك الصّحيفة للطّبع.

وقد قرأ الجنّانُ وغيرُه هذا الخبرَ قَبل أن يُعلَم رسميًّا مِن الإدارة.

ونحن لا ندري صِدقَ هذا الخبر، ولكنّنا نُنكر على إدارة العَمالة إفشاء أسرَارها بكلّ هاتِه السّرعة في صحِيفة غيرِ رسميّة، وإذا صحّ الخبر فسنَعُود إلى الموضوع.

٣ـ ابن حافِظ:

هو الشّيخ السّعيد بن حافِظ، مِن مُتقَدّمي المُصلِحين، ومِن أعضاء جمعيّة العلماء العامِلين.

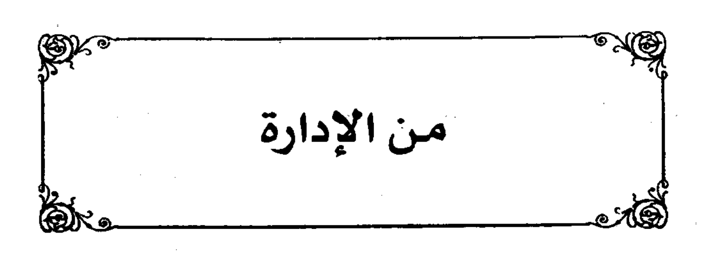
يقوم بإدارة جمعيّة التّربية والتّعليم، وبوَظِيفة حَزّاب.

وقد بَلَغنا أنّ رئِيس الجمعيّة الدّينيّة الرّسميّة في قسنطينة قد استَدعاه وخَيّره

بين أن يُفارِق جمعيّة التّربية والتّعليم، أو يسلم مِن وظِيفِه الرّسمي، مِن غير أن يَذكُر له خَللًا في سَيرِه، أو تَقصِيرًا في خطّته.

والشّيخ السّعيد بن حافِظ مِن أَمثل النّاس سِيرَة، وأَنظَفِهم صحِيفة، ولا نُفسّر هذا الاستِدعاء وخبرَ ذلك العَزل إلّا بمُضايَقة «جمعيّة العلماء» ومُؤسّساتها، وسنَعُود إلى ما يجدّ في هذا الموضوع[1].

(١) «البصائر»: العدد (٩٢)، بدون إمضاء.



من الإدارة

١ـ إلى الكُتّاب: لَدينا كتابات عن احتِفال مدرَسة الشّبيبة بالجزائر، وعن احتِفال مدرَسة حَياة الشّباب بميلة، وعن رِحلة وَفد جمعيّة العلماء في صحراء قسنطينة، وهنالِك مقالات كثِيرة سواها. فإلى الأعداد الآتية ـ إن شاء الله ـ.

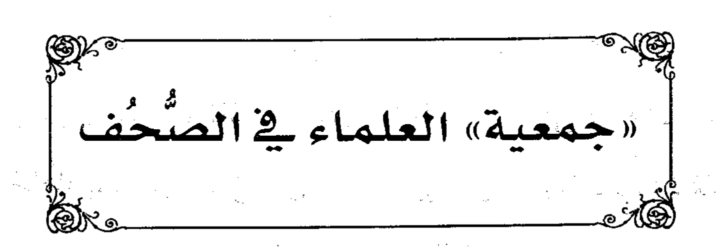
٢ـ إلى القُرّاء: قد خرَج وافِد «البصائر» الشّيخ عَلِي مَرحُوم إلى خطّ الصّحراء مُنحدِرًا مِن قسنطينة إلى الوَاد وإلى تُقرت ووَرقلَة، وصاعِدًا منها إلى مِيزاب والأَغواط والجَلفة وبوسعادَة والمِسيلة وبُرج بوعريريج، ومنها يُشرّق إلى قسنطينة.

وهو يقوم بمُهمّتَين؛ مادّيّة وأدبيّة، فيَستخلِص الاشتِراكات ويقبِض ثَمن البَيع مِن البَاعة، ويَكتب عن الجِهات التِي مرّ بها، فيُلِمّ بناحِيتها الدّينيّة مِن حيثُ المساجِدُ وعِمارَتُها، وناحِيتِها العِلميّة مِن حيثُ المدارِسُ وتَقدّمُها، وناحِيتِها الاجتماعيّة بِذكر النّوادِي والجمعيّات، وناحِيتِها الإِصلاحيّة مِن السّنن والبِدع، وناحِيتِها القَوميّة مِن جِهة البُيوت الشّهِيرة وحَظّها مِن الإِصلاح.

فنَرجو مِن أنصار العِلم والأَدَب وأهلِ الفَضل والنّسب أن يُعِينوا وافِد «البصائر» ويُسهّلوا علَيه القِيام بمُهمّتيه المادّيّة والأدبيّة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٢)، بدون إمضاء.



«جمعية» العلماء في الصُّحُف

بزغت شمس هاته الجمعية في الأفق الجزائري فكان الناس أمامها أزواجًا ثلاثة:

ففريق استراح لها واستبشر ورآها خيرًا وبركةً على المجتمع الجزائري ، وهو الفريق الذي كان يشعر بانحطاط مجتمعنا فيألم من ذلك، فلما ظهرت هاته الجمعية رأى فيها ما يحقّق له الأمل ويريحه من ذلك الألم.

وفريق توجّس منها خيفةً وتشاءم منها ورآها شرًّا عليه وبؤسًا، وهم: إمّا معمّر أفسده الجشع، وإما طرقي ملكه الطمع، وإما سياسي رأس ماله النفاق يظهر للأمة أنه يسعى لخيرها وهو لا يحمل عاطفتها نحو إسلامها وعروبتها، بل أمنيته الاندماج والعجين بلا دين.

وإشراق هذه الشمس في غير غيم الأوهام وضباب التدجيل يكشف عن جشع المعمّر، وطمع الطرقيّ، ونفاق ذلك السياسيّ.

وفريق تحيّر لم ير الحقّ حقًا فيتّبعه، ولم ير من هذه الجمعية باطلاً فينكره، وهذا الفريق هو موضوع النزاع بين الفريقين الأولين، ومن أجله يقوم الفريق الثاني بشنّ غارته على الفريق الأول زيادة في حيرة المحتار، ومحاولة لتشكيك من رأى شُعاعًا

من تلك الشمس.

وكانت الصُّحُف من أظهر مجالات النزاع ، فكانت صحف عربية وفرنسية تؤيد الجمعية وتنشر محاسنها، وكانت صحف أخرى فرنسية وعربية تناهضها وتفتري عليها الأكاذيب وتختلق لها المساوئ، وهي في حملتها على «الجمعية» إما جاهلة بحقيقتها متسرّعة في الحكم عليها، وإما عارفة بأمرها كاتمة لمحاسنها مفترية لمساوئها، فهي بين معرّة الطيش ومهانة الكذب.

وهذه الصُّحُف المتّحدة في الغارة على «الجمعية» متعدّدة النغمات، مختلفة البواعث، متنوّعة السلاح.

فنغمة الصحف الاستعمارية من الرديكالية إلى أقصى اليمين، أن الجمعية عنصر وطني ثائر على السيادة الفرنسية.

والباعث لها على هاته الغارة مذهبها في الاستعمار الذي يرى أن لا حقّ للجزائري المسلم في الحياة، إلاّ ليكون آلة من آلات الأعمال الفلاحية والعمرانية، فلا يحي إلاّ متى كان وسيلة صالحة لحياة الاستعمار.

وسلاحها في تلك الغارة إغراء الحكومة بالجمعية وحثّها على إرهابها وضغطها.

ونغمة الصحف الطرقية أن الجمعية معتزلية وهّابية أتت بدين جديد.

والباعث لها على غارتنا زهدها في العلم النافع والعمل الصحيح، وحرصها على عوائدها في الزيارات والزردات التي تدرّ عليها أموالاً كثيرة.

وسلاحها الجوسسة الكاذبة واستعطاف الحكومة للانتقام منا بما كان لهم من أياد على الاستعمار.

ونغمة الصحف الانتخابية أن الجمعية تدخّلت في السياسة فأفسدت على النواب خطّتهم، وأبعدت من الأمة حقوقها التي سعى فيها النُّوَّاب.

والباعث لها المحافظة على غفلة الشعب حتى لا يحاسب نائبًا على وُعوده، ولا يراقبه في تقلّباته، ثم الحسد لرئيس الجمعية الأستاذ عبد الحميد بن باديس على مقامه في الأمة ومكانته في قلوبها، ومحاولة النزول به إلى ساحة الجدال في قيمته والصعود بحاسديه إلى درجة اقتران أسمائهم باسمه.

وسلاحها إيهام الشعب أننا حكوميون هدّامون لإسلامه وعروبته، وهذا السلاح وإن كان من سلاح الصُّحُف الاستعمارية على طرف نقيض، هو مستمدّ منه ومصنوع بمعمل الاستعمار لأن خصوم الأمة الأصليِّين من المعمِّرين يريدون حربها في شخص جمعيتها بسلاح ذي حدّين، حد حكومي وحدّ وطني، وأيّ الحدّين أثّر فهو مطلوبهم.

إن موضوع «جمعية العلماء» في الصُّحُف موضوع واسع جدًّا، عرضنا لهذه الخلاصة منه بمناسبة نشاط الصحافة الاستعمارية في هاته الأيام للدعاية ضدّ الجمعية ـ وقد قرأ الناس في الصحف الفرنسية مثل «لاديبش» القسنطينية والصحف العربية مثل «الزهرة» و«النهضة»[1] حملة أحد الكُتاب على الجمعية وحثّه حكومة م. سارو، على إنزال العقاب عليها، وقد ختم الكاتب كلامه بما يأتي:

«فمتى يكون غلق المدارس وإلقاء القبض على المدرّسين فيها؟ وهل يمكننا أن نبدي الأماني في أن نرى م.ألبير سارو ذلك «المنضد الكبير» لشؤون إفريقيا

(١) صحيفتان تونسيتان. انظر: «أضواء على الصَّحافة التُّونسيَّة» لعمر بن قفصية.

الشمالية يمرّ من الدرس إلى الأعمال؟».

ولنا اطلاع على أن هاته الحملة الاستعمارية هي التي أوحت إلى صحيفة انتخابية عربية اللّسان بحملتها الأخيرة على الجمعية ورئيسها الأستاذ عبد الحميد بن باديس، وأن الواسطة بين المستعمرين وهاته الصحيفة هو المنفق عليها وحاميها، وأن للمطبعة التي تسترّت بحذف اسمها من تلك الجريدة رضًى بتلك الحملة وطمأنينة إليها.

وموقف «الجمعية» من أمثال هذه الصحف موقف المار باللّئيم يسبّه، وجوابها عندما تسمع لغو هؤلاء اللاّغين أن تقول: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ ۝٥٥﴾ [القصص: ٥٥].

وقد جاءتنا كتابات بعضها في الردّ على تلك الجريدة لم ننشرها ولن ننشر أمثالها، لأنّ السكوت عن السفيه يخزيه، ومجاراته قد ترضيه، وبعضها تقترح علينا التنزه عن السباق إلى ذلك المضمار لم ننشرها أيضًا، ونحن في وفاق مع أهلها لأنّا نرى الاشتغال باللّغو مزاحمةً للجدّ، وانصرافًا عن وجهة القصد، وذلك من أماني الضدّ.

إن «جمعية العلماء» واثقةٌ بالله ثم بشرف غايتها واستقامة خطّتها، لا يضعف إيمانَها إغراءُ مُغْرٍ، ولا يشكّكها في غايتها لغوُ لاغٍ، ولا يصرفها عن خطتها سَفَهُ سفيهٍ.

وإنا نرى الردّ على الباطل المفضوح تقوية له، ومناقشة من أهدر وجوده بإهداره للحقيقة في أحاديثه إثباتًا لوجوده، وقد فضح نفسه فقط من حاول أن يفضحك بما يختلقه ويعلم الناس براءتك منه، وقد كفاك مؤنة الردّ من كان سُدى كلامه الكذب ولُحمته الوقاحة.

﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾ ... وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الفرقان: ٦٣ ـ ٧٢].

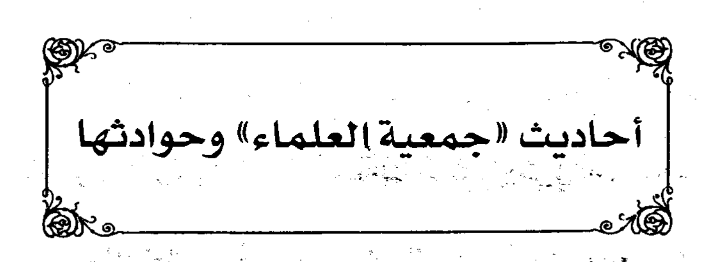
وإذا فسحت صحيفة الجمعية لبعض أعضائها أن يدافعوا عن أنفسهم فإن الله يقول: ﴿ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [الشورى: ٤١].

وإذا تعالت الجمعية عن مجازاة من يظلمونها ويبغون في الأرض بغير الحق فإن الله يقول: ﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الشورى: ٤٣][1].

مبارك الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٣) الصادر يوم الجمعة ٢٨ شوال ١٣٥٦هـ ٣١/ ١٢/ ١٩٣٧م.



أحاديث «جمعية العلماء» وحوادثها

١ـ اجتماعٌ في نادِي التّهذِيب:

نادِي التّهذيب ببارِيس له فُروع في ذلك المِصر تشتَغِل بالتّعليم والتّهذيب، وهي مِن مؤسّسات فتَى الجزائِر الشّيخ الفُضَيل الورثِلاني.

وقد وقَع بمركزها اجتِماع ثامِن عِشرين رمضان (٢ ـ ١٢) حضَره خَمسة وثلاثون نائِبًا عن جميع الشُّعَب، وقرّروا مقرّرات، منها:

١ـ تجدِيد الثّقة للرّئيس الشّيخ الفُضَيل الورثِلاني.

٢ـ اتّخاذ برنامَج «جمعيّة العلماء» برنامجًا لها في تَرقِية الشّعْب الجزائِري مادّيًا وأَدبِيًّا.

٣ـ الاحتِجاج بكلّ ما تملِك مِن قوّةٍ على المضايَقاتِ، والمظالِم الهاطِلَة على المؤسّسات الدّينيّة ولا سيما «جمعيّة العلماء»، وهي مُعامَلَة تُثِير عَواطِف المسلِمِين.

٤ـ الاحتِجاج بنَفس تلك القوّة على تَفتِيش السّلطَة لنَادِي كليشي (١١ـ نهج أبوين).

٥ـ طَلَب احتِرام المؤسّسات التّهذِيبيّة في المستَقبَل وحمايَتِها مِن أَعداء التّهذيب.

فهذا مُلخّص ما تَعلّق به الغَرَض المنشُور الموجّه إِلينا باللّسان الفرنسي.

وإنّا نُشِير على إِخوانِنا أن يُثبِتُوا وُجودَهم باستِعمال اللّغة العربيّة التِي هِي لِسان المسلِمين الموحّدُ لهم على اختِلاف أَجناسِهم؛ فإنّ وُجود الأُمَم إنّما هُو بوُجود لُغَتِها.

٢ـ صَلَاة العِيد في بَارِيس:

عَزَم الجزائريّون وغيرُهم في بَارِيس علَى أن يُقِيموا صَلَاة العِيد في الفَضَاء ـ كما هِي السّنّة ـ، وأعلَموا الحُكومَة فَلَم تَمنَعهم أوّلًا، وبَينَما هُم مُستَعِدّون لِلخُروج إذ جاءَهم المنعُ، ولعلّه بمَسَاعِي مَن يحتكِرون لأَنفسهم الدّيانة الرّسميّة، ويَرَون كلّ بَعِيد عن تَعالِيمهم الخاصّة عَدوًّا لهم يَجِب أن يَصِفُوه لِلحُكومَة بالثّورة علَيها، ولهذا المنعِ وَجّهوا احتِجاجًا إلى الحُكومَة، تعرِيبُه:

«إنّ مُسلِمي دائِرَة بارِيس ـ وعَدَدهم أَلفَانِ ـ قَدِ اجتَمَعوا بنادِي التّهذِيب رابع دِيسمبر، بعدَما عَلِموا مَنعَهم مِن الاجتِماع في غابَة «فنسين» للاحتِفال بِعِيد الفِطر.

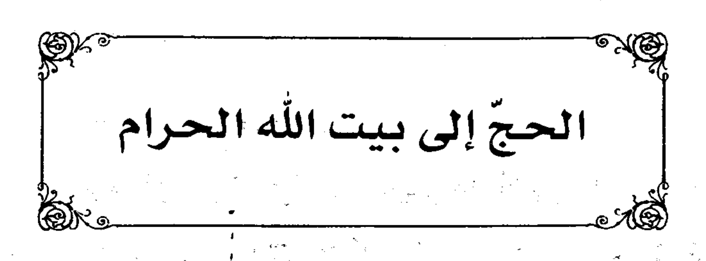
وهُم يحتَجّون بكلّ قُوَاهُم على هذا المسِيسِ بالحرّيّة الدّينيّة المعتَرف بِها لجمِيع الأديَان.

ويُنبّهون الحكومَة إلى أنّ هذا الصّنيع بَعِيد عن تكوِين ثِقَة في قُلُوب المسلِمين لَها، بل يُنتِج حالَة اضطِراب وحِقد قد تَستَغلّها اليَدُ الأَجنبيّة في إفرِيقيا الشّماليّة.

ويَطلُبون أن لا تُكرّر مرّة أخرى هَفوَةٌ كَهَاتِه، وهُم -بما لَهم مِن شَرف واعتِقاد مَتِين- عازِمون علَى الدِّفاع عَن حرّيّتهم الدّينيّة المهدَّدة»[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٣) بدون إمضاء.



الحجّ إلى بيت الله الحرام

نَشرَت هذِه الصّحيفة في العدد ٥٤ مقالًا لِلشّيخ أَبِي يَعلَى الزّواوِي تَحتَ عنوان «كَيفَ يَنبَغِي أن يَكون الحجّ؟».

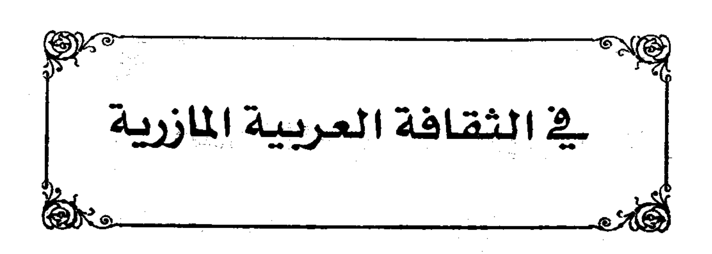
بيّن فِيه ـ حفظه الله ـ أَهمّيّة هذَا الرُّكن الإِسلامِيّ، ووُجوبَ العِنايَة بتَيسِيره علَى المسلِمين، ونكر على الحكومَة الفرنسِيّة سِيرَتها الحاضِرة في مُعامَلَة الحُجّاج.

وبِمناسَبة حُلول أَشهر الحجّ نُنبّه القُرّاء والحُكومَة إِلى ذلِك المقَالِ والعَملِ بما فِيه مِن ضُروب الإِصلاح، فإنّه عبّر عَن حقِيقة واقِعيّة وشُعور إِسلاميّ عامّ.

ولِسَبق نَشرِه في هاتِه الصّحيفة اكتَفَينا بالتّنبِيه علَيه[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٣)، بدون إمضاء.



في الثقافة العربية المازرية

رِسالة في الطّبّ لِلمُؤرّخ البحّاثَة الشّيخ مُحمّد مَخلُوف[1] الباش مُفتِي بالمنستير مِن الوَطن التّونسي عُنِي بنَشرِها الأَدِيب الفاضِل الأُستَاذ عبدُ الله الزنّاد المعلّم بالمدرَسَة العربيّة الفرنسيّة بصفاقَس.

نَسَب المؤلّف رسالَته إلى أبي عبدِ الله المازري، دَفِين المنستير، وأحد أقطَاب المذهَب المالِكي، وكانت دَرجتُه في الطّبّ تَكادُ تُساوي دَرجتَه في الفِقه.

رَتّبها على خمسٍ وعِشرين إشارَة، تَضمّنت الحدِيث على تارِيخ الطّبّ، وفَضلِه، وحُكمِ الشّرع فِيه، وتَراجم لِكثِير مِن مَشاهِير الطّبّ تَزِيد على الثّمانين.

والرّسالة مَطبُوعة طَبعًا نَظيفًا جَميلًا، تَقَع في أَكثَر مِن تِسعِين صَفحَة.

جزَى اللهُ مُؤلّفَها وناشِرَها خيرًا[2].

---

(١) هو صاحب الكتاب الحافل «شجرة النور الزكية في طبقات المالكية» المتوفى سنة ١٩٤١م كما في «مشاهير التونسيين» (ص ٥٧٦ ـ ٥٧٧) لمحمد بوذينة.

(٢) «البصائر»: العدد (٩٣)، بدون إمضاء.

صلاة العيد في اليوم الثاني

كان ثُبوت شوّال فِي هاتِه السّنة مُتأخّرا سَببًا في إثارة الحدِيث عن صَلاة العِيد فِي اليَوم الثّاني، ولذلِك ذكرنا حدِيث أبِي عُمَير في العَدَد التّسعين مِن هاتِه الصّحيفة.

ثمّ جاءَنا فِي الموضُوع كِتابَانِ؛ أحدُهما بِإمضاء الإمام بجَامِع السمندو، والآخر بإمضاء السّيّد الدّرّاجِي الخِيارِي بأمّ البَواقِي، وقَد توارَدَا علَى إيرَاد حدِيث أبِي عُمَير، وعلَى ترجِيح العَمَل بِه، وعلَى نَقل قَول اللَّخمِي الموافِق للحدِيث.

ونَقل الأوّلُ قَولَ الدّسُوقي في «حاشِيته على شَرح الدّردِير للمُختَصر»[1] - عِند قَول المصنّف «سُنّ عَينًا» -:

«هذا هو المشهور، وقِيل أنّها سنّة كِفايَة، وقِيل أنّها فَرض عَين، وهو ما نَقلَه ابنُ حارِث عن ابن حَبِيب، وقِيل أنّها فَرض كِفايَة، وحَكاه ابنُ رُشد في المقدّمات، قال: وإلَيه كانَ يَذهَب شَيخُنا الفَقِيه ابنُ رِزق».

وأخذَ هذَا الكاتِب مِن القَول بالوُجوب القَول بالقَضاء، ثمّ أورَد أبياتِ أبِي الحَسَن الوَنشَرِيسِي في الثّناء علَى اللّخمِي ومَن عارَض تلك الأبيات، واستَقبَح

(١) في (١/ ٣١٨).

صِيغَة تِلك المعارَضَة.

ونَقَل السّيّد الدّرّاجي قَول الحفِيد ابنِ رُشد في «البداية» ونسبَتَه القَول بعَدم الصّلاة لمالِك والشّافِعي وأَبي ثَور، ونسبَتَه القَول بالصّلاة لِلأَوزَاعِي وأَحمَدَ وإِسحَق.

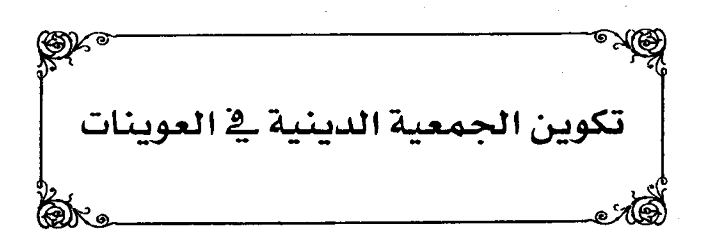
ثمّ تَوارَد الكاتِبانِ علَى اعتِبار أَنّ الصّلاة فِي اليَوم الثّاني مَذهبُ مالِك؛ لأَنّ مِن أُصول مَذهَبِه العَملَ بالحدِيث إِذَا صحّ، ولأَنّه كَغَيرِه مِن الأَئِمّة ـ رِضوانُ الله علَيهم ـ أَوصَوا أَتبَاعَهم باتِّبَاعِ الحدِيث الصّحِيح وأَنّه مَذهَبُهم.

ولاتِّفاقِ الكاتِبَين الفاضِلَين فِي الموضوع وكَثرة موادّ الجَرِيدة اكتَفَينا بنَشرِ هذا الملخّص.

جازاهما الله عَن العِلم والإِرشاد خيرًا[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٤)، الصّادر يوم الجمعة ٥ ذي القعدة ١٣٥٦هـ ٧/ ١/ ١٩٣٨، بدون إمضاء.



تكوين الجمعية الدينية في العوينات

«البصائر»:

نُهنّي أهل العوينات الأماثل بهاته الجمعية، ونذكّرهم بأن المحافظة على الأعمال أشقّ من إنشائها، فليثبتوا ثبات المتواصين بالحقّ المتواصين بالصبر.

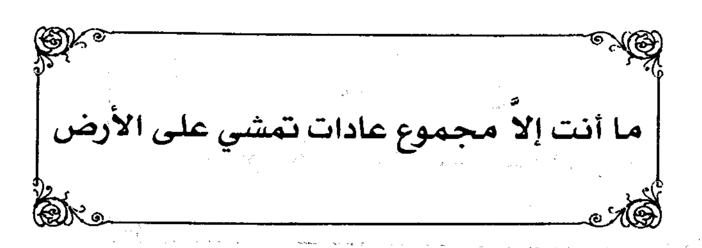
ونعتذر للكاتب[1] الفاضل بحذف مقدّمة مقالته بازدحام المواد.

وملخّصها بيان حاجة الأمة في نهضتها إلى الاتحاد والنظام، ومظهر ذلك الجمعيات، وأن الأمة الجزائرية لم تدرك هاته الحاجة وتتدارك ما فاتها بالغفلة عنها إلّا بمساعي «جمعية العلماء» التي أدركت الداء ونصحت في الدواء ، وعلى يدها يكون إن شاء الله الشِّفاء[2].

---

(١) هو علي رحومة.

(٢) «البصائر»: العدد (٩٤)، بدون إمضاء.



ما أنت إلاَّ مجموع عادات تمشي على الأرض

«البصائر»:

إنَّ ما انتقده الكاتب[1] على أسلوب التعليم بالجامع المعمور قد سبقه إليه كُتَّابٌ تونسيون زيتونيون، وما انتقده من سلوك تلاميذه قد شعرت به نظارة الجامع، وأخذت ـ ونحن لم نزل نَرِدُ حياض ذلك المنهل الغزير ـ تضيّق على التلاميذ وتراقب معلّميهم، فليس في طَرْقِ الكاتب هذا الموضوع هجومًا على الجامع المعمور، وليس في انتقاد الشيء عداء له أو نكران لما له من محاسن.

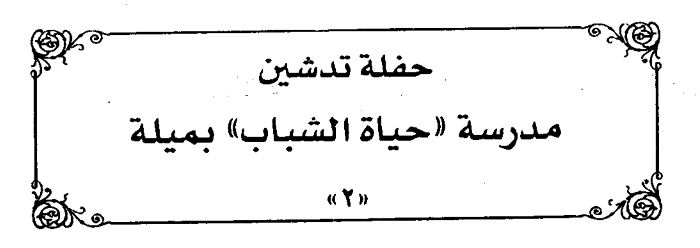
وإنا لنبرأ بالقارئ أن يأخذ من هذا الانتقاد حُجَّة للصدّ عن جامع الزيتونة وهجرانه، فإن الرجال الذين قامت عليهم نهضة الجزائر العربية أغلبهم زيتونيون وعلى رأسهم الأستاذ عبد الحميد[2]، وإن محاسن ذلك المعهد أوفى من مساويه، وقديمًا قيل «كفى المرء نبلاً أن تُعدّ معايبه»[3].

---

(١) هو الأستاذ الأديب الشاعر: أحمد بن ذياب ـ عافاه الله ـ، ثمَّ بلغتنا وفاته بتاريخ ٧ محرَّم ١٤٣٠هـ/ ٤/ ١/ ٢٠٠٩م، رحمه الله تعالى.

(٢) يعني ابن باديس.

(٣) «البصائر»: العدد (٩٤)، بدون إمضاء.



حفلة تدشين مدرسة «حياة الشباب» بميلة

«٢»

في وسط الحفلة:

قام النَّابغة الأَدِيب صَفوَة شَبابِ الأغواطِ الشَّيخُ أبو بَكر بنُ بَلقَاسِم الأَغواطِي[1] فَقدّمه الأُستَاذ[2] بِقوله:

«كانَ هذا الشّابّ تِلمِيذًا مِن تَلامِذَتِي بِالأَغواط، ثمّ رَحَل إِلى تُونس لِطلَب العِلم فَحَصَل علَى عِلم غَزِير مِن مَنهَل جامِع الزّيتُونة، وقَفَل راجِعًا إِلى بَلدِه لِيُبلّغ أَمانة العِلم لكن مِن سُوء الحظّ أن وَقَفت الإِدارة العَسكرِيّة في وَجهِه، ولم تَمنَحه رُخصَة التّعلِيم، وأَخيرًا انتَدَبته جمعيّة التّربية والتّعلِيم القسنطِينيّة (والعِلم لا وَطَن له) للتّعلِيم بِها، فَلبّى دعوتَها، وهو الآنَ مُعلّم بِها، وسَيَتلُو علَيكم خُطبَته فاسمَعوا واحتَفِظوا».

وبإِثرِه قامَ كاتِب الحفلَة، وقدّمه المِيلي بقَوله:

---

(١) توفي سنة (١٩٨٧م). انظر «من أعلام الإصلاح» (٢/ ١١٣ ـ ١١٧) لفضلاء.

(٢) هو الشيخ مبارك الميلي.

«هُو حلقة مِن سِلسِلة التّعلِيم: أَبُوه المرحُوم الشّيخ الصّالِح الجنّان، هو أوّل مَن بكّر بإصلاح التّعلِيم، وأوّل مَن أيّد الأُستاذَ عبدَ الحمِيد بنِ بادِيس في دَعوتِه، وكان مَكتَبه مَكتبًا للأُستاذِ يَنشُر فِيه دُرَرَه الغالِية النّافِعة، وإنّ أخانا هذَا عبدَ الحفِيظ الجنان ممّن زَاوَل دروسَه بالزّيتُونة ثم بعدَ رُجوعه مِن تُونس سَارَ على مِنوالِ أَبِيه في سُلّم التّعلِيم، وفي السّير بِه علَى النّمط العَصرِيّ المفِيد، ولِي شهادَة لَه علَيّ وهِي لما كُنتُ معلّمًا بمَكتب سيدي بومَعزَة كانَ تَلامِيذه مُبَرّزِين علَى أقرانهم في العِلم وفِي التّهيّؤ للفَهم، وهو الآن معلّم بمَدرسَة التّربية، وسيُلقِي علَيكم خُطبَته فاسمَعوا ـ رَعاكُم اللهُ ـ».

وعِند انتِهاء هذا التّقدِيم نكّت الخطِيب علَى الشّيخ المِيلي تَقدِيمه وقَال: أنَا لا أستَحِقّ مِنك أيّها الأُستَاذ هذَا الثّناء، وأَراد أن يَزِيد في تواضُعه، فأَجابَه المِيلي بأنّي أكرَه التّواضُع القاتِل للطُّمُوح، كما أكرَه الغُرُور الدّاعِي للشُّرور.

ثمّ قامَ الشّابّ الأَدِيب الجرِيء السّيّد مَرحُوم عليّ بن أحمد المسلمي فقدّمه المِيلي بقوله:

«هذا ابنُنَا مِن جِبال المِيليّة، وهو شابّ ناشِط مُتوقّد الذَّكاء، قويّ الحماسِ، وممّن تَتلمَذ لبادِيس، تعلّم قلِيلًا ولكنّه حَصَل بِاجتِهاده واستِعداده أكثَر ممّا تَعلّم، وكان معلّمًا بجمعيّة التّربية والتّعليم، ثمّ هو الآن بإدارة «البصائر»، وسيَتلُو علَيكم خُطبَته الفتيّة».

وهنا قامَ وعلّق الأَدِيب الشّيخ محمّد دَروِيش المعلّم بالمِيليّة علَى خِطاب السّيّد مَرحُوم عليّ وقال: إنّ مِيلة كانَت مُزدانَة بالقُرآن العظِيم والعِلم، ولولا ذلِك لما شَهِدتم ما شَهِدتم اليَوم.

ثم قدّمه المِيلي ضاحكًا بقوله:

إنّ خطِيبَكم هذا ممّن له مِشيَة بَطيئَة، وأسبَقيّتُه سريعَة».

وضَرَب لنا أَمثِلة على نَوادِرِه الطّرِيفَة والتّلِيدة حتّى استَغرق الحاضِرون في الابتِهاج بنَوادِرِه اللّطِيفة، فاستَرسل محمّد دَروِيش في تَعلِيقه المذكور آنِفًا بنَبَراتٍ تَركَتنا نَلهَج بذِكرِها.

وبعدَه قامَ مُدِير مدرسة التّربية والتّعلِيم الأدِيب الألمعِي الشّيخ حافِظ السّعِيد فقدّمه المِيلي بقولة تُناسِب مَقامَه ومُساهمَتَه في الحركة الأدبيّة والعِلميّة، وألقى كلِماتٍ ارتجالًا قدّم فِيها اعتِذارَاتِ مَن تخلّف مِن الإخوان السّادة: الأُستاذ عبد الحميد بن بادِيس، محمّد بن العابد الجلالي، أحمد بوشمال، خَلِيل بن القشي، وغَيرُهم مِن الأنصارِ، وشَكَر أهلَ مِيلَة على تَقدِيمهم المحسُوس فِي تشيِيد مدرسَتِهم «حياة الشّباب»، وحِرصِهم على التّمسّك بمَشروعِهم العِلميّ، والسّموّ بمَدرسَتِهم إلى مَرَاقِي الكَمال.

ثمّ قامَ عِدّة خُطباء بعدَ ذلِك مِن تَلامِذة الأستاذ بادِيس، وتَلامِذة المِيلي، نخُصّ بالذّكر مِنهم السّادة الأُدَباء: أَحمد المِيلي، والحُسَين المِيلي، وصالِح الزّواغِي، ومُصطَفى قَارَة، وإن اتّسع نِطاقُ الجرِيدة «البصائر» فإنّنا نَقترَح نَشرَها.

في الخِتام:

وعلى السّاعة السّابِعة مساءً انتَهَت الحفلَة بِتِلاوةِ آيٍ مِن الذّكر الحكِيم مِن بَعض أعضاء جمعيّة التّربية والتّعلِيم، وهما السّيّدانِ حسّونَة بن علي خُوجَة، وابن التّومي عبدُ القادِر ـ كما ابتُدِئت ـ.

وبالنّيابة عن رئِيس الحفلَة الفاضِل والمفكّر الجلِيل السّيّد عمّار بن عمِيرة، وباقِي الأعضاء شكر أَبو النّهضة الأُستاذ المِيلي الوُفُود القادِمة مِن نواحٍ مُتعدّدة مُعتَذِرًا عن ضِيق المكان، وعن عَدَم شُمول الدّعوة.

ثمّ توزّعت تِلك الوُفود على أعضاءِ مَدرسَة «حياة الشباب» لِتَناوُل وَجبَة العَشاء فِي دِيارِهم.

وفي السّاعة الثّامِنة رَجعوا إلى النّادي الإسلامي المِيلي ليَحضُروا حَفلَة تكريمٍ مِن إخوانِهم المِيلِيّين ليكون عُربُونًا علَى المحبّة والوِداد، ورَابطةً لا يَنفصِم عُرَاها بِحَول الله.

وفي الهَزِيع الأَخِير رَجعَت الوُفود.

أَكثَر اللهُ مِن أمثالِكم يا رِجال مِيلة، وحَيّى اللهُ مُبارَكًا وأَنصارَه الأَبرَارَ على ما قَدّمتُم لِبَلَدِكم مِيلَة،

وفِي هذَا فَلِيَتَنافَس المتَنافِسُون، وليَعمَل العامِلون. وعلَيكم السَّلام[1] أجمعِين[2].

مِن أَخِيكم عبدِ الحفِيظ الجنان.

قسنطينة ٧ شوال ٥٦ هـ ـ ١٠ ديسمبر ٣٧م

---

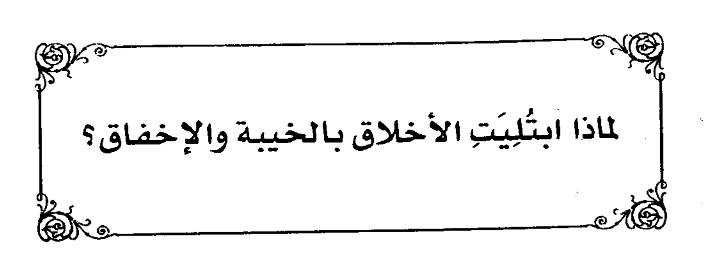
(١) قال العلماء: يكره أن يقول المبتدئ: عليكم السلام، لحديث أبي جُريٍّ الهُجيمي قال: أتيتُ رسول الله ﷺ فقلت: عليك السلام يا رسول الله! قال: «**لا تَقُلْ: عليك السلام، فإن عليك السلام تحية الموتى**».

أخرجه أبو داود (٥١٩٨) والترمذي (٢٧٢٧) وغيرهما.

وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح» وصححه ابن القيم في «زاد المعاد» (٢/ ٣٢٠) وغيره.

وانظر لفقهه والوقوف على حِكمه وأسراره «زاد المعاد» و«مختصر السنن» (٦/ ٤٩) و«بدائع الفوائد» (٢/ ١٧٢ ـ ١٧٤) ثلاثتها للعلامة ابن القيم رحمه الله.

(٢) «البصائر»: العدد (٩٥)، الصَّادر يوم الجمعة ١٢ ذي القعدة ١٣٥٦هـ ١٤/ ١/ ١٩٣٨م.



لماذا ابتُلِيَتِ الأخلاق بالخيبة والإخفاق؟

اقرأ ولاحظ وقدّم للقراء ملاحظتك في بيانٍ من التركيب وجلاءٍ من التفكير.

تبنّ طرح العلم والأدب على أساس الأفكار المرتبطة بعضها ببعض والمهذّبة بعضها ببعض وتجمع إلى أمانة النقل متانة الرأي.

والمقال الذي بين أيدينا أحسن مثال لتلك القاعدة، وهو بقلم الأستاذ محمد العيد آل خليفة مدير مدرسة الشبيبة بمدينة الجزائر، نشأ مع النهضة الجزائرية، وخلّد بقصائده أطوارها وأخبارها، فأنا أدعوه «شاعر الجزائر الفتاة».

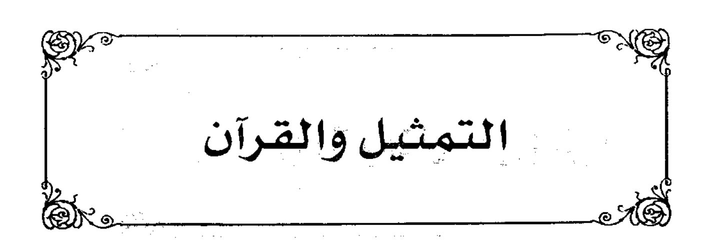
وإذا كان هذا الأخ معروفًا بأنه شاعر مجيد فإنه كاتب مبين أيضًا إلاّ أنه مكثرٌ من الشعر مُقِلٌّ من الكتابة، وفي أي الميادين جال أجاد المقال.

ولسنا نريد تقديمه للقراء فهو على تواضعه من النابهين غير الخاملين، ولكنها معانٍ جالت في نفوسنا أحببنا تسجيلها هنا[1].

قلم التحرير

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٦) الصادر يوم الجمعة ١٩ذي القعدة ١٣٥٦هـ ٢١/١/١٩٣٨م، بدون إمضاء.



التمثيل والقرآن

«البصائر»:

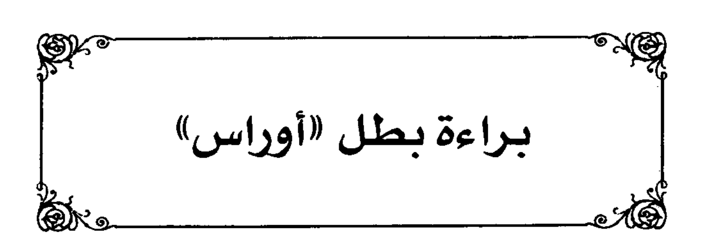
أحسنَ الكاتبُ[1] فيما أبداه من أسباب استغناء الأدب العربي عن التمثيل الأروبي، ونضيف إليها أن من أهمّ تلك الأسباب نشوء العرب على الحرية وتقييد الإسلام للأمراء بالعدل، فليس هنالك سلطان لملك يقهر الأمة العربية على تقديسه ويخضعها لاحترام إرادته المطلقة.

وممثلو أروبا كان مما حملهم على ذلك الضرب من التمثيل المفيد تربيةُ الأمة تربيةً اجتماعيةً سياسيةً لا تصطدم مباشرة بمعاكسة شهوات ملوكهم ولا تعرّضهم لجريمة الإعلان بانتقادهم، ولهذا لما تحرّرت أمم أروبا وتقيّدت ملوكها بدساتير فُقد الداعي إلى التمثيل المهذّب، وشاع التمثيل الخليع[2].

---

(١) هو الأستاذ الشّافعي أبو مدين، من أنجب تلاميذ الشّيخ محمّد البشير الإبراهيمي بـ«دار الحديث» بتلمسان، توفي سنة (١٩٥٨م) كما في «الأعلام» (٧/ ١٩٨).

(٢) «البصائر»: العدد (٩٦) بدون إمضاء.



براءة بطل «أوراس»

قد كان لخبر خروج بطل ذلك الجبل العالي «أريس» الأخ السّيد عمر دردور من السجن؛ تأثير عظيم في نفوس المصلحين عامّة وأهل أريس وباتنة خاصة.

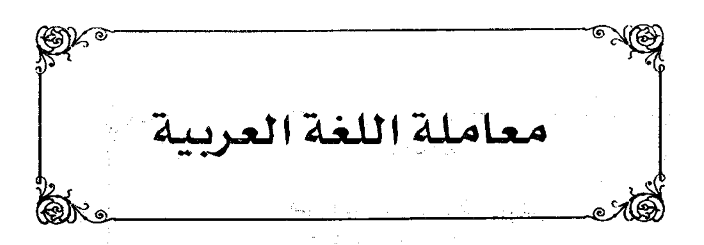
فشكرًا شكرًا للأستاذين: غريب وسيسبان، على ما قاما به من الدفاع إلى أن أرجعا الحق لصاحبه وأنصفه القضاء.

ولضيق المقام نكتفي بهذا الخبر نزفّه للقرّاء، ونرفع تهانينا القلبية للأخ عمر المجاهد في سبيل نشر لواء تعاليم الدّين الإسلامي، وإخلاصه لمبادئ «جمعية العلماء»، وتفانيه في بثّها رغم الحاسدين، ونصرته للعلم والفضيلة.

وبلسان عموم المصلحين نتقدّم إلى أبيه وأبناء عمّه وإخوانه المتألمين معه منذ دخوله السجن إلى خروجه منه الشكر التام، ونقول للأخ: وفي سبيل الله ما لقيت يا عمر[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٦)، بدون إمضاء.



معاملة اللغة العربية

«البصائر»:

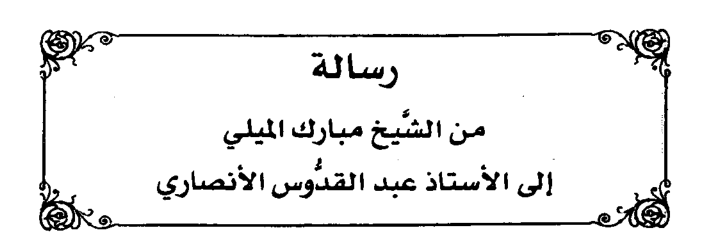
نشكر حضرة الكاتب[1] على ما أبداه من غيرة على العربية وتقدير لها، وعلى ما نبّه عليه من شأن معاملة اللغة العربية في التراب الفرنسي ، وعلى ما أظهره من عطف وإخاء للوطن الجزائري.

وإذا شكرنا له ذلك فلأنه آية إخلاصه للإسلام والعروبة، كثَّر الله من أمثاله في بلاد الإسلام والعروبة تقوية للروابط بين أهلها وترقية للشعور بينهم[2].

---

(١) هو الأستاذ عمر صدقي بهاء الأميري، أديب سوري، توفي سنة (١٩٩٢م) انظر ترجمته في «تتمة الأعلام» (٢/ ٧٢ ـ ٧٣).

(٢) «البصائر»: العدد (٩٦)، بدون إمضاء.



رسالة

من الشَّيخ مبارك الميلي
إلى الأستاذ عبد القدُّوس الأنصاري

ميلة في: ٢٠ ذي القعدة سنة١٣٥٦هـ/ ٢٢ يناير سنة ١٩٣٨م

الأديب العبقري والأستاذ الكبير الأخ الكريم سيدي عبد القدُّوس الأنصاري

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

جاءني كتابٌ منَ الأخ أحمد رضا حوحو يقترح عليَّ إهداء أربع نسخ[1] للملك عبد العزيز ونجليه[2] وشيخ الإسلام[3] ففعلتُ وأرسلتُها باسمه إلى المدينة ليرسلها هو إلى أصحابها بالطَّريقة المناسبة وكتبتُ إليه بذلك.

وقد أخبرني ذلك الأخ بعنايتكم بتلك الرِّسالة، وإذا كنتُ قد تعبتُ في تحريرها وتحمَّلت الدُّيون في طبعها ولم تقابَل في الوسط الجزائري بما يخفِّف عنِّي تلك

(١) من كتابه «رسالة الشرك ومظاهره».

(٢) هما سعود وفيصل ابنا الملك عبد العزيز آل سعود، رحمهم الله.

(٣) هو الشَّيخ عبد الله بن حسن آل الشيخ رحمه الله.

الأتعاب، فإنَّ تأييد أمثالكم ممَّا يخفِّف عنِّي أتعابًا قد يتصوَّرها اللَّبيبُ في التَّحرير ولكنَّها ـ والله ـ في النَّشر أشدّ وقعًا عليَّ.

ثمَّ جاءتني رسالتكم المؤرَّخة في (٢٦/ ١٠) مؤكِّدة لتلك العناية، موثِّقة لحبل إخائنا الإسلامي العربي العلمي، زاده الله ثباتًا ومتانةً!

١ـ وقد جاء فيها أنَّه لم تصلكم نسخة الهديَّة وأربع أخر وقد أعلمت بذلك موزِّعها ليبحث عن الطَّرد صاحب الخمس نسخ، ولكنَّ الهديَّة سيحملها إليكم حامل هذه الرِّسالة.

٢ـ ورغبتكم في إرسال نسخ أخر، فسيحمل إليكم البريد ـ إن شاء الله ـ عشر نسخ ولكم الفضل في هذه العناية.

٣ـ وأذنتم لهذا القلم أن يكتب عن «المنهل الممتاز»، فقدَّمتُ الكتابة عنها في مواد العدد (٩٧).

٤ـ وذكرتم عناية الأخوين أحمد رضا والشَّيخ عمَّار[1] بالحركة الإصلاحيَّة عامَّة ورسالة «الشِّرك» خاصَّة، ولا شيء يبعث بمستقبل النَّهضة العربية الإسلامية مثل الشُّعور بانتشار روح التَّضامن والتَّناصر.

٥ـ وقد لاحظتم على عنوان «البصائر» بالحرف اللَّطيني، وكان الأخ أحمد رضا قد نبَّهني إلى ذلك، فنبَّهْتُ كاتب الإدارة إلى هاته الملاحظة ولزوم تعميمها في البلاد الشَّرقيَّة فنفَّذ ذلك ـ فيما أخبرني ـ منذ ثلاثة أسابيع.

هذا وإنِّي مستعدٌّ حسب المستطاع ومتشرّف بخدمة ما بيننا من روابط

---

(١) هو عمار بن الأزعر.

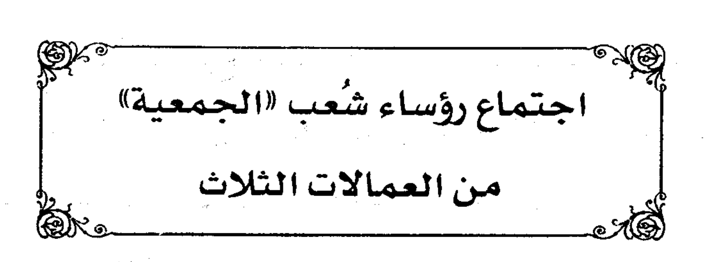
إسلاميَّة عربيَّة أدبيَّة، وحامل الرِّسالة إليكم هو الأخ الحسين الهشيلي من حجَّاج ميلة ومن خيرة شبابها المصلحين.

واللهُ يبارك في أنفاسكم ويكثر لنا من تعرِّف أمثالكم ممَّن يزيد دم العروبة قوَّة وروح الإسلام جدّة.

والسَّلام عليكم وعلى الأخوين: الشَّيخ عمّار والسَّيِّد أحمد رضا ومن إليكم من أهل الفضيلة.

وكتب أخوكم: مبارك بن محمد الميلي[1].

(١) مجلَّة «المنهل»: (م٣٨، ج١٢)، الصادر في ذي الحجة١٣٩٧هـ ـ ديسمبر١٩٧٧م.



اجتماع رؤساء شُعب «الجمعية» من العمالات الثلاث

تأسّست «جمعية العلماء» في جوٍّ قد غشيته سُحب الريب: فالحكومة مرتابة منها تخشى على ناموسها؛ والطرقية التي كان يمثلها في الجمعية بعض رجالها مرتابة من كفاءة ممثليها وقدرتهم على الدفاع عنها؛ ومفكرو الأمة قد غلب عليهم اليأس من نجاح الحركات الشعبية، فهم في ريبة من نمو ذلك المولود المبارك.

وقد فكرت حكومة م. ميرانت التي كان لها بإدارة الجمعية عيون من الطرقية إلى الشعور بغلبة كِفَّة الإصلاح في هذه المؤسسة فأخذت تحاربها في مهدها، وانتقلت الجمعية في أول عام لها من دور الريب إلى طور الحرب، فشغلت بذلك عن التفكير في وضع البرامج العملية وتنقيح النظم الداخلية، ولكنها جنت في طور حربها الذي لم يزل حتى اليوم ثمارًا طيبةً نذكر منها اكتساب خُلق الثبات في العاملين، وبثّ روح الشجاعة في المتردّدين ، واحترام الهيئات المفكّرة الحرّة لهاته الجمعية.

وفي سنة الجمعية الحالية تقدّم أعضاؤها العاملون بمقترحات في ترقية سمعتها وتقريب الطريق نحو غايتها، فكان من أهمها تأسيس مجالس عمالية لرؤساء

الشُّعَب، فيجتمع رؤساء شُعَب كلّ عمالة في مركز لها يدرسون الحالة ويقرّرون الطرق ويقترحون ما ينمّي حياة جمعيتهم.

كان أوّل اجتماع للشُّعَب على ميعاد في يوم واحد هو يوم الخميس رابع ذي القعدة الموافق لسادس يناير، فشُعب عمالة قسنطينة اجتمعت بمكتب الرئيس الأستاذ عبد الحميد بن باديس من بناية جمعية التربية والتعليم، وشُعَب الجزائر بمركز الجمعية من «نادي الترقي»، وشُعَب وهران بنادي النجاح من مدينة سيدي بلعباس.

وقد تمثّل في قسنطينة: شُعَب قسنطينة، وميلة، والقرارم، وجيجل، وبجاية، وسطيف، وبريكة، وبسكرة، والواد، وعين مليلة، والبيضاء، وقالمة، وصدراته، وأوراس، وعين ياقوت، وقلعة بني عباس، وعزابة، وشُعب أُخَر، رأيت رجالها في المجلس ولم أجد ذكرهم في المذكّرات فغابت عني أسماؤهم، وكان من حاضري هذا المجلس من غير رؤساء الشعب الأستاذ الرئيس عبد الحميد بن باديس، وأمين المال الميلي، والشيخ الفضيل الورثلاني معتمد الجمعية بفرنسا، وبلغ الحاضرون خمسة وثلاثين عضوًا.

وتمثّل في الجزائر: شُعب الجزائر، ودلّس، والأصنام، وشلاّلة، وسيدي عيسى، وبرج منايل.

وتمثل في سيدي بلعباس: شُعب سيدي بلعباس، وسيق، ووهران، وتلمسان، وحضره غير رؤساء الشُّعب الشيخ البشير الإبراهيمي نائب الرئيس، والشيخ الأمين القنطري المدرس الحرّ بوهران.

واعتذرت شُعب من العمالات الثلاث وسكتت أخرى، ولعلّ منها من كان

معتزمًا الحضور فصدّته الأمطار والثلوج التي نزلت ذلك اليوم، فاشتد البرد وخشي من انقطاع الطرق.

وبعد أن تمَّ انتخاب الرؤساء والكُتاب دارت المفاوضات في المسائل الآتية:

١ ـ **رئاسة الرئيس ابن باديس للمؤتمر**: فقد انتخب لرئاسة المؤتمر في غيابه، فرأى أن يعرض الأمر على أعضاء إدارة الجمعية ورؤساء شُعبها بصفة ودّية غير رسمية؛ لأن الجمعية لا تتداخل في السياسة، قَبِلها من قسنطينة ستّ عشرة شُعْبة، ورفضتها سبع، وأجمع مجلسا الجزائر ووهران على رفضها، وأخذ الأستاذ برأي الرافضين الذين كان من حُججهم مزاحمة هذه الرئاسة لرئاسة الجمعية وللحركة العلمية، ومسّها بالمهابة الدينية، وتقويتها لسوء ظن الظانين برجال الجمعية حبّ الرئاسة، وزيادتها في أتعاب الأستاذ زيادة قد تضرّ بصحته، وللقابلين للرئاسة نظرات لا داعي إلى إذاعتها بعد تحقّق عدم العمل بها.

٢ ـ **مالية الجمعية**: أجمعت الشُّعب على لزوم العناية بتنميتها والاهتمام بترقية صحيفتها «البصائر»، وذلك بإيفاد من يذكّر الناس بمبادئ الجمعية ويبعث فيهم الإقبال على صحيفتها، وبتوزيع «سجلّ مؤتمر الجمعية» لبيعه وإرسال ثمنه إلى أمين المال، وقد أخذت شُعب الجزائر وقسنطينة نُسخًا منه لذلك.

٣ ـ **حالة التعليم الحر**: أجمعت الشُّعب على الاستبشار بإقبال الأُمّة عليه والاستنكار لمضايقة الحكومة له، والاستمرار في العمل على تعميمه لمحاربة الأُمّيّة وتقليل جيوش المتشرّدين في الطرقات، وبذلك تثبت الجمعية وجودها لمن يحاول إنكاره، وقوّتها لمن يريد أذاها، وخلودها لمن يتربّص بها، وتكون جادّة في البناء

النافع كما هي جادّة في هدم الضار، وحينئذ تكون نهضة الجزائر إيجابية في الخير، سلبية في الشر.

وكان تلاميذ الجامع الأخضر موضع اهتمام مجلس قسنطينة فعلّق عليهم الآمال، ورأى وجوب إمداد صندوقهم بالمال، وتألّم من قلّة المُعينين للأستاذ الرئيس حتى أنه يباشر في هذه الأيام خمسة عشر درسًا يوميًا.

وتحدّث مجلس الجزائر على «شلالة» ونواحيها لفقد التعليم الحرّ بها، فالتزم أهلها بالعمل على فتح مدرسة أو مدارس على مبادئ «جمعية العلماء» الإسلامية القومية.

واهتم مجلس وهران بحركة مستغانم التي ظهرت في هذه السنة، وجمعت مائة تلميذ، فتقرر إيفاد الشيخ مصطفى بن حلوش إليها لينظّمها ويضعها تحت تصرّف الشُّعبة حتى ترتبط بالجمعية.

٤ ـ مظالم الجمعية: أجمعت الكلمة على استنكار موقف الحكومة من رجال الجمعية ومضايقتها لها في التعليم الحرّ وفي الوعظ والإرشاد، وحيث إن دعوة الجمعية هي المحافظة على الإسلام الصحيح وعلى القومية الجزائرية، وإن هذه الدعوة هي عقيدة الشعب الجزائري العامة فيجب أن تعتبر هذه المظالم موجّهة إلى الإسلام الصحيح وإلى القومية الجزائرية، ثم هي موجّهة إلى الأمة جمعاء لا إلى الجمعية وحدها، فوقوعها من الحكومة استخفاف بالإسلام والقومية الجزائرية، وسكوت النواب عنها خيانة للأمة في أهمّ مقدساتها، ولا يرفع عنهم وصمة هذه الخيانة إلاّ تلافيهم للأمر بإعلانهم أن الإسلام والعروبة في طالعة مطالبهم، وبرفع احتجاجاتهم على كلّ مظلمة تقع على الإسلام والعروبة.

وقد قرّرتِ الشُّعَب كلُّها بإجماع رفع احتجاج شديد اللّهجة إلى المراجع العليا على المظالم عامة، وعلى مضايقة أناس خاصة مثل اعتقال الشيخ عمر دردور الذي أطلق سراحه قضاء باتنة في ذلك اليوم مصادفة، ومثل عزل الشيخ عبد الحفيظ الجنّان، وإنذار الشيخ السعيد بن حافظ اللّذين لهما منصب ديني لم يُخِلاً به ولا أخبرتهما الحكومة بسبب العزل والإنذار، ولكن من الجليّ أن ذلك لاتصالهما بجمعية العلماء وكونهما من أعضائها.

وكان الأسف والاستنكار شديدين من تعطيل الوالي العام لدروس دار الحديث بتلمسان، فتقرّر الاحتجاج على ذلك القرار أيضًا.

٥ ـ نشر دعوة الجمعية: تقرّر أن يجدّ رجال الشُّعَب في نشرها وإيضاح الغاية منها حتى تفقه الأمة أن الجمعية تتكلّم بلسانها وتعرب عن إحساسها وتعمل لتحقيق أمانيها، وينزاح عن الأذهان توهّم أنّ الجمعية حزب خاصّ، وسيتيقّن كلّ مناوئ لها أو مستخفّ بها أو معتدٍ عليها أنه مناوئ للأمة جمعاء، مستخفّ بالشعب كلّه، معتدٍ على الوطن قاصيه ودانيه، وهنالك يعتز الإسلام والعروبة في الجزائر وتحترم إدارة[1] أهلهما، ويسمع صوت المطالب بحقوق هذا الوطن، ويخشى من غضب سكّانه، وتبطل خطّة التدجيل بالتظاهر باحترام الأمة مع محاربة الإسلام والعروبة في شخص الجمعية.

وإن من أول ثمرات نشر دعوة الجمعية القضاء على الاندماج العملي كالذي يقع من بعض المتوظفين الأخساء ومباعي الضمائر من الصحفيين من أعمال تضرّ

(١) كذا في الأصل!

بالإسلام والعروبة، يريدون التزلّف بها إلى المغرضين من الحكّام، وعلى الإندماج الروحي كالذي عليه بعض المتفرنجين الجهلة من اعتزازهم بغير جنسهم، وتنكّرهم حتى لا يتميزوا عن أسيادهم، وذلك لجهلهم بتاريخ جنسهم وما كان عليه أسلافهم من مجد وكرامة.

هذه بداية تلك المجالس العمالية لشُعب الجمعية، «وإنا لنرجو فوق ذلك مظهرا» فقد عودتنا الأقدار ـ ولله الحمد ـ أن نرى النتائج أعظم من الأسباب، والاقتراب من الغاية أوْفَى من الخطوات.

وبعد، فالمظهر الذي يجب أن نظهر به اليوم هو أن نعرف كلّنا ماذا نريد؟ وأن نعرف كلّنا ماذا يُراد منا؟ وأن نصارح من يطلب عوننا بما نريد، وأن نصارح من يمدّ يده إلى آذانا بألمنا.

والذي نريده كلّنا هو أن نكون مسلمين كما يشاء ديننا، وجزائريين كما تركنا أسلافنا، غير مبدّلين لإسلامنا، ولا مغيّرين لقوميتنا، ولا بد أن نعلن هذه الإرادة وأن نلعن من نجده منا متبرئًا منها.

والذي يُراد بنا كلّنا هو الابتعاد عن أصل ديننا وصبغه بالخرافات حتى يصبح غير معقول ويسهل على أبنائنا الانسلاخ منه، وقطع الصلة بيننا وبين ماضينا المجيد حتى لا نشعر إلا بآبائنا الأقربين الجاهلين الفوضويين فيهون علينا جنسنا ويستحي خلفنا بالانتماء إليه، ولا بد أن نعرف من يريد بنا هذا وأن نحذره.

وإنّ لنا رجالاً يريدون أن نعينهم بأصواتنا على التقدّم إلى مجالس النيابة؛ فلنصارحهم بأنّا لا نؤيد إلاّ من يؤيد الإسلام والعروبة ويعلن ذلك في أحاديثه

وبأدنى مناسبة.

وإنّ علينا رجالاً يؤذوننا في إسلامنا وعروبتنا تحت ستار الاتّهام لجمعية العلماء بِتُهَمٍ لو أمكنهم تلفيقها لرأينا رجال الجمعية في أشقّ العذاب؛ فلنصارحهم بآلامنا ولنقطع عليهم طريق الاحتيال لأذانا.

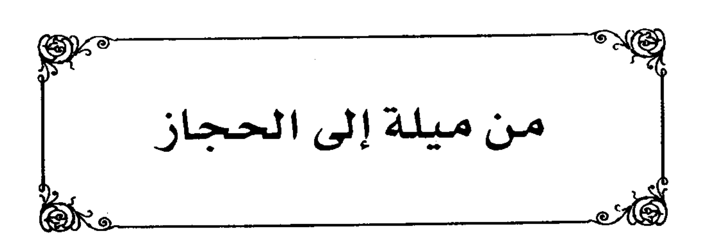
هذا هو المظهر الذي يجب أن نظهر كلّنا به اليوم، فلتجدّوا في تطبيقه ولا تضعفوا من تكاليفه.

﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾﴾ [آل عمران: ١٣٩][(١)].

مبارك الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٧) الصادر يوم الجمعة ٢٦ ذي القعدة ١٣٥٦هـ ٢٨/ ١/ ١٩٣٨م.



من ميلة إلى الحجاز

صبيحة الأحد الحادي والعشرين من ذي القعدة كان توديع أهل ميلة بالنادي الإسلامي لشاب من خيرة شبابها المصلحين هو السيد الحسين الهشيلي المتوجه لأداء فريضة الحج وزيارة المدينة المنورة.

وقد قام السيد عبود بن الشيخ الميلي الوكيل الشرعي بقراءة قصيدة الأستاذ العيد في توديع الحجاج، فتأثر الحاضرون لسماعها تأثرًا أسال مدامعهم ورقّق قلوبهم.

ثم قام الأستاذ مبارك الميلي مخاطبًا للمودّع بقوله:

«أيها الأخ أوصيك أوّلاً بمثل ما أوصى به النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مثل هذا الموقف، إذ قال له: «لَا تَنْسَنَا يَا أَخِي مِنْ دُعَائِكَ»[1].

ثم أوصيك بأن لا يكون قيامك بفرضٍ سببًا لضياع فرضٍ آخَر، فإنّ من الحُجّاج من يتهاون بالصلاة لضعف جسم أو حدوث شغلٍ؛ وبأن يكون ذهابك إلى الأرض التي ظهر بها نبيّ الرحمة مقوِّيًا للرحمة في قلبك على أهلها، فإنّ من الحُجّاج من يرجع بقسوة أشدّ من ذي قبل؛ وبأن يكون شوقك اليوم إلى ما هو أمامك أحرّ من حنينك إلى ما وراءك، فإذا عُدتَ من هاته الرحلة الميمونة عُدتَ بذكرى لتلك

(١) ضعيف الإسناد: ضعيف سنن أبي داود (٢٦٤) للألباني.

البقاع الطاهرة تبقى زادًا لإيمانك لا يفنى إن شاء الله.

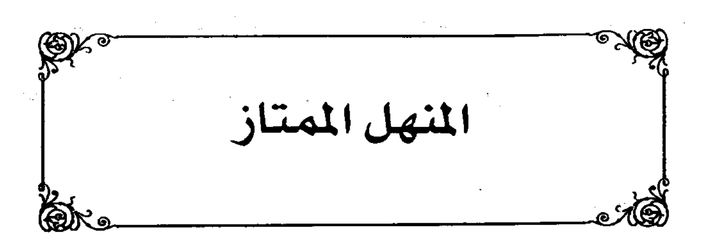
فسافر، فَلَنِعْم السفر سفرك، ولنعم المسافر أنتَ، تقبّل اللهُ عملَكَ الصالح، وبلّغك الله أملك في الخير، ولا حرمنا هذا السعي المشكور».

* * *

[وإثر هذه الكلمات أخذ السيّد الحسين في وداع الناس ثم دخل سيارته مع بعض المشيّعين له على عنابة، وذلك في مشهد حافل ومنظر مؤثر[1]].

شاهد

(١) «البصائر»: العدد (٩٧)، بدون إمضاء.



المنهل الممتاز

«المنهل» مجلّة شهرية تخدم الأدب والثقافة والعلم، تصدر بالمدينة المنورة، يديرها الأديب الكبير والكاتب المبين الأستاذ عبد القدوس الأنصاري.

و«المنهل» ميدان لأقلام فصيحة تحمل أفكارًا ناضجة تعمل لغاية شريفة.

منهل لا تَرِده الأقلام المغرضة، ولا تكدّره المناقشات الشخصية، ولا يعلوه طحلب التشفّيات النفسية.

والمنهل الممتاز هو ختام السنة الأولى لهذه المجلة التي أُوتيت الحكمة في الصبا، يشتمل على موضوعات هامّة تستغرق أربعًا وستين صفحةً تتقدّمها رسوم الملك عبد العزيز آل سعود وولديه: سعود ولي عهده، وفيصل نائبه العام.

ومن موضوعاته: «خطاب مفتوح إلى شبابنا الطموح» بقلم الأستاذ أحمد إبراهيم الغزاوي، شاعر جلالة الملك عبد العزيز.

ومنها «الحلقة المفقودة في تاريخ الحجاز» بقلم الأديب أحمد سباعي، رئيس تحرير جريدة «صوت الحجاز».

ومنها «حديث الغرائز» للأستاذ أحمد سليمان رشوان، مدرّس العلوم الحديثة.

ومنها «علم النفس: أثره في التربية وأهميته» للمدرس للأستاذ أحمد فهمي المدرّس بمدرسة النجاح.

ومنها «نبل» وهي قصة بقلم الأديب أحمد رضا حوحو.

ومنها «رمز الشهامة» قصيدة بليغة لصاحب المجلة.

ومنها وقفة شاعر بوادي العقيق «موشح أندلسي في منظر حجازي».

وغير هؤلاء من المقالات والقصائد مما يهمّ العالِم والأديب.

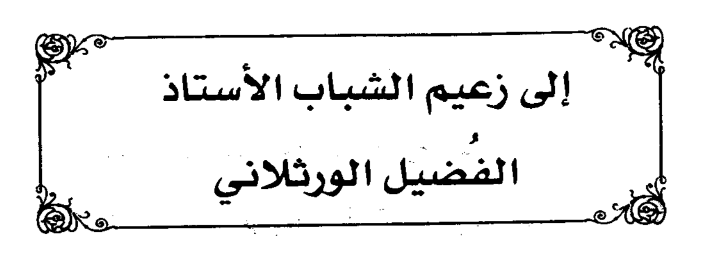
وإننا نهنّئ أخانا الأستاذ عبد القدوس الأنصاري بالعام الأوّل من عمر منهله المديد الذي تمّ بهذا المنهل الممتاز، ونستبشر خيرًا بعام المنهل الثاني، ثقةً بحزم مديره وكفاءته وإخلاصه، وندعو إلى قراءته والاشتراك فيه والورود من مائه العذب الزلال، ولسنا في دعوتنا إلا ناصحين للقراء لا مروّجين للمنهل، على أننا نتشرف بترويج هاته البضاعة الطيبة الطيبية لو استطعنا.

وقيمة الاشتراك في «المنهل» في إفريقية ستون فرنكا، وللأساتذة والطلبة خمسة وأربعون.

وهو في مثل قالب «الشهاب» نظيف الطبع صقيل الورق[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٧)، بدون إمضاء.



إلى زعيم الشباب الأستاذ الفُضيل الورثلاني

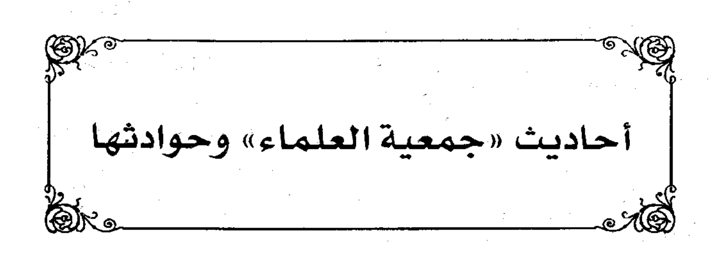
إذا رَأيت الكاتِب يُصوّر الواقِع فيُجيد، ويُمدّ يدَه إلى العواطِف فيُحسِن التّصرّف فِيها ؛ فذلِك الكاتِب القَدِير والدّاعِي المستَجاب.

ومِن هذا الضّرب مَقالُ الأُستاذ باعزيز بن عُمر الزّواوِي[1] الذِي زانَ بِه صحِيفة «البصائر»، وهو شابّ أدِيب ومعلّم بمدرسَة الشّبيبة بمَدِينة الجزائِر، وكاتِب عُرِفت كتابَتُه أكثَر مِن اسمِه؛ لأنّه كانَ يُخفِيه في أغلَب مقالاتِه[2].

(١) من تلاميذ الشّيخ ابن باديس، توفي سنة (١٩٧٧م).

انظر: «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (١/ ١٩٤ ـ ١٩٨).

(٢) «البصائر»: العدد (٩٨) الصادر يوم الجمعة ٣ ذي الحجة ١٣٥٦هـ ٤/ ٢/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



أحاديث «جمعية العلماء» وحوادثها

نداء:

إلى أعضاء الجمعيّة في جَميع القُطر: لا يَخفَى علَيكم أنّ كثِيرًا مِن المظالِم التِي تَقَع على أفراد هذِه الجمعيّة هِي مجهُولة لِبقيّة إِخوانِهم، وذلِك لعَدَم نشرِها بصحِيفة جمعِيّتكم.

ونحن نَدعُوكم اليَوم إلى تَسجِيل كلّ مَظلَمة تَقع علَيكم فِي أَمر التّعلِيم، وكلّ إِهانَة تَلحَق دِينكُم في المساجِد، وكلّ تُهمَة تُلصَق بكُم لشَلِّ حرَكتِكم الإِصلاحيّة.

ولا بدّ أن يكون ذلِك التّسجِيل في صحِيفتكم «البصائر».

وننبّهكم إلى أنّ التّسجِيل يجِب أن يكون طِبق الواقِع، خالِيًا مِن التّهويل والمبالغاتِ، وإلى أنّ كلّ مَن ورّط صحِيفتكم في الإخبار بغَير الواقِع فإنّ المسؤوليّة تَعود علَيه، والجمعيّة تتبرّأ مِنه؛ لأنّنا لا نَسِير إلّا على صِراط الصِّدق وبِضَوء الصّراحَة.

ومِن شواهِد جهالَتِنا بكثِير مِن المظالِم أنّ إِخواننا بفرنسا نَشَروا مَنشُورًا عدّدوا فِيه مظالِم الحكومَة للجمعيّة، فلم يَعدّوا إلّا قلِيلًا مِن كثِير لما قُلناه أوّلاً مِن عَدَم إذاعَة مَظالِمنا علَى صَفحَات جرِيدَتِنا.

منشور:

اجتَمع إخوانُنا بفرنسا في المركز الرَّئِيسي لجمعيّة تهذِيب وتعلِيم مُسلِمي شمال إفرِيقيا الواقِع بعاصِمة بارِيس، ونشروا منشُورًا باللِّسان الفرنسي، ملخّصه:

التَزَمَت فرنسا رسميًّا باحتِرام دِيانَة المسلِمين الجزائرِيّين، وأن تُبقِيَ لهم حرّيّة القِيام بدِينهم، فانظر الآنَ كَيف كان الوفاء بذلك الالتِزام:

١ـ سنة ١٣٥١ (١٩٣٢) مَنَعت الحكومَة ـ بِقَرار عامِل عمالَة الجزائِر ـ مُرشِدِي جمعيّة العُلماء مِن إلقاء الدُّروس في المساجِد، وقد (تكرّر الاحتِجاج على هذا القَرَار مِرارًا فَلَم يُسمَع للمُحتَجِّين المُحِقِّين صَوتٌ).

٢ـ وفي سنة ١٣٥١ (١٩٣٦)[1] سُجِن مِن غَير جُرمٍ ولا سَبَب ظاهِر الشّيخُ ناصِر[2] المدرِّسُ الحرُّ في دائِرَة قَرقُور.

٣ـ وفي سنة ١٣٥٥ (١٩٣٦) في عَهد الجبهَة الشّعبيّة القائِمَة اليَوم بِأمر فرنسا أُدخِل الشّيخُ الطّيّب العُقبِي ـ مِن رِجال الدِّين البَارِزِين ـ سِجنَ بَربَرُوس، (وقَد وَقَع غَلَط فِي المنشُور فَجعَلُوا هذِه الحادِثة سَنة ١٩٣٥).

٤ـ وفي هَذه السَّنة وعَهد حُكومَة الجبهَة الشّعبيّة أُغلِقَت مَدارِسُ حُرّة فِي عَمالتَي قسنطينة ووَهرَان، (ولَم يَزل قَلَم إغلَاق المدارِس الحرّة يَكتُب).

٥ـ وفي سنة ١٣٥٦ (١٩٣٧) امتُهِن مسجِدُ قنزات، وسُجِن الشّيخُ عُمَر دَردُور وجَلّول، ومُنع مِن التّعلِيم المشائِخُ: بَلقاسَم بن أَرواق، ويحي بن العوادِي،

---

(١) كذا في الأصل، والصَّواب (١٩٣٢).

(٢) توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٩٥٨م). انظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح» (١/ ١٨١ ـ ١٨٩).

(ولم تَزل قَضيّة هَذا المنعِ المتعَلّق بمدرَسة القَلعَة في دوائِرِ القَضاء، وإِن صَدَر الحكمُ الإِبتِدائي ضدّ هذَا المنعِ).

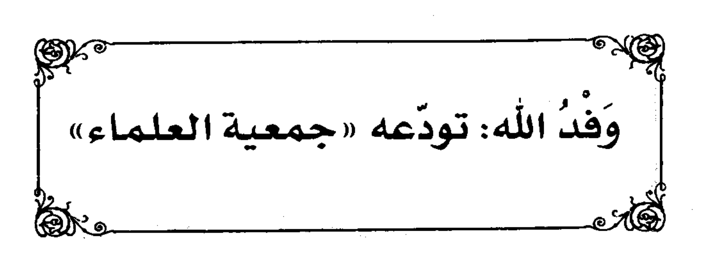
٦ ـ وفي هذِه السَّنة هُدِّد وضُويِق كلٌّ مِن المشائِخ: الفُضَيل الورثِلاني، والسّعِيد صالحي، والسّعِيد البيبَاني.

يَجرِي هذا بَينَما تِسعُمائة وَلَد فِي سِنّ التّعلِيم يجُوبُون الأَزِقّة لا يَجِدُون مَقعَدًا فِي مَدارِسِ الحكومَة.

٧ـ وفِي هذِه السّنة فَتَّشَت الشُّرطة نادِي التّهذِيب بباريس، (وهو محلٌّ له حُرمة المساجِد ومَكانَة المدارِس؛ لأنّه يَقوم بالتّعلِيم وتُقامُ فِيه الصّلَوات)[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٨)، بدون إمضاء.



وَفْدُ الله: تودّعه «جمعية العلماء»

سافر فضيلة الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» يوم ٢٣ ذي القعدة ـ ليودِّع الحُجَّاج كما هي عادته في كلّ سنة ويرشدهم إلى أداء ما عليهم من واجبات في معنى (الحج) ومقاصده السامية التي حثّ الشرع على التماسها والسير عليها كما كان سيدنا محمدﷺ يفعلها ويعلّمها لأصحابه رضي الله عنهم.

وعند رجوعه أخبرنا فضيلته بأنه تفقّد الحُجَّاج فوجدهم على حالة حسنة، وأن الباخرة في هذه السنة أسباب الراحة فيها متيسّرة، لأنّ جميع أقسامها نظيفة للغاية، وهواءها غير متعفِّن، وأسِرَّة نومها متّسعة ولا ازدحام فيها لأنها لم ترفع أكثر من كفايتها.

فالحجّاج ـ والحمد لله ـ ذهبوا مسرورين مبتهجين؛ وقد رغب الحجّاج من الأستاذ ليخاطب سي الفُضيل ليخصّص لهم قاعة للصلاة؛ وبالفعل كلّم الأستاذ سي الفضيل فقبل طلبه وأكّد تنفيذه وواعده بأن ستكون التحسينات في المستقبل أكثر مما شاهد، وهذه أوّل باخرة كان فيها الحجّاج في راحة واتّساع.

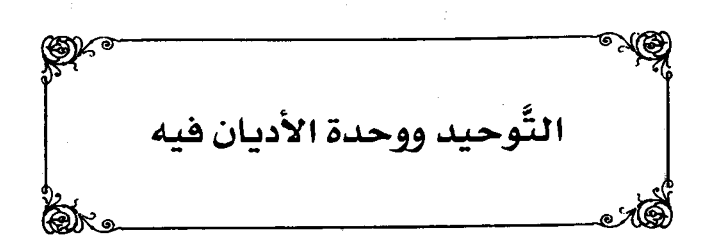
ومما نبشّر به عموم المسلمين وأهالي الحجّاج خاصّة بأنه وردت من والد

الأستاذ السيد محمد المصطفى ـ برقية يوم الإثنين تخبر بأن راحة الحجّاج في أمن وأمان ويصلون إلى جدّة ـ إن شاء الله ـ يوم الأربعاء.

هذا وإننا ندعو لحجاجنا الكرام بالتوفيق حتى يرجعوا سالمين غانمين آمنين[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٨)، بدون إمضاء.



التَّوحيد ووحدة الأديان فيه

أدركنا الحركة العلمية في أرض الجزائر تعتمد على جامع الزيتونة شرقًا، وعلى جامع القرويين غربًا، وهي في مجموعها - ولكلٍّ عمومٍ خصوصٌ - حركةٌ نظريةٌ متردّديةٌ بين الأوراق والأذهان لا تُعنَى بالعمل التطبيقي والتمرين العملي.

ومن الأمثال الشائعة في الوسط الزيتوني: «بعد ما ختم الكبرى قال واش تكون المنوبية من ربي».

يذكرون هذا المثل في مقام التعجّب من قارئ موضوع بلغ منه المنتهى ثم هو لا يزال في تطبيق معلوماته على ما بين يديه عاميًا.

وهذا المثل يصلح أن يضرب لغالب علماء ذلك العهد، سواء في علم العربية أو علم الفقه أو علم الكلام، وهي أهم ما كان يدرس بوسطنا الجزائري.

ولما ابتدأتْ النهضةُ الجزائريةُ في الكتابة فطبقت المبادئ العربية قال حُسّادها: هذه شقشقة لفظية، ولما ظهرتْ في الخطابة قال العاجزون: هذه صناعة محاماة، ولما اتجهتْ إلى تطبيق الآيات القرآنية على العقائد العامية وتصفيتها من النزعات الوثنية، قال المتسلّطون الروحيون: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧﴾ [ص: ٧].

وقد مضى على هاته النهضة الجزائرية نحو اثنتي عشرة سنة لم يعطّل الخصوم سيرها وتقدّمها، ولم يعدم أولئك الخصوم شُبهًا يدجّلون بها على المغرورين بهم.

دعا علماء الجزائر الأحرار قبل تأسيس «جمعية العلماء» وبعدها إلى الدّين الخالص والتوحيد الذي هو أساس كلّ فضيلة، وشرط قبول كلّ طاعة، فدرّس العلماء وكتب الكُتاب وغنّى الشعراء، ولكن ما زال من البُلْهِ من يظنّ هذه الدعوة خصومة بين العلماء والطرقيين، وليست عقيدة إسلامية عامة .

ومن أجل أن وسائل الإقناع تختلف في الناس اختلاف الطّباع نلخّص للقُراء درسًا قيّمًا للشيخ الأكبر الأستاذ المراغي[1] في هذا الموضوع.

في أواخر رمضان جلس فضيلته أمام المذياع بحضور ملك مصر ووزرائه وعلية القوم، فألقى على العالَم درسًا في تفسير آيات من الشورى، هي قوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ ـ إلى ـ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى: ١٣ـ ١٤].

قرّر فيه وحدة الأديان في أصل الاعتقاد والحثّ على مكارم الأخلاق، وبيّن فائدة تلك الوحدة للمسلمين باطمئنانهم إلى دينهم إذا علموا أنه موافق للأديان القديمة؛ ولغير المسلمين بإقبالهم على الإسلام، وأنه لا وجه لإعراضهم عنه إذا علموا أنه غير مناقض لأديانهم الخالصة ، وذكر من الآيات المرشدة إلى هاته الفائدة قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [آل عمران: ٦٤].

---

(١) توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٩٤٥م). انظر «الأعلام» (٧/ ١٠٣).

ثم أفاض القول في الوحدة ومظاهرها في التكاليف الدينية من صلاة وحج، وأنها مطلوبة في الدِّين، وفي الغايات، ولازمة لكلّ أمة تريد عزّة الجانب واحترام الكلمة.

ثم عرّج على الاختلاف وأنه ليس من طبيعة الأديان وإنما عرض لأتباعها، فيكون بين أتباع دين وأتباع دين آخر، ويكون بين مقلّدي مذهب ومقلّدي آخر من أهل دين واحد، وإذا لم يكن الأنبياء علّة اختلاف الأمم فإن أئمة السلف ليسوا منشأ الخلاف، وإنما منشؤه الجمود من متأخري المقلّدين حتى يفضي بالمفكّرين الذين لا يعرفون الدّين إلاّ بأولئك الجامدين إلى التشكيك في أصل الدّين والارتياب بصلاحيته للمجتمع، ونزّل على هاته الحالة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ۝١٤﴾ [الشورى: ١٤]، وأشار إلى أن لا علاج لهذا الاختلاف إلاّ تطبيق آية: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٥٩].

وبعد أن ذكر اختلاف المذاهب الفقهية قال:

«وقد حصل الخلاف في التوحيد نفسه، فنرى العلماء يختلفون في صفات الله، وفي الاستغاثة والوسيلة مع أن الوسيلة والاستغاثة مرتبطتان أشّد ارتباط بالتوحيد، فإذا دعوتَ غير الله فقد أشركتَ معه غيره، وإذا استغثتَ بغير الله فقد أشركتَ معه غيره، وإذا تمسّحتَ بضريح أو طُفتَ به فقد أشركتَ مع الله غيره، فدعاء الله وحده أساس العبادات، قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥].

ثم قال فضيلته:

«إن المسلمين في أشدّ الحاجة إلى الرجوع إلى كتاب الله وإلى الوحدة التي يطلبها الله ويدعو إليها رسول الله ﷺ في قوله: «مَثَلُ الْمُؤْمِنينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَوَاصُلِهِمْ،

كَمَثَلِ الجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الأَعْضَاءِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»[1].

وما أصاب وأذلّ المسلمين حتى نُكِّل بهم [إلا][2] أنهم أنكروا نعمة الله، فأصبحوا أذلاّء مستضعفين وأعداء مختلفين، ومكّن الله لغيرهم فيهم، فعليهم أن يعودوا إلى الدِّين الإسلامي الصحيح، وأن يعملوا لخير الملّة الإسلامية والمجموع الإسلامي، لتسود الإسلام سعادة وهناء، ويستردّ مجده وسلطانه وعزّته.

وإذا كان القرآن الكريم يذكر أن دين الإسلام قديم في أصله، وأن لذلك فائدة تعود على المسلمين وغير المسلمين، فإنّ لسماع هذا الموضوع من عالِمٍ جليلٍ بعيد عن التأثر بجمعية العلماء فوائد لأنصار الجمعية ولخصومها من جنس تلك الفائدة.

١ ـ فأما الذين عرفوا ما في دعوتها من خير وصلاح فاستجابوا لها فإنهم يزدادون طمأنينة إلى ما وفّقوا إليه إذ يعلمون أنّ أحرار علماء الجزائر لم ينفردوا بتلك الدعوة ولا تقلّدوا فيها مذهبًا خاصًّا.

٢ ـ وأمّا الذين التبس عليهم الأمر فوقفوا في مفترق الطرق حائرين، فلعلّ في سماعهم صوتًا صافيًا بعيدًا عن خصوم الجمعية لم يصب ببحثهم، إيضاحًا لهم من ذلك اللّبس، ورشادًا لهم من تلك الحيرة.

٣ ـ وأما خصوم الجمعية المعتمدون على أن الجمعية منفردة بهذه الدعوة فقد

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٦) عن النعمان بن بشير رضي الله عنهما، وفيه «تعاطفهم» مكان «تواصلهم»، و«مثلُ» مكان «كمثلِ»، و«الجسد» مكان «الأعضاء».

وأخرجه البخاري (٦٠١١) بنحوه بلفظ: «تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحُمِهِمْ...».

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط في الأصل.

يستفيق مغرورهم ويفتضح معاندهم.

٤ ـ وإلى ذلك كلّه يعلم الناس نوع العلماء الذين يدعون دعوة «جمعية العلماء» ونوع العلماء الذين يخذلونهم؛ ذلك بأنّ الأستاذ المراغي عالم مفكّر مستقلّ الإرادة، وإلى ذلك يشغل منصبًا دينيًا عاليًا في حكومة إسلامية مستقلّة، فلا جرم تتّحد دعوته ودعوة جمعية عالمة مفكّرة مستقلّة الإرادة عن وحي إدارة الحكومة غير المسلمة.

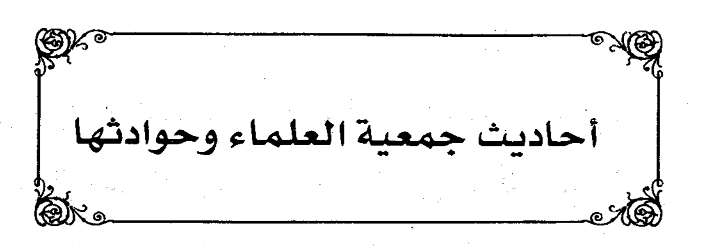
واسأل عن عالمٍ في مغربنا من طرابلس إلى مراكش لا يقلّ عن الأستاذ المراغي عِلمًا وتفكيرًا . فإن وجدتَه خاذلاً لجمعية العلماء فإنك لا تجده إلاّ مغلول الإرادة يستوحي إدارة غير إسلامية، لتقارن بين العلماء الأحرار المستقلّين بإرادتهم غير المتأثرين بشهوات المعمّرين ، والعلماء المقيَّدين بوظائف ظاهرها فيه الرحمة للدّين وباطنها مِن قِبَلِه[1] استئصاله. فإن هاته المقارنة تقف بنا على سبب كبير للاختلاف الدِّيني، وتذهب بثقتنا بعلم من لم يكن حُرًّا لا بنفسه ولا بحكومته، وتكشف لنا عن نفوذ الاستعمار إلى رأس مالنا في الدِّين.

فلنعلن استنكارنا لنفوذ الاستعمار إلى مسائل ديننا، ولنبغض كلّ عالم يتخذ ديننا قربانًا لمرضاة الاستعمار عنه، ولنستجب لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[الأنفال: ٢٤][2].

مبارك الميلي

(١) في الأصل: قلبه.

(٢) «البصائر»: العدد (٩٩) الصادر يوم الجمعة ١٠ ذي الحجة ١٣٥٦هـ، ١١/ ٢/ ١٩٣٨م.



أحاديث جمعية العلماء وحوادثها

... حتى جمعية ابن غبريط[1]

عرف القراء سلسلة خصوم الجمعية من عدة مقالات وبيانات، أحدثها مقال «جمعية العلماء في الصحف» ، واليوم نتقدم إليهم بحلقة من تلك السلسلة الذهبية!

اجتمعتْ في آخر السنة الميلادية الماضية بالجزائر فبسكرة جمعيةٌ لها عدّة أسماء، أصدقها «جمعية ابن غبريط»، وكثرة الأسماء تدّل على شرف المُسَمَّى! كما يقال، وشرف كل جمعية تابع لغايتها، وغاية هذه الجمعية ذهبية كما لا يخفى.

وقد مثلت هذه الجمعية بفرنسا مع المسلمين الراغبين في تفهّم دينهم نفس الدور الذي مثله «ميشال» مع أحرار العلماء بالجزائر.

وقد جاء السيد ابن غبريط يحدّث أعضاء جمعيته عن محاربته للعلم والدِّين بفرنسا، فيصف دعاة الإسلام والعروبة هنالك بالمغرضين ويتشّرف بمنعهم من

(١) هي المعروفة بـ «جمعية أحباس الحرمين»، تأسّست سنة (١٩١٧م)، أنشأتها فرنسا، وكان الهدف منها جلب وإرضاء المسلمين خلال الحرب، وكان رئيسها قدُّور بن غبريط.
انظر: «تاريخ الجزائر الثّقافي» (٤/ ٤١١).

جامع باريس ومن الصلاة في الفضاء، ويردّد عبارات الشكر والثناء للحكومة التي أيّدته في موقفه ضد دعاة الإسلام والعروبة، ويطلب من أعضاء جمعيته هنا موافقته على إجراءاته تلك. فرفعوا كلّهم أيديهم شاكرين له على صنيعه كما نشر عنه. ولم تستثن الأخبار التي بلغتنا ولا واحدًا حتى فضيلة شيخ الإسلام المالكي بتونس[1] الذي تشرّف بسماع ذلك الحديث أو شرّفه بسماعه.

«خذا بطن هرشى أو قَفاها».

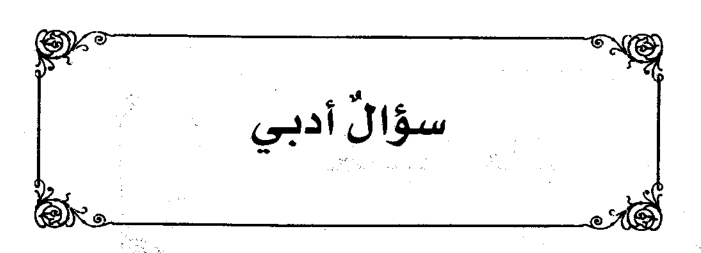
وقد وقعنا من معاملة هذا الشيخ بين عامل مشيخته لنا المقتضية لغضّ الأبصار وعامل أعماله الحكومية المقتضية لكشف الستار.

وإذا كان الشيخ من الأعلام الشامخة فأقدامنا في إيثار الحق راسخة، وإذا حدث ما يوجب الانفجار فلا تثريب بعد طول الاصطبار[2].

---

(١) هو الشيخ الطاهر بن عاشور، المتوفى سنة (١٩٧٣م)، رحمه الله وعفا عنه.

(٢) «البصائر»: العدد (٩٩)، بدون إمضاء.



سؤالٌ أدبي

ساداتي الأدباء حيّاكم الله وبيّاكم: وبعد، فخدمةً للأدب وإحياءً لميزان أشعار العرب، أرجو أن تخبرونا عن قول العربي: «يا صاح يا ذا الضامر العيس» مِن أيِّ بحرٍ؟ ومَن قائلُه؟ وما تمامُه؟ وهل له ثانٍ؟

ولمن أصاب وأحسن الجواب جائزة: اشتراك سنة في «البصائر»، وأمد انتهاء قبول الأجوبة أسبوع من يوم بروز السؤال.

والحكم في الإصابة للأستاذ الميلي، لا زلتم لقيد الأوابد واقتناص الشوارد.

«برج الغدير» «محمد بن بالي»

«البصائر»:

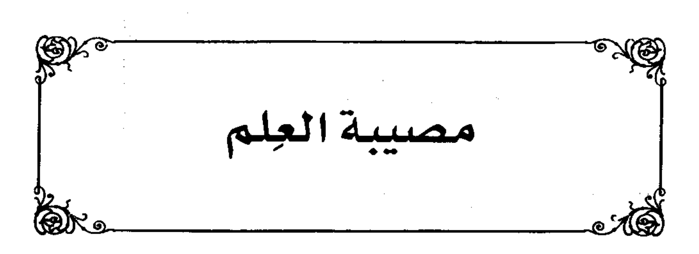
حيث حُكِّمتُ فأنا أبتدئ حكمي على السائل بأنه ضيّق مُدَّة الإجابة، فإنّ من الناس من تصلهم الجريدة منتصف الأسبوع، وإذ ذاك يكون العدد الذي يليه قد تمّت تهيئة موادّه للطبع، فأين وقت البحث وزمن الإجابة؟

وإذا رضي الكاتبُ حُكمي، فإني أجعل للمجيبين مدة ثلاثة أسابيع من تاريخ بُروز السؤال، ولا تنشر الأجوبة إلَّا بعد انتهاء المُدَّة.

وأشترط على المجيبين أن لا يتجاوز جوابهم عشرة أسطر من عمود في الجريدة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (٩٩)، بدون إمضاء.



مصيبة العِلم

في ظرف الأسبوع الماضي حملت إلينا أنباء تونس الشقيقة وفاة العالِم المتبحّر والباحث المحقّق شيخنا الأستاذ العظيم الشيخ محمد الصادق النيفر رحمه الله رحمة واسعة.

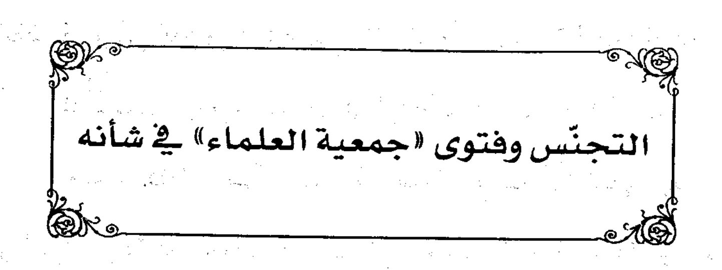
كان هذا الأستاذُ إمامًا من أئمّة العلم بجامع الزيتونة المعمور، عرفنا علمه وتحقيقه بما عرفنا من دروسه، لا بما سمعنا عنه من الناس فقط.

فقد حضرنا من دروسه في «الموطأ» و«الترمذي» و«مختصر خليل» و«الأرجوزة العاصمية» ما يحملنا على الشهادة له بالتفوّق على شيوخ آخرين حضرنا لهم في تدريس هذه الكتب.

وإنّا لنعدّ خسارة العلم ومصيبة جامع الزيتونة في هذا الأستاذ خسارة كبرى ومصيبة عظمى.

نسأل الله تعالى لروح الفقيد الرحمة والرضوان، ولآله من ذوي قرابته وأبناء تربيته العلمية الصبر والسلوان، ولجامع الزيتونة الحفظ من تكرّر أمثال هاته النائبة[1].

(١) «البصائر»: العدد (٩٩)، بدون إمضاء.



التجنّس وفتوى «جمعية العلماء» في شأنه

عُرف التجنّسُ أوّل ما عُرف بوطن الجزائر بغيضًا منكرًا، فلم يُقْبِل عليه في أوّل عهده إلاّ القليل مع التكتّم، ولغرض دنيوي، يرجع إمّا إلى التطلّع إلى منصب محروم منه الجزائري، وإما إلى التملّص من عقوبات لا تطبّق على الفرنسي، ومع ذلك فقد عرفنا من بعض أولئك المتجنّسين وبلغنا عن آخرين ندمهم على التجنّس وتنفيرهم منه.

ثم أخذ التجنّس يسير بِخُطًى ثقيلةٍ ويخرج من دور التكتّم حتى كان له دعاة يُسِرّون أو يعلنون، ومن أظهرهم اليوم المسيو زناتي صاحب جريدة «الصوت الأهلي» الفرنسية اللّسان.

وكانت سنة تسع وأربعين (ثلاثين ميلادية) أكثر السنوات المتقدّمة عليها حديثًا عن التجنّس في الصحف والمجالس، وارتقى الباعث عليه من مصلحة الشخص إلى دعوى منفعة الجنس، فقد اشتدّت رغبة المثقفين ثقافة فرنسية (طبعًا) في مشاركة الفرنسيين في الحقوق، وأيسوا من أيّ وسيلة لها غير وسيلة التجنّس.

ورغمًا عن اعتراف المسيو زناتي بخيبة فكرة التجنّس وأنها غير مجدية حسب مقاله في صحيفته المؤرخة برابع شتنبر سنة ثلاثين لم ينقطع عن دعوته إلى التجنّس،

ودخلت صحيفة «الإصلاح» التي يديرها الأستاذ الشيخ الطيِّب العُقبي ميدان هاته القضية، وظنّ الطرقيون أنه يميل إلى التجنّس وأن بقية العلماء على هذا الميل، حتى أشيع لما أُسِّست «جمعية العلماء» أنها إنما أُسِّست لفتح هذا الباب.

وقوّى ذلك الظنّ السيّئ في نفوس طائفة أنّ العلماء يفرّقون بين التجنّس والمتجنّس، فتراهم يعاملون المتجنّس معاملة إنسانية ويعاشرونه معاشرة إحسانية ولا يستنكفون من مجالسته ولا من مشاركته في عمل للصالح العام، فيظن البسطاء ذلك ميلاً من العلماء إلى التجنّس، ونتج عن ذلك الظنّ أمران فاسدان: أحدهما التساهل في التجنّس، والآخر: القدح في العلماء.

ومن هنا كانت الضرورة داعية إلى إبداء «جمعية العلماء» ما تعلمه من حكم الله في هذه المسألة، حتى لا يغتر بسكوتها الراغبون في التجنّس، ولا تبقى شُبهة لمن يرميها بالرضى عن التجنّس، وقد أعلنت فتواها في العدد الخامس والتسعين من «البصائر».

وقد وقفَ الناسُ من تلك الفتوى مواقفَ:

١ ـ فمنهم المستحسنون لها المسرورون بها المعجبون بإخلاص مفتيها للدّين وبشجاعتهم في إقدامهم على ما قد يغضب بعض أحبائهم أو يقوي غضب خصومهم؛ وهؤلاء هم جمهور المسلمين من كلِّ عالمٍ لا يبالي بالظروف السياسية أمام الحقائق الدينية، وكلِّ أُمِّيٍّ نشأ في الإسلام، وكلِّ مثقف يعمل لخير الإسلام والعروبة.

وقد بلغنا عن المنصفين من الطرقيين الإعجاب بتلك الفتوى، كما جاء كتاب شكر وتقدير إلى رئيس الجمعية من متجنسي إخواننا التونسيين ننشره ـ إن شاء الله ـ في العدد الآتي.

وقد رأينا صحيفة «الإرادة» الغرّاء التي تصدر بتونس ترحّب بالفتوى فتنقلها

كلّها وتقدّم لها مقدّمة بليغة.

٢ ـ ومنهم من تلقّاها بالحذر والارتياب؛ وهم ـ فيما بلغنا ـ بعض متجنّسي الجزائر الذين كانوا مُوالين لجمعية العلماء ويرونها تتّحد معهم في إنكار الخُرافات ومحاربة الجمود وتمدّ يدها إليهم في خدمة القضية الجزائرية؛ ولكن هذه الفتوى عندهم تصوّرهم بصورة الكافر وتوجب التبري منهم والابتعاد عنهم.

ونحن نقول لهذا الفريق: إن الفتوى دينية، معناها أن المتجنّس إذا لم يتب يكون يوم القيامة من أهل النار، فمن كان منكم يؤمن باليوم الآخر فليحمد الله أن علم حكم الله في هذا الأمر الهامّ، ومن كان لا يؤمن باليوم الآخر فهو في نظر المسلمين كافر بدون هذا التجنّس.

أما الحياة الدنيا فنحن كما كنا نقترب من كلّ من يقترب منا، ونتحدّث مع كلّ من تجمعنا به خطّة، ونعمل مع كلّ من توحّد بيننا وبينه غاية، فليست الفتوى إعلانًا للعداء مع المتجنّسين، ولا قصدًا إلى إثارة عواطف ضدّهم، ولا سعيًا لتحقير شأنهم في المجتمع، لأن المحافظة على حياة الإسلام ليست بذرًا للخصام بين الأنام.

٣ ـ ومنهم من حمل عليها وعلى الجمعية من أجلها؛ ومتقدم هذا الفريق المسيو زناتي الذي كتب مقالاً في «صوته» صال وجال، وأرغى وأزبد، وأبرق وأرعد، وحاول أن يكون في الجزائر شيخ إسلام وقاضي محكمة نقض وإبرام.

وصنيعه ذلك لا يفهم منه الغيرة على التجنّس فقد اعترف بسوء مغبّته في نفس «صوته» ذلك منذ ثماني سنوات؛ ولكنه يجري على عادته في محاربة الإصلاح وكلّ ما فيه قوة للإسلام والقومية، وليس هذا أول مواقفه ضدّ رغبات الشعب الجزائري وأمانيه،

ولا هي أول ضربة فاشلة وجّهها إلى مميزاتنا القومية ومقدّساتنا الدينية.

نحن لم نذكر هذا الرهط الأخير إلا تتميمًا للأقسام، وتعريفًا له أنّا لا نبالي في سبيل ديننا بغضبه وصحبه، ولا نحسده على تزلّفه وتملّقه، غير أننا نرى تزلّفه وتملّقه وسعايته بنا لا تُجديه؛ فإنه لم يكشف لمخدومه وسيّده عن سِرٍّ مكتوم ولا أتاه من سَبَإٍ بنبأ، إننا نصرّح ولا نكني، ونعلن ولا نُسِرّ، أننا محافظون على الإسلام والعروبة، وعاملون لخيرهما، ونرى سعادتنا في كلّ شقاء يلحقنا في سبيلهما إن لم يكن من ذلك الشقاء بدّ في العمل لرفعتهما، وإننا لا نريد من تلك المحافظة وذلك العمل الإضرار بأحد والانتقام من أحد ولا العناد لأحد.

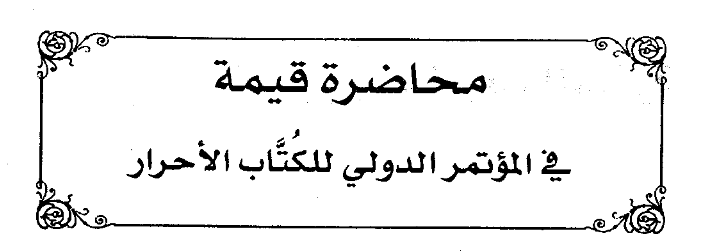
نعم، نريد من المتجنّسين الموالين للجمعية أن لا يستريبوا بها من أجل هذه الفتوى، ولا أن يظنّوها أحدثت شيئًا جديدًا أو غيّرت سلوكًا قديمًا، فالجمعية معهم -إن شاءوا العمل المشترك- على ما كانت عليه، وهي تسالم من يسالمها وترغب في المسالمة، وتقبل العمل مع من يسعى لصالح الجزائر وتؤيّده في تلك الدائرة.

وأخيرًا؛ يجب أن يفهم أن الجمعية تفرّق بين التجنّس والمتجنّس، فالتجنّس معنى منكر شرعًا ليست له ناحية ترضي، والمتجنّس شخص فيه صفات مرضية ومسخوطة، فإذا أتانا بجهته المرضية قبلناه وسُررنا به وتركنا له ناحيته الشخصية، وإنّنا لنعلم أن الحياة لا تستقرّ إلاّ مع التسامح والتجافي عن التعصّب، وقديمًا قال الشاعر العربي:

ولستَ بمستبقٍ أخًا لا تلمه ... على شعث أيّ الرجال المهذّب[1]

مبارك بن محمد الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١٠٠) الصادر يوم الجمعة ١٧ ذي الحجة ١٣٥٦هـ ١٨/ ٢/ ١٩٣٨م.



ألقاها فخر الشَّباب الجزائري الشَّيخ الفضيل الورثلاني بذلك المؤتمر المنعقد في ١٨ يوليه ١٩٣٧.

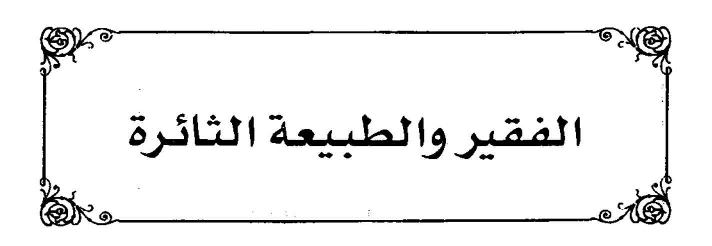
وقد حازت هذه المحاضرة على استحسان الحاضرين، وذكرتْها بإعجابٍ صحفٌ كثيرةٌ مثل «لمانيتي» ومثل «البوبيلير» وغيرهما.

وقد حُرِم قرّاء «البصائر» منها في حينها فلم تُرسَل إلى إدارتها إلَّا في هذه المدَّة الأخيرة، ولكن لم يَفُتْ أوانُ نشرها؛ لأنَّ الظُّروف التي أُلقيت فيها لم تتغيَّر والمظالم التي أعربت عنها لم تقلع سُحُبها السَّوداء، وأمنية الجزائري التي صُوِّرت فيها لم تزل بحالها، لذلك رأينا أن نثبتها للقُرَّاء اليوم[١].

قلم التحرير

---

(١) «البصائر»: العدد (١٠٠) بدون إمضاء.



الفقير والطبيعة الثائرة

«البصائر»:

الأديب أحمد بن سحنون[1] شاعر الطبيعة وكاتب العاطفة يتقدّم إلى القُراء بهذا المقال، واصفًا لداء انحطاطنا، راجعًا به إلى علّتي الفقر والجهل، وقد أصاب.

ومن العار الذي يخجل حتى الوقح أن ينتشر داء الفقر والجهل في أمة تؤمن بكتابٍ أوّل ما أنزل فيه الأمر بالقراءة، ومن أوّل ما حثّ عليه الإنفاق في سبيل الله وإيتاء الزكاة.

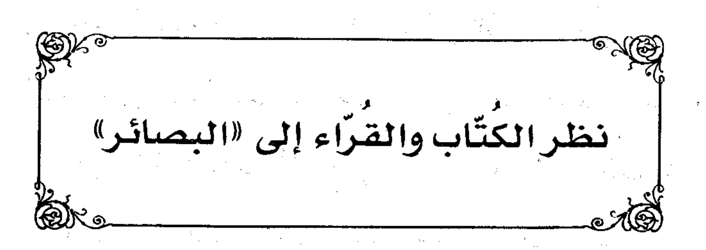
وبعد؛ فهل يجمل بنا أن يكون حظّنا من قراءة هذا المقال الإعجاب بتصوير كاتبه؟!

لا ـ بل يجب أن نقرأ فنفهم فنطبق، فلتؤسَّس المدارس لحرب الجهل، ولتؤسَّس الجمعيات الخيرية لحرب الفقر الشائن وصون كرامة الإسلام، ولتؤسَّس المؤسسات الصناعية لحرب البطالة إحدى أمهات الفقر[2].

(١) توفي رحمه الله بتاريخ ١٤ شوَّال ١٤٢٤هـ ٨/ ١٢/ ٢٠٠٣م.

وانظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (٢/ ٥٦ ـ ٦١).

(٢) «البصائر»: العدد (١٠٠)، بدون إمضاء.



نظر الكُتّاب والقُرّاء إلى «البصائر»

نظر الكُتّابِ والقُرّاءِ إلى صحيفتهم «البصائر» هو نظرُ استحسانٍ واغتباطٍ مع رغبة في زيادة التحسّن والترقي، هذا ما علمناه ممن شافهونا أو كتبوا إلينا أو أخبرنا عنهم متجوّل «البصائر».

وهذه الظاهرة منهم تؤذن بانقضاء عهد اليأس والاستخفاف بحركات الإصلاح والجمود على الموجود، وتبشّر بإقبال عصر الإيمان بالمبدأ والتطلّع للكمال، فللّه الحمد.

ولا حاجة إلى بيان نظراتهم في استحسان صحيفتهم، ولكن الحاجة ماسّة إلى بيان رغباتهم التي يأملونها لصحيفتهم لنتعاون جميعًا على تحقيق تلك الرغبات إن شاء الله، أو نعلم كلّنا ما لا يمكن الآن تحقيقه منها.

فأما الكُتّاب فيرغبون أن تنشر مقالاتهم بنصّها وفي حينها، وهذا ما لا يمكن تحقيقه اليوم، ذلك أنّ عدد صفحات الجريدة محدود، والأيدي لم تزل عنها مقبوضة، والمقالات كثيرة، وفيها ـ طبعًا ـ ما يُهمَل لولا رغبتنا في تنشيط الناشئين، فلو لم نلخّص بعضها لكان حظّه إما الإهمال وإما الإمهال الذي يفضي مع طول العهد إلى الإهمال، ونحن إذا صبرنا لعناء التلخيص لا نقصد إلى تنقيص الكاتب، ولكن نريد

المحافظة قدر المستطاع على إذاعة نظره أو خبره، فأما الإسراع في النشر فهذا يتوقّف على زيادة الصفحات، ولعلّ ذلك يمكن إذا أدّى كلٌّ من الباعة والمشتركين ما عليهم للجريدة، ولم يقفوا عند هذا الحدّ، بل يعملون على توسيع نطاق رواجها.

وإذا شاء الكُتّاب أن يتصوّروا مبلغ المقالات والقصائد فليعلموا أنه لدينا حال كتابة هاته الكلمة نحو الأربعين مقالة، منها ما يستغرق من ثلاثة أعمدة إلى ثمانية، ولدينا نحو عشر قصائد، منها ما يستغرق صفحة تامة.

وأما القُراء فيرغبون في تنويع الموضوعات وأخبار الجهات، ويلحّون على كبار العلماء في تحرير المقالات العلمية، وهذه الرغبات ليست بالحديثة، وقد كانت السبب في تقديم اقتراحات للمجلس الإداري الجديد، فأجمع على اعتبارها، وسجّلناها في افتتاحية العدد الرابع والثمانين، وطلبنا من الكُتّاب ورؤساء الشُّعَب أن يوافونا بأخبار جهاتهم، وما قاموا به من أعمال أو وقع عليهم من حيف، ولكن الجدّ لم يزل بعيدًا عنّا حتّى أنّا كلّفنا المتجوّل بالبحث عن مكاتبين في الخطّ الذي مرّ به، فأخبرنا بأنه وجد من وعده بذلك، ولكن لم يكتب أحدٌ للإدارة لتعتمده ولا كاتَبها أحدٌ منهم بشيء.

وإنّنا بصفتنا مسلمين بُرآء من اليأس، وبصفتنا عاملين لسعادة الشعب بُعداء عن التثبيط، وإنما عَرَضنا هذه الحال لنعمل بجدّ واهتمام على تلافيها.

وقد وضعنا للجريدة ثمانية أبواب عدد صفحاتها، وهي:

١ ـ المقال الافتتاحي.

٢ ـ أحاديث جمعية العلماء وحوادثها.

٣ ـ المباحثات العلمية والأدبية.

٤ ـ المقالات الإصلاحية.

٥ ـ أخبار المغرب وشمال إفريقية.

٦ ـ أخبار العالم الإسلامي.

٧ ـ الأدب الجزائري.

٨ ـ الحديث عن الشباب.

فما كان تأييدًا للجمعية أو محاربةً لها، وما كان من أعمالها وحركاتها أو الاعتداء عليها، فكل ذلك موضوع الباب الثاني.

وما كان نشرًا لِسُنَّةٍ وبيانًا لآيةٍ أو حديثٍ أو حثاً على فضيلة أو تصوّرًا لمسألة لسانية أو كونية، فذلك حديث الباب الثالث.

وما كان كشفًا لمنكرٍ أو بدعةٍ أو إرشادًا إلى معروفٍ هُجِر أو أدبٍ قُبِر، فهو المقصود من الباب الرابع.

وما كان من نوع المكاتبات وأخبار الجهات، فمكانه الباب الخامس، ولا لزوم لتتبع بقية الأبواب بالشرح.

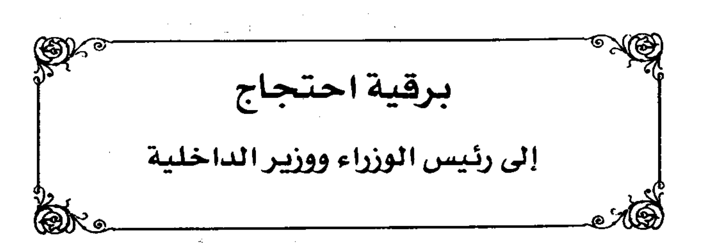
وإذا نوَّع الكُتاب أقلامَهم حسب هذه الأبواب، واقتصروا في تحريرهم على نحو الصفحة الواحدة تحقّقت رغبات الكُتَّاب والقراء جميعًا إلاَّ ما يرجع إلى زيادة الصفحات في حجم الجريدة، فذلك أمر موقوف على همم المشتركين ونشاط الباعة.

فالعمل العمل حتى ندرك الأمل، والصبر الصبر «فما انقادتِ الآمالُ إلاَّ لِصابر»[1].

مبارك الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (١٠١) الصادر يوم الجمعة ٢٤ ذي الحجة ١٣٥٦هـ ٢٥/ ٢/ ١٩٣٨م.



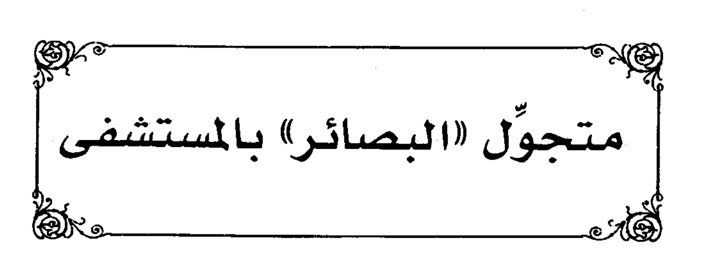
برقية احتجاج

إلى رئيس الوزراء ووزير الداخلية

إن الجمعية الدينية الإسلامية الميلية تنبّه جنابكم إلى خطر مساومة الأمة الجزائرية في شخصيتها الدينية الإسلامية إزاء حقوق مادية. وتؤكّد لمقامكم أنّ الأمة الجزائرية المسلمة لم تزدد بهذه المساومة إلاّ قلقًا. ولن تزداد قلوبها ـ لو مسّت تلك الشخصية ـ لا قدر الله ـ إلاّ نفورًا من الحكومة. وسيكون أثر ذلك المساس في الخارج أسوأ من «الظهير البربري»[1].

(ميلة) الرئيس مبارك بن محمد الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١٠١).



متجوِّل «البصائر» بالمستشفى

السيد عليّ مرحوم متجوّل البصائر شابٌّ أديب، صادق الغيرة، طيّب السيرة والسريرة.

وكان مصابًا بمرض يغالبه ويعانيه. فلما خرج في هاته الجولة لم يعد منها إلاّ منهوك القوى في سبيل الإسلام والعروبة، وقد عرض نفسه على الطبيب فأشار عليه بالذهاب إلى المستشفى، فامتثل.

نسأل الله أن يحفظ لنا حياته وأن يمنّ عليه بشفاء يستعيد معه خدمته لدينه وقوميته.

ومن أجل ما طرأ عليه يعتذر إلى القُراء عن عدم متابعته لحديثه عن القُرى والمدن التي زارها في جولته. كما أنه يشكر باسم الإدارة وباسمه الخاص جميع الذين أعانوه في جولته ويسّروا عليه أداء مهمّته.

والإدارة تُذكِّر السادة المشتركين الذين لم يصادفهم المتجوّل في محلاّتهم وبلدانهم التي مرّ بها والذين صادفهم ولكن وعدوا بالأداء.

تذكّر الإدارة هؤلاء السادة بما في ذمّتهم لصحيفتهم وترغب منهم الإسراع

بالأداء على طريق البريد، حفظًا لحياة الجريدة وانتظام سيرها.

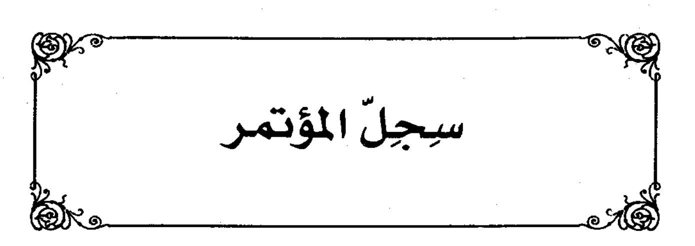
وتأخير الأداء مع القدرة عليه محظور لحديث «**مطل الغني ظلم**»[1].

واشتراك «البصائر» زهيد لا يعجز مَن اهتمّ به عن الوفاء به، والنهضات لا تقوم ولا تدوم إلاّ على قواعد الصدق والعزم والثبات والتضحية[2].

---

(١) أخرجه مالك (١٤١٦) ومن طريقه البخاري (٢٢٨٧) ومسلم (١٥٦٤) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) «البصائر»: العدد (١٠١)، بدون إمضاء.



سِجِلّ المؤتمر

سِفْرٌ قَيِّمٌ نشرته «جمعية العلماء» من مالها النزر وخلّدت به صورة رائعة من صور اجتماعاتها العامّة، ودوّنت به جملة طيبة من أفكار أعضائها الناضجة.

مُصَدَّرٌ بمقدّمة بقلم الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي، نائب الرئيس، استغرقت زهاء سبعين صفحة. صوّرت بصدق وحسن بيان ماضي المسلمين وحاضرهم وسبب ارتفاعهم وعلّة انحطاطهم، ولخّص تاريخ النهضة الجزائرية وعوامل تأسيس «جمعية العلماء» وأعمالها.

يلي ذلك تقارير عن حال الجمعية ماديًا وأدبيًا وعن الأمية والتعليم المسجدي والمكتبي والدعوة والإرشاد والسَّرف المالي ثم خطب وقصائد.

يتخلل ذلك ثلاثة وعشرين[1] رسمًا لبعض أصحاب المقالات والقصائد.

يقع في مائتين ونحو الأربعين صفحة، جيد الورق، نظيف الطبع، في قالب «الشهاب»، وثمنه خمسة عشر فرنكًا.

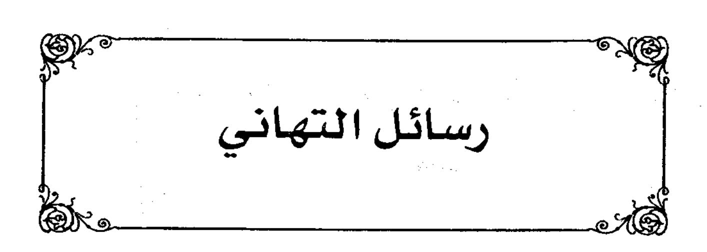
---

(١) كذا في الأصل.

وقد مضت على بروز هذا السِّجِلِّ النفيس شهورٌ لم يُبَعْ منه ما يفي بطبعه.

فندعو الأدباء والمفكّرين إلى اقتنائه، ونحثّ بصفة خاصّة رؤساء الشُّعب على الجلد في ترويجه ودعوة أنصار الجمعية إلى اقتنائه وإهدائه[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٠١)، بدون إمضاء.



رسائل التهاني

جاءتنا أيام العيد وبعده طائفة من رسائل التهاني من فُضلاء الجزائر وفُضلاء الأقطار العربية الشرقية، فكان لها أثرٌ في نفوسنا لا يُمحى ولا يُنسى.

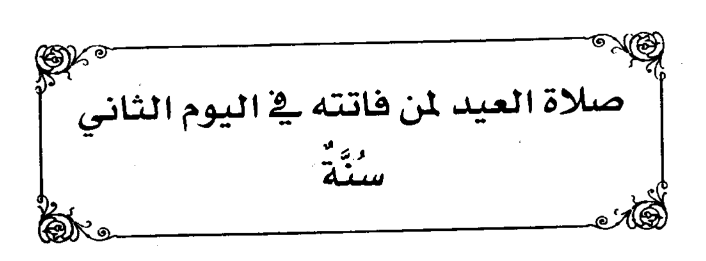
وقد يكون سرورنا بهذه الروابط الحسّية إلى جانب روابطنا المعنوية تامًّا لو أننا أجبنا كلّ فاضل فاضل.

ولكننا إلى ذلك السرور خجلون من الاعتذار عن عدم الإجابة اعتذارًا مجملاً لا يجمل تفصيله، فشكرًا وعذرًا[1].

المدير

---

(١) «البصائر»: العدد (١٠١).



صلاة العيد لمن فاتته في اليوم الثاني سُنَّةٌ

علمنا ما وقع من اضطراب في حكم صلاة عيد الفطر في هاته السنة، فذكرنا لهم حديث أبي عُمير في العدد التسعين؛ ولكن من الناس من يطمئن لقول مصنِّف فقيه ولا يطمئن ـ والعياذ بالله ـ لسماع الحديث الصحيح، فنشرنا تثبيتًا لهم ملخص مقالين أضاف كاتباهما إلى ذلك الحديث أقوال الأيمة من المالكية وغيرهم.

وبعد هذا كله طلعتْ علينا المجلّة «الزيتونية» بفتوى شيخ الإسلام المالكي[1] بتونس تحمل على ما نشرنا في الموضوع حملة سيئة القصد والأدب، مخطئة في العلم والنظر، حتى أنها خُتمت بضرب مثل يحقّر المتمسّكين بذلك الحديث، ويعلّق أصحاب المجلّة على ذلك المثل بالشرح إظهارًا لسرورهم بهذا الأدب وتعريضًا بأن المخاطَب به لا يفهمه.

وقد كتب الأستاذ الشيخ العربي التبسي مقالاً نقض به تلك الفتوى التي إن دلّت على شيء فهو أن شيخ الإسلام أصبح للعلماء الأحرار شيخ خصام، لا

(١) هو الشَّيخ الطَّاهر بن عاشور، كما تقدَّم التَّنبيه إليه مرارًا.

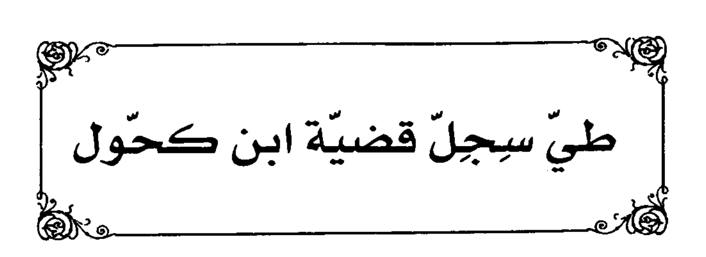
لإحقاق حقّ وإبطال باطل، ولكن لحاجة في نفس الشيخ يعلمها هو ومن عرف حرصه على مشيخة جامع الزيتونة وشدّة أسفه على تملّصها منه وسعيه بكلّ وجه لاستعادتها.

ولكثرة موادّ الجريدة تأخّر نشر هذا المقال القيّم إلى اليوم، ولكنه ليس من تأخير البيان عن وقت الحاجة[1].

قلم التحرير

---

(١) «البصائر»: العدد (١٠٢) الصادر يوم الجمعة ١ محرم ١٣٥٧هـ/ ٤/ ٣/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



طيّ سِجِلّ قضيّة ابن كحّول

قد برّأت العدالة الفرنسية ساحة الأستاذ الشيخ الطيّب العُقبي والمصلح المحسن السيّد عباس تركي من تهمة التآمر على قتل السيد دالي محمود بن الحاج كحّول مفتي الجزائر سابقًا.

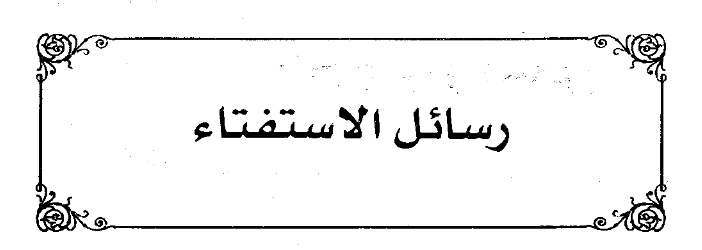
وأن الفكر العامّ قد تلقّى حكم البراءة[1] بمزيد السرور والابتهاج لموافقته للواقع الذي يعتقدونه من نزاهة أمثال الأستاذ العُقبي عن التلوّث بما يمتّ إلى الرذيلة والجريمة بأيّ سبب، ولدلالة ذلك الحكم عن استقلال القضاء الفرنسي عن الايعازات السياسية التي شعر بها في هاته القضية العامَّةُ والخاصَّةُ.

وإننا نجدّد تهانينا لذلك الأستاذ ولذلك المصلح بحفظ الله لهما من حبائل الدسّاسين وثبوت نزاهتهما رسميًا عند من لا يؤمنون بغير الرسميات[2].

---

(١) في الأصل: البراة.

(٢) «البصائر»: العدد (١٠٢)، بدون إمضاء.



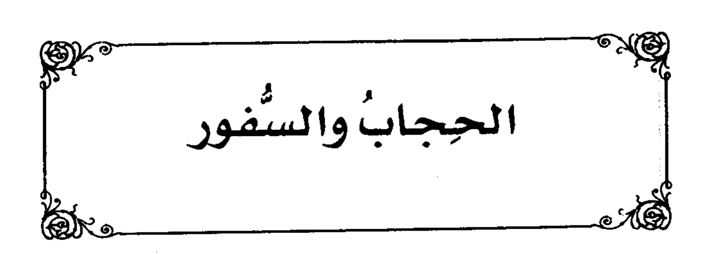
رسائل الاستفتاء

إنّ للاستفتاءِ لجنةً يرأسها الأستاذ الشيخ العربي بن بلقاسم التبسّي المقيم في تبسّة.

فرجاؤنا من السائلين أن يوجّهوا رسائلهم إليه مباشرةً، وما رآه رئيس اللّجنة يحسن نشره فهو الذي يرسل به للنشر.

وإرسال الاستفتاءات إلى الجريدة لما فيه زيادة نفقات لأنها بعد فتحها ترسلها إلى رئيس اللجنة[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٠٤) الصادر يوم الجمعة ١٦ محرم ١٣٥٧هـ ١٨/ ٣/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



الحِجابُ والسُّفور

جاءنا في الموضوع مقالٌ بقلم الأستاذ الفاضل الشيخ عيسى أبي خالد مصدّر برسالة موجّهة إلى الفاضل المحترم مدير «جريدة المدينة المنورة»، و مصحوبًا برسالة خاصّة يذكر فيها أنه وجّه هذا المقال إلى تلك الجريدة فأبت نشره ويؤكّد فيها رغبته في نشرنا لهذا المقال.

ونحن لا تصلنا جريدة المدينة ولا اطّلاع لنا على ما يجري هنالك حول هذا الموضوع، غير أنّ هذا المقال يدلّ على احتدام النزاع بين العلماء في موضوع الحِجاب والسُّفور.

فإذا نشرنا نحن هذا المقال فإنما ننشره خدمةً للعلم ونصرةً لحريّة الفِكر، لا مشايعةً لأحد الفريقين ولا تحكّمًا في موضوع النِّزاع.

ونلتزم بنشر ما يرسله الفريق الآخر إذا كان مثل هذا المقال علمًا وأدبًا وإن كانت في بعض الألفاظ غلظة فهي غير موجّهة لمعيّن.

ومما يجب التنبّه له والتنبيه عليه أنّ للحديث في الحِجاب والسُّفور وجهتين: وجهة شرقية إسلامية، وأخرى غربية إلحادية.

فالباحثون في الموضوع من الوجهة الإسلامية يحكّمون النصوص الدينية من

قرآن وحديث وآراء أئمة سبقونا بالعلم والإيمان.

والباحثون فيه من الوجهة الغربية يبنون أحكامهم على قواعد اجتماعية حديثة تتّهم الإسلام باحتقاره المرأة ووضعها دون مستواها الطبيعي. ولهذا تتعدّى مباحثهم إلى أحكام الطلاق والمواريث وتعدّد الزوجات.

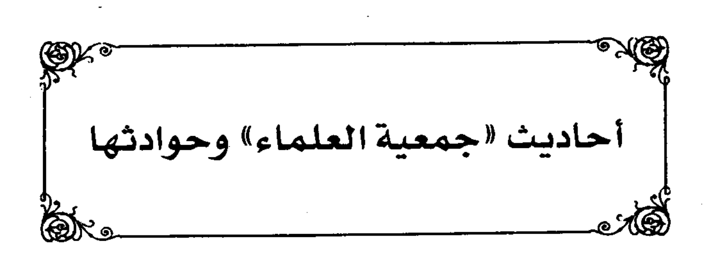
والنِّزاع القائم بالمدينة في الحِجاب والسُّفور ـ وإن لم نطّلع على تفاصيله ـ نعتقد أنه نزاع إسلامي مبني على الاختلاف في فهم وتطبيق النصوص الشرعية مع مراعاة طبيعة الغيرة وضعف سلطان الدِّين على مجتمعنا وغلبة الأخلاق الفاسدة.

وفيما يلي نص المقال برسالته[1].

قلم التحرير

---

(١) «البصائر»: العدد (١٠٤)، بدون إمضاء.



أحاديث «جمعية العلماء» وحوادثها

بلغنا أنَّ إدارات جادّة في محاربة التعليم الحرّ ومعاكسة كلّ من ينتمي إلى «جمعية العلماء» حتى إنّ من المتصرّفين من أعطى الأوامر إلى القوّاد بغلق الكتاتيب القرآنية وجبر المعلّمين على طلب الرخص وإعلامهم أنهم لا ينالون الرخصة إلّا بشرطين: هما الابتعاد عن «جمعية العلماء» وعدم المشاركة في حركة المطالبة بالحقوق، تلك الحركة التي يعبّر عنها في عرف الإدارات بالبوليتيك[1].

وقد نبّهنا في المقال الافتتاحي لأول عدد صدر بإدارتنا[2]، ونبّهنا بعده أيضا إلى لزوم المكاتبة في هذا الشأن وتسجيل هذه المظالم كوثائق في قضية النهضة الجزائرية.

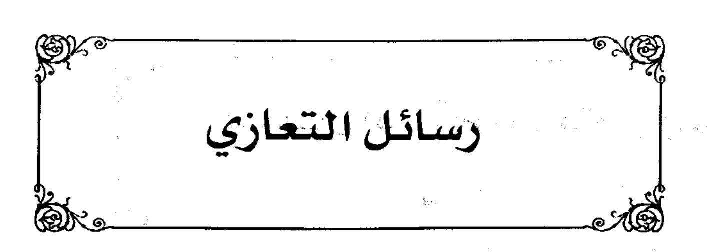
وفيما يلي ننشر مكاتبتين جاءتنا في هذا الموضوع آسفين على ما حال دون التعجيل بنشرهما، فإنّ مثل هذه الرسائل مما يجب التعجيل بنشره وإطلاع الفكر العامّ عليه[3].

---

(١) كلمة جارية على اللسان العامي الجزائري، وأصلها فرنسي: (Politique)، ومعناها: السياسة.

(٢) هو العدد (٨٤)، وقد تقدم قريبًا المقال المشار إليه.

(٣) «البصائر»: العدد (١٠٥) الصادر يوم الجمعة ٢٣ محرم ١٣٥٧هـ، ٢٥/ ٣/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



رسائل التعازي

«البصائر» صحيفة «جمعية العلماء». والجمعية جمعية الأمة. فهي تشارك الأمة في سرّائها وضرّائها، يسرّها ما يسرّ أمتها، ويسوءها ما يسوء شعبها.

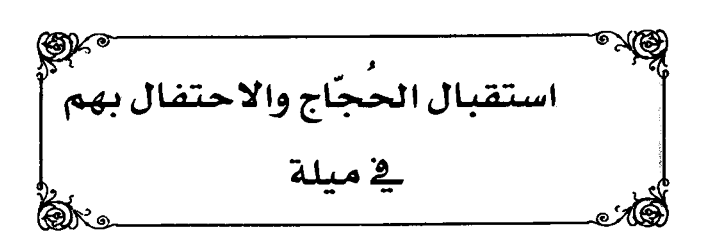
و«البصائر» ترى أكبر الشقاء وأعظم المصائب في الجهل والتفرّق، فهي تُعنى بحرب هاذين العدوّين.

أما نشر التعازي فإنها غير مستعدّة له الآن، وفتح هذا الباب يضايقها فيما ترى نشره أفيد.

نكتب هذا لأن تحت أيدينا عدة رسائل في الموضوع، فنعتذر لأهلها عن إهمال نشرها. وإذا نشرنا بعض الوفيات فلكلّ عموم خصوص[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٠٥)، بدون إمضاء.



استقبال الحُجّاج والاحتفال بهم في ميلة

مِن السُّنَن الحسنة التي سنّها رئيس «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» الأستاذ عبد الحميد بن باديس العناية بالحجّاج، فيودّعهم مزوّدين بما هم في حاجة إليه من تعاليم وآداب نحو البقاع المقدّسة وسكّانها، ويستقبلهم للتهنئة والإرشاد إلى ما هم في حاجة إليه من تعاليم وآداب مشروعة قد قبرتها عوائد مبتدعة.

وقد كان الاحتفال بعد الاستقبال هو موعد إبداء ذلك الأستاذ لنصائحه الخاصّة بالحجّاج والعامّة لهم ولغيرهم. وكان هذا الضرب من الاحتفال خاصة بقسنطينة، ثم أخذ يتفرّع ويظهر في مدن أخرى قد جعلنا هذا العدد من «البصائر» جامعًا لما وصلنا من أخبار الاحتفال بغير قسنطينة.

وبناء على هاته السُّنَّة الحسنة ذهب مدير هذه الجريدة في هاته السنة إلى عنابة لاستقبال حُجّاج عمالة قسنطينة الذين ينزلون هنالك، فاجتمعنا بمن أمكننا الاجتماع به منهم. ورأينا منظرًا مشوّقًا ومظهرًا من مظاهر الشعائر الإسلامية الحيّة المحيية.

وقد ذهب من ميلة لاستقبال الأخ الحسين الهشيلي الحاجّ الواحد منها وفدٌ في

أربع سيارات.

ولما كنا في طريق الذهاب نزلنا في بيزو وفي السمندو واجتمعنا برجال من المصلحين هنالكم على غير ميعاد فرأينا ما يبشّر بعد أن كنا لا نرى بتلك الجهات إلاّ ما يؤلم المسلم.

وفي الإياب نزلنا للاستراحة بعزابة، فأسرع إلينا أخيارها وفي مقدّمتهم إمامها ومدرّسها الشيخ عيسى السطيفي، فتبادلنا النصح ساعة من زمان. ثم أخذنا طريقنا إلى ميلة.

ولما كُنا من ميلة على أربعة عشر ميلاً بعين التبن لقينا أربع سيارات أُخَر، وقبل الدخول إلى ميلة ألفينا جموعًا كثيرةً وصبيةً من بينهم أبناء وبنات مدرسة «حياة الشباب».

لم ينزل الأخ الحسين من سيارته إلاّ أمام المسجد الجامع، فدخله وأدى تحية المسجد واجتمع الناس والتلاميذ بالنادي ـ وهو ملاصق للمسجد ـ ينتظرون حاجّهم. فلما دخل عليهم تهلّلت الوجوه، وأنشد التلاميذ أناشيدهم المؤثّرة، وألقينا عليهم كلمة وجيزة كان منها تذكيرهم بحفلاتهم الماضية وتنبيههم للفرق بين حفلات تقام على أصوات الطرقيين وحفلات تقام على نغمات أبناء المدارس، وأعلمناهم أن هذا استقبال، أما الاحتفال فإلى يوم الثلاثاء ثالث عشر محرم.

وبعد ذلك وجّهت الدعوة إلى أحد حجاج ميلة يقيم بقسنطينة هو الحاج محمد بن العمري الجزار وإلى حجاج القرارم ومدرّسها الشيخ عبد اللطيف القنطري[1]،

---

(١) توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٩٨٤م). انظر لترجمته «من أعلام الإصلاح» (١/ ٢٥١ ـ ٢٥٦) لفضلاء.

فحضر المدعوون في الميعاد.

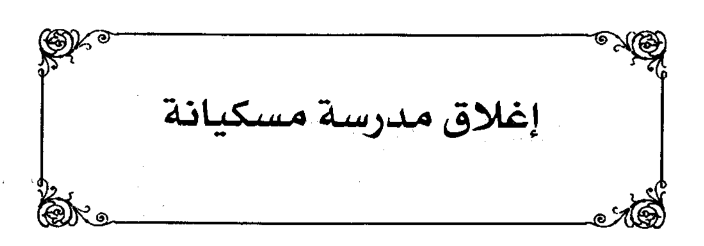
وكان الاحتفال بالنادي بالغًا منتهى الأُبّهة والجلال، افتتحناه بالترحيب بالحجاج وتهنئتهم وشكر الحاضرين. ثم عرجنا على الأمكنة المقدّسة وما تحمله من معان وأسرار وذكريات تزيد الإيمان صفاء وقوة، وكانت نصائح وعظات.

وقام الشيخ عبد اللطيف بالكلام على حديث خُطبة الوداع. فكان يوضّح اللفظ ويطبق المعنى.

وخطب أحد شيوخ مدرسة «حياة الشباب» وتلميذ وتلميذة وبين ذلك أناشيد.

وانفض الاجتماع والقلوب تسبح في شعور بالأخوة الإسلامية، وفي تأثّر بحياة الأبناء والبنات، وفي سرور بهذا المظهر الجليل لا يشوبه إلاّ ألم الأسف على التفريط في الماضي، وإنه لألم يبعث على قوّة الأمل وحسن الظنّ بالمستقبل[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٠٦) الصادر يوم الجمعة ٣٠ محرم ١٣٥٧هـ، ٢/ ٤/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



إغلاق مدرسة مسكيانة

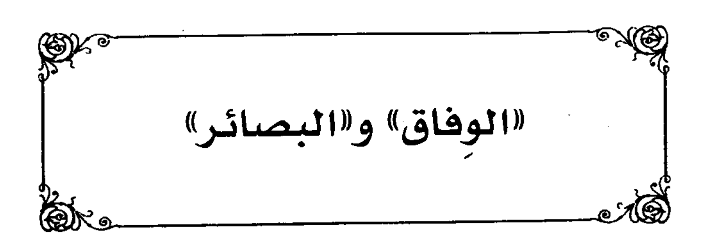
تقوم اليوم إدارات المتصرفيات وغيرها بحركة ناشطة ضدّ الكتاتيب القرآنية والمدارس الابتدائية العربية. وليس هنالك من أماكن منظمة لتعليم العربية والمبادئ الإسلامية غير الكتاتيب وتلك المدارس، فمحاربتها محاربة للتعليم الابتدائي العربي والديني الإسلامي.

وقد علم القُرّاء بعض ما أُغلق من تلك المحالّ.

واليوم نذكر لهم محلاًّ آخر هو مدرسة مسكيانة في هذا الأسبوع.

وقد أرسل الأستاذ الرئيس برقيتين إلى كلٍّ من السيد سارو، والسيد الوالي العامّ إعلامًا بما وقع واحتجاجًا عليه[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٠٦)، بدون إمضاء.



«الوِفاق» و«البصائر»

استهلّت صحيفة «الوفاق» صارخةً باللّوم والعتاب. ففي أول عدد منها تذكر أنها أرسلت إلى صحف منها «البصائر» بكلمة عن صحة العزم بصدورها، فلم تنشر «البصائر» وحدها تلك الكلمة.

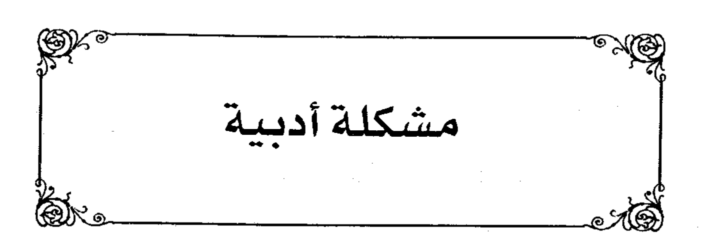
والواقع أنه لم يصلنا من حضرة الشيخ السعيد الزاهري[1] صاحب «الوفاق» شيءٌ وكان من حقه أن يقول: أرسلتُ إلى الصّحف بكلمة عن قرب إصداري للوفاق إلاّ لصحيفة «البصائر».

ونحن نتمنّى لقلم التحرير أن يسلك بهذه الصحيفة الناشئة سبيلاً يعزّز وحدة الأمة ويتفق مع اسم «الوفاق»[2].

---

(١) توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ مقتولاً سنة (١٩٥٦م). انظر «من أعلام الإصلاح» (١/ ١١٥ ـ ١١٩).

(٢) «البصائر»: العدد (١٠٦)، بدون إمضاء.



مشكلة أدبية

نشرنا قبل إلى الكُتاب حديث المقالات وكثرتها وضيق نطاق الجريدة عنها. وغرضنا من ذلك النشر أن يقصدوا في الكتابة فإنّ بعض المواضيع لا يلزم أن يكتب فيها إلاّ أسطر فيكتبون عنها الصحائف. فإن لم يقتصدوا فعلى الأقل يعذروننا في التأخير أو التلخيص. ولكن لم يحصل الغرض المقصود من ذلك النشر.

والآن نعلن نظامنا في تقديم المقالات. وهو أن نجمع بريد كلّ أسبوع. فنقدّم منه كفاية العدد للنشر، وننتقي من الزائد بعض مقالات نحتفظ بها عسى أن تأتي فرصة لنشرها.

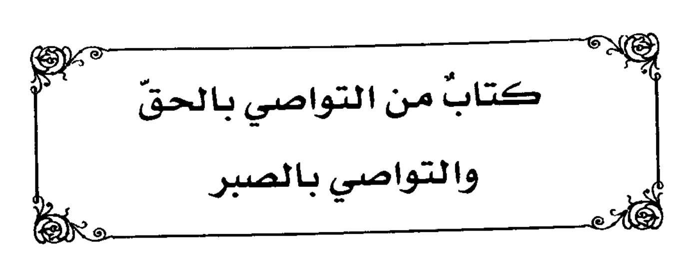
تلك مشكلتنا الأدبية، وهذا النظام هو ما أمكننا استعماله لحلّها.

أما الحلّ الذي يرضينا أو يرضي نهمنا في خدمة نهضتنا وتهيئة الأفكار والأقلام لترقيتها فهو توسيع نطاق الجريدة. وهذا أمر يتوقّف على المادّة فلعلّ الشعب يؤدّي واجبه نحو صحيفته فيحصل الحلّ المرضي.

ولا يفوتنا أن ننبّه شعراءنا الأفاضل إلى تنكّب الإطالة فإنها تفتر القُراء وتنقص من قيمة القصيد[1].

---

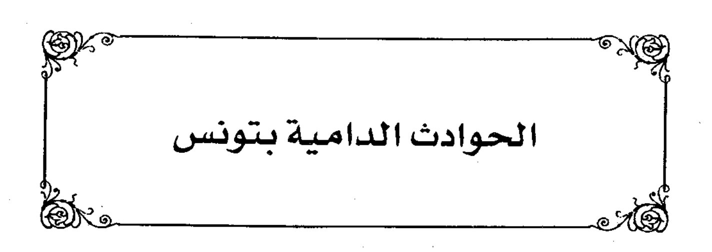
(١) «البصائر»: العدد (١٠٨)، بدون إمضاء.



كتابٌ من التواصي بالحقّ والتواصي بالصبر

أخونا في الله الشيخ عمر بهاء الأميري، أديب فاضل، ومسلم عامل، تعرّف بحركة «جمعية العلماء» في فرنسا. وأيّدها أيام كان هنالك، فلما عاد إلى الشام لم ينس إخوانه أعضاء نوادي التهذيب بفرنسا، ومثله من يحفظ الولاء ويحافظ على الإخاء فكتب إليهم كتابًا، وجّه إلينا نصّه الشيخ سعيد البيباني، فقدمناه للقراء تعميمًا لفائدته[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٠٨)، بدون إمضاء.



الحوادث الدامية بتونس

قامت في المدة الأخيرة مظاهرات عامة في تونس وعمالاتها تطالب بإطلاق المساجين وتعرب عن استيائها الشديد في اعتقال الزعماء الأحرار.

وفي يوم السبت نادت الحكومة الأستاذ علي البلهوان[1] للاستنطاق فاكتظت دار «التيربونال»[2] بالأمة التونسية وتجمهر الشبان على اختلاف منازعهم رافعين الراية التونسية والنساء من ورائهم يزغردن.

غير أن السلطة منعت المتظاهرين فاصطدمت تلك الجموع بالجند فأسفرت النتيجة عن موت ٨ قتلى بالرصاص و٤٠ جرحى، وجرح من بينهم بعض جنود الدرك كما بلغنا بواسطة صحيفتي «الزهرة» و«النهضة».

وأقيمت وقت الاصطدام الأسلاك الشائكة، ونصبت المحاكم العرفية في كلّ مكان، وقبض على بعض الزعماء في الحين، فارتاعت الأمة من هذه النكبة، وروّعت الأطفال والنساء، وأصبحت «تونس» كلّها في اضطراب لم تشهد مثله في تاريخ

(١) توفي سنة (١٩٥٨م). انظر «مشاهير التونسيين» (ص ٣٧٢).

(٢) كلمة جارية على ألسنة العامة، وأصلها فرنسي (Tribunal)، وهي المحكمة.

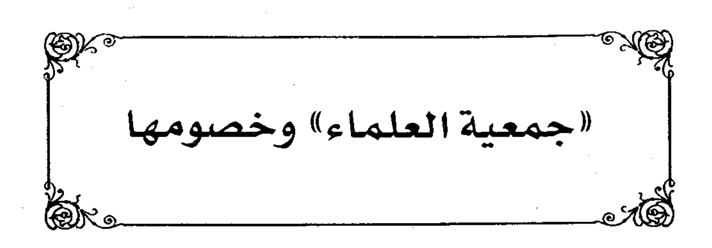
حركاتها القومية.

نأسف لوقوع هذه الفظائع والحوادث المؤلمة، ونحتجّ بكلّ قوانا على إزهاق الأرواح الطاهرة التي خلّدت ـ بموتها في ساحة الدفاع ـ العزّ والفخار، ونقدّم تعازينا الحارة لإخواننا التونسيين عامة ولرجال الديوان السياسي خاصة.

وفي العدد المقبل ـ إذا شاء الله ـ نوافي القراء بتفاصيل وافية عن سير الحوادث الماضية والمتجددة التي دميت لها قلوبنا وقلوب المؤمنين المصلحين[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٠٨)، بدون إمضاء.



«جمعية العلماء» وخصومها

«جمعية العلماء» تعمل لغاية واضحة هي إعادة جِدّة الإسلام كما جاء به عليه الصلاة والسلام، ونشر العربية الفصحى التي هي لسان الإسلام ولغة القرآن، وترى لزوم العمل للأمرين معًا.

وقد اختطّت لتحقيق غايتها خطّة معقول ارتباطها بتلك الغاية، تلك الخطة هي إيقاظ الشعب من غفلته وغسل ران الخرافات عن قلبه ودفع داء الأوهام عن عقله، حتى إذا استيقظ الشعب من نفسه، وطهُر في قلبه، وصقل في عقله، أدرك شرف تلك الغاية فأقبل عليها إقبال التائب من ماضيه، المتفائل بمستقبله، الجادّ في حاضره.

ولولا أن لتكرار المعاني وتقليبها في قوالب الألفاظ حكمة بالغة في تقرير الحق، يعرفها من وقف على أسرار التكرار في الكتاب العزيز، لولا ذلك ما استسغنا لأنفسنا الحديث عن غاية الجمعية وخطتها، فإنهما قد اتضحتا لكلّ مهتمّ بأقوال رجال الجمعية وأعمالهم.

وإذا كانت الجمعية تعمل للإسلام ولغته بين من يدينون بالإسلام وشرف لغته، فمن يكون خصومها؟ أيكونون من غير المسلمين؟ أم ممن يتسمّون مسلمين؟

أيكونون أجانب عن الشعب الجزائري؟ أم من ذات الشعب الجزائري؟ أتكون هذه الخصومة خارجية أم داخلية؟

الواقع أن الخصومة كانت داخلية من ذات شعبنا، ومن أهل ديننا المسلمين، وخارجية من غير شعبنا ومن ليسوا على ديننا، والواقع الذي يجب أن يكتشف ولا يكتم أن خصومنا من أهل ديننا يمدّون أيديهم ويفتحون قلوبهم لخصوم ديننا، ويكفّون أيديهم ويغلقون قلوبهم عنّا.

وإذا كانت خطة الجمعية هي تهيئة الشعب لغايتها التي هي غاية الشعب أجمع في الواقع، فمن الضروري أن يُعنى رجال الجمعية بالخصومة الداخلية أشدّ مما يُعنون بالخصومة الخارجية، وأيّ قائد بصير يقدم على حرب خارجية هجومًا أو دفاعًا وفي الأمة التي يدافع عنها خصوم يمدّون أيديهم لذلك العدوّ الخارجي؟

نكتب هذا وبين أيدينا العدد الثالث من صحيفة «الوفاق» التي جعلت التنديد بسلوك «جمعية العلماء» «بيت القصيد»، وشنّت عليها غارة شعواء من أجل أنها وقفت موقف جدّ في التصريح المنشور في صحيفة «مرساي متان» ومن أجل أنها تجاهلت وجود صحيفة استعمارية لا منزلة لها في شعبها الفرنسي فضلاً عن أن يكون لها تأثير في الشعب الجزائري.

وقد أبعد الزاهري في وفاقه، وأمعن في حربه فأخذ يحيى ضغائن قد قبرت، ويقابل ويوازن ويحكم ويتحكّم ويذكر ما تناسيناه.

في العدد الأول مددتَ يدك للطرقيين الذين كنتَ ـ وأنتَ بيننا ـ تحاربهم بسلاح لم نحاربهم به نحن ولم نرضه منك حتى كان الطرقيون يقدحون في الجمعية

بوجودك ضمنها، ووجود قلمك في صحفها.

وفي هذا العدد تمدّ يدك لابن جلول، وليس هذا بمنكر في نفسه، ولكن ألم تجد ما تتقدّم به لابن جلّول إلاّ بعث ضغائن ونبش دفائن وثلب الجمعية؟

وهل ـ وأنتَ صاحب «الوفاق» ـ تمدّ يدك غدًا لمصالي؟ أم تخشى غضب مسيّريك؟

وهل أنشأتَ «الوفاق» للوفاق مع جميع عناصر الشعب الجزائري إلاّ جمعية العلماء؟ أم سميت صحيفتك هذا الاسم تحسينًا للفظ لا تحقيقًا للمعنى؟

وبعد أن جعل طعنه في الجمعية «بيت القصيد»، وبعد أن آذى «البصائر» في أوّل عدد له، وبعد أن بادل الصحف كلّها إلاّ صحيفة «البصائر» فهو لم يبعث لها بمبادلة كما لم يرسل لها بإعلان عزمه عن إصدار جريدته .

بعد هذا كله يعتب على صحيفة «البصائر» لسان حال تلك الجمعية أن لم تستقبل صحيفته «بحفاوة بالغة وإقبال منقطع النظير».

ثم يبالغ في الأذى ولا يستحي فيزعم أن مدير «البصائر» مسيّر لا مخيّر، وأن هنالك مديراً أعلى يسيّره، وهو الذي يعلم علمًا ليس بالظنّ استقلال الميلي في إرادته وإدارته، وأنه لا يستمدّ الوحي من قويّ أو ضعيف إلاّ من ضميره، ولعلّه خشي أن أقول له هذا القول فسبق إليه ليحتلّه باطلاً، ولو قلتُ أنا مثل هذا القول في الزاهري لكنتُ صادقاً محقاً، ولكنه طبق على نفسه المثل: «رمتني بدائها وانسلّت»، أما أنا فلم أكن لأجاريه في هذا المضمار.

وبعد، فلا غرض لنا في خصومة الزاهري، ولا في حربه ولا في دفاعه، وإنما

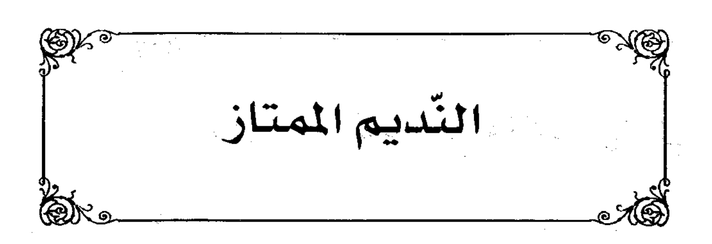
نبهنا هذا التنبيه، ثم لا نشغل القارئ بردّ أراجيفه إلاً أن نرى ما يهمّهم[1] التنبيه عليه، فإن من الحكمة السكوت حيث ينبغي السكوت، والكلام حيث يحسن الكلام[2].

مبارك الميلي

---

(١) كذا بالأصل، ولعله: يهمّه.

(٢) «البصائر»: العدد (١٠٩) الصادر يوم الجمعة ٢١ صفر ١٣٥٧هـ ٢٢/ ٤/ ١٩٣٨م.



النّديم الممتاز

السيد حسين الجزيري أديب خفيف الروح، يهزل لغاية جدّية، ويجدّ في قالب هزلي، يعرف ذلك عنه من قرأ صحيفته «النديم» التي بلغت السنة الثامنة عشرة.

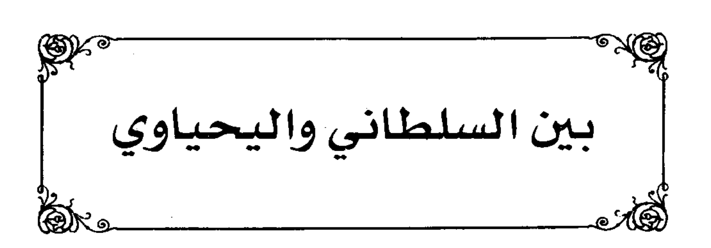
ونرجو لها ولمديرها العمر الطويل في خدمة المجتمع الذي هو في حاجة أكيدة إلى مثل قلمه المخضرم بين الفصحى والعامية، وإلى مثل فكره المخضرم بين الجدّ والهزل.

وقد اعتاد ـ ونِعْمَتِ العادة ـ أن يفتتح سنته بعدد ممتاز ينشر به آراء ناضجة ومقالات ممتازة.

وسار على سُنَّة النشوء والارتقاء، فكان النديم الممتاز هذا العام ممتازًا عنه في الأعوام الماضية فنرجو له اطّراد التقدّم والرقي[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٠٩)، بدون إمضاء.



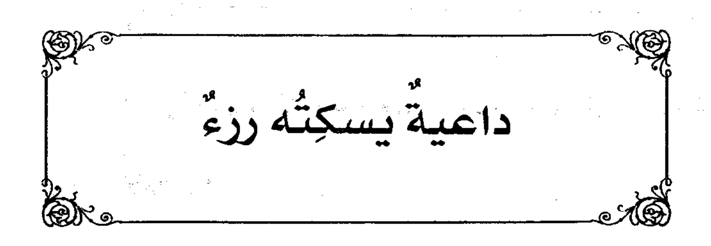
بين السلطاني واليحياوي

نشرنا سابقًا للسيّد أبو الأخراص السلطاني قصيدة، انتقدها السيد اليحياوي، فكتب السيّد السلطاني جوابًا بقي تمامه لديه فانتظرنا إرسال البقية، فلم تأت، وظنناه أعرض عن الإجابة.

ولكن بعد أمد جاءنا من بعض التلامذة بالجامع الأعظم ما يذكّر بهذا الجواب والرغبة في نشره فقدّمناه للنشر وقبل تصفيفه رأيناه مع بعض زيادة منشوراً بالنهضة فاستغنينا لضيق الجريدة بذلك النشر.

كتبنا هذا ليعلم أن لا غرض لنا في ترجيح كِفّة أحد المتباحثين، وبهذا النشر انتقلت المجادلة حول تلك القصيدة من ميدان «البصائر»[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٠٩)، بدون إمضاء.



داعيةٌ يسكِتُه رزءٌ

الشيخ فرحات بن الدراجي هو ذلك العالِمُ الأديب والكاتب البحّاثة، شابّ وُهب من الخلال ما جعل عارفيه يعلّقون عليه كبير الآمال.

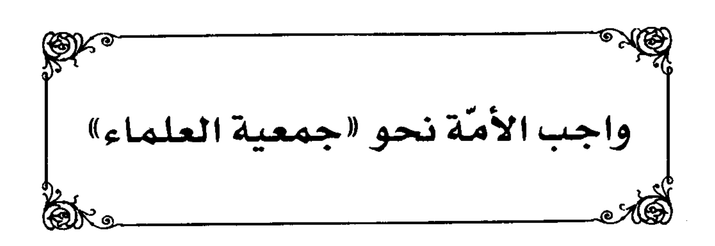
ذهب قبل عيد النحر إلى مرسيليا داعيةً للإصلاح، مرشدًا للدِّين الخالص، ثم أعادته العوادي إلى الجزائر.

ذلك أنه أصيب بفقد زوجه وابنته عائشة.

نسأل الله لزوجته المغفرة والرضوان، وأن تكون تلك البنية فرطًا وذخرًا، وأن يحفظ الله عليه نشاطه في خدمة العلم والدِّين، وييسّر له زوجة صالحة تعطف على ذريته، وتكون في بيته راعية موفّقة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٠٩)، بدون إمضاء.



واجب الأمّة نحو «جمعية العلماء»

«البصائر»:

نرحّب بهذا الصوت الموقظ ـ إن شاء الله ـ ونشكر لحضرة الكاتب[1] الفاضل انتصاره للحقّ وتأييده، ولكنا لا نطلب من الحكومة ـ وهي لا دينية ـ تربية أبنائنا كلّهم والقيام بالإنفاق عليهم، إنما نطلب ذلك من الأمة.

وطلبنا من الحكومة أن لا تمانع في فتح المكاتب، وأن لا تماطل في إعطاء الرخص لطالبيها، وأن تحترم حرّيتنا في الدِّين وتعليم مبادئه وقواعد لغته[2].

(١) هو أحمد المدني محمَّد، أحد الطُّلَّاب الجزائريِّين بالأزهر يومئذ.

(٢) «البصائر»: العدد (١٠٩)، بدون إمضاء.

الشيخ عبد العزيز بن الهاشمي ورفيقان له في السجن

الشيخ عبد العزيز هو ذلك الرجل الشريف في نفسه، الكريم في أصله، العظيم في قومه. وهو شيخ الزوايا القادرية بالوطن الجزائري، ولكنه ليس كشيوخ الزوايا لكونه مثقفًا ثقافةً دينيةً، متخرّجًا من جامع الزيتونة.

باشر مشيخة الزوايا بعد وفاة والده الشيخ الهاشمي في سنة ١٩٢٣ فلم يكن في سلوكه ما يحيّر الحكومة المحلية.

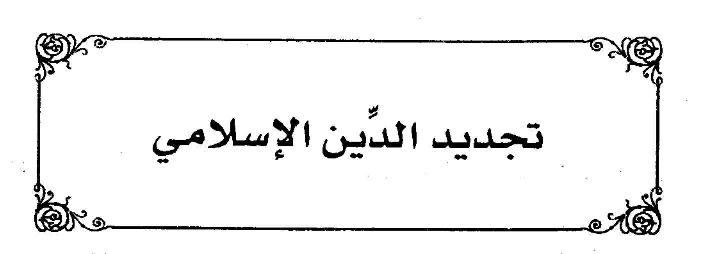
وفي السنة الماضية دخل عضوًا في «جمعية العلماء» وانتخب عضوًا إداريًا بها فكان ذلك مبدأ انحراف خاطر الحكومة عليه. ثم زار وفد الجمعية الوادي وقُرى سوف في شوال الماضي، وأخذ الشيخ عبد العزيز بعد ذلك ينشر دعوة الجمعية بِجِدٍّ ونشاطٍ، فلم يَرُق ذلك للإدارة وأخذ غضبها يشتدّ عليه وظهرت مضايقات خُتمت بإلقاء القبض عليه هو والشيخ علي بن سعد[1] والسيد عبد الكامل يوم الاثنين ١٨ صفر ١٧ أبريل، ونُقل إلى سجن قسنطينة.

---

(١) توفي سنة (١٩٧٤م) رحمه الله. انظر: «من أعلام الإصلاح» (٢/ ١٨ ـ ٢١).

وضُرب على «سوف» نطاق الحصار رغم هدوء الحالة حسب توصيات «جمعية العلماء» ولكن هنالك إيعازات إدارية مغرضة. ولم تزل العاقبة مجهولة، لكن الأعمال جارية بنشاط لتفريج هذه الأزمة المصطنعة. وسنعود لإخبار القراء بما يجدّ[1].

(١) «البصائر»: العدد (١١٠)، بدون إمضاء.



تجديد الدِّين الإسلامي

اقتضت حكمة أحكم الحاكمين أن يكون محمد بن عبد الله ﷺ خاتمًا للنبيين والمرسلين، ولكن لم يغلق باب النبوة تمامًا كما لم تنقطع دعوة الرسالة انقطاعًا، بل بقي من النبوة شُعاع ومن الرسالة معنى.

أخرج البخاري في «صحيحه»[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع رسول ﷺ يقول: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا الْمُبَشِّرَات» قالوا: وما المبشِّرات؟ قال: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ».

وقد بيّنت الأحاديث هذا الشُّعاع الباقي من النبوة وأن نسبته منها نسبة الواحد من الستة والأربعين[2].

وغرضنا من هذا المقال أن نعرض لبيان المعنى الباقي من الرسالة، وذلك بمناسبة إقبال شهر ربيع الأول، شهر ميلاد خاتم النبيين وإمام المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

أخرج أبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه ﷺ قال:

---

(١) برقم (٦٩٩٠).

(٢) أخرج البخاري في «كتاب التعبير» من «صحيحه» جملة طيبة منها بالأرقام (٦٩٨٧ـ٦٩٨٩).

«إِنَّ اللهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»[1].

قال العجلوني في «كشف الخفاء»[2]:

«وأخرجه الطبراني في «الأوسط» عنه أيضا بسند رجاله ثقات، وأخرجه الحاكم من حديث ابن وهب وصححه. وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث».

وقد أورد الحافظ ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري» هذا الحديث من طريق أبي داود ، ثم أخذ يذكر المجدِّدين على رأس كل [مائة] سنة، مبتدئاً بعمر بن عبد العزيز، منتهيًا إلى أبي حامد الغزّالي.

واقتضى كلامه بناء المائة سنة على الهجرة، وأنّ المجدّد واحد، وأن رأس مائته هي سنة وفاته، وأن ما قارب المائة يعطى حكمها.

وأورد هذا الحديث أيضا التاج السبكي في «طبقاته»[3]، وانتهى في تعيين المجدّدين إلى ابن دقيق العيد، وسلك مسلك الحافظ ابن عساكر من غير أن ينسب إليه ، مع أنه مطّلع على «تبيينه» معجب به.

ونقل العجلوني[4] عن السيوطي نظمه للمجدّدين، فاقتفى أثر الأولين وانتهى إلى المائة التاسعة، فرجا أن يكون هو مجدّدها، ولكنه سدّ باب التجديد بعده إلاّ على عيسى عليه السلام.

وقال ابن كثير في نقله عن العجلوني[5]:

---

(١) «الصحيحة» (٥٩٩).

(٢) في (١/ ٢٨٢).

(٣) «طبقات الشّافعيّة الكبرى» (١/ ١٤٦ ـ ١٤٩).

(٤) (٥) في «كشف الخفاء» (١/ ٢٨٣).

«والظاهر ـ والله أعلم ـ أنه يعمّ حملة العلم من كلّ طائفة ومن كلّ صنف من أصناف العلماء من مفسّرين ومحدّثين وفقهاء ونُحاة ولغويين، إلى غير ذلك من الأصناف».

والمستخلص من هذا تسليم ما أرشد إليه الحديث من بقاء معنًى من الرسالة هو الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الخير، والصبر على الأذى في سبيل الله، وبذلك يكون تجديد الدين الإسلامي.

ووراء ذلك أربع مسائل:

إحداها: تعيين مبتدأ المائة.

ثانيها: تحديد المجدّدين.

ثالثها: تبيين المعنى الذي من أجله عدّ المجدّد من أهل المائة.

رابعتها: ختم التجديد.

ورأيُنا في **المسألة الأولى** أن ابتداء المائة بعد عصري النبوة والخلافة، وهي سنة إحدى وأربعين من الهجرة.

فقد روى الترمذي والنسائي وأبو داود عن سفينة رضي الله عنه أنه ﷺ قال:

«الخِلَافَةُ فِي أُمَّتِي ثَلَاثُونَ سَنَةً»[1].

وهي مدّة الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم كما بيّنها سفينة نفسه، وهو ﷺ توفي أول سنة إحدى عشرة من الهجرة، فإذا ضممت الثلاثين إلى العشر كانت أربعين، وإنما جعلنا بداية المائة بعد عصري النبوة والخلافة لأن التجديد إنما يكون عن رثاثة، ولا ريب أنّ الدِّين لم يزل على جدّته في عصري النبوة والخلافة وإنما أخذ الفساد يغلب من بعد.

---

(١) «الصحيحة» (٤٥٩).

أما المسألة الثانية: فلا نرى بها تحديد المجدّدين بواحد أو اثنين لحديث: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ»[1]. وهذا قريب من رأي الحافظ ابن كثير.

وأما المسألة الثالثة: فرأينا فيها أنّ المعنى الذي من أجله يعدّ العالِم مجدّدًا في الدِّين، هو قيامه بالدعوة والإرشاد فتنسب المائة إليه بذلك الاعتبار لا باعتبار وفاته.

وأما المسألة الرابعة: فرأينا فيها أنّ باب التجديد غير مسند[2] لحديث: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ...» ولخبر: «الخيرُ بي[3] وفي أمتي إلى يوم القيامة»، قال السخاوي[4]: «لا أعرفه ولكن معناه صحيح».

هذا نظرنا في تلك المسائل الأربع ، وهو خلاف نظر من تقدّمنا غير الحافظ ابن كثير في إحدى المسائل، وقد أجملنا نظرنا هذا في خطبة رسالتنا «الشرك ومظاهره»، ونشرت تلك الخطبة بمجلة «الشهاب» الغراء في جزء ذي القعدة من سنة خمس وخمسين، ثم برزت الرسالة في شعبان من السنة التالية لها.

ونورد الآن كلمتنا الإجمالية بالنصّ المنشور في الرسالة[5]، فقد قلنا بعد إيراد حديث بقاء طائفة ظاهرة وحديث التجديد وذكر صفات المجدّدين ما يلي:

«تلك صفات رجال الإصلاح الديني بوطن الجزائر التي ظهروا بها في ميدان

---

(١) حديث صحيح متواتر: «الصحيحة» (٢٧٠).

(٢) كذا، ولعله: مسدّ.

(٣) كذا في الأصل! وفي «المقاصد الحسنة»: «فِيَّ».

(٤) في «المقاصد الحسنة» (ص٣٣٧)، لكن فيه: «قال شيخُنا ـ يعني الحافظ ابن حجر ـ: لا أعرفه...».

(٥) «رسالة الشِّرك ومظاهره» (ص٣٦) للمصنِّف، بتحقيقي، والزِّيادة بين المعقوفتين منها استُدْرِكَتْ.

الدعوة بالكتاب والسُّنَّة [إلى الكتاب والسُّنَّة] منذ سنة ١٣٤٣، وهي من أوائل المائة الرابعة عشرة بعد عصري النبوة والخلافة».

وبعد ذيوع الرسالة وقفنا في جزء المحرم سنة ٥٧ من مجلة «الهداية الإسلامية» بمصر على مقال بعنوان: «من يجدّد لهذه الأمة أمر دينها» دبجته يراعة شيخ الإسلام المالكي بتونس الطاهر بن عاشور، فألفيناه مقالاً سديد النظر، محكم الأسلوب، جمّ الفوائد، لا يخالفنا في شيء مما أجملناه في الرسالة وفصّلناه هنا إلاَّ في المسألة الأولى، فالشيخ يرى ابتداء حساب المائة يحتمل أن يكون من وفاته ﷺ، وأن يكون من يوم تحديثه بذلك الحديث، ثم هو يجمع بين الاحتمالين باحتمال أن يكون ذلك القول صدر منه ﷺ آخر حياته.

وسواء اطلع على رسالتنا وقصد إلى معارضتنا في تلك المسألة أم لم يطّلع ولم يقصد، فإنّا لم نَرَ ما يرجعنا عن رأينا.

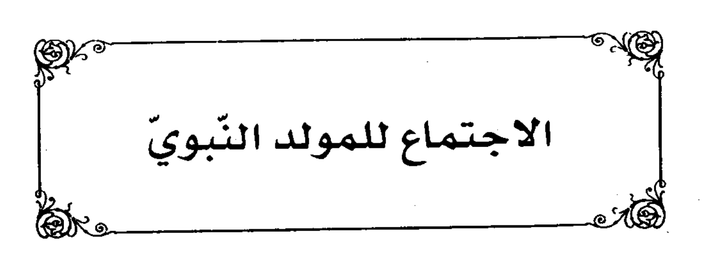
ومع تمسّكنا بنظرنا نعترف بجودة المقال ونسرّ بذيوع أمثاله في الصحف المصرية لاعتقادنا أن مثل ذلك التحرير مما يرفع من قيمة تونس العلمية، ويزيد في شرف جامع الزيتونة الذي نرجو له رقيًا مطّردًا وسمعةً واسعةً.

ولعلّ القُرّاء يرون في ثنائنا على هذا المقال وإنكارنا سابقًا على الشيخ بعض مواقفه تناقضًا أو تراجعًا، وكلّ ذلك لم يكن، وإنما التناقض في قلم الشيخ وبين علمه وسلوكه، ونحن لا ننكر الحسن يخالطه قبيح، ولا نغطّي القبيح الضّار لوجود الحسن النّافع، والله الموفق[1].

مبارك الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (١١١) الصادر يوم الجمعة ٢٨ صفر ١٣٥٧هـ ٢٩/ ٤/ ١٩٣٨م.



الاجتماع للمولد النّبويّ

ترى الاحتفالات أو تسمع خبر الاجتماعات تعقد تذكيرًا بولادة مَلِك أو مسرّةً بمضيّ مدّة محدودة على ولاية عرش مملكته أو إظهارًا لقوة شعب مستعمرٍ لآخر، فإذا رأيتها أو بلغك خبرها لم تشعر لها بمعنى ديني، وإنما هي عادة كسائر العادات حسنها لا ينكره الدين وقبيحها لا يقرّه الشرع ولا العقل السليم.

وقد تكون تلك الاحتفالات والاجتماعات غير مجمعة على إتيان المنكر شرعاً ولكنها في مجموعها ذات مناكر وجنايات إذ تشتمل غالبًا في صورتها على تبذير أموال الشعب وتعمير المراقص ومحلات المسكرات وتشجيع الإباحية البهيمية ونشرها، ثم هي تثمر الشعور بعظمة المحتفل به من ملك مطلق الإرادة أو شعب غالب لا حدّ لمطامعه المادية، وأمام الشعور بتلك العظمة تتضاءل إرادة الشعب المحكوم والمغلوب، فتهون عليه نفسه ويألف الصَّغار، ونتيجة ذلك هضم الحقوق وتفشّي الجور، وذلك من أبشع الفساد في الأرض.

والاحتفال بالمولد النبوي تذكيرٌ بمولود هو أفضل الأولين والآخرين جاء بسعادة البشر أجمعين، فيلزم أن يكون هذا الاحتفال أفضل الاحتفالات في مظهره

وفي جوهره وفي ثمرته، فلا يظهر فيه إلاّ ما يؤيد ما جاء به هذا المولود الكريم من دين قويم، ولا يكون الداعي إليه إلاّ تعظيم هذا المولود العظيم وإظهار محبته، ولا تكون فائدته إلاّ تقوية الشعور بحسن طريقته واستقامة سُنَّته واعتماد سلوك محجته.

ولقد كان هذا الدين الذي جاء به هذا المولود الكريم بسيطًا، فتلقّاه أهله الأولون بالبساطة، واستغنوا بكمال محبتهم لرسولهم وشدّة اتباعهم له عن إقامة احتفالات بمولده أو بمبعثه أو بانتصاراته في جهاده، فكان في عمارة قلوبهم بتلك المعاني الظاهرة على جوارحهم غِنًى عن ملإ أبصارهم بمظاهر من الاحتفاء قد تنقص عما في القلوب من معنى التعظيم الواجب.

وهكذا مضى السلف الصالح على إقامة السنن ظاهرًا ومَلإ القلوب بالمحبة والتعظيم، وبطول الأمد الذي تقسو معه القلوب ارتأى من ارتأى تعزيز الإيمان القلبي بإقامة احتفالات تذكّر بميلاده عليه الصلاة والسلام.

وكان ابتداء أمر هذا الاحتفال أواخر القرن السادس أو أوائل السابع، فظهر بأربل شرقًا وبسبتة غربًا، وأخذ ينتشر بعدُ في العالم الإسلامي.

وكان لأول حدوثه يعمرونه بذكر أخباره عليه الصلاة والسلام فألّفوا لذلك الموالد، وبتلاوة معجزته الكبرى التي هي القرآن العظيم، وببذل المعروف والإحسان للفقراء والإخوان.

ثم أخذ الاحتفال بمولد أفضل الخلق ينحرف عن مهيعه الحميد ويبتعد عن سيرته الأولى حتى صار في أغلب الجهات يومًا من أيام الزينة، يرضي فيه المرء هواه ويجري في الفساد إلى أبعد مداه، فإن خلا بعض مجالسه من منكرات عملية لم يَخْلُ من خُرافات اعتقادية.

والعلماء لا يختلفون في إنكار الاحتفال المولدي إذا كان على هاته الصورة المنكرة.

وإنما اختلفوا في حكمه إذا كان على مثل الحال السابقة ليس فيه ما يغمر الفكر من خُرافات ولا ما يعمر الوقت من محرمات.

وكان اختلافهم في حكمه ـ والحال ما ذكر ـ من أجل أنه احتفال ديني لا عادي، وكلُّ عملٍ دينيٍ إن كان له أصلٌ عرفه السلف الصالح فهو سُنَّة وإلاّ فهو بدعة، والسلف لم يعرفوا هذا الاحتفال، فبعض المتأخرين حكموا بأنه بدعة مكروهة[1]، وآخرون استحسنوه واستنبطوا له من السُّنَّة أصلاً.

وممن أفتوا بكراهيته تاج الدين الفاكهاني[2] من المالكية، وكتب في ذلك رسالة.

وممّن استحسنه الحافظ ابن حجر من الشافعية، قال[3]:

«أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة ولكنها مع ذلك قد اشتملت على محاسن وضدّها، فمن تحرّى في عملها المحاسن وتجنّب ضدّها كان بدعة حسنة، وإلّا فلا».

ثم خرّج عمل المولد على ما ثبت في «الصحيحين»[4] من صيام اليهود يوم عاشوراء

---

(١) وهو الأقوى دليلاً والأقوم قيلاً، فإنَّ الاحتفال بالمولد النَّبوي «لم يفعله السَّلف مع قيام المقتضي له وعدم المانع منه لو كان خيرًا، ولو كان هذا خيرًا محضًا أو راجحًا لكان السَّلف ﭬ أحقُّ به منَّا؛ فإنَّهم كانوا أشدَّ محبَّة لرسول الله ﷺ وتعظيمًا له منَّا، وهم على الخير أحرص» كما قال شيخ الإسلام ﵀ في «اقتضاء الصِّراط المستقيم».

(٢) توفي سنة (٧٣٤هـ). انظر ترجمته في «الديباج المذهَّب» (ت: ٣٧٠) لابن فرحون.

(٣) كما في «الحاوي للفتاوى» (١/ ١٩٦) للسُّيوطي.

(٤) أخرجه البخاري (٢٠٠٤ و٣٣٩٧ و٣٩٤٣ و٤٦٨٠ و٤٧٣٧) ومسلم (١١٣٠) عن ابن عباس.

تذكيرًا بغرق فرعون ونجاة موسى وقومه وإقرار الرسول ﷺ لهذا الصيام في أمته.

قال الحافظ: «فيستفاد منه فعل الشكر لله على ما منّ به في يوم معيّن من إسداء نعمة أو دفع نقمة، ويعاد ذلك في نظير ذلك اليوم من كلّ سنة».

ولا كلام لنا مع كلام الحافظ[1] إلا وصفه البدعة بالحسن وهو المحدّث الحافظ، فإن البدعة الشرعية لا توصف بالحسن بعد وصف الرسول ﷺ لها

---

(١) بل في كلام الحافظ نظر من وجوه:

الأوّل: أن تصريحه بأن أصل عمل المولد بدعة لم تنقل عن أحد من السلف الصالح من القرون الثلاثة يكفي، فقد قال الإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أوّلها».

الوجه الثاني: أن المحاسن التي ورد في كلام الحافظ أن من تحراها في عمل المولد وتجنب ضدّها كان عمل المولد بدعة حسنة؛ لا تعدّ هي بنفسها من البدع، وإنما البدعة فيها جعل ذلك الاجتماع المخصوص بالهيئة المخصوصة في الوقت المخصوص.

الوجه الثالث: أنّ تخريجه عمل المولد على صيام يوم عاشوراء الثابت في «الصحيحين» استنباط ساقط لمخالفته لإجماع السلف الصالح فهماً له وعملاً به ، وما خالف إجماعهم فهو خطأ بلا ريب، لأن إجماعهم معصوم ، فلا يجتمعون إلاّ على هُدًى. قال تعالى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾**﴾[النساء: ١١٥].

الوجه الرابع: أن الحديث ليس فيه سوى أن النبي ﷺ صام يوم عاشوراء وأمر بصومه ، فلو كان استنباطه صحيحًا لوجب الاقتصار عليه ـ أعني الصوم ـ لا التوسع بالقياس، سدًّا لذريعة الابتداع في الدين، والله أعلم.

انظر: «فتاوى الشيخ رشيد رضا» (٥/ ٢١١٢)، و«القول الفصل في حكم الاحتفال بمولد خير الرسل» لإسماعيل الإنصاري، المنشورضمن «رسائل في حكم الاحتفال بالمولد النبوي» (٢/ ٤٧٥ ـ ٤٧٩).

بالضلالة، ثم بعد ثبوت أن لعمل المولد أصلاً لم يبق وجه للحكم عليه بالبدعة إلاّ بالمعنى اللّغوي.

ومنذ ظهور الحركة الإصلاحية بوطننا أخذت الاحتفالات المولدية شكلاً حسنًا إذ ينتهز المصلحون فرصتها لبثّ المبادئ الإسلامية النقية والحثّ على مكارم الأخلاق وضرب الأمثال من سيرته عليه الصلاة والسلام، ثم الترغيب في العلم وتهذيب النشء وتقديم طائفة من صغار التلاميذ يقومون بأناشيد أو يخطبون في حياته ﷺ.

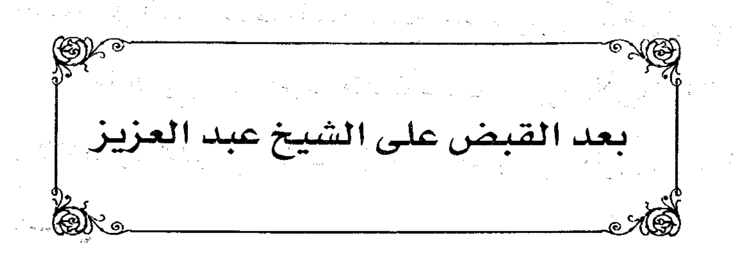
وإني أتقدّم إلى المحتفلين بميلاده عليه الصلاة والسلام في هاته السنة بأن ينفّذوا ما قررته «جمعية العلماء» منذ ثلاث سنوات، من محاربة السرف كما هو منشور في «سجل المؤتمر»، ولاسيما السَّرف اليومي من قهوة وأتاي ودُخان وشمّة.

فلندعُ بمناسبة هذا المولد السعيد إلى الاتحاد على إطراح هذه الأشياء وتوفير أثمانها لسدّ حاجاتنا الشخصية والاجتماعية، فإن لنا مشاريع يجب أن ننهض بها وأمامنا عراقيل يجب أن نذلّلها، وليس ذلك إلاّ بعمارة القلوب بالإيمان القوي وعمارة الجيوب بالمال السخي، فلننتهز فرصة هذا الاحتفال لتقوية الإيمان وتنمية الأموال ، والله المستعان[1].

مبارك بن محمد الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (١١٢) الصادر يوم الجمعة ٦ ربيع الأول ١٣٥٧ هـ ٦/ ٥/ ١٩٣٨م.



بعد القبض على الشيخ عبد العزيز

ظنّت الإدارة ـ وظنّها في أحرار المسلمين إثم ـ أنّ القبض على الشيخ عبد العزيز بن الشيخ الهاشمي ورفيقه إنما هو إثارة لعواطف أتباعه الكثيرين حتى يفقدوا رشدهم ويظهروا استياءهم بالقوّة، فتجد الإدارة مبرّرًا سطحيًا لقذفهم بالقذائف الحربية وإملاء السجون بمن سلم من نيران القذائف، فتمثّل هنا ما مثّل أخيرًا بتونس وقبلاً بالمغرب الأقصى.

وبهذا الثالوث يتمّ القضاء على مطالب الشمال الإفريقي العادلة.

ولكن الأمّة لزمت الهدوء، وكظمت غيظها، وذلك من نتائج توصية ذلك الشيخ و«جمعية العلماء» بالهدوء في كلّ مناسبة.

فحاولت الإدارة إثارة الشعب بالقبض على أناس كثيرين وبحثهم. واستمرت تقبض وترسل نحو عشرة أيام، فلم تقف على ما ترجوه.

وفي مساء الثلاثاء الماضي (٢٥ صفر) بلغنا أنّ حكومة «سوف» أطلقت سراح كلّ من تحت يدها وأيست من إيجاد مبرّر لعملها.

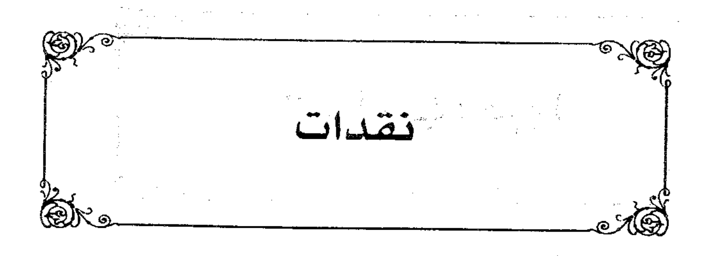
ثم بلغنا أنها ألقت القبض على الشيخ عبد القادر بن ياجور[1]، وأنها لا تزال تضغط على الناس ليشهدوا ضدّ الشيخ عبد العزيز وضدّ ضمائرهم وضدّ الواقع.

أما الشيخ عبد العزيز فقد قُدِّم للبحث يوم الأربعاء (٢٦ صفر) وحضر وكلاؤه، ولم يجدوا في لفائف الإدارة ما يستوجب أدنى إدانة ولكنهم أعادوه إلى السجن.

ونحن في انتظار استقامة العدالة واستقلالها عن الأغراض السياسية[2].

(١) توفي رحمه الله سنة (١٩٩١م). انظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح» (٢/ ٧٦ ـ ٨٠).

(٢) «البصائر»: العدد (١١٢)، بدون إمضاء.



نقدات

الانتقاد فَرزٌ لجيّد الشيء من رديئه، وبيانٌ لمحاسنه ومساويه.

والحسن منه ما أصاب صاحبه الحق عن معرفة وحسن نية في أدب تعبير.

فإن سار الانتقاد على هذا الصراط ـ صراط الاعتدال ـ دلّ على ما لصاحبه من نباهة ونصح.

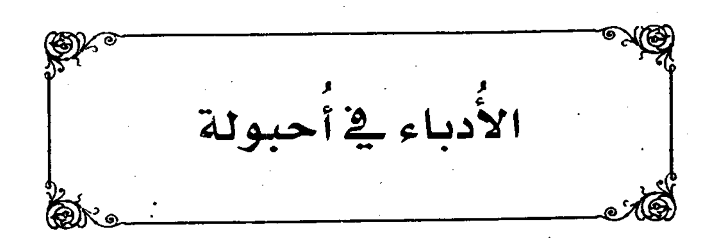
وإن جار فأفرط صاحبه أو فرّط كان بلاهةً وجمودًا أو جهالةً وجحودًا.

وقد قامت النهضة الجزائرية الحديثة على الانتقاد. فكان أول لسان عبّر عنها صحيفة «المنتقد» سلف «الشهاب».

فنحن نرحّب بالانتقاد، ونتساهل في نشر ما لم يصل حدّ الاعتدال منه تنشيطاً وتمريناً. وقد نهمل منه ما نراه بَعُدَ عن الاعتدال وصار بالاعتداء أشبه[1].

قلم التحرير

(١) «البصائر»: العدد (١١٢)، بدون إمضاء.



الأُدباء في أُحبولة

تحت العنوان أعلاه جاء مقال من السيد أحمد بن ذياب يذكر فيه تاريخ الحديث عن شطر:

يا صاح يا ذا الضامر العنس.

وما دار فيه من حديث بين السائل عنه والفائز الأول في الإجابة عنه، وأن ذلك يرجع إلى عهد قديم وأن السؤال وقع بعد تحرير الجواب.

وقد ضاق العدد عن نشر نصّ المقال فاكتفينا بالإشارة إليه.

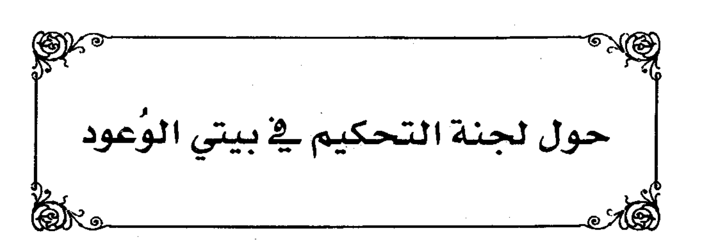
وودنا[1] لو أن حضرة الكاتب كشف هذا الغطاء قبل أن يجيب هو وتحكم إدارة «البصائر» في الجواب.

كما جاء من الشيخ الدراجي الخياري أحد المجيبين مقالٌ ينتقد فيه ترجيحَنا للمجيب الأوّل، ويرجّح جوابه بما نراه أجنبيًا عن الموضوع.

وبعد، فإنه يعلم هو وغيره أنّا نحكم باجتهادنا، ولا هوى لنا مع أحد ولا ضدّ أحد[2].

(١) كذا بالأصل!

(٢) «البصائر»: العدد (١١٢)، بدون إمضاء.



حول لجنة التحكيم في بيتي الوُعود

كتب الشيخ عمرو بن البسكري[1] ينتقد بعض الأبيات التي جعلت اللّجنة أصحابها من الفائزين. وانتقاده لا يخرج عن بيان خلل في الوزن.

ونحن نعترف أن في أدبائنا من يتعاطى القريض ولا يشتغل بعلومه، فنوافق الشيخ عمر على استنكاره لإغفال القوانين العلمية وعلى ثنائه على اللجنة في اجتهادها.

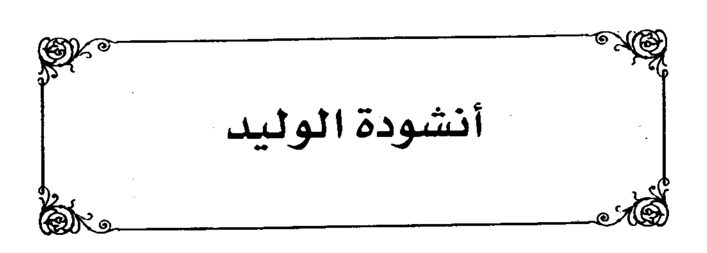
ولا نرى داعيًا إلى نشر هذا الانتقاد الذي هو كدرس في العَروض.

نعم ، هو درس تطبيقي، ولكن العالِم بالعَروض في غنًى عنه، والجاهل لا يجديه إلا تعلّم الفن[2].

---

(١) توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٩٦٨م). «من أعلام الإصلاح» (٢/ ٢٢ ـ ٢٧).

(٢) «البصائر»: العدد (١١٢)، بدون إمضاء.



أنشودة الوليد

«أنشودة الوليد في يوم المولد السعيد»: بقلم شاعر «الجزائر الفتاة» الأديب الإصلاحي العبقري، الشيخ محمد العيد آل خليفة، مدير مدرسة الشبيبة بمدينة الجزائر.

قدّمها لأبناء الجزائر بل لأبناء الإسلام لينهضوا بإنشادها يوم المولد النبوي ويطبعوا على قلوبهم معانيها.

وإنها لخطوة إصلاحية ومبرّة إسلامية تلفت ناشئتنا نحو الغاية الحميدة من احتفالات بميلاد سيّد السادات عليه الصلاة والسلام[1]، إذ يفتتحها أديبنا بالدعوة إلى الاتّساء بصاحب الميلاد اتّساءً هو معنى حبّه ﷺ فيقول:

بِمُحَمَّـــــدٍ أَتَعَلَّـــــق ... وبِخُلُقِـــــهِ أَتَخَلَّـــــق

وعـــلى البنـــين جَمِـيعِهِم ... في حُبِّـــــهِ أَتَفَـــوَّق

ثم يقول في فصلٍ آخرَ داعيًا إلى الاستقامة والثبات:

---

(١) تقدم قريبًا أن الاحتفال بمولده ﷺ لا أصل له في السنة الصحيحة ولا في عمل السلف الصالح و«لا يصلح آخر هذه الأمة إلاّ ما أصلح أولها» و«ما لم يكن يومئذ دينًا فليس اليوم دينًا» كما أُثر عن إمام دار الهجرة رَحِمَهُ اللَّهُ.

إني عـــلى البيـــضاء مُعْــــ تَـــدِل الخـــطّ لا أزلــــق

لا أنثنـــي عنهـــا ولـــو أُصــلى الجحــيم وأُشـــنَق

وينتقد عادة المسيحيين[1] في ميلادهم، مرشدًا إلى ما يجمل في مثل هذا اليوم وما يحسن من أثر هذه الذكرى فيقول:

مـــالي ولِلُّعَـــبِ الَّتِـــي تُختـــارُ لي وتُنـــسق

إنَّ التَّعَلُّـــق بالرَّســـو لِ ودينِـــه بي أَلْيَـــق

ويحثّ الشّعب على ما فيه كرامته وحياته فيخاطبه قائلاً:

إنّ الَّــذِي يَبْغِـــي انْــدِمَا جَــك في سِــواكَ لَأَحْمَــق

لا يَنْمَحِـــي شَـــعْبٌ بِـــشا راتِ الرَّســـولِ مُطَـــوَّق

والأنشودة مصدّرة بكلمة في الأغراض الشريفة الداعية إلى إذاعتها بين التلاميذ، ومختتمة بكلمة في حياتهﷺ، ومطبوعة بحروف غليظة مضبوطة بالشكل الكامل.

تُباع بفرنكين غير أجرة البريد. وتُطلَب من المؤلّف بهذا العنوان[2]:

محمد العيد خليفة

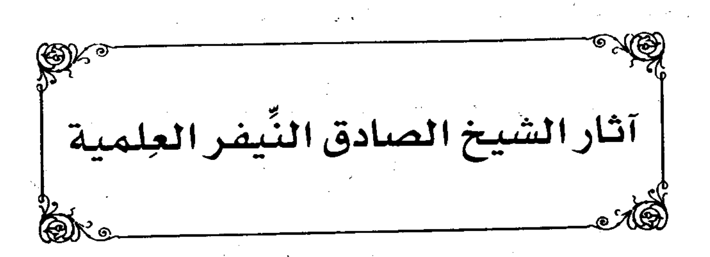
مدير مدرسة الشبيبة الإسلامية الجزائرية

MOHAMED LAID KHELIFA
Directeur de l'école (LA CHABIBA)
17 Rampe Vallée 17
ALGER

---

(١) تقدم أن تسميتهم بـ «النصارى» أصحّ وأدقّ، وهي تسمية القرآن لهم.

(٢) «البصائر»: العدد (١١٢)، بدون إمضاء.



آثار الشيخ الصادق النِّيفر العِلمية

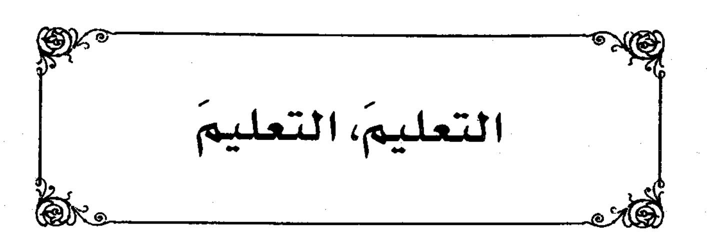
خُتمت حفلة الأربعين التي أُقيمت لتأبين الفقيد الجليل الشيخ محمد الصادق النيفر بكلمة لابنه الأديب الأستاذ أحمد المهدي. فكانت تلك الكلمة وما خُتمت به مِسْكًا إذ يقول نهايتها:

«وأعدكم أيها السّادة، مقابلةً للجميل بالجميل، وبُرورًا بالراحل الجليل، أني وإخوتي سنتحيّن الفُرص - إن شاء الله - لنشر ما تركه الوالد من الآثار وجعل المكتبة القيّمة التي كوّنها بنفسه ومن حُرِّ مالِه مفتوحةً في وجه طلاّب العلوم والفنون، وتلك هي رغبته التي صارحنا بها غير مرّة وحالت دون تحقيقها المنية، غمره الله برحمته، ورزقنا رضاه، إن ربّي قريب مجيب».

و«البصائر» ترحّب بهذا الوعد، والعرب تقول: «أَنْجَزَ حرٌّ ما وَعَد»، والله تعالى يقول: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة : ٢][1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١١٣) الصّادر يوم الجمعة ١٣ ربيع الأوّل ١٣٥٧هـ ١٣/ ٥/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



التعليمَ، التعليمَ

يتناول القُراء هذا العدد من «البصائر» بعد أن انتهوا من حفلاتهم بذكرى خاتم النبيين وإمام المرسلين، مشوب سرورهم بكدر محاولة القضاء على ما يصلهم بهذه الذكرى العظيمة من تعليم أبنائهم التعليم الذي يحفظ عليهم هذه الذكرى.

المرء مجبول على محبة نفسه، وسرورنا بذكرى ميلاده ﷺ هو من محبة أنفسنا، لأن صاحب هذا الميلاد هو الذي عرّفنا الخير، ودعانا إليه، وبيّن لنا الحق، ووعدنا عليه، وصوّر لنا الشر، وحذّرنا منه، وكشف لنا عن الباطل، وأوعدنا عليه، و قد أدركنا بالإيمان الصادق والتجربة الصحيحة أن في اتِّباعه والأخذ بتعاليمه هناء الإنسانية وسعادة الدارين.

وإن أول تعاليمه الثابتة وأولى شعائر نبوّته الخاتمة هو التعليم، فإن أول خطاب تلقّاه عن ربّه فكان مبدأ نبوته هو الأمر بالقراءة والامتنان بالتعليم وذكر القلم، هذا أول ما جاءه من الله قبل الهجرة، وهذا أول ما عُني به بعد الهجرة حيث إنه فدى بعض أسرى بدر على أن يعلّموا أبناء الأنصار الكتابة.

وإذا كانت هذه الأوّلية في الدِّين للتعليم فلتكن هي الظاهرة الأولية من

ذكرى ميلاد هذا الرسول الكريم عليه أفضل صلاة وأكمل تسليم، ولتكن هي الحجر الأساسي في بناء هناء الإنسانية، ولتكن هي الرقم القياسي لمعرفة سعادتنا.

إن «جمعية العلماء» قد أدركت ذلك المغزى التشريعي الإسلامي في الابتداء بالتعلّم، وعرفت تلك الثمرة الطيبة في هناء الإنسانية وسعادة المسلمين، فاهتمّت بالتعليم وشرعت لأول عهدها تُلقي العِظات البالغة والحِكم النافعة بالمساجد لإصلاح مَن يؤمّها من المسلمين، وحثّت على تأسيس النوادي وتعميرها بالمحاضرات وتطهيرها من المحرّمات لإصلاح من لم يعتد الذهاب إلى المساجد، ولا يشعر بفائدة في الذهاب إليها، ودعت إلى فتح المدارس الحرّة لتعليم الصبيان الحروف العربية، وتلقين القرآن الكريم وتلقّي مبادئ الإسلام ولغته، وذلك لإصلاح الأبناء وتنشئتهم تنشئة نطمئنّ معها على حياة ديننا وبقاء جنسنا.

وقد أتى سعي الجمعية بنتائج أكثر من المنتظر، لأنه سعي موافق لما تنطوي عليه نفوس الشعب المسلم، وعمل بأمنية الأمّة الجزائرية الكامنة بين جوانحها.

كان أول من وقف في وجه الجمعية لقطع ذلك السعي هم الطرقيين من شيوخ الزوايا، وكان أول من جرّأهم على ذلك وقوّى أملهم في شلّ الحركة الإصلاحية، هو م. ميرانت مدير الأمور الأهلية بالولاية العامة سابقًا، وكان أول قرار في تنفيذ هذه الخطة التي فيها لمدبريها حطّة، هو قرار منع العلماء الأحرار من إلقاء المواعظ بالمساجد، وتبع ذلك في هذه السنة قرار النوادي وقرار المدارس، فكان في القرارات الثلاثة محاربة للحركة الإصلاحية في جهاتها الثلاث، ومحاولة لإطفاء نارها التي هي برد وسلام بتبريك «البرمة»[1] ونزع الأثافي، وإنها لنار من نور الله،

---

(١) يعني القِدر.

ونور الله لا ينطفئ بأنفاس المعاندين للحق ولا بمداد الأوامر الجائرة.

إن مسؤولية حرمان المسلمين من التعليم بالمساجد وبالنوادي وبالمدارس [تُلقى][1] أوّلاً وبالذات على شيوخ الزوايا المتسبّبين في هذا الحرمان والمسرورين به، ثم على بعض رجال الإدارة المشجّعين لأولئك الشيوخ الحامين لمطامعهم المنافية لروح الإسلام ولوسائل التقدّم، الجاعلين من هؤلاء الجامدين المُجمّدين أولياء، ومن رجال «جمعية العلماء» الناهين المنبّهين أعداء، ويأتي في ذَنَبِ سلسلة المسؤولين بعض الموظّفين وخَدمة الموظَّفين من بعض الكُتَّاب والصحافيين، وجُبناء النوّاب المطاوعين.

وإنّ الواجب على الشعب المسلم الغيور على دينه ولغته، أن لا ييأس من رحمة الله، وأن يثبت مع جمعيته الناصحة له الصادقة في خدمته، مطالبًا بحقّه في التعليم بالمواضع الثلاثة، مطالبة قانونية مشروعة، ففي التزام النظام ردّ لإرجاف المرجفين، وإبطال لكيد الكائدين، وتقوية أمل في إنصاف الحكّام المنصفين، ثم على الشعب أن يحرّك أحرار نوابه ليقفوا معه للإعراب عن أمانيه، والدفاع عن حقوقه، وإجابة صوت الواجب.

وإن الواجب على من كان مغترًا أن لا يغترّ بعد اليوم بمظاهر شيوخ الزوايا ومن لفّ لفّهم، فقد وقفوا في مؤتمرهم الأخير موقف العداء الصريح للتعليم الحرّ، ونادوا نداء الغريق الصريخ لإنقاذ الحكومة إياهم من سيل الحركة الإصلاحية الإسلامية في ناحيتها الدينية والدنيوية.

فأما ما نشرته صحيفة «النجاح» في افتتاحية العدد (٢١٣٤) الصادر أوائل

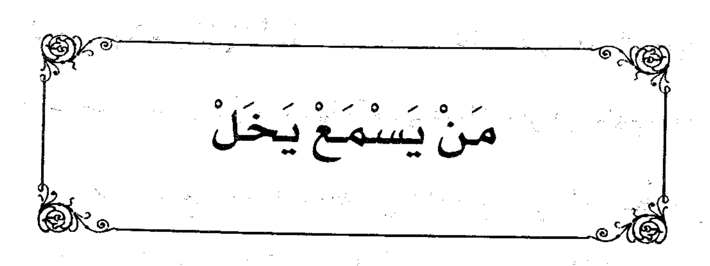
---

(١) سقطت من الأصل.

ربيع الأول من هاته السنة، فهو ما لا يُستغرَب منها ولا يغترّ به واقفٌ على خطّتها، وكلّ جزائري قد وقف على حقيقتها، فلا نطيل على القارئ بتتبّع تلك المقالة الواشية المحرّشة المُشوِّهة للحقيقة، وإذا حاول كاتبها إخفاء أغراضه فإن الله: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِي بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾ [غافر: ١٩ ـ ٢٠][1].

مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١١٤) الصادر يوم الجمعة ٢٠ ربيع الأول ١٣٥٧ هـ ٢٠/ ٥/ ١٩٣٨م.



مَنْ يَسْمَعْ يَخَلْ

من يسمع الزاهري يدّعي الدعوة إلى الاتحاد ويتّهم الميلي بالفتنة يَخَلْ أنّ في الأمر شيئًا من الواقع، ولكن الحقيقة عكس ذلك، فإنه ما أُسندت إليه إدارة «الوفاق» فقبلها إلاّ ليزرع بقلمه ما كان يزرعه بلسانه من فتنة وشقاق عُرف بهما هذا «العبد» في الأوساط الجزائرية وفي المجتمع التونسي منذ كان تلميذًا بالزيتونة المعمورة.

ومن يسمع الزاهري يقول عن تقرّبه من الطرقيين أنه حبّ الاتحاد ويتقوّل عن موقف الميلي معهم أنه حبّ الفتنة يَخَلْ في الأمر شيئًا من الواقع.

والحقيقة أنه ما انتحل هذا التقرّب إلاّ إحياء لفتنة يريد أن يتزعّمها، وأن الميلي لم يخاصم الطرقية إلاّ بعدما علم أنها تعمل بوحي الاستعمار وطبيعة الاستئثار.

وقد كنتُ من أوّل المُلَبِّين لدعوة تأسيس «جمعية العلماء» فاقترحتُ إرسال الدعوة إلى الطرقيين أيضًا رجاءً في صلاحهم باختلاطهم بإخوانهم المصلحين فلم يحقّقوا هذا الرجاء.

وهذا «العبد» لا يستحي حين يقول في افتتاحية «وفاقه» السادس:

«قد كنتُ أكتب ضدّ الطرقيين بقسوة وشدّة حينما كانت الإدارة الرجعية

الاستعمارية تتولاّهم برعايتها وكفالتها وتسندهم بالنفوذ والنقود، أما اليوم فليس من الرجولة ولا من الإيمان أن أحاربهم بعد أن تخلّت عنهم هذه الرجعية الإدارية الاستعمارية، وأصبحت تسند وتتولّى برعايتها وكفالتها قوما آخرين من بينهم مبارك الميلي».

مَن يسمع هذه الوقاحة من الزاهري يَخَلْ لها قسطًا من الحقيقة، والحقيقة المكشوفة أن الطرقيين لم يكونوا معروفين بموالاة الإدارة وخدمة الكولون[1] أكثر مما عُرفوا به اليوم، ولم يقفوا قبل موقفًا صريحًا كموقفهم اليوم في مؤتمرهم الطرقي الذي استحضرت له الحكومة «عبد الحيّ الكتاني» من فاس، واستدعت له شيخ الإسلام المالكي بتونس، وحضره الزاهري معجبًا به، وقد انتهت هذه الحقيقة المكشوفة من ذلك المؤتمر إلى رؤوس الجبال وبطون المنازل، فعرفها أعرق العوام في العامية وآمنت بها ربّات الخدور في منازلهن.

ومن يسمع الزاهري ينكر الرجعية ويلصقها بالميلي يَخَلْهُ بريئًا منها على الأقل، والواقع عكس دعواه فهو الرجعي الخادم للفشيستية لأنه أيّد قبل في الانتخابات المِلِّية طرقيًا رجعيًا ضدّ مرشح الجبهة الشعبية، وهو الذي حضر أخيرًا مؤتمر الطرقيين المنعقد بباعث من الكولون الرجعيين والمقرر فيه نفس الأغراض التي يسعى الكولون الرجعيون لتحقيقها، ثم هو بعد إعلان مقررات ذلك المؤتمر في

---

(١) في الأصل: الكلون!

و(الكولون): هم المستوطنون الأوروبيون سواء كانوا فرنسيين بالأصالة أو متجنسين، ملاك الأراضي التي كانت للجزائريين، الرَّافضون منهم للمساواة مع الجزائريين. [«تاريخ الجزائر الثقافي» (٩/ ١١)].

الصحف اليومية لا يزال فخورًا به معجبًا به.

أما الميلي فقد آذته صحيفة «لَفْلاَم»[1] التي يدعوني لوقوف قلمي على حزبها وقد رمتني بالتآمر على بعض صنائعها.

ومبدئي في الحياة الاجتماعية هو قضية الجزائر المسلمة العربية، أُوالي من والاها من أيّ حزب كان،وأعادي من عاداها من أيّ حزب كان ، ولا علاقة لي شخصية أو فكرية بأي مبدأ آخر من هذه المبادئ الأجنبية عن الجزائر العربية المسلمة.

وكلّ ما هذى به ذلك «العبد» في «وفاقه» من علاقتي بشخص أو ضدّ شخص أو بهيئة أو ضدّ هيئة، مما عيّنه وسمّاه فهو هذيان محموم.

وما ذكره من اندساس رجعيين في شُعب الجمعية يخدمون العدوّ الخارجي هو جوسسة كاذبة ووشاية مكشوفة وتحقيق لما بلغنا من علاقته ببعض رجال الحلّ والعقد في فرنسا ودسّه لهم الدسائس عن «جمعية العلماء».

وترى ذلك «العبد» يقول:

«أما الميلي فلم يكن يرى في هذه الجمعية المحترمة إلاّ وسيلة للكسب والمعاش، لا أكثر ولا أقلّ».

ومن يسمع هذا الحديث لا يَخَلْهُ إلاّ افتراءً، لا يُقدِم عليه إلاّ من ذهب الحسد بعقله ونضب ماء الحياة من وجهه.

لا أعدّ تضحياتي في خدمة «جمعية العلماء» التي يهاجمها الزاهري ثم يصفها بالاحترام كما يقول المنافقون ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، ولكني أبيّن

(١) صحيفة فرنسية [La flamme] أي: الشُّعلة

افتراءه في أخذي مال الجمعية، ذلك أنه في سنة ٣٤ ـ كما يقول هو ـ طلب هو من الجمعية أن تمده بمالٍ ليداوي عينيه اللتين لم يكن أضعف منهما إلاّ عينا قلبه.

فأمّا اشتداد المرض عليّ فهو في سنة ٣٦ بعد جولة كلّفتني الجمعية بها، ورأى مَن رأى مِن رجال الجمعية أن تعينني الجمعية على العلاج فطلب ذلك وقرّر، ولم أعلم بالطلب ولا بالقرار إلاّ بعد حين، فلما علمتُ أنكرتُ ذلك ورددتُه ولم أقبله ولُمتُ إخواني الذين لم يستشيروني في عرض هذه الإعانة فاعتذروا لي بأنهم يعلمون انقباضي من ذلك وأنهم ينوون أن ينفقوها عليّ من غير أن يُعلِموني.

فَطِبْ نَفْسًا يا هذا «العبد» واعلم أني لم أقبض على مرضي إعانة من الجمعية، ثم إنك ذلك الحين لم تزل في الإدارة فهل حضرت الجلسة؟ ولماذا لم تعارض؟ فإنّ حديثك حديث حاضر شاهد إن كنتَ صادقًا فيه.

ثم هل حضرتَ وشاهدتَ الميلي يقبض هذا المبلغ أو دونه؟

الواقع أنه سقط في انتخابات الجمعية تلك السنة فلم يحضر الجلسات التي تلي الاجتماع العام، وكان من عوامل سقوطه اتصاله بصحيفة حكومية معادية للجمعية وموالية للإدارة الرجعية، وقد شوهد مع محرّرها إثر كلّ جلسة إدارية للجمعية، ثم قرأ الناس المرار العديدة في تلك الصحيفة مقالات عن جلسات الجمعية فيها إفشاء سِرّ وكثير من الافتراء والشرّ.

ومن يسمع هذا العبد يذكر المبلغ الضخم الذي يأخذه مدير «البصائر» ويتنقصه به يَخَلْهُ نزيهًا، وهو الذي كان يأخذ مبلغًا على تحرير مقال أسبوعي أكثر مما يستحق، وهو الذي كان يتطلع لإدارة «البصائر» ليحوز المبلغ الضخم حتى أنه آذى

الشيخ الطيب العقبي لما لم يشركه في الإدارة، وإن عدم ثقة رجال «الجمعية» بإسناد الإدارة إليه هي إحدى علل غضبه عليها، أما موقف الميلي من إدارة «البصائر» فيعلم من افتتاحية ٨٤.

ثم أيها «العبد» العفيف النزيه هل تستطيع أن تقول الحقيقة عن وفاقك ومن أين تنفق عليه وعلى نفسك؟

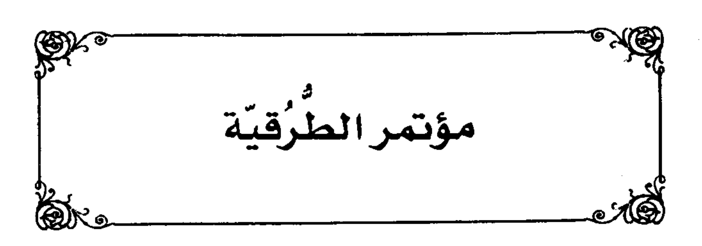
لا لزوم لتتبّع كلّ ما هذى به هذا «العبد» ولكن هنالك مفتاح لا يحسن بقارئ كلامه أن يفقده، وذلك المفتاح هو أنه كلّ ما رآه القارئ يطعن على أحد فليعلم أنه إنما يتصوّر نفسه ويرسمها للقارئ ثم يضع عليها اسم من يريد التشفّي منه تضليلاً وتزويرًا.

فأما تشكّيه مما كتبته فيه فإني في ذلك كما يعلم القراء مُدافع لا مُهاجم، على أني لم أحتدّ في دفاعي احتداده في هجومه.

﴿ وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [الشورى: ٤١][1].

مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١١٤).



مؤتمر الطُّرُقيّة

«البصائر»:

قد وضع بين أيدينا الكاتبُ[1] مادَّةً صالحةً للحكم على المؤتمر الطرقي، ولا نريد أن نزيد على كلامه إلَّا شيئا واحدًا هو أن تمثيلهم في دعواهم أو دعوى من أمرهم لثلاثة ملايين؛ اعتراف رسمي بأن جلّ الأُمّة البالغة أكثر من ستّة ملايين ليست معهم.

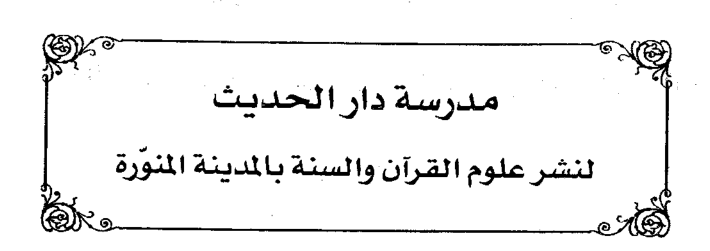
ثم إذا سلّمنا حكمهم لأنفسهم بتمثيل ذلك العدد فإنما هو قبل وقوف الناس على قراراتهم أو مطالبهم في هذا المؤتمر الذي قصدوا منه ضربة الشعب الجزائري في دينه ودنياه.

أما بعد المؤتمر فقد أصبحوا سخرية السّاخر ولعنة اللاّعن، ففي القُرى والأسواق وكلّ المجتمعات تجدهم حديث الناس، وما هذا الحديث إلَّا البراءة منهم والندم على ما فرط من حسن الظنّ بهم إلى تقطيع السُّبح والتعاهد على قطع زيارتهم[2].

---

(١) هو أبو بكر بن بلقاسم.

(٢) «البصائر»: العدد (١١٤)، بدون إمضاء.



مدرسة دار الحديث

لنشر علوم القرآن والسنة بالمدينة المنوّرة

أسّس هذه المدرسة بالمدينة المنورة فضيلةُ الشيخ أحمد الدهلوي[1] من محدّثي الهند.

جاءنا منه كتابٌ ونشرةٌ في الدعوة إليها.

ومما جاء في تلك النشرة عن فضيلة مؤسّس المدرسة ومديرها:

«وانقطع بنفسه لهذه المدرسة بعد أن تعهّد هو نفسه بإطعام وإكساء التلاميذ مما يجمعه من أهل الخير الوافدين على بيت الله الحرام. فزهت هذه المدرسة وأينعت ثمارها. وإن شاء الله عمّا قليل تؤتي أكلها. فترى هذه البلاد زمرة صالحة تُعنى بإتقان هذا العلم الجليل وتنير العالم الإسلامي كما أنارته من قبل».

وبهذا تعلم الغاية من هذه المدرسة والمادة التي تقوم بحياتها.

ولرغبتنا في علمي الكتاب والسنة، ومحبتنا في أن يكون الحَرمان أعنى الجهات بها وأغناها برجالها، ندعو المسلمين أينما كانوا إلى تأييد هذا المشروع، كلٌّ حسب

---

(١) توفي يوم ١٠ شوّال ١٣٥٨هـ، ودُفن بمقبرة البقيع بالمدينة النَّبويَّة.

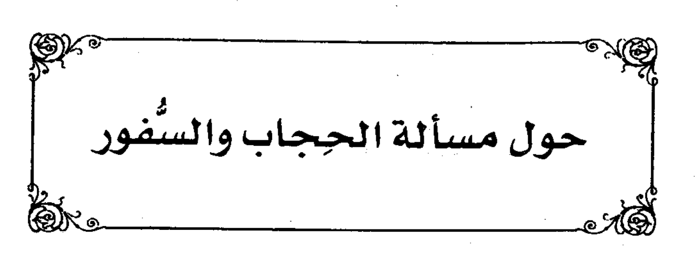
انظر: «السَّيِّد أحمد الفيض آبادي» (ص٤٢) لعبد القدُّوس الأنصاري.

مستطاعه وبعد المشاركة في مشاريع وطنه، عملاً بقاعدة توزيع الزكاة وأنها تعطى فقراء أرض المتصدق ولا بأس بنقل بعضها إلى فقراء آخرين.

والإعانات توجّه باسم مدير دار الحديث بالمدينة المنورة (الحجاز)[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١١٥) الصادر يوم الجمعة ٢٧ ربيع الأول ١٣٥٧هـ، ٢٧/ ٥/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



حول مسألة الحِجاب والسُّفور

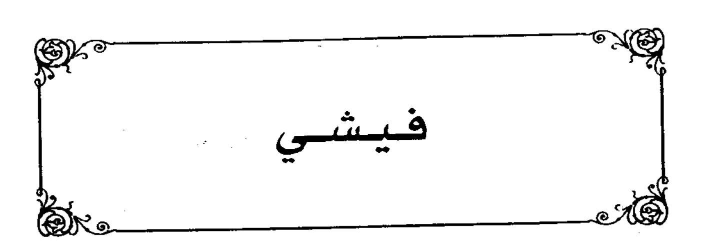
«البصائر»:

حمل إلينا البريد هذا التكذيب فبادرنا إلى نشره، وفي اليوم الذي بلغنا هذا التكذيب بلغتنا رسالة من الأخ الشيخ عمّار بن الأزعر[1] رئيس شُعبة قمار سابقًا والمدرّس الآن بالحرم المدني بمدرسة العلوم الشرعية، يشرح لنا فيها حقيقة كاتب ذلك المقال، وإغراقه في دعوى الإجتهاد، وشذوذه في مسائل اعتقادية وعملية، وغرضه من إخفاء اسمه تحت اسم آخر، ولا داعي إلى نشر ذلك كلّه.

ولكن لا نكتم على القارئ شدّة تعجّبنا عند قراءة ذلك من كذب ذلك الكاتب وانحطاطه الأخلاقي، وهو في جوٍّ مَن جاء بالصدق وصدّق المرسلين وبُعث لإتمام مكارم الأخلاق، فإنّ القبيح قبيحٌ بذاته، وهو إلى جانب الحسن أقبح، والتوفيق من الله[2].

(١) توفي سنة (١٣٨٩هـ). انظر ترجمته في «أعلام من أرض النبوة» (٢/ ١٣٩ ـ ١٤٥) للكتبي.

(٢) «البصائر»: العدد (١١٥)، بدون إمضاء.



فيشي

شاءت الأقدار أن نركب الأسفار ونجتاز البحار من إفريقية إلى أوروبا، لا لتجارة ومغنم، ولا لنزهة ومطرب، ولا لشكاة ومطلب، ولكن استرجاعًا لقوة أذابها الداء، واستجماعاً لنشاط عجز عن أداء الواجب نحو الدّين والشعب، فذهبنا أواخر ربيع الأول (ماي) إلى «فيشي»، وها نحن أولاء في الأسبوع الثاني من ربيع الثاني (جوان) وقد أطلّت علينا طلائع الراحة والعافية والحمد لله.

وإذا كانت الدواة هي دائي، فإنّ دوائي إنما أرغب فيه من أجلها، ولا خير في حياة بلا قلم ودواة، فبهما تصقل الأذهان، وتحفظ الأديان، وتسمو الأوطان، وتحترم الأبدان.

والآن نتقدّم إلى القارئ الكريم بحديث عن مدينة «فيشي»، ولكنه حديث بين الصحة والمرض، فهو أشبه بما بين النوم واليقظة، إلى جهل بلسان أهلها جهلاً يمنع من استكشاف دخائلهم وبتّ الحكم في طبائعهم.

«فيشي» مدينة فسيحة الأرجاء، رفيعة البناء، جميلة الشكل، يجري جنوبها من شرقها إلى غربها نهر «لَلْبِي» ـ بفتح فسكون فكسر ـ وقد جعل له سدّ حبس ماءه

حتى يكون له عمق يحمل الفُلك ويرتاض عليه بالسباحة، ويساوق النهر بينه وبين المدينة «بور»[1] عريض به أشجار مرتفعة وعشب ناعم، تتخلله طرق وتزينه برك، وتمكن من الاستراحة فيه كراسي على نحو ما هو معهود في البساتين البلدية.

وليس هذا النهر وما يحاذيه من «بور» منظم هما النزهة الوحيدة في المدينة، ولكن نزهتها أمتع ومنظرهما أوسع.

وإلى جمال الأبنية نظافة الشوارع وأمن الأطراف، ولكن صدق عليها المثل العامي «كلّ زين فيه لولا ...» ذلك بأن أنهجها لم تختط خطوطا مستقيمة متوازية، بل هي خطوط منحرفة ملتوية يعترضها البناء غالبا.

ولعل «ميلة الجديدة» تفتخر على «فيشي» بانتظام خطوط أزقتها، ولعلها تذكر مهندسها «المغربي» المعروف عند أهلها بالوَلاية بمعناها العامي، فتقول إن «فيشي» حرمت طلعته فخسرت هندسته! ولكن ما حديث «المغربي» إلاّ حديث خرافة ذات مغزى استعماري. وماذا يفيد جمال الهندسة إذا استولى على العقول التخريف والوسوسة!؟

وأكثر بناءات «فيشي» الفنادق، ولكلّ فندق مطعمه، وأغلب بضائعها من المطبوعات الرواياتُ وما يتصل بالتسلية، ومن الملبوسات الحليُّ والمصوغات، ومن المأكولات الحلويات، فطرفك لا يقع إلاّ على مظاهر النعيم والترف، في أرض ليست أطيب تربة ولا أغنى طبيعة من أرضنا، ولكن قوّتا العلم والحكم جذابتان، وعلّتا الجهل والاضطهاد قتّالتان.

يعجبك من تجارتها الاتساق في الوضع، ودقّة الذوق في العرض، إلى حسن

---

(١) كلمة جارية على لسان العامّة، أصلها فرنسيٌّ: [Port]، أي: ميناء أو مرفأ أو مرسى.

أدب التاجر، وسَعة صدره، وبشاشة وجهه بشاشةً تحتمل كلّ شيء إلاّ لفظ «الغلاء»، على أن في الأسعار التي بلوناها ارتفاعًا متفاحشًا أو متقارباً، ولكن الحقيقة مُرَّة، ويظهر أن ارتفاع أسعارها يرجع أوّلاً إلى أنّ موسم هذه المدينة خاصّ بهذا الفصل، فالتاجر يعمل في أشهر من السنة لكفاية عامه، وثانيًا إلى أن أغلب المشترين غرباء، والغريب من شأنه الاحتمال، حتى الغريب في وطنه عن حكم شعبه فإن من شأنه أن يحتمل ثقل الحكم، وإلاّ وُسم بالتهييج والتشويش.

وإنك لتدرك من هذا الاستعداد للنزيل بالمساكن الكثيرة والبضائع الوافرة شدّة سيل الوافدين على هذه المدينة، غير أنّا لم نر الآن ما يفي بمعشار عشر هذا الاستعداد، وإنما نرى الغلاء والكساد... ولا أدري أذلك لتقدّم سفرنا وتأخّر الحَرّ في هذا العام... أم للأزمة العامة يدٌ في ذلك؟

ومما يسجّله المسلم بكلّ خجل عناية هؤلاء القوم بالنظافة، حتى كأنك ـ وأنتَ في فندق ـ نازل في مستشفى جليل، فكأنهم الذين أمرهم دينهم بالنظافة وحثهم عليها دوننا، أو كأننا تعاوضنا فأخذنا تعاليم دينهم التي أهملت هذا الأمر وأخذوا بديننا في هاته الناحية.

والأشدّ من ذلك خجلاً للمسلم أنهم ـ وهم المباح لهم الخمر دينًا وقانونًا ـ لا تقع عينك على سكّير منهم، ونحن المحرّم علينا الخمر لا تكاد تذكر في كثير من قُرانا سِكّيرًا إلاّ رأيته.

وقد كان يوما خامس جوان وسادسه من أعيادهم، فاحتفلوا فيهما وتقاطرت على المدينة سيول السيارات من خارجها، فكنت ترى طرفي كلّ طريق عبارة عن

قطارين من السيارات: قطار ذاهب وآخر جاءٍ، ويغيب طرف القطار عن نظرك فلا تبصر له آخر.

وخرجتُ في هاتين الليلتين وولجتُ لجّة القوم، واجتزتُ متجمهراتهم إلى أطراف المدينة، وتأخرتُ في الجولان، فلم يقع بصري على سِكّير، فلم أدر أأعجب من سموّ أدب قوم تغلب عليهم الإباحية، أم من سقوط أدب آخرين يزعمون أنهم من خير أمة أُخرجت للناس؟

إن جنايتنا لمزدوجة، فهي جناية على الدِّين وعلى الجنس معًا.

وما دام حديثنا عن مظاهر أدب القوم، فيجمل أن نتحدّث قليلاً عن معاملتهم للنزلاء، والذي أدركناه أنهم ينظرون إلى غيرهم بعين الإنسانية المجرّدة عن الفوارق الدينية والجنسية والسياسية، فلا تشعر هنا بما تشعر به في الجزائر من تفوّق جنس وميزة حكم، ولعل السِّرّ في ذلك أنهم ليسوا كالذين عندنا في السمر باختلاق العيوب لنا، وتضخيم ما هو موجود منها.

وفي اعتقادي أنّ حياتنا تنقص من حياتهم وسعادتنا جائحة في أموالهم، فإنسانية هؤلاء الذين لم يجتازوا إلينا البحر لم تزل على فطرتها، لم تهوِّدها تعاليم السياسة، ولم تنصّرها مطامع الاستعمار.

ولا نختم هذه الكلمة قبل أن نذكر الكنائس، فقد رأيتها في هذه المدينة كثيرة فخمة زائدة بكثير عن حاجة السكان القارّين، فلا أدري أهو استعداد من رجال الدين للضيوف كاستعداد رجال الأموال؟ أم أنّ المدينة وما يتّصل بها ويقرب منها تغلب عليهم الديانة؟ ولكنها ديانة على جمودها وتحريفها لم تمنعهم من التقدّم كما

حالت دون تقدّمنا طرقيتُنا، ذلك لأنّ القوم ضيّقوا دائرة نفوذها فلم يجعلوا لها سلطانًا على حياتهم العلمية والمالية والسياسية.

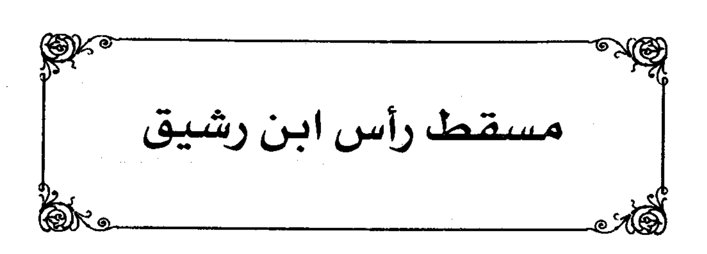
وقد دخل العرّافون «المرابطون» إلى هذه المدينة من كوة المسيحية، فترى لهم في ناحية متطرّفة مجالس لترويج بضاعتهم، ولكن لم أر عرّافا إلاّ وهو كبير السنّ، فالعرافة عندهم من بقايا الجيل الماضي.

فمتى تسعد الجزائر باجتثاث أصول التخريف وتخريب العقول والقلوب والجيوب، أو فقد تأثير المخرّفين من مرابطين وطرقيين في الحياة العامة؟

يجب الجِدُّ في التعليم، والإخلاص في العمل، والصبر على المكاره، والثقة بالله ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة:١٥٣ والأنفال:٤٦][1].

مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١١٩) الصادر يوم الجمعة ٢٥ ربيع الثاني ١٣٥٧هـ ٢٤/ ٦/ ١٩٣٨م.



مسقط رأس ابن رشيق

جاء في العدد (٩٥٦٤) من «الزهرة» الغراء الصادر ثاني عشر ربيع الثاني مقال للسيد محمد الشاذلي ذكر فيه ابن رشيق عرضًا، فقال ما نصّه:

«المولود بإحدى ضواحي تونس الحاضرة لا بالقيروان كما يغلط فيه كثير من المتأدّبة».

ونحن نوافق الكاتب الفاضل على تغليطه من ينسب ولادة ابن رشيق إلى القيروان، ونودّ لو عيّن لنا القرية التي وُلد بها هذا الأديب من ضواحي تونس الحاضرة، وما دام لم يعيّنها فليسمح لنا بتغليطه أيضًا.

إن ابن رشيق ولد بالمسيلة من تراب الوطن الجزائري الآن، وكانت المسيلة لذلك العهد عاصمة لإمارة عظيمة من إمارات المملكة العُبيدية (الفاطمية) التي عاصمتها القيروان.

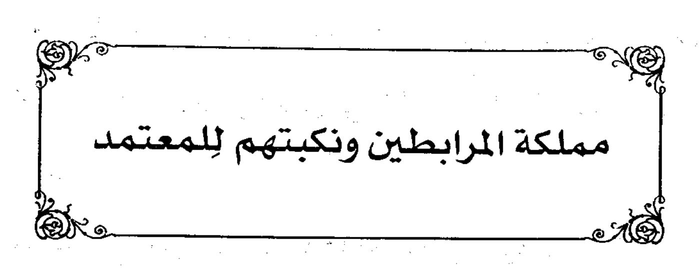
وكانت المسيلة تدعى المحمدية نسبة لأبي القاسم محمد بن عبد الله المهدي لأنه هو الذي اختطّها ودفع لإدارتها أميرًا عربياً، فازدهر فيها الأدب على عهد هذا الأمير العربي وخلفه من ذريته حتى انتقلت الدولة العُبيدية إلى مصر، واستقل بلقين الصنهاجي بأمر المغرب (شمال إفريقية) فقضى على هاته الإمارة العربية المنافسة له،

ومن ذلك الحين أخذت المسيلة (المحمدية) في التراجع حتى صارت تُظلَم في نجبائها فلا ينسبون إليها.

وإذا كان الأولون ينسبون ابن رشيق إلى القيروان فذلك لأنها مظهر مواهبه الأدبية ولأنها عاصمة مسقط رأسه المسيلة[1].

(فيشي) مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١٢٠) الصادر يوم الجمعة ٣ جمادى الأولى ١٣٥٧هـ ١/ ٧/ ١٩٣٨م.



مملكة المرابطين ونكبتهم لِلمعتمد

حمل إليّ البريد بفيشي العدد السابع من ملحق جريدة «المغرب»، فكان فيما قرأتُ من مواضيعه «نكبة المعتمد ابن عباد»، وهو فصل مأخوذ من كتاب «النبوغ المغربي في الأدب العربي»[1]، ذلك الكتاب الذي يكرّر صاحب الجريدة الثناء عليه، ولم نطّلع عليه على قرب الدار واتصال الجوار.

غرض الكاتب من هذا الفصل الدفاع عن يوسف بن تاشفين فخر دولة المرابطين التي هي من مفاخر دول المغرب ، فيما رُمي به من القسوة على أسيره المعتمد ابن عباد أجلّ ملوك الطوائف بالأندلس.

استهلّ فصله بالحديث عن اتّساع مملكة ابن تاشفين فكان مما قاله:

«تقدّم فاحتلّ تلمسان والجزائر وأعمالها وتونس... وأصبح ليوسف النفوذ المطلق على المغرب كلّه من تونس إلى أقصى الصحراء».

ثم قفّى على ذلك بوصف حال ملوك الطوائف وتخاذلهم أمام الأجنبيّ عدوِّهم المشترك وإقبالهم على الملاهي والشهوات، وكال للمعتمد من خزي هذه الحال بالمكيال

(١) مؤلفه الأستاذ عبد الله كنون المغربي، المتوفى سنة (١٩٨٩م) كما في «تتمة الأعلام» (٢/ ١٥ ـ ١٧).

الأوفى، ثم عرض لعظمة يوسف بن تاشفين وحسن معاملته لابن عباد.

فأما تعظيمه ليوسف بن تاشفين وإنكاره على ملوك الطوائف صغر نفوسهم، فمما نوافقه عليه في الجملة، ولا نرى من يخالفه في ذلك إلاّ جاهلٌ بالتاريخ أو رضيع لصَغار الاستعمار.

ونخالفه في خبره عن حدود مملكة المرابطين، وفي نظره إلى المعتمد ابن عباد، وهذا ما أردنا أن نشرحه بعض الشرح فيما يلي، وإن كان الأخ الشيخ بلقاسم بن عمّار يقترح علينا في عدد «البصائر» (١١٧) ترك المقالات العلمية والأدبية والاقتصار على نشر ما يتعلق بموضوع التعليم والاحتجاجات والمظالم المنصبّة على الدِّين واللغة والمعلِّمين.

وإنه اقتراح ناشئ عن أهمية ذلك الموضوع، ونحن نراه أولى ما يهتمّ به الكاتب والناشر، ولكن خلوّ الجريدة من غيره متعبٌ للقُراء، وتكرّر أحاديث الهمّ على النفس قد يفضي بها إلى اليأس فلا بدّ من ترويحها ببعض الأحاديث الأجنبية عن قضيتها تسكينًا لها وإبقاءً عليها، وهذا ما أشعر به ككاتب وكقارئ، ولهذا رأيتُ أن أنقل القارئ بحديث ابن تاشفين إلى القرن الخامس الذي هو من عصور النور حقًّا، نور العدالة ونور الأخلاق ونور المعارف.

فأما خبره عن حدود مملكة المرابطين شرقًا فغلط، ونهاية ما بلغ إليه جيشهم أسوار مدينة الجزائر، فلم يحتلّوها ولم يتجاوزوها شرقًا ولا استقرّت أقدامهم فيما قرب منها غرباً، ذلك أن المرابطين إنما قضوا عن[1] ممالك زناتة وامتلكوا أوطانهم

---

(١) كذا الأصل!

التي منها تلمسان.

فأما صنهاجة وأمراؤها من بني زيري بن مناد فقد حافظوا على استقلالهم في أوطانهم وممالكهم، وكانت لهم يومئذ دولتان: إحداهما غربية عاصمتها بجاية، ومدينة الجزائر تابعة لها لم تنفصل عنها حتى سقوط دولة بجاية، والأخرى شرقية بوطن تونس.

ولم تسقط هاتان الدولتان حتى ظهرت دولة الموحِّدين، فكان عبد المؤمن بن عليّ رأس خلفائها هو الذي احتلّ الجزائر وبجاية ووطن تونس، وأزال حكم دولتي صنهاجة الشمالية بعدما أزال دولة المرابطين التي هي صنهاجة الجنوبية.

وهذا من الوضوح في التاريخ بحيث لا يخفى على ذلك الكاتب، ولعلّه إنما أُتي من حيث أنه عرض لهاته النقطة التاريخية على سبيل التمهيد فلم يتحرّ فيها، ولاح له أن دولة الموحِّدين حلّت محلّ دولة المرابطين فظن حدود مملكتهما واحدة.

وأما نظره إلى المعتمد ابن عباد فخطأ، إذ بالغ في ذمّه وتنقيصه، واقتصر على ذكر مساويه، ولعلّه نظر إلى ناحية الدفاع عن يوسف بن تاشفين، فاندفع في ردّ عدوان من اعتدى على عظمته من الكُتاب، فكان لديه من أدوات الردّ بيان انحطاط منزلة ابن عباد عن منزلة ابن تاشفين، وبالغ في تصوير ذلك الانحطاط والاقتصار على ناحية النقص.

والحق الذي ينطق به التاريخ أن المعتمد بن عباد لا ينبغي أن يوزن بميزان مَن على عهده من ملوك الطوائف فضلاً عن أن يُكال له في النقص بأوفى من كيلهم.

وهذا الرجل لا تكاد تظفر بشخص تاريخي له نفسية كنفسيته.

فهو الذي تجده يجمع بين رقّة الأديب الأندلسي وإقدام القائد البدوي، وبين الإغراق في الطرب وقوة الإيمان بالله، ولم يستكن ـ على ما كان عليه من إقبال على الشهوات وإهمال لحزم الملوك ـ للذلّ والصَّغار والاستعباد كما وصمه هذا الكاتب.

بل هو الذي لم تذهب رقّة حضارته بغلظته على الكفّار، ولم تجن مغريات الترف على غيرته القومية الإسلامية .

وهو الذي حمل ابن تاشفين على الجواز إلى الأندلس.

وهو الذي أبلى البلاء الحسن في واقعة الزلاّقة التي مكنت لابن تاشفين والإسلام في الأندلس.

وهو الذي لما حُذِّر من عاقبة جواز ابن تاشفين وأنه سيسلبه ملكه فإن[1] تلك الكلمة الخالدة الصادرة عن روح لم توهنها الحضارة ولم تذبها رقّة الأدب، فقد أجاب محذريه قائلاً: «لأن أرعى الإبل خيرٌ من أن أرعى الخنزير»، يريد أنه مغلوب على ملكه إمَّا لَمِلِكٍ نصراني وإمَّا لَمِلِكٍ مسلمٍ صحراوي، وأنه يفضّل أن يأسره المَلِك المسلم.

نعم ، تنكّر ابن عباد من بعد لابن تاشفين فكانت عاقبته أن سلبه ملكه وأسره بأغمات حتى مات، ولا ينكر منصف على ابن تاشفين ذلك، إنما الذي يُؤسَف له ضياع تلك الضراعات التي كان يصوغها ابن عباد في قصائده العِذاب التي لا تجد مثلها من أسير تأسر العواطف، ولكن لم تؤثر في عاطفة ابن تاشفين شيئًا، وقد اهتزّ النبيﷺ لما خُوطِب في مقتلة النضر بن الحارث بهذا البيت:

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: قال.

مـا كـان ضرّك لـو مننـتَ وربـما   مَنَّ الفتى وهو المَغِـيظُ المُحْنَـقُ[1]

وقال: «إنه لو بلغه ذلك قبل قتله لعفا عنه»[2].

وأجمل ما اعتذر به المؤرخون عن ابن تاشفين حتى لا يوصم بالقسوة والغلظة أنه كان بربريًا لا يعرف العربية ولم يبلّغ له ترجمانه تلك المعاني التي تذيب الصخر حرارة وتملك العواطف رقّة.

فلا ابن تاشفين بالغليظ الجافي ولا ابن عباد بالخليع الفاقد للشعور الديني القومي.

رحم الله الجميع، وتجاوز عن مسيئهم، وأرانا وميضًا من نور أيامهم[3].

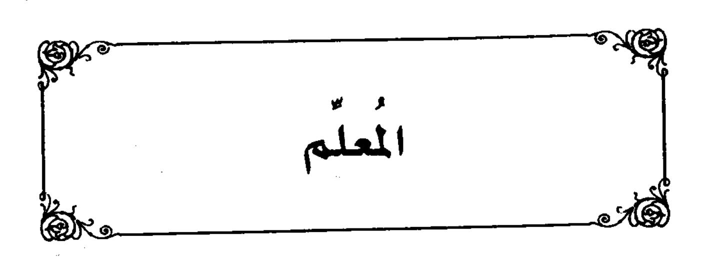
مبارك الميلي

(١) أي الشَّديد الغيظ.

(٢) أورده ابن هشام في «السِّيرة النَّبويَّة» (٣/ ٤٥) معلَّقًا بلا إسناد بلفظ: «لو بلغني هذا قبل قتله لَمَنَنْتُ عليه».

انظر: «أُسد الغابة» (٥/ ٣٠٢) لابن الأثير الجزري، و«البداية والنِّهاية» (٣/ ٣٠٦) لابن كثير.

(٣) «البصائر»: العدد (١٢١) الصادر يوم الجمعة ١٠ جمادى الأولى ١٣٥٧هـ، ٨/ ٧/ ١٩٣٨م.



المُعلّم

أبان شوقي رَحِمَهُ اللهُ عن منزلة المُعلِّم أفضل إبانة إذ يقول:

قُـم للمعلِّـم وفِّـه التبجـيلا كـاد المعلِّـم أن يكـون رسـولا

ومنشد هذا البيت يتصوّر حقيقة الواقع من منزلة التعليم في المجتمع، ويتأثر بجمال التصوير لتلك الحقيقة، ويترسّم الخطّة التي يسلكها لإصلاح المعلِّم إن حاد عن طريقة الرسول في أخذه نفسه بالجِدّ، وتكميلها بالفضائل، والصدق في أداء الأمانة، والصبر في مقام النصح، واتخاذ تهذيب المجتمع غاية له في الوجود، والرجوع إلى الرسول في وسائل تحقيق غايته.

ذلك مقام المعلِّم في الأمة، وما يجب أن يكون عليه.

فأما تأثير التعليم في بنية المعلّم، وتعزيته عما يفقده من قوته، فأحسن ما قيل فيهما أو من أحسنه قول الأستاذ محمود غُنيم من أدباء مصر:

ومعلِّـم قـد راح يبـذُلُ نفـسَه بـذلَ الكـرامِ لناشـئين صـغار

تمـتصّ أفـواهُ الـشبيبةِ روحَـه مثل امتـصاص النَّحـل للأزهـار

اخترناهما من قصيدته التي أنشأها في حادثة مقتل معلِّم وجرح آخر، بيد تلميذ حُرم لذّة الفوز في الامتحان.

يُقال: إن كلّ شيء ينقص بالإنفاق إلاّ العلم، وهذا حقّ، ولكن سامعي هذا القول يغفلون غالبا عمَّا يصحب إنفاق القلم[1] من إنفاق القوة البدنية، وقوة المعلِّم غير علمه، فعلمه لا ينقص بالإنفاق، أمّا قوته فتنقص، والنظم العصرية تشترط في المعلِّم سلامة البنية مثل ما تشترطها في الجندي، على أن عمل المعلِّم أشقّ وفائدة المجتمع منه أجلّ، لأنه يعمل لخير الإنسانية، بينما أحسن أحوال الجندي أن يقف موقف الدفاع لشرٍّ يُراد بها.

وإذا كان المعلِّم يستهلك نفسه وروحه فليعتز عما يفقده من قوة وما ينتابه من ضعف بما يجده من ثمرات غرسه في تلاميذه، فما هو إلاّ زهرة جنت منها أو عليها نحلة، ومن ذا الذي يستنكر على النحل جناها من الزهر وجنايتها عليه؟ بل من ذا الذي لا يروقه ذلك الجني أو تلك البناية؟.

وأي معلِّم لم ينتج تلاميذه عسل العرفان الذي فيه شفاء للناس؛ فلا يرجع باللائمة على نحله، وليفتش عن علة الخيبة في زهره، فإنما هو بين أمرين أهونهما أن طريقته في التعليم عقيمة، وأدهاهما أنه مصاب في أدبه، مؤتزر بالأوزار، وهذا الثاني يجب إبعاده، وذلك يتعين إرشاده.

وأديبنا لم يخل تعزيته للمعلِّم من تلميح إلى إرشاده طريقة التعليم، فهو يقول تمتصّ أفواه الشبيبة ولم يقل تمتصّ آذانهم، إفادة للمعلِّم أنه لا يحسن به أن يُهيِّئ

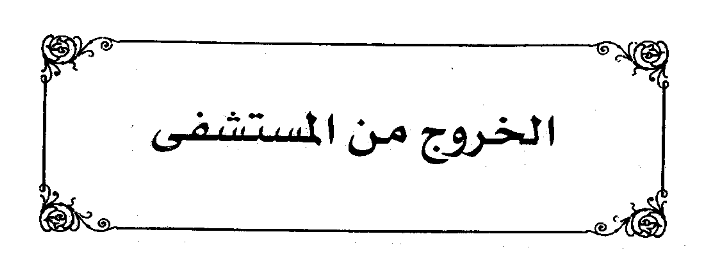
(١) كذا في الأصل!

درسه ويسمعه تلاميذه، من غير أن يختبر أفهامهم بتكرار سؤالهم، ويستطلع اتجاههم بالإصغاء إلى أسئلتهم، ويتضامّ في نفسه حتى يكون في مثل أسنانهم فيتمكّن من فهمهم وإفهامهم.

وقد اختصرنا الحديث في موضوع يتّسع فيه ميدان القول، لأنّا كتبنا هذه الجملة بالمستشفى تمضية للوقت، فإن لم تفد القارئ فلا أقلّ من أن تفيد إعجابي بما وضعته أمام القراء من قول أمير الشعراء وأديب مصر[1].

مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١٢٥) الصادر يوم الجمعة ٨ جمادى الثانية ١٣٥٧هـ، ٥/ ٨/ ١٩٣٨م.



الخروج من المستشفى

لما دخلتُ باريس عرضتُ جسمي على بعض الأطباء، فنصحوا لي بدخول المستشفى (كوشان)، فدخلتُه يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى وحادي عشر يوليه.

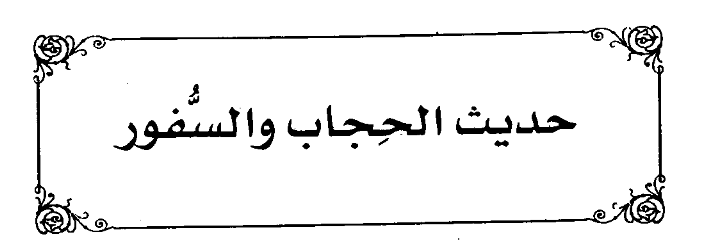
وبإشارة الطبيب أيضًا خرجتُ يوم الأربعاء التاسع والعشرين من جمادى الأولى والسابع والعشرين من يوليه.

ولم أعلن في الصحيفة عن دخولي أيضًا على إخواني من وقع انتظار العافية لي لاسيما جمهورهم الذين يسبق إليهم من دخول المستشفى توهّم خطر الداء، وما المستشفى إلاّ محلّ علاج منظّم يقصده خفيف المرض وشديده على السواء.

والآن أعلن عن خروجي إدخالاً للسرور على الأصدقاء. وإلى اللّقاء في أمد قريب إن شاء الله[1].

مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١٢٥).



حديث الحِجاب والسُّفور

يعلم قُراء «البصائر» ما نشرناه لكاتب من المدينة يمضي «عيسى أبو خالد» في هذا الموضوع، ويعلمون أيضًا ما كُتب به إلينا من المدينة في افتعال هذا الإمضاء، وما أبديناه من استياء من هذا التستّر.

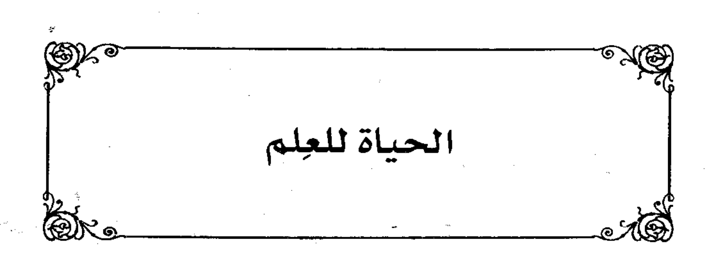
والآن جاءتنا رسالة من حضرة ذلك الكاتب يبوح باسمه، ويعتذر ببيان سبب اختياره ذلك الإمضاء، ويلومنا في استيائنا الذي أبديناه بعبارات تمسّ بجانبه.

ونحن نكرّر رغبتنا في عدم التحيّز لنصر أحد المتجادلين على الآخر لِبُعد الشُّقَّة وإمكان التفاهم ـ إذا حسن القصد ـ بالمناظرة اللفظية.

وحيث أن سبب استيائنا من ذلك الكاتب لا يعود إلى علمه، وإنما هو من أجل تضليله بإمضاء ليس له ولا يشعر بكونه لغيره، فإنا لم نزل على ما كتبناه قبل لاسيما وقد أقرّت حضرته بذلك في رسالته الأخيرة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٢٦) الصادر يوم الجمعة: ١٥ جمادى الثَّانية ١٣٥٧هـ ١٢/ ٨/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



الحياة للعِلم

قرأتُ في إحدى الصحف الشرقية أُخريات إقامتي بباريس خطاب الأستاذ زكي مبارك الذي ألقاه بالنجف في حفلة تكريمه، فإذا هو يدعو ويؤكّد دعوته طلبة العلم بالنجف إلى أن يحيوا للعلم، وأن يفنوا في خدمة العلم والدِّين عن حاضرهم ومستقبلهم، ثم يضرب لهم المثل في ذلك بنفسه، وأنه ما أوصاهم إلاَّ بما أوصى به نفسه.

وإذا كانت الحياة للعلم هي الصراحة في الحق، وإرادة الخير للإنسانية؛ فهي كلمة حقّ ونصيحة خير؛ ولكن رابني ذلك الخطاب نفسه في كون الخطيب يمثّل ذلك المعنى من الحياة للعلم:

١ ـ ذلك أنه يقول في طالعة خطابه «أبدأ كلمتي بالتحية الإسلامية التي يحرص عليها علماء النجف، فأقول: السلام عليكم»، وهذا يفيد أن الخطيب لم يفتتح خطابه بالتحية الإسلامية عن باعث من إيمانه ولكن إرضاء للمخاطَبين، ويقوّي هذا القصد أن الخطيب لم يعهد افتتاحه لخطبه بالتحية الإسلامية.

٢ ـ ثم هو إثر تلك النصيحة ينتقل إلى الحديث عن تأليفه الذي كتبه بالعراق عن عبقرية الشريف الرَّضِي ويجعله نعمة من نعم الإخلاص، وقد كانت هذه النعمة

إخلاصًا خالصًا للعلم لو كانت قبل دخول العراق والتعرّف إلى شيعة النجف أو بعد ذلك بِمُدَّة على الأقلّ.

٣ ـ والفصل الثاني لهذا الحديث، والثالث لتلك النصيحة هو استطراده من ذكر الرّضِي إلى كتاب «نهج البلاغة» وتأكيد هوى الشيعة في انتسابه إلى عليّ كرم الله وجهه وإسرافه في الاستدلال على صحة الانتساب.

ويختم خطابه بالاعتذار عن افتتانه بالعيون السود بأنه تلميذ الشريف الرّضِي في ذلك.

ولقد كان الأستاذ زكي مبارك يجعلنا نثق بإخلاصه في نصيحته لو أنه تحدّث إلى علماء النجف ورجال الشيعة عن عبقرية التقي ابن تيمية مثلاً من رجال العالَم الإسلامي الذين لا يهواهم علماء الشيعة وعامّتها.

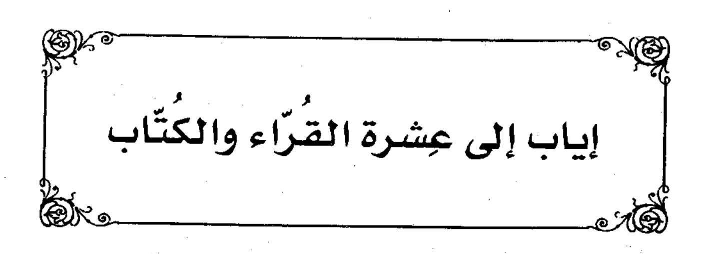
وهنا ذكرت ما كان يقال في عهد العناية بالحديث والحياة للعلم صدر الإسلام، إذ كانوا يقولون: إذا كنتَ بالشام فحدِّث بفضائل عليّ، وإذا كنتَ بالكوفة فحدِّث بفضائل معاوية.

ولا يسبقن إلى وهم واهم أني أنكر عبقرية الشريف الرَّضِي، أو أني أثأر لطه حسين من زكي، فأنا أجلّ الشريف وأحبّ أن ينشر فضله، ولست متأثرًا بخصومة طه حسين على زكي، بل أنا في الأغلب على طه مع زكي[1].

مبارك الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (١٢٧) الصادر يوم الجمعة ٢٢ جمادى الثانية ١٣٥٧هـ ١٩/ ٨/ ١٩٣٨م.



إياب إلى عِشرة القُرّاء والكُتّاب

قضينا ثلاثة أشهر تقريبًا وبيننا وبين أسرة «البصائر» البحر الأبيض، ذلك الذي لم يزل من عهد إخواننا الكنعانيين المدعوين الفينيقيين، حتى اليوم رسول المدنيات ومبعث المنافسات بين الأقوياء وميدان الخصومات بين المتنافسين، ذلك البحر الذي يرفع شأن من رفع عليه عَلَم العزّة والسيادة، ويحفظ تاريخ من كتب عليه أسطر عظمته بحيازيم السفن والأساطيل، فيخلّدها ولا تخليد الحجر للنقش.

وإذا بعُد بنا هذا البحر عن أسرة «البصائر» كُتابها وقُرائها بُعدًا حِسِّيًا، فقد بعُد بنا أيضا بُعدًا معنويًا بما أثار في نفوسنا من ذكريات، وبعث فينا من أحاديث ماضية، أصبحت لعجز شعبنا عنها عملاً وغفلته عنها عِلمًا كأنها ذكريات وأحاديث أجنبية عن شعبنا لا نسب له فيها ولا صلة تصله بأسبابها.

قطعنا ذلك البحر من جنوبه إلى شماله ومن شماله إلى جنوبه، فكان في ذهابنا رهوًا وكان في إيابنا رهوًا كأن لجحه في أيام هدنة وفصل استراحة، أو كأنها سكنت لتهيج في الأنفس أحاديث الماضي وذكريات السلف ولا تقطع على السابح فوقها سباحته في تاريخها، وقراءته لما حفظته ـ وهي ماء ـ من آيات وعبر.

بَعُدنا بذلك البحر وأحاديثه عن كُتاب «البصائر» وقُرائها، فلم نكن لنستطيع الإشراف على التحرير والنظر فيما حقّه التقديم والتأخير، ولم نكن لنستطيع مشاركة القُراء في الملاحظة على ما ينشر ببصائرهم فنستحسن أو نستنكر، فلم نكتب إلى الإدارة برأي في شأن كُتاب «البصائر»، ولا أبدينا لها ملاحظة إدارية أو طباعية.

واليوم انتهى بعودنا ذلك البُعد الحسِّيّ، وحملنا أنفسنا على تناسي ما أثارته في نفوسنا تلك الذكريات من آلام، وعزمنا على مباشرة الإدارة ومعاشرة الكُتاب واستيحاء ملاحظات القُراء، ولكن طول العهد بالعمل يورث الإخلاد إلى الراحة، ويبدأ التدريج في الحياة بضعف الأمل في استعادة النشاط لأوّل مرّة.

وإنك لترى شعبنا الذي طال عليه الأمد، وبعُد به العهد عن حياة الجِدّ والعزّ قد أخلد إلى ما يسمّيه الجهل راحة، والغرور زهادة، والتمني عبادة، حتى إذا حرّكته صرخات المشفقين تحرّك أوّل ما تحرّك مدافعًا لا مستجيبًا، ومُتَجَهِّمًا لا متهلّلاً، فوقع في العقوق إذ زعم أنه مدافع عن عادات الآباء والأجداد، وسقط في الضلال إذ ادّعى أنه محافظ على السُّنَّة.

وقد مضى حينٌ طويلٌ في نفسه، قصيرٌ في حياة الشعوب، استطاع الناصحون المشفقون والمصلحون الثابتون أن يرجعوا لشعبنا إدراكه وتمييزه، فعرف مجموعه حقيقة الحال، واستجاب داعي الله جمهور الأمة، ولم يتخلف إلاّ أحد ثلاثة: ضعيف النفس استبعد الشُّقَّة واستصعب السبيل، أو ضعيف الإيمان بالغيب استولى عليه طمع مادي واستهواه سراب واهم، أو ضعيف العقل لا يستقل بالفهم، وساقه سوء الحظ إلى الوثوق بناصح غير أمين.

على أنك متى جمعت تلك الرهاط الثلاثة لم تجد بها من القوة والتماسك ما يقف الآن أمام الدعوة المصلحة لولا استنادها إلى قوة أخرى من سطوة الحكم لا من سطوة المنطق، وإننا واثقون بأن تلك السطوة لن تثبت قدمها في تلك الخطوة. فلن يستمر بالغالط من أربابها بالغلط، ولن يدوم بالمغرض من أصحابها الغرض، فإن ضوء الحق سيكشف ظلمات الغلط، وحجة المنطق ستزيل سيئات الغرض.

وكلّ ما تراه اليوم في الجزائر من عِراكٍ ونِزالٍ وجَلبةٍ وجِدالٍ، إنما هو صدى نزع الحياة الفاسدة أتاها ملك الحق والخير، وطلق الأمة لتضع شعبًا حيًا قويًا بارًّا بسلفه صادقاً في إسلامه، ثم هو خصام بين اعتياد الراحة المضنية والعمل المشرّف المعزّ.

فإذا رأيتم معشر الكُتاب والقُراء تقصيرًا في إدارة صحيفتكم «البصائر» مني، فليس من استهانة أو استخفاف، وإنما هو حظي من طبيعة اعتياد الراحة وسنة التدريج في الحياة.

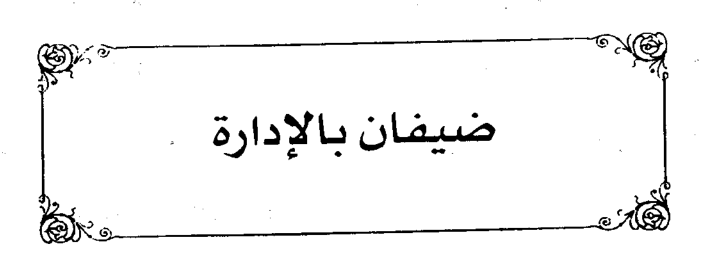
ودمتم معتمدين بعد الله عل أنفسكم في إتقان العمل، واثقين من دهركم في تحقيق ما تَسْمُونَ إليه من أمل، طاردين من بين أعينكم مناظر اليأس ودواعي الفشل.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾ ﴾ [النحل: ١٢٨][1].

مبارك الميلي

---

(١) «البصائر»: العدد (١٢٩) الصادر يوم الجمعة ٧ رجب ١٣٥٧هـ ٢/ ٩/ ١٩٣٨م.



ضيفان بالإدارة

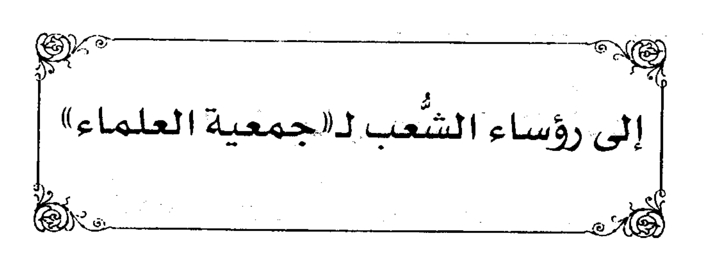
تشرّفنا في هذا الأسبوع في إدارة «البصائر» بزيارة الأستاذ الشيخ أحمد الجريدي المدرّس بجامع الزيتونة المعمور، وبرفقته الرجل الخيّر السيّد الحاج أحمد العزّابي التاجر الشهير.

فقضينا مع الزائرين الكريمين ساعةً كانت من أمتع الساعات الجميلة التي نقضي في الأنس اللّطيف والحديث الممتاز، نظرًا لما لهذين الفاضلين من الشعور الحيّ، والإحساس السامي، والاطلاع الواسع.

ثم ودّعناهم، صاحبتهم السلامة في حلّهم وترحالهم[1].

---

(١) «البصائر» العدد (١٢٩)، بدون إمضاء.



إلى رؤساء الشُّعب لـ«جمعية العلماء»

آن أوان الاجتماع العام للاطلاع على مالية الجمعية.

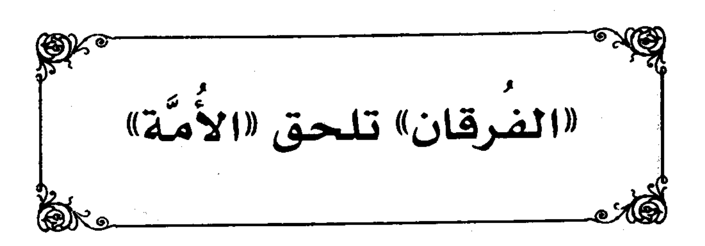
وأمين المال للجمعية المكلّف بوضع التقرير المالي يرجو من السادة الأفاضل رؤساء الشُّعب أن يبادروا بإرسال المالية إليه مع بيان ما هو منها بطريق الاشتراك وما هو بطريق بيع «سِجلّ المؤتمر».

وليكن الإرسال عن طريق الشيك بوستال بالعنوان الآتي[1]:

ALGER C/C 187 - 88
CHEIKH M'BAREK EL-MILI
PROFESSEUR LIBRE (MILA)

---

(١) «البصائر»: العدد (١٢٩)، بدون إمضاء.



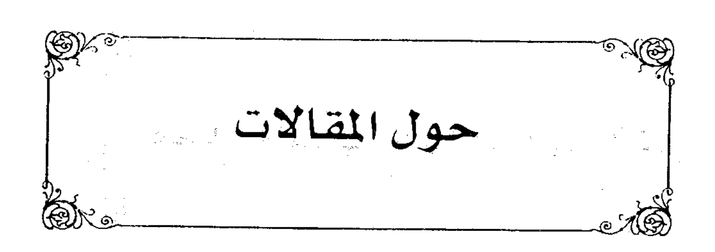
«الفُرقان» تلحق «الأُمَّة»

لم يكد يجفّ مداد الإعلام في أسف عن تعطيل صحيفة «الأُمَّة» للشيخ أبي اليقظان حتى وقع إلينا نبأ تعطيل خلفها صحيفة «الفُرقان».

ونحن لا نقول إزاء هاته المعاملة كلمةً غير الإعجاب بهمّة الشيخ أبي اليقظان أمام كوارث التعطيل المتتالية، وغير الإعجاب من سوء نظر الإدارة في الصحف العربية الصادقة وفقد قانون لهاته الصحافة يحميها من أغلاط أولي النظر[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٢٩)، بدون إمضاء.

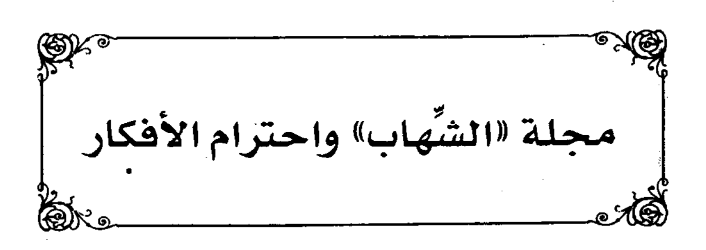


حول المقالات

كثيرًا ما نبهتِ الإدارة كُتَّابَنا الكرام إلى الإيجاز معتذرةً بضيق النطاق والزمان، ولكن أكثرهم لم يمتثلوا ما دعتهم إليه.

ولذلك ألفينا مقالات كثيرة متراكمة بالإدارة. وسوف نعمل على انتقاء بعضها الصالح للنشر، مما لم يفُت وقته ولم تُعدَم فائدته. فننشره عند الإمكان[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٢٩)، بدون إمضاء.



مجلة «الشِّهاب» واحترام الأفكار

«البصائر»:

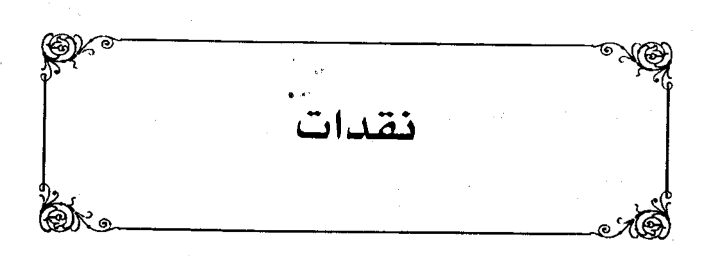
نشرنا هاته النظرة لا فتوى دينية تصوّر ما يجوّزه الشرع في هذا الموضوع، ولكن كرأي أدبي في موضوع هامّ هو النقد الأدبي الذي نودّ أن يُعنَى به كُتابنا في غير مساس بالأشخاص ولا ازدراء بالأنظار.

وبقطع النظر عن صواب أو خطأ الناحية التي فهمها الناقد[١] من كلمة «الشِّهاب» الغرّاء لا نمنع أن تكون تلك الكلمة ناظرة إلى المعنى الذي أعرب عنه هذا الناقد في قصيدة له بالبصائر إذ يقول:

هيهات يُسْبَى فؤادي في منازل مـن   سبـوا بلادي فبتّ شبه مطـرود[٢]

(١) هو الأستاذ حمزة بوكوشة.

(٢) «البصائر»: العدد (١٢٩)، بدون إمضاء.



نقدات

قيل: إن السياسة شيء قلّ من يخوض فيه وقلّ من يفهمه، ومثل ذلك أقول في الانتقاد، على أن الانتقاد شُعبة من السياسة في أعمّ إطلاقاتها، والسياسة ضرب من الانتقاد في استعمالها الخاصّ.

وما عُني الناسُ بالانتقاد والسياسة إلاّ من أجل لزومهما للحياة، فأنا نزولاً على حكم الحياة لا أمنع الانتقاد مطلقاً، ومن الجمود أن يُمنع مطلقاً، ولكن للحياة موازين إذا جُهلت أو عُطّلت انقلبت وسائل الحياة لوازم موت، وأسباب السعادة بذور شقاء.

وقد وضع المفكّرون والأدباء للانتقاد مقاييس ليس من غرضنا في هاته الكلمة تفصيلها ولا إجمالها، وإنما نريد أن نضبط للكُتاب طريقتنا فيما تتسع «البصائر» لنشره من الانتقاد وما تأباه منه، وذلك حسب اجتهادنا الآن، وقد يتغيّر الاجتهاد.

١ ـ ننشر الانتقاد لمسألة علمية أو فكرة نظرية إذا تجرّد عن الشخصيات، ونودّ لو يظهر الكاتب انتقاده في أسلوب إنشائي مستقل لا ارتباط له في اللّفظ بمقال أو قائل.

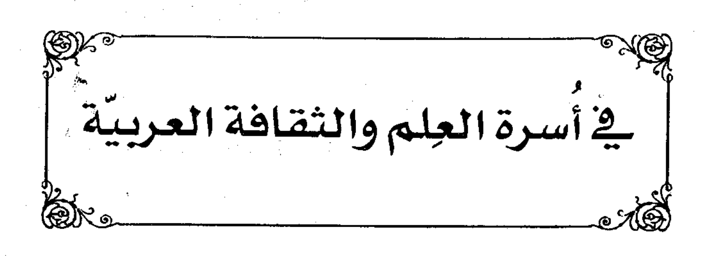
٢ ـ وننشر ما تعلّق بشخص أو هيئة أو مشروع بشرطين: أن يكون في الانتقاد

فائدة عامّة، وأن يكون فيها انتقد مضرّة تزيد بالسكوت أو لا تُعلَم إلاّ بالإعراب عنها وإفشائها.

٣ ـ ونلغي كلّ انتقاد لا فائدة له إلاّ نباهة خامل وانتفاخ مطاول وظهور جبان بمظهر الصائل، فإن في الجزائر أُناسًا وصُحُفاً يودّون لو تشتغل «البصائر» بهم، ومعاملة الفاجر بنقيض مقصوده من الأصول الراسخة[1].

قلم التحرير

(١) «البصائر»: العدد (١٣٠) الصادر يوم الجمعة ١٤ رجب ١٣٥٧هـ ٩/ ٩/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



في أُسرة العِلم والثقافة العربيّة

لم يزل جامع الزيتونة المعمور منهلاً عذبًا للنفوس الظامئة وسراجًا وهّاجًا للعقول الحائرة. ولم يزل أبناء الجزائر يؤمّونه. وكلّ سنة نرى لطائفة منهم ذكرًا في جدول الناجحين.

وفيما يلي نقدّم أسماء الناجحين هاته السنة راجين لهم مستقبلاً حميدًا وسعياً مشكورًا.

شهادة التحصيل لم يشارك فيها إلاّ فرد واحد وقد فاز مع ملاحظة أحسن وأخذ جائزة.

١ ـ وهو الشيخ محمد بن نمر البليدي[١].

والشهادة الأهلية حصل عليها السادة:

١ ـ العيد اللموشي.

٢ ـ وعلي مدوكالي.

٣ ـ وأحمد القنطري.

(١) ثم صُوِّب في العدد (١٣٤) إلى: محمد بن الربيع بن أحمد بن ناصر.

والثلاثة بملاحظة أحسن.

والجائزة ومن غير ملاحظة:

٤ ـ محمد بن عبد الله اللموشي.

٥ ـ محمد بن أحمد اليحياوي.

٦ ـ محمد بوجلال السلطاني.

٧ ـ الزبير مدوكالي.

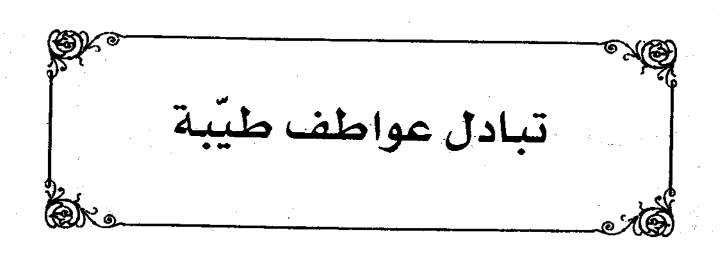
٨ ـ محمد البجاوي الطولقي.

٩ ـ العربي بن اسماعيل.

١٠ ـ محمود التجاني[١].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٣١) الصادر يوم الجمعة ٢١ رجب ١٣٥٧هـ ١٩/ ٩/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



تبادل عواطف طيّبة

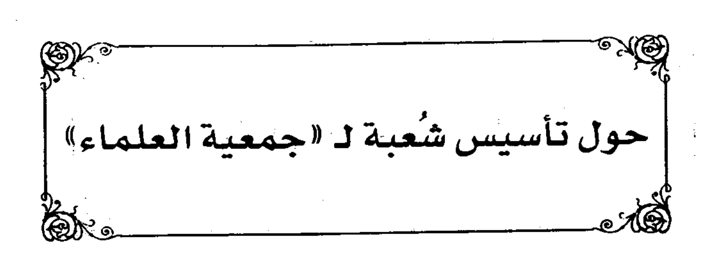
كتب إلينا كثيرٌ من الأصدقاء والأدباء رسائل يهنّوننا فيها بسلامة العود ومباشرة الإدارة.

وقد كان لتلك الرسائل أثرٌ جليلٌ قوّى معنوياتي إلاّ أنه جعلني أشعر بثقل العجز على إبداء عواطفي نحو كلّ واحدٍ منهم وإجابتهم بالرسائل الخاصة.

وإني أثق بأنهم يعذرونني متى اعتذرت لهم بكثرة الأعمال وتزاحم الأشغال. وهذا ما يرفع عنّي الشعور بوقع ظنّ التقصير في الإجابة الخاصّة.

فشكرًا لهم على رقّة عواطفهم. ودعاؤنا لله أن يحفظهم في أنفسهم وذويهم ودينهم[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٣٢) الصادر يوم الجمعة ٢٨ رجب ١٣٥٧هـ ٢٣/٩/١٩٣٨م، بدون إمضاء.



حول تأسيس شُعبة لـ «جمعية العلماء»

كتب السيد مغلاوي سعد عن زيارة الأديبين الفاضلين: السيد أحمد بوشمال والسيد عبد الحفيظ الجنّان للسكيكدة لتأسيس شُعبة بها.

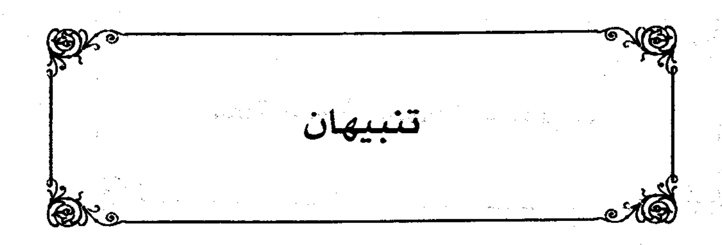
وذكر ما بذله معهما وبعد عودتهما هو والسِّيد محمد المرتضى من المساعي، ولكن عوامل حالت دون التأسيس مع تعلّق الأُمَّة بجمعيتها.

وترجع تلك العوامل الموانع فيما كتب به الكاتب إلينا إلى ضعف الثقافة العربية هنالك وتمزيق الاختلافات الانتخابية لشمل المسلمين واعتبار الدخول العلني في «جمعية العلماء» مما تؤاخِذ عليه الحكومة.

فأين الإدراك؟ وأين الشجاعة؟[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٣٢)، بدون إمضاء.

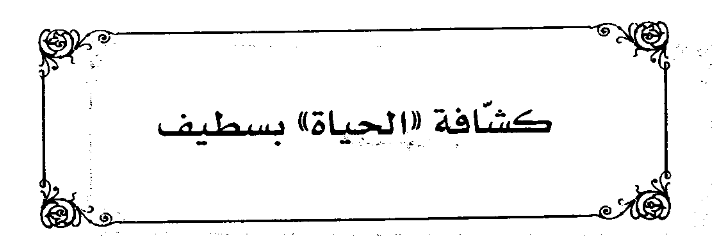


تنبيهان

١ ـ لا يزال بعضُ الكُتّاب يُخفي علينا اسمه الصريح، فلا عِتاب على الإدارة في إهمال كتابته.

٢ ـ يكتب بعضُهم إلينا بعنواننا الشخصي، وهذا تشويش على الإدارة، وإنّ كلّ كتابة لا ترسل بعنوان الإدارة المبيّن في أعلى الصحيفة ستكون عُرضةً للضياع[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٣٢)، بدون إمضاء.



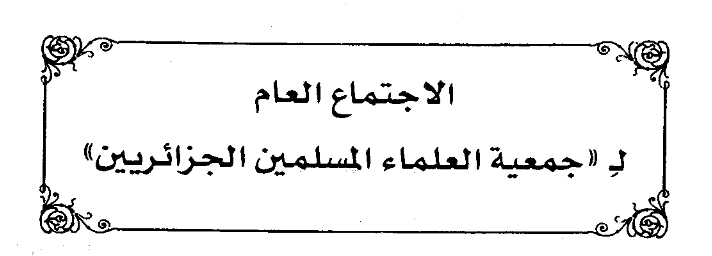
كشّافة «الحياة» بسطيف

«البصائر»:

جاءتنا هاته الكلمة أوّلاً خاليةً من الإمضاء، مرفقةً ببطاقة من الشيخ عمر البسكري، فلما نبّهنا على لزوم علم الإدارة باسم الكاتب جاءتنا رسالةٌ تحمل إمضاءً صريحاً، فرأينا أن نثبته.

فعلنا هذا التحرّي حتى لا تتحمّل الإدارة غضب من يغضب لمدح أحد أو ذمّه، وحتى لا يتكرّر الموقف الذي وقفه معنا الشيخ عمر بن البسكري لما وثقنا بخبر كاتب عن حال سطيف ورغبة لشبابها، فنشرناه في عدد مضى، واستاء له الشيخ عمرو[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٣٢)، بدون إمضاء.



الاجتماع العام
لِـ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

بهذا الاجتماع تودّع «جمعية العلماء» سبع سنوات لتأسيسها، وتستقبل عامها الثامن، وهي فخورة بما تيسّر لها من خدمات للشعب الجزائري، دينية وخُلقية وعلمية واجتماعية، شاكرة لله تعالى على ما وفّقها إليه من ثبات على المبدأ وصبر على المحنة وإخلاص في الخدمة؛ خدمة الدِّين والشَّعب، قوية الثقة بالله والرجاء في حياة الأمة، والإيمان بشرف الوسيلة ونُبل الغاية.

والذي واظب على حضور الاجتماعات العامّة الماضية يدرك اطّراد الرقيّ والتقدّم في سير هاته الجمعية، فإنّ الحاضرين اجتماع هاته السنة على كثرتهم يُلاحَظ أنّ بينهم عددًا وافرًا لم يتقدّم له أن شهد أيّ اجتماع عامّ في الماضي، وإنّ في من تأخر عن الحضور هاته السنة جمعًا كبيرًا شديد الولاء للجمعية والإخلاص لها، لم يحبسه إلاّ العذر القاهر مع الأسف البالغ، وقد كانت رسائل الاعتذار وبرقياته أكثر منها في الماضي عددًا وأبين في الارتباط بالجمعية وأصرح في الوفاق على الأعمال.

أعلن رئيس الجمعية في صحيفتها «البصائر» أن مدّة هذا الاجتماع ثلاثة أيام، أوّلها يوم الجمعة الثامن والعشرين من رجب، والثالث والعشرين من سبتمبر

(أيلول)، وتقدّم مجلس الإدارة فوضع برنامج أعمال الاجتماع وهيّأ لوازمه.

وفي مساء الخميس نزل جمهور الوافدين بمدينة الجزائر، وأمّوا نادي «الترقي» حيث مركز الجمعية، ثم لحق باقي الوافدين مساء يوم الجمعة فكان حفل حاشد غصّ به النادي وغرفاته.

(صباح الجمعة)

افتُتِحت الجلسة برئاسة الرئيس الأستاذ عبد الحميد بن باديس وحضور أعضاء الإدارة على الساعة العاشرة بالتعديل الإفرنجي، وذلك قبل الزوال بساعتين.

فقدّم الرَّئيسُ الشَّيخَ الطيِّب العُقبي لتلاوة آيات من الذكر الحكيم، فتلا سورة الفاتحة والربع الأول من الحزب الثالث، وإثر ذلك قام الرئيس، فرحّب بالحاضرين ترحيبًا يغرس الودّ في فؤاد الكريم، وأبلغهم تحية إخوانهم مساجين «سُوف» بقسنطينة الذين زارهم حديثاً، وذكر ما قامت به الجمعية نحوهم لتساؤل الناس عن ذلك وتشوّقهم لمعرفة الواقع، ثم قام الكاتب العام الشيخ العربي التبسي فتلا ما اختاره من رسائل المعتذرين والمعتذرات، ثم استوعب قراءة أسمائهم الكثيرة، سواء من اعتذر بالرسائل، أو من اعتذر بالبرقيات.

(مساء الجمعة)

افتُتِحت الجلسة على الساعة الرابعة بعد الزوال، فقدّم الأستاذ الرئيس للكلام الشيخ البشير الإبراهيمي المعروف بسَعة الاطلاع ودقّة النظر وجودة التفكير، فألقى محاضرة في فضل العربية على العلم والمدنية، كانت عامرة الجوانب، سامية الروح، متّسقة المباحث، فصيحة البيان، ولطولها غير المملّ وفعلها بالألباب غير المحظور أعلن الرئيس الاكتفاء بها.

(صباح السبت على الساعة التاسعة)

افتُتِحت الجلسة بتلاوة الآيات ثم تلاوة الرئيس للتقرير الأدبي البليغ، والكاتب لأسماء المعتذرين بالبرقيات التي جاءت أخيرًا، واكتفى من أصحاب الرسائل ببعضها لكثرتها، على أنه قد لحق بعد ذلك غيرها من الرسائل والبرقيات، وتلا أمين المال التقرير المالي، وعرّفهم بحقّهم في الاطّلاع على الدفتر ورغّبهم في ذلك، وقد صادقوا على التقرير برفع أيديهم جميعهم، وتشكّل مكتب الانتخاب من السادة:

- الشيخ محمد بن مرزوق: رئيس.
- الشيخ محمد الصالح بن عتيق: كاتب.
- السيد الحاج يوسف دمرجي: كاتب.
- الشيخ أحمد حماني الميلي: عضو.
- السيد قدور بن هونة: عضو.

(مساء السبت)

ابتدأت عملية الانتخاب على الساعة الثانية بعد الزوال، وبعد الخامسة أعلن رئيس المكتب النتيجة، فاجتمع أعضاء الإدارة وشكّلوا المكتب، وخرجوا لمقابلة الجمهور، فتلا الرئيس الأستاذ عبد الحميد آيات من سورة الأحزاب من قوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ـ حتى قوله ـ ﴿وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾﴾ [الأحزاب: ٢١ ـ ٢٥]، ثمّ خاطب الحضور بأن لا جديد في الأعضاء غير الشيخ محمد الطاهر الجيجلي وعرّفهم بعلمه وفضله، وأن لا جديد في مكتب الإدارة غير تخلي أمين المال عن أمانته بأعذار شرعية مقبولة، وخلف الشيخ أحمد بن معيزة له في ذلك، وأثنى على الخلف والسلف.

(صباح الأحد)

افتُتِحت الجلسة على التاسعة بتلاوة الرئيس قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝١٠٧﴾ [الكهف: ١٠٧] حتى ختام السورة، ثم ألقى خطابًا عامراً موضوعه: «العرب في القرآن»، وإذا كانت خطاباته ممتازة فإن هذا الخطاب من بينها ممتاز، ثم ختم بتلاوة: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ - حتى - ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝١٠﴾ [يونس: ٦ - ١٠].

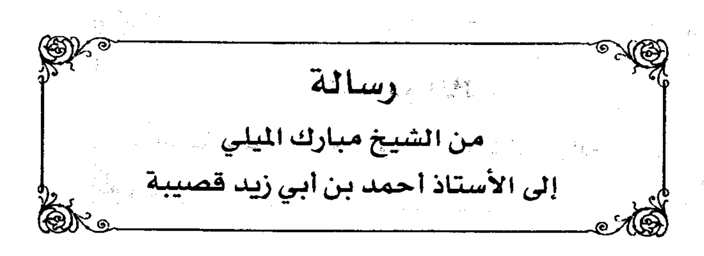
(مساء الأحد)

على الساعة الثانية بعد الزوال أخذت الوفود ترد الواحد إثر الآخر على مجلس الإدارة للتوديع والتواصي بالحق والتواصي بالصبر.

وهكذا تمّ الاجتماع العامّ على أحسن حال، ولم يحدث أيّ حادث غير إلحاح الشيخ الطيِّب على إخوانه أن لا يرشّحوه لمجلس الإدارة، وعلى الأعضاء العاملين أن لا ينتخبوه لو يُرشَّح، وقد انتهى الحادث من طرف أعضاء الجمعية بترشيحه وانتخابه، ومن طرفه بنشره التسليم في الصحف، فنرجو من كلّ راغب في المحافظة على وحدة الأمة أن لا يتوسّع في التأويل والشرح، وكلّ من وسّع هاته النقطة فإنما هو خصم الأُمَّة، وإلى الله تردّ الخُصماء[1].

مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١٣٣) الصادر يوم الجمعة ٥ شعبان ١٣٥٧هـ، ٣٠/ ٩/ ١٩٣٨م.



ميلة في ٣/ ١٠/ ١٩٣٨م

ابننا الأبرّ السَّيِّد أحمد بن بوزيد.

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

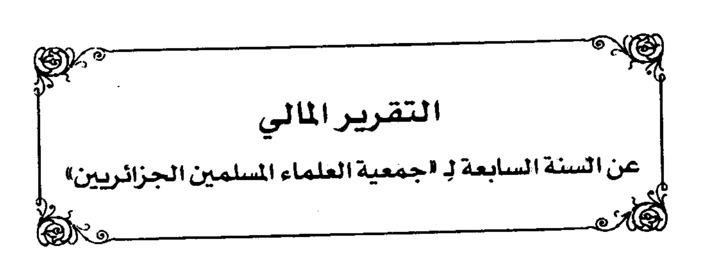
انتهى إليَّ كتابكم مهنِّئًا بالعود من سفر الاستشفاء، ومستبشرًا بما منَّ الله علينا به من مبادئ الرَّاحة المقويَّة للأمل في الشِّفاء.

وإنِّي أقدِّر عواطفكم هاته وحسن رعايتكم لرابطة التَّلمذة.

وأسأل الله لكم مستقبلًا عامرًا بجلائل الأعمال الخالدة.

اقرأ سلامنا على الإخوان جميعهم.

مبارك الميلي



التقرير المالي

عن السنة السابعة لـ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

تلاه أمين ماليتها بمركزها بنادي الترقي من مدينة الجزائر.

على الاجتماع العام يوم السبت صباحا ٢٩ رجب ٢٤ سبتمبر عام ١٣٥٧هـ-١٩٣٨م.

* * *

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى، ثم السلام عليكم أيها المسلمون المستسلمون لله وحده، غير المستسلمين للجهل وما تهوى الأنفس.

أما بعد، فإذا كان شيء يشبه العلم في زكائه بالإنفاق وعموم الحاجة إليه وكثرة منافعه فذلك الشيء هو الثقة، فإنها كنز لا يفنى وشفيع لا يُردّ ولذّة لا تنغّص، وإذا كان من العلم ما هو شرّ لكنه مذمّة للعالِم لا للعلم نفسه، فمن الثقة ما هو ضر لكن المنقصة في الواثق لا في الثقة المجردة.

أيها السادة إنّ الثقة بالله أولاً وبالنفس ثانيًا وبالأخ في الإنسانية ثالثًا.

فالثقة بالله إيمانٌ به ورجاءٌ في وعده وخوفٌ من وعيده.

فالإيمان به الإيمان المجدي يحمل على احترام شرعه وتقديم أوامره ونواهيه على أومر ونواهي سواه من أجل تقديم الوثوق به على الوثوق بالنفس وبالإنسان.

ورجاء وعده وخوف وعيده ـ الرجاء والخوف المفيدين ـ يدعوان إلى تعرّف أسباب رضاه وجوالب سخطه للأخذ بتلك الأسباب المثمرة لخير الدنيا وسعادة الأخرى، والابتعاد عن تلك السبل المفضية إلى تعاسة العاجلة وشقاوة الآخرة.

فلزامًا على الواثق بالله أن يبحث عن سننه في الكون وما جعله من أسباب التقدّم والعمران أو من علل الانحطاط والخراب كما يبحث عن دينه لمعرفة طريق النجاة وسبل الهلاك.

وإذا كان القرآن والحديث مرجع من أراد الآخرة وسعى لها سعيها، فإنهما أيضا أصل يرشد إلى الصواب في السنن الكونية، والتاريخ مصداق ذلك الأصل بما فيه من سير الأنبياء صلوات الله عليهم وأخبار العلماء والصلحاء وحوادث الدول والشعوب.

ومن ظن الثقة بالله استسلاماً للقضاء والقدر واطراحا للسعي والنظر فقد حرّف معنى الثقة وأساء إلى نفسه وإلى دينه، ونحن مطالَبون بالرضى بالقضاء والإيمان بالقدر، ولكن الرضى غير الاستسلام.

فتعرفوا أيها السادة أن الثقة بالله اعتدال بين طرفي الاعتداء على الأسباب بإلغائها والاعتماد عليها وحدها.

وثقة المرء بنفسه ـ أيها الرجال ـ شعور بوجوده وصمد نحو ما يحفظ ذلك الوجود وأخذ بما يكمّله ويشرّفه، فالواثق بنفسه لا يرضى أن يكون ميتًا بين أحياء، ولا يقنع بتنفسه الطبيعي، ولا يجتزيء بما تجتزيء به العجماوات من قُوتٍ ضروري، فتراه يعمل ويدأب، ويجرّب الأسباب، ويمتحن الحياة، ولا يجبن إذا دُعي إلى مواطن الشرف ويقدم على مهاوي التلف.

إن الوثوق بالنفس استكمال لمواهبها واستحصال لمطالبها، والوثوق المحمود واسطة بين الاستسلام والغرور، ووسط بين البطالة والظلم.

وثقة المرء بأخيه ـ أيها الإخوان ـ استعانة على ما لا يقوى عليه الواحد من نوع الإنسان.

ولكل إنسان حياتان: إحداهما لنفسه والأخرى لمجتمعه، ولا تفيده حياته لنفسه إلاّ إذا حيي لمجتمعه، ولا يفيد مجتمعه إلاّ إذا حيي لنفسه.

وإذن كلّنا في حاجة إلى الاستعانة بالإخوان، ولا تجدي الثقة بالنفس ما لم تغذها الثقة بالإخوان، ولا تستفيد الثقة بالإخوان ممّن فقد الثقة بنفسه، فلنتبادل أيها الإخوان الثقة ولنتعاط أسبابها، فإن طلب الشيء من غير سببه ضلال، ولا سبب أظهر لوثوق غيرك بك مثل سعيك في صالحه وإرادتك الخير له.

ومن ههنا أمرنا الشارع بإفشاء السلام وجعله من خير خصال الإسلام.

ومن أجل حاجة المرء إلى الثقة بغيره كانت الحكومات في حاجة إلى ثقة شعوبها بها، وشعوبها في حاجة إلى أن تثق هي بهم.

وقد أعطى رجال «جمعية العلماء» المثل في الثقة بالله ثم بالنفس والأخ، ووثقنا من الشعب بالتأييد، ووثق الشعب بإخلاصها لصالحه، وسعت في غير رياء ولا ضعف لكسب ثقة الحكومة بها وبسلامة طويّتها وطويّة هذا الشعب الجزائري.

هذا؛ وإنّ مبنى الثقة على وضوح الخطة واستقامة السلوك واعتماد النفع العام، وجمعيتكم أُسِّست على هذا المبنى، وثبتت عليه إذ هي كلّ سنة تقدّم لكم ولكلّ راغب في الاطلاع تقاريرها الأدبية والمالية، وهذا بيان مالية السنة السابعة:

فضل السنة الخالية كما تضمنه تقريرها	٥٩٦٦٥١،٧٠
فضل السنة الخالية لحق بعد تقريرها	٣٠١٨،٠٠
الداخل في السنة الحالية	٩٨١٦٠،٧٥
مجموع الداخل	١٦٠٨٣٠،٤٥
جملة الخارج	٨٨٥٣٦،٤٥
جملة الباقي	**٧٢٢٩٤،٠٠**

وهذا تفصيل المقبوض في هاته السنة:

١ ـ لحق إثر الاجتماع العام الماضي:

من شُعبة البرواقية في كرّتين	١١٩٨
من شُعبة جيجل	١٠٠
من شُعبة عزّابة	٢٥٠
من شُعبة شلاّلة	٣١٠
من شُعبة الاجناح	٧٠
من شُعبة خنشلة	٣٥
من شُعبة الواد	٢٠٠
من لجنة الإدارة	٨٥٥

٢ ـ وجاء أثناء السنة ما يلي:

من شُعبة لمدية	١١٥٠
من شُعبة العلمة	٥٠٠

من شُعبة عين ياقوت	٥٠٠
من شُعبة القرارم	٥٠٠
من شُعبة بريكة	٥٠٠
من شُعبة باتنة	١٠٠٠
من شُعبة صدراتة، في كرّتين	٨٠٠
من شُعبة قسنطينة	٢٠٤٣
من شُعبة عين البيضاء	١٠٠٠
من شُعبة الواد	٢٥٠
من شُعبة البليدة	٤٤٠
من شُعبة تبسة	٥٩٠
من شُعبة بسكرة	١٠٠٠
من شُعبة سطيف	١٠٠٠
من شُعبة قالمة	١٠٠٠
من شُعبة جيجل	٢٠٠٠
من شُعبة عين قشرة	٤٧٠
من شُعبة الأغواط	٦٠٠
من شُعبة بجاية، في كرّتين	١٠٠٠
من شُعبة سيدي بلعباس، في كرّتين	٨٠٠
من شُعبة شاطودان	٥٠٠

من شُعبة تاملوكة	٥٠٠
من شُعبة الميلية	٥٠٠
من شُعبة البرواقية	٥٠٠
من شُعبة شلاّلة	٥٠٠
من شُعبة قنزات	٤٥٠
من شُعبة برج أمّ نايل	٣٠٠
من شُعبة عين مليلة	٤٠٠
من شُعبة ميلة	٦٠٠
من شُعبة القنطرة	٥٠٠
من شُعبة عزّابة	٦٠٧،٣٥

٣ ـ وجاء بعد ذلك اشتراكًا:

من السيد المقدّم بن عثمان بطولقة	٢٥٠
ومن شُعبة السكيكدة	٤٠٠
من شُعبة شرشال	٢٠٢١
من شُعبة بوسعادة، في كرّتين	٢٨٠
من شُعبة صدراتة	١٧٠٠
من شُعبة المعسكر	٥٧٠
من شُعبة تلمسان	٤٠٠٠
من شُعبة بلعباس	١٢٢٠

من شُعبة العلمة، في كرّتين	٢٣٨،٠٥
من شُعبة سيدي عيسى، في كرّتين	٣٢٠
من شُعبة القعدة	٢٥٠
من شُعبة مسكيانة	٢٤٠
من شُعبة أمّ البواقي	١٤٠
من شُعبة سوق أهراس	٦٠٠
من شُعبة بسكرة	١٦٠٠
من شُعبة البليدة	٢٠٣٠
من شُعبة سيق	١٣٠٠
من شُعبة البيضاء	٧٢٠
من شُعبة القرارم	٢٠٠٠
من شُعبة الميلية في كرّتين	١٠٣٠
من شُعبة الأغواط	١٢٧٥
ومن شُعبة قنزات	٦٩٣
ومن جماعة باريس على يد ش.سعيد صالحي	٦٢٦٢،٧٠
ومن الجزائر على يد الشيخ فرحات كرّتين	٤٧٧٠
ومن اللجنة الإدارية	١١٣٥
من شُعبة بوفاريك	٧٢٠
من شُعبة ريني (السبت)	٥٠٠

من شُعبة سيدي موسى بمتيجة	٧٠
من شُعبة باتنة	٦٥٠
من شُعبة قسنطينة	٤٧٦٥
من شُعبة سيقوس	٨٠٠
من شُعبة الجناح	٣٠٠
من شُعبة الأصنام	٩٥٠
من شُعبة البرواقية	٤٧٠
من شُعبة لمدية	٥٦١٠
من شُعبة المسيلة	١٠٠
من شُعبة سيدي عيش	٤٢٠
من شُعبة برباشة	٨٢٥
من شُعبة القصر الكبير	٦٠٠
من شُعبة بجاية	٧٧٥
من شُعبة تاملوكة	٥٠٠
من شُعبة سطيف	٣٠٠٠
من شُعبة قلعة بني عباس	٦٦٥
من شُعبة ميلة	١٢١٠
من شُعبة جيجل	١٥٠٠
من شُعبة قالمة	٦٠٠

من شُعبة العوينات ٦١٩،٢٠

من شُعبة غليزان ٤٠٠

من شُعبة عين مليلة ٧٧٥

من شُعبة القرزي ١٢١

من شُعبة برج أمّ نايل ١١٠٥

من شُعبة عين قشرة ٩٠٠

من شُعبة شلالة ٥٤٥

من شُعبة الغزوات ٢٣٧

من شُعبة القنطرة ٤٠٠

من شُعبة كوينين ٢٠٥

من شُعبة دلّس ٧٠٦

من شُعبة تبسة ١٨٥٦

من شُعبة الجلفة ٥١١

من شُعبة وهران، كرّتين ٨٨٥

من شُعبة دكان قرب جيجل ٢٢٠

من شُعبة بريكة ٢٦٠

اشتراك سوفي ٢٥

من شُعبة عزّابة في كرّتين ٣٤٥

من شُعبة شاطودان ٤٧٥

٤ ـ وجاء من بيع السّجِلّ في غير باريس لكون ثمن سجلّها أُجْمِل مع جملة ماليتها:

بصدراتة	١٥٠
بسيدي بلعباس	٥٢٥
بسيدي عيسى	٦٠
بأمّ البواقي	١٢٠
ببريكة	١٥٠
بالبليدة في ثلاث كرّات	٤٥٠
بالبيضاء	٧٥
بالأصنام	٥٠
بالشلالة	٩٠
السيد بلقاسم السوفي	١٣٥
بتاملوكة	٢١٠
بورقلة	١٥
بالوادي	٣٠
بلمدية	٣٠
بميلة	٣٠
ببرج أمّ نايل	١٥٠
بغليزان	٣٠٠
بالحجاز عن طريق عين مليلة	١٥٠
بالحجاز عن طريق ميلة	٣٠
السيّد سي الصغير علي بميشلي	٤٥

فإذا جمعت تلك الدواخل الأربع المفصلة إلى باقي السنة الماضية المنصوص عليه في تقريرها ألفيت مجموع الداخل كما ذكر أوّلاً ١٦٠٨٣٠،٤٥.

وقد سمع الحاضرون تلاوة التقرير أنّ جملة الداخل دون هذا بنحو خمسة آلاف، ولكنا استأذناهم في إضافة ما يلحق ذلك اليوم ضبطاً للمالية ودفعاً للإيهام الذي كنا سابقًا نخصّه بالتنبيه بعد نشر التقرير المالي، فلما أضفنا ما لحق ذلك اليوم بلغ ما ذكر أعلاه، والزيادة في مثل هذا تسرّ ولا تضرّ.

* وإذا علمتم تفصيل الداخل فهاكم بيان الخارج:

- ففي الاجتماع العام من اكتراء كراسي وطبع الاستدعاء:	١٤٤٣،٦٠
- وفي الاجتماعات الإدارية مركباً وإقامةً على حساب ٣٠ لكل أحد يومياً:[1]	١٦٤٨٢٠،٧٥
- وفي المشاريع العلمية والدينية بالجزائر وبفرنسا:	٢٠٢٧٦،٠٠
- وفي المطبوعات منها منشورات ومنها تكملة طبع السجلّ:	٨٧٢٦٠،٧٠
- وفي طوابع بريد ووصولات وطرود المقتطعات والبرقيات:	٥٥٨٤،٦٠
- وفي أسفار الوفود بالجزائر وإلى فرنسا:	١٧٨٤٧٠،٦٥
- وفي مكاتب العمالات تأثيثاً وأجرةً وكراءً:	٨٦٨٨،٦٥
- وفي الدفاع عن التعليم ومساجينه:	٤٤٨٦،٥٠
- وفي إمداد «البصائر»:	٥٠٠٠٠،٠٠
الجملة كما ذكرنا سابقًا:	٨٨٥٣٦،٤٥

(١) من خصوم الجمعية من يستكثر على أعضاء الإدارة المرتب اليومي فتًّا في الأعضاد. والواقع أن ذلك المبلغ لا يفي بكراء البيت وثمن الطبخ، فالأعضاء الواردون على مركز الإدارة متبرّعون بالزائد. [البصائر]

هذا؛ وإنّا لا نريد أن نكتفي بهذا التفصيل ـ كعادتنا ـ عن مراجعتكم للدفتر، فهو تحت طلبكم، ونرغب في الاطلاع عليه ممّن شاء من الأعضاء بأقسامهم الثلاثة، ولكن نعرض عليكم الثقة التي لا تحول بينكم وبين دفتركم، فهل أنتم لهذا الحساب مصدّقون وبمجلس إدارتكم واثقون؟

(رفع الجميع أيديهم بالموافقة على الحساب).

وإن الثقة التي نعرضها عليكم أيها الإخوان هي الثقة المبنية على النظام لا على التسليم تسليم الميت لغاسله، وإنا ننكر كل ثقة تغلّ الفكر وتحبس في النفس حبّ الاطلاع والتعرّف إلى الأسباب.

وترون من ذلك الحساب أن مالية الجمعية هذه السنة قد أربت عن سابقتها رغم إرجاف المرجفين وأقاويل المثبّطين واغترار المغترّين.

نعم، في الخارج هاته السنة زيادة عن الماضية بثمانية آلاف وبضع مآت؛ ولكن زيادة الخارج كانت دون زيادة الداخل، فكان فضل هاته السنة أكثر من فضل سابقتها، وإن تلك الزيادة القليلة في الخارج ناشئة عن إحداث المكاتب العمالية في السنة الماضية ومن إمداد الحركة الإصلاحية بفرنسا.

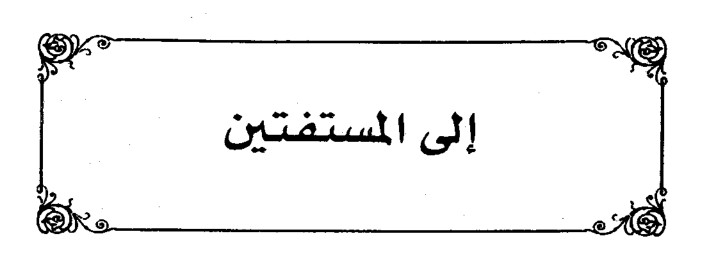
على أن مجلس إدارتكم الذي يسير في دينه حسب الكِتاب والسُّنَّة، وفي نظمه حسب التجارب، قد رأى أن يقتصد من تلك المكاتب ما رأى الاستغناء عنه، وأن يكتفي في تشجيع الإصلاح بفرنسا على الناحية الإرشادية والارتباط الأدبي.

وإني أكرّر دعوتي لكم إلى الثقة المحمودة وتشجيع مجلس إدارتكم على المضي في طريقه لخدمة الإسلام والعربية بالإعراض عمن يلقي إليكم فيه بكلمة السوء

وبالاحتراس من دسائس المفسدين وتهويلات المغرضين، ولا سلاح يقيكم هجمات المناهضين لجمعيتكم كالتفافكم حول إدارتها التي تختارونها بأنفسكم وتنفيذكم لإرشاداتها وسخاء أيديكم على صندوقها، وبذلك تحفظون أنفسكم من التهلكة امتثالا لقول الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠][1].

مبارك بن محمد الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١٣٤) الصادر يوم الجمعة ١٣ شعبان ١٣٥٧هـ، ٧/ ١٠/ ١٩٣٨م.



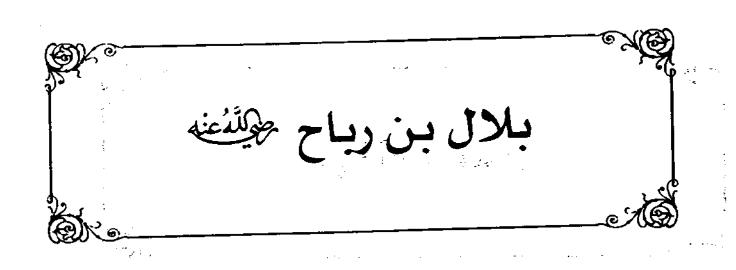
إلى المستفتين

إنّ لجمعية العلماء لجنة استفتاء، رئيسها الشيخ العربي بن بلقاسم التبسّي في تبسّة.

فكلّ استفتاء يجب أن يُرسَل إليه بعنوانه.

وكلّ استفتاء يُرسَل إلى إدارة «البصائر» فهي غير مسئولة عن إهماله[1].

(١) البصائر: العدد (١٣٤)، بدون إمضاء.



بلال بن رباح رضي الله عنه

رواية مسرحية شعرية لتلامذة المدارس.

إنشاء الأستاذ محمد العيد آل خليفة، مدير مدرسة الشبيبة بمدينة الجزائر.

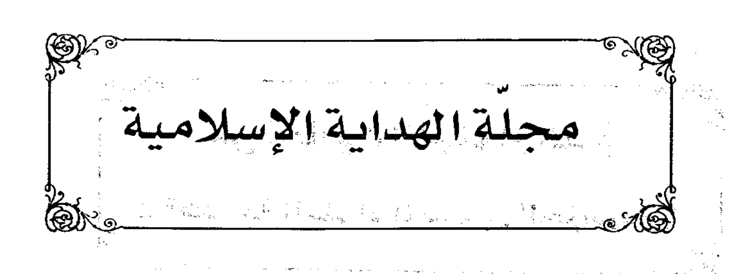
طبع المطبعة العربية بالجزائر في أربع وعشرين صفحة من القالب الصغير.

وقد رمى منشئها الأديب إلى بثّ روح الثبات على المبدأ بين الناشئة واحتمالهم المكاره في سبيل الدِّين، ولفتهم إلى أنّ العظمة الحقّة والمجد الخالد إنما يكونان بسموّ النفس وطهارة الروح وكمال الخلق.

فنشكر أديبنا المنتج على عمله المفيد. ونرجو أن يعرف القُرَّاءُ واجبَهم في تشجيعه والاستفادة من مواهبه[1].

---

(١) البصائر: العدد (١٣٤)، بدون إمضاء.



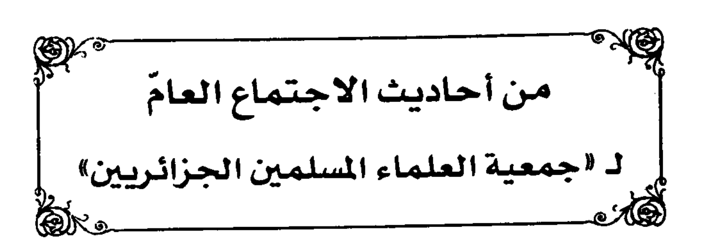
مجلّة الهداية الإسلامية

صدر في رجب الجزء الأول من المجلد الحادي عشر لهاته المجلّة القيّمة.

وقد ظهرت عليه آثار التقدّم وآيات عناية مديرها ورئيس تحريرها الشيخ محمد الخضر بن الحسين.

نسأل الله أن يحفظ على فضيلة المدير نشاطه، ونرجو للمجلة اطّراد التقدّم والرواج[1].

(١) البصائر: العدد (١٣٤)، بدون إمضاء.



من أحاديث الاجتماع العامّ

لـ «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»

«قام السيد أحمد حماني متجوّل «البصائر» بتسجيل ما دار في هذا الاجتماع، دقيقه وجليله، قياماً دلّ على ما له من تفوّق في الوعي ودقّة في الملاحظة وأمانة في التصوير.

ولاستيعابه للجلسات كان في حديثه ما تغني عنه افتتاحية العدد ١٣٣ وفيه ما نُشر في هذا العدد على حدة. وذلك خطابان للرئيس. وباقيه نقدّم بعضه للقراء فيما يلي.

وقد جمعناه في النشر على طوله جمعا لموضوع الاجتماع العام.

وسيقف القارئ على سبب استعفاء الشيخ الطيّب وما حفّ به من أحاديث.

وقد دعانا إلى نشره :

أولاً: ذيوعه في الوطن الجزائري بتفرّق من حضر الاجتماع من سائر القطر.

وثانيًا: إيضاح ما في كتاب الاستعفاء المنشور بهذا العدد من خفاء .

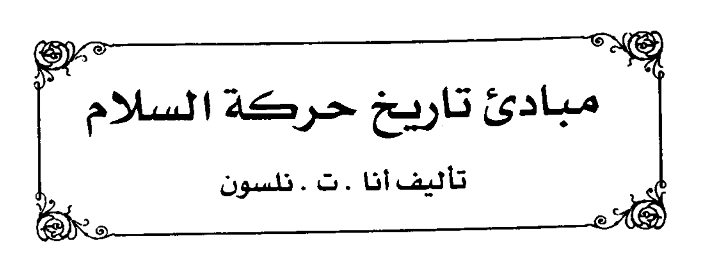
وثالثًا: حديث الصحف غير الجزائرية عن هذا الاستعفاء مع التخرّص أو التقوّل في سببه.

ونحن قد نسكت عن بعض ما نعلم من الوقائع لا الشرائع لغرض حميد.

وإذا لزم القول سجّلنا الحقيقة»[1].

قلم التحرير

(١) البصائر: العدد (١٣٥) الصادر يوم الجمعة ٢٥ شعبان ١٣٥٧هـ ١٤/ ١٠/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



مبادئ تاريخ حركة السلام

تأليف انا . ت . نلسون

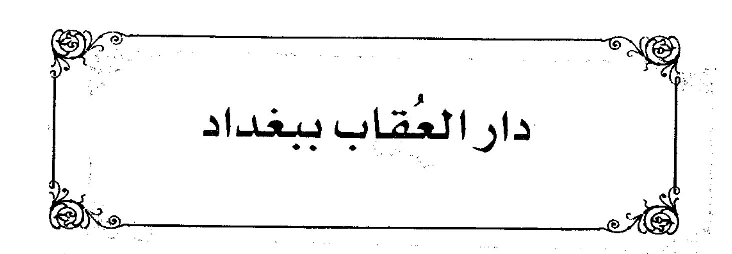
نَشْر السيّد محمود نسيم صاحب المكتبة المصرية بالجزائر، وطبع المطبعة العربية بالجزائر.

رسالة لطيفة مفيدة في موضوعها. عرضت باختصار للجهود المبذولة في أروبا وأميركا لمقاومة الروح الحربية، وبيان تواريخ تلك الجهود.

ومبادئ السلام المعقولة قد وضعها القرآن منذ أربعة عشر قرنًا في مثل ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ...﴾ [البقرة: ٢٥١]، ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم...﴾ [الأنفال: ٦٠]، ﴿وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ...﴾ [الأنفال:٦١][1].

---

(١) البصائر: العدد (١٣٥)، بدون إمضاء.



دار العُقاب ببغداد

الأستاذ يونس بحري[1] المشهور باسم السائح العراقي، أديب فاضل وعربي خالص، عرفناه لما زار قسنطينة منذ نحو عشر سنوات. فعرفنا فيه خلالاً حميدةً من إخلاص للإسلام والعروبة ونشاط في خدمتهما وقوة إيمان بازدهار مستقبلهما.

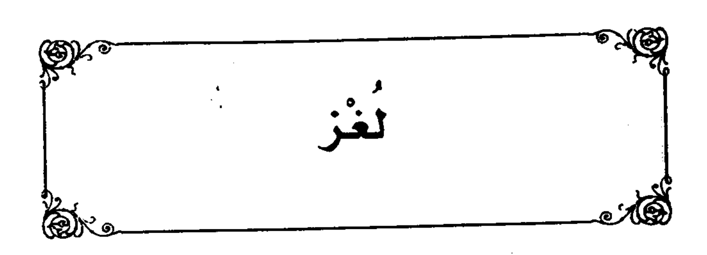
وقد تجلّى إخلاصه ونشاطه ذانك في تأسيسه دار العُقاب (بضم العين) وإصداره صحيفة «العُقاب» اليومية ثم الملحق الأسبوعي للعُقاب كمجلّة.

وأخيرًا ظهرت من تلك الدار مجلة «الراديو» الأسبوعية.

فنرجو لها مزيد الرواج وللعاملين كل التأييد[2].

(١) توفي سنة (١٩٧٩م). انظر ترجمته في «المستدرك على تتمة الأعلام» (٣/ ٢٨٤) لمحمد خير رمضان يوسف.

(٢) البصائر: العدد (١٣٥)، بدون إمضاء.

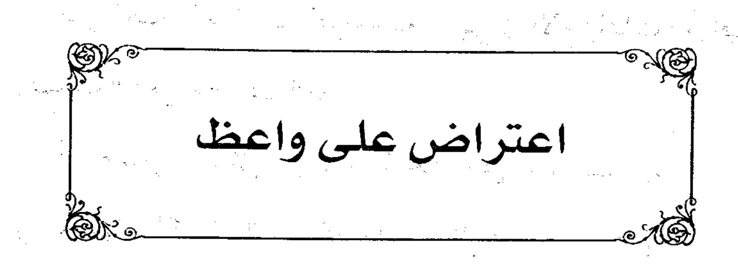


جاءنا من أحد الأدباء لُغزٌ يَعِدُ على حلّه بجوائز، وإنّا لنرحّب بهذه الأريحة ونرى فيها تنويعًا لمواضيع «البصائر».

ولكي لا نسيء إلى مستحقّي تلك الجوائز من الكُتاب بالتراخي عنهم نوقف نشر اللّغز حتى تكون الجوائز وأجرة إرسالها في إدارة «البصائر»[1].

---

(١) البصائر: العدد (١٣٥)، بدون إمضاء.



اعتراض على واعظ

جاءنا من حضرة السيد الحاج الخضر بن العياشي التونسي في البيِّض من عمل وهران أنه في أواخر جمادى الأخيرة أمّت جماعةٌ ـ جريًا على عادتها ـ قرية «سان لو» (أرزيو) لحضور الاحتفال السنوي للشيخ البوعدلي[1] فحدث فيه ما يلي:

اقترح على طالب علم غريب بينهم أن يلقي على الحاضرين درسًا، وعددهم نحو أربعمائة كلهم أُمِّيُّون غير أربعة طلبة، فتلا آية ثم قدّم للحديث عنها بمقدّمة تنازل فيها إلى العامِّية رغبةً في التفهيم، فأنكر عليه أولئك الطلبة وأعلنوا بطلان الدرس الملحون. فسكت الواعظ وتفرّق الجمع بعد أن استدلّ أحد الطلبة على البطلان بحديث «من كذب عليّ متعمِّدًا...»[2].

والمُخبِر يسأل: ما الحكم في درس تسلم آياته وأحاديثه من اللّحن. وإنما يلحن المدرِّس في كلامه؟

وهل يجب أن يراعي المدرِّس قواعد العربية في التعبير؟

---

(١) كذا، ولعله: البوعبدلي.

(٢) حديث صحيح متواتر: «صحيح الجامع الصغير» (٦٣٩٥).

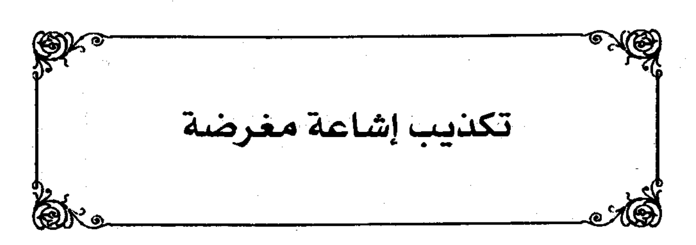
وهل الاستدلال بالحديث في محَلِّه!؟

نشرنا هذا الخبر ليعلم القُراء مبلغ الجهل في الاجتماعات الخُرافية التي جمعت بين ضعف التفكير وضعف العدد.

أما مسائل السائل فليست مما يُحال على لجنة الفتوى، ونشرها يغني عن الجواب عنها. ولكن إذا انتهت العقول إلى مثل هاته الحال فلا بأس بالجواب.

فاللَّحْنُ كذبٌ على الرّسولﷺ إذا كان في حديثهﷺ، وفائدة الدروس الفهم بأيِّ لسان. وليس الدرسُ صلاةً بل الصلاة لا تبطل بلحن الداعي. وإنما الخلاف في لحن الإمام في القراءة[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٣٦) الصَّادر يوم الجمعة ٢٧ شعبان ١٣٥٧هـ ٢١/ ١٠/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



تكذيب إشاعة مغرضة

«البصائر»:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦]، وجاء عنه ﷺ النهي عن تصديق بني إسرائيل وتكذيبهم[1]، وردّ أَئِمَّةُ الحديثِ رواية من كذب ولو في غير ما عُلم كذبه فيه، ومن الأدب العامّ أن من جُرِّبَ بالكذب لا يُصَدَّق في أخباره.

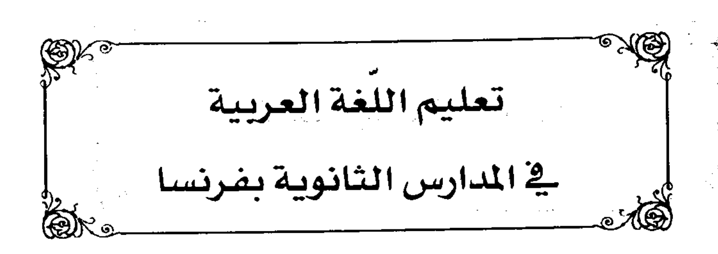
فالواجب أن لا يغفل المسلمون عن هذا الأصل المقرّر بالكتاب والسنة وإجماع الأئمّة واتّفاق الأدباء، عند ما يجدون خبرًا بإحدى الصحف التي استحلّت الكذب ولم تُبالِ بأيّة كبيرة، ولا سيما إذا كان في ذلك إساءة إلى «جمعية العلماء».

وإنّ في الإعراض عن ذلك الرهط قطعًا لآمالهم في التضليل وإراحة النفس من ظُلمة الشكّ[2].

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٨٥ و٧٣٦٢ و٧٥٤٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) البصائر: العدد (١٣٦)، بدون إمضاء.



تعليم اللّغة العربية في المدارس الثانوية بفرنسا

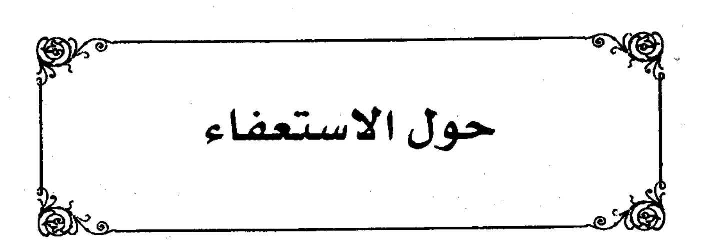
أذاعت وزارة التهذيب الوطني بفرنسا بلاغًا جاء فيه أن وزير المعارف قرّر تعليم اللّغة العربية بالمدارس الثانوية الفرنسية طبقًا لرغبة اللّجنة العليا للبحر المتوسط.

ويُقال أنّ النية موجّهة إلى جعل اللّغة العربية من بين موادّ المباريات الإدارية الكبرى.

«البصائر»:

هذا اعترافٌ رسميٌ بحيويّة اللّغة العربيّة وحبّ التقرّب من أهلها، فَلْيُشْفَعْ بحسنِ معاملة القائمين على نشرها من أصحابها[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٣٦)، بدون إمضاء.



حول الاستعفاء

الجزائر «الشرق العربي».

بعد أن استعفى الشيخ العُقبي من «جمعية العلماء» قابله مراسل «الشرق العربي» بالجزائر وتحدّث إليه فيما ينوي أن يعمله بعد هذا الاستعفاء فأفضى إليه الشيخُ بأنه سينتهز الفرصة المناسبة والظرف الملائم لكي ينشئ جمعية إصلاحية أخرى باسم «الإصلاح الإسلامي».

والمفهوم أنّ الشيخ العُقبي قد تحدّث في هذا الموضوع مع الشيخ الزاهري الذي كان استعفى منذ عامين من «جمعية العلماء» بعد أن كان من أعضائها المؤسّسين.

ومتى تمّ إنشاء جمعية «الإصلاح الإسلامي» هذه فإنّ الشيخ العُقبي سيصدر من جديد جريدته «الإصلاح» لتكون لسان هذه الجمعية الجديدة.

«البصائر»:

نقلنا هذا الخبر ليعلم القراء أو ليزدادوا علماً بقيمة أخبار «الشرق العربي».

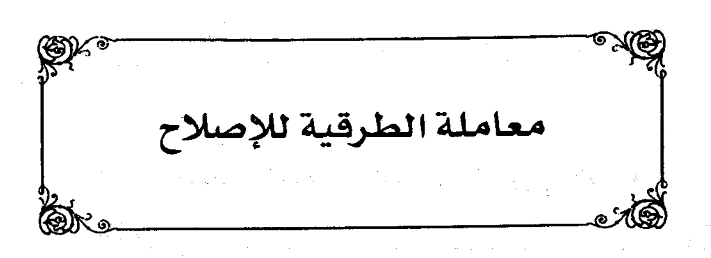
فقد اشتمل هذا الخبر القصير على أشياء ننبه القارئ إليها:

١ـ مخالفة أخباره بعزم الشيخ الطيّب على إنشاء جمعية إصلاحية أخرى لما في كتاب استعفائه من احتفاظه بصفة عضو عامل في «جمعية العلماء».

٢ـ مخالفة قوله عن الزاهري أنه استعفى للواقع، لأنه سقط في الانتخاب.

٣ـ ظهور المكائد الاستعمارية للإسلام والعروبة بمحاولات استغلال الحوادث للتفرقة بين المسلمين وبثّ روح اليأس في نفوسهم[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٣٧) الصادر يوم الجمعة ٤ رمضان ١٣٥٧هـ ٢٨/ ١٠/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



معاملة الطرقية للإصلاح

«جاءتنا الكلمة التالية من حضرة صاحب الإمضاء[1] تصويرًا لحادثة وقعت عليه، فقدّمناها للقراء ليعلموا مبلغ حنق الطرقية على الإصلاح ونوع السلاح الذي يستعملونه لمن يحادثهم على خلاف هواهم».

* * *

«البصائر»:

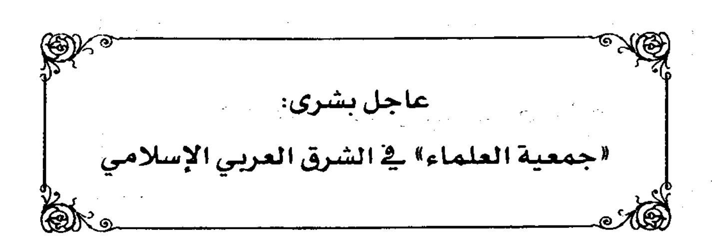
الشتم والضرب من ضيق الصدر الذي هو نتيجة لازمة للضلال قال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥].

وبعد كتابة ما تقدّم جاءنا من صاحب الإمضاء رسالة ثانية يبيّن فيها أن الضرب وقع عليه بالسوق من ابن الإمام بحضرته بعد يومين من ذلك الاجتماع، وأنّ الضرب وقع على الوجه وأجرى الدم، وأن الإمام أحكم تدبير المكيدة فأشاع على المضروب كلمة مختلقة أغضبت عليه أهل البلدة، فلم يشهدوا معه مع أن الضرب وقع أمامهم بالسوق[2].

---

(١) هو أحمد الملياني، من مستغانم.

(٢) «البصائر»: العدد (١٣٧)، بدون إمضاء.



عاجل بشرى:
«جمعية العلماء» في الشرق العربي الإسلامي

في «صحيح مسلم»[1] عن أبي ذر ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: قيل لرسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أرأيتَ الرجلَ يعملُ العملَ من الخير ويحمده الناسُ عليه؟ قال:

«تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ».

وإذا كان هذا الحكم ثابتًا للأفراد فهو للجماعات المتّحدة على غايةٍ حميدةٍ أثبتُ لأن الخير من جماعة مرتبطة بنظام نحو غاية خيرية أقوى منه إذا كان من الفرد، فإنّ الجماعة تقوى على ما يقوى عليه الواحد، وجهود الفرد محدودة كما هو شائع.

و«جمعية العلماء» من أقوى الجماعات المرتبطة على الخير والصالح العام، ومن أكثرها إنتاجاً وأوسعها سُمعةً، فلا جرم أنها تُسَرُّ بحمد أهل الفضل لأعمالها الصالحة، وأنّ سرورها ذلك من عاجل بشرى المؤمن.

وإذا قلنا «جمعية العلماء» محمودة من أهل الفضيلة، فالحمد يعمّ كلّ أعضائها

---

(١) برقم (٢٦٤٢).

المؤمنين بشرف غايتها والمُعينين على تحقيق مقاصدها، وليس الحمد مختصًا بأعضاء إدارتها أو بفضيلة رئيسها، فإنّ رجال الإدارة إنما هم من بين الأعضاء مؤتمنون على قانونها الأساسي وموكل إليهم تدبير الوسائل المرضية لبلوغ الغاية المقرّرة، فإذا عاد تصرّف الرئيس وتدبير أعضاء الإدارة على الجمعية بالسمعة الطيبة فإن ذلك من رشد عموم الأعضاء وحسن اختيارهم وسلامة صدورهم.

وبعد ، فبين أيدينا رسالة تعرب عن منزلة «جمعية العلماء» في الشرق العربي الإسلامي، و«جمعية العلماء» إنما تعمل في دائرة الإسلام والعربية ولفائدتها، فإذا رضي عنها الشرق العربي الإسلامي فهي الشهادة الصادقة بأن «جمعية العلماء» موفّقة في سيرها نحو غايتها.

جاءتنا هاته الرسالة من أحد أبناء الجزائر البررة وأعضاء الجمعية المخلصين، الشاب النجيب السيد أبي مدين الشافعي[1]، من تلامذة الأستاذ الشيخ البشير الإبراهيمي نائب رئيس جمعية العلماء ومؤسّس دار الحديث بتلمسان.

وقُراء «البصائر» يعرفون هذا الشاب بفصوله الأدبية الناطقة بما له من روح ابتكار المواضيع وولوعه بإذاعة مجد العرب التالد.

ذهب هذا الشاب الجزائري التلمساني إلى مصر لإتمام معلوماته بها، ولوفائه نحو وطنه وإخوانه كتب إلى «البصائر» برسالته عن حلوله بمصر، وهذا نصّ الغرض منها:

«رأيتُ من الواجب أن أخبر الجميع على صفحات جريدتنا الغراء بوصولي

---

(١) توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة (١٩٥٨م). انظر «الأعلام» (٧/ ١٩٨) للزركلي.

إلى مصر منبع الثقافة والعلم، وأبشّر تلمسان أن ابنها ما طار من بلاده إلى مصر إلاّ لينهل من علوم معاهد القاهرة ويتزوّد بحِكم أساتذتها الفحول .

ومن السّار المطرب أنني أينما ذهبت وذكرت اسم الشيخ باديس كانت الثغور تبتسم والوجوه تنشرح والآذان تصغي والأمور تُقضى، وهكذا سهّل عليّ اسم الأستاذ الرئيس كلّ صعب ووصلتُ إلى مصر بفضل انتسابي إلى «جمعية العلماء» ذات السمعة العالية في الشرق العربي الإسلامي، وتحققتُ في مصر بالخصوص بأعضاء الطبقة الممتازة بأخبار الأستاذ باديس وأتباعه، وكانوا كلّهم ينتظرون قدومه لحضور المؤتمر البرلماني ممثلاً الجزائر، وأنهم تحيّروا من تخلّفه، وفهموا تقريباً كلّهم السبب المانع وعذروه.

هذا وأنا أطلب من الجزائر أن تُعينَ الشيخ باديس وتسعى معه في بعث نخبة من أبناء الجزائر الأحرار ليتمّوا دراستهم في المعاهد المصرية ـ ولا شكّ أنه يكفيكم تشجيعًا ما يصرّح به مسؤولو المعاهد والكلّيات ـ فإنهم يكرّرون في كلّ لحظة استعدادهم لإعانة مسلمي الشمال الإفريقي وبالأخصّ الجزائريين لأنهم يريدون تتميم أعمال «جمعية العلماء» فيما قامت به في ناحية التعليم ونشر الثقافة ـ وعميد كلّ كلّية يفتح أبواب معهده لكلّ طالب جزائري ـ فهذه فرصة يجب علينا أن نغتنمها وهذه نتيجة أعمال طويلة يحقّ لنا أن نجنيها ، والسلام على الشيوخ آبائي والشبان إخواني».

مصر ـ القاهرة   الشافعي أبو مدين

وليس في إثبات الجمعية لهاته الرسالة بصحيفتها وإعرابها عن سرورها

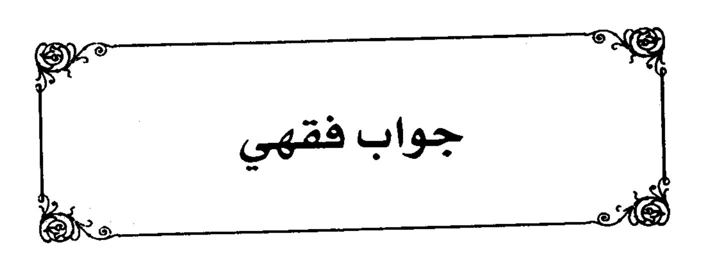
بشهادة الشرق العربي الإسلامي لها مُتمسَّكٌ للذين يلفّقون الأخبار لإغضاب الحكومة الفرنسية على الجمعية، ويرون في مثل هذا الحديث بيّنة أنّ للجمعية علاقات خارجية، فإن العواطف الدينية الثقافية غير العلاقات التي تخلّ بسلامة الدولة وتستوجب المؤاخذة.

وقد قال وزير خارجية العراق في حديثه عن علاقة دولته بدولة الإنكليز ودفاعه عن فلسطين كلمةً جامعةً بين الحقيقة والشجاعة الأدبية، وهي:

«لا شيء يفصل العربي عن أخيه»[1].

مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١٣٨) الصادر يوم الجمعة ١١ رمضان ١٣٥٧هـ ٤/ ١١/ ١٩٣٨م.



جواب فقهي

«البصائر»:

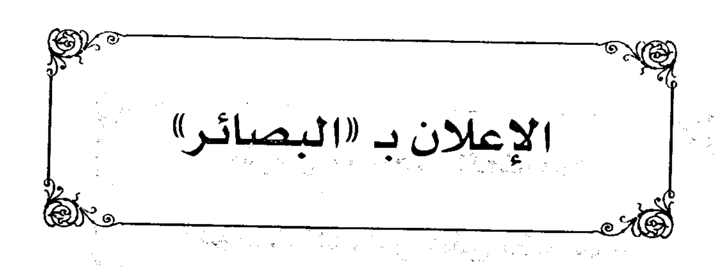
نشرنا هاته الُفتيا[1] وإن لم تأتنا عن طريق لجنة الفتوى من لجان «جمعية العلماء»؛ لأن تأسيس اللّجنة إنما هو لضبط ما ينسب إلى الجمعية من الفتاوى، وليس لتحجير الفُتيا على من أمضاها باسمه وقصد إلى إفادة العموم.

ومن شاء مناقشة هذا المفتي الفاضل بالعلم والأدب فنحن مستعدّون لنشر المفيد النافع[2].

---

(١) تناولت حكم الشرع في المخابرة أي كراء الأرض بما تنبت، وهي بإمضاء: علي بن الطيب الثعالبي.

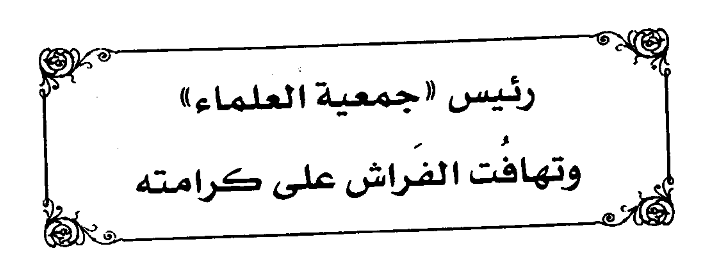
(٢) «البصائر»: العدد (١٣٩) الصَّادر يوم الجمعة ١٨ رمضان ١٣٥٧هـ ١١/١١/١٩٣٨م، بدون إمضاء.



الإعلان بـ «البصائر»

رغب منّا أحد الكُتاب في نشر إعلان عن رسالة له دينية تحت الطبع وسَألَنا عن أُجرة الإعلان، ولكن «البصائر» لا تنشر إعلانًا، وإنما تصف الكتب الواردة عليها بعد الطبع، وتؤيّد من الكتب الدينية ما تراه على مشرب «جمعية العلماء»[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٣٩)، بدون إمضاء.



رئيس «جمعية العلماء» وتهافُت الفَراش على كرامته

إذا كان ابن الوردي حكيماً في حكمه بأنّ المرء لا يخلو من ضدّ، وإن اعتزل في رأس جبل، فكيف لا يكون ضِدٌّ وأضدادٌ للمرء يقف حياته على إصلاح مجتمع قد عمّ الانحطاط سائر نواحيه الدينية والخلقية والفكرية، وقد قال ورقة بن نوفل الشيخ القرشي للنبي ﷺ لأول بعثته: «لم يأتِ أحدٌ بمثلِ ما أتيتَ به إلاّ عُودي»[1].

فهذا ابن الوردي يسجّل حكمته الشخصية، وذلك الشيخ القرشي يعرب عن حقيقة اجتماعية كبرى وسُنَّةٍ إلهيةٍ خالدة.

وليس من معنًى لتينك الحكمة والحقيقة إلاّ تثبيت المحقّ على خطّته وتغذية روحه بعدم المبالاة بسخط الناس ما دام في مرضاة ربّه.

وقد ذكر أصحاب السير في قصة ذهابه ﷺ إلى الطائف وسوء مقابلة ثقيف له أنه قال فيما دعا به يومئذ: «اللَّهُمَّ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ غَضَبٌ عَلَيَّ فَلَا أُبَالِي»[2].

---

(١) قطعة من الحديث الطويل في بدء الوحي، أخرجه البخاري (٣) ومسلم (١٦٠) عن عائشة بنحوه.

(٢) ضعيف الإسناد: «تخريج فقه السيرة» (ص ١٣٢) للألباني.

وإنّ «جمعية العلماء» لتضمّ رجالاً همّهم ترقية مجتمعهم الذي كان قبل سنوات مضرب الأمثال في التأخّر والإهمال، وغايتهم تبليغ الأمانة لأهلها وتحقيق الوراثة النبوية، ثم رجاء رضوان الله الأكبر.

وإذا كان الأستاذ الجليل عبد الحميد بن باديس هو رئيس «جمعية العلماء» فإنه أقوى رجالها في ذلك الهمّ وأقربهم إلى تلك الوراثة، فما كانت ـ ولا تزال ـ رئاسته إلاّ من ضرب إعطاء القوس باريها وإسكان الدار بانيها، وذلك من رشد إخوانه العلماء في التدبير وسلامة صدورهم في المعاشرة.

وإنّ من عوامل العداء الحسد والجمود والطمع في المخلوق، وعلى قدر النعمة يكون الحسد، وعلى منزلة الجمود يكون النفور من الإصلاح، وعلى مبلغ الطمع السيئ تكون قلّة الحياء في أذى المحقّ.

وحظّ الأستاذ الرئيس من نعمة العلم النافع والعمل الصالح عظيم، ونصيب شعبنا من تلك العوامل جسيم، فلا جرم كان تهافُت الفَراش من هذا الشعب على كرامة ذلك الأستاذ كثيرًا مستمرًا وإن لم يكن له أثره في عزيمة الرئيس ولا في عقول المستيقظين الكثيرين من هذا الشعب.

وإنّ أحدثَ تهافُتٍ ما نشرته صحيفة خالية من روح الأدب فيما تكتب، مدفوعة بعامل الجمود فيما تنقد، ممثلة لرذيلة الحسد فيما تطعن، غير سليمة من الطمع في مخلوق ترضيه بما تنتقد ومن تطعن.

١ ـ جعلت هاته الصحيفة المتقمصة للروح الإبليسية استعفاء الشيخ الطيِّب إرادة من الرئيس أملاها توصّلاً لتبديل في الأعضاء حسب فكرته، وقد علم الناس

سبب الاستعفاء مما نشرته «البصائر» في حينه، ولو كنا نعجب من أمر أمثال تلك الصحيفة السوداء لسكوتها الطويل عن تمجيد الشيخ الطيِّب حتى وقع استعفاؤه من إدارة «جمعية العلماء»، وهو تمجيد لا يرضي الشيخ الطيِّب نفسه لأنه لم يكن لله ولا للمودّة، وإنما هو للتفتين.

٢ـ وعرضت لخطاب الرئيس عن المجلس الإداري الجديد، فنقمت عليه إغفاله للتبديل الواقع في نيابة أمانة المال، وليس هذا منها انتصارًا لحقٍّ أُضيع، فإن هاته الغفلة لا تضرّ بأحد، وليس منها هذا غضبًا لنائب أمين المال السابق لأنها كادت تكون أعمدتها كلّها في ثلب ذلك النائب والتشهير به، ولم تنكفّ عنه حتى بعد تعطيل صحفه وإغماد قلمه، مما يدلّ على أنها لا تملك قطرة من حياء، ولكنها اتخذت تلك النقمة سُلَّماً معكوسًا لأن تقول «صراحة» حسب تعبيرها للرئيس أنك «تكذب» وهذا ليس «صراحة» ولكنه «وقاحة».

والرئيس إنما غفل عن ذلك التبديل لغيبة نائب أمين المال، والخطاب شفاهي ابن وقته، وسبب التبديل طلب أمين المال الجديد أن يكون نائبه قريبًا منه يمكنه أن يتعاون معه.

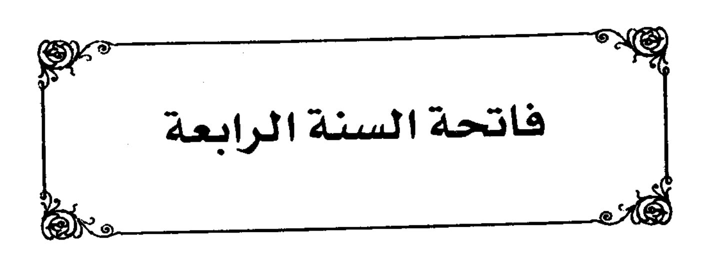
٣ ـ وكأنّ تلك الورقة أرادت أن تستر تهافتها وتداخلها فيما لا يعنيها لعدم حسن إسلامها فلمحت إلى أنها غضبت لإغفال ذكر أمين المال السابق ـ وإن كان خصماً ـ للجامعة المذهبية، فقالت أنها بهذا الإغفال تحقّقت بحدسها ما تنقمه منه منذ زمان وينقمه معها «الكثير من المنصفين من المالكية» الذين تساهلت فعبرت عنهم بإخوانها.

وليس من داع للتذكير بالمذاهب هنا إلاّ الرغبة في تفريق الأمة، وليس أولئك المالكية بإخوان لها إلاّ في تلك العوامل الثلاثة: الحسد والجمود والطمع في المخلوق.

هذا وإن الرئيس الجليل لا فكرة له غير الإصلاح الديني والاجتماعي، وإن «جمعية العلماء» معه لا تعرف عنصرية ولا مذهبية أمام هذا الإصلاح، ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ۝١٩﴾ [الجاثية: ١٩][1].

مبارك الميلي

(١) «البصائر»: العدد (١٤٠) الصادر يوم الجمعة ٢٥ رمضان ١٣٥٧هـ ١٨/١١/١٩٣٨م.



فاتحة السنة الرابعة

الحمد لله ربّ العالمين، الذي أنزل على عبده الكتاب هدًى للمتقين، ومرجعًا في اختطاط خطط العمل المثمر لكلّ العاملين.

والصلاة والسلام على من كان خلُقه القرآن: يستمدّ منه معارفه وآدابه، ويأتمّ به في سلوكه، ويعتمد قواعده في سيره نحو غايته وإبلاغ دعوته.

ورضي الله عن آله وأصحابه الذين زادهم الإيمان إلى شجاعتهم شجاعة، وأوجد فيهم حسن الانقياد والطاعة، وعمّن تبعهم بإحسان إلى قيام الساعة.

أما بعد، فإن عمود الدّين الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها فقد حفظ دينه، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع.

وإنّ غذاءَ الدِّين الحافظَ لقوّتِه وشبابِه الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر. فالأمة المؤتمرة المنتهية هي خير أُمّة أخرجت للناس. والتي لا تتآمر ولا تتناهى هي شرّ أُمَّةٍ لُعنت على ألسنة الأنبياء.

وإنّ نجاح الآمر بالمعروف الناهي عن المنكر بالصبر والثبات. فأيّ عالمٍ صبر على أذى المأمورين وثبت على تبليغ الحقّ فقد أخذ بحظّه من إرث النبّوة.

فعلى كلّ مسلم أن يضع نصب عينه وصيّة لقمان لابنه، وصيّة عارف لأعزّ الناس عليه، وقد أقرّها أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، إذ حكاها لنا في كتابه العزيز بقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾ [لقمان: ١٧].

وقد قامت «جمعية العلماء» ـ والحمد لله ـ بحظّها من هاته الوصيّة؛ ولا تزال ـ بتوفيق الله ـ قائمة بذلك، داعية إليه. ومراجعةُ تقارير رئيسها الجليل عن حالها في اجتماعاتها العامّة كفيلةٌ بتصوّر الدرجة التي ارتقت إليها في تحقيق تلك الوصية.

وهذه صحيفتها «البصائر» سِجِلُّ آمالها وآلامها، ومرسح نشاطها وصبرها، ناطقة بما لها من حق صريح، وصارخة بما عليها من ظلم وعدوان. وهي لا تزال على خطّتها التي أعربت عنها في فاتحة السنة الثالثة بهذه الجملة:

«العمل لرفع مستوانا الاجتماعي في دائرة الإسلام والعروبة، من غير كراهية لجنس أو مبدأ أو شخص، إلاّ جنس الظلم ومبدأ التفوّق وشخص الظالم والمتفوّق».

ورغماً عمّا في هذه الخطّة من وضوح لا يتعب متعقّب، وحقّ لا يغمطه متعصّب، لا نزال نرى شكوكًا حول الجمعية ودسائس عليها وملاحق للتضييق عليها.

وإذا عرفنا الحقّ وأخلصنا في خدمته وصبرنا على تكاليفه فإنّ لكلّ أزمة انفراجًا ولكلّ عامل جزاءً.

اشــتدّي أزمــةُ تنفرجــي   قــد آذن ليلُــكِ بــالبلجِ

ونعود إلى الكُتَّاب والقُرَّاء جميعًا فنذكّرهم بحقيقة صحيفتهم المسجّلة بالعدد ٨٤ ونعيد عليهم عبارتها التي هي:

«البصائر» صحيفة جمعية ومبدأ. وعلى كلّ مؤمن بمبدأ أن لا يدّخر وسعه في نشر صحيفة تخدم ذلك المبدأ، ولا يألو جهده في إمدادها ماديًا وأدبيًا. وعلى كلّ فرد من أفراد جمعية أن يقوي صوتها في الدعوة إلى مبدئها، ويطلق لسانها الناطق باسمها».

وعلى ضوء تلك الحقيقة ينبغي أن يحاسب كلُّ عضوٍ من أعضاء الجمعية، وكلُّ مؤمن بشرف خطّتها وحسن غايتها. نفسَه إزاء صحيفتها «البصائر» ليرى أأدّى ما عليه من واجب مادي وأدبي؟

وكيف أدّاه؟ وما هو عذره في التقصير؟

الحقّ أن هنالك نواحي قام ممثلو الجمعية وأنصارها فيها قيامًا نحو صحيفتهم مشكورًا. ومن الجهات ما لا يزال أهلها ضعيفي العناية بصحيفتهم.

وإذا كان في إثبات القائمين بواجبهم هنا اعترافًا بجميل هم له أهل، فإن فيه أيضًا تمييزًا لهم عن المقصّرين تمييزًا يسوء أولئك المقصّرين وقد يعدّ ضربًا من اليأس منهم. لهذا لا نريد أن نحاسب الناسَ على صفحات «البصائر» وإنما ننبّههم إلى أن يحاسبوا أنفسهم.

أما طريقة الحساب التي يعرف كلّ واحد بها ما يُسأل عنه فهي الرجوع إلى المقترحات التي أقرّها مجلس إدارة الجمعية. ونشرت بالعدد ٨٤ .

وها نحن أولاء نضعها مرة أخرى بين يدي القُرّاء والكُتّاب جميعًا:

«١ـ على العلماء البارزين أن يُعنَوا بتحرير المقالات الراقية في صحيفتهم.

٢ـ وعلى شباب العلماء أن يتقدّموا إلى ميدان الكتابة وإن لم تنضج أفكارهم بشرط واحد هو أن لا يثوروا من تصرّف الإدارة فيما رأت التصرّف فيه بالتنقيح أو بالتلخيص أو بالإهمال؛ فإنّ الثقة أساس التعاون، والمدير قد يرى ما لا يتفطّن له الكاتب.

٣ـ وعلى من آنس من نفسه المقدرة على التحرير أن يكاتب الإدارة لتتخذه مكاتبًا في جهته

بشرط واحد هو الصدق في التصوير مع مراعاة أن الجمعية وجريدتها فوق حزازات النفوس ونزاعات الأحزاب. فالكاتب يقصد إلى تصوير الحقيقة لا إلى شفاء النفس من فرد أو جماعة.

٤ـ وعلى أعضاء الجمعية أن يخبروا إدارة الجريدة بكلّ عمل يقومون به في خدمة الجمعية، وبكلّ عقبة تعترض سيرهم نحو غايتها، وبكلّ ظلامة تقع عليهم من أجل مباديها، لتقوم إدارة التحرير بإبلاغ ذلك إلى الفكر العامّ، فتبيّن سير الجمعية وتخلّد مواقف العاملين وتشهّر بالظلمة الباغين.

٥ـ وعلى رؤساء الشُّعب وكلِّ غيور من أنصار الجمعية أن يرتبطوا بإدارة الجريدة للاتفاق على خطط العمل في نشر الجريدة بيعًا واشتراكاً وتنمية ماليتها لتقوى على السير المنظّم والرقيّ المطّرد».

وقد وضعنا ثمانية عناوين لفتًا لأنظار الكُتّاب كي يكتبوا في مواضيعها من غير أن نحجّر عليهم الكتابة في غير موضوعها. كما أهبنا بالأدباء إلى خدمة الأدب الجزائري درساً وإنشاءً، فلم يقم بعضهم بالكتابة في الموضوع الذي يعوّل فيه عليه، ونهض الأدباء نهضة قوّت رجاءنا فيهم، ثم فتروا أخيرًا.

ونختم فصلنا هذا بما ختمنا به فاتحة العدد ٨٤ إشعارًا بأنّا لم نزل على أملنا ذلك. فقد قُلنا:

«وإنّا لنرجو أن نرى في هذه الصحيفة آمال الشيوخ واعتدال الكهول وإفراط الشبان.

وفي تحقيق ذلك الرجاء خير الإسلام والعروبة وسعادة الجزائر»[١].

مبارك الميلي

---

(١) البصائر: العدد (١٤١) الصادر يوم الجمعة ٣ شوال ١٣٥٧هـ، ٢٥/ ١١/ ١٩٣٨م.

علماء الدِّين في نظر الإدارة

«البصائر»:

نشرنا هاته الرِّسالة بنصِّها المُمَثِّل لنفسية كاتبها[1] المنفعلة من تلك المعاملة الشَّاذَّة في نظر القانون وغير الشاذَّة عند من عرف تصرّف كثير من الإدارات مع المسلمين.

وهي كما تمثِّل تلك النَّفسيَّة المظلومة تمثِّل نفسيَّة كلِّ من ظُلم من الإدارة مثلها وتصوِّر آثار الجور في النُّفوس وتعدّي السَّخط إلى نفس الحكومة التي تقع تلك المظالم باسمها.

لقد تكرَّر الظلم، وكثر الظلم، وكثر الإعراض من الذَّوات المسؤولة، ومع ذلك فلا ينبغي السُّكوت عن المظالم، و لا اليأس من تأثير التَّظلُّم تأثيرًا محمودًا.

نشرنا هاته الرسالة التي يحزن صاحبها أن يرى «فرنسيًّا رصينًا ليِّنًا عاقلاً» وهو رأي لا يفهم أن الكاتب ضدَّ هاته الخلال الحميدة، ولكنه يفهم أنَّه لم ير موظَّفاً صادقاً في تمثيلها، وليس في نشرنا لها رغبة في مسِّ سمعة فرنسا بسوء، ولكنّا نريد أن

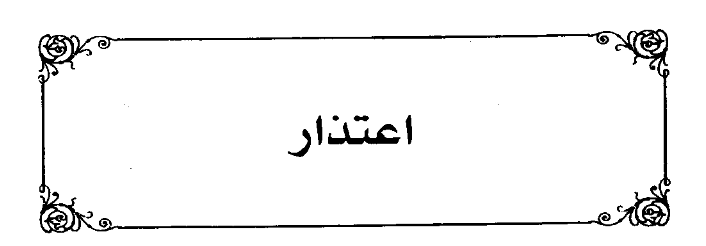
---

(١) هو محمَّد العتيل، المغربي الجزائري التُّونسي، والعدل بالمنستير (بتونس).

نطلعها على آثار تلك المظالم في نفس «فرنسا ما وراء البحار» التي تأسَّست للعناية بها لجنة «فرنسا العظمى» وقد رأينا نداء هاته اللَّجنة وأهميَّة ما وراء البحار عندها، وقد نشرت «الزهرة» ذلك النِّداء في عدد ١٤، ٧، ٣٨.

فإذا أراد أحد الفرنسيِّين إنقاذ حكومتهم من معرَّة المثل العامي «كُلْ الغَلَّة وسبّ الملّة» فما عليهم إلَّا أن يكفُّوا تلك المظالم ولا يستخفّوا بعواقبها، فالظلم مرتعه وخيم[1].

(١) «البصائر» العدد (١٤١)، بدون إمضاء.

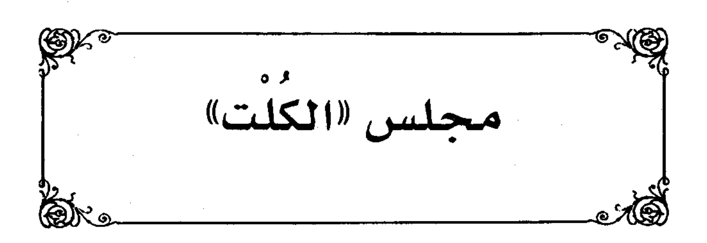


اعتذار

نعتذر لإخواننا الَّذين ألفنا تهنئتهم في أمثال هاته المواسم ببطاقات خاصّة، واعتادوا أن يرسلوا إلينا بتهانيهم، نعتذر إليهم بعجزنا عن إجابة صوت ضميرنا في مكاتبتهم هاته السَّنة، آسِفين على هذا الخلل الذي نودُّ أن لا يؤثِّر في حسن علائقنا الأدبيَّة[1].

المدير

(١) «البصائر»: العدد (١٤١).



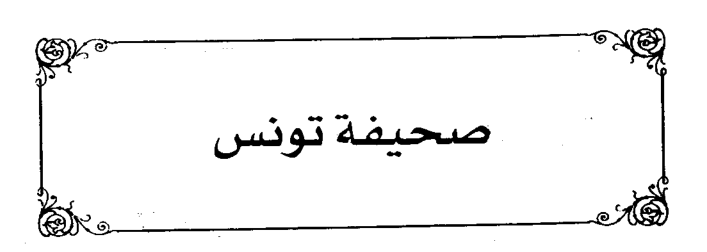
مجلس «الكُلْت»

عبارة عن لجنة تعيّنها الإدارة للنَّظر في المساجد وما يتعلّق بها من الوظائف وغيرها فهي لجنة دينية محضة، وبمناسبة تخلّي رئيسها السابق م. دورنو لتقاعده عن العمل عيَّنت لها الإدارة رئيساً جديدًا هو م. لانتان.

والجديد في تشكيلها الجديد هو جعل نائب للرئيس هو من المسلمين، ونحن مع بقائنا على استنكارنا التّام واحتجاجنا الشّديد على ترئيس غير مسلم على هيئة دينية إسلامية محضة، كما كنّا نستنكر ونحتجُّ لو وقع المحال وترأس غير نصرانيّ على هيئة نصرانية أو غير يهوديّ على هيئة يهودية أو غير مجوسي على هيئة مجوسية ـ نحن مع استنكارنا واحتجاجنا نرى أنَّ من تسمية نائب رئيس مسلم تلطيفًا لذلك الباطل وتخفيفًا لوطأته على النفوس.

وقد كان الذي نظنّ له مثل هذه التسمية هو حضرة المفتي الشيخ المولود ابن الموهُوب لسنّه وقدمه وسابق خدماته... ولكن ـ مع الأسف ـ عدل عنه بها إلى حضرة القاضي الشيخ محمد بن الساسي، وقد كانت تسميته في محلّها لما تمتاز به حضرته عن غيره في مثل هذا المقام من النزاهة، والبعد عن الأغراض، والترفّع عن السفاسف... فنهنّي حضرته راجين له توفيقًا وتأييدًا، وخيرًا على يديه للمسلمين[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٢)، بدون إمضاء.

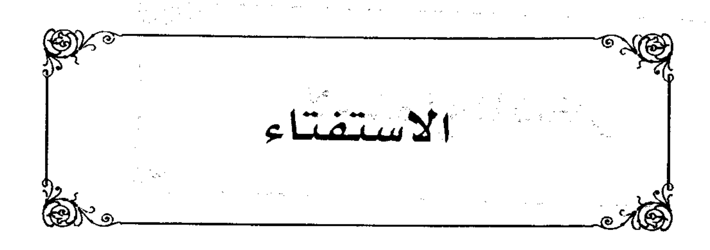


صحيفة تونس

عادت للظهور هذه الزَّميلة الصادقة في جهادها، الثَّابتة على خطّتها، المخلصة لغايتها، وذلك بعد تعطيل إداري وقع عليها من أجل إحصائها لخسائر الوطن التونسي في العهد العسكري المعلن إثر حوادث ٩ أفريل.

فنُهَنِّي الزَّميلة بذلك التعطيل الذي هو وسام في صدر حياتها الاجتماعية، ونرجو لها مزيد الثبات واطّراد التَّقدُّم وسَعة الرواج[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٢)، بدون إمضاء.



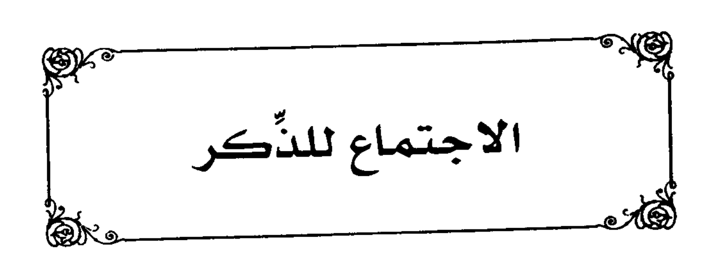
الاستفتاء

إن «البصائر» لا تنشر استفتاءً إلَّا إذا جاءها على طريق لجنة الفتوى.

فمن طلب بيان حكم الله في أمر فَلْيُرْسِلْ استفتاءه إلى رئيس اللَّجنة الأستاذ الشَّيخ العربي بن بلقاسم التبسِّي في تبسّة.

نبَّهنا على هذا سابقًا، ونعيد التَّنبيه اليوم حرصًا على وصول كلِّ مستفت إلى بغيته، وخلاف الطَّريقة المبيّنة تعريضٌ بالاستفتاء للضَّياع[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٢)، بدون إمضاء.



الاجتماع للذِّكر

جاء في باب الفتاوى والأحكام من مجلة «الإسلام» سؤال في الموضوع أعلاه، وجوابٌ عنه بقلم الأستاذ عبد الجواد محمَّد الدومي.

وقد كنَّا ذهبنا إلى سطيف منذ شهرين وأحيينا بها ليلتين، سئلنا في إحداهما عن الاجتماع للذِّكر والجهر به، فأجبنا أنَّ الذِّكر طاعة وقربة، والاجتماع له مشروع، والجهر به ثابت[1]، ولكن لكلِّ طاعة آداب وحدود، ولكلِّ سُنَّة صفة وهيئة، وبمخالفة ذلك قد تنقلب الطَّاعة معصية، وتصير السُّنَّة بدعة.

وهذه البسملة التي هي آية من كتاب الله الذي هو أجلُّ الأذكار والتي لا نزاع في ثبوتها بالمصحف العثماني أوَّل كلِّ سورة غير سورة التَّوبة، تلك البسملة نرى

---

(١) لكن الأصل فيه الإسرار والإخفاء، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأعراف: ٥٥]، وقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥]. وعن أبي موسى الأشعري ﵁ قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فجعل الناس يجهرون بالتكبير، فقال النبي ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ».. الحديث: أخرجه البخاري (٤٢٠٢ و...) ومسلم (٢٧٠٤).

النِّزاع في قراءتها أوَّل الفاتحة بالصلوات بين الفقهاء طويل الذيل[1]، والحديث في مشروعية قراءتها كثير الشُّعب[2]، ونصَّ الشَّيخ خليل على كراهتها في الفريضة[3]، كما نصَّ على كراهة قول المضحيّ «اللَّهمّ منك وإليك»[4]، وهو قول في نفسه صحيح، ولكن اقترانه بحال التضحية غير مسنون[5].

فمن أجل أنّ للطاعات والسُّنن آدابًا و صفاتٍ وأحوالًا قد تخرج بمراعاتها أو بعدم مراعاتها عن أصلها ويحكم لها بحكم ضدِّها، من أجل ذلك رأينا النِّزاع بين العلماء في مثل التَّسمية قائمًا على الدلائل الخاصة بالصُّورة الخاصة، ومن أجل ذلك قلنا لمن سألنا ـ وذلك في جماعة كبيرة ـ أنَّ الاجتماع للذِّكر على الصُّورة المعهودة اليوم مبتدع غير مشروع.

واليوم وقفنا في مجلّة «الإسلام» على ما يؤيِّد فتوانا، فحمدنا الله على الموافقة، ونقلنا ذلك السُّؤال وجوابه لقرَّاء «البصائر» تعميمًا للفائدة وقطعًا للشَّغب ولا سيما النَّقل عن مجلة «الإسلام» التي يعتمدها خصومنا كثيرًا، وإليك السُّؤال وجوابه.

(س١): هل كان الذِّكر في الصدر الأوَّل على نحو ما عليه الناس الآن من رقصهم وتشبيك أياديهم وضربهم بلسان الحال وشطحاتهم وتكلّمهم بما غاب عن

---

(١) والراجح في فقه الدليل جمعاً بين الأدلة قراءتها سرّا ، لا فرق بين الفريضة والنافلة .

(٢) انظر للوقوف على طرقه وتخريجها «أصل صفة صلاة النبيﷺ» (١/ ٢٧٧ ـ ٢٨٣) للألباني.

(٣) في «مختصره» (ص٢٩).

(٤) في «مختصره» (ص٩٧).

(٥) في السنة ما يشهد لمشروعيته واستحبابه كما في حديث جابر عند أبي داود (٢٧٩٢)، وحديث أبي سعيد الخدري عند أبي يعلى كما في «مجمع الزوائد» (٤/ ٢٢). وانظر «إرواء الغليل» (٤/ ٣٥٠) للألباني.

العيون والطبل والزمر، فهل هذا كلُّه وارد بنصِّ الشَّريعة الغرَّاء أم هو خرافة وبدعة لا أصل له في الدِّين؟

أحمد صادق صالح ـ وادي حلفا

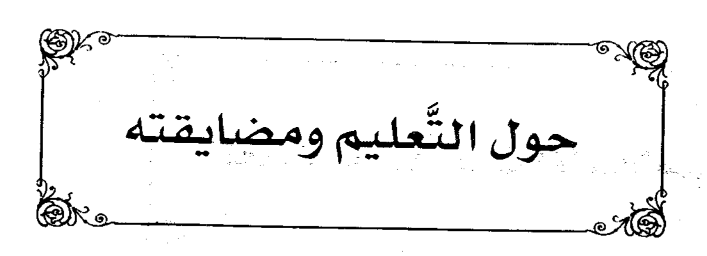
(جـ١): ذِكْرُ الله تعالى والاجتماع عليه في أيِّ وقت من الأوقات وفي أيِّ موضع من المواضع اللائقة به قيامًا وقعودًا، سرًّا وجهرًا، من أفضل الطاعات وأعظم القربات، وهو منشور الولاية ومفتاح السَّعادة، والسبب الموصل إلى محبة الله تعالى ومعرفته معرفةً صحيحة؛ لأنَّ من خواصّه أنه يكشف عن عيوب النَّفس ويخمد الأمراض الباطنة، ويمزِّق حُجُب الغفلة، ويرقّق حجاب البشرية، ويفتح حدقة القلب، ويصقل جوهر الروح، ويعيد إليها صفاءها الأصلي حتى ترى الحقَّ حقًّا فتتّبعه والباطلَ باطلًا فتجتنبه؛ لكن هذا الفضل وهذه الخواصّ كلّها إنَّما هي للذِّكر الشَّرعي الصحيح المقرون بالخضوع والخشوع، والمراعى فيه جميع شروطه وآدابه.

وأما الذِّكر بهذه الكيفية الواردة في السؤال فهو بدعة وضلالة، ومن أشدّ أمارات الحرمان والطرد، ولم يُعهَد شيءٌ منه في الصدر الأول، ولا أقرّه أحدٌ من العلماء في أيِّ زمن من الأزمنة، فلا يجوز فعله ولا حضور مجالسه ولا الرضاء به، ولا يمكن في حال من الأحوال أن يكون وسيلة إلى القرب من الله تعالى والفوز بحبّه ورضاه، ومحال أن ينال ما عند الله تعالى من الكرامة والحبّ بشيء من معاصيه، أو يكون التقرّب إليه بغير ما شرعه وأذن فيه وبيّنه رسول الله ﷺ:

﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣][1].

---

(١) «البصائر» العدد (١٤٣) الصَّادر يوم الجمعة ١٧ شوَّال ١٣٥٧هـ ٩/ ١٢/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.



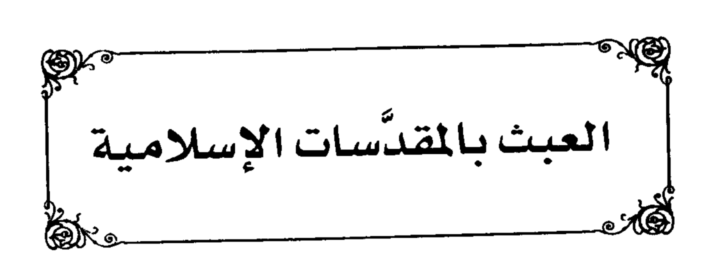
حول التَّعليم ومضايقته

«البصائر»:

نشرنا المقال[١] كما جاءنا لما فيه من عموميَّات صحيحة، فأمَّا انتقاده لأهل مستغانم خاصَّة فلهم أن يجيبوه بالعمل أو ببيان عن عملهم، ونحن مستعدُّون لنشر الحقيقة المجرَّدة من الأغراض المصحوبة بحسن الأدب[٢].

(١) بالعنوان أعلاه، وقد أمضاه من رمز لنفسه بالحرف (ح) من مستغانم.

(٢) «البصائر»: العدد (١٤٣)، بدون إمضاء.



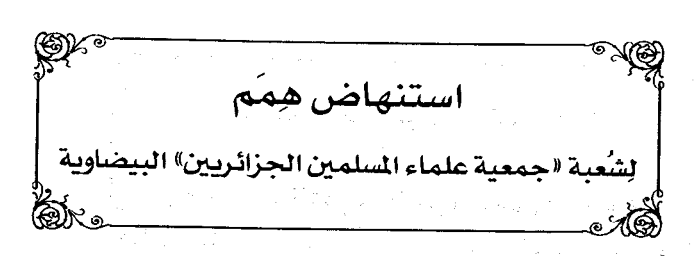
العبث بالمقدَّسات الإسلامية

«الرحلة»: مجلَّة تقول عن نفسها أنَّها فرنسيَّة عربية، ولغتها فرنسية إلَّا قليلًا من الإعلانات تكتب بخطٍّ عربي ولسان عامي، وهي تطبع بمدينة الجزائر.

وقفتُ حديثًا عن عدد أكتوبر منها فإذا على وجهها الأوَّل الخارجي إشهارٌ للقرعة الجزائريَّة، وعلى الوجه الأخير الخارجي أيضًا فتوى بحليَّتها والتَّرغيب فيها منسوبةً إلى «الشيخ صدِّيق»، و هو نكرة لا تعرف.

ومحلُّ العبث بالمقدَّسات الإسلاميَّة من ذلك هو ذكر آية الخمر والميسر من سورة البقرة بلفظها على الوجه الأخير الخارجي ثم العبث بتفسيرها حتَّى لا تتناول القرعة، فمتى يحترم المسلمون أنفسهم حتَّى يضطر غيرهم إلى احترام دينهم؟[1]

(١) «البصائر»: العدد (١٤٣)، بدون إمضاء.



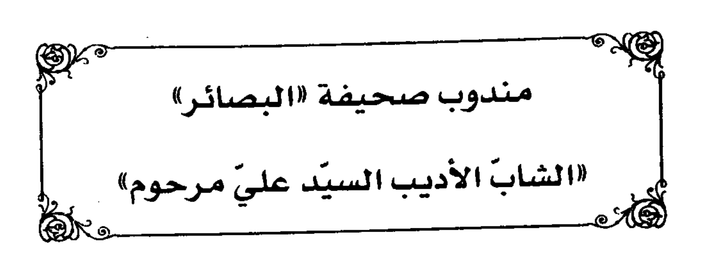
«البصائر»:

شُعب الجمعية تقبض الاشتراكات من أعضائها وتبيع سِجِلَّها، وهذا عمل شاركت فيه شُعبة عين البيضاء شكر الله سعيها.

وهنالك ناحية محلية تقوم بها بعض الشُّعب في بلدانها من إنشاء مدارس ومساجد ونَوادٍ وكلّ ما من شأنه أن ينير الفكر ويجمع القلوب، فلعلَّ هاته الناحية هي التي يستحثّ الكاتب[1] شُعبة بلدته إليها[2].

(١) هو بدري الرّبيعي بن شعبان من «عين البيضاء».

(٢) «البصائر»: العدد (١٤٣)، بدون إمضاء.



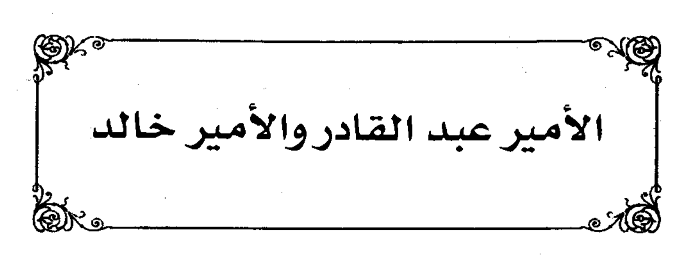
مندوب صحيفة «البصائر»

«الشابّ الأديب السيّد عليّ مرحوم»

عمّا قريب يخرج مندوب «البصائر» الفاضل إلى زيارة الخطّ الذي زاره في مثل هذا التاريخ من السَّنة الماضية وهو خط «بسكرة، سوف، تُقرت، ميزاب، الأغواط، بوسعادة، البرج، سطيف، قسنطينة».

وقراء «البصائر» يعرفون المندوب إلى زيارتهم، فنرغب منهم مؤازرته على القيام بمهمّته ماديًا وأدبيًا، ومؤازرته على خدمة صحيفتهم إنما هي مؤازرة لجمعيتهم «جمعية العلماء» الخادمة للإسلام والعروبة، والعاملة على حمايتهما بتوفيق الله ومعونته، ثمَّ بتأييد الشعب الجزائري وإخلاصه[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٣)، بدون إمضاء.



الأمير عبد القادر والأمير خالد

كثيرٌ[1] منذ أيّام الحديثُ في الصحف عن رُفات الأمير عبد القادر وحفيده ابن ابنه الأمير خالد ونقل جثمانهما من الشام إلى «المعسكر» إحدى مدن الجزائر والعاصمة التاريخية لإمارة الأمير عبد القادر، وهنالك جزائريون يقطنون دمشق من سلائل المهاجرين مع الأمير عبد القادر يعارضون في هذا النقل، ويظهر أن الحكومة الفرنسية هي التي أثارت هذا الحديث وهي التي تؤيد الرغبة في نقلهما.

ونحن نرى الأراضي الإسلامية كلّها وطنًا عامًّا للمسلمين أحيائهم وأمواتهم، فلا وجه لنقل رُفات مسلم من بلد إلى بلد إلّا لغرض مقبول، ونرى أن يكون ضريح الأمير وحفيده بين من يعرف فضلهما ويحسن الاستمداد من حياتهما لحياة الإسلام والعروبة.

وإن تعجبْ فعجبٌ أن يكون الأميران منفيَّين من أرض الجزائر، ولا تُجاب رغباتُ الراغبين الملحّين في عود ثانيهما منذ مدّة قريبة حتّى إذا ماتا رأينا من نفاهما يثير الرغبة في إعادة جثمانهما.

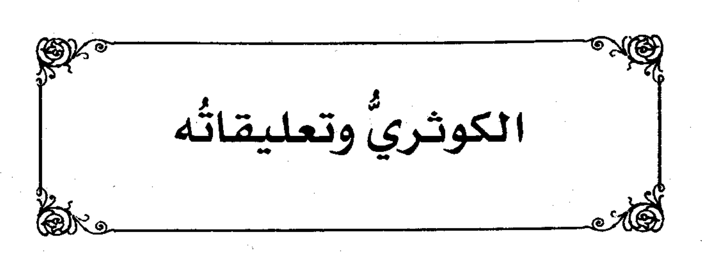
---

(١) كذا الأصل، ولعلها: كَثُرَ.

كتبنا هاته الكلمة عن هاته القضيَّة؛ لأنَّا رأينا في الصُّحف الشرقية إطلاق القول برغبة الجزائريِّين في إعادة جثمان الأميرين واتحاد صحفنا على إبداء هاته الرغبة واستعداد شعبنا لبذل المال في لوازم ذلك النقل! [1]

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤٣)، بدون إمضاء.



الكوثريُّ وتعليقاتُه

رسالة لطيفة تقع في عشرين صفحة مطبوعة طبعًا جيّدًا في ورق صقيل، محرّرة بقلم الأستاذ محمد نصيف، السَّلَفي، الجمّاعة للكُتب، الواسع الإطّلاع.

كشف بها عن سوء عقيدة الشيخ زاهد الكوثري[1] في أئمّة السّلف ورجال الحديث[2].

حمله على تحريرها ما رآه من تحامل الكوثري على خيرة علماء الأمة الحاملين للعقيدة السلفية. وذلك في تعليقاته التي وضعها على عدّة كتب نشرها الشيخ حُسام الدِّين القدسي[3] وعهد إليه بتصحيحها والتعليق عليها.

وقد كنتُ اقتنيتُ جملةً من تلك الكتب من مكتبة الأستاذ القدسي، ورأيت تعليقات الكوثري عليها، فساءني منها مثل ما ساء الأستاذ محمد نصيف، وإن راقني

---

(١) توفي سنة ١٣٧١هـ ـ ١٩٥٢م، انظر: «الأعلام» (٦/ ١٢٩).

(٢) وللشَّيخ عبد الرَّحمن المعلِّمي اليماني (ت: ١٣٨٦هـ) كتابٌ حافلٌ في الرَّدِّ على ضلالات الكوثري، سمّاه: «التَّنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل» منشور بتحقيق الألباني.

(٣) توفي سنة ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، له ترجمة في «تتمَّة الأعلام» (٢/ ١٤٤).

منها متانة في الأسلوب وسَعة في الاطلاع، مما يدلّ على عناية شديدة في البحث والتحرير معًا. ولكنها عناية لالتقاط ما يوافق الهوى والإغراب على القارئ في المظان حتى يعسر الوقوف على تحريفه وتزويقه.

ويومئذ هممتُ أن أكتب إلى الأستاذ القدسي برأيي في تعليقات الكوثري. ولكني رأيته بعدُ قد أدرك سوء قصده، ووقف على ما أوجب له الإعلان بالبراءة منه وتسجيل خيانته في النقل، فكتب القدسي هذا المعنى في مقدمة نشره برسالة «القصد والأمم»، وبسطه في مقدمته لنشر كتاب «الانتقاء» وكلاهما لابن عبد البر، فأخبرتُ الأستاذ القدسي بعزمي الأوّل، وشكرتُ له نصحه وإخلاصه للعلم فيما كتب[1].

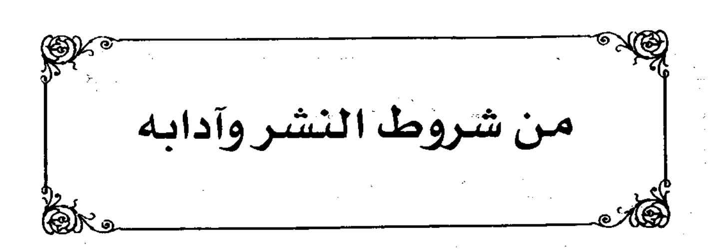
(١) «البصائر»: العدد (١٤٣) بدون إمضاء.

الشيخ العُقبي
وإنشاء جمعية «الإصلاح الإسلامي»

كتب الأخ العمودي في «دفاعه» (لدفانص) كلمةً يقول فيها أنه مأذون من طرف الشيخ العُقبي بتكذيب ما نسبه إليه مُكاتب «الشرق العربي» في الجزائر من عزمه على إنشاء جمعية باسم «الإصلاح الإسلامي» وإحيائه جريدته «الإصلاح».

وقد سبق لنا أن كذّبنا هذا الخبر لعلمنا بأن الشيخ العقبي لا يزال عضوًا عاملاً بجمعية العلماء. وذلك ينافي تأسيسه جمعية ضرار لها، ولعلمنا أيضًا بقيمة أخبار ذلك المكاتب الحقود على «جمعية العلماء» وعلى رجالها البارزين والمعروف بالتفتين، فهو ينشر ذلك الخبر إرضاءً لهواه وتقرّبًا من الدوائر الساخطة على الجمعية. وسيمجّه من يحاول التقرّب منه كما فضحه اليوم من أراد التقرّب به[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٤)، الصّادر يوم الجمعة ٢٤ شوّال ١٣٥٧هـ ١٦/١٢/١٩٣٨م، بدون إمضاء.



من شروط النشر وآدابه

من شروط النشر بالصحف أن يكون اسم الكاتب الحقيقي معروفاً بالإدارة.

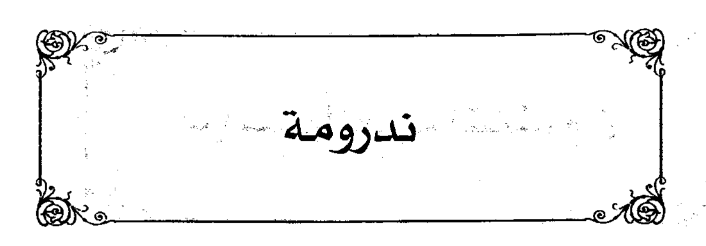
ورغم تكرير إعلاننا عن هذا الشرط اللّازم عند الصحافة جمعاء لا تزال رسائل ترد علينا خلوًا من إمضاء صاحبها فنضطرّ لإهمالها.

ومن آداب النشر بالصحف ضيق حجم البطاقة، ووضوح الخط؛ وترك بياض آخر سطر وأول ما يليه إذا وقع انتقال من فصل إلى فصل من فصول الموضوع، وإبقاء هامش على الجانب الأيمن يثبت به رئيس التحرير تصحيحاته وتصويباته.

فنرجو من الكُتّاب مراعاة ذلك، وأن لا يجدوا في نفوسهم حرجًا من إهمال الإدارة لبعض مقالاتهم أو إهمالها أو تلخيصها أو حذف شيء منها، فإن رائدنا في كلّ تصرّف هو مصلحة الجمعية وفائدة القُراء[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤٤)، بدون إمضاء.



ندرومة

«البصائر»:

سُكّان سواحل عمل قسنطينة الأصليون هم من قبيلة كُتامة، وسُكّان سواحل عمل وهران من قبائل بربرية أُخَر غير كُتامة.

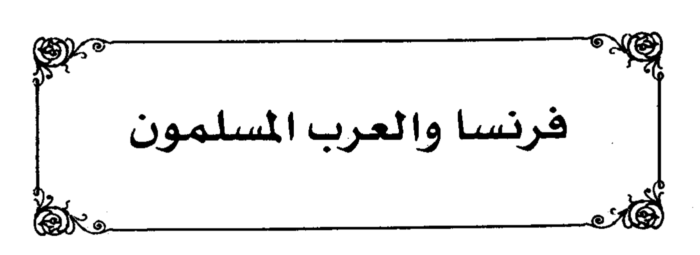
ولعلّ الذي جعل الفريقين متشابهين أمران:

أحدها: المناخ.

والآخر: غلبة الأصل البربري بهاته السواحل على العرق العربي غلبةً ضعف معها التأثر باللهجة العربية، فكانت عربيتهم رديئة بالقياس إلى عربية الصحراء[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤٤)، بدون إمضاء.



فرنسا والعرب المسلمون

نشرت «القبس» الغراء مقالاً مترجمًا عن الفرنسية كتبه بجريدة «جوسوي بارتو»[1] م. جورج رو تحت عنوان «إمبراطورية عربية».

اعترف الكاتب الفرنسي بإمبراطورية عربية لا يقلّ عددها عن ٢٣ مليونًا من الأنفس وأنها تزداد كلّ يوم عددًا بدخول وثنيي إفريقية في الإسلام.

وأعقب ذلك بأن العرب المسلمين يؤلّفون العنصر الأكثر عددًا من المستعمرات الفرنسية. ويقول «إنّ لدينا مستعمرات وبلادًا عربية وليس لنا سياسة عربية».

ويعزو فقد فرنسا سياسة عربية إلى تردّد أهل الحلّ والعقد بين طرق ثلاثة:

أحدها: تنصير المسلمين.

ويرى هذا الطريق عقيماً حتى أن الكردينال لفيجري نفسه حكم بفشل هذه النظرة.

ثانيها: التخلّص من الدِّين والقومية ببثّ مبدأ العلمانية.

ويرى أن هذه الفكرة نجحت في الجزائر بعض النجاح. ولكنها تنتهي إمّا إلى

---

(١) عبارة فرنسية: (je suis partout) ومعناها: أنا في كل مكان.

فشل وإمّا إلى نتائج مفزعة. ثم يحكم على النظرتين معًا بالفشل الحقيقي.

ثالثها : التعاون مع العرب على أساس القومية. فإن القومية تشمل مصالح عمومية للفريقين بقطع النظر عن الوجهة الدينية التي لا دخل لها في هاته الأمور.

وقد انتصر الكاتب لهذا الطريق الثالث. وأطال في تأييده إطالة مفيدة. فلننقلها كما جاءت في «القبس» الغرّاء. قال:

«لا ننكر وجود اختلاف كبير بين عادات الفرنسيين والعرب، فالمدنية العربية الحاضرة معارضة في وجوه شتّى للمدنية الغربية. ولكن الاختلاف بين المدنيتين لا يمنع التعاون الحقيقي بين الفرنسيين والعرب، وذلك لسببين كبيرين:

السبب الأول : لقد جرّبت فرنسا في الأزمنة الغابرة هذه السياسة في الشرق واستطاعت أن تُوجِد بين العنصرين والقوميتين الفرنسية والعربية صِلاتٍ حسنةً جدًا.

ولنا من حوادث فلسطين الدامية أكبر برهان على صحة قولنا هذا؛ فالمسلمون العرب والمسيحيون العرب في فلسطين قد تعاونوا يدًا واحدة على صدّ غزوات اليهود لبلادهم، ولو شاؤوا أن يقوموا بهذا الجهاد الوطني عن طريق الدِّين لما استطاعوا مطلقًا الاتحاد والتعاون معًا على اليهود وعلى الانكليز أيضًا.

وفي القدس جمعية تعتني بالجرحى تدعى جمعية «الصليب والهلال» وهي مؤلفة من مسيحيين ومسلمين تعمل بكلّ إتقان وتعاون على القيام بغايتها الشريفة.

السبب الثاني : أن الفرنسيين والعرب مُهدَّدون في هذا الوقت بتيار الاجتياح الجرماني. والجرمانيون لا يفرقون بين فرنسيس وعرب بل يريدون استعباد الفريقين لسلطتهم العليا والخضوع التام لأوامر رئيسهم الأعلى هتلر، والفرنسيون والعرب

شعبان عظيمان تربطهما ببعضهما بعضًا روابط قديمة ودّية، وهما أكثر شعوب الأرض تعلّقًا بالحرية والاستقلال.

ولذا وجب على العرب والفرنسيين التعاون معًا في معترك هذه الحياة دفاعاً عن مصلحتهم ودفاعاً عن حريتهم.

ثم إن لدينا عرباً آخرين يسكنون غير إفريقيا الشمالية وهم العرب الساكنون في سوريا ولبنان.

وهؤلاء العرب أكثر نشاطًا وذكاءً وعلماً من العرب الساكنين شمالي إفريقيا، لا بل هم أذكى وأرقى جميع العرب الضاربين في أصقاع الأرض، وهم محبّون بطبيعتهم لفرنسا، ومدنيتهم قريبة جدًا لمدنيتها بسبب احتكاكهم قبل الحرب العامة وفي عهد الانتداب بها. وهم دماغ البلاد العربية المفكّر.

فإذا سارت الحكومة الفرنسية على سياسة عربية كسبت إليها عطف العرب القاطنين شمالي إفريقيا والعرب القاطنين لبنان وسورية، واستطاعت فرنسا بهذه الواسطة أن تكسب في الوقت نفسه عطف العرب الساكنين مصر وشبه جزيرة العرب والعراق وفلسطين وشرقي الأردن. وفي هذا العطف منفعة لفرنسا كبيرة جدًا من مادية وسياسية وتجارية.

ونرى من الحكمة أن لا تتوانى الحكومة الفرنسية في اتّباع هذه السياسة الرشيدة مغتنمة الفرصة السانحة من اشمئزاز العرب من السياسة التي تتّبعها انكلترا إزاء عرب فلسطين. وأن لا تدع ألمانيا وإيطاليا يسبقانها إلى ما هي أولى منهما به، فرابطة العرب بفرنسا أكبر وأقدم من رابطة العرب بانكلترا وألمانيا وإيطاليا».

هذا كلام هذا الكاتب الفرنسي وكأنه مستمد من المقالات التي كتبها في هذا المعنى رئيس «جمعية العلماء» ومحرّر هاته الصحيفة، فإن لم تقتنع به بعض الدوائر الإدارية فتقلع عن رمي جمعية العلماء بعداء فرنسا وتصلّبها في خطّتها، فليقتنع به بعض فتياننا الذين يخشون من اعترافهم بقوميتهم أن يُوصَموا بالجمود، وأن ينظرهم الفرنسيون بعين الاحتقار، وأن يحول أهل الحلّ والعقد منهم بينهم وبين ما يَضْبون إليه من حقوق.

إن معرفة الغاية والثبات على الخطة هما اللذان يجعلانك مع غيرك على بيّنة من أمرك فتعتمدان أحدكما على الآخر أو ييأس كلّ منكما من صاحبه.

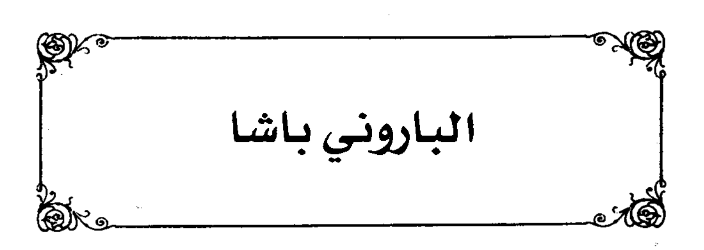
والاعتماد المبني على الثقة راحة، كما أن اليأس المبني على الخبرة راحة. وكلا[1] الاعتماد واليأس خير من تعاون مبني على النفاق، ورجاء مبني على الغرور.

فإمّا أن تكون أخي بصدق فأعرفُ منكَ غثّي من سميني
وإلاّ فاطرحني واتخذني عدوًّا أتّقيك وتتّقيني[2]

مبارك الميلي

(١) كذا في الأصل!

(٢) «البصائر»: العدد (١٤٥) الصادر يوم الجمعة ٢ ذي القعدة ١٣٥٧هـ، ٢٣/ ١٢/ ١٩٣٨م.



الباروني باشا

نشرنا سابقًا كلمة عن صحيفة «السِّجِلّ» الغراء في تولية السيد سليمان الباروني منصب الاستشارة بإمارة مسقط وأنها كانت بإيعاز من حكومة انكلترا وكفاء لحملته على الأمير شكيب.

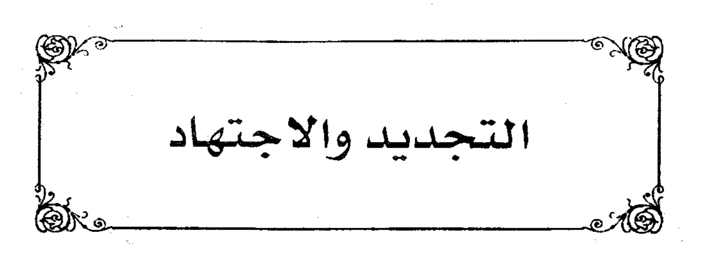
واليوم وقفنا في مجلة «الرابطة العربية» على جواب للباشا تناول فيه الدفاع عن نفسه وعن حكومة مسقط. فكان من الأمانة أن نطلع القارئ على جوابه. ولكن لا تتسع صحيفتنا لنقله ولاسيما تطويله في الإجابة عما لم ننشره نحن، فيكفينا أن نشير إليه، وأن نذكر ملخص جوابه عن تولّيه منصبه بمسقط.

فهو يقول: لا علاقة لتوليته بقضيته مع شكيب حيث أن أمير مسقط استدعاه إليه منذ نحو عامين وأنه ما تأخّر عن الإسراع بالإجابة إلاّ لأعذار شخصية من مرض به وبولده.

ونحن لم نعلّق قبل على كلمة صاحب «السِّجِلّ»، فلا نعلّق اليوم على دفاع الباشا، ونقف موقف الناقل غير الناقد[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤٥)، بدون إمضاء.



التجديد والاجتهاد

ذكرنا في صدر رسالتنا «الشِّرك ومظاهره» حديث تجديد الدِّين. فأعقب ذلك عناية بهذا الحديث إذ كتب عنه الشيخ الطاهر بن عاشور شيخ الإسلام المالكي بتونس فصولاً نشرها في أجزاء من مجلّة «الهداية» بمصر.

ثم جاء الأستاذ الحجوي تونس ضمن الوفد المغربي لجمعية «أحباس الحرمين» فألقى عليه درسًا قيّما بجامع الزيتونة.

وفي عدد يوم الجمعة الأخير من «الزهرة» الغراء رأينا تلخيصًا لذلك الدرس بقلم السيّد الشاذلي المكي، فإذا الأستاذ يستصعب تعيين بداية كلّ مائة سنة، ولا يستبعد أن تكون المائة إنما ذُكرت للتكثير لا للتحديد. ثم يشرح الدِّين بأنه قول وعمل واعتقاد، ويقول أنّ تجديد الدِّين هو بتجديد هذه الأجزاء.

ثم يقول:

«وإن التجديد يظهر لنا إذا ما درسنا مذاهب أهل السنة ومذهب السادة الصوفية وفهمنا كيف يؤوّل هؤلاء اليد والعين مثلاً[1] وكيف يؤوّلها أولئك مع أنه

(١) منهج السلف الصالح في الأسماء والصفات: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو أثبته له رسوله =

ليس بيننا نحن معاشر السُّنِّيِّين وبين الصوفية خلاف لو تجرّدنا من التعصّب».

ولما وصل إلى هذا الحدّ وكرّر هذا المعنى مرارًا ولاسيما كلمة التعصّب، قال له الشيخ الطاهر بن عاشور: فالتعصّب إنما هو من الصوفية، فقال له: نعم، هو كذلك ولست غيره أريد.

وهنا تعرّض الأستاذ إلى الغرض الأسمى الذي أُسِّست له الصوفية وإلى ما آل إليه أمرها الآن.

ثم قال: «وأما الفقه فهو يحتاج إلى تجديد وأيّ تجديد، وإنّا لنحتاج إلى التجديد لأنّ عصرنا يتطلّب ذلك منّا ولأنّ كلّ ما يحفّنا من كلّ شيء يتطلّب منّا التجديد في الدِّين وفي المجتمع وفي كلّ شيء.

وإذا قلنا الفقه يحتاج إلى التجديد فإننا نعني بذلك منه القسم المبني على الاجتهاد، أما القسم اللّفظي الصريح فلا سبيل إلى الكلام فيه.

ولقد علّم صلوات الله عليه وسلامه أصحابَه، وعلَّمنا نحن الاجتهاد الذي به التجديد، فلا فائدة إذن في هذا التعصّب الممقوت.

أو لم يقل رسول الله لأصحابه «لَا يُصَلِّيَنَّ أَحَدُكُمُ العَصْرَ إِلَّا فِي بَنِي قُرَيْظَةَ»؟[1]

ولقد صلّى بعضُ الصحابة العصر في الطريق والبعضُ الآخر لم يصلّ إلاّ في بني قريظة.

= ﷺ في سنته الصحيحة، من غير تأويل أو تعطيل، ولا تشبيه أو تمثيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١].

(١) أخرجه البخاري (٩٤٦)، ومسلم (١٧٧٠) إلاّ أنه قال: «الظهر» بدل «العصر»، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأنّ بين أيدينا الكتاب والسنة فلماذا نغلق هذا الباب الواسع باب الاجتهاد؟
أو لعلكم تقولون لسدّ الذريعة؟

وإن فعلتم فأرجو أن نفهم أن الذريعة ثلاثة أقسام:

ذريعة محقّقة يجب سدّها كحفر بئر في طريق.

وذريعة يجب فتحها كغرس العنب لأنها مظنونة؛ فغرس العنب وإن كان يؤدّي إلى عصر الخمر غير ممنوع بل هو جائز بل لربما كان واجبًا.

وذريعة وقع الاختلاف فيها.

ومرادي من هذا أن كلّ ما تحقّقت فيه الذريعة يجب سدّه، وما لا فلا.

إيه لكن ماذا ترون وماذا تقولون في قراءة القرءان في الراديو؟

ستقولون أن الراديو يسمعه الكافر والمؤمن والفاجر، ويسمعه، و يسمعه، فلو أنّا جوّزنا قراءة القرآن في الراديو لكنا قد تسبّبنا في إهانته، وستقولون أن الراديو يقطع الكلمة ولا يعطي الحروف مخارجها، وفي هذا ما فيه من المساس بالكتاب كما قال بعضهم.

لكن إن قلتم هذا ورأيتم هذا وعلّلتم بهذا، أرجوكم أن لا تنسوا أن القرآن قد يسمعه بواسطة الراديو العاصي فيرجع ويطيع، وقد يسمعه الكافر فيرقّ قلبه فيؤمن، وقد يسمعه الضالّ فيهتدي، لكن لماذا نذهب هكذا والرسول صلوات الله عليه وسلامه قد قرأ القرآن على مسمع من الكفّار والمنافقين؟

وإنّي أيّها السادة لا أكون مخطئًا إن قلتُ لكم: إنّ كثيرًا من العلوم فقدناها بسبب تعصّبنا، وما تأخّر فنّ الطباعة ثلاثمائة سنة إلاّ لهذا التعصّب الأعمى الذي

أدخل علينا أوهامًا.

وإنه من العجيب أن نقول لا نطبع ولا نستحقّ للطباعة حتى لا يأخذ الأجانب منّا كتبنا التي لربما تكون فيها بعض الآي وننسى أننا أضحينا نشتري المصاحف منهم، أو ليس هذا من البله؟

وإذن ففي مثل هذه المسائل يكون التجدّد، وفي مثل هذه المشاكل يجب علينا أن نتدارك وأن لا نجعل بيننا وبين باب الاجتهاد الذي نلج منه إلى التجديد سدًّا.

وأنه يكفي للشخص المجتهد أن يكون له إلمام باللغة العربية وأن يكون مطّلعًا على القرآن.

أما شرط الاطّلاع على تفاسير القرآن، أما الإحاطة بالسُّنَّة فهذا غير معروف عند من تقدّمنا من أسلافنا.

وإنه يظهر لكم بصورة جليّة أنّا لا نريد التجديد وأنّا نريد التعصّب للمذاهب والفِرق متى بحثنا في المسح على الخُفَّين، أفهل كان رسول الله ﷺ لا يمسح على الخُفّين إلاّ إذا كانا من جلد، أمّا إذا كانا من غيره فلا يجوز؟؟ كلاّ، كلاّ!!!

وإذن فإني أرى أن لا بأس بالمسح على الجوارب (التقاشير) ولا مانع ولا حرج، وإني قد أفتيتُ بذلك، بل أفتيتُ بالمسح على الحِذاء للجنود، والدِّين يسر وليس هو بعسر[1].

ومسألة الطلاق ثلاثًا في مرّة واحدة؟

هذه أيضا مصيبة كبرى يجب علينا أن نجتهد فيها وأن نجدّدها ما دامت

---

(١) انظر للاستفادة أكثر رسالتنا اللطيفة: «أحكام المسح على الخفين والجوربين والنعلين في السنة الصحيحة وآثار السلف».

السُّنَّة تقرّر أن المطلّق زوجته ثلاثًا في مرّة واحدة لا تلزمه إلاّ واحدة لا أكثر[1].

ومصيبتنا في الحقيقة إنما هي من اشتغالنا أكثر مما يلزم بكتب الفروع وتركنا لكتب الأصول مع أنها هي العامل الوحيد لتربية المَلَكة فينا».

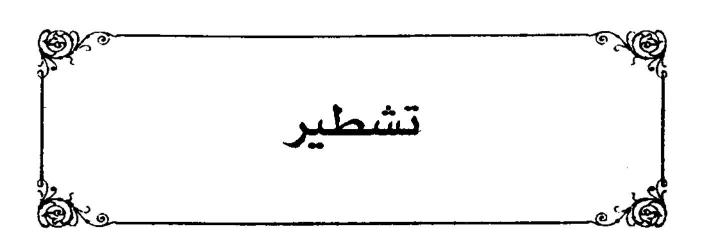
نقلنا هذا الكلام على طوله وإن كان مختصرًا في موضوعه لما رأينا فيه من الفائدة للقراء، وليزداد العالمون بمقام الأستاذ الحجوي في العلم وحرية النظر علماً إلى علمهم بمكانة هذا الرجل، وليذهب غرور المغترّين بالشيخ الطاهر بن عاشور من أدعياء التصوّف، فيعلموا رأيه في الصوفية، ثم لينجلي الفرق بين رجال الدِّين الرسميين في المغرب الأقصى وفي الجزائر وفي تونس، وأن هذه القطع الثلاث من الوطن المغربي الكبير لا تُعدم علماء أجلاّء. وإنما حكوماتها هي التي تُقصي فريقًا عن أمثال هاته المواقف لغضبها عنه لا لعدم كفاءته. فإذا عمّ غضب حكومة منها جلّة علمائها قدّمت من لا يحمل شهادة لعلمه إلاّ رضى حكومته[2].

مبارك الميلي

---

(١) كما في حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في «صحيح مسلم» (١٤٧٢).

(٢) «البصائر»: العدد (١٤٥).

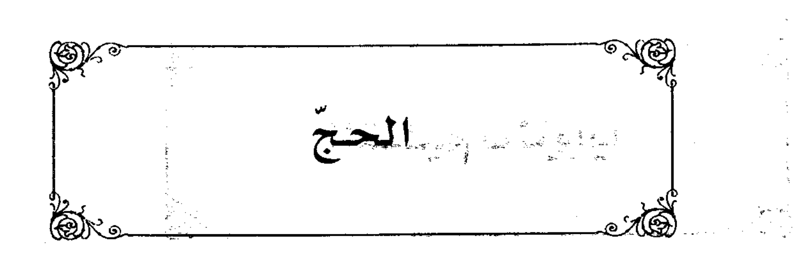


تشطير

أرسل إلينا أحد الأدباء بيتين قديمين لينشرا للتشطير بجائزة.

وشرطْنا أن لا نلتزمَ للقُرَّاء بالجائزة قبل أن تكون تحت أيدينا. كما أنّ الأليقَ إنشاءُ أدبٍ حديثٍ لا إنشاء أدب قديم[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٥)، بدون إمضاء.



الحجّ

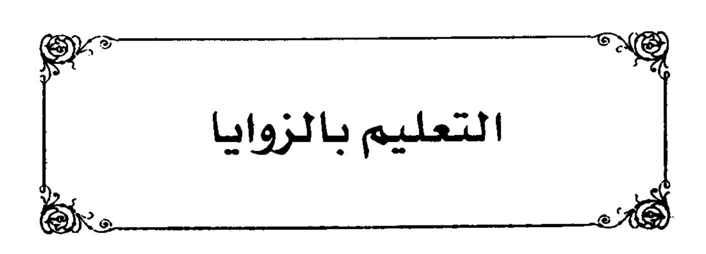
نشرت «الهداية الإسلامية» الراقية مقالًا للشَّيخ مصطفى اللّبان بعنوان «الفرائض الدينية وعلاقتها بالحياة الاجتماعية»، رأينا أن نقدِّم لقرَّاء «البصائر» ما يتعلَّق منه بالحجِّ؛ عسى أن يبعث في النُّفوس شوقًا يعقبه عزمٌ، وفي العقول علم يصحبه عمل.

* * *

«البصائر»:

ما زالت الصُّحف تؤكِّد الخبر بكثرة الحُجَّاج هاته السَّنة حتَّى إنَّ الحكومة السُّعودية عنايةً بهم قرَّرت إحداث مركزين للهاتف «التلفون» أحدهما بمكَّة ذو سبعمائة خط والآخر في جُدَّة ذو أربعمائة خطٍّ[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٥)، بدون إمضاء.



التعليم بالزوايا

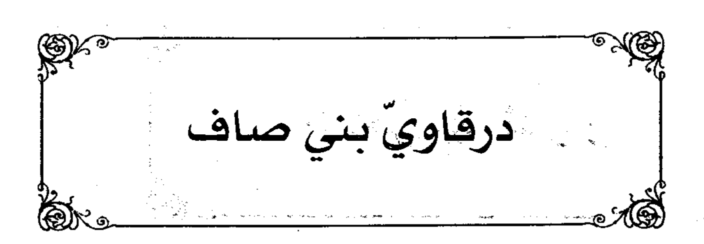
«البصائر»:

إنَّ للنقص الواقع في التعليم بالزوايا وغيرها أسبابًا وراء ما ذكره الكاتبُ[1] من مشاهداته، ولا يُتغلّب عليها إلَّا بمؤتمرات علمية تضع البرامج وتوحِّد الأساليب وتمتحن المعلِّم والمتعلِّم.

والذي يختصُّ بالزوايا من عيوب هو بثُّ الجمود وتقديس رجال ليس لهم فضل أعمال[2].

(١) هو عبد الحميد بن حالّة، من تلاميذ الشَّيخ ابن باديس بالجامع الأخضر بقسنطينة.

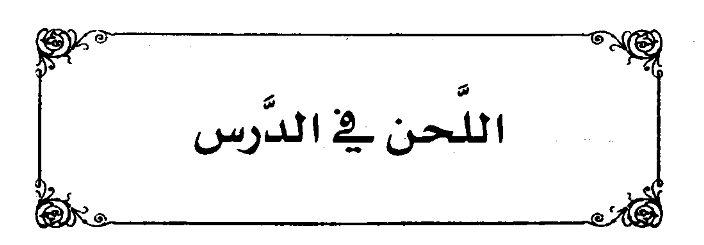
(٢) «البصائر»: العدد (١٤٥)، بدون إمضاء.



درقاويّ بني صاف

ما زال هذا الدرقاوي يؤذي «جمعية العلماء» وأعضاءها، وقد كتب إلينا الناس بمخازيه، فلم نبادر إلى نشرها، وإنْ أبى إلّا الأذى، فنذيع عنه ما يخجله ويخزيه: ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَخْزَىٰ﴾ [فُصِّلَت: ١٦][1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٥)، بدون إمضاء.



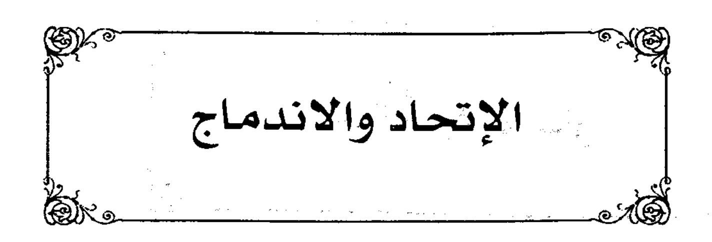
اللّحن في الدَّرس

نشرت «البصائر» في عدد مضى قضيَّة المدرِّس باحتفال طرقي، وأنَّ الطُّرقيين لم يهووا وعظ ذلك المدرِّس، فأسكتوه بِحُجَّة أنّ اللَّحن في الدرس مبطل له، فكان سؤال في الموضوع أجابت عنه «البصائر».

والآن جاءنا من حضرة ذلك المدرِّس وهو السَّيِّد الحاج محمد الطرابلسي، أنَّ كاتبًا من «خميس مليانة» نبزه بالتَّردُّد على الزَّوايا تكفُّفًا إلى غير ذلك من الشَّخصيات وأنَّه نشر كتابته بصحيفة طرقيَّة.

وقد بسط السَّيِّد الطرابلسي الجواب عن نفسه ورغب في نشره بـ«البصائر» غير أن صحيفتنا قد أدَّت ما فيه الفائدة في أصل الموضوع، ولا نرى ضرورة داعية إلى تبرئة السيد الطرابلسي من طعن الوالعين بالشخصيَّات، فإنَّ في تتبّع أمثال هذا الطاعن مشغلةً للكاتب وللقارئ وإسفافًا بصحيفة تحترم نفسها وقرَّاءها، فليعذرنا حضرة السيد الطرابلسي إن لم ننشر دفاعه عن نفسه[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٥)، بدون إمضاء.



الإتحاد والاندماج

كلُّ متتبِّع لمبادئ النَّهضة الجزائريَّة الحديثة يعلم رأي رجال الإصلاح في الاتِّحاد والاندماج، وأنَّهم يؤيِّدون المبدأ الأوَّل، ويرون استحالة المبدأ الثَّاني. كتبوا في ذلك قبل تأسيس «جمعيَّة العلماء» وبعدها.

وقد رأينا تأييد نظرنا ذلك بأقلام غيرنا، فنقلنا في العدد الماضي ما عرَّبته صحيفة «القَبَس» الغرَّاء عن كاتب فرنسي.

وإثر ذلك وقفنا في صحيفة «الزَّهرة» الغرَّاء على مقال افتتاحي، فرأينا أن ننقل منه ما له اندراج في الموضوع لمتانة أسلوبه ورجاء حسن تأثيره.

قال الكاتب: «..........»

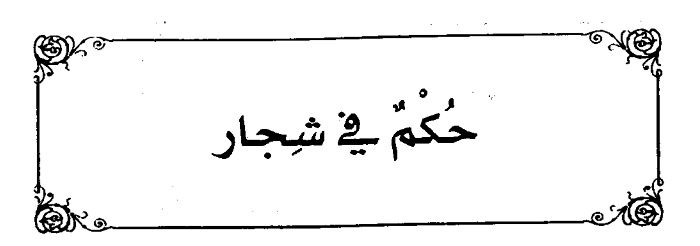
ولكي يعلم القرَّاء أنَّ مبدأ «الاتحاد» هو المعقول، وأنَّه أصبح عقيدة عامَّة، نذيِّل لهم على مقال «الزَّهرة» بقطعة من محاضرة لرئيس تحرير صحيفة «الأهرام» الذَّائعة الصِّيت.

قال المحاضر:

«.........»[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤٦) الصَّادر يوم الجمعة ٨ ذي القعدة ١٣٥٧هـ ٣٠/ ١٢/ ١٩٣٨م، بدون إمضاء.

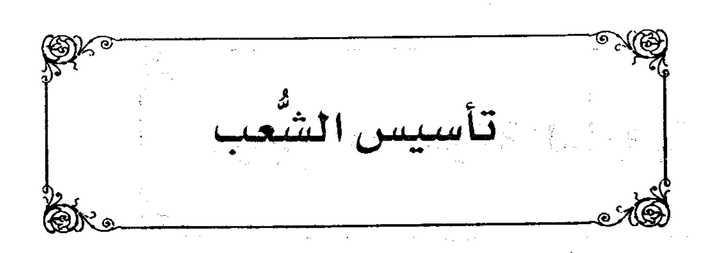


حُكْمٌ في شِجار

نشرت «النجاح» كلمة تهكّم واستخفاف بالأستاذ وليّ نعمتها الشيخ عبد الحميد بن باديس وبالسيد أحمد بوشمال، في أسلوبٍ خال من أيِّ أدب أو مغزى شريف لاستدامة رضى بعض الدوائر الحكومية عن تلك الجريدة.

ولما التقى السيد بوشمال بمحرِّرها دار بينهما كلام فشجار فانفجار، فرفع المحرِّر دعوى بالسَّيِّد بوشمال، وفي الأسبوع الماضي كانت المرافعة، فكان حديثُ وكيل المحرّر حملةً على «جمعية العلماء» وإشادةً بخدمات موكله للحكومة، ورغما عن كونه خرج بحديثه عن الموضوع حكموا له على السيد بوشمال بأرش وتغريم، فهل هذا من استقلال القضاء أو استغلاله؟[1]

(١) «البصائر»: العدد (١٤٦)، بدون إمضاء.



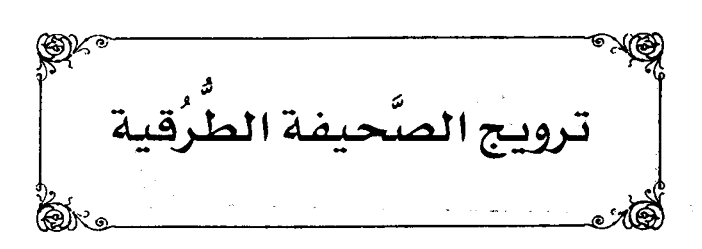
تأسيس الشُّعب

إذا عزَمَتْ ناحيةٌ من نواحي الإصلاح على إحداث شُعبة لجمعية العلماء لَزِمَها أن تكتب بهيئتها إلى رئيس الجمعية كتابةً مصحوبة بإمضاء أعضائها.

ولا تعتبر شُعبة للجمعية إلَّا بعد إعلام الرَّئيس لها بالقبول ثمَّ تُنشر في صحيفة الجمعية.

وبهذه الطريقة نتّقي تلاعب بعض ضعاف الإرادة الذين يرغبون في خدمة الحقِّ مع «الجمعية» حتى إذا خشوا تهديد أيّ موظّف أعلنوا انسحابهم من الجمعية[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٦)، بدون إمضاء.



ترويج الصَّحيفة الطُّرُقية

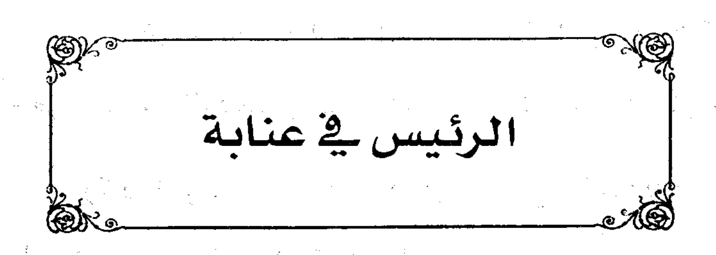
جاءنا من غليزان أنَّ من شيوخ الطُّرق من يكلِّفون تلاميذهم ومريديهم بترويج الصحيفة الطُّرقية في الدوائر التي تتحكَّم في عواطف المسلمين، مثل بعض المتصرفيات (أدمنستراسيون)[1].

وههنا يتعجّب الكاتب من معارضة أولئك الشيوخ للتعليم الحرّ ومعاضدتهم للإدارة الخانقة له، ثم محاولتهم لترويج صحيفتهم في الأوساط التي يخنقون فيها التّعليم، فمن يقرأ إذا لم يكن تعليم؟

أمّا نحن فلا نتعجَّب مع الكاتب؛ لأن الاشتراكات في صحيفة طرقية إنما هي مثل الاشتراكات في السّبح الطُّرُقية: زيارة وتبرّك، لا تعليم وإرشاد![2]

(١) كلمة فرنسية: [Administration]، ومعناها: إدارة.

(٢) «البصائر»: العدد (١٤٦)، بدون إمضاء.



الرئيس في عنابة

جاءنا من عنابة أنَّ الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس قد زارهم، فتلقَّوه إلى المحطة [...][1] حافل وسرور سار، ورافقوه إلى حيث [...][2] في نزل فخم جميل، وذلك يوم الخميس الثاني وعشرون من دجنمبر.

وتواعدوا إلى اجتماع في مكتب التعليم العربي احتفاءً بِمَقْدَمِهِ واستفادةً من معارفه، فكان اجتماعٌ حاشدٌ ضاقَ عنه المكتب ورحابه.

ولفت الأنظار في هذا الاجتماع حضور جمعٍ من الفتيات دون العاشرة، فنثرن بين يديه منثورات من محفوظاتهنَّ في العربية والسيرة النبوية والمبادئ الدينية.

وقام الأديب الفاضل السيد الصادق المنبهي بخطاب ترحيب وتأييد كان له أثر حسن.

وإثره قام الرئيس حاثًّا على تعليم الصبيان ولافتًا الأنظار إلى البنات أمَّهات المستقبل ذاكرًا مزية المرأة في حياة الشعوب وأنَّ موت المرأة بالجهل موت للشعب، ثمَّ

---

(١) بياض في الأصل، ولعله: «في حفل».

(٢) بياض في الأصل، ولعله: «حلّ».

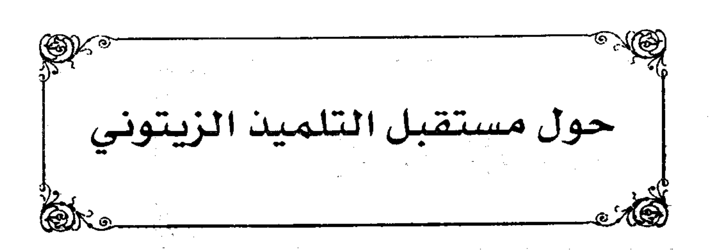
حثَّ على التعاون وكشف عن مزاياه.

ثمَّ نهض الشاب الفاضل السيِّد عبد السَّلام بن العلَّامة الشيخ بوشريط قاضي عنابة سابقًا، فتكلّم باسم العنابيِّين مؤيِّدًا الأستاذ فيما دعا إليه.

وكان الغرض من زيارة الأستاذ الرئيس هاته، الدعوة إلى تأسيس نادٍ للنهوض بالحركة الإصلاحية على مبادئ «جمعية العلماء»، فتلقى كلّ تأييد، ووعدوه التنفيذ، أعانهم الله[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤٧)، الصادر يوم الجمعة ١٥ ذي القعدة ١٣٥٧هـ ٦/ ١/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



حول مستقبل التلميذ الزيتوني

«البصائر» :

نوافق حضرة الأخ الكاتب[1] على إدخال النواب في قضيَّة مستقبل التلميذ الزيتوني، كما نوافق الأول[2] على دعوته متخرِّجي الكليَّات الإسلامية إلى العناية بمستقبلهم، وليس بين الدعوتين تناقض إذ لا يحسن إهمال النواب فيما يتعلّق بنيابتهم، ولا يجمل الاتّكال عليهم من غير سعي[3].

---

(١) هو مقيدش محمَّد الجيجلي.

(٢) هو الشَّاب الأديب: مصطفى بن سعد الجيجلي، أحد الطَّلبة الجزائريِّين بالزَّيتونة.

(٣) «البصائر»: العدد (١٤٧)، بدون إمضاء.

رأي في الإصلاح

قال الشيخ سُكيرج القاضي الرسمي التيجاني في حديث له فاضت به معارفه بمناسبة إشراق الاجتماع بجمعية «أحباس الحرمين»:

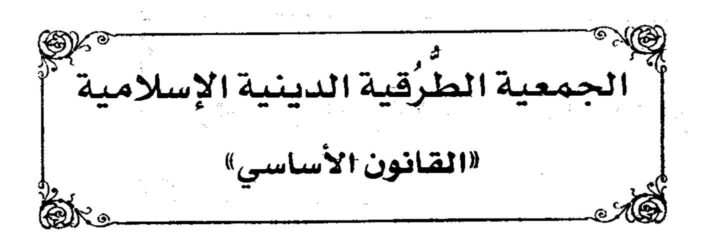
«إنّ الإصلاح ـ دينيًا كان أو اجتماعيًا ـ لا ينبغي أن يكون بمعاكسة الدولة الحالية، فإن الإذعان للحكومات لا يأتي إلَّا بخير في الشدّة والرخاء».

وما دامت الطُّرُقية ـ ولا سيما التيجانية ـ تعتمد على التعاليم السِّرِّيَّة فلا نجهد أنفسنا في البحث عن مصدر هذه الفلسفة السُّكرجية، وإنما نعقبها بكلمة لغيره، وهي:

«الشعب الذليل الخامل المستعبد هو الذي يعيش بهدوء وسكون، فاقد الحركة، لا يُبالي بتطوّرات العالم، ويرغب دائما في البقاء على قَدِيمِهِ، مدّعيًا أنه إرث مقدّس»[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤٧)، بدون إمضاء.

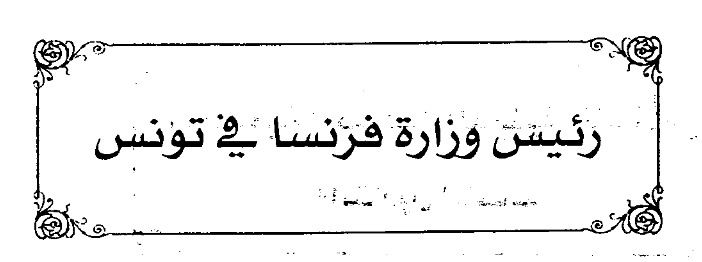


«البصائر»:

إنّ ما في هذا القانون من عامّية وتحريف مطابق لمبدأ الطرقية، فإنّ من شيوخهم من لقّن الشيخ عليش «واصلح لنا ما ياتي» بوصل الهمزة، فقطعها عليش، فأغضب الشيخ بهذا الإصلاح ولم يرض عنه إلاّ بعد أن جاراه في اللّحن.

ولا نعجب من عنايتهم فيه بذواتهم، ولكن من عنايتهم بالفقراء ـ وإن لم يكونوا صادقين ـ فإنّ الفقر إنما انتشر عن الطرقية وخدنها الاستعمار القاسي[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٨)، الصّادر يوم الجمعة ٢٢ ذي القعدة ١٣٥٧هـ، ١٣/ ١/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



رئيس وزارة فرنسا في تونس

إثر ظهور مطامع إيطاليا في تونس وإعلان شعبها بذلك قامت زوبعة من الحركات والأفكار تدلّ على ما للقوّة من تأثير ولو كانت خاطئة.

وفي الأسبوع الماضي حلَّ رئيس الوزارة الفرنسية بتونس إجابة عن تلك المطامع، فاقتبله الشعب التونسي اقتبالاً منقطع النظير، وسالت أودية الصحف بتسجيل ذلك الاقتبال ووصف الحفاوة برئيس الوزارة.

وقد ذكرنا عند ذلك مقابلة تونس لرئيس الجمهورية الفرنسية «م.ملران» سنة (٢٢) وكيف كانت في غاية البرودة وعدم الاكتراث.

وليس ذلك راجعًا لتقدّم الشعب التونسي أو تأخرِه، بل ذلك عائد إلى الأمل واليأس، فلم تكن تونس ترجو في ذلك العهد من رئيس الجمهورية ما يبعثها على النشاط لمقابلته والحفاوة به، أمَّا اليوم فإنَّها كلّها أمل يحدوها إلى إظهار عواطفها نحو رئيس الحكومة الحالية «م.دلادي».

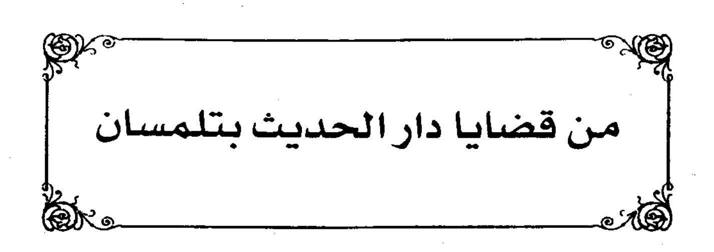
وقد عبرت صحيفة «تونس الفتاة» عن ذلك الأمل بقولها:

«إنَّ شباب تونس وفي جانبه كامل شباب إفريقية لا يريد استعمار إيطاليا،

ولكنه يريد حياة حرّة في دائرة المعاهدات ويرى في سراح الزعماء وكافة المعتقلين السياسيين فاتحة عهد جديد».

ونحن نودّ أن لا تكون ثمرة حفاوة تونس برئيس الحكومة الفرنسية كثمرة حفاوة الشام ولبنانه برئيس مجلس الأمّة الفرنسية، فقد قابل ذلك الشعب رئيس البرلمان الفرنسي «م. هيريو» بكلّ حفاوة منذ أشهر، وكانوا يرجون تصديق المعاهدة السورية الفرنسية فخابت الآمال، فنرجو تحقيق أمل إخوانا التونسيين، فإن فيه خير الحامي و المحمي[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٨)، بدون إمضاء.



من قضايا دار الحديث بتلمسان

نشرت «البصائر» في عدديها (١٢١، ١٢٢) حديث محاكمة الإدارة للشيخ البشير الإبراهيمي نائب رئيس «جمعية العلماء» ومؤسّس «دار الحديث»، وحكمها عليه ذلك الحكم الذي سكت عنه، ولم يستأنفه.

لكن الإدارة لم ترض بإفلات الأستاذ من يدها، فاستأنفت قضيَّته إلى الجزائر، ولم تعلمه بالاستئناف إلَّا حين لم يبق له زمن من أمد الاستئناف المقرّر، وذلك ليكون الاستئناف من طرفها فقط إيهامًا للعدالة بأنَّه ما قَبِلَ الحكمَ الابتدائي إلَّا لكونه يراه أقلَّ وقعًا ممَّا كان ينبغي أن يكون.

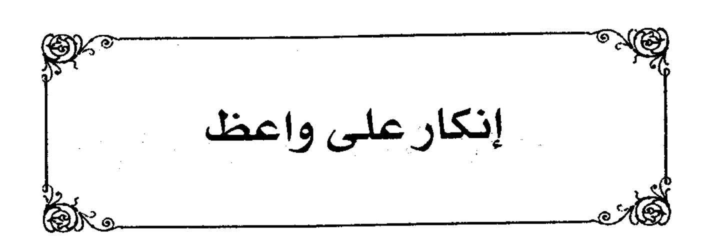
وأوائل دجنبر الماضي عرضت قضيَّته أمام محكمة الجزائر، فأيَّدت الحكم الأول، وللعدالة قضايا تثبت استقلالها عن الإدارة.

لم نكتب عن هذا الحكم في حينه لترجِّينا الكتابة إمَّا من الجزائر حيث الحكم وإمَّا من تلمسان منشأ القضية، ولمَّا لم يأتنا شيء كتبنا هذه الكلمة تتميما لسِجِلّ القضية.

ونعيد بهذه المناسبة ما رجوناه مرارًا من رجال «الجمعية» أن يكتبوا إلى صحيفتهم بالحوادث الداخلية في موضوعها «ليرى مبصر ويسمع واعٍ»[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤٨)، بدون إمضاء.



إنكار على واعظ

كتب إلينا السَّيِّد بوناب من غليزان يذكر قيامه على جنازة بخطاب ذكَّر فيه ووعظ وأرشد، فأنكر عليه بعض الناس هذا الموقف، وغرضه أن يبيِّن له علماء الإصلاح السُّنَّة في ذلك.

وكلمة «البصائر» في هذا المقام أنَّ السُّنَّة في الجنازة حال السَّير هو السُّكوت، وأنَّ الوعظ والإرشاد والتَّذكير قبل ذلك أو بعده في المقبرة غير منكر.

وفي «الصَّحيحين»[1] أنَّه ﷺ كان في جنازة في بقيع الغرقد فذكر لأصحابه سبق الكتاب بالشقاوة والسعادة، فقالوا له أفلا نتَّكل؟ فقال: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لِمَا**

---

(١) صحيح البخاري (١٣٦٢ و٤٩٤٥ـ٤٩٤٩ و..) وصحيح مسلم (٢٦٤٧) من حديث عليّ ﷺ.

وقد ترجم الإمام البخاري للحديث في كتاب الجنائز بـ: «باب موعظة المحدِّث عند القبر، وقعود أصحابه حوله».

ويشهد له حديث البراء بن عازب ﷺ، أخرجه أبو داود (٤٧٣٨)، وصححه الحاكم (١/ ٣٧ـ٤٠) وأقره الذهبي، وصححه ابن القيم في «إعلام الموقعين» (١/ ١٧٨) و«تهذيب السنن» (٤/ ٣٣٧)، والألباني في «أحكام الجنائز» (ص ١٥٩).

خُلِقَ لَهُ».

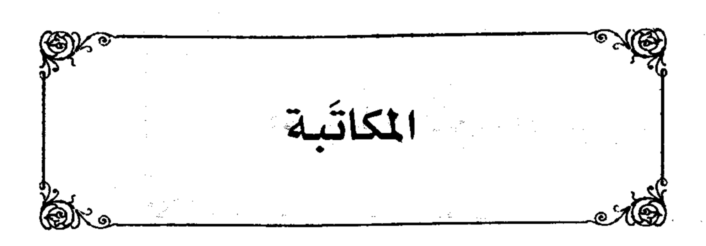
ثمَّ قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦﴾ إلى ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾ [الليل: ٥ ـ ١٠].

وهي قراءة على الأحياء للاتعاظ[١] كما لا يخفى[٢].

---

(١) ولو قيل: إنَّ قراءته ﷺ للآيات للاستدلال والاستشهاد، لا لمجرَّد التلاوة المخالفة لهديه في المقبرة؛ لكان أوجه، والله أعلم.

(٢) «البصائر» العدد (١٤٨)، بدون إمضاء.



المكاتَبة

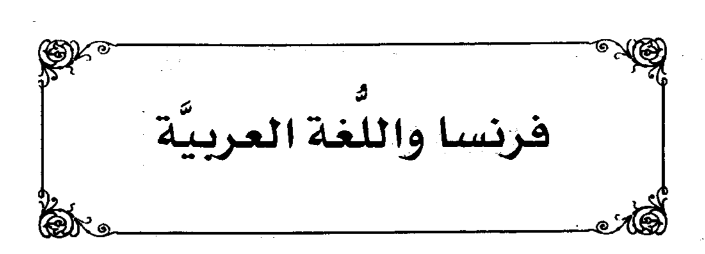
طلبنا وكرّرنا الطلب إلى رجال «الجمعية» في سائر النواحي أن يُعْنَوا بمكاتبة صحيفتهم، فجاءتنا مقالات تلبية لذلك النداء، وهنا وجب علينا أن نشرح معنى المُكاتَبة.

المُكاتَبة إخبار بحادث في ناحية المُكاتِب يصوِّر الواقع كما هو، سواء كان الحادث سارًّا حسنًا أو مؤلمًا سيِّئا، ومن لوازم هذا الإخبار أن يكون مختصرًا حتَّى لا يزاحم في النَّشر ولا يفوت القارئ المستعجل مطالعته، ومن لوازمه أن يكون ملائماً لموضوع الجريدة خادمًا لغايتها.

ومن أجل أنّ المُكاتَبَةَ مفاعَلةٌ بين المُخبِر والإدارة يلزم أن يكتب المُخبِرُ باسمه وحاله إلى الإدارة، فإذا اعتمدته كتبت له هي أيضًا، ولو كنا نعلم عناوين من فيهم الأهلية والاستعداد لهذا العمل لابتدأنا نحن مكاتبتهم، ولكن ما دام سعينا هذا سعياً في الخير وخدمة الشعب فالفضل للمتقدّم، وفي أمثال العامّة «الخير بالخير والبادي أكرم»[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٤٨)، بدون إمضاء.

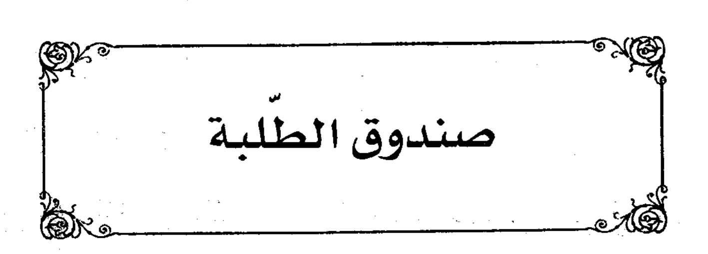


فرنسا واللُّغة العربيَّة

بينما نرى الضَّغط يتزايد في الجزائر على حركة التعليم الابتدائي العربي، نرى رجالًا كبارا فرنسيِّين يدعون إلى العناية بالعربية وعدم اعتبارها غريبة عن الفرنسيين.

وفيما يلي نثبت عن «القبس» ما عرّبته عن صحيفة فرنسية كبيرة[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٨)، بدون إمضاء.



صندوق الطّلبة

لا ريب في أنّ صندوق الطلبة المجعول لحماية الطالب من غوائل الاحتياج كادت تقلّ مداخيله ؛ لهذا قرَّرت لجنة الصندوق طبع القوائم كعادتها في السنوات الماضية ووزّعتها على رؤساء الشُّعب وغيرهم من إخواننا أنصار العلم في العمالات الثلاث.

غير أنَّ البعض منها اتّصل بها أمين المالية وبعضها ما زالت، فنهيب بمن اتصل بالقائمة أن يبادر بإرسالها ويستحثّ أهل الخير على تعميم أوديتها بما أجادت به أيديهم.

ونخبر كلَّ محبٍّ للعلم وأهله أنّ صندوق الطلبة في هذا العام يتحمَّل مصاريف باهضة من كراء؛ وتطبيب؛ وشراء خبز.

وإذا لم تكن المعونة الكافية له؛ نكون قد ضيَّعنا حقًّا من حقوق الدِّين وتركنا أبناءنا في حيرة ما لها من مزيد، وأن هذا الدِّين القويم والعلم الصحيح لا يسيران بنفسهما، بل لا بدَّ من مسيّر ونصير، هذا بالمال وذاك بالرأي.

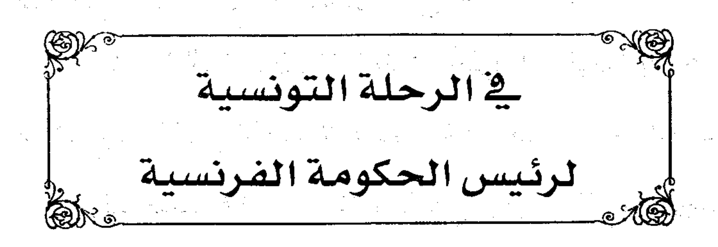
ولا تظنّ ـ يا نصير العلم ـ أنَّ العلم يؤخذ بالاحتياج، ولعلّها فكرة سفسطة

نسجتها عنكبوت الخُرافات، فإنَّ أجدادنا الكرام ـ أيَّام كانوا في سالف عزّهم ـ حبسوا أموالهم ورصدوا عقاراتهم، في سبيل نشر العلم، وبها لا بغيرها تعلَّم أبناؤهم وأفادوا، واستفاد الوطن منهم لسان الدِّين وعلوم الدِّين ورفعوا الرأس عاليًا بمعارفهم.

ولما نضب ذلك المَعين، قلَّ العلم وعشعش الجهل في هذه الدَّار، وتبدَّل الحال من حال إلى حال، فَسِرْ أنتَ بسيرة أخرى واجعل لطالب العلم مَهيعاً يسير عليه، و أمدّه بما يسَّر الله من مالك، والله مع العاملين[1].

---

(1) «البصائر»: العدد (١٤٩)، الصَّادر يوم الجمعة ٢٩ ذي القعدة ١٣٥٧هـ، ٢٠/ ١/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



في الرحلة التونسية لرئيس الحكومة الفرنسية

كانت الآمالُ التونسيةُ في هذه الرحلة آمالَ تفاؤلٍ بعهد جديد يُزيح بعض سيّئات العهد الماضي، وهي آمال مشروعة جملةً وتفصيلًا، والظُّروف الحالية تقضي باعتبارها منطقًا ومصلحة.

أمَّا جامعة شُعب الحزب الراديكالي الاشتراكي بتونس الذي يرأس رئيس الحكومة «م. دلادي» لجنته التنفيذية العليا فقد تقدّمت إلى ذلك الرئيس رئيس الحكومة ورئيس اللّجنة العليا برغائبها المعاكسة للآمال التونسية على خط مستقيم.

فالجامعة ترى للقضاء على المطامع الإيطالية في تونس الاستكثار من المعمِّرين الفرنسيين ومن موظَّفيهم في الإدارات، ولا تعطف على التونسي إلَّا عطف المالك على الأجير.

ولقد قالت صحيفة «النهضة»: «إن الجامعة انتهزت فرصة الضغط على التونسيين كأنّهم هم مصدر ذلك الضغط الخارجي أو هم المتسبِّبون فيه والداعون إليه».

وإلى ذلك صدور أحكام متفاوتة إثر خروج رئيس الحكومة من تونس

بعضها على من هتفوا في يوم استقبال الرئيس بحياة السيد بورقيبة والدستور، وبعضها على بقية من المعتقلين يوم تاسع أفريل الماضي.

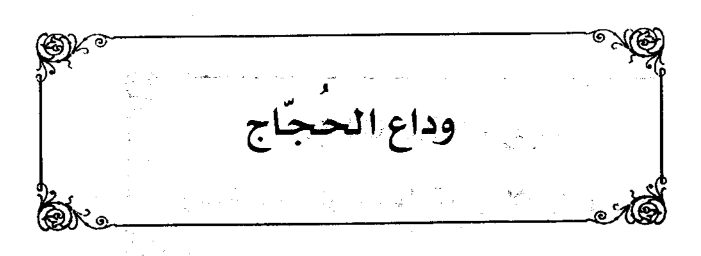
وقد كان التونسيون وكلّ العقلاء يأملون أن يكون العفو عن أمثال هؤلاء أول ما تشجّع به الحكومة الحامية الأمّة التونسية على القيام في وجه المطامع الإيطالية.

وقد ختمت «الزهرة» مقالها الافتتاحي في هذا المعنى بقولها:

«ولكن ما الحيلة وقد بقينا وحدنا نقدّر هذه الاعتبارات ونحافظ على سلامة واجهة التضامن الفرنسي التونسي أمام خصم الجميع».

وهكذا كلّما برقت لأهل الشمال الإفريقي بارقة أمل وثقة بالحكومة العليا في باريس قابلتهم الحكومات المحلّية بما يوجب رد الفعل[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٤٩)، بدون إمضاء.



وداع الحُجّاج

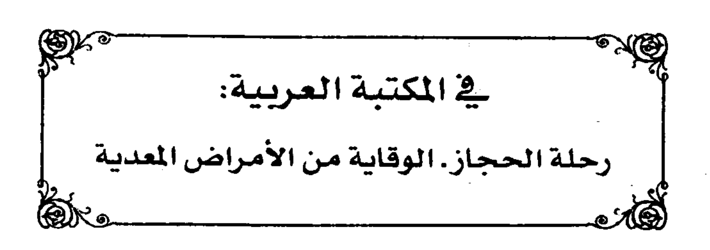
سافر رئيس «الجمعية» مساء الجمعة إلى عنابة لتوديع الحُجّاج وذهب لملاقاة الباخرة صباح الأحد بالمرفأ، وبعد الزوال تلقاه السَّيِّد الفضيل صاحب الباخرة، فزار جميع طبقاتها مسلِّما ومودِّعا، وتلقّاه الحاكم المعيّن لمرافقة الحجاج «م. روبول» بالترحيب وشكره على زيارته الباخرة .

وقد ذكر لنا استحسانه لحالة الباخرة وخصوصًا مستشفى المرض[1] ومحلّ الصلاة ونقاوة المطبخ وجودة المأكول من خبز ولحم وغيرهما، كما ذكر لنا ما شاهدوه من حسن عناية «م. روبول» ولطف معاملته.

صحب الله ذلك الوفد الكريم بالسلامة، ورجّعهم سالمين غانمين[2].

(١) كذا في الأصل!

(٢) «البصائر»: العدد (١٤٩)، بدون إمضاء.



في المكتبة العربية:

رحلة الحجاز. الوقاية من الأمراض المعدية

أهدانا حضرة الدكتور عبد الغني شاه بندر منشئ مجلّة «الحكمة» في بيروت، والمتخصِّص بالأمراض الصدرية، الكتابين أعلاه من تحريره، وكلاهما نظيف الطبع جيّد الورق.

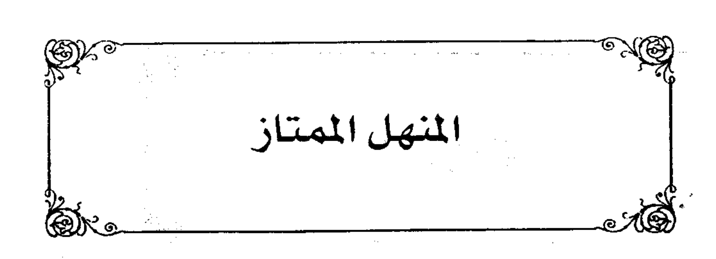
والأوّل يقع في مائة صفحة تصف الحجاز وصفًا عامًّا ومنازله ومناسكه والأدعية المعهودة، والعوائد المقرّرة، إلى نُبذ تاريخية وإرشادات صحيّة.

والثاني يقع في مائة وخمسين صفحة تبحث في جملة أمراض وأسباب العدوى وطرق الوقاية.

والخزانة العربية في حاجة إلى أمثال هذه التآليف فنشكر حضرة المُهدي على إحساسه نحو الخزانة العربية وشعوره نحو الإنسانية، أكثر الله من العاملين أمثاله لصالح الإنسان وحياة لغة الضّاد[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٠)، الصّادر يوم الجمعة ٦ ذي الحجة ١٣٥٧هـ ٢٧/ ١/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



المنهل الممتاز

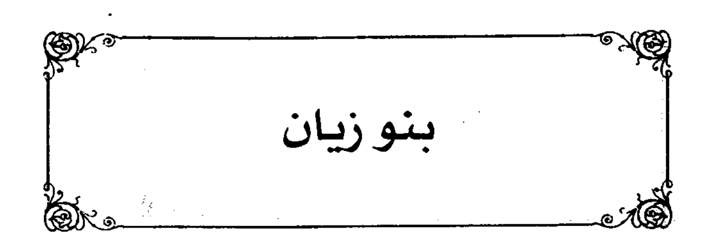
اعتاد مؤسِّس مجلّة «المنهل» الفيحاء ومحرِّرها الأستاذ عبد القدوس الأنصاري أن يختم سنته بعدد ممتاز يشحنه بالأفكار الناضجة والبحوث القيّمة.

وقد انتهى إلينا «المنهل» الممتاز الذي ختم السنة الثانية فإذا هو لا يزداد في سعيه إلّا نشاطًا وفي إخلاصه للأدب والثقافة والعلم إلّا مُضيًّا.

فنرجو للمجلّة المدنية الأنصارية اطّراد الرقي وسَعة الرواج، ولحضرة صاحبها طول العمر وكمال التأييد[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٠)، بدون إمضاء.



بنو زيان

جاءنا من السيد السّعيد بن الطاهر الزياني سؤال عن بني زيان القاطنين قرب طولقة: أيتصل نسبهم ببني زيان ملوك تلمسان؟ وهل هم عرب أم بربر؟

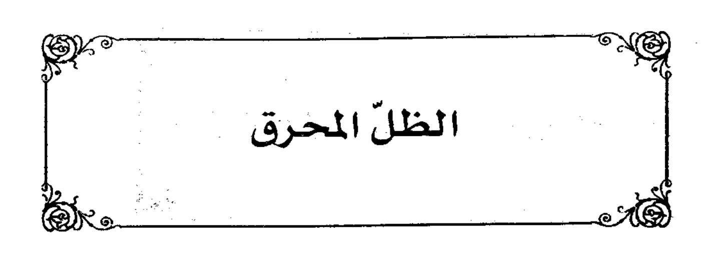
والجواب: إنَّ اسم بني زيان تحمله في وطن الجزائر عدّة قبائل متباعدة الأصل، وفي الأغواط بنو زيان كانت لهم عليها رئاسة، ولما نزلها «سيدي موسى ابن حسن» المصري على عهد الاحتلال الفرنسي كان بنو زيان هولاء عونًا له في معاركه ضد الإفرنسيين، وأخيرًا التجأ إلى قرية «الزعاطشة» قرب طولقة، وكان بنو زيان الأغواطيون في ركابه، وقد استشهد هنالك.

ولست أدري أبنو زيان المسئول عنهم يتصلون ببني زيان الأغواطيين، فإني لست الآن مستعدًا لمراجعة المظان وإبداء ما انتهى إليه البحث والاطلاع؛ ولكن يظهر أنهم عرب بحكم الموطن، فإن أغلب سكان الجنوب ـ ولا سيما الزيبان ـ عرب، وأستبعد أن يكون لهم انتماء لملوك بني زيان.

نشرنا هذا الجواب غير الوافي بغرض السائل إثارة لمن له علم في الموضوع عسى أن يفيدنا بما لديه خدمةً للتاريخ والأدب[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٠)، بدون إمضاء.



الظلّ المحرق

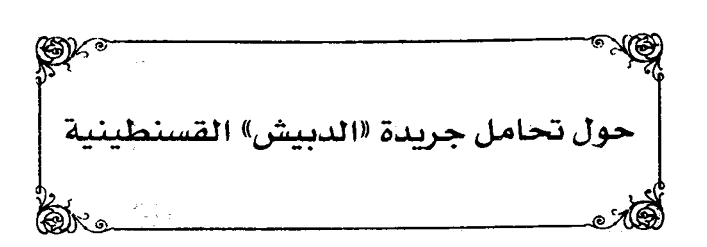
للشاب الظريف صاحب الإمضاء[1]، أنشدها في السجن بباريس التي عاد إليها ثانية، وقد أهانه شرطي بها وضربه، فدافع عن نفسه وكرامته، ولكن القضاء حكم عليه بثلاثة أشهر سجنًا.

وهكذا يضيق بالجزائري وطنه الخصب ولا يفارقه شبح الاستعباد حتى في عاصمة الحرية ومهد التمدّن الأروبي[2].

قلم التحرير

(١) قصيدة للشاعر مبارك جلواح.

(٢) «البصائر»: العدد (١٥٠)، بدون إمضاء.



حول تحامل جريدة «الدبيش» القسنطينية

نشرت جريدة «الدبيش» القسنطينية بعددها الصادر في (٨ جانفي ١٩٣٩) تقريرًا للمسيو «روش» مفتش التعليم الأكبر بعمالة قسنطينة، عرض فيه حالة التعليم في سنة (١٩٣٨)، ومما جاء فيه أن المدارس الفرنسية اللائكية الحكومية لم تتّسع لجميع أطفال المسلمين المنتشرين في المدن والقرى والمداشر، وذكر في معرض الاستحسان أن الجمعيات التي يرأسها الأستاذ الشيخ عبد الحميد بن باديس قد قامت بواجبها نحو التعليم الحرّ قيامًا يُشكَر.

ولكن بعض الأوساط المغرضة الانتفاعية التي تمثّلها الجريدة المذكورة المسيطر عليها المسيو «لوسياني» المعروف... لم تستسغ هذا الشكر، ولم يَرُقْ لها أن يُذكَر التعليم الإسلامي الحرّ بكلمة خير قيلت بلسان رجلٍ خالٍ من الأغراض نزيه.

فبعد أن نشرت التقرير في (٨ جانفي) ولم تعلّق عليه في حينه آلمها هذا السهو، فجاءت بعد ستة أيام بتعليق مخجل، محاوِلَةً إقناع الرأي العامّ بأنّ الحركة التي تعدّ نافعة والتي من شأنها التقريب ما بين الأهالي والفرنسيين إنّما هي الحركة المسيّرة بيد الإدارة!

والذي يدهشنا ويخجلنا في آن واحد من تصرّفات محرِّر «الدبيش» أن تعليقه هذا

كان في نفس الصفحة المشار بها سبّ الطليان لفرنسا ولم يعلّق عليه بكلمة واحدة.

وفي الخامس عشر منه نشر مقال آخر للمفتّش دفاعًا عن رأيه وردًّا لتخرّصات المحرِّر، فأرغى هذا وأزبد، وجاء بكلام أشنع من الأوَّل أساء فيه أدب المناظرة، ثم نقل فيه كلمات للأستاذ ابن باديس قالها في شأن الإندماج - لا في قطع كلّ علاقة للجزائر بفرنسا، ولا في إنكار ما بينهما من مصالح مشتركة ما زال الأستاذ يدعو إلى المساواة فيها بين الجزائريين والفرنسيين مع احتفاظ كلٍّ من الفريقين بشخصيته - ونقله إياها لم يكن منه عن حسن قصد ولا حُبًّا في تأليف القلوب ولكنّه تهويل وإثارة للأحقاد، فلم يزد على أن وضع نفسه غرضًا لسهام النُّقَّاد والمستنكرين ممن يسوءهم تشويه سمعة فرنسا في أرض الجزائر كَكُتَّاب: لوبينيون ليبر، وليتان سال[1]، وغيرهما.

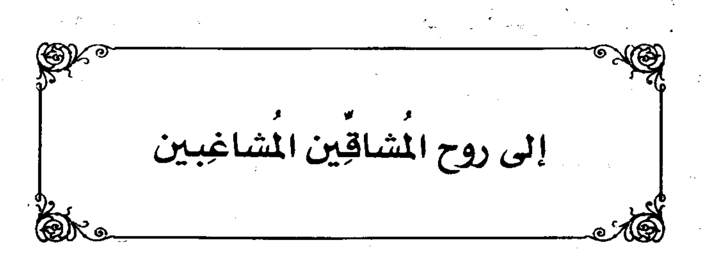
ألا فليربع[2] المسيو. «ن.ل» على سمعة فرنسا وعلى كرامة الصحافة، وليفرّق بين المواضيع الاجتماعية والسياسية[3].

---

(١) جريدتان فرنسيتان: [L'opinion libère] أي الرَّأي الحر، و[Le temps sale]، أي الوقت أو الزمن القذر.

(٢) أي: فليرفق وليشفق.

(٣) «البصائر»: العدد (١٥١)، الصَّادر يوم الجمعة ١٣ ذي الحجَّة ١٣٥٧هـ، ٤/ ٢/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



إلى روح المُشاقِّين المُشاغِبين

كتبنا كلمةً في آخر عدد من رمضان تبيانًا لتهافت الفَراش على كرامة رئيس «جمعية العلماء» بمناسبة تعرض[١] صحيفة عربية الحروف جزائرية الجغرافية.

وفي السادس والعشرين من ذي القعدة الخالي حمل إلينا البريدُ عددًا من تلك الصحيفة مفتتحًا بجزء ثان من مقال في إذايتنا من أجل كتابتنا تلك الكلمة، وتاريخ هذا العدد عاشر شوال.

فعجبنا من عدم إرسال العدد الذي به الجزء الأول من ذلك الأذى ومن تأخّر العدد الذي به الجزء الثاني إلى هذا الحين!

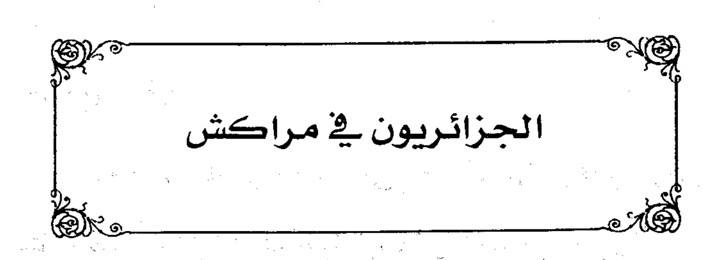
ولعلّ حضرة الكاتب يحاول بإطالة المدّة بين نشره وإطلاعنا إيهام القارئ أنه منتصر؛ لأنه صاحب الكلمة الأخيرة. فإن كان هذا قصده فليهنأ بالاً وليطمئن نفسًا بأنّا لا نجاريه ونتركه لحكم الكمد ثقةً منّا بظهور حسن قصدنا فيما نعمل وشرف غايتنا في سعينا.

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾﴾ [محمد: ١٤][٢].

---

(١) كذا بالأصل، ولعلها: تعريض.

(٢) «البصائر»: العدد (١٥١)، بدون إمضاء.



الجزائريون في مراكش

أخبرت صحيفة «السعادة» الشهيرة مُيولها لحكومة الحماية بالمغرب المراكشي أنّ مسلمي الجزائر بالإيالة الشريفة عقدوا يوم الأحد عاشر ذي القعدة اجتماعًا عامًّا بالرباط إثر مصادقة الحكومة على قانونهم لاتحاد فروعهم في مدن المغرب وقُراه.

وبعد أن وصفت الاجتماع وما أُلقي فيه من خُطب، وذكرت الهيئة الإدارية المنتخبة في هذا الاجتماع، هنّأت مسلمي الجزائر باتحادهم ورجت لهم توفيقًا وتسديدًا في مشروعهم الإحساني النبيل.

و نحن الآخرون نهنّئ أولئك المجتمعين، ونرجو لهم كلّ خير وثبات، ونذكّرهم بالأخوة الإسلامية والجامعة المغربية، فإنّ المغرب المعروف اليوم بالشمال الإفريقي لا يعرف فوارق دينية ولا جنسية ولا سياسية من شرق طرابلس وبرقة إلى غرب فاس ومراكش، بل كان مجالات للقبائل العربية والبربرية.

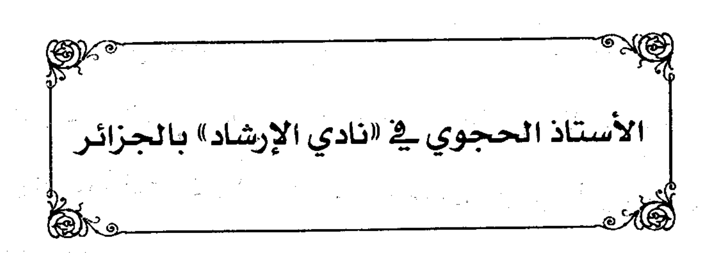
وهذه أسماء القبائل والمدن ـ تجدها في المغرب الأقصى ونظيرها في غيره من أقسام المغرب، وكان هذا المغرب أجمع ميدانًا بين المتنازعين على المُلك كما تتنازع أحزاب الشَّعب الواحد اليوم.

وما عرف المغرب هذا التقسيم السياسي القارّ إلَّا بعد الاحتلال التركي، وزاده الاحتلال الفرنسي تمكّنًا بما جعل للجزائري مثلاً حقوقاً زائدةً على أخيه التونسي أو المراكشي.

فنعيذكم بالله من الحيف على إخوانكم بهاته الحقوق ومن أن تكونوا هنالكم مثل «الميعاد» الجزائري للأخوة الإسلامية أصحاب عقوق[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥١)، بدون إمضاء.



الأستاذ الحجوي في «نادي الإرشاد» بالجزائر

الأستاذ محمد بن الحسن الحجوي وزير المعارف بالمغرب المراكشي في غِنًى عن التعريف به، وقد تتبعتْ هاته الصحيفةُ آثارَه في رحلته التي قام بها إلى تونس ضمن «جمعية أحباس الحرمين».

وإنّ في عناية صحيفتنا تلك دليلاً على منزلة الرجل عند أهل العلم، ومعرفة رجال «جمعية العلماء» بفضله.

وقد كُتب إلينا من الجزائر بخلاصة لمحاضرته التي ألقاها في «نادي الإرشاد» بمحضر جمع من الطرقيين، وفيما يلي أهمّ ما كتب به المكاتب من كلمات ذلك الأستاذ النصوح:

نحن إخوة! يجمعنا كتاب ربّنا وسنة رسولنا الكريمﷺ ،وما على محلّل كلمتي الرشاد والحياة إلاّ الاعتراف بأنهما في القرآن وهدي سيّد الإنس والجانّ.

ولقد كانﷺ يدعو إلى القرآن ويعفو ويصفح عمن أراد أذاه أو أذى أصحابه، (وهنا تعرض لوثنية الجاهلية ومبدأ البعثة حتى شُرع الجهاد دفاعًا لا إكراهًا على الدين، وذكر عفوهﷺ يوم الفتح وعن قاتل عمّه حمزة رضي الله عنه).

ثم ذكر الخلاف بين الناس وأنه أمر طبيعي سببه تجدّد الأفكار؛ ولكن العلاج في التشاور والاعتصام بالكتاب والسنة كما كان الأمر في عهد الخلفاء الأُول.

وجعل المحاضر التسوّر على عثمان لقتله مبدأ الفتن بين المسلمين، وتحكيم السيف في الثوّار مبدأه من علي رضي الله عنه، وخطّأه في ذلك، وجعله من خطأ المجتهد، ورآه مبدأ استحكام الخلاف بين المسلمين ورجوع أمرائهم إلى السيف في فصل النزاعات.

وعاد إلى الحثّ على تحكيم الكتاب والسُّنَّة في كلِّ نزاع وأنه هو الحاسم لكلّ خلاف بين المسلمين، ثم عرّج على الفلسفة اليونانية وتاريخ ترجمتها إلى العربية وما نشأ عنها من افتراق المسلمين طوائف، كلّ طائفة تنتمي إلى أمير أو ملك، فكان ذلك ما زاد شُقَّة الخلاف اتّساعًا، واستحسن أن لو ترك الأمر إلى العلماء يفصلونه بينهم من غير استعانة بالملوك.

(و«البصائر» تقول للمحاضر: أصبتَ في هذا كلّ الإصابة، فكيف حال من استعان على العلماء بغُلاة المستعمرين وطغاة المتصرّفين!؟).

ثم عُني بذكر طائفتي أهل السنة والمعتزلة، وشرح بعض الجزئيات الخلافية بينهم، وجزم بأن الخلاف بين الفريقين إنما هو لفظي(1)، ولكنه كرَّر قوله أن الخلاف طبيعي في البشر.

---

(1) كيف يكون الخلاف بينهما لفظيًا، والمعتزلة «وعيدية في باب الأسماء والأحكام، قدرية في باب القدر، جهمية محضة في باب الصفات» كما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في غير ما موضع من «مجموع الفتاوى»!؟

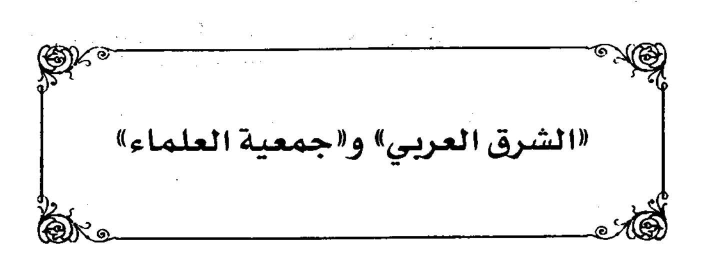
وختم بكثرة حاجات المسلمين من اقتصاد وعلم ومال ومكارم أخلاق وتربية أولاد تربيةً تخلّقهم بأخلاق القرآن.

هذا خلاصة ما جاءنا قدّمناه بكلّ أمانة.

وإنا لنجلّ الأستاذ في سَعة أفق تفكيره وبُعد أنظاره وتمكّن الحرّية العلمية من نفسه، وإن كنّا لا نوافقه على كلّ أقواله وأنظاره، فإنّ العظمة لا تستلزم العصمة من الخطأ، وليس العار على المخطئ ولكن على الجامد المتعصب[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥١)، بدون إمضاء.

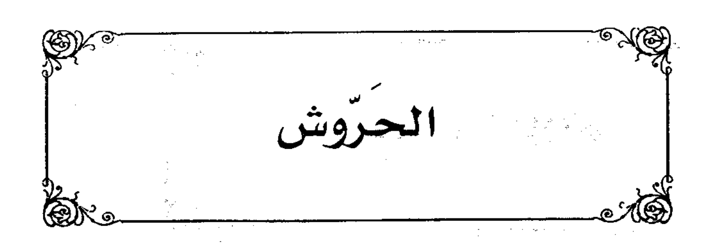


«الشرق العربي» و«جمعية العلماء»

قال مراسله الجزائري: إن الحركة الثقافية والدينية بعمل وهران آخذة في النهوض باستمرار، بفضل مقاومة الشعب لصنيع «جمعية العلماء»، وقد انضمّت شُعبة الجمعية في «بريقو» إلى الجامعة الصوفية.

وهذا دليل آخر على ما قلناه سابقًا بأنّ المراسل الجزائري خصمٌ لجمعية العلماء وصنيعةٌ للاستعمار[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥١)، بدون إمضاء.



الحَرّوش

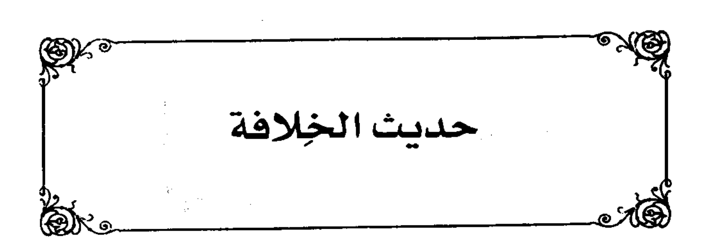
فُجعت بيت آل الكافي بفقد نجل من أنجالها المرحوم البشير بن الشيخ علاوة كافي، اغتالته المنية إثر مرض عُضال ألزمه الفِراش مدّة مديدة، وفي الأسبوع الماضي شيّعت جنازته بمحضر أعيان الأمة الحروشية وسُراتها.

كان الفقيد المرحوم ممن انخرط في سلك تلامذة الجامع الأخضر لطلب العلم وتتلمذ للأستاذ عبد الحميد بن باديس سنوات، وكان في خلال إقامته لطلب العلم ذا سيرة حسنة وصبر وثبات.

وإزاء هذا الخطب الجسيم نعزّي آل بيت كافي المُصلِحة العاملة لإصلاح، دينها ودنياها، خصوصًا أباه الشيخ علاوة وعمّه الأستاذ الشيخ السعيد كافي، راجين لها الصبر والسلوان، وللفقيد المغفرة والسكنى في أعالي الجنان[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥١)، بدون إمضاء.



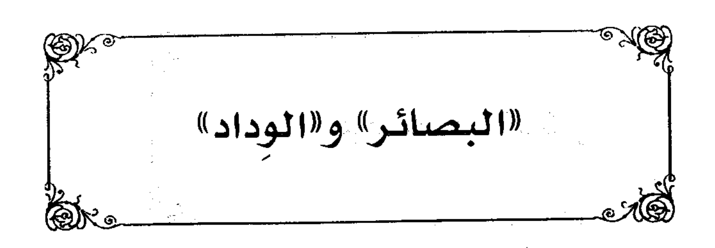
حديث الخِلافة

تذكر بعض الصُّحف لحلّ قضية فلسطين برنامجًا إنكليزيًا واسعًا خلاصته عقد اتفاق يوحّد بين الدول العربية، ويبعث منصب الخِلافة كرئاسة أدبية لذلك الاتّحاد.

وهكذا كشفت إنكلترا النِّقاب عن وجه تدخّلها في أمر الخلافة، وتحقّق ظنُّنا في أنّ حديث الخِلافة مرفوع إلى الإنكليز، وليس مصدره من المسلمين أنفسهم كما هو الواجب[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٢)، الصَّادر يوم الجمعة ٢٠ ذي الحجَّة ١٣٥٧هـ، ١١/ ٢/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.

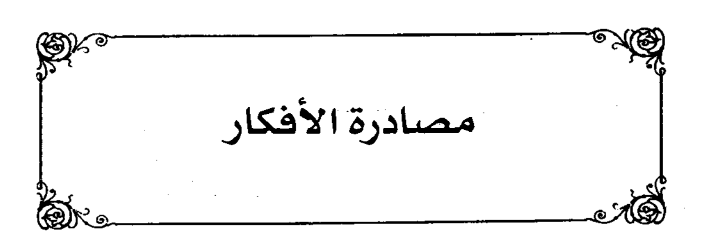


«البصائر» و«الوِداد»

أخذت «البصائر» مقالات عن صحف شرقية؛ ولكن أبرزتها بعناوين أُخَر، وفي صورة يحقُّ لمن نقلها عنها أن يضيفها إليها.

وقد رأينا عِدَّةً من تلك المقالات بصحيفة «الوِداد» الغرّاء غير منسوبة إلى «البصائر»، و لما تكرَّر إهمالها لهذا الحقّ الصناعي نبّهناها إليه رغبةً في تقوية الرَّوابط الأدبية بين صحف «المغرب» الكبير[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٢)، بدون إمضاء.



مصادرة الأفكار

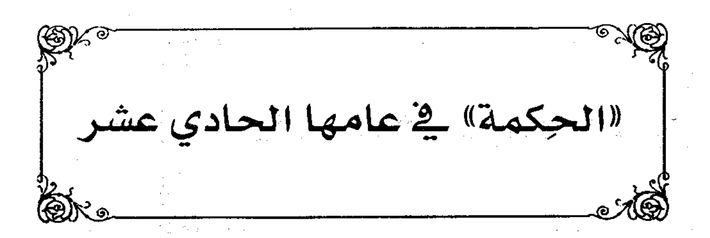
في الجزائر حركة فكرية وثورة سلمية، ولكنها تُقابَلُ مِن طرف مَن بيدهم مقاليد هذا الوطن بالنظر الشزر والقصد السَّيِّئ والضغط الإداري.

وقُراء «البصائر» لا يجهلون كثيرًا من حوادث الضغط على الحياة الفكرية الجزائرية، ومن أحدثها ما وقع في شهر يناير الماضي من أحكام بالسجن مُدداً مختلفة وبالتغريم المالي على معلِّمي مدرسة بجاية، وعلى صاحب امتياز صحيفة «الديفانس» الحرَّة السَّيِّد محمد الشريف جكلاري، وعلى مديرها ومحرِّرها الأستاذ الأمين العمودي رئيس شباب المؤتمر الذي كان الكاتب العام لجمعية العلماء، وعلى طائفة من أعضاء حزب الشعب، والحكم على صاحبي «الديفانس» بالتغريم دون السجن.

وإنا لنأسف لهاته الأحكام التي تُحدِث في القلوب تنافرًا لا يشعب، ونعجب لصدورها من رجال يعلمون كلَّ العلم أن نتائجها عكس المقصود لهم، فالتاريخ عمومًا وتاريخ فرنسا خصوصًا يقرّران خلود الصالح من الأفكار وحتى فاسدها رغم كلّ ضغط، فعلى الجادّين في هذا الضغط أن يربعوا على أنفسهم[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٢)، بدون إمضاء.



«الحِكمة» في عامها الحادي عشر

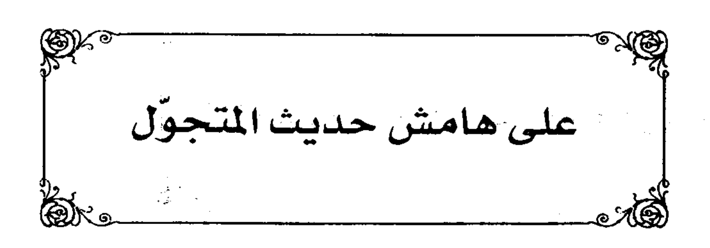
بدخول السنة الشمسية الحالية دخلت مجلّة «الحِكمة» عامها الحادي عشر فخورة بماضيها، واثقة من نفسها بالاستعداد للترقي في مستقبلها.

وهي مجلّة علمية اجتماعية طبّية، لصاحبها الدكتور عبد الغني شاه بندر، الاختصاصي في السُّلِّ وأمراض الصدر في بيروت.

مركزها بشارع القاضي «برج أبي حيدر» عدد (٨٥ـ٨٧).

و«البصائر» التي تعتقد اشتداد الحاجة إلى أمثال مباحث هذه المجلة ولا سيما في شمال إفريقية، تهنّئ «الحِكمة» بعامها الجديد، وترجو لها مزيد الرقيّ والانتشار، ولصاحبها طول العمر وحسن المؤازرة[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٢)، بدون إمضاء.



على هامش حديث المتجوّل

«البصائر»:

مراجعة حديث المتجوِّل من غير اقتصار على ما نقله الكاتب تفيد أنه لم يكن في إبداء رأيه ذلك مندفعًا بعامل التحيّز إلى جهة بل مدفوع بعامل العاطفة على جهة الصحراء، وإن كان مخطئًا في رأيه حسب نظر الكاتب الفاضل فإنّ لكلٍّ نظره الخاصّ.

وليس هذا هو الذي دعانا إلى أصل هذا التعليق؛ ولكن قول حضرة الكاتب[1] أن بسكرة «هي التي بعثت نهضة الجزائر من مرقدها» فإن هذا ليس من الحقيقة التاريخية.

نعم لا يسوءنا ـ وبسكرة منا معشر الجزائريين ـ أن تكون كما قال الكاتب، كما لا نغمط حقّها كبقية النقط الممتازة بهذا الوطن في النهضة الحالية[2].

---

(١) هو الشيخ بلقاسم بن رواق.

(٢) «البصائر»: العدد (١٥٢)، بدون إمضاء.

الوحدة العربية

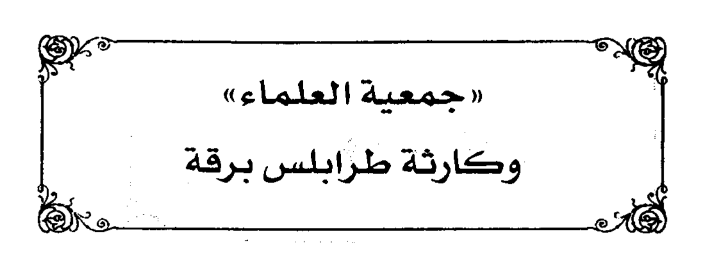
«البصائر»:

حيّا اللهُ العربَ! فهم صرحاء في سياستهم، أصفياء في أخوتهم، شجعاء في الاعتراف بدائهم، أقوياء الأمل في مستقبلهم، أوفياء للمبادئ الديمقراطية في اتجاههم.

فما أسعد الإنسانية يوم يعود للعرب نفوذ أمرهم في معاملتها![1]

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٢)، بدون إمضاء.



«جمعية العلماء» وكارثة طرابلس برقة

جاءنا مقال طويل في استحثاث علماء الإسلام للقيام بواجبهم نحو ما نزل بوطن «طرابلس» برقة الإسلامي العربي من إلحاقه بتراب إيطاليا، اشتمل على هاته الجملة:

«هناك جمعيَّة علماء مسلمين في الجزائر، ولا شكَّ في أنَّها علمت بالكارثة الَّتي حلَّت بالإسلام في طرابلس، فلم نسمع لها احتجاجًا، ولم نقرأ لها حتَّى لجاجًا، وربَّما قد شغلها الحرب القائم بينها وبين الطُّرق».

وقبل الجواب عن هاته الجملة نسجِّل اعترافات الكاتب بأنَّ علماء الجزائر الَّذين يُرجى منهم الاحتجاج في مثل هاته المواقف هم خصوم الطُّرق، وهم أعضاء «جمعيَّة العلماء»، وعدم لوم الكاتب لغيرهم في سكوته دليل على أنَّه لا يرجى من غير أولئك العلماء احتجاج على أيِّ مظلمة.

ثمَّ نقول:

أوَّلًا: قد نشرت «البصائر» ـ صحيفة أولئك العلماء ـ استنكارها حديثًا في افتتاحيَّة العدد (١٥٢)[1]، وقد كان مقال هذا الكاتب يومئذ في طريق الإدارة، لم

(١) في الأصل: (٥٢)!

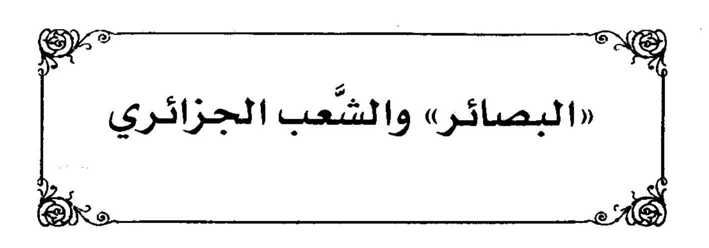
تعلم به حال نشر تلك الافتتاحيَّة، ولم يعلم هو بتلك الافتتاحيَّة حين الكتابة.

وثانيًا: إنَّ صحيفة أولئك العلماء نشرت مرارًا ما يدلُّ على عنايتها بطرابلس واستنكارها لسياسة إيطاليا نحوها، وهي في نشرها لا تجاري الفاشيزم ولا تداري خصومه.

وثالثًا: إنَّ حرب الطُّرقيَّة ليست شغل أولئك العلماء ولا غايتهم، وما مقاومة الطُّرقية الجزائريَّة إلَّا ضرب من ضروب الإصلاح، وناحية من نواحي العمل لتطهير الإسلام من البدع، والأخلاق من السّقم، والعروبة من بواعث الاضمحلال.

فحياة «جمعية العلماء» وقوَّتها حياةٌ للإسلام والعروبة وقوَّة لهما في هذه القطعة الجزائريَّة من وطن المغرب كلِّه: من شرقي طرابلس حتَّى غربي مراكش[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٣)، الصَّادر يوم الجمعة ٢٧ ذي الحجَّة ١٣٥٧هـ ١٨/ ٢/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



«البصائر» والشّعب الجزائري

كتب السَّيِّد مصطفى بن سعد الجيجلي يذكر كثرة الشَّعب الجزائري وشدَّة تمسُّكه بدينه ولغته، وكون صحيفة «البصائر» لسان «جمعية العلماء» هي الصَّحيفة الوحيدة الَّتي تسعى بإخلاص وثباتٍ للمحافظة على دينه ولغته، ومع ذلك لا تزال أسبوعيَّة لا تفي بحاجة الشَّعب ونهضته.

ثمَّ يحثُّ الشَّعب على إمدادها ماديًّا وأدبيًّا حتَّى تكون يوميَّة راقية تفي بحقِّ النَّهضة الجزائريَّة، وتلائم عظمة «جمعية العلماء».

ونحن نشكره على صدق شعوره ونعتذر إليه في تلخيصنا لكلمته بما هو معلوم للجميع من كثرة المواد وضيق المجال.

ونسأل الله أن يفتح أعين الشَّعب لإدراك واجباته.

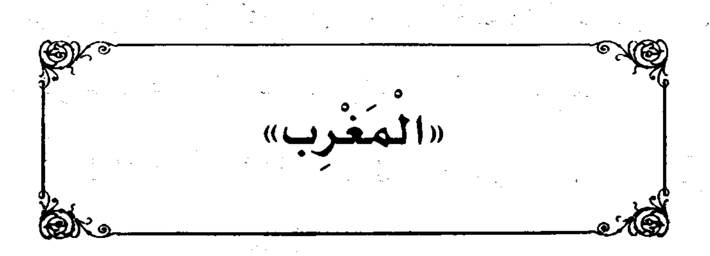
﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تُدۡعَوۡنَ لِتُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبۡخَلُۖ وَمَن يَبۡخَلۡ فَإِنَّمَا يَبۡخَلُ عَن نَّفۡسِهِۦۚ وَٱللَّهُ ٱلۡغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلۡفُقَرَآءُۚ وَإِن تَتَوَلَّوۡاْ يَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمۡثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨].

وإثْرَ كتابتنا هاته طلع لنا مقال للسَّيِّد بلقاسم بن رواق في المقارنة بين

«البصائر» أمس واليوم، واختلاف الآراء في تفضيل أحد الطَّورين على الآخر، ويخرج من ذلك إلى النَّعي على رجال «الجمعيَّة» في تقصيرهم نحو صحيفتهم لا يستثنى منهم غير الأستاذ الرَّئيس ثمَّ هذا المدير الضَّعيف.

ولولا الضَّيْق لأثبَتْنَا مقاله الَّذي لا يخلو من نقدِ كلا الطَّورين نقدًا قد يثير حركة أدبيَّة، فشكرًا ومعذرة[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٣) بدون إمضاء.



«الْمَغْرِب»

احتجبت هاته الزَّميلة الرَّاقية مدَّة، ثمَّ عادت إلى الظُّهور.

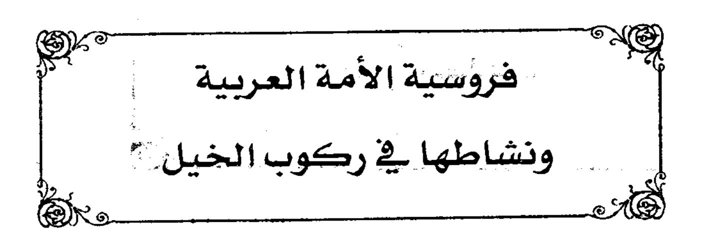
وهي الآن تصدر ثلاث مرَّات في الأسبوع. وصاحبها السَّيِّد «سعيد حجي» يعلن عن استعداده لإصدارها يوميًّا. فنرجو له التَّأييد ولها مزيد الانتشار.

وما أحسن كلمة هذا الزَّميل الفاضل في افتتاحيَّة العدد (١٠١)، وهي:

«أمَّة تعيش في الماضي، لا يمكن أن تكون ذات قيمة لا لنفسها ولا لحكومتها»[١].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٣) بدون إمضاء.



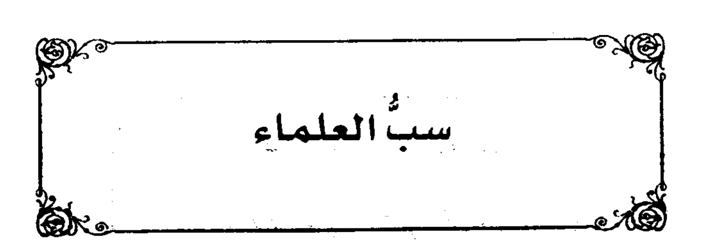
فروسية الأمة العربية ونشاطها في ركوب الخيل

«البصائر»:

لاتخاذ الخيل أسباب من فضل غنى أو حاجة إلى الدِّفاع عن النفس أو إيمان بمزاياها، فأين من جيلنا هذا فضل الغنى أو الاعتماد على النفس أو العلم بتلك المزايا؟

لقد ذهب بفروسيتنا الفقر المدقع والأمن المذلّ والجهل المتناسل[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٤)، الصّادر يوم الجمعة ٤ محرَّم ١٣٥٨هـ ٢٤/ ٢/ ١٩٣٩م، دون إمضاء.



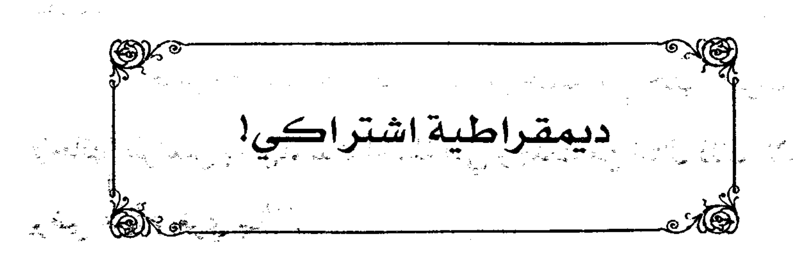
سبُّ العلماء

جاءنا مقال من السيد البشير بن أحمد يحياوي بالعنوان أعلاه يذكر مجلسه مع أحد المؤذين للعلماء وتحامله على الأستاذ رئيس «جمعية العلماء» ثمَّ دفاعه هو.

والكاتب الفاضل يعلم إعراضنا عن إجابة خواصّ السفهاء - إلَّا قليلاً - فضلاً عن عوامّهم، ويعلم إهمالنا عن إجابة كثير من نشراتهم في الصحف فضلاً عن مجاراتهم في المجالس.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨][(١)].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٤)، دون إمضاء.



ديمقراطية اشتراكي!

رجع «أندري فِليب» النائب الاشتراكي من رحلة بالمغرب الأقصى، فألقى في مدينة «ليون» مسامرة في المشاكل الدولية الحالية، ومما جاء فيها تقسيمه المستعمرات إلى ما لها ثقافة وتقاليد قديمة فيمكن السير بها في طريق الاستقلال، وإلى ما هي ساذجة لا تزال على البساطة الفطرية، فينبغي العناية بحمايتها ووقايتها شرّ ما ينتابها من آفات، وإلى ما الواجب إدماجه في الحياة الفرنسية تدريجًا.

وقد جعل الشام وطائفة من البلدان في القسم الأول، وشمال إفريقية في القسم الأخير.

وقد رأينا صحيفتي «الزهرة» و«النهضة» تحملان على هذا المسامر حملة المعتزّ بقوميته، المحافظ على مقوِّماته، المسوس في كرامته، فعقدتا لذلك فصلاً افتتاحيًا.

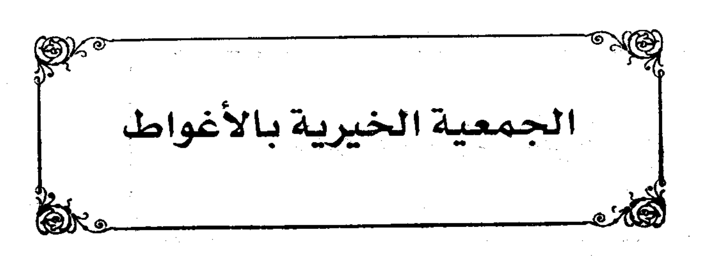
فمما قالته «الزهرة» الغراء: أننا أصبحنا نرى صُحُفًا ذات شأن وأشخاصًا ذوي مكانة ينفخون في مزمار الإدماج والإلحاق، ولا نسمع إلاّ التكلّم عن الإمبراطورية، وعلّقت على مسامرة ذلك الاشتراكي بما نصه:

«كان اندهاشنا فوق ما يتصوّره العقل من صنيع أناس كانوا ولا يزالون

ينعون على الدكتاتوريات ظلمها واعتسافها وتعدّيها على كيان الأمم الآمنة المطمئنة».

و«البصائر» في غنية عن تذكير القراء بالحملة التي حملها العرب على إيطاليا **لإلحاقها طرابلس بترابها، تلك الحملة التي وجدت من أمثال ذلك الاشتراكي من يرضى عنها ويغري بها**[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٤)، دون إمضاء.



الجمعية الخيرية بالأغواط

جاءنا من مكاتبنا بها أنَّ رئيس هاته الجمعية وأمين مالها سلَّما جميع ماليتها إعانة للمكتب الأهلي الفرنسي من غير أن يعلم بقيَّة الأعضاء بذلك حتَّى رأوا منشورًا بصحيفة «الجزائر ريبيلكان»[1].

وقد اشتدّ عجبنا لهذا التَّصرُّف غير المشروع وغير الإنساني أيضًا، فإنّ فاقة أهل الجنوب لا تزول في جميع فصول السَّنة.

على أنَّنا أسّسنا هاته الجمعية لما كُنَّا بالأغواط للقيام بسدِّ ضرورة الفقر وتعليم الصغير، ومضى على تأسيسها نحو عشر سنوات لم نسمع لها باجتماع عامّ وتقديم حساب.

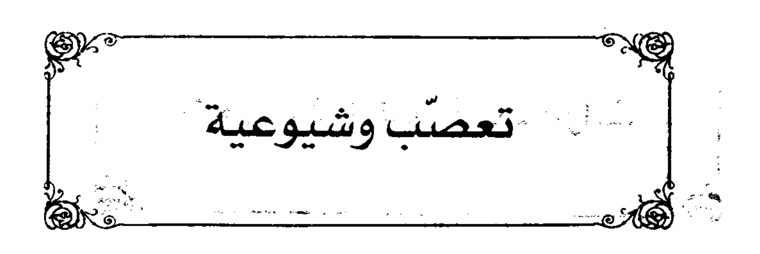
وبعد ، فهل المكتب الفرنسي أحوج إلى هذا السخاء من المكتب القرآني؟ أم أنّ في الأمر سرًّا؟

قد شرح مكاتبنا ذلك السِّرَّ؛ و لكن لا نرى الآن لزومًا لإذاعته[2].

---

(١) انظر تعليقنا (ص٩٥٢).

(٢) «البصائر»: العدد (١٥٤)، دون إمضاء.



تعصّب وشيوعية

من كتاب الشاب الجزائري (LE JEUNE ALGERIEN)

للأستاذ فرحات عباس

في الجزائر اليوم ثقافتان شرقية وغربية. والجزائر في حاجة إلى الانتفاع بهما من غير عدوان لإحداهما على الأخرى، وهذا الانتفاع لا يحصل إلاّ بالتفاهم. ولا يكفي التفاهم السطحي الذي يشعر معه أحد الفريقين بعجز عن تصوير ما في نفسه نحو الفريق الآخر، بل لابدّ من الوقوف على قيمة ما يحمله أحد الفريقين من ثقافة، ليحصل شعور المثقّف في نفسه بعاطفة احترام نحو المثقّف الآخر، وهذا لا يكون إلا بترجمة آثار المثقّفين من العربية إلى الفرنسية ومن الفرنسية إلى العربية. ومن يقوم بهذا العمل الشاقّ؟

إنه لعمل شاق ولكنه جِدُّ مفيد، وإنه لنقص في النهضة الجزائرية الحديثة كدنا نيأس من تداركه.

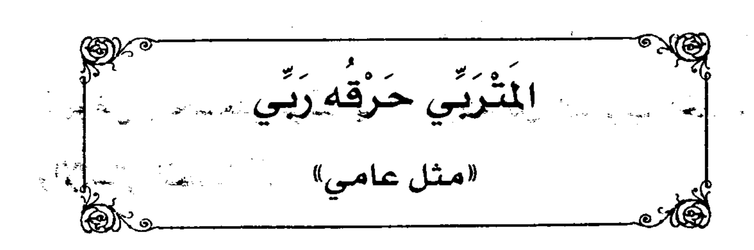
وشابّنا الأديب الفاضل السيّد صديق طاهر سعدي التبسي التلميذ بكليّة الآداب من الجامعة المصريّة يتقدّم الآن بهذا المقال.

وهو إنما يبعث فينا روح رجاء لسدّ ذلك النقص وحسن ظنّ في المستقبل، فنشكره على خدمته هاته.

ونسأل الله أن يحقّق على يد أمثاله أملنا في الجمع بين الثقافتين وتعاونهما على **النهوض بمجتمعنا نهوضًا يبوّئه منزلته بين الشعوب الخادمة للمدنية النافعة والإنسانية المحضة**[1].

قلم التحرير

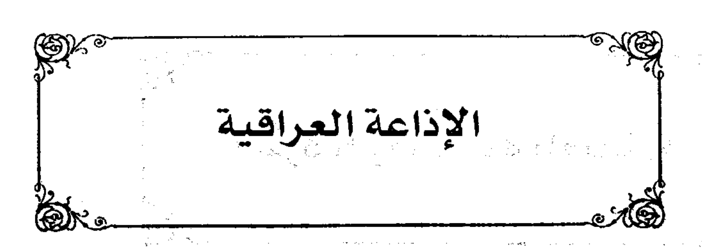
(١) «البصائر»: العدد (١٥٥)، الصّادر يوم الجمعة ١١ صفر ١٣٥٨هـ/٣/٣/١٩٣٩م، بدون إمضاء.



كم أودّ لأدبائنا أن يُعنوا بما في مجتمعنا من أمثال وحِكم وقصص، فيشرحوها ويحلّلوها، و يصلحوا المجتمع من ناحيتها أيضًا بتوجيهه نحو الصَّالح منها وصرفه عمَّا له أثر سيِّء منها[1].

قلم التحرير

(١) «البصائر»: العدد (١٥٥)، دون إمضاء.



الإذاعة العراقية

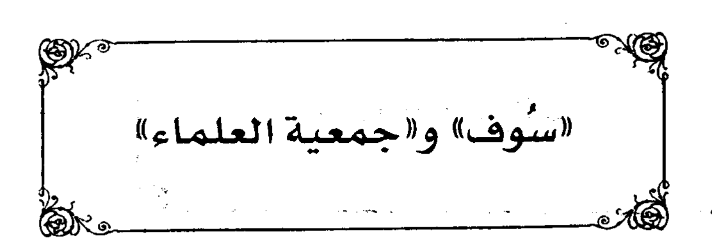
كان استماعُنا للإذاعة العراقية تقويةً لإيماننا بأن لا جرم أشنع من محاربة القوميَّات مطلقًا، ولا سعي أبعد غاية من محاولة القضاء على قوميَّة ماجدة لفائدة أخرى.

كان صوتُ المذيع العراقي شديدَ التأثير علينا بحسن إلقائه وعروبة لهجته ورجولة روحه ثم بصدق عطفه على بقيَّة أوطان العروبة وجودة اختياره للأخبار وحيويَّة تعبيره عنها، وزاد في تأثّرنا بإذاعته شعورنا بأنّ المذيع إنَّما يمثِّل الروح العراقية في جميع تلك الصفات.

ومع ذلك نودُّ لو يجرِّد لغته من غير أدب قومه فلا يقدم السَّيِّدات على السَّادة، ونودّ لو يراعي القواعد العربية في لسانه، وذلك ميسورٌ تداركُه[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٥)، دون إمضاء.



«سُوف» و«جمعية العلماء»

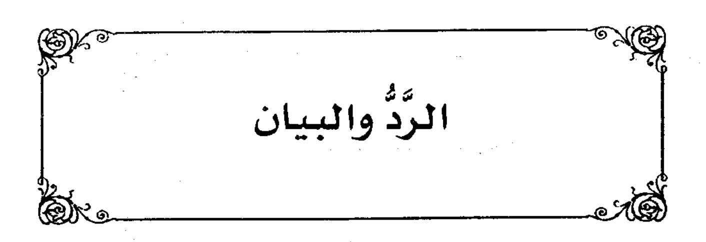
لقد كان لذهاب وفد «جمعية العلماء» في السَّنة الماضية إلى «سُوف» أثر طيِّب لا يمحوه استبداد إدارة ولا كيد طرقي ولا إرجاف متربّص.

يذكّرنا بهذا الآن كتاب بإمضاء سوفي علي وإبراهيم يعبّران فيه عن عواطفهما وعواطف إخوانهما نحو «جمعية العلماء» والاعتراف بفضل رجالها على الحياة الجزائرية عامّة والإصلاح الديني خاصّة.

جازاهما الله بما يجازي به كلّ عارف للحق، مؤمن به، مخلص له[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٥)، دون إمضاء.



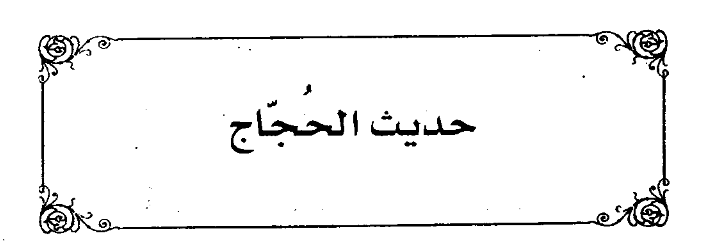
الرَّدُّ والبيان

تحت العنوان أعلاه كتب التلميذ الأخضري السَّيِّد عبد الحميد بن حالة يؤكِّد صدقه فيما نشر سابقًا بـ«البصائر» عن التَّعليم بالزَّوايا ويخبر بسيِّئات كان قد تغافل عنها.

وذلك بمناسبة قيام بعض المعلِّمين في الزَّوايا بالرَّدِّ عليه في الصُّحف الطُّرقيَّة.

ونحن لم ننشر هذا المقال ـ على أنَّ كاتبه مصيب في حكمه، موتور في دفاعه، متأدّب في أسلوبه ـ لأنَّ انحطاط التعليم بالزَّوايا التي تشتغل بالتَّعليم على قلَّتها أمر لا ينازع فيه إلَّا مكابر لدود، والمخلص لدينه وقومه يرى لزوم الإصلاح في كلِّ وسائل حياتنا الفكرية والعلمية[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٥)، بدون إمضاء.



حديث الحُجّاج

يوم الجمعة الماضية نزل بعنَّابة حُجَّاج عمل قسنطينة كما أخبرنا في العدد السَّابق، وقد ذهبنا لملاقاتهم فألفينا هنالك من رجال «جمعية العلماء»: فضيلة الرئيس، والكاتب العام الشَّيخ العربي، والعضو الإداري الشَّيخ بلقاسم الأجاني، وقد جاؤوا مع قصد استقبال الحجيج لفتح مركز شُعبة الجمعية بعنابة الذي اتَّفق أن كان ليلة تلك الجمعة.

حدَّثنا بعض الحجَّاج من أهل العقل والصدق أحاديث نجملها فيما يلي:

«الحجاز»:

بفضل عناية الحكومة السُّعودية لا يزال المثل الكامل في الأمن، ولا يزال تقدّمه في ميدان العرفان والعمران مطّردًا، ولا يزال الحُجَّاج يقفون كلّ سنة على أثر جديد لعناية تلك الحكومة الرَّشيدة براحتهم وصحّتهم مما جعل الأطبَّاء يعلنون في تقاريرهم بفقد الأمراض المُعدية التي قلَّما يخلو الحجاز منها في مواسم السَّنوات الماضية قبل عهد هاته الحكومة البصيرة، ولم يكن هذه السَّنة حرٌّ مقلقٌ ولا قرٌّ مؤذٍ، بل كان الجوُّ ملائمًا، وقد نزل المطر يوم عرفات بالمسجد النَّبويْ.

يوم الجمعة العشرين من ذي الحجة صعد على سدَّة بالمسجد النَّبوي إثر الصَّلاة حضرة المقدام الشَّيخ أحمد الحسون السُّوداني من موظَّفي البريد بالخرطوم، فتلا على ذلك الجمع الحاشد آية ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ...﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وأعقبها بحملة عنيفة على مسلمي العصر الذين فرّقتهم المذاهب والطرق والنِّحل مذاهب متعادية أو شبه متعادية، واشتدّ في خطابه شدَّةً لم يتحمَّلها من اعتادوا سماع القول الرَّقيق والعظات الميتة، فكانت ضجَّة لم تنته إلَّا بتداخل أحد أعوان المحافظة في إنزال الخطيب من السَّدَّة.

وقد كان على أولئك الصَّاخبين أن يتأدَّبوا في المسجد النَّبوي فلا يرفعوا فيه أصواتهم رفعًا فوضويًّا، وأن لا يسارعوا إلى إساءة الظنِّ بالخطيب الواعظ ويرضوا عن حياتهم التي سقطت بالإسلام وأهله دركات في الخمول والهوان، وأن يتبيَّنوا قوله ثمَّ يسألوا أهل الذِّكر عمَّا اشتبه عليهم منه.

ونهج سبيلي واضح لمن اهتدى ولكنها الأهواء عمّت فأعمت

«في الباخرة»:

لم تبلغنا شكوى أحد من ذات الباخرة ولا من إنزال الحاجّ في غير درجته، ولكنَّهم يشكون من ضيق بيت الصَّلاة التابعة لأهل الرُّتبة الأولى وعدم اتِّساعها لبقيَّة الطبقات أو اتِّخاذ مكان غيرها لغير أهل الرُّتبة الأولى.

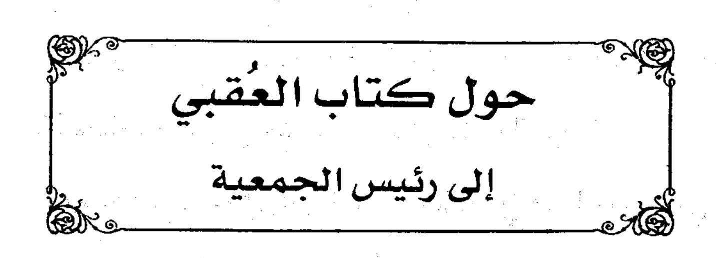
ويشكون هذا الاستعجال في إعادتهم، فقد كان من المقرَّر أن يتأخَّروا خمسة أيَّام عن اليوم الذي ركبوا فيه هاته السَّنة، وقد أذاع صاحب امتياز كراء الباخرة أنَّ هذا الاستعجال بأمر الحكومة الفرنسية، وهمس الناس بحديث الحرب لذلك.

وأكثر ما يشكوه الحجّاج هو حجاب صاحب الامتياز عنهم، فلا يسألهم عن حاجتهم ولا يجدونه عند الحاجة إليه، ثمَّ أمر الطَّعام ولا سيما في العود؛ فإنَّ من الدَّرجات من يعاملون معاملة المساجين.

أمّا اللَّحم ونتونته فقد حمى النَّاحية التي فيها عن أن يقترب منها أحد لشدَّة التونة.

وهكذا لا نزال نسمع كلَّ سنة ضروبًا من شكوى الحُجَّاج ترجع إلى تحجير سفرهم بغير الباخرة الخاصّة، ولو كان الذهاب إلى أداء هذه الشعيرة الدِّينية وإحياء هذا الرُّكن الإسلامي حرًّا غير مثقل بقيود لا ينوء بها إلَّا أقلّ القليل لانقطعت كلُّ شكوى وحُسمت كلُّ بلوى في هذا المقدّس الذي يجب تسهيله والتَّشجيع على ركوبه[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٥)، بدون إمضاء.



حول كتاب العُقبي

إلى رئيس الجمعية

اطّلعتُ على هذا الكتاب أخيرًا في صحيفة «الزاهري» المغرى بجمعية العلماء والمغرم بأذاها، فرأيتُ فيه تبعات كثيرة، ولكن لا أعرض - فيما يرجع إليّ منها - إلاّ لجملتين:

١ـ فالشيخ يقول عن تقديمي لتقرير السيّد أحمد حمّاني الميلي: أنّها تزكية سيسألني الله عنها.فلولا اكتفى الشيخ بهذا التفويض أو التذكير، فإنّي - والله - لشديد الطمأنينة لسؤال العالِم بما في الضمائرعن ذلك التقديم. وهنا أودّع هاته الناحية في كتاب الشيخ.

٢ـ ويقول الشيخ عن «البصائر» أنّه مُحْدِثُها، حتى إذا قامت على سوقها وآتت أُكلها تركتُها لمن علمت منه الرغبة في اجتناء ثمرتها ليجنيها.

لعلّ القارئ يفهم من هذه الجملة ما في نفس الشيخ نحو إدارة «البصائر». فأنا لا أشرح ذلك. ولكن حيث كنت مديرها الحالي ومحلّ غضبه من نشر ذلك التقرير قد يظنّ ظانّ أن الشيخ ترك «البصائر» لي لعلمه برغبتي فيها.

فمن ظنّ ذلك فليرجع إلى افتتاحية العدد ٨٤ وليرجع إلى تقرير «جمعية العلماء» في إسناد الإدارة إلي، فَسِجِلُّ المقرّراتِ محفوظٌ.

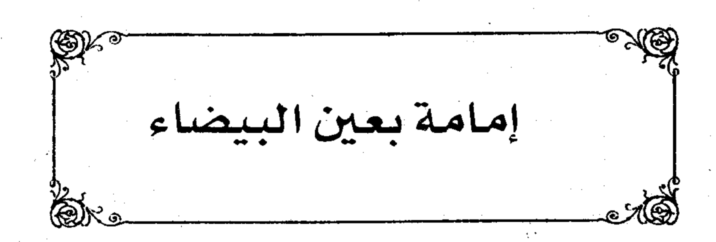
٣ـ إني لم آخذ «البصائر» قائمة على سوقها ولا قد آتت أُكلها، بل أخذتها مَدينةً للجمعية بأكثر من عشرين ألفًا كما ينطق به التقرير المالي.

ولم تكن لي رغبة في إدارتها فقد عُرضت عليّ قبل أن يشتدّ عليّ المرض وقبل أن تعرض على الشيخ فلم أَقبل، وما قبلتُ بعد رفضه لإدارتها إلاّ مكرهًا إكراهًا أدبيًا.

والمنكر الأنكر أن الشيخ يعلم ذلك علماً لا يعزب عنه في حالٍ حتّى حال غضبه. فما الداعي لتلك الجملة أو الحملة!؟

هذا ما تعلّق الغرض به الآن من ذلك الكتاب ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [الزمر: ٣١][1].

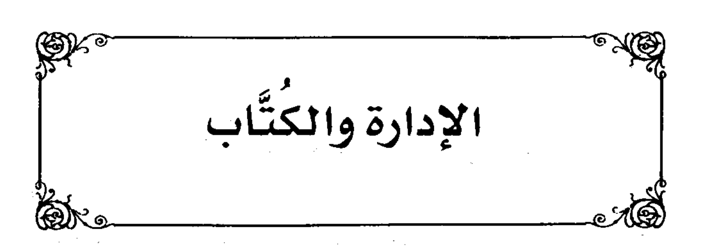
(١) «البصائر»: العدد (١٥٦)، الصادر يوم الجمعة ١٨ محرم ١٣٥٨هـ ١٠/ ٣/ ١٩٣٩م.



إمامة بعين البيضاء

جاءنا كتاب مفتوح في شأنها، ولخلوّه من الإمضاء الصريح الذي يجب أن يكون معلومًا للإدارة على الأقلّ أهملنا نشره آسفين لتكرّر هذا السلوك من الكُتّاب رغم تكرّر تنبيهنا على هذا الشرط الضروري في جميع الصحف[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٦)، بدون إمضاء.



الإدارة والكُتَّاب

تكرّر اعتذار الإدارة عن تأخير بعض المقالات أو تلخيصها بضيق النطاق.

ولكن في الكُتاب من لا يزال يلحّ على نشر مقالته في حينها وبنصّها حتّى نسبنا أحدهم إلى احتقاره بتلخيص مقاله!

والإدارة يسّرها ذلك باعتبار ويسوءها من ناحية.

فيسرّها ذلك لما فيه من دلالة على حيوية الكاتب وشعوره بحقّه في التمتّع بمنزلته الأدبية.

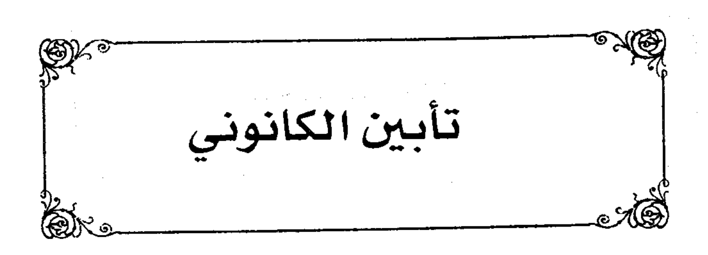
ويسوءنا لما فيه من إعراض عن الأمر الواقع وتجاهل للعذر المشروع المشروح.

وإن وقع في بال أحدٍ أن كاتبًا آخر في منزلته أو دونها سَلِمَ مقالُه من التلخيص وطول الانتظار فلا يعزب عنه اختلاف أحوال الموادّ كثرةً وقلّةً، وأنّ عليه أن لا يكلّفنا دقّة الموازنة بين ما نراجعه في يوم وما نراجعه في يوم آخر.

وخيرٌ للكُتاب أن يُعنوا بترويج صحيفتهم والقيام مع المتجول قيامًا جِدّيًا حتى نجد من المادة المالية ما نوسع به نطاق صحيفتهم لِنَفِيَ بهذه الثروة القولية ولا نقصر دونها[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٦)، بدون إمضاء.



تأبين الكانوني

الأستاذ الشيخ محمد بن أحمد العبدي الكانوني[1]، عالمٌ مغربيٌ كبيرٌ ومؤرّخٌ نقّادةٌ ومؤلّفٌ بحّاثة.

أهدانا كتابه «آسفي وما إليه» الذي صرّح فيه بالنقل عن كتابنا «تاريخ الجزائر»، ورسالته «الرياضة في الإسلام» التي دلّت على سَعة اطّلاع الرجل وحسن أسلوبه.

وقد توفي رَحِمَهُ اللهُ مأسوفًا عليه من عارفي فضله ومقدّري أعماله، فقام رجال بالدعوة إلى عقد اجتماع لتأبينه.

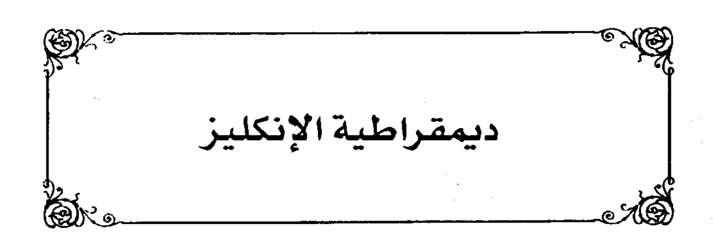
وفي أواخر ذي الحجّة كان موعد التأبين بالدار البيضاء، فهرع الكُتاب والعلماء والأدباء إلى مكان الاجتماع، وأُلقيت الخطب حتى ضاق الوقت عن طائفة كثيرة منها.

فرحم اللهُ المتوفَّى، وشكر سعي أولئك الرجال الذين جمعوا بعملهم هذا إلى الوفاء بحقّ الراحل تنشيط العامل لخير الوطن، وتنبيه الخامل الزاهد في مظاهر الشرف والخلود[2].

---

(١) توفي رَحِمَهُ اللهُ سنة (١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م). انظر لترجمته: «الأعلام» (٦/ ٢٣).

(٢) «البصائر»: العدد (١٥٦)، بدون إمضاء.



ديمقراطية الإنكليز

جاء في الصُّحُف أنّ لإدارة البريد في «لندرة» قططًا موظّفةً تحرس الملّفات من الفأر والحشرات، ولها على حراستها مرتّب أسبوعي يترقّى حسب كفاءة القطّ وإخلاصه لمهنته.

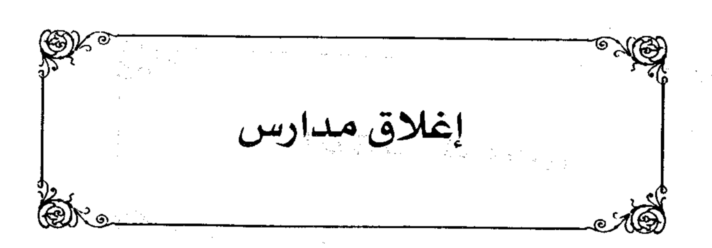
والإدارة تشمل هؤلاء القطط بعطفها واحترامها كموظّفين آدميين.

هذه ديمقراطية بالغة!

فلتقابل بالديمقراطية الإنكليزية في فلسطين، ليعلم كيف يفهم هؤلاء الديمقراطيون الديمقراطية وكيف يطبّقونها؟

وليعلم أهي ديمقراطية جنسية خاصّة أم ديمقراطية إنسانية عامّة؟[1]

(١) «البصائر»: العدد (١٥٧)، الصَّادر يوم الجمعة ٢٥ محرَّم ١٣٥٨هـ ١٧/ ٣/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.

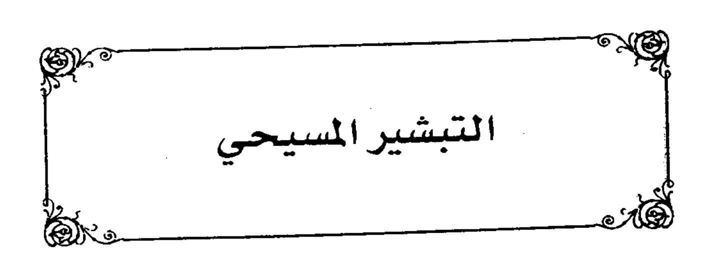


إغلاق مدارس

بلغنا إغلاق مدرسة وهران ومدرسة ونادي بريكة، ولدينا كلمة من بريكة تنشر بعد إن شاء الله.

ونعيد القول بأنَّ هذه المدارس المحارَبة هي مدارس عربيّة ابتدائيّة تلقِّن القرآن وتعلِّم مبادئ لسانيَّة ودينية، فإغلاقها ليس لنشرها ثقافة مزاحمة لثقافة فرنسا أو معاكسة لها، ولكن لأنَّها من آثار اليقظة الناشئة عن حركة «جمعية العلماء»، فإغلاقها إرهاب للشعب أن يبدي عواطفه نحو العلماء الأحرار، وأن يعلن انتماءه لخطّة جمعيتهم ومبادئها الإصلاحية، فصبر جميل، واشتدي أزمة تنفرجي[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٧)، بدون إمضاء.



التبشير المسيحي

نقلت صحيفة «الشَّباب» عن عدد «الطان» الفرنسية الصادر (٢٩ يناير الأخير) أنَّه تألفت «جمعية الدفاع عن الرسالات التبشيرية» في البلاد التابعة لفرنسا استعمارًا وحمايةً وانتدابًا، وأنَّها قد حصلت على موافقة نوّاب من جميع الأحزاب والمذاهب كالكاثوليكي والإسرائيلي ومذهب الفكر الحرّ والبروتيستان، وأنه دخل فيها أعضاء من جميع الأحزاب البرلمانية غير الحزب الشيوعي، حتَّى إنَّ فيها أعضاء مسلمين، وأنه بلغ عدد أعضائها من النواب مائتين.

وتذكر صحيفة «الطان» أسماء الأعضاء البارزين في هاته الجمعية واسم رئيسها وأعضاء إدارتها والقوانين التي يريدون حمل البرلمان عليها لتعزيز الرسالات المسيحية في البلدان التابعة لفرنسا.

وصحيفة «الشباب» الغراء تلفت النظر إلى وجود نواب إشراكيين[1] في الجمعية وتستغرب وجود أعضاء مسلمين بها.

و«البصائر» التي تعرف نوعًا من المسلمين يقدّم رضى مالكه المخلوق على

---

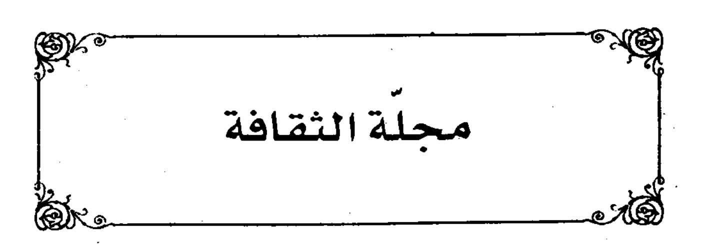
(١) كذا الأصل.

رضى مالكه الخالق لا تستغرب ذلك، وكنتُ بالأغواط مدير مدرسة عربية حرّة، فكان من ذلك النوع مِن المسلمين مَن أخرجوا أبناءهم من مدرستي وذهبوا بهم إلى المبشرين المسيحيين الفرنسيين يعلّمونهم العربية والديانة الإسلامية.

ثم نوافق «الشباب» الغراء في قولها أنّ هذا حادث له معناه، وأنّ على المسلمين أن لا يغفلوا عن مقاصد التبشير المشهورة، وأن على صحافتهم أن تذيع الخبر وتعلّق عليه[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٧)، بدون إمضاء.



هي مجلّة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون.

تصدرها بمصر لجنة التأليف والترجمة والنشر، وصاحب المجلة هو رئيس اللجنة الأستاذ أحمد أمين الشهير بتآليفه القيّمة وتحاريره البليغة في المجلاّت الراقية.

ورئيس تحريرها المسؤول هو الأستاذ محمد عبد الواحد خلاف.

إدارتها: شارع الكرداسي ـ عابدين ـ القاهرة.

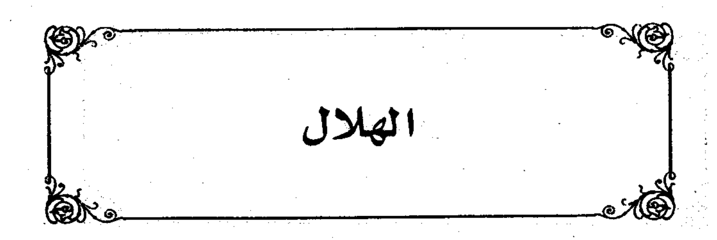
اشتراكها في الأقطار العربية ٨٠ قرشًا مصريًا.

جاءنا العدد التاسع منها، فألفيناه كما نعتقد في النهضة المصرية الشاملة لكلّ مظاهر الحياة: جودة ورق، ونظافة طبع، وبلاغة تحرير، وغزارة مادّة.

وهي تقع في ٤٨ صفحة من قالب مجلة الرابطة العربية ومجلة الرسالة.

فنشكر لأسرة هاته المجلة عملها الجليل، ونرجو لها رواجًا واسعًا، ونحثّ محبّي الثقافة الناضجة على الاشتراك فيها، وننصح لشباب الشمال الإفريقي بصفة خاصة أن لا يحرموا عقولهم من غذائها السائغ[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٧)، بدون إمضاء.



الهلال

صحيفة حديثة تعبّر عن آراء الزيتونيين. تصدر مؤقتًا مرتين في الشهر. اشتراكها في شمال إفريقية ٢٥ فرنكًا.

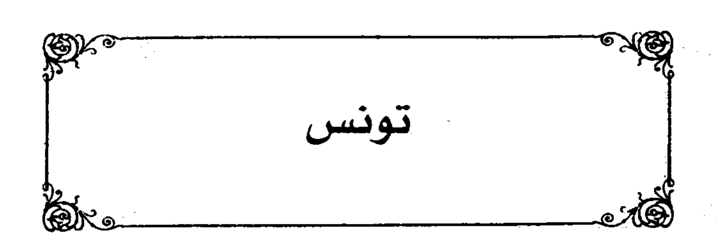
جاءنا العدد الثاني منها. فرأينا فيه طموح الشباب وصدق الشعور المغربي غير المتأثر بالحدود الاصطلاحية. وهذا أول واجبات الزيتوني، فإن جامع الزيتونة للمغرب بمعناه التاريخي.

وإذا كانت صلته اليوم بالمغرب الأقصى (مراكش) أقلّ منها كبقية أقسام المغرب فلوجود جامع القرويين. وهاتان الكليتان هما جناحا المغرب يطير بهما في جوّ المعارف الإسلامية.

فنشكر للجنة تحرير «الهلال» سموّ هدفها ونبل غايتها، ونرجو للهلال نموًّا مطّردًا يعينه على تعميم إنارته، وندعو الكُتاب والقُراء إلى مؤازرته[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٧)، بدون إمضاء.

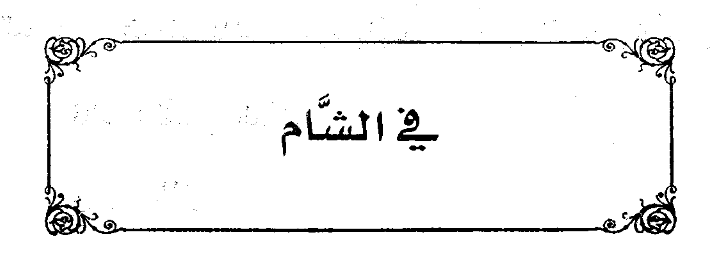


تونس

عُطِّلت صحيفة «تونس» مرة أخرى لا لذنب جنته ولا لفتنة بعثتها. ولكن لأنّ الصحافة العربية في المغرب (شمال إفريقية) تعاني الأمرّين من ضعف مؤازرة الشعب لها ماديًا ومن فقد القوانين التي تحمي حياتها الحرّة.

فنأسف لهذا التعطيل المتكرّر. ونعجب بهمّة صاحبها الأخ زين العابدين السنوسي. وعسى أن يجد في إرضاء ضميره وأحرار قومه خير سلوى وأقوى عون على الثبات[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٧)، بدون إمضاء.



في الشَّام

لكلِّ أمَّة وشعب في الدُّنيا خونة يُؤثِرون القوَّة الماديَّة والمجد المستعار على قوَّة الإيمان القومي والمجد التَّاريخي، وهؤلاء الخونة هم الَّذين يدلُّون أعداء الشَّعب الشَّامي من الفرنسيِّين على مواطن ضعفه؛ لنكث العهود المقطوعة له باستقلاله.

ولاختبار مبلغ شعور الشَّعب الشَّامي بكرامته وقع أخيرًا ثلاثة أحداث، وهي:

١ـ سَنُّ قانون الطَّوائف.

٢ـ تحريق الأعلام الشَّاميَّة والبول على رمادها.

٣ـ ضرب مدير الأمن العام الفرنسي لمدير مكتب التَّجهيز العربي في اللَّاذقيَّة.

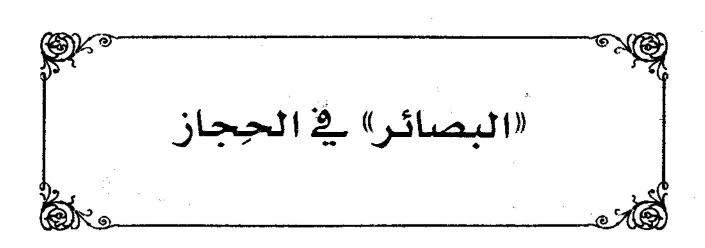
وقد قامت الصَّحافة الشَّاميَّة بتحرير الفصول الافتتاحيَّة بشأن الحادثين الأخيرين، كما قامت قبل بحملة على الحادث الأوَّل، واستقال مدير التَّجهيز فلم تُقبَل استقالتُه، واحتجَّ التَّلاميذ احتجاجات حارَّة لإهانة مديرهم، كما احتجَّ العلماء قبل على قانون الطَّوائف.

وفيما يلي مذكِّرة مفتي بيروت كما جاءت في «القَبَس»، ومنها يستروح ما في ذلك القانون من مخالفات للإسلام، ومنها يُعلَم الفرقُ بين الموظّفين الدِّينيِّين هنا وهنالك.

قالت «القَبس» الغرَّاء:

«......»[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٧) بدون إمضاء.



«البصائر» في الحِجاز

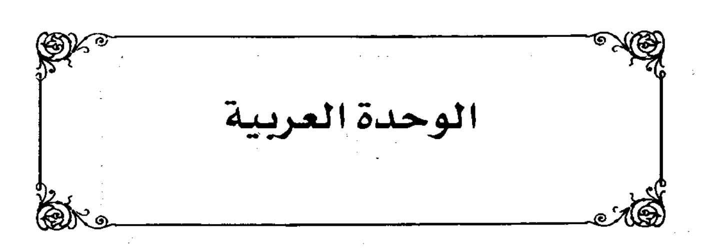
لا يبرز عدد من «البصائر» إلاّ ويوجّه حينًا إلى أهله بعناوينهم المسجّلة لدينا. ولكن هنالك تهاون بريدي لا نعلم مصدره. فكثيرًا ما يأتينا من فضيلة الشيخ محمد نصيف عين أعيان الحجازيين بجدّة طلب أعداد من «البصائر» لم تصله.

وكتب السيد أحمد بن عمّار البسكري الطالب بمدرسة العلوم الشرعية في المدينة المنورة يخبر أنها لم تصلهم منذ أشهر. ويعرب عن تعلّقه بها بهذه الجمل:

«وإنا لمشتاقون إلى «البصائر» كاشتياق الظمآن إلى الماء. وكيف لا وهي لسان الحقّ، والسيف الصارم على الأعداء، ولسان حال الأمة الجزائرية التي نحن من أبنائها. ويعلم الله أننا من إخوانكم وأنصاركم في الدين والإصلاح. ولو تباعدت الأجسام، فالقلوب متقاربة».

نشرنا هذا ليعلم من لم يصله غير هذا العدد من قراء «البصائر» أن التقصير غير محمول علينا، وليعلم المبرّزون من أعضاء الجمعية المقصّرون في إفادة قُراء صحيفتهم كيف ينظر الناس إلى «البصائر» وأنهم يرونها صحيفة الأمة لا صحيفة فرد. فإنّ نظر الأخ البسكري إليها هو نظر غيره أيضًا، وهو الواقع من كونها لسان حال الجمعية[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٨)، بدون إمضاء.



الوحدة العربية

نشرت «الرابطة العربية» حديثًا لسعادة محمد علي علوبة باشا، جاء فيه شرح الوحدة العربية بما يلي:

«معنى الوحدة العربية هو تأليف جبهة من الأمم العربية جميعها، أو اتحاد يرمي إلى توحيد المرامي وتوحيد الثقافة، والامتزاج الروحي والأخوي، والتقارب في الأمور الاقتصادية والمالية، وتوحيد التعبيرات العربية، وتخفيف الحواجز الجمركية».

ثم نفى عن معنى الوحدة العربية المعنى السياسي فهي لا تمسّ استقلال أية دولة عربية ولا تنقص من نفوذه.

وهذا المعنى هو الذي كان أجاب به مدير «البصائر» الحالي عن استفتاء الرابطة العربية في شأن الإمبراطورية، وذلك منذ ثلاث سنوات[1]. وأنكره علينا بعض الأصدقاء.

ونشرت صحيفة «القبس» عن الحكومة الانكليزية أنها ميّالة لحلّ قضية

(١) تقدم في (١/ ٤٤٠) بعنوان: «الإمبراطورية العربية».

فلسطين على أحد أوجه ثلاثة.

١ـ توحيد فلسطين وشرقي الأردن.

٢ـ توحيدهما مع سوريا وربما جمعت العراق إليهن.

٣ـ إنشاء اتحاد عربي واسع يشمل مع الأوطان الأربعة المذكورة: مصر والحجاز واليمن، وذلك على الأساس التالي:

أوّلاًـ المناداة بجلالة الملك فاروق خليفة للمسلمين، أي رئيسًا لهذه الجامعة.

ثانيًاـ تنصيب سموّ الأمير فيصل آل سعود مَلِكًا على فلسطين مقابل موافقة جلالة والده على جعل الخلافة لمصر.

ثالثًاـ ضمّ شرقي الأردن إلى العراق للحصول على موافقة العراقيين وجلالة الملك غازي على المشروع.

رابعًاـ تنصيب سموّ الأمير عبد الله بن الحسين ملِكًا على سوريا تحقيقًا لحلمه القديم ولنيل رضائه على المشروع.

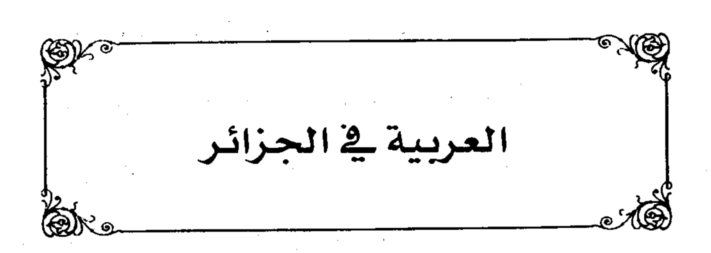
خامسًاـ التفاهم مع اليمن على النواحي التسع التي يطالب بها جلالة الإمام مع الاحتفاظ بعدن قاعدة للأسطول البريطاني؛ وبهذا يحصل على موافقة جلالته.

سادسًاـ المناداة بصاحب السماحة مفتي فلسطين الأكبر مفتيًا للديار الإسلامية أو «الجامعة الإسلامية» بحيث يلي في المقام خليفة المسلمين إرضاء لأهالي فلسطين.

وتقبل البلدان العربية التي تضمّها هذه الجامعة عددًا معيّنًا من المهاجرين اليهود[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٨)، بدون إمضاء.



العربية في الجزائر

كتب كاتب في صحيفة «الإرادة» الغرّاء إحدى الصحف اليومية بالوطن التونسي الشقيق تحت عنوان «أعاجيب الحياة» استعرض فيه ماضي العربية وما لقيته من حملات المستعمرين لإماتتها، وقد أجاد.

ثم انتهى إلى الحال الحاضرة حيث أصبح أولئك المستعمرون يخصّصون الأوقات في محطّات إذاعاتهم للّسان العربي ويتبارون في خدمته.

ومن كلامه عن هذا الدور:

«ثم انعكست الآية اليوم: فبعد أن كان الخصوم يحاربون العربية في ديارها أصبحوا خدمتها في ديارهم».

وكلامه في هذا الفصل جيّد كالذي قبله، لكنه يقول ضمن حديثه عن أعاجيب الحياة إثر ما سبق:

«أليس من آيات الخلود سماعنا اللسان العربي المبين من الجزائر التي كان مفقودًا فيها!؟».

«والبصائر» تقول أليس من أعاجيب الحياة حقًّا أن يكون هذا مبلغ علم

كاتب تونسي في صحيفة نابهة بحياة الجزائر التي لا يفصله عنها فاصل طبيعي ولا لغويّ ولا اجتماعيّ؟

أكان اللسان العربي المبين مفقودًا حقًا في الجزائر؟

أما قرأ صحفها ومجلاّتها؟

أما تناول مؤلّفًا من حديث مؤلّفاتها؟

أما اجتمع إلى أديب أو عالِمٍ من أدبائها وعلمائها؟

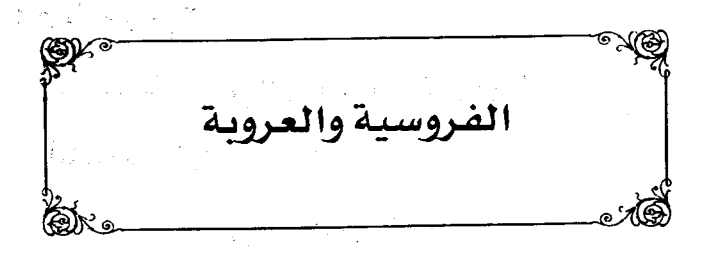
والأعجب من ذلك أن يكون اللّسان العربي المبين في الجزائر هو المسموع من محطة إذاعتها!!!

لم نعذر إخواننا المصريين على تقصيرهم في الاهتمام بحياتنا أهل المغرب عامة. وكتب الكُتاب الجزائريون والتونسيون معلنين استياءهم من هذا الإهمال لنا. هذا وبيننا وبينهم من البُعد في المسافة وفي الثقافة ما ليس بين الجزائر وتونس.

فكيف نفهم جملة هذا الكاتب التي وددنا لو قوّمها أخ تونسي قطعًا لجراثيم النعرة المحلّية المنافية لتوسيع دائرة الأخوّة العربيّة والرابطة الدينيّة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٨)، الصادر يوم الجمعة ٢ صفر ١٣٥٨هـ ٢٤/ ٣/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



الفروسية والعروبة

عرفت أروبا العربَ في عهد مجدهم وعزّهم. فعرفت أوّل ما عرفت من صفاتهم الفروسية، وعرفت منهم إلى الفروسية صفات فطرية اجتماعية مطهّرة من شوائب الأغراض الجارّة للمنافع الشخصية المادية. وذلك مثل الوفاء بالعهد وحماية الجار والسخاء بالموجود والإيثار على النفس.

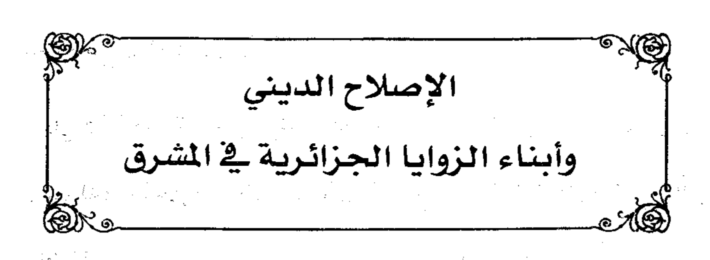
عرفت أروبا مع فروسية العرب تلك الصفات، فأطلقت عليها جميعها اسم «الفروسية».

وقد نشرت صحيفة «العُقاب» الغرّاء في افتتاحية بعض أعدادها خطابًا للزعيم الشامي الدكتور عبد الرحمن شهبندر، تضمّن حديثًا عن الفروسية العربية فرأينا أن نحلّي به جيد هذا العدد[1].

قلم التحرير

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٩)، الصادر يوم الجمعة ٩ صفر ١٣٥٨هـ ٣١/ ٣/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



الإصلاح الديني وأبناء الزوايا الجزائرية في المشرق

قليلٌ من يجهل الشيخ المكي بن عزوز وكونه عالمًا عظيمًا وابن زاوية جزائرية كبيرة، وقليلٌ ممن يعرف علمه ونسبه من يجهل طرقيته وهو في وطنه، وتوبته منها في المشرق.

واليوم نقدّم كتابًا جاءنا من ابن زاوية جزائرية لكنه بالشرق أيضًا، وهو السيد عبد الرحمن بوحجر حفظه الله وهدى به.

وليس كلّ ابن زاوية جزائرية مقيم في الجزائر هو عدوّ للإصلاح الديني. ولكن يغلب على من فارق وطنه من أبناء زوايانا إلى المشرق نبذ ما ترك عليه أمثاله هنا.

وهذا هو الكتاب بنصّه وإمضائه:

«حضرة الأخ العلّامة الناقد مؤرخ الجزائر الشيخ مبارك الميلي حفظه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإني مسرور بنهضتكم العلمية الإصلاحية وأتتبّع أخباركم، وقد اطّلعتُ على كتابكم القيّم «الشرك ومظاهره» وقد أجدتَ فيه كلّ الإجادة، ووقفتُ على ما ذكرتَ عن جدّنا السيد أبو حجر، فزمانه زمن فترة، ولم يقم في ذلك الوقت

من ينبّه الغافل ويرشد الضالّ، وقد كنتُ أجهل تاريخه، والأمر فيه وفي أمثاله موقوف على الامتحان فقد وردت روايات أن الله يرسل يوم القيامة رسولاً فمن أجابه نجا ومن لم يجبه هلك[1].

وإني والحمد لله على توفيقه ما زلتُ منذ ثلاثين سنة وأنا أدعو إلى كتاب الله وسنة رسوله، وأحارب البدعة العملية والبدعة الاعتقادية في السودان الغربي والسودان المصري وفي صعيد مصر وأسفلها، باللِّسان والقلم والنثر والنظم، ولولا أن حكومة السودان أحرقت كتبي لأرسلت إليكم بكثير منها.

وقد أرسلت للسودان ومصر سبع نسخ هدية من كتابكم «الشرك ومظاهره» لأنَّ لنا هناك أصحابًا يدعون إلى إصلاح العقيدة وإحياء السُّنَّة.

وقد أرسلتُ لكم «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»، والجزء الثاني من «الصواعق المرسلة»، وقصيدتنا التي سمَّاها بعضُ المحبِّين «الدُّرُّ المنظوم» نظمناها من نحو عشرين سنة، وقصيدة الأمير الصنعاني في الحج، على سبيل التذكار، لتعلموا أنَّ لكم إخوانًا يؤيدونكم وينصرونكم ويوالونكم في الله.

وأسأل الله أن لا يزال يرينا من آثاركم ما يخلّد ذكركم وينفع أمتكم وملتكم.

وقد لقيت عند صديقنا عين أعيان جدة الشيخ محمد نصيف أحد الحجاج اسمه نجار محمد بن مبارك بوزيان من قرية القرارم فأعطيناه الكتب الآنفة الذكر

---

(١) أورد ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٢٨٨ ـ ٢٩١) عند قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ۝١٥﴾ [الإسراء: ١٥] جملة من تلك الروايات التي يشهد بعضها بعضا كما قال، فلتراجع ثمة، والله الموفق.

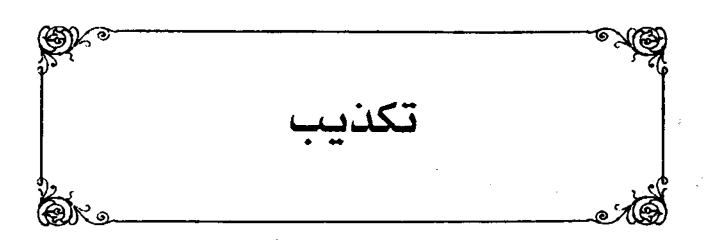
ليوصلها إليكم، والسلام عليكم وعلى إخوانكم في الدين[1].

عبد الرحمن أبو حجر الجزائري

الإمام والخطيب والمدرس بمسجد عكاش بجدة

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٩)، بدون إمضاء.



تكذيب

جاءنا بالعنوان أعلاه من السيد جلاب أحمد بن فرحات تكذيب السيد الطاهر بن بلقاسم في كل ما نشره في «البصائر» بعنوان كتاب مفتوح إلى السيد أحمد حماني.

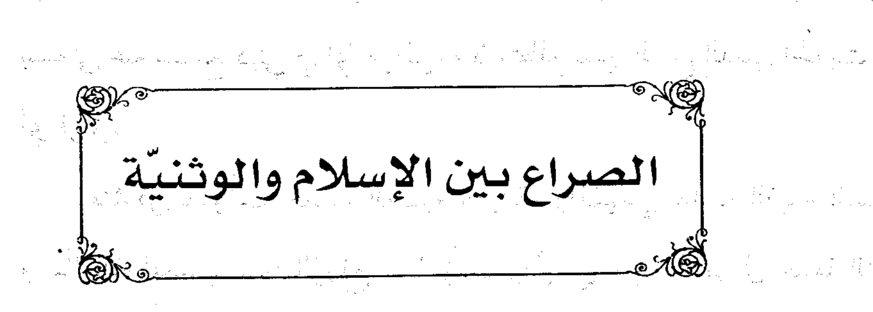
ثم تبرأ مما فيه ومما عسى أن يجيبه به السيد حماني. وأعلن ثقته بالعدالة الفرنسية والإدارة المحلية وأنه كتب ما كتب من تلقاء نفسه.

لم ننشر التكذيب بنصه لسوء أدبه. ولم نهمل تلخيصه رغبة في إطلاع القراء على فصول الرواية.

هذا وإن الجلالبة فصيلة من بني مرين احتفظوا بالسيادة على تُقُرت ووادي ريغ قرونا، فهل بقيّتهم تذكر ما كان لهم من مجدٍ وعِزٍّ يحملانهم على الشجاعة الأدبية والثبات للخطوب؟[1]

---

(١) «البصائر»: العدد (١٥٩)، بدون إمضاء.



الصراع بين الإسلام والوثنيّة

هو كتابٌ جديدٌ جليلٌ بقلم الشيخ عبد الله القصيمي، صدر منه في العام الماضي الجزء الأول وفي العام الحالي الجزء الثاني، وما زال جزؤه الثالث لمّا يطبع.

وقد أهداهما لنا كُلٌّ في عامه فضيلة الشيخ محمد نصيف سند السلفية بجدة وعين أعيانها.

وهو مطبوعٌ طبعًا جميلاً في ورقٍ صقيلٍ، يقع الأول في أكثر من سبعمائة صفحة، ويقرب الثاني من تسعمائة صفحة، ولكلّ جزءٍ فهرست كاشفة عن مواضيعه ومباحثه.

ولغته علمية أدبية جذّابة، ومنطقه عربي قرآني بالغ، وموضوعه الردّ على كتاب شيعي.

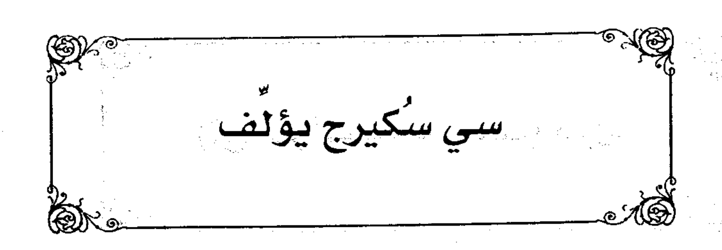
والمطّلع على حركة الإصلاح الديني بالجزائر وموقف الطرقية منه يُخَيَّلُ إليه عند قراءة هذا الكتاب أنه ينقض شُبهًا طُرُقيّة، ولا شكّ في تغذية الطُّرُقيّة من التشيّع.

وبالجملة هذا الكتاب أجمع كتاب عرفناه لِشُبه خصوم السَّلفيّة، وأوسع

مؤلَّف رأيناه في دحضها؛ وأقرب ما كان من جدال حولها إلى جدال عصرنا؛ فهو لا يستغني عنه مصلح ديني في أيّ موطن، ولا متطلّع لسير النزاع الديني الحديث من أيّ فريق.

فنشكر للمؤلِّفَ خدمته العلمية الدينية، وللمُهدي هديته القيّمة الثمينة؛ ونسأل الله للكتاب سَعة الرّواج، وللمؤلف والمُهدي طول العمر في خدمة الدين الخالص[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٩)، بدون إمضاء.

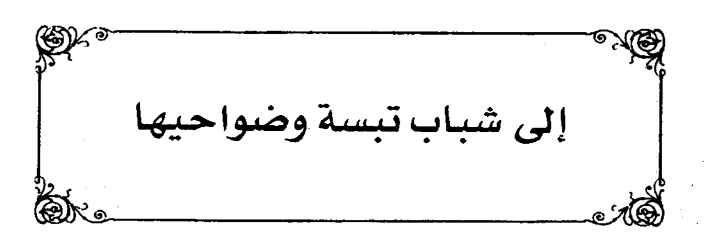


سي سُكيرج يؤلِّف

في افتتاحية العدد (١٥٥) ـ كتب الرئيس حول خبر انتصار سي سُكيرج للتيجانية من «الرسالة» و«الشهاب».

و قد كتبت صحيفة «المغرب» الغرّاء كلمةً في الموضوع أعلنت بها عن شدَّة تعصُّب أمثال سُكيرج لباطلهم وعن إساءتهم إلى سمعة المغاربة لدى إخوانهم المشارقة وعن براءة المغرب من مثل هذا الإنتاج، واعتذرت بأنَّه إنتاج خُرافي يُضاف إلى نوعه المعلوم شرقًا وغربًا لا إلى وطنه الخاصّ[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٩)، بدون إمضاء.



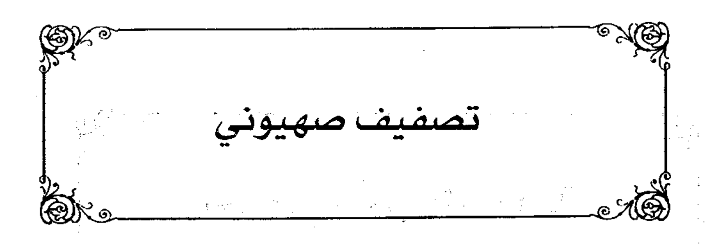
إلى شباب تبسة وضواحيها

«البصائر»:

جاءنا مع هذه الأبيات كلمة يعتذر بها أديبنا[1] عن ركضه بميدان الشعر فاكتفينا بالتنبيه عليها، ونحن نقوم عن القرَّاء بحقٍّ شكره في عدم اغتراره بنفسه وعدم تغلُّب داعي الخمول عليه، وهكذا يجب أن نكون[2].

(١) هو الأديب الشاعر محمد جفال التبسي.

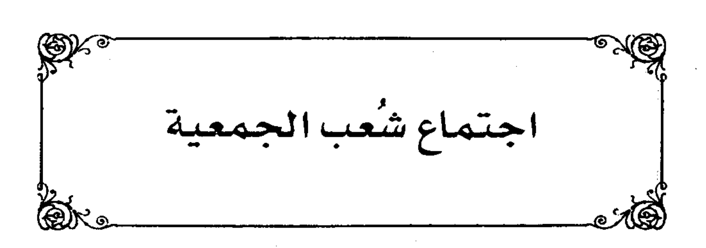
(٢) «البصائر»: العدد (١٥٩)، بدون إمضاء.



تصفيف صهيوني

في العمود الثَّاني من الصَّفحة السَّابعة من عدد «البصائر» ١٥٨ «إخفاق» حقّ العرب في فلسطين، والصَّواب «إحقاق»، وقد غفل عن هذا الخطإ المصحِّح، وهو تصفيف لا يقصده إلاّ صهيوني، وليس في المطبعة الجزائريَّة إلَّا مصفِّفون مسلمون، والحمد لله، ولكن الجهل يفعل بصاحبه...[1]

(١) «البصائر»: العدد (١٥٩) بدون إمضاء.



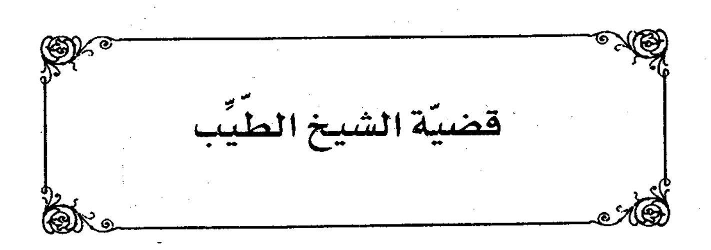
اجتماع شُعب الجمعية

يوم الاثنين وقع اجتماع شُعب الجمعية بمدينة الجزائر بدعوة من الرئيس للنظر في نتائج قانون (٨ مارس) السيِّئة، تلك النتائج التي لا حدّ لها لو استمرّت إلَّا القضاء على الإسلام والعربية.

و في العدد الآتي - إن شاء الله - نأتي على وصف هذا الاجتماع وما تمَّ فيه[١].

---

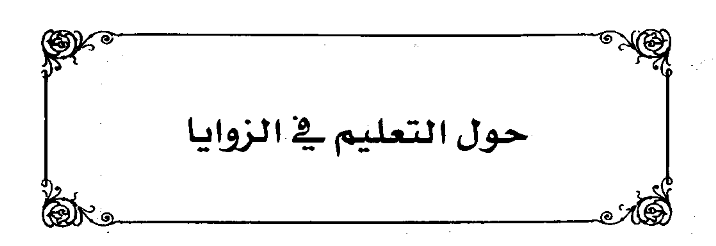
(١) «البصائر»: العدد (١٥٩)، بدون إمضاء.



قضيّة الشيخ الطيِّب

كان يوم ٢٠ مارس موعد النَّظر في قضيَّة الشَّيخ الطَّيِّب العقبي المعلومة، المعلوم بطلانها، ولكنَّها أُخِّرت إلى وقت آخر......![1]

(١) «البصائر»: العدد (١٥٩) بدون إمضاء.



حول التعليم في الزوايا

كتب السيد محمد أمزيان الثعالبي مقالاً في الموضوع توسّط فيه بين انتقاد السيد عبد الحميد بن حالة المنشور بعدد ١٤٥ من البصائر، وجواب مَن أجابه في إحدى صحف الشِّقاق والعِناد.

وملخّصه موافقة الأول على ما في زوايا القبائل من خلل في التعليم وعلى حاجتها إلى الإصلاح، ومخالفته له في أسلوب الانتقاد لخلوّه من الاعتراف لها بأية منقبة وتزهيد الناس فيها مع أن تعليم القرآن في القبائل لا يوجد في غيرها.

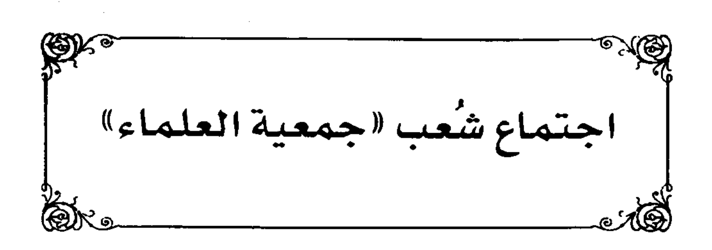
أما الثاني فيراه قد أسرف في الردّ وبالغ في تجاهل ما في تلك الزوايا من ضعف ونقص، وتجاوز حدّ الدفاع عنها ولو بالباطل إلى اغتياب المنتقد بما ليس فيه أو بما تاب منه. ويجعل الدفاع بمثل ذلك المنطق عن الزوايا إنما هو غش للقارئ وإساءة للزوايا. وأنشد لذلك:

فقلت لِمُطْريهِنّ بالحُسن إنّما ضررتَ فهل تستطيعُ نفعًا فتنفعَا

ويرى الصواب في تسجيل ما لتلك الزوايا من حسنات تشكر عليها، وتقدير ما فيها من سيئات مع بيان طرق علاجها.

و«البصائر» تقول: إن إجادة تطبيق هذا المبدأ مبدأ الاعتراف بالحسن وإثباته وذكر السيئ وعلاجه، هي خطة الإصلاح وفحواه، وهي التي بنيت عليها الدعوة الإسلامية[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٥٩)، بدون إمضاء.



اجتماع شُعب «جمعية العلماء»

لما آن أوان الجلسة الثانية من السنة الحالية للمجلس الإداري، وكان من أهمّ ما ينظر فيها حوادث تعطيل المكاتب القرآنية والمدارس الإبتدائية - رأى الرئيس الجليل فضيلة الأستاذ عبد الحميد بن باديس أن يدعو إلى شبه اجتماع عمومي يختصّ بأعضاء الإدارة وأعضاء شعب الجمعية. فوُجِّهتِ الدعوةُ إلى مائة وثمانين عضوًا موزّعين على جهات الوطن الجزائري، وذلك للمشاركة مع مجلس الإدارة في ابتداء ما يتخذ من الجهود لحماية الإسلام ولغة الإسلام من سلاح قانون ٨ مارس.

وكان ميعاد هذا الاجتماع يوم الاثنين خامس صفر (٢٧ مارس) فحضر جلّ المدعوين واعتذر بقيّتهم برسائل وبرقيات كلها احتجاجٌ على قانون ٨ مارس، واستنكارٌ للأغراض البادية من تطبيقه، وتأييدٌ للحاضرين فيما يقرؤونه، واستعدادٌ للمؤازرة في التنفيذ.

افتُتِحتِ الجلسةُ على الساعة التاسعة صباحًا وغصّ مكان الاجتماع بالوافدين، وهو يسع مائة كرسي ونَيِّفًا، ولكنه من الإزدحام وسع نحو مائة وخمسين.

وكانت فاتحة الجلسة تجويد فضيلة الرئيس لآيات من الذكر الحكيم هي قوله

تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ... وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [آل عمران: ١٣٧ ـ ١٤١].

ثم ألقى فضيلته خطابًا جامعًا بين صدق التصوير وعمق التأثير، ازداد الحاضرون به بصيرةً في حالهم وشعورًا بما عليهم لحماية مآلهم.

وإثره قام فضيلة الكاتب العام الشيخ العربي التبسي وطلب من السادة الوافدين عرض حال التعليم القرآني بنواحيهم.

فكان منهم قليل جدا من أخبر بسكوت الإدارة المحلية عن التعليم ببلدته وعدم مشاغبة المعلِّم.

والجمهور الغالب أخبروا بسوء سلوك الإدارة معهم وغلقها لمكاتبهم ومدارسهم رغم تقديم طلبات الترخيص لهم في التعليم وتردّدهم على أعتاب أولي النظر وإعانة بعض النواب لبعضهم.

ومنهم من أخبر بمصارحة حكومته المحلية له بأنه لا شيء يحول بينه وبين الرخصة إلاّ اتصاله بجمعية العلماء وأنه إن أعلن تسليمه منها وابتعاده عن رجالها حصل على الرخصة حينًا.

وعند السماع للمصوّرين حال العربية في بلدانهم كانت الزفرات تتصاعد، والعبرات تتساقط، والخشية على مستقبل الإسلام بهذا الوطن تتضاعف.

وبعد الانتهاء من عرض الحال قام فضيلة الرئيس، فشكر الولاة الذين لم يتعرضوا للعربية والإسلام بسوء.

ثم قام الأستاذ العمودي صاحب «لديفانص» الصحيفة الفرنسية الحرة المخلصة للقضية الإسلامية الجزائرية، فأبدى أسفه لضعف المقاومة التي قام بها

الشعب الجزائري إثر صدور قانون ٨ مارس، وبيّن خطورة هذا القانون الذي يرتاح إليه صنفان أحدهما: الرؤساء الضالون، وثانيهما: كثير من المعلّمين اللائكيين، وكشف عن مكائد تُكاد للإسلام والعربية من أحزاب يعدّها الجزائريون أنصارًا لهم في القضية الجزائرية.

ثم قام السيد مصطفى القاسمي من وفد شُعبة سطيف، فعرض لأساس النكبات الجزائرية، وهي محاولة إدماج المسلمين وسلخهم من قوميتهم، وذكر أهمّ وسائل هذا الإدماج، وهما الإفقار والتجهيل.

ثم أخذ المقترحون في تقديم اقتراحاتهم، فرأى فضيلة الرئيس اتصال الشعب بنوابه ودعوته لهم إلى الدفاع عن الإسلام والعربية وأن من أخلّ بهذا الواجب فهو خائن.

وقال السيد القاسمي: إن شَعْبًا يعجز عن حمل نوابه على التكلّم باسمه ، لهو أعجز عن حمل حكومته على إنصافه.

وقال الشيخ عمرو بن البسكري: يلزم تحسين العلائق مع النواب والطرقيين.

فأجابه الرئيس بأنه لا نزاع بيننا وبين النواب. أما الطرقيون فلا مفاهمة معهم ما داموا مُسيَّرين بأيدٍ أخرى. ونحن مستعدّون للمفاهمة مع كلّ من يعمل باسمه وينبعث عن وحي ضميره.

وقال الشيخ الهادي الزروقي: يجب على كل معلِّم أن يقدّم طلبه للترخيص له بالتعليم، فإذا كان حسن السيرة ومستوفيًا لأسباب الترخيص ثم انتظر فلم يرخص له فليعدّ نفسه صاحب رخصة قانونية لأن الذي منعه إياها غير مستند إلى القانون. فكان الوالي المانع للرخصة هو المعتدي على القانون وليس المعلّم بدون ورقة هو من

أهلها قانونًا، وقد أوضح الرئيس ذلك ودعا إليه.

وكانت هنالك اقتراحات أُخَر جُمعت كلّها وأُسِّست لجنة للنظر فيها وترتيبها.

وانتهى الاجتماع قرب الزوال، على العود مساءً إثر صلاة العصر.

وفي الوقت المحدّد مساء، افتُتِحتِ الجلسةُ فقام الكاتب العام بتلاوة ملخّص الرسائل والبرقيات الواردة من المتخلّفين عن الاجتماع، وهي على اختلاف عباراتها متضامنة مع مجلس الإدارة، مؤيّدة لاجتماع الشُّعب في كل ما يقرِّرون، الأمر الذي يزيد مجلس الإدارة قوةً في مقرراته ونشاطًا في أعماله.

وقام فضيلة الشيخ البشير الإبراهيمي نائب الرئيس فتلا على الحاضرين منشورًا ليوجّهه باللسانين العربي والفرنسي إلى الأمتين العربية والفرنسية فأقرّه الحاضرون بإجماع.

وبعد عرض المقترحات وتقرير ما أقرّ منها قام فضيلة الرئيس فألقى خطابًا بناه على نفسية الشعب الجزائري فقال:

إننا مرضى بمرضين هما الجهل والخوف.

أما الجهل فقد اعترفنا به وأخذنا في حربه بمثل هذا الاجتماع، وهذا مما يبشّر بالتغلّب عليه والتخلّص منه.

وأما الخوف فما زلنا ننكره في أنفسنا، ونعمل أعمال الخائفين ولكنا نصرفها عن معنى الخوف، وحثّ على الاعتراف بهذا الداء أيضًا والعمل لاستئصاله.

ثم قام السيّد عبد السلام بوصالح من تلمسان فوحّد بين نتيجة الظهير البربري في المغرب الأقصى لو سكت إخواننا المغاربة عنه، ونتيجة قانون ٨ مارس

إن نحن سكتنا عنه، ودعا إلى التضامن والتعاون على حماية الإسلام ولغته.

ثم تُليت قصيدة الشيخ عليّ الزوّاق الضرير قام بإنشادها الشيخ فرحات بن الدّراجي نائب الكاتب العام، وأعقبه الشيخ محمد العيد آل خليفة بإنشاد قصيدته، وسيراهما القارئ في مكان آخر من هذا العدد.

ثم قام فضيلة نائب الرئيس فذكّر بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والوقوف موقف الرجال لاجتناء ثمرات الأعمال.

وخُتمت الجلسة قرب المغرب بتلاوة الرئيس لقوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ ...﴾ [البقرة: ٢٨٤ ـ ٢٨٦] إلى ختام سورة البقرة.

افترق الوافدون على عقيدة واحدة في أن الغرض من قانون ٨ مارس هو القضاء على الإسلام ولغته، وأنّ غلق مدرسة في ناحية مقدّمة لغلق البواقي، وأن الترخيص لغير أعضاء «جمعية العلماء» والموالين لها إنما هو ترخيص مؤقّت يُراد به تفرقة كلمة الشعب إلى إصلاحي وطرقي، وأن التستر في حرب الإسلام ولغته بحرب «جمعية العلماء» إنما هو وسيلة للغاية المقررة وهي محو الإسلام ولغته من الجزائر، فلو تمّ ـ لا قدّر الله ـ الفوز للطرقيين والفشل للإصلاح لعوملت الطرقية بما يعامل به الإصلاح اليوم، ولما استطاعت الطرقية أن تثبت ثبات الإصلاح.

وافترق الوافدون وهم على شعور واحد بأنّ كلّ مظاهر الطرقية اليوم في زواياها وفي مؤتمراتها ليست إلاّ دليلاً على قصر نظرهم أو على تقديمهم لمصالحهم المادية على حياة الإسلام ولغته في هذا الوطن. وأنّ كلّ مؤيّد لهم في هذه الحال فهو عامل على إقبار الإسلام والعربية لا بلّغه الله، وأن النزاع بين الإصلاح والطرقية في

المسائل الدينية ليس حجة ولا شبهة مستورة لتشفي الطرقية من الإصلاح في إغلاق المكاتب والمدارس، لأن تلقين القرآن وتعليم مبادئ العربية والإسلام مما يجب التضامن لحمايته والدفاع عنه.

ومن الأمثال العامية: «النَّارْ اللِّي في قرقري مْرَوْحَة للغُراب».

فلينتبه الغافلون وليجدّ الصادقون وليسقط الماديون الكائدون.

وافترق الوافدون وهم كلمة واحدة في إبلاغ شعورهم لنواب جهاتهم بلديّين أو عُماليّين أو ماليّين وفي حملهم على حماية مقدّساتهم من هذا الجور الذي هو أضرّ على حياة المسلمين من زيادة الضرائب وإهمال الحقوق، وفي نزع الأيدي ممن يتصامم عن تلبية شعورهم واحترام عقيدتهم.

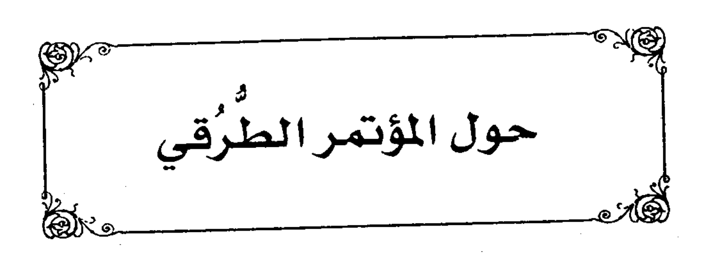
وافترق الوافدون وهم على استعداد لتنفيذ مقرّراتهم التي لم تستكمل الآن وسائلها.

وهكذا نجح اجتماع الشُّعب نجاحًا نسأل الله أن ييسّر للمجتمع الجزائري ثمراته.

وإذا كنّا نسجّل من هذا الاجتماع ما فيه تسجيل على الحكومة الجزائرية في مقاومة التعليم الديني الحرّ فلا يفوتنا أن نذكّر بما سجلناه في العدد (١٥١) من تصريح المسيو «روش» المفتش الأكبر للتعليم بعمل قسنطينة، فقد وقف بتصريحه ذلك من قضيتنا الدينية موقفًا حميدًا مشكورًا، وبمثل ذلك التصريح تُخدَمُ مصالح الشعب والحكومة، ولمثله فليعمل العاملون[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٠) الصادر يوم الجمعة ١٦ صفر ١٣٥٨هـ ٧/ ٤/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



حول المؤتمر الطُرُقي

قرأنا في صحيفة «الوِداد» التي تصدر بِسَلاَ من أرض المغرب الشقيق إعلانًا جاءها من جامعة الطرق عن مؤتمرها الذي تريد عقده يوم ١٤ من أفريل الحالي.

وقرأنا لهاته الجامعة منشورًا بذل الجهد في تعميم توزيعه.

وقد اشتمل المنشور على الإشادة بمزايا ما أنجزته الجامعة الطرقية من أعمال، وبتضخيم آمالها في الاستقبال.

إنّ الطرقية تشعر في قرارة أنفس مسيّريها بالفشل، فلذا تجدّ في نشر الدعوة، وتشعر كذلك بالفضيحة، فلذا تُشيد بأعمال ضارة وأحسنها ما كان عقيماً، وتسبغ إشادتها بزخرف من الأقوال التي لا يقدم عليها إلاّ عديم الضمير.

وإلى هذا الجدّ في النشر والوقاحة في الإشادة وسائل أُخَر تتّخذ لحشر الصور في هذا المؤتمر من تيسير السفر، والوعد بقضاء الوطر، والوعيد والنصح بالحذر.

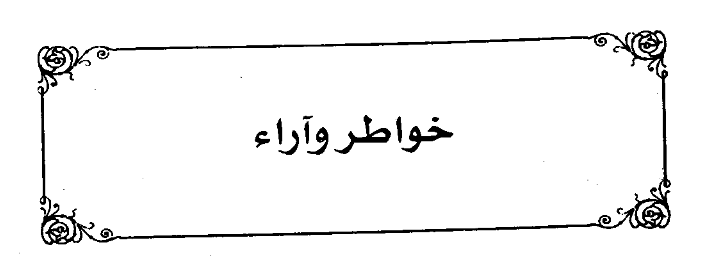
وإذا كانت هذه الوسائل تستعمل قبل في اجتماع خاصّ بطريقة خاصّة، فقد كانت تؤتى باسم الحكومة الباطنية، أما الآن فهي مستعملة في اجتماع عام لعامة الطرق ومن يشاركهم في غايتهم الشخصية وباسم الحكومة الظاهرة.

المنشور فَصَّلَ أيام المؤتمر بالدقيقة وأحصى فيها المآدب والأقوال؛ ولكنه لم يشر إلى قانون ٨ مارس وسوء تطبيقه، بل هو راضٍ عن الماضي، فخورٌ بالحال، شديد الثّقة بالمستقبل.

وبعد، فليس المؤتمر الطرقي غير زردة سياسية يتلهّى فيها الغافلون بالأكل، ويدبّر فيها الكائدون للإسلام ولغته المكائد، فمن حضرها راغبًا أو راهبًا أو مستطلعًا فقد ضخم جمع الهادمين للإسلام ولغته.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾ بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ ﴿٢١﴾ فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ ﴿٢٢﴾﴾ [البروج: ١٩ ـ ٢٢][١].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٠)، بدون إمضاء.



خواطر وآراء

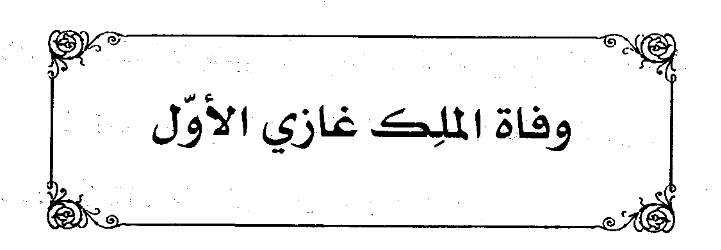
«البصائر»:

في قصيدة الشيخ عليّ الزوّاق الملقاة في اجتماع الشُّعب والمنشورة بهذا العدد أنَّ المسلمين أصبحوا يرون اختلاف الرأي شرَّ المصائب، ومقال أديبنا[1] صاحب هذا المقال دعوة إلى الاتحاد، فرأينا أن نضمّه إلى مواد اجتماع الشُّعب.

أمّا رأينا في أصل الأدواء الاجتماعية فإنَّه الجهل، فلنعمل أوّلاً على استئصاله[2].

(١) هو الأديب الشاعر أحمد سحنون رحمه الله تعالى.

(٢) «البصائر»: العدد (١٦٠)، بدون إمضاء.



وفاة الملِك غازي الأوّل

ليلة الثلاثاء ثالثة عشرة صفر (٤أبريل) فاضت روح الملك العربي الهاشمي جلالة ملك العراق الشاب غازي الأول بن فيصل الأول بن الشريف حسين، رأس الثورة العربية الكبرى.

وكانت وفاته من إصابة برأسه بسبب اصطدام سيارته ببعض الأعمدة وهو يسوقها بنفسه عائدًا إلى قصر الزهور الملكي.

انتشر الخبر في حينه بالعراق. فوقع على إخواننا العراقيين وقوع الصاعقة أو أشدّ، فعمّ الأسى والفزع، وحجب الصواب والرشد، وساءت الظنون حتى ظنّ المَوْصِلِيُون أنّ المِلِك قُتل بمكيدة انكليزية. فقتلوا قنصل الانكليز بالموصل ونسفوا إدارته.

وانتهى إلينا نعي الملك الشاب بعد نحو اثنتي عشرة ساعة من مفارقته لعالم الفناء. فارتبنا أَوَّلاً، ثم تواتر النبأ من محطّات الإذاعة. فلم نستيقن إلاّ بعد أن تمّ طبع العدد الماضي.

ولم يكن وقع هذا النبأ علينا وعلى كلّ عربي بأقلّ منه على إخواننا العراقيين. فإن العرب أجمعين يشاركون إخوانهم العراقيين في تقدير حياة الملك الراحل، وما

تمّ على عهده من أعمال جليلة ترفع رأس العربي، وما يعلّق عليه من آمال في إحياء مجد بغداد واستعادة العزة العربية. وإذا لم نَسِم حزننا بتجليل هذا المقال بالسواد فلأن هذه السِّمَة لا يطلبها منّا الإسلام ولا تدعونا إليها القومية العربية.

إذا كانوا يقولون قبل: «العراق أهل الشقاق والنفاق!» لقد أصبح التعبير الصادق أن يقال: «العراق عِرق العروبة النابض».

والذي جعل العراق عِرق العروبة النابض هو المرحوم الملك فيصل، ذلك الرجل العظيم حقًا. فقد كان يعمل بجدّ ودهاء وإخلاص للقضية العربية، لا لخصوص الأسرة الحسينية. فأحسن الجوار مع بقية الملك[1]. وصافى جلالة الملك عبد العزيز آل سعود خصم أبيه الحسين وأخيه عليّ، إذ كانت في تلك المصافاة مصلحة العروبة. ونجد أثر هاته المصافاة في شعبه العراقي العربي الأَبِيِّ.

ذهب فيصل إلى دار البقاء وترك نجلاً واحدًا هو فقيدنا اليوم. وترك له أعلى تركة هي الأحدوثة الحسنة والأصدقاء الأوفياء، فأحسن فقيدنا الاستفادة من تلك التركة، وسار على سنن والده المرحوم. فأحسن الشعب العراقي الإخلاص له.

وكان بعيدًا ـ رغم حداثة سنه ـ عن كلّ انقلاب يحدث أو ثورة تدبّر. ولم تذكر مكيدة تدبر له إلاّ في هاته السنة حيث أُشيع أن هنالك من يعمل لإسقاطه وإجلاس عمّه زيد مكانه. لكن الشعب العراقي وكلّ الأقطار العربية تلقّت هذا الخبر بكلّ استغراب واستنكار كما تلقّت خبر القضاء على عشّ الفتنة بكلّ ارتياح واطمئنان.

ذهب الملك غازي إلى دار البقاء إثر الاحتفال ببلوغه سبعًا وعشرين سنة من

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: المُلوك.

العمر احتفالاً أظهر فيه الشعب العراقي إخلاصه لملكه العزيز، وأعرب فيه الملوك ورؤساء الجمهوريات عن مشاركتهم في هذا الاحتفال ببرقيات التهاني.

وقد شيع الملك المرحوم إلى مقرّه الأخير[1] في موكب بلغ منتهى الجلال والوقار حتى أنّ الحرس المكلّف بحفظ النظام لم يجد خللاً يسدّه رغم كثرة الجموع كثرة لا تُحصى. ودفن الفقيد حذو مدفن والده يوم الأربعاء (١٤ صفر).

وإثر وفاته رَحِمَهُ ٱللَّهُ بويع ابنه فيصل البالغ من العمر أربع سنوات، ولصغره أقيم وصيًّا عنه الأمير عبد الإله بن الملك عليّ، وهو خاله.

إنّ المصيبة في الملك غازي لعظيمة جدًّا، وإن عِظمها ليزداد كلما فكّرنا في رجال الأسرة الحسينية. فلم نجد لدينا علماً بأن فيهم من يحسن المحافظة على سياسة المرحوم فيصل بعد نجله الراحل، وإن شعاع الرجاء في حالك هذا المصاب إنما يلوح لنا من بقية رجال العراق الذين صحبوا المرحوم فيصلاً وأتقنوا طريقته الحكيمة وأخلصوا لمبادئه القويمة ولأسرته الكريمة.

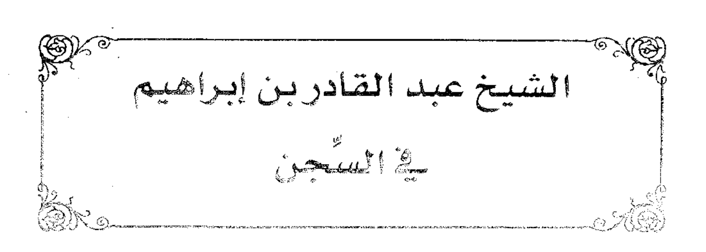
أما حادث القنصل الانكليزي فإنه سيسوّى تسويةً لا تضرّ العراق أبدًا. ولكنه يدل دلالة لا تؤثّر الأيام ولا الأقاويل فيه ضعفًا على مبلغ إخلاص الشعب العراقي للملك المرحوم وعلى مبلغ الشعور العربي نحو الحكومة الإنكليزية. وليس الذنب ذنب العرب إن أساؤوا ظنّهم بها. ولكن الذنب ذنب الفلسطينيين الذين فضحوها بصبرهم على أذاها ونباهتهم لتدبيرها.

---

(١) القبر مرحلة بين الدنيا والآخرة، فبعده البعث ثم الحشر، ثم العرض يوم القيامة ثم إلى جنة أو نار.
وانظر: «معجم المناهي اللفظية» (مثواه الأخير ـ (ص ٤٩٢) لبكر أبو زيد.

رحم اللهُ الملِكَ غازيًا رحمةً واسعةً، وحفظ ملكه من الضعف، وأبقى على العراق استقلاله وجدّه إلى المعالي والكمال[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦١)، الصادر يوم الجمعة ٢٣ صفر ١٣٥٨هـ ١٤/ ٤/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



الشيخ عبد القادر بن إبراهيم في السِّجن

الشيخ عبد القادر بن إبراهيم هو من مسعد إحدى قرى أولاد نايل، عالمٌ ذكيّ مصلح، تخشاه الطرقية على سمعتها في تلك الجهات، فهي لا تفتأ تدبّر له المكايد لتعرقل حركته الإصلاحية.

لما تأسّس النادي الإسلامي بالجلفة كان هو محاضره، فلما جاءت نوبة النوادي في المعاكسة أغلقت الحكومة نادي الجلفة من غير سبب، فعاد الشيخ إلى مسعد، فمُنع بها من التعليم بالمسجد.

وأخيرًا بلغنا أنه أُدخل السجن بمسعد يوم ٢٩/٠١/٥٨ (٢١/٠٣/٣٩) ولم يُعلم به إلاّ بعد أيام. كما لا يعلم له سبب. وهو مضيَّق عليه لا يُزار ولا يتّصل به أخ أو غيره. وخلفه أسرة ذات ثماني أنفس لا قائم عليها ولا لها مدّخر. لمثل هاته الحال. وماضيه نقيّ، ورئيس ملحقة الجلفة نفسه أعطاه شهادة بحسن السيرة قبل، ولم تتغير سيرته بعد.

إن سوابق الشيخ هي ما حكينا من حركته القلقلة للطرقية التي أصبح دلالها

على الحكومة الجزائرية أو دلالتها لها من الأمر الشائع.

وقد سجلنا في العدد ١٤٠ ما بلغنا عن حاكم مسعد من أن لديه أمرًا ضدّ الإسلام.

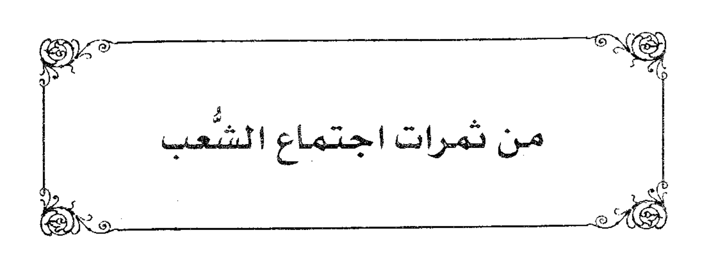
وهكذا أصبحنا مصداق ما أخرجه الترمذي عن أنس: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ**»[١].

فصبرًا أيها المصلحون، فإن العاقبة للمتقين[٢].

---

(١) «الصحيحة» (٩٥٧).

(٢) «البصائر»: العدد (١٦١)، بدون إمضاء.



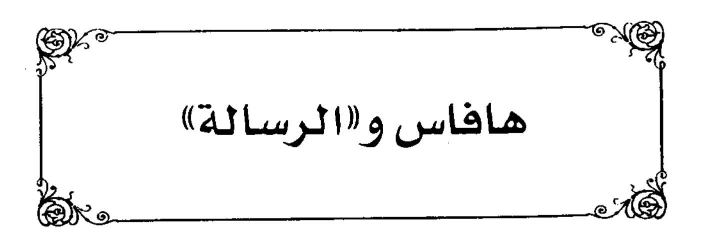
من ثمرات اجتماع الشُّعب

قرّر اجتماع الشُّعب ـ فيما قرّر ـ اتّصال الأمة بنوّابها وإطلاعهم على الضغط الواقع على التعليم الابتدائي العربي الديني.

وقد اتّصلت الأمة بنوابها. وعلمنا أنّ النواب مستعدّون لحماية حقّ الأمة في تعلّم مبادئ لغتها ودينها، بتقديم رغائبها إلى الحكومة واعتبار قضيّة التعليم من القضايا الهامّة.

وقد اتّصل الأستاذ الرئيس المحترم الشيخ عبد الحميد بن باديس برئيس وحدة النواب بعمل قسنطينة السيد الحكيم ابن جلول، فوجده مهتما بالقضية، وسننشر التفاصيل في العدد الآتي[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦١)، بدون إمضاء.



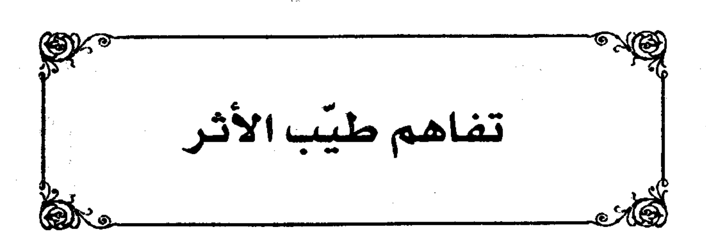
هافاس و«الرسالة»

«البصائر»:

ذكرنا قبل ملخّص ما نشرته صحيفة «المغرب» الغرّاء حول هاته النغمة وبراءتها من تلك المعرّة. واليوم نثبت كلمة فاضل مغربي دافع بها في «الرسالة» عن الثقافة المغربية حتى لا يظن أنها من ضرب الخرافة الطرقية.

وما انتهت الطرقية إلى هاته الدركة في الشناعة والدناءة المكشوفتين إلاّ بفضل الحملات الصادقة التي أثارتها الأقلام الإصلاحية الناضجة والصحافة ذات المبادئ الحرة الثابتة. فليس الترفع عن مثل هاته الحملة شرفًا كما يوهمه الكاتب الفاضل الذي وفّق في بقية حديثه[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦١)، بدون إمضاء.



تفاهم طيّب الأثر

كتبنا في العدد ١٥٨ تعليقًا على ما جاء في صحيفة «الإرادة» الغراء بشأن العربية في الجزائر. ولما قرأ محرِّرُ «الإرادة» الفاضلُ تعليقَنا ذلك نقله في العدد ٣٦٥ وقفّى عليه ببيان الغرض المقصود للكاتب.

وإنا لنشكر قلم تحرير الرصيفة الكريمة على ما أبداه من عواطف لطيفة ومقاصد شريفة إلى حرص على صفاء القلوب وتقدير للأخوة الدينية والوحدة الإقليمية.

وإليك ما قفّى به على كلمتنا زيادة في ترويج هذه البضاعة السامية الآداب:

«ونحن نقول للرصيفة الغراء أن الكاتب لم يكن يخطر بباله استنقاص قيمة القطر الشقيق، ولم يكن يصدر فيما يقول عن جهل بالحالة فيه وبقيمة رجاله العاملين في سبيل الدِّين والوطن.

ولو لم يكن للجزائر إلاّ أنها أنجبت المصلح الإسلامي الكبير فضيلة الشيخ عبد الحميد بن باديس والعصبة الصالحة العاملة في سبيل الله الملتفّة حوله، السائرة على ضوء هُداه، لكفاها هذا فخرًا.

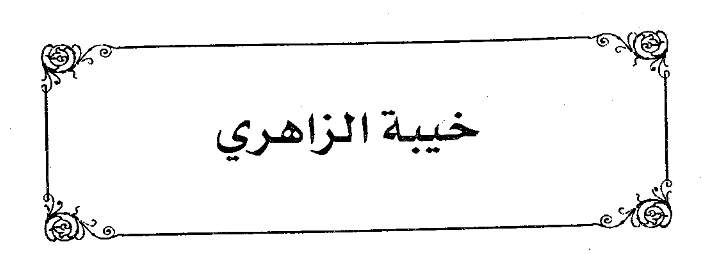
ولكن مراد الكاتب من كلمته تلك المقارنة بين سلوك الحكومة الجزائرية في محاربة التعليم العربي الذي كان ولا يزال ديدنها إلى اليوم، وبين لجوئها أخيرًا إلى الإذاعة العربية في محطتها الرسمية، ليستخرج من هذه المقارنة أعجوبة من أعاجيب الحياة.

وإذا كان لم يفصح عن مراده بجلاء تامّ فإنه كان حسن النية فيما يقول.

ولو شعر قلم تحرير الجريدة بغير ذلك لما سمح أبدًا بنشرها على صفحاتها، لأننا أحرص الناس على تمتين علائق الأخوة بين المسلمين وعلى الأخص مسلمي هذا الشمال الإفريقي العزيز الذي نجاهد في سبيل سعادته إلى أبعد مدى»[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦١)، بدون إمضاء.



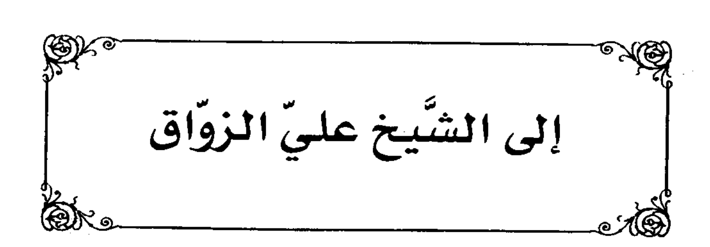
خيبة الزاهري

جاءنا من كاتب فاضل مقالٌ صور فيه الزاهري وكشف عن مخازيه وتفتينه وتداخله فيما لا يعنيه.

فنعتذر لحضرة الكاتب بأنّا لا نرى لزومًا لكشف عَوار الزاهري، وشرحُ الواضحات من الفاضحات[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦١)، بدون إمضاء.



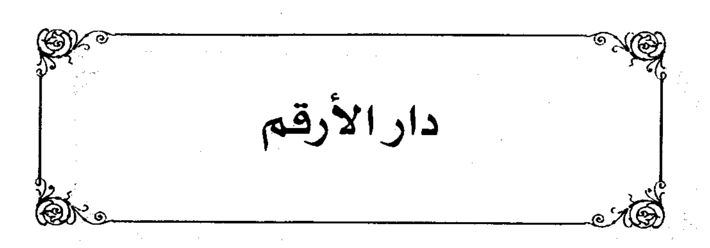
إلى الشَّيخ عليّ الزوّاق

جاءتنا منه أبيات يحيّي بها العرب، ولكنَّها مختلطة الحروف لا تتبيّن كلماتها، فليعِد كتابتها بحروف واضحة إن لم يزل راغبًا في نشرس.

أمَّا عذر الشَّيخ في إرسالها على هاته الصُّورة فمعلوم لدينا[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦١) بدون إمضاء.



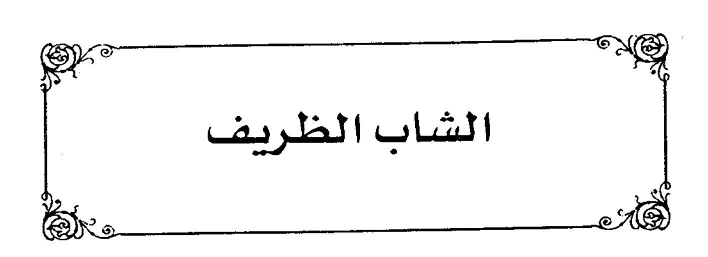
دار الأرقم

أذاعت «دار الأرقم» بيانًا عن قرار نظام الطَّوائف الَّذي كنَّا تحدَّثنا عنه بعض الحديث في العدد (١٥٧).

وقد بيّن وجوه الشَّرِّ في هذا القرار. وكنَّا نودُّ لو استطعنا نشره للقرَّاء ليعلم الشَّعب الجزائري أنَّه ليس وحده مسومًا سوء الجور في دينه، وليعلم كيف يقف غيره من الشُّعوب العربيَّة الإسلاميَّة لحماية إسلامه وعربيَّته. فلنكتف بإبداء أسفنا لهذا العجز عن تحقيق أمانينا في نشر رسالة، وإنه لعجز ماديّ يجب أن لا يستمرَّ طويلًا.

هذا وقد كان للحملة على هذا النِّظام تأثيرها، فألغي في جانب الإسلام إلغاء مجملًا[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٢) بدون إمضاء.



الشاب الظريف

بعث إلينا الشاب الأديب السيد أحمد بن ذياب بالخطاب الذي ألقاه في اجتماع «جمعية الطلبة الزيتونيين الجزائريين» عن الشاب الظريف التلمساني[1].

وهو بحث أدبي.

وإن كان كاتبنا يعترف بما فيه من نقص فليس ذلك مما يفتر من همّة الباحث.

المطلوب في الكاتب أن لا يكون صدًى لآخَر، لا أن يحيط بجميع خفايا موضوعه، فالمادة تعوزه والعذر في القصور لا في التقصير.

وبعث الموضوع على نقصانه قد يحرك همّة القارئ إلى موالاة البحث عن إنارة ما بقي منه مظلماً، فللباحث الأول فضل التسبّب إن فاته فضل التعليم.

فنحن نشكر أديبنا، ونرجو لأمثاله عزيمة على الإفادة وصبرًا في التنقيب[2].

قلم التحرير

---

(١) توفي سنة (٦٨٨هـ)، انظر: «الأعلام» (٦/ ١٥٠).

(٢) «البصائر»: العدد (١٦٢)، بدون إمضاء.

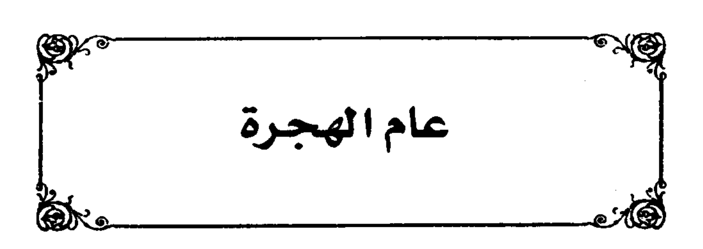
عقوق الأبوين و المعلّمين من أكبر الكبائر

«البصائر»:

أحسن الشَّيخ[1] في تذكيره ولا يغفل قارئ كلامه عن أن الشَّيخ هو شيخ التعليم النصوح لا شيخ الجباية و«السّبحة»[2].

(١) هو الشيخ علي بن الطيّب الثعالبي الإمام.

(٢) «البصائر»: العدد (١٦٢)، بدون إمضاء.



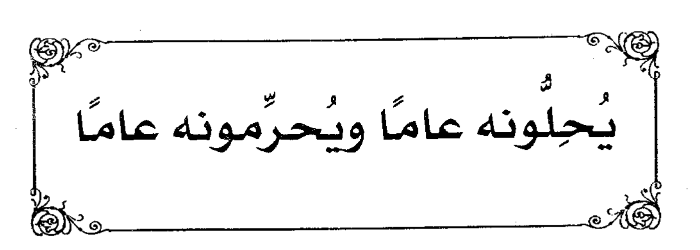
عام الهجرة

نشرت مجلة «التمدن الإسلامي» الدمشقية الغرّاء مقالاً قيّماً بالعنوان أعلاه نقدّم لِقُراء «البصائر» قطعةً منه.

وإذا اعتذرنا عن إهمال بعض ما كتبه كُتابنا في الموضوع بِبُعدِ الزمان بين رأس السنة الهجرية ووقت اتصالنا بمقالاتهم فإنّ هذا العذر غير مُراعَى في النقل عن مجلّة وافدة من بعيد، على أني أحببتُ أن أشرك قُراء «البصائر» معي في الاستفادة من هذا المقال الذي أُعجبتُ به كلّه وإن حيل دون رغبتي في نقله بجملته بكثرة المواد التي طال عليها الأمد في الإدارة[1].

قلم التحرير

(١) «البصائر»: العدد (١٦٢)، بدون إمضاء.

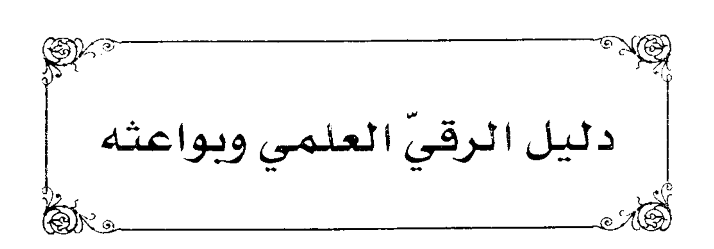


يُحِلُّونه عامًا ويُحرِّمونه عامًا

تحت العنوان أعلاه نشرت رصيفتُنا الكريمةُ صحيفة «الإرادة» الغرّاء كلمةً حكيمةً عن المؤتمر الطرقي، ننقلها لقراء «البصائر» ليطّلعوا على نظر العقلاء من غير أعضاء «جمعية العلماء» إلى حركة الطرقيين، وليعرفوا الصحف الصادقة فيوالوها.

ولدينا مقالٌ ضافٍ بقلم نائب كاتب «جمعية العلماء» الأستاذ الشيخ فرحات، توسّع في الحديث عن حركة الطرقيين ومؤتمرهم، موعدنا به العدد القابل إن شاء الله[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٢)، بدون إمضاء.



دليل الرقيّ العلمي وبواعثه

١ ـ «إن دليل رقيّ الأمة في الأدب والعلم هو كثرة منتجاتها منها. ولا عبرة في ذلك لكثرة المعلومات وسَعة الاطلاع.

فكم رأس حوى أشتاتًا من العلم وصنوفًا من الآداب، وكان مع ذلك مستنقعًا آسنًا. وإنما يجب أن يُضاف إلى التعلّم الهضم وإلى الاطلاع التمثل. وهذا ما يظهر في مرآة الشعب التي لا تكذب، وهي كتبه وصحفه».

٢ـ «ولقد صحّ عند أولي الفكر أنّ خير باعث للإنسان على الإقدام وإتقان العمل هو التشجيع والمباراة. ونستطيع أن نعلّل كلّ رقيٍّ وسموٍّ ـ في عالَم الاقتصاد أو في عالَم الأدب والعلم ـ بهذين. وأقلّ مراتب التشجيع أن يصادف العمل إقبالاً وطلبًا».

«البصائر»:

نقلنا هذين الفصلين من مقال نشرته مجلة «التمدن الإسلامي» الراقية تحت عنوان:

«ما هي أسباب تأخّرنا في الأدب؟»

قرّر فيه كاتبه انحطاط الشام في الأدب وبحث عن علل ذلك الانحطاط.

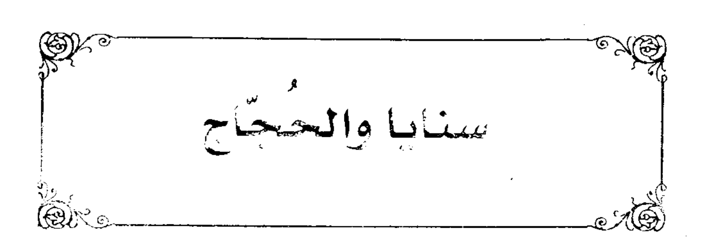
وغرضنا من هذا النقل عدم الرضى عن إنتاجنا ولفت الأنظار إلى الجِدّ في هذا المضمار.

وليس الغرض إقامة العذر لنا من حال الشام التي هي فوق حالنا من كلّ جهة، فإن الاتّساء في النقص أقبح النقص.

وأخيرًا ، هل يسمع هذا علماءنا؟ ليظهروا ثمار معلوماتهم على صفحات بصائرهم فقط، فإن طلبَ القُراءِ لأقلامهم حثيثٌ، وإقبالَ الشّعب على تحريرهم مجرّبٌ، والدِّين النصيحة، والعلم أمانة يجب أن تؤدّى إلى أهلها ولو مع أقلّ مراتب التشجيع[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٢)، بدون إمضاء.



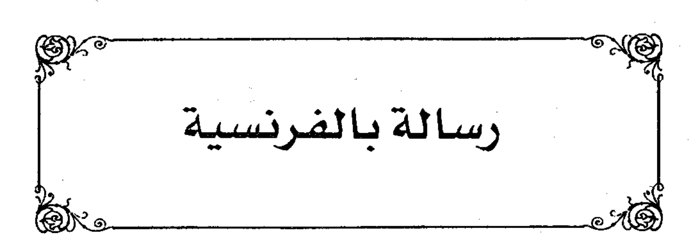
سنايا والحُجّاج

جاءنا كتابٌ من مستلزم أكل الحُجّاج يؤكّد ما نشرناه في العدد ١٥٥ ويعتب على الحُجّاج الذين سكتوا ولم يعلنوا ما لحقهم من سوء المعاملة.

ويشهد أنه لم ير في مصاحبته للحُجّاج أربع سنوات أسوأ من معاملة هاته السنة.

ويخبر أن أمر الطبخ هو في الحقيقة إلى مسيحي اسمه «لفو» وليس إلى الفُضيل. فيقول هذا المخبر أن له معه كلاما آخر إلى فرصة أخرى(١).

(١) «البصائر»، العدد (١٦٢)، بدون إمضاء.

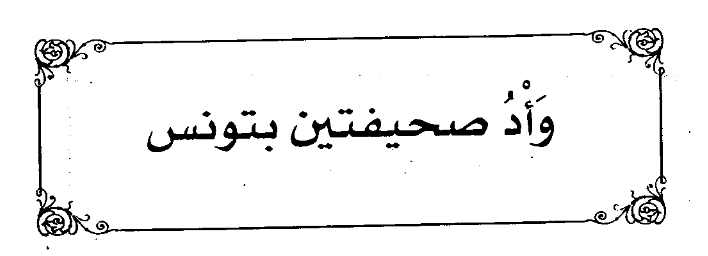


رسالة بالفرنسية

حمل إلينا البريد رسالة باللّسان الفرنسي ليس فيها من الحروف العربية إلاّ هاته الجملة في خاتمها «حزب الشعب الجزائري».

و«البصائر» عربية اللّسان وليس في إدارتها من يحسن الترجمة. فعذرنا واضح في إهمال هذه الرسالة. على أننا نبّهنا على هذا في العدد ١٣٠[١].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٢)، بدون إمضاء.



وَأْدُ صحيفتين بتونس

«**الهلال**»: ما كاد مداد التبشير بها يجفّ حتى فوجئنا بنعيها.

«**تونس الفتاة**»: هي الصحيفة التي رحّبت بأقلام الكُتاب بالشمال الإفريقي. وكانت ميدانًا فسيحا لآرائهم ومظهرًا صادقًا لروابطهم. وقد بلغنا تعطيلها أيضًا.

ليس سبب تعطيلهما من الأسباب المعلومة عن تعطيل الصحف اللاتينية الحروف والأروبية المبدأ. ولكن السبب هو عربيتهما كتابةً وتفكيرًا .

فلا دعوة فيهما إلى تباغض الأجناس، ولا إلى الإخلال بالأمن، ولا إلى الفوضى في المجتمع، ولا إلى الحطّ من كرامة السلطة، ولا إلى التبرّم من العدالة، إنما دعوتهما إصلاحية تهذيبية دفاعية، تنكر الجور وتحبّب العدل.

إنّا لا نرى في أمثال هذا التعطيل إلاّ سياسة كبت العواطف أو سياسة «الضرب وسدّ الفم»، وهي سياسة تدلّ على ما للغالب من قوة مادية كما تدلّ على ما للمغلوب من قوّة معنويّة.

واستخفاف القويّ ماديًا بالقويّ معنويًا هو استخفاف الرادم لحفرة بعنصر مائها الضئيل يغلبه بالتراب والحجارة ولا يدع له مجرى ضيّقًا يشقّ فيه طريقه إلى

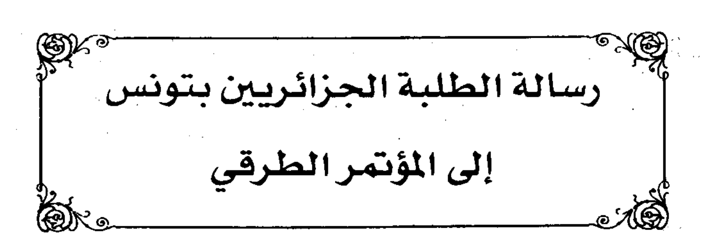
سطح الأرض. ولكن مع الزمن الطويل أو القصير سينهال ذلك الردم ويقضي عليه بعد أن كان الرادم يظن الماء الضعيف مقضيًا عليه.

إنا لا نهدّد بهذا قويًا ولا نضمر لأحد انتقامًا، ولكن هي النصيحة المنبّهة للغافل، والمذكّرة للناسي، والواعظة للقاسي. والحكمة ضالة العاقل.

«العمل الشعبي»: بعد كتابة ما تقدّم بلغنا وأد هاته الصحيفة أيضا. وهي كسالفتيها شرف مبدأ وغاية، وبخس حقّ وسوء معاملة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٢)، بدون إمضاء.



رسالة الطلبة الجزائريين بتونس إلى المؤتمر الطرقي

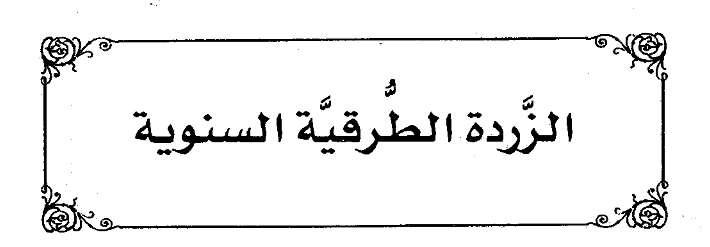
«البصائر»:

هذا صوت الجِدّ، وزئير الشباب المثقّف، وصراخ الحقّ المعذّب، فليسمع الشعب الجزائري المسلم العربي، وليسمع «القوم» المستخفّون بالشباب والعائثون في حاله والعابثون بمآله.

أمَّا كلمتنا لهذا الشباب فهي «عرفت فالزم»، ثم معذرتنا إلى من وقع خطأ في اسمه، فإن من الإمضاءات ما لم يكن واضح الخط.

وأمَّا كلمتنا إلى الأمة فهي البشارة بقوّة حقها وتحقّقه في المستقبل، فإنَّ أمة يكون مثل هذا الشباب من أبنائها لجديرة ببلوغ المنى وخلود الحياة[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٣)، الصادر يوم الجمعة ٨ ربيع الأول ١٣٥٨هـ ٢٨/ ٤/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.

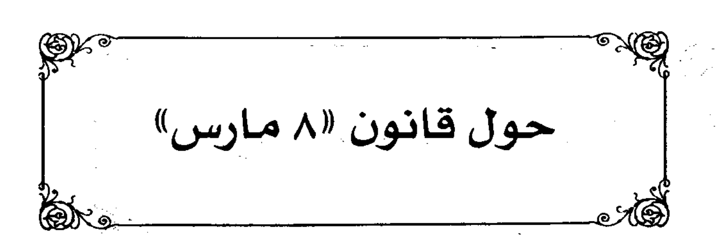


الزَّردة الطُّرقيَّة السنوية

المقالُ مِحِقٌّ في معانيه، وقد يُعَدُّ شديدًا في عباراته شدَّة غير معتادة من صحيفة «البصائر»، ولكن لهاته الشِّدة بواعث من صحف الطرقية نفسها، فهي التي تكالبت على «الجمعية» ورجالها بضروب الإفك وبضائع الأدب الرديء، فالكاتب المصلح إذا كان يقرأ تلك الصحف لا يملك نفسه أن يحتدّ وإن لم يخرج في معانيه عن الحقيقة وفي أدبه عن النَّزاهة[1].

قلم التحرير

(١) «البصائر»: العدد (١٦٣)، بدون إمضاء.



حول قانون «٨ مارس»

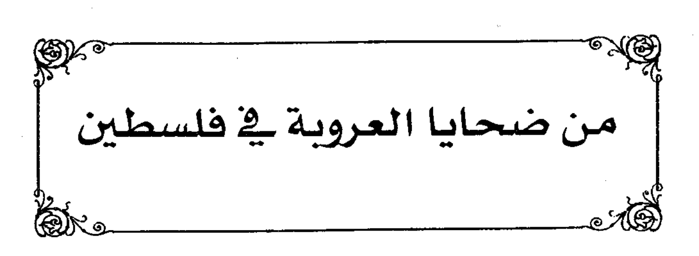
نشرنا في صدر العدد (١٥٦) مقالة الرَّئيس المحترم الأستاذ عبد الحميد ابن باديس عن قانون (٨ مارس) وبرقيَّته إلى الحكومة الفرنسيَّة.

وقد نقلت صحيفة «الشَّباب» الغرَّاء في عددها الصَّادر ثامن صفر نصّ البرقيَّة تحت عنوان: «ماذا في الجزائر؟» وعلَّقت عليها بأنَّ: ثامن مارس، هو الَّذي سلبت فيه فرنسا استقلال الشَّام سنة (١٩٢٠).

ونقلت صحيفة «العُقاب» العراقيَّة الغرَّاء كُلاًّ من المقالة والبرقيَّة في عددها الصَّادر: تاسع صفر بعنوان: «كما في سوريا في الجزائر»، فعجبنا لهذا الاتِّفاق بين صحيفتين، إحداهما بالقاهرة والأخرى ببغداد[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٣) بدون إمضاء.



من ضحايا العروبة في فلسطين

استشهد أواخر مارس الماضي المجاهد الكبير والبطل المغوار السَّيِّد عبد الرَّحيم الحاج محمَّد. وكان رَحِمَهُ الله معروفًا بالتَّديُّن، مشهورًا بالورع، وهو أحد القوَّاد الأربعة الَّذين على خبرتهم وبطولتهم تقوم الثَّورة الفلسطينية.

وكان استشهاده بدلالة بعض الجواسيس ممَّن هُمْ عار على الجنس العربي أن ينسبوا إليه.

وكان لاستشهاده رَحِمَهُ الله رنَّة أسف عظيمة في العالم العربي والإسلامي.

واستشهد كذلك السَّيد أمين شحادة حسُّونة من خير الشَّباب، وأحد قادة الفصائل.

واستشهد أيضًا السَّيد سهو سعيد، قبض الجند عليه في المسجد واستاقوه إلى دائرة البوليس فطلبوا منه الالتفات خلفه، فأجابهم أنَّكم تريدون قتلي من خلفي لتزعموا أنِّي قُتلتُ فارًّا، فلا ألتفت واضربوني في صدري؛ وحينئذ أطلق الجند عليه الرَّصاص، رحمه الله رحمةً واسعة.

ومع هذه الضَّحايا الغالية لا تزال حركة الجهاد ناشطة.

حقَّق الله آمال العرب والإسلام في فلسطين، وحقن دماءهم الغالية من الطُّغيان الصهيوني[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٣) بدون إمضاء.

مؤتمر أصحاب الزوايا وشيوخ الطرق بالجزائر

نقلنا في العدد الماضي عن الرصيفة الكريمة «الإرادة» الغرَّاء كلمةً عن هذا المؤتمر المعنونة: «يُحِلُّونه عامًا ويُحرِّمونه عامًا».

وفي هذا العدد ننقل ما كتبته بعددٍ تالٍ تحت العنوان أعلاه كشهادة للكلمة السابقة.

قالت الرصيفة: تأسّست قبل اليوم جمعية بالجزائر توحّد بين شيوخ الطرق فيها وأصحاب الزوايا المنبثّة في أرجائها، وكان الدافع لهذا التأسيس هو توحيد الجهود لردّ حملة «جمعية العلماء المسلمين بالجزائر» القائمة ضدَّ الزوايا والطُّرق هناك، والعاملة على حماية العقيدة الإسلامية من دسائس أعدائها وابتداع المبتدعين فيها وإلصاق أضاليل الجهلة والمبطلين بها.

ولقد رأينا في الصحيفة التي تعبّر عن فكرة أصحاب الزوايا وشيوخ الطرق إعلانًا عن مؤتمر عام يجتمع إليه أعضاء هذه المؤسسة وزملاؤهم بتونس والمغرب الأقصى.

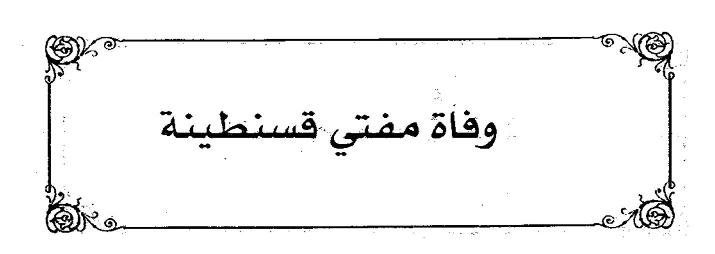
وممّا ورد فيه أن شركة السّكك الحديديَّة وغيرها من شركات النَّقل قد خفَّضت في المعاليم النِّصف لمن يقصد هذا المؤتمر من هنا وهناك تنشيطًا لهذه الحركة بدون شك.

واجتمع المؤتمر ووردت الأنباء أنّ وفدًا منه زار الوالي العام للجزائر وقدّم له شواهد الإخلاص، إلَّا أنَّ الأنباء ذكرت أنَّ من بين رجال هذا الوفد شخصية تونسية من الأوساط العلمية لا تمتُّ إلى الزَّوايا بصلة ولا إلى الطُّرق بسبب قد كانت في طليعة الوفد الذي زار والي الجزائر، وذلك ما جعلنا نتساءل عن الصِّلة والدَّاعي والسَّبب كما يقولون.

ولكن السِّياسة قادرة على أن تخلق العجائب في هذا الزَّمان![1]

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٣)، بدون إمضاء.

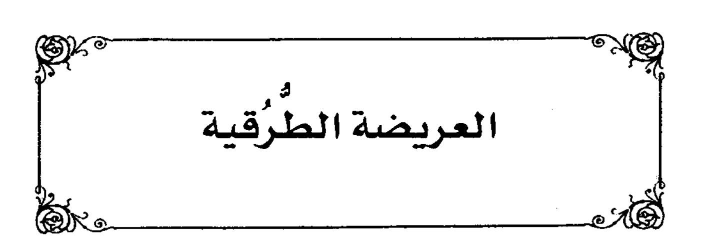


وفاة مفتي قسنطينة

ليلة الجمعة غرَّة ربيع الأوَّل (٢١ أبريل) توفي مفتي قسنطينة الشيخ المولود ابن الموهوب[1] بعد أن توسَّط عشرة الثَّمانين من عمره، ودفن مساء الجمعة[2].

(١) انظر للوقوف على ترجمة الشيخ المولود بن الموهوب ـ رحمه الله تعالى ـ ما علَّقناه على «رسالة جواب سؤال عن سوء مقال» لابن باديس (ص١١٦) بتحقيقي.

(٢) «البصائر»: العدد (١٦٣)، بدون إمضاء.



العريضة الطُّرُقية

«البصائر»:

أرسل إلينا معتمد «جمعية العلماء بالجزائر» ونائب كاتبها العام الأستاذ الشيخ فرحات بترجمة هاته العريضة المنشورة بالصحف الفرنسية، وكان الواجب أن ينشر الطرقيون عريضتهم باللّسان العربي في صحيفتهم «الرشاد» أو في الصحف الموالية لهم!

إنَّ هذه العريضةَ صريحةٌ في تداخل هؤلاء الرِّجال الدِّينيين في السِّياسة بعد تأكيدهم في مؤتمر السَّنة الماضية بُعدهم عنها، وبعد حملاتهم على العلماء الأحرار، بأنَّهم تجاوزوا خطَّتهم الدِّينية إلى السِّياسة، على أنَّ العلماء الأحرار لم يتداخلوا في السِّياسة بمثل هذا الشَّكل الذي لم يبق لنوَّاب الأمَّة السياسيِّين أيّ جانب من الحياة الجزائرية يختصمون[1] به كنواب، وما جاء الطُّرقيِّين هذا التَّقلُّبُ إلَّا لكونهم مسيَّرين غير مخيَّرين.

أمَّا دعواهم الولاية الرُّوحية على المسلمين فهي دعوى مناقضة لمبدأ الإسلام، موافقة للنُّظم الكنسية، مخالفة للواقع بيننا، مشابهة لتزعّمهم السياسي.

---

(١) كذا في الأصل، ولعله: يختصّون.

وأمَّا تعريضهم بـ«جمعية العلماء» فهو من وشاياتهم المألوفة التي أخذوا أنفسهم بها مجتمعين وفُرادى، بل هو اتِّهام من دوائر مخصوصة أُلقي على لسانهم للعار.

وأما دفاعهم عن قانون (٨ مارس) فهو من قول المتنبِّي:

وكم لظلام الليل عندي من يد　　تخبر أن المانوية تكذب

وأمَّا مطالبهم فما هي إلَّا من خداع العناوين يريدون أن يظهروا أخيرًا بمظهر البانين، وما هم إلَّا هادمون من أوَّل عريضتهم إلى آخرها.

إنَّ هذه العريضة ذكَّرتنا برقية أصحاب الطرق الصوفية ورجال الديانة الرَّسمية من قسنطينة التي بعثوا بها خلف الوفد الجزائري الذَّاهب بمطالب الأمَّة إلى فرنسا سنة (١٩٣٦).

ولعدم نشر تلك البرقية سابقًا نثبت ترجمتها فيما يلي:

«نحن الممضين أسفله نحتجُّ بشدَّة لرفع الاحترام ضدَّ تداخل بعض المختلسين الذين يُسمُّون أنفسهم «جمعية العلماء» ويدّعون أنَّهم لسان حالنا.

«نحن لم نكلّف قطّ أولئك الخدَّاعين أصحاب الدَّسائس في التكلُّم عنّا، فهم لا يتكلَّمون إلَّا على شخصيَّاتهم الخاصة، ويزعمون في مكائدهم للأمَّة وللإدارة الحكوميَّة الجزائرية أنَّهم يمثّلون لستَّة ملايين من الأهالي، والحقيقة أنَّهم هم الَّذين ينتخبون أنفسهم في جمعيتهم.

«فنحن لا نعترف بوجود «جمعية العلماء» هذه فيما يتعلَّق بديانتنا، ونطلب من الحكومة أن تبقيها على حالتها الراهنة».

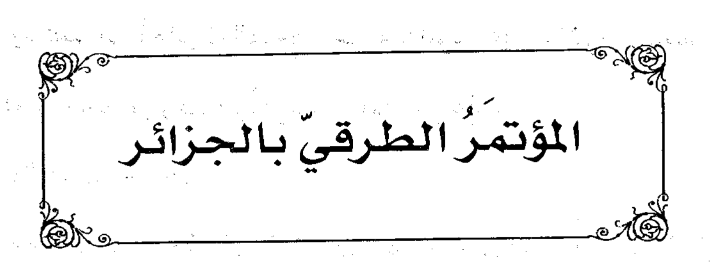
هذه البرقيَّة تحمل إمضاءات أعرضنا عن تسجيلها لوفاة بعض أصحابها، وهي موجّهة صورةً ضدّ «جمعية العلماء» ومعنًى ضدّ الوفد ومطالبه، علمائه ونوَّابه، فهي لا تختلف عن هذه العريضة في المعنى.

ولعلّ في وضوح أغراض هذه العريضة ما يغني عن الإطالة في التعليق عليها.

«وكلُّ إناء بالذي فيه يرشح».

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧ ـ ٨][1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٤)، بدون إمضاء.



المؤتمرُ الطرقيّ بالجزائر

ذكرنا في العدد ١٦٠ شأن العناية بالدعاية لهذا المؤتمر بالصحف والمنشورات وبالترغيب والترهيب. ورغم تعدّد الوسائل وتنوّع الذرائع كان المؤتمر دون المنتظر.

وقد وُدِّع بمثل ما استُقبِل من العناية بإظهاره المظهر الرائع ونشر الأحاديث عنه في الصُّحُف العربية والفرنسية في الجزائر وتونس والمغرب الأقصى. ولكن الخيبة تكاد تُلمَس من بين سطور تلك النشرات.

عُنيت الصُّحُف الخادمة لمثل هاته المواقف بحديث هذا المؤتمر. فنشرت عنه في أول صفحاتها، وربما كرّرت النشر بأسلوب آخر في صفحة أخرى من نفس العدد، فلم تزد على أن عدّدت أشخاصًا وذكرت مقابلة السيّد الوالي العام.

فمن الشخصيات التونسية الشيخ التبريزي بن عزوز شيخ الزوايا بتونس، والشيخ الفاضل بن عاشور المدرّس بجامع الزيتونة، والآمل بمثل هذه الحركات تبوّء مشيخة الجامع المعمور التي لم يثبت فيها والده قبل.

ومن الشخصيات الجزائرية الشيخ قدور محي الدين، والشيخ حسن بو الأحبال مفتي بجاية.

ومن المغرب الشيخ عبد الحي الكتاني المشهور.

ونقتصر من أحاديث الصحف عن هذا المؤتمر على ما نشرته صحيفة «السعادة»، فهو أبلغ ما رأيناه في وصفه وأعرب ما بلغنا عن غايته.

قالت «السعادة»:

«عقد مؤتمر رجال الطرق الدينية وعلماء الإسلام اجتماعاته بالقطر الجزائري برياسة الشيخ الحاج مصطفى القاسمي رئيس زاوية الهامل، وحضره شخصيات كبيرة من كلّ بلاد الشمال الإفريقي ومن مصر وسوريا، وبالرغم من منع إيطاليا السادات الطرابلسيّين من حضور المؤتمر فقد مثّل ليبيا في جلساته رؤساء طائفة سيدي عبد السلام الملتجئين بمصر وتونس.

وقد ذكر أحد نواب طرابلس عند شخوصه للجزائر أن بعثة ليبيا ستحتّج على سياسة إيطاليا المنافقة للإسلام والمستغلّة اسمه لمصالحها العدوانية.

وقد احتجّوا فعلاً وأعلنوا للعالَم الإسلامي فضائع إيطاليا في طرابلس وما تأتيه من أعمال منكرة.

هذا، وقد كانت جلسات المؤتمر في هذا العام على جانب عظيم من الأهمية، وزاد في روعتها وخطورتها الظروف الحاضرة، وخفّ لسماع محاضرات العلماء الأعلام وتقرير أقطاب العلم والدِّين جماهيرُ غفيرةٌ من كلّ الطبقات.

ولقد مثّل الأيالة الشريفة في ذلك المؤتمر البهيج وفدٌ مؤلَّفٌ من جهابذة أساطين العلم على رأسه الشيخ الأكبر والمحدِّث الأشهر أبو الإسعاد مولاي الحاج عبد الحي الكتاني.

وقبل ارفضاض المؤتمر ندب المؤتمر وفدًا مؤلّفًا من أقطاب المؤتمر وأكابر جهابذته هم الشيخ القاسمي الحاج مصطفى رئيس زاوية الهامل، والشيخ سيدي عبد الحي الكتاني رئيس الزوايا الكتانية بالمغرب الأقصى، والشيخ الفاضل ابن الشيخ بن عاشور شيخ الإسلام بتونس.

وقد زار هذا الوفد الكريم سعادة الوالي العام بالقطر الجزائري، فقابلهم جنابه بما هم أهل له من تبجيل واحترام، وشكر لهم حسن التفاتهم وزيارتهم له، فأعربوا لسعادته عن عواطفهم الصادقة وإحساساتهم الخالصة للدولة الفرنسية، وأكّدوا له ولاءهم لفرنسا، ملفتين نظره أنّ الظروف الحاضرة التي تحفّ بزيارتهم له تزيد في رسوخ العلاقات الطيّبة التي تربط فرنسا بالإسلام.

فشكرهم الوالي العام من جديد وأثنى على غيرتهم الوطنية وإخلاصهم الصادق لفرنسا الشاملة أهالي الشمال الإفريقي بعطفها ورعايتها مؤكّدًا لهم أنه سيبلّغ عواطفهم هذه إلى المراجع العليا بباريس».

لا تخدعنك اللِّحى ولا الصُّوَرُ ... تِسعةُ أعشارِ مَنْ ترى بَقَرُ
تراهم كالسَّحاب منتشرًا ... وليس فيها لطالبٍ مطرُ
في شجر السَّرْوِ مِنْهُمُو شَبَهٌ ... له رواء وما له ثمر[1]

(١) «البصائر»: العدد (١٦٤)، بدون إمضاء.

إحداث الطُّرُقية لخطّة تفتينية

حدّثنا أناسٌ من المصلحين أنهم سُئلوا في الأسواق كسوة أو خبزًا من أشخاص لا تظهر عليهم أمارات الحاجة، فلمّا لم يعطوهم قاموا مجادلين لهم في الطرقية قائلين: كيف تنكرونها وهي التي تؤوي المساكين وتكسوهم وتطعمهم؟ ورفعوا أصواتهم لفتًا للأنظار وجمعًا للجماهير، وربما ذكروا زاوية معيّنة وشيخها باسمه، وربما ابتدأوا بالجدال في الطرقية والولاية من غير سؤال؛ وربما قال أحدهم: «أنا عبد القادر»! وربما حضر الجندرمة من غير استدعاء ولا حدوث حادثة!

هذه صورة ما حدّثنا به من أصيبوا بجدال هذا الفريق في هذه الأيام في جملة أسواق متباعدة فدلّت هذه الصورة على أن هنالك خطّة مدبّرة من الطرقية لإثارة الفتن، وهي تعتقد أن عاقبة الفتنة تكون على الفريق غير الموالي لها.

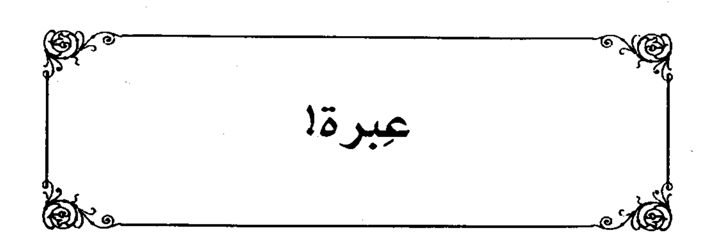
إنّ الطرقية ترى في توزيع هذا الجيش على الأسواق فائدة لها ومضرّة على الكافرين بها، الملحدين في صفاتها.

فأما فائدتها فهي إظهار قوّتها والإشادة بذكرها في هذا الفصل الذي اعتادت أن تشدّ فيه إليها الرحال وتجبى إليها الخرفان و الثمرات والأموال.

وأما مضرّة من شرقت بهم فهي تحميلهم مسؤولية الفتنة وظهورها بمظهر القويّ النافذ الأمر في الإدارات، المسموع الكلمة فيها، الحامي لأتباعه على ظلمهم، المنتقم من خصومه على حقّهم.

وبعد ، فإن الطريقة لا تملك لنفسها ولا لغيرها نفعًا ولا ضرًا. ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠][1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٤)، بدون إمضاء.



عِبرة!

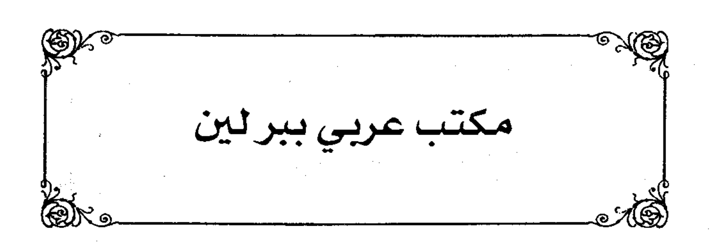
جاءنا من مُكاتبنا بغليزان أنَّه وقع في الدَّائرة المستغانميَّة احتفال بتنصيب قائد حضره ما يزيد على خمس مائة مسلم. وخطب فيه السَّيد السويريفي بالعربية. أمَّا ذلك الجمع المسلم فلم يقم منهم واحد للخطابة بالعربيَّة.

فإلى أيِّ حال انتهى شأن العربيَّة بالجزائر؟

وإلى أيِّ دركة انتهى جهلنا بديننا الَّذي لا يفهم إلاَّ بفهم العربيَّة؟

وإلى أيِّ سقوط تريده لنا المعاملات القاسية في منع رخص الكتاتيب القرآنية؟[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٤) بدون إمضاء.



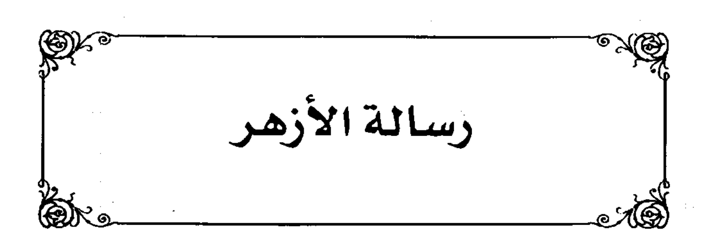
مكتب عربي ببرلين

جاءنا للنشر من الأخ يونس بحري ما يلي:

والسيد يونس من عرفناه في زيارته للجزائر منذ أكثر من عشر سنوات، فعرفنا فيه العروبة الصادقة والعقيدة الصافية، ثم رأينا آثاره بعد في خدمته عروبته ودينه، فلم نر إلَّا ما يزيدنا وثوقًا بصدق عروبته وصفاء عقيدته.

وهذا ما جاءنا منه[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٤)، بدون إمضاء.



رسالة الأزهر

تحت العنوان أعلاه كتبت «الرسالة» الغرّاء مقالاً افتتاحيًا بقلم مديرها الأستاذ الزيات، استعرض فيه حال الإسلام وما مزج به من عناصر أجنبية عنه وما انتهى إليه أهله من جمود وفقر وذلّة، ثم عرض لعوامل يقظة المسلمين وواجب الإسلام على مصر والأزهر.

وضبط رسالة الأزهر بنقط يهمّنا أن نقدّمها لقراء «البصائر» اقتصارًا على الناحية العملية من ذلك المقال النفيس. قال:

«ورسالة الأزهر التي يريدها الله ويرجوها الناس هي:

١ـ تنقية الإسلام من العقائد الواغلة والمذاهب الباطلة والعادات الدخيلة.

وسبيل ذلك أن يفسّر القرآن على هدي الرواية الصحيحة، وفي ضوء العلم الحديث، تفسيرًا يجمع ما صحّ من أقوال السلف وما صلح من آراء الخلف.

ثم يؤلَّف في الحديث كتابٌ جامعٌ لما لا ريب فيه من الكتب الصِّحاح، ويُستعان على شرحه وتبويبه بعلوم التاريخ والاجتماع والأخلاق والفلسفة.

ثم يصنَّف في الفقه كتابٌ شاملٌ على المذاهب الصحيحة يوضع متنه مواد كالقانون، ثم يشرح شرحًا فنيًا يستوعب أصوله، ويستقصي فروعه، في غير حشو

ولا استطراد ولا تعمية.

ثم تكون هذه الكتب الثلاثة المطوّلة مادة الدراسة ومرجع القضاء ومصدر الفتوى؛ فتُقرَّر في الأزهر، وتُنشَر في الجمهور، وتُترجَم إلى أكثر لغات الشرق وأشهر لغات الغرب؛ ثم تُرسَل إلى كلِّ بلد يعرف الإسلام أو يريد أن يعرفه.

أما ما عدا ذلك من الكُتب، فما كان صحيحًا بقي في المكاتب بقاء الآثار في المتاحف، يرجع إليه الأخصّائي والمؤرّخ؛ وما كان زائفًا صنع به ما صنع عثمان بكلّ مصحف غير مصحفه.

٢ـ إعداد الوعّاظ والدعاة من أهل اللّسان والخُلق والورع، وإمدادهم بالثقافة الحديثة واللّغات الحيّة، وإيفادهم إلى الأمم الإسلامية البعيدة عن مهبط الوحي وموطن العروبة.

ويدخل في ذلك العناية اليقظة بالبعثات الإسلامية في الأزهر، فإنهم أقدر من غيرهم على إرشاد قومهم باللّغة والقدوة والنفوذ.

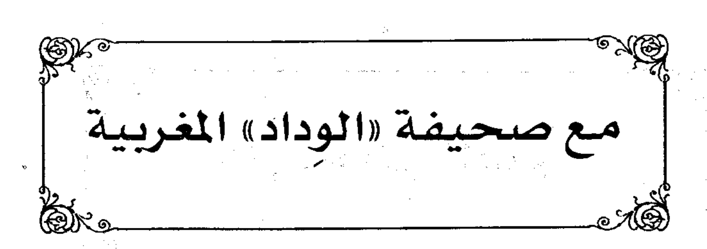
٣ـ جعل اللّغة العربية لغة المسلمين كافّة، فيكون لكلّ مسلم في الأرض لغتان: لغة لوطنه الأصغر، ولغة لوطنه الأكبر.

والوسيلة أن تحمل المشيخةُ أقطابَ الرأي في البلاد الإسلامية، بالمفاوضة أو بالائتمار، على أن يجعلوا تعلّم اللّغة العربية والتكلّم بها إجباريًا في مراحل التعليم المختلفة، وأن تتكفّل بإرسال المعلّمين من المتخصّصين في الأزهر، فإن في شيوع العربية بين المسلمين تمكينًا لفهم الدِّين وتثبيتا لمعنى الأخوة».

* * *

ذلك ما يجب أن يقوم به الأزهر؛ وذلك ما يضمن للإسلام الجدّة، ويكفل للمسلمين الوحدة، ويجعل للرأي المحمّدي سلطانًا يُخشى في الحرب ويُرجى في السلام[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٤)، بدون إمضاء.



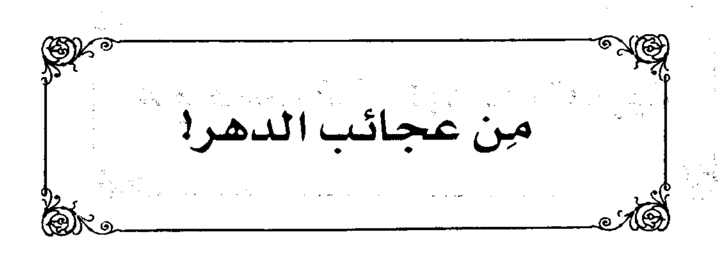
مع صحيفة «الوِداد» المغربية

جاءنا من المغرب الأقصى مقالٌ بإمضاء «ابن زاكور» ناقش به صحيفة «الوداد» التي قالت في حديث نشرته عن القضية المغربية ما يلي:

«تريدون إطلاق المعتقلين والمبعدين! عليكم أوّلاً أن تستغفروا لذنوبكم وذنوبهم وأن تتوبوا إلى الله توبةً نصوحًا».

ونحن نعتذر لحضرة الكاتب عن نشر مناقشته بأن المغربي الذي يسجّل مثل هذه النظرة إلى إخوانه الذين أوذوا في سبيل وطنهم المنكود المنكوب ـ قد فقد قبل ذلك التسجيل ضميرًا يخزّه وإحساسًا يشعره بألم الانتقاد، ومثل هذه الصور الإنسانية قد ابتُلينا بها وبلوناها فلم نر لمحاولة جرّها إلى الرشد ثمرة غير التشهير بها، ولفت أنظار الشعب إليها لينزلوها المنزلة التي هي أهل لها، ولعلّ في هذا عبرة كافية[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٤)، بدون إمضاء.



مِن عجائب الدهر!

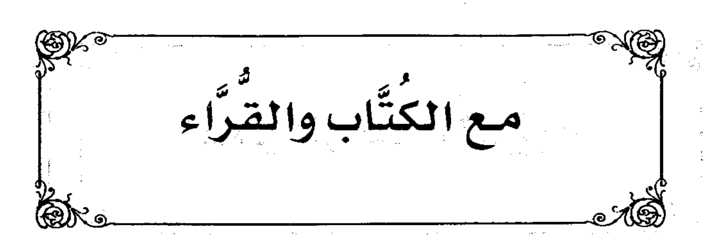
تحت العنوان أعلاه كتب السيد الخضر هوام اليحياوي حديث عجوز ودجال وكيف هدّدها بتصرّفه في الكون حتى أسلمت له مطلوبه من المال الذي هي في أشدّ الحاجة إليه.

ولكون هاته الحكاية جزئية من كلّية التدجيل لها نظائر لا تُحصى، لم تبق من العجائب ولا من الغرائب، بل هي المألوف المعتاد الذي تقاسي «جمعية العلماء» ما تقاسي في صرف العامة عنه.

وبهذا العذر نكتفي عن نشر المقال لكثرة المواد[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٥)، الصادر يوم الجمعة ٢٢ ربيع الأول ١٣٥٨هـ، ١٢/ ٥/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



مع الكُتَّاب والقُرَّاء

للإدارة عنوانها المرسوم بأعلى الصفحة الأولى من الجريدة.

وللجريدة مدير مرسوم اسمه كذلك أعلى الصفحة الأولى.

وهنالك تنبيه دائم بأن الرسائل ترسل بعنوان الإدارة.

ولكن هذا كلّه لم يكف بعض الكُتاب فتراهم يرسلون الرسائل: إمّا بعنوان رئيس الجمعية الأستاذ عبد الحميد، وإمّا بالعنوان الخاصّ بالمدير إلى ميلة.

كما أنّ مِن القُراء مَن يخاطبُ الأستاذَ الرئيسَ متأثرًا من بعض ما يُنشَر أو ملاحِظًا عليه.

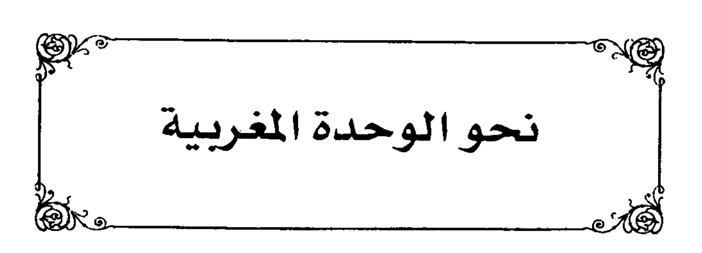
أفي الفرق بين مدير صحيفة ورئيس جمعية خفاء؟

إنّ ما ينشر بالجريدة مسؤوليته على المدير. فمن رأى نقصًا يريد أن يحفظ الجريدة من تَكراره عليه أن يخاطب المدير، وهذا المدير قد يجيبه شاكرًا أو مبيِّنًا.

وقد نَبَّهْنَا الكُتَّابَ مِرارًا إلى آداب النشر التي منها أن يكون عرض الصفحة المكتوبة نحو عرض عمود الجريدة. فنرجو أن يكونوا ذاكرين لتلك الآداب والشروط ولا يحوجوننا إلى إضاعة وقت القارئ في العود إلى تنسيقها وتعليلها. فالعود إلى ذلك إنما هو إعلان متكرّر عن بُعدنا عن إدراك ما هو عند غيرنا ضروري[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٥)، بدون إمضاء.



نحو الوحدة المغربية

نقلنا قبلُ كلمات عن صحيفة «الإرادة» الغرّاء أيّدت بها الحركة الجزائرية الصادقة حركة «جمعية العلماء»، وهي لا تزال على ما عُهد منها، وغرضنا من ذلك النقل أن ندلّ على ما يحمله الشعب التونسي الشقيق من عواطف طيّبة نحو الشعب الجزائري، وما يرجوه له من نجاح في قضيته الطبيعية، ثم لفت نظر القارئ الجزائري إليها.

وأخيرًا وقفنا على مقال بهذه الصحيفة وآخر بصحيفة «الأنيس» التونسية أيضًا عدد ٢١.

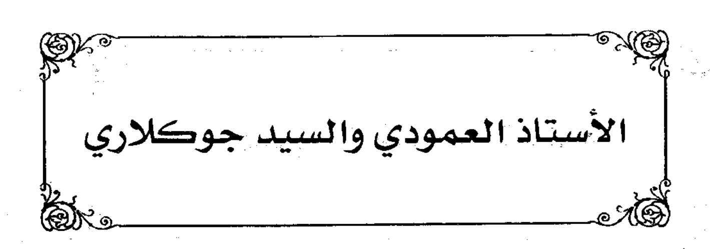
وفي هذين المقالين ـ ولا سيما الثاني ـ تصوير صائب للحركة الجزائرية، الأمر الذي يدلّ على عناية صادقة بالوقوف على حقيقة الحال في هذا الوطن.

ونحن ممن يؤمن بالوحدة المغربية ويحترم الحقائق التي يمليها الدِّين والجنس والإقليم والتاريخ في شأن تلك الوحدة ـ نسرّ لهذه الظاهرة الطيّبة ظاهرة التعارف الواصل للأمم والتعاون الباعث على التفاؤل.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الصافات: ٦١][1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٨)، بدون إمضاء.



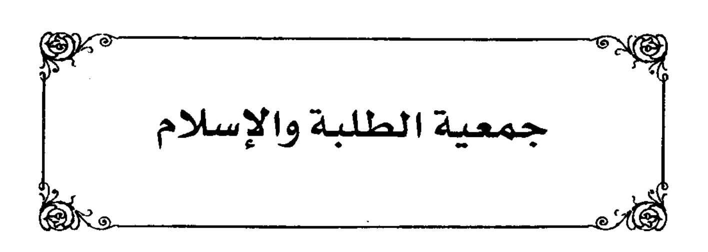
الأستاذ العمودي والسيد جوكلاري

يعلم قُراء «البصائر» ما كان من الحُكم بالتغريم على الأستاذ العمودي مدير صحيفة «لديفنص» الصادقة الباسلة، وعلى السيد جوكلاري صاحب امتيازها.

وقد استأنف المحكوم عليهما الحكم، فحُكِم عليهما ثانيًا بأشدّ حيث أُضيفَ إلى التغريم سجن شهر في السجن السياسي.

ونحن نعجب بمواقف الرجلين العاملين لخير الإسلام والعربية وثباتهما أمام كلّ صدمة تعرض لسيرهما نحو الغاية المشروعة المحبوبة، كما نعجب من هذه الأحكام المنافية لحريّة الصحافة[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٨)، بدون إمضاء.



جمعية الطلبة والإسلام

في حين أنَّ الديانة الإسلامية مستهزأ بها، محمول عليها في جميع الأقطار الإسلامية، رأت «جمعية الطلبة المسلمين الجزائريين» في اجتماعها العام المنعقد يوم (١٤ ماي سنة ٣٩م) بالجزائر، من الواجب عليها أن تعلن بإسلام جميع أعضائها قلبًا وعملاً، وأن الهجمات ـ أينما كان مصدرها ـ لن تؤثِّر في عقيدتها التي هي عقيدة الشعب الجزائري بأكمله.

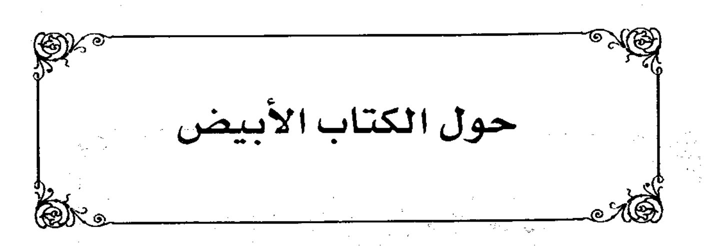
الكاتب العام: عبد القادر ميموني

«البصائر»:

جاءتنا هذه الكلمة للنشر، فنشرناها شاكرين لشعور تلاميذنا بالكليَّات الفرنسية نحو دينهم، مسرورين بقوّة حيويَّة إيمانهم، سائلين الله أن يريحنا من هذه الظروف التي تحوج أبناءنا إلى مثل هذا الإعلان[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٨)، بدون إمضاء.



حول الكتاب الأبيض

«البصائر»:

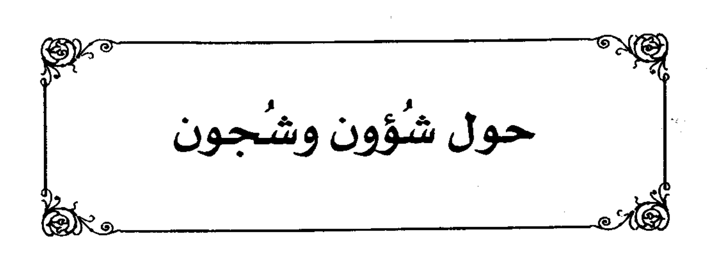
«الكتاب الأبيض» الصادر أخيرًا عن الحكومة الانكليزية لحلِّ قضيَّة فلسطين، هو ثمرة تلبية الحكومات العربية لدعوة الحكومة الانكليزية إيَّاهم إلى لندرة، واتّحادهم على تأييد وجهة نظر العرب الفلسطينيّين من جهة، ومراعاة قيمة العرب في السياسة الدولية الحاضرة من جهة أخرى.

وإذا كان اتِّحاد العرب حول حقِّ إخوانهم الفلسطينيين ذلك الاتحاد المشرِّف، ومواتاة الظروف لتقدير ذلك الاتّحاد لا يغيّران وجهة نظر الحكومة الانكليزية بأكثر ممَّا في ذلك الكتاب الأبيض، فكيف تكون قيمتهم أمام الكبرياء الانكليزي لو لم يتَّحدوا ولو لم يكن في الدنيا ما يسمَّى «هتلر» و«موسليني»؟

أيُّها العرب، إنَّ اتحادكم في تحسين ظنّكم بغيركم لا يُحترَم ما لم يصحب بإفهامه معنى غضبكم عند إساءة ظنّكم به[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٦٩)، بدون إمضاء.



حول شُؤون وشُجون

استُفسِرنا عن مغزى بعض الجُمل من مقال الكاتب الفاضل[1] المنشور بالعدد ١٦٨.

وجوابنا أن ذلك الكاتب عفريت. ومن عفرتته اختار عنوانًا لا يتقيّد فيه بموضوع خاصّ، فلا نستطيع أن نضعه تحت النشر الحرّ تبريًّا من مشاركته في آرائه، لأنه غالبًا يعبّر عما هو من صلب مبدأ الجمعية أو مما لا يناقض خططها.

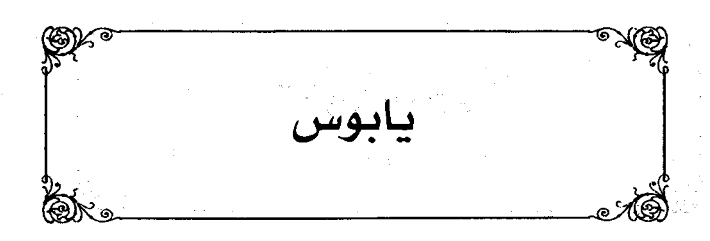
وعليه فنحن لا نبرأ من كلّ ما يقول، ولا نلتزم كلّ ما يطرقه ولا نناقشه في كلّ ما لا نوافقه عليه.

ولكن من شاء أن يبدي ملاحظاته عليه في أدب واحترام فنحن لا نحول دونه، والكاتب لا يسوؤه ذلك[2].

---

(١) هو الأستاذ حمزة بوكوشة رحمه الله تعالى.

(٢) «البصائر»: العدد (١٦٩)، بدون إمضاء.

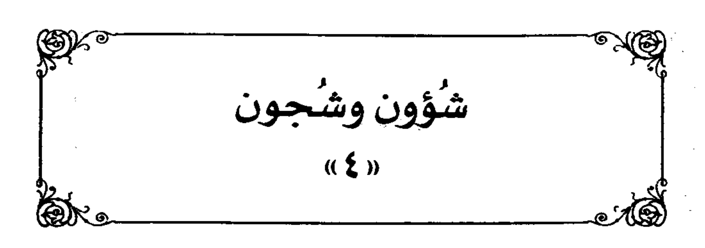


يابوس

كتب منها السيد بلقاسم بن الطيّب رادًا على صحيفة الشِّقاق ناصحًا لها بالعدول عن خطتها في أذى رجال العمل والإخلاص.

ويمنعنا من نشر المقال أنّا لا نجادل المعاندين ولا نشتغل بكشف المكشوفين[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٦٩)، بدون إمضاء.



«البصائر»:

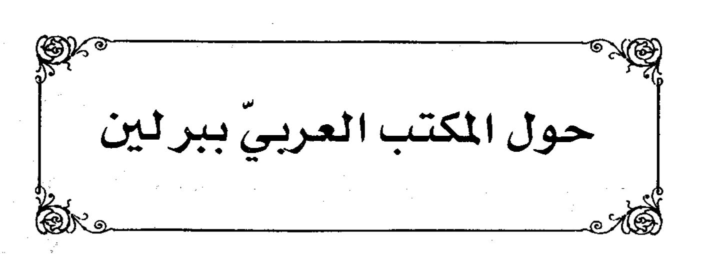
إذا ذكر اللهُ الخمر أوَّلاً في معرض الامتنان فقد ذكرها بَعدُ بكلِّ استهجان، فلا يجمل الاستشهاد بالقرآن على هذا الوجه كما لا يجمل الرجوع في هذا إلى عصر الجاهلية وبقاياه في أوَّل التشريع.

وإذا أصرَّ الكاتب[1] على أن تكون شؤونه من هذا النَّمط فإنَّا نضطر للنزول عند رغبة الراغبين في سدِّ هذا الباب[2].

---

(١) هو الأستاذ حمزة بوكوشة رحمه الله تعالى.

(٢) «البصائر»: العدد (١٧٠)، بدون إمضاء.



حول المكتب العربيّ ببرلين

نشرنا في العدد ١٦٤ رسالة عن هذا المكتب كما جاءتنا من حضرة الزميل الفاضل السيد يونس بحري الذي عرفناه شخصيًا لما زار الجزائر سنة ١٩٢٨ ثم عرفناه صحافيًا صادقًا في خدمة أمته العربية. وبهذا قدّمناه للقراء.

ولكن اسم برلين أصبح عند السياسة عَلَمًا على سياسة الدكتاتوريات المناهضة لسياسة الديمقراطيات. فأعلنت بعض الصحف الديمقراطية استياءها من كلمتنا، ونسبت إلينا ما جاء في تلك الرسالة وحملت علينا حملة مغرضة.

أيها المستاءون الديمقراطيون! إننا لم نَعنِ بنشرنا تأييدًا للدكتاتوريات عليكم، ولا نرى من هاذين المبدأين المتنازعين في أروبا إلاَّ نزاعًا بين مستعمر بالفعل ومستعمر بالقوّة.

أما فائدة الإنسانية من حريّة وعدالة ففي ديننا الإسلامي ما يغنينا عن التماسها بين المبادئ الأوربية.

وأما استعانة الشرقيّ بالديمقراطيات أو الديكتاتوريات الأوربية فلا يحول دون ما نعرفه به من صدق وإخلاص أو خبث وخيانة، وإنّا نسلم للشرقيين تجربتهم ورأيهم.

ثم إن «البصائر» كثيرًا ما نشرت احتجاجات على مظالم وسجّلت حوادث تؤلم الديمقراطية المخلصة.

فَلِمَ سكتت هذه الصحف المستاءة اليوم من لفظ «برلين» واسم «يونس بحري»!؟

أما كان الأشرف لها أن تنصر المظلوم وتأخذ بيده ثم تلومه إن رأت منه نكرانًا للجميل؟

إنّنا لا نفسر هاته الحملة علينا لأن[1] قلنا ما نعرف ممن لا يعرفون من نعرف إلاّ بأنها تعصّب حزبي وغلوّ في تحميل كلامنا ما لا يحتمل.

إنّنا لم نقل من عندنا شيئًا عن الإذاعة العربية ببرلين لأنّا نشرنا ذلك قبل استماعها إليها، وإنما ذكرنا صاحب الرسالة المنشورة بما نعرف.

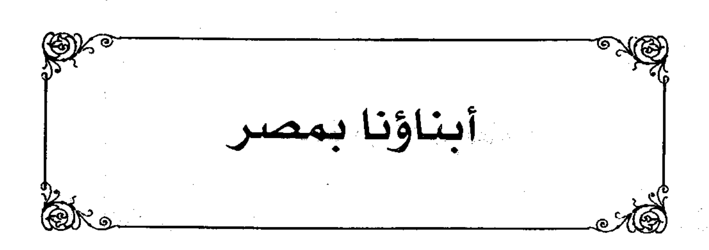
فإذا كان صدر الديمقراطية يضيق لمثل هذا فليفرّقوا لنا بينها وبين الديكتاتورية التي نمقتها بوحي ضمائرنا لا مصانعة لشخص أو شعب.

إنّ هاته الصحف المستاءة تنكر التعصّب الديني كلّ الإنكار. ولكنّا نراها مغرقة في التعصّب السياسي. والتعصّب كيما كان مصدره خلاف المنطق وحريّة الضمير[2].

---

(١) كذا في الأصل!

(٢) «البصائر»: العدد (١٧٠)، بدون إمضاء.

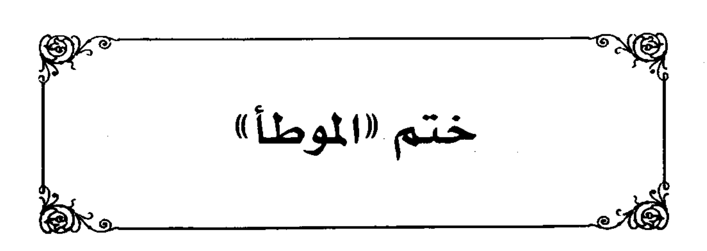


أبناؤنا بمصر

وقفنا مؤخّرًا على عدد من «الأهرام» يحمل نتائج الامتحانات بالجامعة المصرية، فرأينا فيمن عرفنا من أبناء الجزائر السيد بومدين الشافعي الذي فاز في امتحان الانتقال فارتقى إلى السنة الثانية من قسم الفلسفة في كلية الآداب من الجامعة المصرية.

نبشّر بذلك إخوانه هنا ونعلن اغتباطنا بتقدّم أبنائنا ونهنّيه بنجاحه العلمي ونرجو لأمثاله بعد النجاح العلمي النجاح العملي في تأدية الأمانة إلى أهلها من بني وطنهم الذين هم في حاجة إلى أمثالهم[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧١)، بدون إمضاء.



ختم «الموطأ»

يوم الأربعاء آخر ماي (أيار) تقاطرت الوفود على قسنطينة لحضور ختم «الموطأ» بالجامع الأخضر.

مثّلت تلك الوفود جمهورًا كبيرًا من قرى الوطن. ذكرنا منها الآن وفود سطيف وشاطودان وعين مليلة وبسكرة والبيضاء وصدراتة وتاملوكة ووادي الزناتي وعزابة والحروش والسمندو وميلة والميلية وبجاية.

اجتمعت الوفود بمدرسة التربية والتعليم، حيث ينتظرهم كُرماء القسنطينيين لاستصحابهم إلى منازلهم وإضافتهم على موائدهم.

وبعد صلاة العشاء غصّ الجامع الأخضر بالوافدين، وتقدّم الأستاذ المفسِّر المحدِّث الشيخ عبد الحميد بن باديس لإلقاء درس الختم.

فسمعنا له ـ وكنّا منذ سنين لم نحضر له درسًا ـ فرأينا الأستاذ لا يزال يترقّى ـ حفظه الله ـ في صناعة التدريس من حسن ترتيبٍ للمسائل، وجودة بيانٍ للمعاني، وفضل استنباطٍ للعلم، ودقّة نظرٍ في خدمة الكتاب، فكان درسًا جامعًا بين الأنس

السّار بالتدريس الراقي، واليأس المؤلم من تكرّر هذا الأنس أمام غير ذلك الأستاذ، ثم الأسف لعدم التقييد لتلك الجواهر التي لا تجدها في غير ذلك الدرس.

ولقد أصبحنا نعتقد في «الموطأ» أنه ما زال بكرًا لم يُشرَح، ولا أستطيع أن أُقنع بذلك من لم يحضر درس الأستاذ.

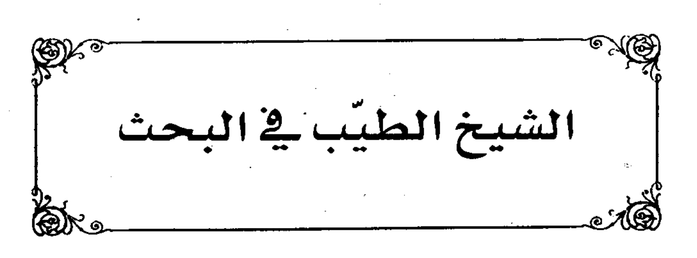
وبعد الانتهاء أُديرت على الحاضرين صِحاف «الزلابية» تبرع بها السيّد كرماني الحاج حمّوش، أكثر اللهُ من خَدَمة العلمِ والفضلِ أمثالَه.

ثم عادت الوفود إلى مدرسة التربية والتعليم لسماع الخطب من تلاميذ الأستاذ وأنصاره. وامتدّ الاحتفال إلى ما بعد منتصَف الليل.

ثم أُديرت زجاجات «البارد» وذهب الناس إلى منازلهم للاستراحة الليلية على نفقة لجنة الاحتفال[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٠)، بدون إمضاء.



الشيخ الطيّب في البحث

نشرت الصحف خبر نشر قضيّة المفتي المقتول المتّهم فيها الشيخ الطيّب العُقبي والسيّد عباس تركي أمام دائرة البحث يوم عشرين الجاري.

وقد نشطت الصحافة من أجل ذلك للحديث في هاته القضية التي يقول الفكر العامّ أنّ الصراع فيها بين نزاهة العدالة ودسائس السِّياسة.

ووقفت صحيفة «الجي ريببلكان»[1] موقفًا مشكورًا في إنارة طريق الحقّ للعدالة وتبرئة ساحة عالمٍ دينيٍّ جليلٍ من التلطّخ بمثل هاته الأجرام.

وقد فُتح البحثُ في ميعاده، فكان يوم الثلاثاء يومًا مشهودًا بالجزائر، زادته الحكومة روعةً بإنزالها جمًّا غفيرًا من الحرس والجند في بعض الشوارع، وأُمر الجنود بالمقام في ثكناتها استعدادًا للطوارئ التي يكفي فيها ثقة العامّة بِبُعد شبح الدسائس السياسية عن ساحة العدالة.

وقد عومل الشيخ الطيِّب معاملةً لطيفةً فلم يَبِت ليلة الثلاثاء بالسجن بل تُرك بداره إلى صباحها.

---

(١) «ALGER Republicain» ومعناها: الجزائر الجمهورية، صحيفة كانت تصدر باللسان الفرنسي.

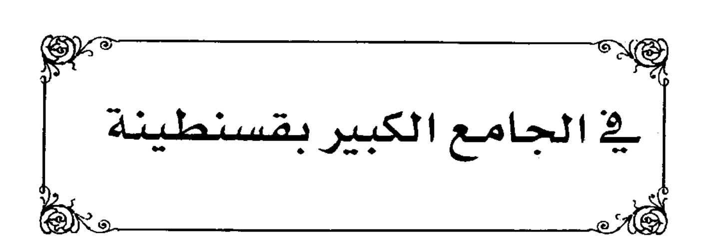
وما زال البحث جاريًا. وينتظر أن تكون النتيجة يوم السبت ٢٤ ـ الجاري.

وإنّ ثقتنا بنزاهة العدالة لا تنقص ـ إن شاء الله ـ عن ثقتنا في الشيخ الطيِّب وإيماننا بِبُعده عن مواقف الظِّنَّة[١] فضلاً عن ميادين الإجرام.

وفّق الله العدالة لتثبيت سمعتها الطيّبة في الفكر العامّ المؤمن ببراءة العُقبي[٢].

(١) أي: التهمة.

(٢) «البصائر»: العدد (١٧١)، الصادر يوم الجمعة ٥ جمادى الأولى ١٣٥٨هـ ٢٣/ ٦/ ١٩٣٩م.



في الجامع الكبير بقسنطينة

حدث منذ أسبوع أن أُقيمت صلاة العصر بالجامع الكبير. فتأخّر أحدُ الحاضرين عن الاقتداء بالإمام واشتغل بتلاوة الكتاب العزيز، وبعد تمام الصلاة أحاط به المأمومون وأشبعوه لومًا و تعنيفًا، فلم يدر أمام ذلك الجمهور المتحمّس ما يقول، وتقدّم أحد الحاضرين للدّفاع عنه، فانتقلت الخصومة إليه.

ونحن لا نقرّ أمثال هذه الأعمال، ونعلم أن القراءة في المسجد جهرًا مكروهة[1]، وأنّ ترك الصلاة بعد إقامتها من غير عذر طعنٌ في الإمام لا يجوز[2].

ولكنّا لم نكن لنشتغل بمثل هذه الأحداث لولا استغلال الخصوم لهذا الحادث كحُجَّةٍ لتبرير موقف الحكومة من الوعظ المسجدي والتعليم النظامي

(١) لما فيه من إيذاء المصلِّين والذَّاكرين وغيرهم، كما في حديث أبي سعيد الخدري قال: اعتكف رسول الله ﷺ في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف السِّتْر، وقال: **«أَلَا إِنَّ كُلَّكُمْ مُنَاجٍ رَبَّه، فَلَا يُؤْذِيَنَّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَلَا يَرْفَعُ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي القِرَاءَةِ ـ أو قال: فِي الصَّلاةِ»**. [«صحيح سنن أبي داود» (١٢٠٣) للألباني].

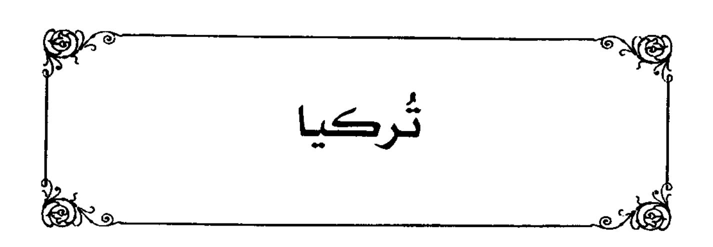
(٢) ثمَّ إنَّ صلاة الجماعة واجبة في أظهر قولي العلماء، فالمتخلف عنها بلا عذر آثم، والله أعلم.

بحظرها عن العلماء الأحياء[1] المساجد وشحّها عليهم بالرخص، فقد نسبوا الحادث إلى «جمعية العلماء» وجعلوا صاحبه أو صاحبيه من أبرز رجالها!

«ولكلِّ امرئٍ من دهره ما تعوّدا»[2].

(١) كذا، ولعل الصواب: الأحرار.

(٢) «البصائر»: العدد (١٧١)، بدون إمضاء.



تُركيا

تُبدي تركيا نشاطًا محمودًا في ميادين الرقيّ والعظمة، فهي تريد إحداث كلّيات بجامعة إسطمبول وإنشاء جامعة بأنقرة وتكوين مدارس طبية بأنقرة و بِروسة.

وتُعنى باسترجاع منزلتها المحترمة في الشرق العربي الإسلامي، فتهتمّ للشام وفلسطين، وتكذّب الشائعات عن مطامعها في ضمّ شيء من ذلك التراب إليها غير الإسكندرونة التي يحقّ للشام أن تخاطب تركيا في شأنها بقول الأوّل:

فإن كنتُ مأكولاً فكنْ خيرَ آكلي　　وإلا فــأدركني ولمّــا أُمَــزَّق

ثم تلبّي بابتهاج طلب الحكومة السعودية والحكومة الأفغانية لإرسال بعثة من الضبّاط لتدريب الجيش.

هذه أنباء هامّة سارّة عن سير تركيا الموفّق.

وأهمّها ـ فيما أرى ـ الإذن بتأليف حزب معارضة مستقلّ عن حزب الشعب، ويرأس الحزبين معًا رئيس الجمهورية نفسه لكن وكيله بأحد الحزبين غير الآخر.

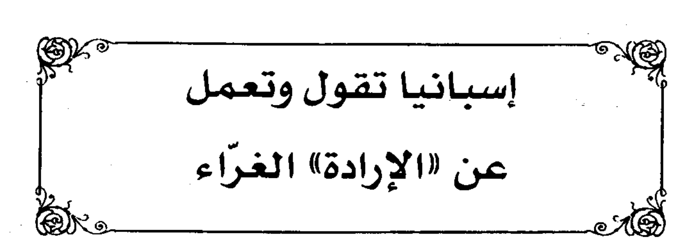
وتعلّل الصحف هذا الحدث بأنّ عِصْمَتْ يريد تمكين شعبه من الحياة الديمقراطية.

وأرى هذا المعنى لا يزال بعيدًا عن شَعب عرف بالروح العسكرية، ومضت أجياله في الفوضى العثمانية، وعهده بالنظام والاستقرار عهد سنوات.

إنّما الداعي إلى إحداث ذلك الحزب المستقلّ ـ في نظرنا ـ هو تلافي غلطات كمال الدينية والاجتماعية على وجه لا يمسّ بعظمة كمال المتمكّنة من النفوس، ولا يُثير عليه المقدِّمين لكلّ أعمال سلفه، ولا يضيع عليه مشاركة رجال أسكتهم العهد الكمالي.

وهذا وجه أهمّية الحدث لدينا[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧١)، بدون إمضاء.



إسبانيا تقول وتعمل عن «الإرادة» الغرّاء

ننشر فيما يلي خطابًا ألقاه المقيم العام الإسباني بالمغرب عند تهنئة الخليفة السلطاني بعيد المولد النبوي الشريف.

«يا صاحب السموّ:

لقد كلّفني القائد العام لجيوش البرِّ والبحر والجوّ المنتصرة ورئيس الدولة الإسبانية بأن أهنّئكم باسمه بمناسبة هذا العيد المبارك وأني أضيف إلى تهنئته وتهنئة الحكومة وجميع الإسبان والموظّفين المدنيّين والعسكريّين في المنطقة تهنئتي المفعمة بالإخلاص والاحترام والعطف.

يا صاحب السموّ:

الآن وقد انتهى حرب الدّمار والموت التي كانت بقضاء من الله يبدأ عهد السلام مصادفًا هذا الاحتفال الديني الإسلامي كعربون للسعادة وحسن الحظ. ولقد أراد الله أن يكون هذا اليوم تاريخًا: فهو بدء السير المظفّر الذي سيسيره المغرب وإسبانيا، وهما متحدان اتحادًا وثيقًا في الطريق الجديدة، طريق العظمة والنور التي لا يقوى على سلوكها إلاّ الأبطال وأصحاب العزائم.

فكونوا على ثقة يا صاحب السموّ أنكم في هذا الطريق المظفر ستجدون في أية ناحية كانت أزهار الورد التي غرسها الزعيم والتي سَقَتها دماء الذين تقدّموا إلى الموت لتحيى هذه الورود ،واليوم يقدّم لكم وفاءً بالوعد الأزهار الأولى:

١ـ عشرة ملايين بسيطة[1] للأشغال العامة.

٢ـ العفو العام.

٣ـ توسيع التعليم.

٤ـ إنشاء معاهد ثقافية إسلامية في قرطبة.

٥ـ استقلال القضاء الإسلامي.

هذه يا صاحب السموّ بصورة عامّة الفصول الأولى من برنامج واسع غايته كما ترون تحقيق الأماني والآمال العادلة!

وإنّ إسبانيا فرانكو لا يمكنها أن تنسى المساعدة التي قدّمتموها لها في كلّ المناسبات، وهي مستعدّة أن تحقّق كلّ الأماني المشروعة، وتتمنّى أن تبلغ إليها هذه الأماني بواسطتكم لا لأنكم تمثّلون شرف ومصالح الشعب الذي تحكمونه فحسب، بل نظرًا لكفاءتكم وحكمتكم ونبالتكم التي هي العناصر الأساسية للتقدير العادل، ونظرا للمواهب التي أنعم عليكم الله بها لخير الإسلام».

«البصائر»:

قرأنا هاته الكلمة في الرصيفة التونسية الكريمة. ثم وقفنا على مصداقها في

---

(١) هي العملة الإسبانية يومئذ: [pesta أو pezeta].

صحيفة «الحرية» لسان حزب الإصلاح الوطني بالمغرب الإسباني. فقد أنشأ الأستاذ الطريس افتتاحية في شأن استقلال القضاء وتنجيز الوعد به.

أما في الجزائر فمازلنا نُساوَم في البقية الباقية من أحوالنا الشخصية وما زالت المعاملات السيئة مَسْخُوًّا بها على التعليم الابتدائي الديني.

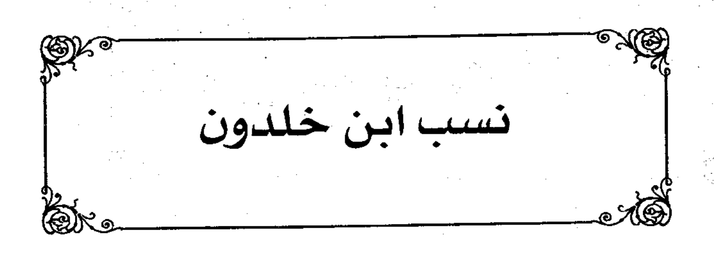
وفي عدد من «الإرادة» يلي العدد المنقول منه ما ذكر مقالٌ ضافٍ عن حال التعليم في الجزائر.

ولعلّ إذاعة تلك المعاملة الإسبانية تغضب من غضبوا لإذاعة خبر المكتب العربي ببرلين، وسيقولون ـ كما قالوا أوّلاً ـ: يجب أن نكون بُلْهًا لنتوهّم أنّ هذا المشروع كان حبًا بسواد عيون العرب.

أما نحن فلا نرى حرجًا في غضب من تغضبهم الحقائق؛ ولسنا بُلْهًا نعتقد أن غيرنا يهيم بحبّنا! إنما نرى أنّ من الدول من تضطرهم الظروف لتلبية بعض رغائب الشعوب التي لهم فيها مصالح، ومن الدول من يغترون بقوتهم فلا يلينون لأنين غيرهم من الشعوب التي يعوّلون عليها في الشدّة والتي هي جزء من عظمتهم المعجبين بها[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧١)، بدون إمضاء.



نسب ابن خلدون

أرجو أن تبيّنوا لنا نسب ابن خلدون: أمغربي هو أم تونسي أم مصري؟

عيسى معتوقي المسيلي[1].

«البصائر»:

ابن خلدون أصله عربي حضرمي، من حضرموت موطن العموديين الذين منهم الأخ الأمين العمودي صاحب «لديفانص».

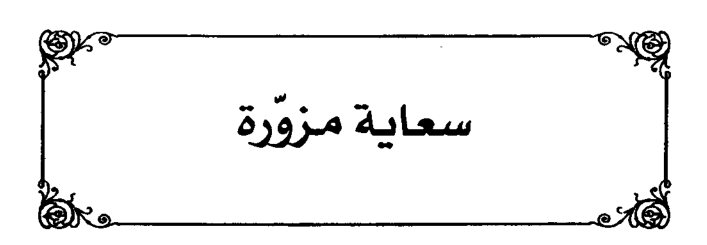
نزح أوائله إلى الأندلس ثم إلى تونس، وبه ولد مؤرّخنا ودرج وتعلّم، ثم عمل مع الحفصيّين أصحاب تونس وعمالة قسنطينة، ومع الزيانيين أصحاب تلمسان، ومع المرينيين أصحاب فاس، ومع بني الأحمر أصحاب غرناطة بالأندلس. وانقطع إلى التأليف في الجنوب الوهراني والجنوب القسنطيني.

واستقرّ أخيرًا بمصر حيث ولي قضاء القُضاة، وهنالك توفي رحمه الله[2].

---

(١) هو أحد تلاميذ الشيخ العلاّمة عبد الحميد بن باديس، وأستاذ الشيخ أبي بكر جابر الجزائري حفظه الله. توفي سنة (١٩٦٢م). انظر ترجمته في «من أعلام الإصلاح في الجزائر» (٣/ ٣٣١ ـ ٣٣٣) لمحمد الحسن فضلاء.

(٢) «البصائر»: العدد (١٧١)، بدون إمضاء.



سعاية مزوّرة

نشرت «جمعية العلماء» قانونها وأضافت إليه تعاليم نُشرت قَبلُ بصحيفتها. ولكن أبواق المعاكسين للجمعية من رجال الإدارة الجزائرية نبّهوا أخيرًا إلى أن في تلك التعاليم ما هو تحريش بالناس.

وهي سعاية مزوّرة، لا تؤثّر في الشواهد العملية الكثيرة المتنوّعة لهدوء الجمعية واحترامها للأمن والنظام، وبثّها للألفة والتسامح[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧١)، بدون إمضاء.

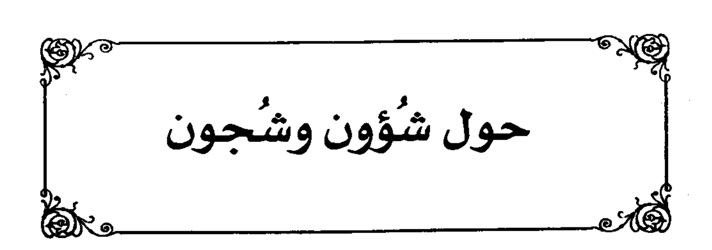
بين القُرَّاء والكُتَّاب

عُنينا منذ أُسندت إلينا إدارة هذه الصحيفة بالكُتّاب تشجيعًا لمبتدِئهم وتكثيرًا لحملة الأقلام بيننا، ولكنّا شعرنا بعدُ بقصر عنايتنا على الكتاب دون القُراء، ورأينا لزوم توزيع عناية الإدارة بين الصنفين غير أننا تباطأنا في تنفيذ هذا الرأي حتى كثرت لدينا احتجاجات من القُراء واقتراحات منهم في تقليل الأقلام الناشئة وتنويع المواد وتقديم أخبار العالم الإسلامي.

وقد مهّدنا لتنويع المواد بتبويب الجريدة في السنة الماضية، فلم نجد في الكُتاب قياما بذلك التبويب.

وعلى كلّ حالٍ فسنعمل مستطاعنا لإرضاء القُراء أيضًا وتوفيتهم حقّهم في صحيفتهم إن شاء الله[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٢)، بدون إمضاء.



حول شُؤون وشُجون

جاءتنا من الأخ الشيخ حمزة بُوكوشة كلمةٌ علّق فيها على ما كتبناه بمثل هذا العنوان في عدد ١٦٩ بالاستحسان والثناء، وذلك ما لم أعتد نشره وإن كنت أعتدّ بثناء أهل العلم والنظر في نفسي.

ثم احتج على تعليقنا عليه في العدد ١٧٠ مدلاً أو مستدلاً أنّ لديه اضبارة من رسائل الإعجاب بِشُؤونه وشُجونه هو مستعدٌّ لنشر نُتَفٍ منها وقائمة بأصحابها.

وأنا لا أكلّف الأخ مشقّة هذا العمل فالمسألة غير انتخابية. إنما هي مسألة عملية تجري على خطّة واضحة.

وأعيد هذه الخطّة للقراء وأنها لا تعدو إحدى ثلاث:

١ـ ينشر ما يتفق ومبدأ الجمعية حسب نظر المدير الذي لا يأنف من الاقتراح والملاحظة.

٢ـ وينشر ما يراه المدير مفيدًا للقراء غير معاكس لمبدأ الجمعية.

٣ـ وينشر ما يراه المدير قليل الفائدة للقراء ولكنه قد يشجع الكاتب الذي تلوح عليه مخايل النجابة.

ثم يعرض الأخ لاستهجاننا استشهاده على نقده لأديبنا محمد العيد في تجنّبه ذكر الخمر بذكر القرآن لها. ويقول في ذلك ما يلي:

«إنّ القارئ لتعليقكم من غير تأمّل في مقالنا يتّهمنا بتحبيذ الخمر وتزيينها، وهي رجس من عمل الشيطان. مع أننا لم نتعرّض سوى لناحية ذكرها في القرآن صراحة ،وإن تعرضنا من طرف خفي لحظرها. وذكر الخمر ليس بجريمة لاسيما في رواية كرواية بلال التي تمثّل صدر الإسلام قبل تحريم الخمر إن لم نقل تمثّل عصرًا من عصور الجاهلية الأولى. ولو كان ذكر الخمر جريمة كما يتوهّمه شاعرنا محمد العيد لَعسُر على الشيخ العربي التبسي تفهيم تلامذته قول خليل[1]: (وخمر خُلِّل) ولعسر عليه تفهيم: «**ما أسكر كثيره فقليله حرام**»[2].

وجواب الأخ أني اختصرتُ في تعليقي ما ظننته لا يخفى على فطنته.

فهو ينتقد على أديبنا إجابة بلال عن خير الشراب بأنها الألبان. فلو كان الجواب الخمر لكان في ذلك تفضيل لها لا ذكر مجرّد لاسمها كما تذكر في كتب الفقه لما يتعلّق بها من أحكام.

ثم يقول الأخ في انتقاده ذلك: «آه آه ليتني كنتُ منادمًا»!

أهذا التأوّه والتمني من أجل لفظة الخمر؟

إنّ ما في الإجابة بالخمر من تفضيل لها وما في التأوّه والتّمني من حسرة عليها جعلاني لا أستجمل من الأخ الناقد استشهاده بالقرآن في هذا الموطن.

---

(١) في «مختصره» (ص٧).

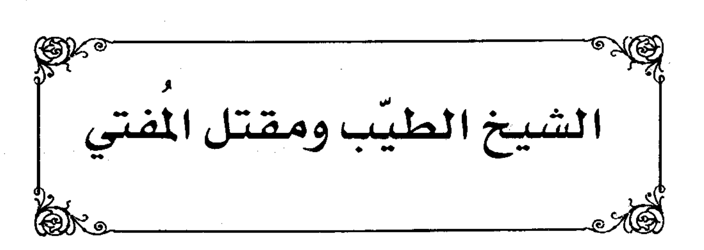
(٢) حديث صحيح: «إرواء الغليل» (٢٣٧٥) للألباني.

والآن إذ حصر الأخ نقده وحملته في هجر أديبنا للفظة الخمر فقط، لا أضايقه في عنايته اللّفظية، ولا في بُعْدِ هذا المعنى عن أسلوبه. إنما أردتُ التصريح بما بنيتُ عليه ذلك التعليق. وله وللقراء أن يخطِّؤوني في ذلك الفهم، إنما الذي يهمّني أن يكون الأخ والواقف على هذا الحديث على يقين من حسن قصدي وسلامة طويتي وأني مدفوع إلى ذلك بموجب المسؤولية المنوطة بي في إدارة صحيفة جمعية أرى ذلك البحث بذلك الأسلوب غير مرضي لها.

وأعتقد أنني احترمتُ الكاتب إذ لم أحذف له ما أراه غير مرضي، ولم أزل على رأيي في إغلاق ما كان من هذا النمط[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٢)، بدون إمضاء.



الشيخ الطيّب ومقتل المُفتي

استعرضنا في العدد الماضي قضية المفتي وتجديد البحث فيها وموقف الصحافة منها، وأثنينا على عناية «ألجي ريبيلكان» المنيرة لسير البحث، وأعربنا عن حسن ظنّنا في العدالة، وظننا انتهاء البحث أول هذا الأسبوع فإذا به يمتدّ حتّى اليوم (الأربعاء).

وقد كان سير البحث موفّقًا لما أبدته العدالة من استقلال، وما أبداه الشيخ الطيّب من ثبات جنان ونصاعة حُجَّة وعلوّ نفس.

وإذا استعجلنا طبع العدد عن انتظار النتيجة فإنه يمكننا إعلان عقيدة العموم في براءة الشيخ الطيّب ورفيقه السيد عباس التركي، لا من إيمانهم بنزاهتهما فقط، ولا من مجرّد حسن ظنّهم في العدالة؛ ولكن اعتمادًا على تصريح السيّد وكيل الحقّ العامّ يوم الاثنين الذي يقول أنه اعتنى بِسِجِلّ القضية وبحثه بحثًا دقيقًا، فلم يجد به متعلّقًا لتهمتهما وأن ضميره لا يساعده على اتهامهما.

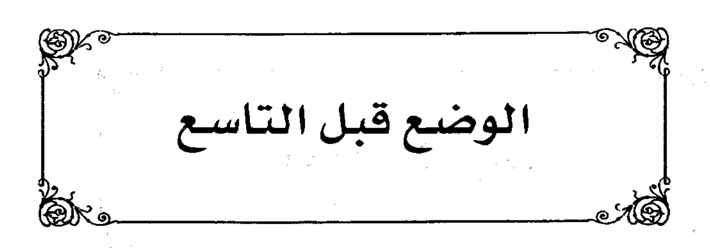
ولا يكون هذا العدد لدى القراء حتى تكون مدينة الجزائر في مهرجان كبير، وعموم الوطن الجزائري، بل المغربي في فرح عامّ لبراءة الشيخ الطيّب ورفيقه،

وانتصار الواقع على الدسّ والفضيلة على الرذيلة.

وهنا نقول: إن نقض تبرئة البحث سابقًا للشيخ الطيّب ورفيقه كان خيرًا لهما ولأحبّائهما الكثيرين؛ فالحكم بالبراءة بعد البحث أضمن من البراءة في البحث ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢١٦][1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٢)، الصادر يوم الجمعة ١٢ جمادى الأولى ١٣٥٨هـ ٣٠/ ٦/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



الوضع قبل التاسع

جاءنا من قصر الصبيحي سؤال عن متزوّجة وضعت لسبعة أشهر وعشرين يومًا من البناء بها، وقد أُشيع عنها الفاحشة، فزاد هذا الوضع لهاته المدّة تلك الإشاعة تأجّجا!

والجواب:أنّ امرأةً وضعتْ على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه لستة أشهر، فرُميت بالزّنا، وعزم الخليفة على تنفيذ الحكم فيها، فأفتى عليٌّ بن أبي طالب رضي الله عنه بأن الولد للزوج، وأنّ أقلّ أمد الحمل ستة أشهر مستدلاً بآية الأحقاف[1] مع آية البقرة[2] في مدة الحمل والرضاع. فعمل الخليفة على إفتائه[3].

ووقف أئمتنا عند حدّ هذه الفتوى. فليسعكم ما وسع خير القرون[4].

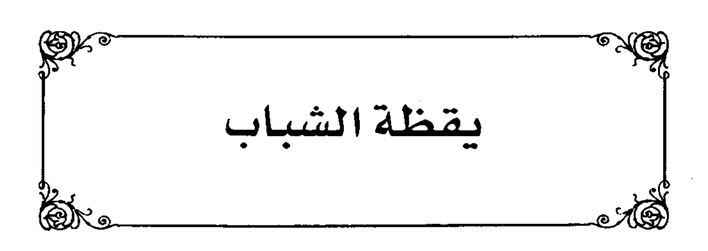
---

(١) يعني قوله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

(٢) يعني قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

(٣) انظر: «تفسير ابن كثير» (٦/ ٢٨١).

(٤) «البصائر»: العدد (١٧٢)، بدون إمضاء.



يقظة الشباب

تعزّزت الصيدليات الإسلامية بقسنطينة بوجود الشاب الفطن المهذّب السيّد فرحات علاوة بينهم فقد اشترى هذا الأخ محلّ الصيدلي الإسرائيلي ابن عمور الكائن بنهج ناسيونال، وابتدأ العمل فيه في فاتح هذا الشهر.

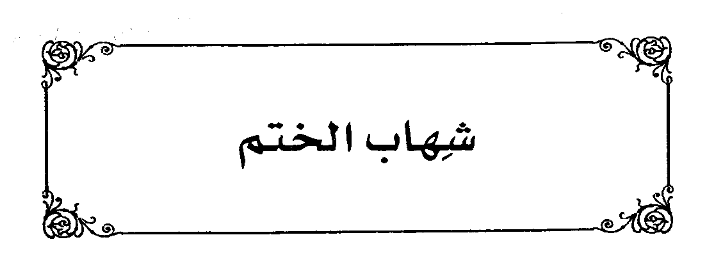
وفي بحر هذا الأسبوع زار مكتب الرئاسة فأحسن الأستاذ الرئيس مقابلته وتحادثا ساعةً في البحث عمّا يخصّ رابطتنا الاجتماعية والأخلاقية؛ وقد أُعجبنا بما فيه من شعورٍ حيٍّ وطموحٍ وتبصّرٍ بعواقب الأمور.

ثم بعد الفراغ من حديثه طاف أقسام المدرسة واطّلع على نظام التعليم فأعجب به أيّما إعجاب.

وبعد هذا ودّعنا شاكرًا حفاوة الأستاذ الرئيس الشيخ عبد الحميد بن باديس ومقدِّرًا له مواقفه الصريحة في العروبة والإسلام.

فنرجو لأخينا الفاضل مستقبلاً زاهرًا وتقدّمًا سريعًا في صيدلته المفيدة، و نأمل لشبابنا العامل المثقّف حياةً عامرةً بما ينفع الأمة العربية في صالح دينها ودنياها[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٢)، بدون إمضاء.



شِهاب الختم

منذ سنة أتمّ الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيس «جمعية العلماء» دروس التفسير في احتفال رائع يناسب مبلغ حيوية الشعب الجزائري، وإن كان ـ في رأينا ـ دون منزلة الأستاذ ومكانة عمله الجليل.

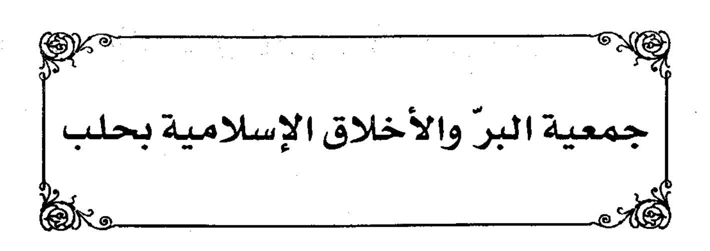
وعلم النّاسُ أنّ «الشهاب» يُصدِر عددًا خاصًّا بهذا الختم وحفلته التي أدارها الأستاذ محمد البشير الإبراهيمي نائب رئيس الجمعية.

واشتاق الناس لهذا العدد لاسيما عارفو منزلة الأستاذ المفسّر من علوم الدِّين وأدواتها وفضله في الغوص على درر المعاني وحسن بيانه لها، وعارفو مكانة الأستاذ مدير الحفلة في النظام والوعي ومنطقه الشعري في التصوير والعرض.

وبعد انتظار سنة صدر عدد «الشهاب» الخاصّ يحمل من حيوية الروح ما جعله يتغلّب على عوامل ذلك الطول في الأنفس، فلا تشرع في قراءته حتى تشعر بحرارة الشوق إلى باقيه، ولا تتمّه حتى تجد نفسك ضنينةً بمعدن كنوزه أن تسلّمها لمن يرى العارية من أسباب الملك. وناهيك أنه مشتمل على مقدّمات بقلم الإبراهيمي، تلك المقدمات التي كادت تعود بي إلى العصر الجاهلي فأدعو عليه إعجابًا بها.

وقراءته أبعث على الإعجاب به من عرض وصفه. ويقع في ١٥٤ صفحة وثمنه ١٠ فرنكات[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٢)، بدون إمضاء.



جمعية البرّ والأخلاق الإسلامية بحلب

جاءنا من هاته الجمعية الطيبة بيانها السنوي عن أعمالها في السنة الماضية سنة ٥٧ فإذا هي أعمال جديرة بالتقدير، جزى الله رجالها بأحسن ما يجزي به العاملين لحياة الدِّين الخالد والعروبة الماجدة.

أنشأت في تلك السنة ٣٢ خطبة منبرية كان لها الأثر الحسن في إصلاح الوعظ الجُمعي ووحدة مواضيعه.

وجرت عن سنن النشوء والارتقاء في محاضراتها المنتظمة للشؤون العلمية والأدبية والأخلاقية والدينية والإخبارية.

وأرسلت الوعّاظ للقُرى والعشائر والسُّجون، مُتكفِّلة لهم بنفقات شهرية منظّمة، فكان لهم الأثر الطيّب في تعليم العامّة وتصحيح عقائدها وعباداتها.

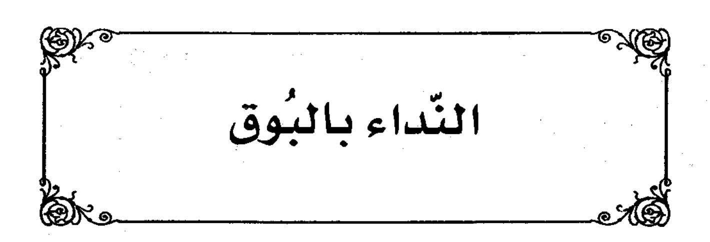
وفتحت مدارس ليلية لتعليم الأُميّين الكتابة والحساب والقرآن والفقه.

وختمت بيانها بذكر ما يصلها من منشورات وصحف منها «البصائر»، وبذكر احتجاجاتها على مثل قرار الطوائف وغيره، وبيان ماليتها دخلاً وخرجًا.

وقد أرانا بيانها أنها تعمل في المشرق لمثل ما تعمل له «جمعية العلماء» في

المغرب. والفارق بيننا إنما هو قبض الأيدي هنا عن إمداد الجمعية، ومدّ أيد أخرى لعرقلة سعينا. ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ [الحج: ٤٠][١].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٢)، بدون إمضاء.



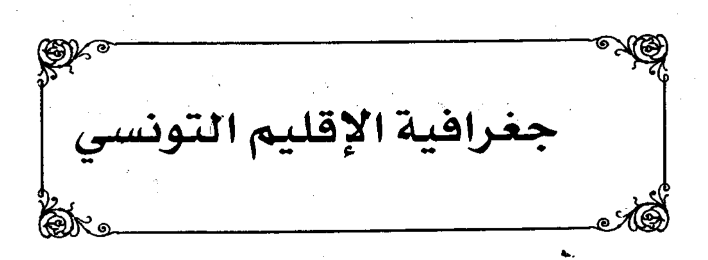
النّداء بالبُوق

كتب السيد بلقاسم بن مسعود التاجر بعزازقة مستفتيًا عن حكم النّداء بالبوق إيذانًا بالاجتماع لمصالح القرية، وتلك عادة القوم.

والجواب: أن هذا غير ضارّ ما دام غير مصبوغ بالصبغة الدينية[1]؛ فإن الشعائر الدينية يجب أن يحافظ عليها كما كانت. أما الاجتماعات فلا بأس أن يتّفقوا فيها على ما لا يخالف أصلاً إسلاميًا ولا يهدم شعيرة دينية[2].

(١) قارن بها في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٥٦) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) «البصائر»: العدد (١٧٢)، بدون إمضاء.



جغرافية الإقليم التونسي

مؤلّف الكِتاب هو الشيخ الصادق أبو السرور، مدرّس الجغرافية بجامع الزيتونة المعمور، وعضو لجنة إصلاح التعليم به.

أهدانا حضرة المؤلِّف الطبعة الثانية لكتابه، فناسب أن نعلن سرورنا المزدوج بحركة جامع الزيتونة:

فمن جهةٍ يسرّنا إقدام علماء ذلك المعهد العظيم على التأليف إفادةً للطلبة وإظهارًا لمكانة جامع الزيتونة.

ومن جهةٍ يسرّنا إقبال تلاميذ ذلك الجامع على منتجات علمائه حتى تُعاد طبعاتها.

وفي ذلك تشجيع للعلماء العاملين وإدالة ـ إن شاء الله ـ من العهد القديم الذي لم يترك لنا من آثار علماء جامع الزيتونة إلاّ ما لا يعبّر عن حقيقة مكانتهم في العلوم الإسلامية.

أما الكتاب فهو مرتّب ترتيبًا عصريًا منطبقًا على نظام التعليم الحديث، موضّح المسائل بأسئلة إثر دروسها، موضّح الأغراض بالخرائط العامة لوطن تونس

والخاصّة ببعض أقسامه.

يناهز مائة صفحة من الورق الصقيل في القالب المعتاد. والثمن خمس فرنكات.

فنشكر للمؤلّف عمله المفيد.

ونلاحظ له ـ وكلّ زين فيه لولا ... ـ أنّ الاعتماد على كتب الإفرنج في أعلام وطننا تجنيس لها، وأنّ مراعاةَ القواعد العربية ضروريةٌ لتنشئة التلاميذ على الصواب.

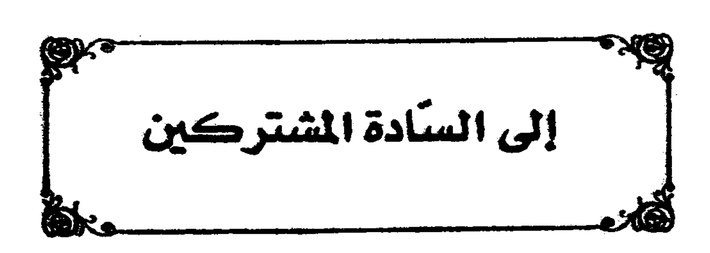
فهذا واد «ملاق» مذكور بهذا اللفظ في الكتب القديمة مثل «جغرافية البكري»، ولا يزال يحمل هذا اللفظ حتى اليوم، نجد المؤلِّف يكتبه «ملاك».

ويقول في حال قرية من القرى «هي أضعفهم».

ومثل هذا لا ينقص من قيمة الكتاب العلمية ومن عناية المؤلِّف الواضحة فيه. جازاه الله عن العلم والنصح خيرًا[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٣)، بدون إمضاء.



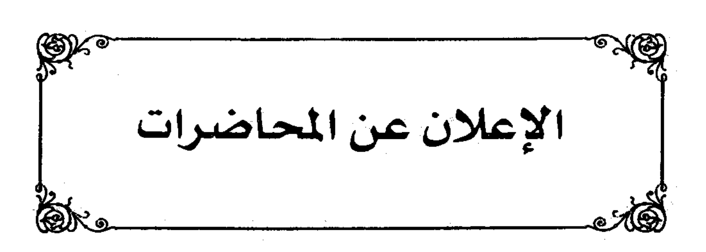
إلى السّادة المشتركين

تشتكي جهات من انحباس «البصائر» عنها. والذي نعلنه أنّ ضبط العناوين وتسليم النسخ إلى البريد يجريان بكلّ عناية ودقّة.

فمن لم يصله أيّ عدد فلينظر في الواسطة التي يتسلّم من جهتها بريده، فإنّ كثيرًا من البوادي يسلّم بريدهم إلى قيادهم، وفي القياد من يرى إمساك «البصائر» عن قُرائها قربانًا يقدّمه للإدارة.

ومتى ثبت على أحد هذا الصنيع، فسنقف معه الموقف المشروع[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٣)، بدون إمضاء.



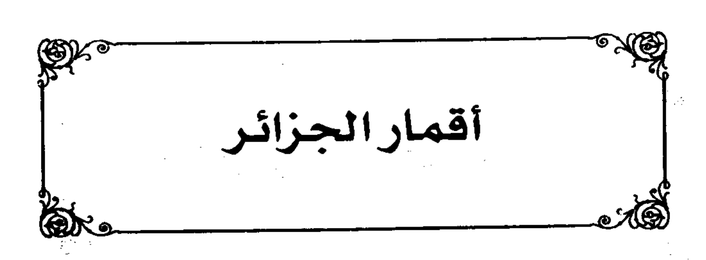
الإعلان عن المحاضرات

تأتينا بطاقات للإعلان عن المحاضرات في الرَّاديو، ولكن لا يراعى في إرسالها أنَّ صحيفتنا أسبوعيَّة.

فإذا أتانا الاخبار يوم الجمعة مثلاً بأنَّ المحاضرة تكون يوم الاثنين يكون يوم المحاضرة سابقًا عن يوم بروز عدد الجمعة التَّالية.

ولهذا لا ننشر من تلك الأخبار إلَّا ما اتَّفق تأخُّر تاريخه عن تاريخ العدد المنشور به[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٤) بدون إمضاء.



أقمار الجزائر

في ١٥ يوليه أعلنت نتيجة امتحانات جامع الزيتونة المعمور، وقد شارك من أبناء الجزائر في شهادة العالمية واحد نجح، وفي شهادة التحصيل «التطويع» ثمانية نجحوا كلّهم، وفي شهادة الأهلية نَيِّفٌ وعشرون، أُجّل اثنان منهم.

ونحن نتقدم بالتهنئة إلى الأمة بأبنائها البررة الذين ترجو منهم العمل النافع في سبيلها، ثم إلى جميع المشائخ الناجحين وأوليائهم .

ونرجو لهم مستقبلاً زاهرًا في ميدان الأعمال.

وهذه أسماء الناجحين في التحصيل والعالمية:

* «التحصيل».

المشائخ

عمار بن علي بن أحمد :بملاحظة أحسن مع جائزة.	عين قشرة.
أبو الأخرص السلطاني: بملاحظة أحسن.	عين التوتة.
يوسف بن الطيّب القُلِّي: بملاحظة حسن	عين قشرة.
نجار المولود بن الحاج بوزيان: بملاحظة حسن.	القرارم.

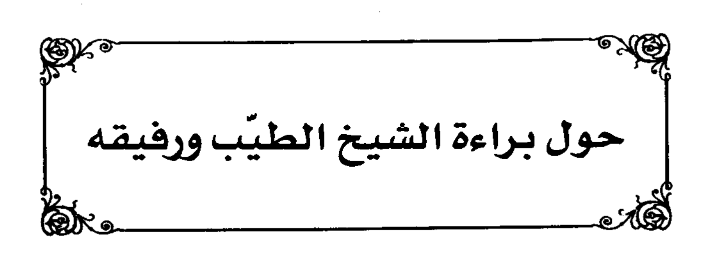
محمد بن الاحباسي: بملاحظة حسن.	نقاوس.
علي بن محمد الشرفي: بملاحظة حسن.	خنشلة.
عثمان عثماني بن الطيب.	عين البيضاء.
العربي بن محمد يوسفي.	أم البواقي.

* «العالمية»:

الشيخ محمد السحنوني	الأصنام.

ونعتذر لأصحاب الأهلية بضيق المقام، فإلى العدد القادم[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٥)، الصادر يوم الجمعة ٣ جمادى الثانية ١٣٥٨هـ ٢١/ ٧/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



حول براءة الشيخ الطيّب ورفيقه

تتبّعنا حسب الإمكان قضية الشيخ الطيّب ورفيقه، وكتبنا عنها في العددين (١٧١و١٧٢) ما يعبّر عن تضامننا وحسن عواطفنا إرضاءً لضمائرنا، لا تزلّفًا لأحد، ولا تقرّبًا من آخر، وأبرقنا إلى الشيخ الطيّب مهنّئين.

وكتب الرئيس افتتاحية الأعداد التالية في الموضوع، ونشرنا ما جاءنا من تَهانٍ.

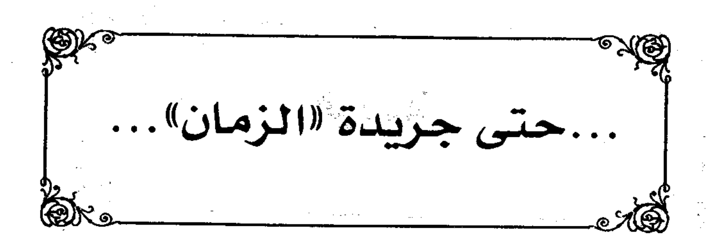
وبعد هذا نرى السيد عبد الرحمن بركاتي يكتب إلينا باسم ثُلَّةٍ من إخواننا البسكريين محتدًّا محتجًّا ضدّ «البصائر» ومديرها، معرّضًا بأنّ في قلبنا مرضًا، ذلك بأنني لم أكتب في «البصائر» التهنئة بالبراءة بقلمي!

ونحن نقول: لعنة الله والملائكة وأهل العلم والناس أجمعين عليّ إن كان في قلبي مرضٌ أو ضعفُ سرورٍ ببراءة الأستاذ العقبي ورفيقه.

ثم أفوّض أمري إلى الله العالِم بالسرائر في حكمه على من ساء ظنّه بي في هذا الموضوع.

أكتب هذا وما بي ضعف عن تحمّل مسؤولية عملي عند الله وعند الناس، وما في ثقتي بالله ضعفٌ من كشف أغراض الفتّانين واستبصار المنخدعين[١].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٥)، بدون إمضاء.



...حتى جريدة «الزمان»...

جاءت جريدة «الزمان» أخيرًا تتحدّث عن براءة الشيخ العُقبي تحت عنوان: «السرّ في مقتل ابن كحول» فظنناها تأتي بما لم تستطعه الأوائل؛ ولكنها تركت السرّ مكتومًا، وإنما اتخذت الحديث سلّما لما وسطته بين جمل فصلها إذ قالت عن «البصائر»:

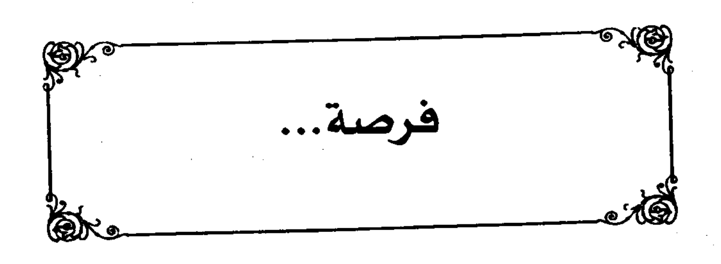
«لم تتكلّم عن القضية إلاّ باختصار نظرًا ـ ويا للأسف ـ للجفاء القائم الآن بين العُقبي وبين جماعة العلماء».

إن «البصائر» كتبت ونشرت وشكرت الصحف الفرنسية المدافعة، ولم تدافع دفاعها لكونها عربية أسبوعية والقضية منشورة! فأين يقع دفاعها؟ ومتى يصل رجال العدالة؟

والذي يرجع إلى «البصائر» منذ نشرت القضية حتى اليوم يعلمُ شدّة التضامن الذي قامت به وأن لا تقصير ولا جفاء.

إن أبواق الاستعمار يريدون إيجاد هذا الجفاء لمعنى التقسيم وإضعاف ثقة الأمة بمنقذيها، فإن كانت صحيفة «الزمان» من هذا القبيل فإنّا لا نحسدها على نعيمها هذا ولا نبالي بتفتينها، وإن كانت من قبيل آخر فإنّ الغرض من تلك الكلمة سيبقى سِرًّا ما بقي مقتل ابن كحول سِرًّا[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٥)، بدون إمضاء.



فرصة...

إجابة لرغبات الراغبين في الحطِّ من ثمن «رسالة الشرك ومظاهره» ومن ثمن «تاريخ الجزائر»، قد خفضنا من ثمن «الرسالة»: ٠٤٠.٠

ومن ثمن الجزء الأول من «التاريخ» ٠٢٠.٠

« « « الثاني ٠٦٠.٠

فيصير ثمن «الرسالة» «١٢ فرنك»

وثمن الجزء الأول «٢٨ فرنك»

« « الثاني «١٤ فرنك»

يُزاد على ذلك أجرة البريد، وهي «٢٫٥٠» لكلِّ نسخة من غير تضمين.

ولا يحصل على هذا الخفض في الثَّمن إلَّا بالشروط التالية:

١ ـ أن يُوجَّه الثَّمن قبل انتهاء أوت.

٢ ـ وأن يُرسَل إلى المؤلِّف.

٣ ـ وأن يكون على طريق الشِّيك بوسطال حسب العنوان التالي بالحرف الفرنسي.

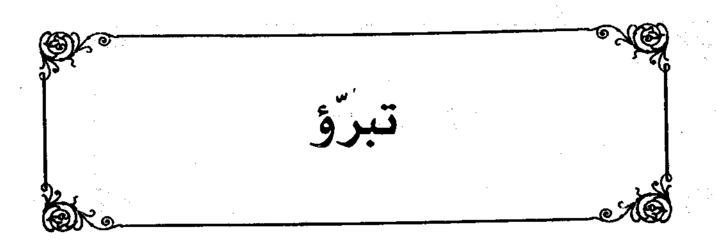
Alger C/c 187 88

Professeur Libre MILA (Cne)[1]

M.Cheikhe Mebarek El-Mili

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٥)، بدون إمضاء.



تبرّؤ

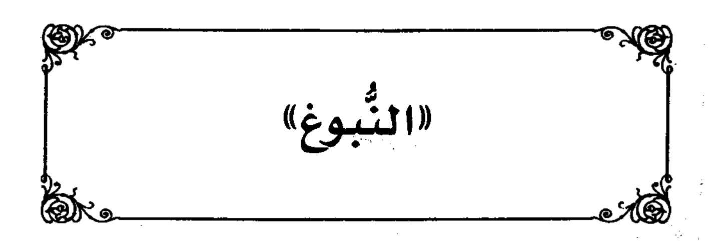
كتب السيد قادم أحمد بن الطاهر الرمضاني من قصر الصبيحي مجيبًا على ما نشر بالعدد ١٧٠ تحت عنوان: «الصحف الصادقة»، متعرِّضًا لشخصية الكاتب بالقدح متبرئًا من أن يكون تعرّض لأحدٍ في قراءة «البصائر».

فنكتفي بهذا الملخّص راجين من المخبرين أن يتحرّوا الواقع، ومن المسوسين أن لا يدافعوا إلاّ بالواقع، وأن يتّقي الجميعُ الفتنةَ والانتقامَ الشخصي.

وإذا كانت الأمم بحاجة إلى الاجتماع والتعاون على الخير فنحن الجزائريين أحوج الأمم إلى ذلك، ونحن المسلمين أولى الأمم بذلك[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٥)، بدون إمضاء.



«النُّبوغ»

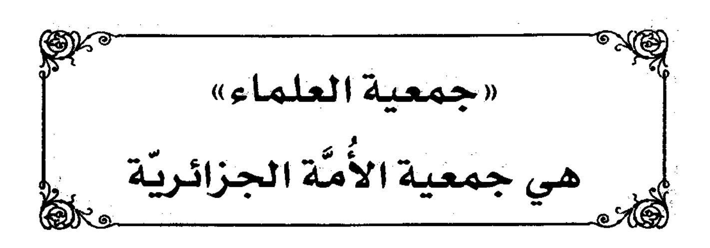
هي مجلة شهرية تُعنى بالمباحث العلمية والتاريخية والأدبية والفنية والأخلاقية والاقتصادية.

تصدرها إدارة «السعادة» كملحق لها. واشتراكها في البلدان الفرنسية ٥٥ فرنك. وفي الأجنبية ٦٠ ف

جاءنا العدد الأول منها. فتصفّحناه، فإذا هو يمثّل ناحية من الثقافة المغربية. فنتمنّى لها التحرّر في التحرير، والفوز برضى القُراء المثقفين.

ونتمنّى لمغربنا أن تتسع الإدارة المسيطرة عليه لرغبته في حرية النشر حتى **يستطيع أن يصوّر ثقافته على وجهها وينهض بها في الناهضين**[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٥)، بدون إمضاء.



«جمعية العلماء» هي جمعية الأُمَّة الجزائريّة

بالعنوان أعلاه كتب السَّيِّد عبد الله بن الصِّدِّيق من «مشلي»[1] يذكر جهود «الجمعية» وما تلاقيه من خصومها وما تظهره من ثبات أمام كلِّ حادث يعترضها، ويعلن تمسّكه بمبادئها وولاءه لرجالها.

و«الجمعية» بلسان «البصائر» تحمد الله على ما وُفِّقت إليه، وتسرّ بالأنصار الذين عرفوا الحقّ فعرفوها، وتشكرهم على تضامنهم معها، وتنشد للخصوم قول الطِّرِمّاح[2]:

لقــد زادني حُـــبًّا لنفــسي أنّنــي ... بغيضٌ إلى كلِّ امـرئ غـير طائـل

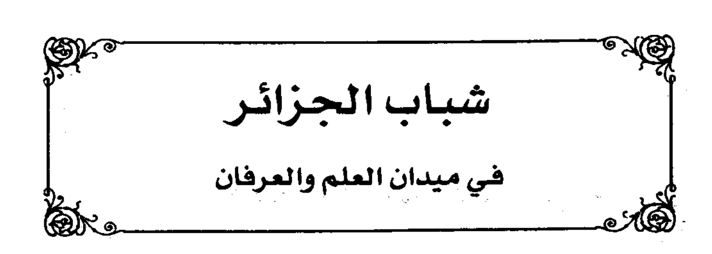
وأنّي شـــقيٌّ باللِّئـــام ولا تـــرى ... شـقيًّا بهم إلَّا كـريـم الـشمـائـل[3]

---

(١) هي المعروفة اليوم بـ: «عين الحمام» من ولاية تيزي وزو.

(٢) شاعر إسلامي فحل. له ترجمة في «الأعلام» (٣/ ٢٢٥).

(٣) «البصائر»: العدد (١٧٦)، بدون إمضاء.



شباب الجزائر

في ميدان العلم والعرفان

نشرنا في العدد الماضي أسماء النَّاجحين من أبناء الجزائر في امتحانات جامع الزَّيتونة المعمور، واعتذرنا بضيق المقام للنَّاجحين في شهادة الأهليَّة، وننشر اليوم أسماءهم، مجدِّدين لهم اعتذارنا وتهانينا للأمَّة بهم ولهم ولأوليائهم، راجين لهم اطِّراد التَّقدُّم والنَّجاح في ميادين العلم والعرفان.

* المشايخ:

- موسى ابن الحاج إبراهيم الزنداوي.
- أحمد بن محمد إدريس.
- أبو هراوة الحفصي بن محمد.

(بملاحظة: أحسن، مع جائزة)

- عمر بن محمد الخلفاوي.
- المبروك ابن الحاج مسعود العوادي.
- أحمد بن حميدة بن محمد الطيّب.

- محمد الطاهر البكري البجائي.

- فرحات بن سعيد العابد الميلي.

- البشير بن أحمد اليحياوي.

- المولود بن الطيب اليحياوي.

- إبراهيم الحيدوسي.

- **الزراري بن جموعي الشرقي.**

- **محمد الشريف بن علي بورصاص.**

- **محمد بن محمد الخضر السائحي.**

- **إبراهيم بن عبد القادر بن الصافي.**

(بملاحظة: حسن)

- **أبو جرة الحسين بن أحمد.**

- **الطيب بن الحاج عبد القادر.**

- **عمار بن رابح مزراق.**

- **الطيب بن لاحنش.**

- **الرموقي بلقاسم بن أحمد السوفي.**

- الأخضر بن علي العمري.

- التهامي بن أحمد الحيدوسي.

- ابن النصر محمد بن أبي الضياف.

- عبد الحميد بن علي بن محمد العرابي التيجاني.

ـ الحسين بن عبد الله القوائمي

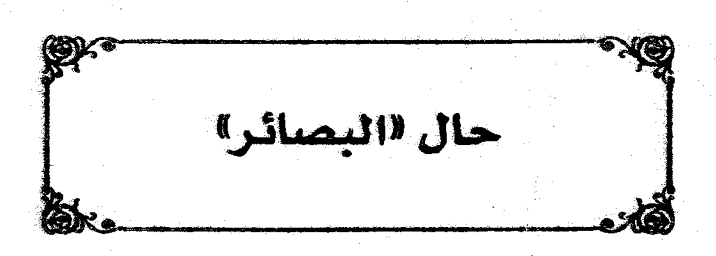
ـ ابن الميسيه مصطفى بن إبراهيم.

ـ ناصر إسماعيل بن محمد بن بركات.

ـ حامد بن محمد[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٦)، بدون إمضاء.



حال «البصائر»

«البصائر» لسان حال «جمعية العلماء»، فعلى أعضائها حقّ النهوض بصحيفتهم ولهم حقّ الملاحظة عليها والاقتراح لترقيتها.

والملاحظة يجب أن تكون بصورة تقرير يوجّه إلى رئيس الجمعية، كما أن الاقتراح يجب أن يكون بالكتابة إليه، وهكذا شؤون الجمعيات، فإن خرجنا عن هاته الخطة إلى النشر في الصحف فذلك إلى التشهير أقرب وبالعرقلة أنسب.

وقد رأت الجمعية ما انتهت إليه حال «البصائر» قبل أن تسند إليّ، وقلّبنا وجوه الرأي في رفع مستواها فلم يكن في الإمكان غير ما كان، ولم نيأس من أن ندرك في المستقبل ما لم يستطع في الماضي.

ولم تغفل إدارة «البصائر» عن تنبيه القُراء والكُتاب إلى ما يجب عليهم نحو صحيفتهم كلّ ما دعت المناسبة.

وأخيرًا حدّثني الشيخ العباس بن الشيخ الحُسين عن مقال له يرغب من «البصائر» نشره، فأجبتُه بإرساله إلى الإدارة لترى رأيها فيه كغيره، ثم اتفقنا ـ ولم أطّلع عليه ـ على أن صحيفة «الإرادة» أولى به لكونها يومية منتشرة بيننا موالية لنهضتنا.

وفي عدد سابع عشر جليت منها وقفتُ على المقال بعنوان: «أما آن لنا أن نتكلّم». وعبتُ في عنوانه وصدره أشياء، إذ الكلام لم يكن ممنوعا منه هو ولا غيره، والصورة التي أعطاها للبصائر لا يتصوّرها إلاّ من يودّ تعطيل «البصائر».

ولا نشكّ في حسن قصد الكاتب ولكن يجب أن لا تبرز النية الحسنة إلاّ في صورة حسنة.

إن «البصائر» قد نشرت قبلُ لحضرة الكاتب في غير هذا الموضوع وكتبت ونشرت لغيره في هذا الموضوع لكن بغير لغة ذلك المقال.

ولم يُبد حضرة الكاتب رأيًا في تلافي النقص الذي تصوّره إلاّ أن يكتب أعضاء الجمعية البارزون بصحيفتهم. كما انه لم يحمل مسؤولية النقص الذي رآه على الجريدة ومديرها وقُرائها ولكن على أولئك الأعضاء.

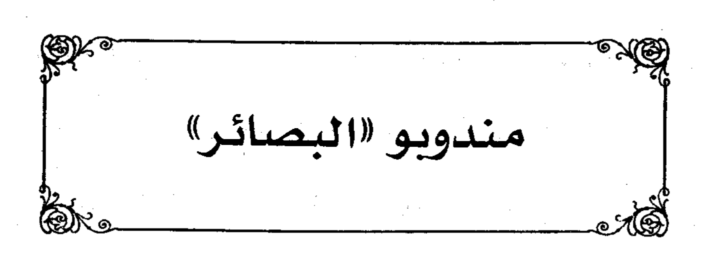
والمدير لا يتحمّل ـ كما رأى الكاتب الفاضل ـ أيّ مسؤولية غير تنظيم المواد وضبط المالية ومراقبة ما يقدّم للنشر حتى لا يكون بصحيفة الجمعية ما يخالف غايتها أو يعرقل خطتها ثم تصديرها في حينها حتى تصل قُراءها بانتظام.

فمن رأى من المدير خللاً في مسؤوليته فليكتب إليه. ومن رأى خللاً فيما هو خارج عن مسؤوليته مما يمسّ بالجمعية فليكتب إلى رئيسها.

هذه هي الطريقة المفيدة المشعرة بالتضامن وإصابة وجه التعاون على الخير والصلاح[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٧)، الصادر يوم الجمعة ١٧ جمادى الثانية ١٣٥٨هـ ٤/ ٨/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



مندوبو «البصائر»

انتدبت «البصائر»« هاته السنة لزيارة مشتركيها وعقد أواصر المودّة والتعاون بين المخلصين لإسلامهم وعروبتهم وجزائريتهم السادة الأدباء:

١ـ علي مرحوم.

٢ـ أحمد حماني.

٣ـ أحمد بن ذياب.

والأولان سبق انتدابهما وتعرف القراء والمشتركين إليهما، والثالث شابٌّ أديب مفكّر ناشط، معروف للقُراء بما نشرته «البصائر» من أدبه وأنظاره.

وسيزور الأوّل شرق عمل قسنطينة فيمرّ بالسمندو وسيدي مزغيش والسكيكدة وعنابة وسوق أهراس إلى تبسة، ويعود إلى البيضاء ونواحيها وخنشلة ثم صدراته فقالمة إلى الخروب.

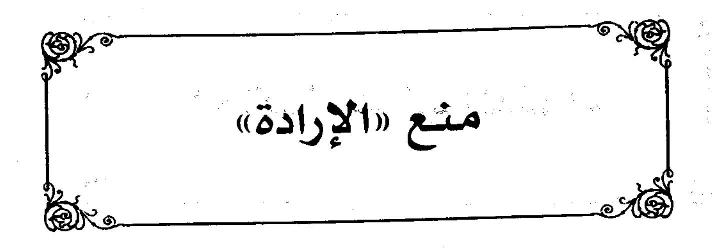
وسيزور الثاني شرقي عمل الجزائر مبتدئًا ببيبان الحديد، معرّجًا على ما يقرب منها، ثم بالبويرة حتى سيدي عيسى، ثم تابلاط فأربعاء بني موسى فثنية بني عائشة فبرج منايل إلى تيزي وزو وميشلي ودلّس والعزازقة.

وسيزور الثالث مشتركي أولاد رحمون والقرزي، ويمرّ على طريق عين مليلة فباتنة حتى القنطرة، ويذهب إلى آريس وما يقرب منها وإلى الحضنة.

فالرجاء من حضرات المشتركين وأنصار العلم والأدب وأبناء الإسلام والعروبة أن يسهّلوا لزوّارهم الفضلاء مهمّتهم التي فيها خير الجزائر وسعادة المجتمع ومظهر التضامن وحُجَّة المتفائل ومبعث الرجاء في النفوس المتردّدة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٧)، بدون إمضاء.



منع «الإرادة»

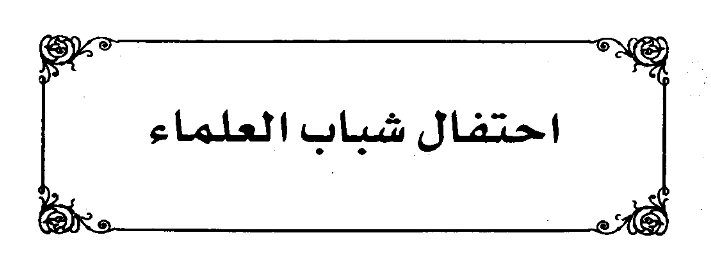
مُنعت صحيفة «الإرادة» الغراء التي تصدر بتونس من الرواج بالتراب الجزائري. وقال أبواق الاستعمار أنّ سبب المنع وقوفها من القضية الجزائرية إلى جانب «جمعية العلماء».

ونحن نرى في إخلاص رجال «الإرادة» وثباتهم ما يُسلِّينا عن هذا المنع، ولكنا نأسف لحرمان حكومة الجزائر وشعبها من آراء هاته الصحيفة الناضجة القيّمة الصادقة للتعبير عن إحساس الأمة المغربية.

وما كان ينبغي أن يضيق منها صدر الإدارة الجزائرية وهي تعلم أن الحياة ليست ترداد الضعيف لصدى القوي، وإنما هي تفكير وانتقاد وإنتاج وتعاون[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٧)، بدون إمضاء.



احتفال شباب العلماء

وقع احتفال جمعية التربية والتعليم بشباب العلماء في كُلِّية الشَّعب في ميقاته المسطور بالعدد الماضي.

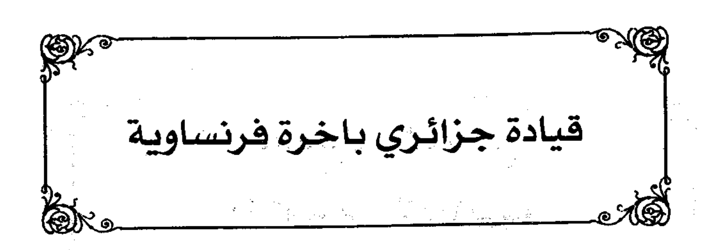
فكان[1] احتفالاً بهيجًا ضخمًا فخمًا، مُعرِبًا عن استعداد الشعب لتلبية صوت المخلصين من زعمائه وقادته، ومبشِّرًا بطيب ثمرة تعليم ذلك الشباب، تلك الثمرة التي هي من ثمار الجنة كلّما قطعت واحدة خلفتها أخرى.

فهنيئا للأمة الجزائرية بأبنائها لهؤلاء الشباب. وإلى العدد الآتي وصف الاحتفال[2].

---

(١) في الأصل: فكلّ.

(٢) «البصائر»: العدد (١٧٧)، بدون إمضاء.

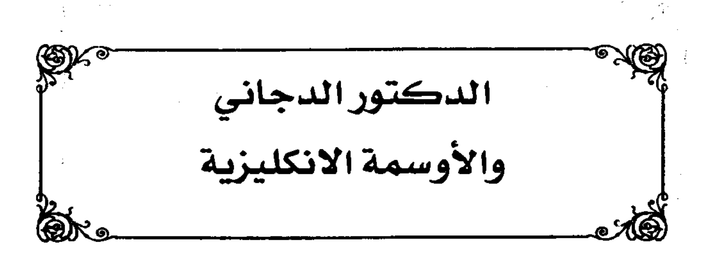


قيادة جزائري باخرة فرنساوية

لأوّل مرّة وقع تكليف جزائري أهلي بقيادة باخرة فرنسوية.

وفعلاً فإنّ القبطان الحسين رمضان المتخرِّج من المدرسة البحرية بالجزائر والذي تحصّل أخيرًا على رتبة قبطان في المسافات البعيدة قد تولّى قيادة الباخرة «ايتال» من عاصمة الجزائر إلى هايفونغ[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٧)، بدون إمضاء.



الدكتور الدجاني والأوسمة الانكليزية

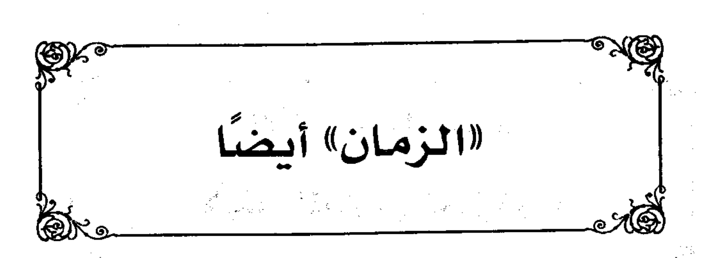
الدكتور فؤاد الدجاني مؤسّس مستشفى معروف بالدجاني في «يافا»، يحمل من الأوسمة الانكليزية الوسام الإمبراطوري الممنوح له سنة (١٩٢١م) اعترافًا بجليل أعماله كرئيس أطباء للقوّات العربية المقاتلة في جيش الأمير فيصل الأول، ويحمل أيضًا الوسام الإمبراطوري الممنوح له سنة (٣٦) من أجل خدماته الإنسانية وحسن تنظيمه لمستشفاه الخاصّ بيافا.

وقد هجم الجنود على مستشفاه منتصف جوان الماضي وأزهقوا روح أحد مرضاه ثم روّعوا أهله وأطفاله بتفتيش منزله.

فأجاب عن هذا التوحُّش بطلبه إلى المندوب السامي بفلسطين يرغب محو اسمه من سجلّ الأوسمة البريطانية احتجاجًا على أعمال الجنود.

وإنّ هذا العمل المشرِّف من هذا الدكتور العربي لَمَّا يقوِّي حُجَّة القائلين بحيوية الروح العربية وخلود الإباء والشمم في هذا الجنس رغم ما أُصيب به من الطوامّ في مظاهر حياته المادية[1].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٧)، بدون إمضاء.



«الزمان» أيضًا

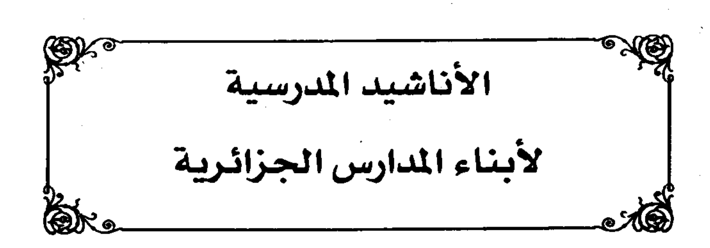
نشرت صحيفة «الزمان» بعددها الصادر حادي عشر جليت مقالًا عن مشروع «سارو» بعد مشروع «فيوليت» جاءت فيه بشأن «جمعية العلماء» العبارة التالية:

«وبهذه المناسبة نذكّر القُراء أنَّ «جمعية العلماء» كانت في أيَّام عرض مشروع «فيوليت» مؤيِّدة له على طول الخطّ».

ونحن لا نزعم أنَّنا نردّ كلَّ ذي هوى إلى الرُّشد، ولكن نرجع بالقارئ إلى برقيَّة «جمعية العلماء» المنشورة بـ«البصائر» عدد (٥١)، وفيها أنَّ «الجمعية» تطالب بإعطاء الحقوق التامة مع المحافظة التامة على الذاتية الإسلامية بجميع مميّزاتها، وأنَّها إنَّما رضيت برنامج الحكومة الأخير (وهو تعديل لبرنامج فيوليت القديم) لتضمّنه احترام تلك الذَّاتية، ولكنها لا تقنع به[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٧)، بدون إمضاء.



الأناشيد المدرسية لأبناء المدارس الجزائرية

وَضعُ الأستاذِ محمد بن العابد الجلاّلي، الأستاذ بمدرسة التربية والتعليم بقسنطينة.

الناظِمُ كهلٌ من قدماء تلاميذ الأستاذ عبد الحميد بن باديس، معروف لمتتبعي الأدب الجزائري بجودة النظم والنثر على إقلال منهما.

باشر التعليم العصري منذ سنين بعناية وكفاءة.

فأناشيده هاته من وضع أديب معلّم، منقّحة المعاني، سائغة التراكيب، جميلة الوقع.

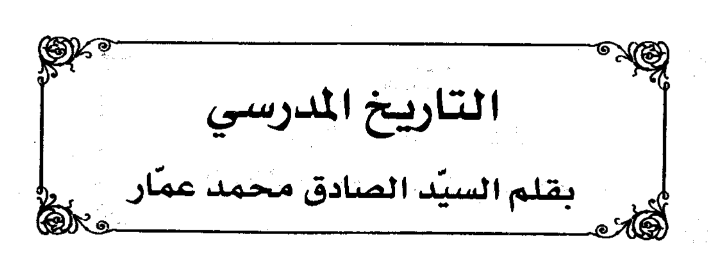
طُبعت بالمطبعة التونسية في قُراب عشرين صفحة طبعًا أنيقًا في ورق صقيل.

تُطلَب من المؤلّف بمدرسة التربية والتعليم نهج الكسيس لمبير عدد ١٧ بفرنكين ونصف موصلة، ولمن يطلب خمسين نسخة فأكثر إسقاط عشرين في المائة.

نرجو لها مزيد الرواج المشجّع لحركتنا القلمية والمقوّي لنهضتنا الفكرية[١].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٧)، بدون إمضاء.



التاريخ المدرسي

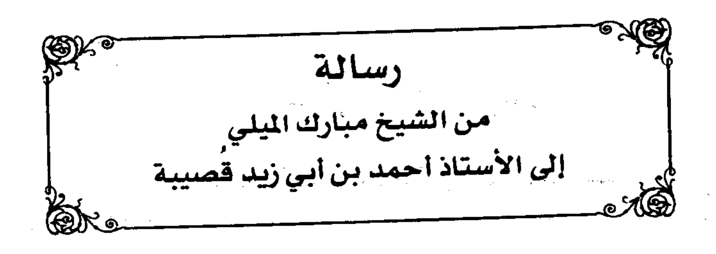
بقلم السيّد الصادق محمد عمّار

أهدى إلينا حضرة المؤلّف الجزء الأول من كتابه، فإذا هو يشتمل على مقدّمات في التاريخ وأقسامه، ثم ينتقل إلى العرب وقبائلها وإلى البعثة وحياة صاحبهاﷺ، وينتهي بانتهاء عصر الخلفاء الأربعة.

عبارته سهلة، وأسلوبه مدرسي.

فعلى أرباب المدارس اقتناؤه لفائدة الأبناء ولتشجيع الراغبين في خدمة المدارس بشمالنا الإفريقي[١].

(١) «البصائر»: العدد (١٧٧)، بدون إمضاء.



رسالة

من الشيخ مبارك الميلي
إلى الأستاذ احمد بن أبي زيد قصيبة

ميلة في ٩/٨/ سنة ٣٩

ولدنا العزيز السَّيِّد أحمد بن بوزيد.

سلام عليكم ورحمة الله.

أتاني كتابكم معتذرًا عن الجولان بمرض والدكم ـ عافاه الله ورفع عنكم موانع العمل لإسلامكم وعروبتكم ـ وبناءً على طلبكم قد أعفيناكم من الجولة.

ومقالكم عن مؤتمر الكشّافة لم يأت إلّا في الأسبوع الماضي بعد ترتيب عدده، وقد قدِّم في هذا الأسبوع ويطبع قبل اتِّصالي بجوابكم[1].

والانتقادات المذكورة أشكركم على إبدائها، وأودُّ لكلِّ مخلص لجمعيَّة العلماء أن يطلع إدارة «البصائر» على ما يُقال عنها.

أمَّا تلك الانتقادات فليس شيء منها صالحًا للعناية به، فإنَّه لا معنى لخلوِّ

(١) نُشر في «البصائر»: العدد (١٧٨) (ص٥ ـ ٦)، بإمضاء: الأغواطي.

«البصائر» من المباحث الأدبيَّة، لاسيما وهي لم تزاحم مقالات ذات أهميَّة.

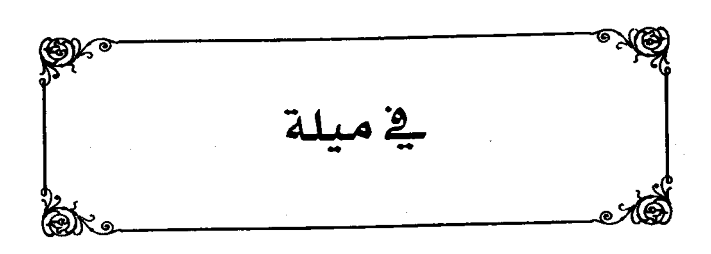
ومن لم يستسغ شيئًا ممَّا أنشره فله فكره ولي نظري.

وذكر المقالات المهملة أنا أخبر بفائدته، ومع ذلك فإنِّي حريص على إعلامي بما يُقال حول «البصائر» علَّني أعثر على انتقاد وجيه ولو غير نزيه!

أمَّا الحديث عن تقديم المقالات وترتيب المواد فهو رجم بالغيب؛ لأنِّي لم أسلك فيها الطَّريقة المنتقدة.

اقرأ سلامنا على الشَّيخ بوبكر وجميع أبنائنا وإخواننا، والسَّلام.

الميلي



في ميلة

فاتح أوت احتفلت جمعية «حياة الشباب» بأبناء مدرستها لاختتام دروسها وإقبال ميقات الاستراحة.

فكان احتفالاً منشطًا للأبناء والآباء ومقوّيًا لروح الرجاء في تقدّم المدرسة وتغلّبها على عناصر الرجعية والمصابين بداء الفوضى.

افتتح التلاميذ الاحتفال بتلاوة سورة من محفوظاتهم ثم أناشيد تتخلّلها خُطب من البنين والبنات.

وخُتمت بخطاب هذا المدير أوصى فيه الأبناء بمراجعة دروسهم والآباء بالمحافظة على مشروعهم، وذكّرهم بآيات الله في الأمم الخالية قبلهم ممن أصرّوا على الباطل وقصّروا في الحق، فكان لذلك التذكير أثره الطيّب في النفوس الطيّبة.

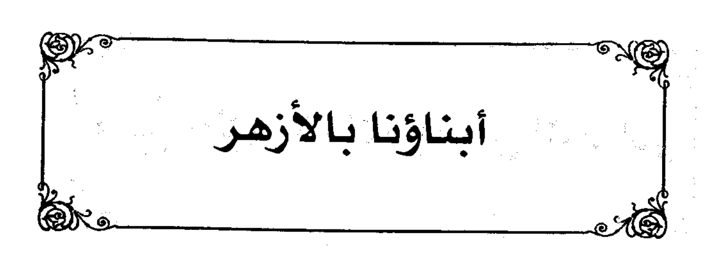
ثم بخطاب الشيخ بلقاسم بن المزهود هنأ فيه التلاميذ، وشكر به المعلّمين، وحثّ المستمعين على الاتحاد والتضامن.

وخرج الناس وكأنما نُشروا مِن قبر أو انتُشِلوا من وهدة.

وصدق الله القائل: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾ [الذاريات: ٥٥][1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٨)، الصّادر يوم الجمعة ٢٤ جمادى الثّانية ١٣٥٨هـ ١١/ ٨/ ١٩٣٩م، بدون إمضاء.



أبناؤنا بالأزهر

من أبناء الشعب الجزائري بالأزهر الشيخ الفضيل الورثلاني، فخر الشباب، ومؤمّل الشيوخ، وهو رئيس البعثة العلمية الموجّهة من طرف «جمعية العلماء» إلى جامعة الأزهر.

علمنا أنه تقدم هاته السنة ـ وهي سنته الأولى هنالك ـ إلى امتحان العالمية، فنال شهادتها.

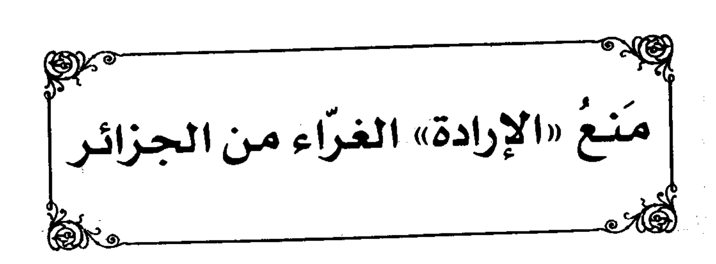
ونال شهادة العالمية أيضا الشيخ علاوة الجيجلي، وهو أخو الشيخ محمد الطاهر الجيجلي، أحد الأعضاء الإداريين بجمعية العلماء.

فنهنيها بهذا الفوز، وننشر البشرى بفوزهما لذوي قرابتهما والمتشوّقين إلى أمثالهما في سدّ حاجة وطننا العلمية.

ونسأل الله لهما مستقبلاً طيّبًا وللجزائر بأمثالهما حياة شريفة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٨)، بدون إمضاء.



مَنعُ «الإرادة» الغرّاء من الجزائر

كتبتْ الصُّحُفُ التونسية عن هذا المنع كتابة أظهرت بها رشدها الصحافي، وصبّت بها جام سخطها على دخلاء الصحافة المُتشفّين لتعطيلها.

ومما قالته صحيفة «تونس» أنّ الولايةَ الجزائريةَ أوسعُ صدرًا مع الصُّحُف العربية من حمايتي تونس والمغرب، واستغربت وتعجّبت من ضيق صدرها هاته المرّة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٨)، بدون إمضاء.

كَلِمَةُ شكرٍ من القاهرة

«البصائر»:

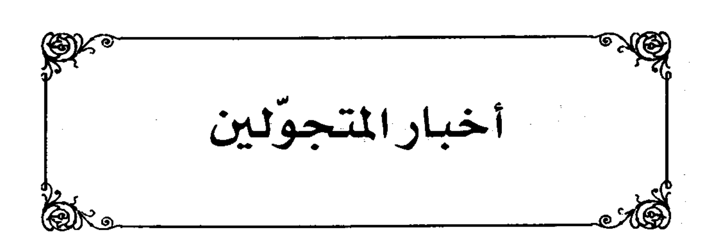
نشرنا هذا المقال مسرورين بروح كاتبه[1] الوثّابة وأدبه الرَّاقي، شاكرين له فضل عنايته بوطنه، ووقوفه على حركته، ونصرته للجانب الإيجابي فيها على الجانب السلبي أو لجانب البناء على ناحية الهدم.

ومع أنَّ «البصائر» ما أُسِّست إلَّا لأمثال هذا القلم المهذَّب لا نكتم حضرة الكاتب أنَّا نشرنا هذا المقال إيثارًا لرأيه على رأينا في معاملة الأقلام الفاجرة من منتحلي هذه الطرق الجزائرية، فقد انقطع أملنا في حيائهم، وأيسنا من إنابتهم إلى الرُّشد، فصبرنا على أذاهم، وتركنا لهم أدبهم «واليأس عون على الصبر»[2].

---

(١) هو الشيخ علاوة صالح الجيجلي، الطالب يومئذ بالأزهر، كما تقدّم قريبًا.

(٢) «البصائر»: العدد (١٧٩)، بدون إمضاء.



أخبار المتجوّلين

بَلَغَنا أنّ حركة المتجوّلين إلى نجاح وأنّ أنصار «الجمعية» وقُرّاء صحيفتها عند ظنّنا فيهم قياما مع زوّارهم بما ييسّر مهمّتهم. فنشكر لأولئك الأنصار والقُرّاء إخلاصهم للجمعية وحسن تأييدهم لها.

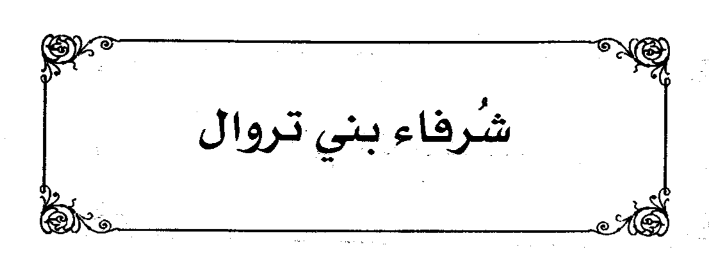
ونرجو أن تتمّ الجولة في مناطقها كلّها على ما يشجّع العاملين ويشدّ أزرهم.

كما نرجو من المتجوّلين أن لا ينسوا وصايانا لهم في دينهم وسلوكهم مع مقابليهم.

وكلّ معالج لشعبنا في حاجة إلى التذكير بما يحفظ عليه استقامته ويقوّي رجاءه[١].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٩)، بدون إمضاء.



شُرفاء بني تروال

جاءنا من السيد بلقاسم بن الصادق من أهل ميشلي بقرية البيض مقال في الدفاع عن مرابطي بني تروال وإنكار ما نسبه كاتب إليهم في العدد ١٧٣ ثم يرغب منّا بيان ما يجب من الثمن لنشر مقاله.

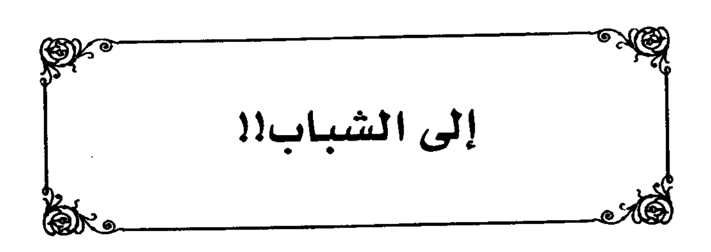
و«البصائر» تقول: إنها نشرت ما نشرت بقصد إيقاظ الهِمَم وإصلاح الخلل. وهي تعلم أن أغلب بيوتاتنا الجزائرية المحترمة باسم العلم والدِّين قد احترفت ذلك الاحترام احترافًا عاد على ديننا بالتحريف، وعلى علمنا بالجمود، وعلى تاريخنا بالتشويه.

فإن كان شُرفاء بني تروال من النادر القليل لم يضرّهم عند الله وعند العقلاء ما كُتب عنهم. وإن كانوا كما وصفوا فلا نروّج حميّة الجاهلية.

أمّا أُجرة النشر في «البصائر» فهي الصدق وتوخّي المصلحة العامة[1].

---

(١) «البصائر»: العدد (١٧٩)، بدون إمضاء.



إلى الشباب!!

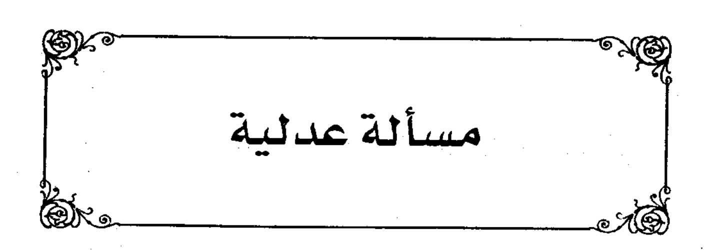
أديبنا الفاضل[1] صاحب الإمضاء أهل أن يُدعى «شاعر الشباب» لو كان لنا مجلس أدبي يعطي الأدباء ألقابا شرفية عن جدارة.

أمَّا أنا فإنَّني معجب بلغته وشعوره، وآمل فيه لأدبنا خيرًا[2].

---

(١) هو الشيخ الفاضل، الأديب الشاعر: أحمد سحنون، رحمه الله تعالى.

(٢) «البصائر»: العدد (١٧٩)، بدون إمضاء.

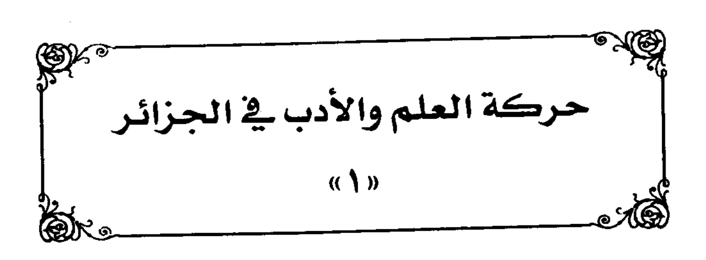


مسألة عدلية

جاءنا من «سعيدة» استفتاء عن حظّ عجوز من زوجها تغلّب عليه أحدُ الآغوَات، فهل لأقرباء تلك العجوز القيام عنها بغير إذنها بمطالبة ذلك الآغة؟

ونجيب حضرة السائل بأنّا لا نتدخل في مسائل النِّزاع الشخصي إلَّا بتحكيم الطَّرفين ورضاهما[(١)].

(١) «البصائر»: العدد (١٨٠)، بدون إمضاء.



حركة العلم والأدب في الجزائر

«١»

«فضيلة الأستاذ الجليل الشيخ مبارك الميلي أحد أعلام النهضة العلمية والأدبية بالجزائر، وهو مؤلف كتاب (تاريخ الجزائر) الذي سبق أن حلله المحرِّر في أحد أجزاء «المنهل» السابقة، وقد جادت قريحته الفياضة بهذا المقال الممتع الطريف، الذي ننشره شاكرين له غيرته وتشجيعه وعنايته»[1].

ـ المحرّر ـ

* * *

لم أر مثل الأستاذ عبد القدوس الأنصاري «دكتاتورًا» محبوبًا: يجلس على كرسيّه بإدارة «المنهل» العذب، ويخلو بخياله المنير للحقائق يستثير به المواضيع المُجدية على النهضة العربية، ثم يتقدّم بها على قُراء منهله ليحرّروها، فلا يسعهم سكوت عنه، ولا اعتذار له.

وقد أملى عليّ ذلك الأخ العنوان أعلاه لأكتب تحته مقالاً غير مقدّر الصفحات، في استعجال غير محدد الأجل، إلى حرص غير مبرر للاعتذار.

إني أقدّر في الأخ الكريم العبقرية العربية، واللّطافة الحجازية، والنبعة

(١) ما بين «...» تقديم من محرّر مجلة «المنهل».

الأنصارية، فلا يسعني التقصير معه، وإن كنت أودّ لو كلّف بهذا الأمر من يجلوه أحسن مني، أو عهد إلي بإرشاده إلى الأقلام المبرّزة في هذا الميدان، وإن تقديري للأخ، مع علمي بنفسي، وإخلاصي لوطني والحقيقة، يجعلني أوثر الاعتذار للوطن المحبوب أن أبخسه حقّه، وللواقع المحترم أن أقصّر في تصويره.

الجزائر قطعة كريمة من المغرب، وطننا الكبير الواقع على البحر الأبيض المتوسط مركب الحضارة الشرقية قديماً.

وإذن، العلم والأدب بالجزائر قديمان بقدم حضارة ذلك البحر، لكنهما معرّضان لما يعرض لوسائل الحياة ودلائل النظام ونتاج الاجتماع من قوة وضعف، وإحكام وانحلال، وازدهار وذبول.

والجزائر العربية الإسلامية، هي همزة الوصل بين دمشق وبغداد والقاهرة شرقًا، وقرطبة وإشبيلية وغرناطة غربًا، وهي بالمغرب بين كلّيتيه: جامع الزيتونة شرقًا وجامع القرويين غربًا، وهما أقدم كليات العالم الإسلامي، وإذا شرف شرقي المغرب بالقيروان وتونس، وغربيه بفاس ومراكش، ففي وسطه الجزائر، بجاية وتلمسان فما دونهما مثل تيهرت الرستمية، والقلعة الحمادية، وقسنطينة الحفصية، والجزائر التركية.

ولتنزّل الجزائر من جاراتها برّا وبحرًا، قُربًا وبُعدًا، منزلة همزة الوصل، سهل عليها تحمّل أمانة العلم وأداء رسالة الأدب، ثم عوملت معاملتها، فيعتدّ بها بنسبة علمائها وأدبائها إليها تارة، فتجد منهم البجائي والزواوي، والتاهرتي، والتلمساني، وغيرهم، وتسقط تارة أخرى فلا ينسب إليها بعض أبنائها، أو من أطال استيطانها.

هذا عبد الحق الإشبيلي لا يزال مسجده من القرن السادس حتى اليوم معروفًا،

كان سلفيًا في الاعتقادات، مالكيًا في العبادات، وكذلك كانت دولة المرابطين التي سقطت لعهده، وحاول إحياءها بما أغضب عليه الموحّدين الذين أسّسوا دولتهم على أنقاضها، وكانوا يمزجون في الاعتقادات بين الأشعرية والرافضية، وفي العبادات بين الشافعية والظاهرية، وكاد غضبهم ينتهي إلى سفك دمه ولكنّ الله سلّم.

وهذا أبو بكر ابن سيّد الناس، عالم بجاية ومحدّثها في القرن السابع، انتهى ذكره إلى الملك الحفصي بتونس فاستدعاه لحضرته، ولأول مقابلته تلا عليه: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي ذلك الأمر شهادة بشجاعة قلبه وعزّة نفسه، إذ لفت نظر الملِك إلى تلك الأخلاق العالية التي لا تطيب نفسه لمعاشرته بدونها.

وهذا ابن رشيق القيرواني الأديب الشهير، هو من أبناء المسيلة إحدى مدن الجزائر التي وسعت ابن هانيء لما ضاقت به الأندلس.

ثم هذا ابن خلدون، التونسي المولد والطلب، نراه يضطرب بالمغرب، ويعمل بالجزائر، وينزل صغار قُراها فيضع مقدّمته التي أربت شهرتها على شهرة تاريخه القيِّم.

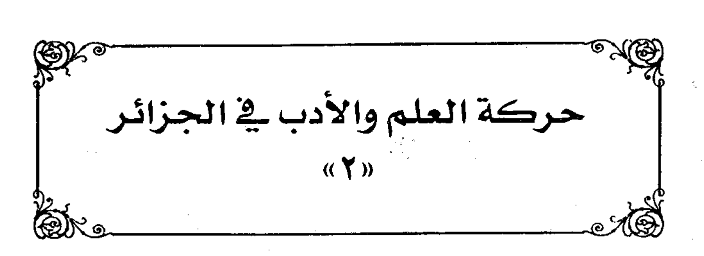
هذه لفتة إلى الماضي المعلوم، تشهد للجزائر بأنها منبت رجال، ومعدن نبوغ، ومطلع بدور، وتلك معجزة المغرب المتقدم، ومقرعة المغرب المتأخر[1].

ميلة ـ الجزائر

مبارك الميلي

---

(١) مجلة «المنهل»: م٣، ج٨، الصادر في رجب ١٣٥٨هـ، أغسطس ١٩٣٩م.



حركة العلم والأدب في الجزائر
«٢»

لم يقف تاريخ الجزائر حيث وقف ابن خلدون، وإن وقفت الأقلام بعده عن وصل عمله بحلقات من نوع سلسلته، وذلك مظهر من مظاهر تدلّيه.

حقًّا إن حركة العلم والأدب لم تنقطع من الجزائر ، بعد عصر ابن خلدون، ولكن اعتراها الجمود والشلل، وأصابتها طبيعة الانحطاط المطّرد، من تغنٍّ بفضل السابق على اللاّحق تغنيًا مشعرًا بأنّ ذلك الفضل وهبي لا كسبي، وإعجاب من المتأخّر بالمتقدّم إعجابًا مُيئِّسًا من بلوغ درجته، وإكبار الخلف للسلف إكبار تقديس في غير اقتداء.

لعلّ الأخ الكريم يريد بحركة العلم والأدب، الحركة الحاضرة، ولكن الحاضر إنما يُبنى على الماضي، والذي تريد مدحه إن لم تجد فيه نعوتًا حقيقيةً نعتّه بِنُعوتٍ سببية، على أن للنّعت السببيّ فائدة التذكير الموقظ للشعور، الباعث للعزائم المؤيّدة للنصيحة.

إن حركة العلم والأدب في العصر الحاضر تمتد في ماضيها نحو سبعين سنة يمثلها في نظرنا دوران: الدور المجّاوي القروي، والدور الباديسي الزيتوني.

ولزهادة كتّابنا في هذه المباحث كان هذا التحديد والتسمية من وضعنا في هذا المقال.

المجّاوي هو الشيخ عبد القادر المجّاوي، ومجّاوة من قُرى تلمسان، تعلّم بمسقط رأسه ورحل إلى فاس، وجلس للاستفادة والاستزادة أمام شيوخ جامع (القرويين) ثم عاد، وزار قسنطينة، فاستقرّ بها للتدريس والتصنيف واشتهر ذكره، فأَمَّه الطلبة من البوادي، وكان يحمل العلوم المقروءة بالقرويين يدرّسها بأسلوب يُقرِّبها من فهم البليد، فكثر تلاميذه لذلك، ثم توظّف عند الحكومة في التعليم الرسمي بقسنطينة ثم بالجزائر: واتفق أن زار بعد ذلك قسنطينة، فتوفي بها ودفن في مقبرتها العامة رَحِمَهُ اللَّهُ.

ومصادر التعليم في الدور (المجّاوي) ثلاثة نرتّبها حسب ترتيب أهميتها في نظرنا:

المصدر الأول: التعليم الرسمي، مقسم إلى ثلاث درجات:

الدرجة الابتدائية: لها شيوخ في مساجد مخصوصة بمدن الوطن وبعض قُراه، وليست له مدة مضبوطة وإنما يُحدّ بالامتحان.

والدرجة الثانية: لها ثلاث مدارس بقسنطينة وتلمسان والجزائر، تقبل عددًا معينًا تنفق عليه الحكومة، وسنواتها أربع ينتقل فيها من سنة إلى أخرى بالامتحان.

والدرجة العالية لها قسم واحد في الوطن بمدرسة الجزائر، ومدتها سنتان.

والتعليم الرسمي مع كونه نظاميًا ليس فيه تجديد من ناحيته العربية، فكتبه قديمة، وطريقته قديمة.

نعم، تُعلَّم الفرنسية في المدارس الثلاث إلى جانب العربية، فاستفاد التلاميذ

من ناحيتها شيئا من حرية الفكرة، ومقدارا من الشعور، ونصيبا من تقدير الحياة.

وثمرة هذا المصدر هي التوصّل إلى الوظيفة: إمّا العلمية بالتدريس في المساجد ثم المدارس، وإمّا الشرعية بالانتظام في سلك القضاء الإسلامي، وإمّا القانونية فبالوكالة في المحاكم الابتدائية إسلامية ومدنية.

وفائدة العلم والأدب من هذا المصدر هي فائدة الحكومات.

نعم، لكلّ قاعدة شواذّ، ولكلّ عموم خصوص، فهناك من خريجي هذا المصدر من نفع بعلمه، ومن زان القضاء بسيرته، ومن حرك الشعور بأدبه تحريكًا ما.

المصدر الثاني: الزوايا، وهي في القسم القبائلي - ولا سيما زواوة - مؤسسات علمية، وفي غيره مؤسسات طرقية غالبًا.

تدرّس بهذا المصدر كتب خاصّة في الكلام والفقه والعربية، وهو يؤوي من التلاميذ الكثير جدًا، ويزيد على التعليم الرسمي بتحفيظ القرآن وتعليم الرسم المصحفي، وينقص عنه في حرية التفكير وتربية الملكة، ويتفق معه في قلّة الأكفاء من الشيوخ، وضعف مادة التعليم، وجمود الأسلوب، ويخالفه في توجيه خرّيجه، فخرّيج المصدر الرسمي يتّجه غالبًا نحو المادة والعمل لها، وخرّيج المصدر الثاني يتّجه غالبًا نحو الزهادة في الكسب.

وفائدة العلم من هذا المصدر تقديس أهله، وفائدة الأدب تحميس المريدين.

المصدر الثالث: التعليم الشعبي، ويكاد ينحصر في تحفيظ القرآن وتعليم رسمه. وهو في هذا أكثر تلاميذ، وأعمّ مراكز، تجده بالمدن والقُرى والبوادي.

أما تعليم العلوم فلا تبلغ مراكزه بالوطن كله العشرة فيما أرى.

والتعليم الشعبي يتقاضى معلّمه أُجرته من جماعة لا يد للزاوية في تكوينها، ولا نظام لها في جلساتها وماليتها بل يجتمعون عندما تكون للمعلّم حاجة إلى جمعهم، ويقبض المال من كلّ واحد منهم المعلّم نفسه.

وليس لتعليم الزاوية والجماعة مستقبل ينتظر خرّيجه، ولا امتحان يكشف عن حال المتعلّم، وإنما يتخرّج متخرّجه باجتهاد الشيخ وإذنه فيأخذ في البحث عن عمل، فلا يجد عند الشعب والزاوية لمهمته محلاً إلاّ قليلاً، ثم لا يجد إلاّ الحَزابة والإمامة والإفتاء ، وهي وظائف محدودة العدد ، والحزابة تلاوة حزب مقدّر في وقت معيّن بمسجد خاصّ.

إنّ دراسة هذا الدور المجّاوي تنتج أنه لا يختلف عن أدوار الانحطاط قبله إلاّ في التعليم الرسمي، وإنما أضفناه إلى هذا الشيخ لكثرة تلاميذه فيه لا سيما بعمل قسنطينة. وقد كان لعهده شيوخ علم وتعليم، ولكنهم لم ينتجوا إنتاجه ولا شهروا شهرته.

وقطعنا هذا الدور عمّا قبله لأن نبغاء الأدوار السابقة عليه لم تتصل معهم نهضة يعدّون نواة لها، أما الدور المجاوي فقد اتصل بالدور الباديسي دور اليقظة والنهوض.

وأشهر علماء هذا الدور الشيخ حمدان الونيسي القسنطيني الذي هاجر إلى المدينة المنورة، وتوفي فيها رَحِمَهُ اللَّهُ. وهو من تلاميذ الشيخ المجاوي.

وأشهر أدبائه ولكن من غير تلاميذ المجاوي الشيخ عاشور الخنقي من (خنقة سيدي ناجي) على أبواب صحراء قسنطينة، كان هجاء بليغا قلما يجيد في الثناء، قوياً قريضه، ضعيفا نثيره. ولم يُدوَّن من شعره الكثير القصائد، القليل الأغراض الأدبية،

إلاَّ ما دوَّنه هو بنفسه في سِفْرٍ لطيف. وهو خاصّ بقضية (الشيخ صالح بن مهنا) الذي حمل حملة علمية أثرية على الطرقية ومدّعي الشرف.

وقد سمّى سِفره ذلك «منار الأشراف على فضل عُصَاة الأشراف ومواليهم من الأطراف»، نهض لنقضه منافسه على زاوية (الهامل) الشيخ محمد بن عبد الرحمن الديسي، من جنوب عمل الجزائر، وسمّى نقضه «هدم المنار وكشف العوار».

ويغلب على هذا الدور التقرب من الزوايا أو التسليم لشيوخها أحياء أو موتى.

وكان الشيخ الصالح بن مهنا رَحِمَهُ اللَّهُ ممن ارتحل إلى المشرق وقرأ بالأزهر، فلما عاد إلى قسنطينة وولي إمامة جامعها الكبير أعلن نكيره على العجزة من أبناء الأشراف والزوايا وعلى القضاة في حكمهم بما في الأعمال السياسية وإن خالف الثابت في «الصحيحين». فلقي في ذلك عن الشيخ المجاوي وتلاميذه والشيخ عاشور ومغريه ما لا قِبل لأحدٍ به، ولم يجد معه غير فؤاده المشيع وقلمه المصمّى، فلقد كان كاتبًا بليغًا ومحدِّثًا فقيهًا.

ولم يترك لنا هذا الدور من الآثار القلمية المعبّرة عن روح عصره غير ما كتب في هذه القضية. وما عداه من التأليف والقصائد تقول فيها الأدوار السابقة «هذه بضاعتنا ردّت إلينا».

ومادة التدريس في هذا الدور هي مادة المتن والشرح والحاشية، فإن كان للحاشية تقارير فتلك سدرة المنتهى، ومادة التذكير والوعظ هي كتب المناقب والرقائق.

أما التفسير والحديث فهما محترمان احترام الخليفة العباسي القائل:

أليس من العجائب أن مثلي ... يرى ما قلّ ممتنعًا عليه
وتُؤخذ باسمه الدنيا جميعًا ... وما من ذاك شيء في يديه
إليه تُحمل الأموالُ طُرًّا ... ويمنع بعض ما يُجبى إليه

تراهم حتى القادرين منهم على فهم التفسير والحديث وتفهيمهما يكبرون تدريسهما وتحكيمهما إكبارًا منفرًا لمتبعيهم عنهما، وقادحًا في ديانة من لا يقلّدهم في الإعراض عنهما.

والشيخ المهدي الوزّاني[1] رَحِمَهُ اللهُ من علماء فاس وممن شارك في الحملة على ابن مهنا ، كتب رسالة في (السدل) ينقض بها رسالة الشيخ مكي بن عزوز ـ رحمه الله ـ في (القبض)، وجاء فيها بحديث زعمه دليلاً للسدل ومعارضًا راجحًا لدليل القبض، ثم اعتذر بأنه إنما استدل بالحديث مجاراةً للخصم.

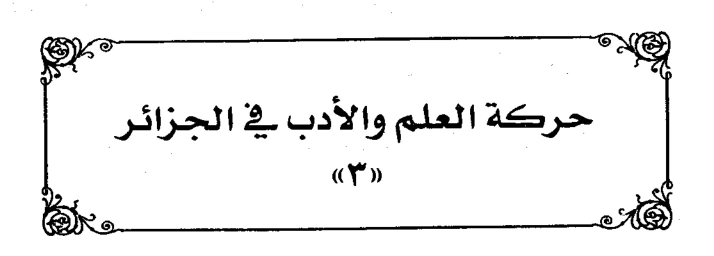
ولا ندع هذا الدور حتى نسجّل أن حركة التعليم به دون حاجة الشعب، فنسبة متعلّمي الكتابة إلى الأُميين نسبة ضئيلة مخجلة.

وهنا ندع الدور المجاوي معتقدين أننا عرضناه عرضًا يصوّر لنا مبلغ حركته في العلم والأدب، ويقف بنا على ما استعادته الجزائر من جامع القرويين إجمالاً[2].

ميلة ـ الجزائر ... مبارك الميلي

(١) توفي سنة (١٣٤٢هـ ـ ١٩٢٦م)، من مؤلّفاته: «السّيف المسلول باليد اليمنى في الرَّدِّ على ابن مهنى». «الأعلام» (٧/ ١١٤)

(٢) مجلة «المنهل»: م٣ ، ج٩، الصادر في شعبان ١٣٥٨هـ، سبتمبر ١٩٣٩م.



حركة العلم والأدب في الجزائر

«٣»

فأما الدور الذي يليه فإمامه هو الأستاذ الجليل الشيخ عبد الحميد بن باديس القسنطيني، عريق في المجد، مجد العلم والرياسة. أخذ بها عن الشيخ حمدان الونيسي، وأتم معلوماته بجامع الزيتونة، وحصل على شهادته بنوعيها: نوع العلوم ونوع التجويد، وعلّم بها على طريقته ونظامه، فجمع به بين التحصيل والتمثيل.

ثم رجع إلى قسنطينة فعكف على التعليم، مع دؤوب على المطالعة وعناية بصناعة التدريس، فاكتسب فقهًا في معارفه الدينية واللسانية، وسَعةً بذكائه وعلمه، واختص بطريقة في التدريس تجمع بين فصاحة التعبير ومنطقية الترتيب، إلى حذق في شرح غوامض العبارات وتجلية دقائق المعاني، ولا أجد من أشبّهه به في فقه اللغة وأسرار الدِّين وفي صناعة التدريس إلا أعلام العهد الأندلسي.

انتصب في قسنطينة مدرّسًا متبرّعًا بعلمه، واشتهر علمه، فهرع إليه الطلبة من الآفاق البعيدة، وعادت قسنطينة تزخر بملتمسي العلم أكثر مما بلغته في العهد المجاوي، إذ حصلت فيها فترة بعد انتقال المجاوي إلى الجزائر وقبل عودة ابن باديس، وكانت فترة بين حركتين أدركهما الناس جميعًا، فقارنوا بينهما، وسمعنا من

عامتهم تفضيل هذا الدور لأول عهدهم به. ومن هنا جعلنا نحن هذين الرجلين عَلَمين لهذين الدورين من حركة التعليم.

انقطع ابن باديس للتعليم عشر سنوات هزّت الوطن هزّة مبشرة، ثم شفع تعليمه المسجدي تهذيب الشعب عن طريق الصحافة، فكان عمله الصحافي أوسع صدًى وأعمق أثرًا.

وقد كانت الصحافة قبله مثل الخطابة الجمعية، من جمع فيها بين فصاحة اللسان وغناء السجع فقد أدى واجبه. أما التأثّر والتأثير المقصودان من كلّ كلام فلا ظلّ لهما يومئذ عند كُتابنا وخُطبائنا.

ولما تأسست «جمعية العلماء» انتُخِب لرئاستها ولا يزال رئيسها، أمد الله في حياته، فنهض بها؛ نهضة ثبتتها على خطتها، وسيّرتها نحو غايتها سيرًا حثيثًا، والمطلع على الزوابع التي ثارت على هاته «الجمعية» لنفسها[1] يعجب لمحافظة رئيسها على بقائها، فضلاً عن تقوية حيويتها.

هذه ميادين ثلاثة: ميدان الدرس العلمي، ميدان القلم الصحافي، وميدان الجمعية النظامي، قد قام ابن باديس في كلّ منها بواجبه، كأن لا مزاحمة بينها على شخصه الضعيف، فقدّم عن طريقها لشعب الجزائر خدمات جليلة نهضت به نهوضًا لا انتكاس بعده إن شاء الله، فكناه إخوانه لذلك «أبا النهضة الجزائرية»، وهي تكنية تدل على شكر الشعب لمنقذه، وما الشكر إلا معرفة النعمة والقيام بحقها اعترافًا وامتثالاً، وفي ذلك حجة المتفائلين بحياة الجزائر.

---

(١) كذا في الأصل!

وبعد، فلسنا نقصد إلى ترجمة الأستاذ، وإنما أجملنا من حياته ما لا بدّ منه لعرض الموضوع.

مصادر التعليم في هذا الدور هي مصادره فيما قبله، لكنها تغيرت أهميتها، فالتعليم الرسمي فقد أغلب شيوخه الكبار ممن يراهم الناس أهل صلاح ووقار، فضعفت منزلته في المجتمع، فلما كشفت النهضة الحديثة عن اهتمام الشعب بالتعليم الحر، زاحمها التعليم الرسمي بزيادة مراكزه لكنها زيادة مادية لم تُعِد لذلك التعليم منزلته الأدبية.

وأُصيبَ تعليم الزوايا في كميته وكيفيته بانصراف رؤسائها إلى التسابق في تضخيم الثروة، والتنافس في التقرب من الحكام وإعداد العُدَّة لإضافتهم اكتسابًا لقوة مادية تسدّ الفراغ الذي حصل لهم عند العامة من تقصيرهم عن سلفهم في التّدين وفعل الخير.

وعادت الأهمية للتعليم الشعبي، ونفصله إلى ثلاثة أنواع:

الأول : تعليم الكتاتيب القرآنية، وهو طراز قديم وبقية مما تركت الأجيال الغابرة، ويوجد في البوادي والحواضر.

وقد زاحمته المكاتب الفرنسية ذات الأنظمة الحديثة المريحة للتلميذ في جلسته، والجاذبة بهندستها لرغبته، والمزيلة بتربية معلّمها لدهشته، ثم الآخذة بقانونها الإجباري لأهم وقته، فضعفت منزلة الكتاتيب في هذا الدور لذلك وكادت تعدم فائدتها.

الثاني: التعليم المسجدي، وهو للطلبة وللعامة.

فأما العامة فكانوا يحضرون المسجد إمَّا لطلب الاعتقادات من كُتب الكلام أمثال (صغرى السنوسي)، وإما لمعرفة العبادات من كتب الفقه كـ (ابن عاشر وخليل).

وفي هذا الدور أصبحوا يحضرونه لمعرفة الاعتقادات من آيات الله، ولمعرفة العبادات من كتب السنة كالموطأ، ولمعرفة الشمائل من «شمائل الترمذي» أو «الشفاء»، ولِسماع العظات من القرآن والحديث.

فالتعليم المسجدي اليوم يقوم على الكِتاب والسُّنَّة من غير أن يحارب كتب الكلام والفقه، وإنما يحارب كتب المناقب والرقائق المحشوة بالموضوعات والأساطير.

والتعليم المسجدي ليس بجديد وإنما الجديد فيه دراسة الكِتاب والسُّنَّة وتوجيه العامة إليهما في اعتقاداتها وعباداتها وسلوكها.

وأما الطلبة المسجديون فقد نُظِّموا في هذا الدور تنظيماً يميّز كلّ طبقة من أخرى ويعطيها من المعلومات ما يناسبها. ولا تزال مادة تعليمه المتن والشرح غالبا؛ ولكن أسلوبه لم يبق على ما كان عليه، فقد صار المعلّم يشرح المسألة العلمية مستقلة ثم يعود إلى عبارة المؤلف لينزّلها عليها ويبيّن وفاءها أو قصورها.

الثالث: التعليم المدرسي، وهو خاص بالصغار ومنظّم تنظيمًا حديثًا في مكانه، ومادته، وطبقاته، وأسلوبه. فإذا دخل التلميذ المدرسة وهو من تلاميذ الفرنسية أيضًا لم يجد فارقًا ينقص من قيمة المدرسة في نفسه، بل قد يؤثرها على المكتب الفرنسي، فقد لاحظتُ وأنا مدير مدرسة (الأغواط) أنَّ مِن التلاميذ مَن يكثرون

التخلّف عن المكتب الفرنسي ولا يتأخرون عن المدرسة.

وقد انتشر التعليم المدرسي في هذا الدور بالحواضر والقُرى وأخذ يدخل البوادي، ولولا العرقلة لعم الوطن كلّه، ولأصبحنا في أزمة تعليمية من قلّة المعلّمين لا من زهد المتعلّمين.

وهذا الاندفاع للتعليم المدرسي الحرّ سببه تمسّك الشعب بإسلامه وعروبته ومشاهدته لقرب النتائج ويسر الثمرات، أما مستقبل المتعلّم فموكول إلى الأقدار.

على أن التعليم المدرسي لا يزال ابتدائيًا وغير مؤثّر في الأمة تأثيرًا بيّنًا.

والتلميذ المستغني عن المدرسة الحرة إذا أراد مواصلة سيره نحو الوظيفة التحق بالمدارس الرسمية، وإذا أراد تكميل معلوماته الإسلامية التحق بجامع الزيتونة. وقد يكون في الطرف الغربي، فيذهب إلى جامع القرويين.

ولا يزال التعليم، مسجديًا أو مدرسيًا، في حاجة إلى التنظيم والتحسين والتوسيع. ومنذ تأسست (جمعية العلماء) اهتمّت بالأمر، فشكّلت في عامها الأول لجانًا علمية وأدبية ووعظية، مزجت فيها بين العالم المصلح والطرقي ثقة منها بأن المفكّر هو الذي يؤثّر في الجامد، ولم تخش داء الجمود أن يصيب المصلح، على خلاف قول الأوّل:

ولا ينفع الجرباءَ قُربُ سليمةٍ إليها ولكن السليمةَ تجربُ

غير أن هذا المزج قعد بالمشروع في مكانه، وجاءت فتن الطرقية للاستحواذ على الجمعية فنفتهم عنها، وتوجّهوا للحكومة يكيدون عندها للجمعية، وحاولت الجمعية مرارًا تنفيذ المشروع فأعادت النظر فيه وعقدت المؤتمرات، وشكّلت

اللّجان، ولكن قلّة المال وكثرة المشاغبات وحدوث الحركة، كل أولئك عسّر التنفيذ وزهّد شباب العلماء في المغامرة، ولولا رجال صدقوا ما عهدوا الله عليه لارتكست الحركة وكان رد فعل، لكنها ـ ولله الحمد ـ ثبتت ولم تقف في مكانها غير أن سيرها الآن بطيء، ولعلّ في هذا البطء تمكينًا لها.

وإنّ من مميزات هذا الدور أن أصبح العِلمُ مبنيًا على الدليل، والأدبُ مشاركًا في الحياة معبّرًا عن روح العصر في عرض رغائبها وتسجيل حوادثها، وأن أصبح المتعلّم والمتأدّب متّجهين إلى خدمة المجتمع بالوعظ والتذكير والتربية والتعليم، وتناول الحسن والقبيح بالتصوير، وأن اتّجه الشعب نحو كِتابه وحديث رسوله يرجع إليهما في وزن عقائده، ويأخذ بهما في صور عبادته، وأن تضاءلت الطرقية أمام حركة الإصلاح تضاؤلاً فقدت به قوتها الايجابية لحماية نفسها، وأن وجدت متكأً قوّى ناحيتها السلبية في معارضة نحو الحركة الإصلاحية من ناحيتها العلمية والأدبية، والسلب عمل الضعيف.

وكشف هذا الدور عن موهبة الجزائري في ميادين الخطابة والصحافة والتأليف، فظهر خطباء ارتجاليون مقتدرون على إقناع السامعين بنظراتهم وآرائهم، ورأينا كُتابًا موفّقين في تفكيرهم، محسنين في تعبيرهم، وقرأنا تآليف مهذبة في التاريخ والأدب وغيرهما.

على أنّ فُشُوَّ الأُمِّية، وعوارض كلّ حركة حديثة، مما يجعل موهبة الجزائري فوق ما حصل عنها الآن، فالخطابة تعوزها حرية الاجتماع والتفكير، والصحافة تنقصها حرية النشر ووجود الشركات، والتأليف يقعد به قلة المطابع وكثرة النفقات

وضعف الرغبات.

إن هذا الدور خير مما قبله بدرجات تفوق درجات الجماعة على الفذّ، ولكنه لم يفقد كلّ العيوب فيما قبله.

وقد كان لهذا التطوّر عوامل وأسباب عامة وخاصة، وأخصّها وأمسّها بالموضوع هو أن قيادته بيد خريجي جامع الزيتونة الذي أقبل الجزائريون عليه إقبالاً لا يقارنه إلاّ إقبالهم على الجامع الأخضر بقسنطينة، حيث يعلّم إمام هذا الدور الأستاذ عبد الحميد بن باديس، على أن الجامع الأخضر ينتسب في عهده هذا إلى جامع الزيتونة.

رجحتْ في هذا الدور كِفّة جامع الزيتونة على كِفّة جامع القرويين، فقسنطينة المتصلة بتونس هي رأس الحركة الحاضرة ومعدنها. والجهات الغربية من عمل الجزائر ووهران قد تعرّفت أيضا إلى جامع الزيتونة، ولم يبق للقرويين إلاّ بعض الطلبة على حدود فاس قعد بهم عن جامع الزيتونة ما قعد قبلُ بسحنون عن إدراك مالك[1].

ومما بقي من آثار الدور القديم فقد الأدب لاستقلاله عن العلم الديني، فما زال الأديب مراعى فيه وقار العلماء وعفافهم، ولو أن هذه المراعاة تخرّج لنا أدباء متدينين لكانت الخسارة على الأدب وحده، ولكنها تجعل مبالغات الأديب حقائق، وتصوراته فتاوى، ومدائحه عقائد، فكانت الخسارة علمية دينية أدبية.

نعم، لنا أدباء صدقوا تدينهم، وأخلصوا في تصوير شعورهم، ولم يزالوا في

---

(١) يعني الفقر كما في «الدِّيباج» (ص٢٨٦).

عنفوان شبابهم، فمثلهم من يرجى لخدمة مجتمع لا يفرق جمهوره بين العربية والإسلام، ولا بين الشعور والاعتقاد، ولا بين الخيال والواقع.

وإذا كانت حركتنا حديثة فلا يضيرها أن توحّد بين العلم والأدب، فإن الاستقلال إنما يكون بالتخصّص، والتخصّص آية اكتمال الحركة ونضوجها[1].

ميلة - الجزائر　　　　مبارك الميلي

(١) مجلة «المنهل»: م٣، ج١٠، الصادر في رمضان ١٣٥٨هـ أكتوبر ١٩٣٩م.

تقريظ الشيخ مبارك الميلي
لكتاب: «المتوسط الكافي في علمي العَروض والقوافي»
تأليف: موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ في الجزائر خاصّة وفي الشمال الإفريقي عامّة ثروةً فكريةً لو وجدت جوًّا صافيًا من الحرية، وإنّ في بنيها مواهب فطرية لو كان لها سند من المعارف الكسبية، وإنّ في نفوس ذويها لَوَثَبَاتٍ في صالح العمل لولا عراقيل تطفئ نور الأمل.

على أنّ هناك من أبناء هذا الإقليم شواذ خرجوا عن طبائع الاستعباد ولم يقفوا في معارفهم على ما وُجد من ثماد، ولم يضعف إيمانهم أمام أنواع العراقيل فكانوا مثالاً صالحًا، وقدوةً حسنةً، وحُجَّةً ناهضةً للمتفائلين والظانّين بالطينة المغربية خيرًا.

ومن أولئك الشواذ الشاب الأديب الفاضل موسى بن محمد بن الملياني الأحمدي المعلّم ببرج بوعريريج، وواضع كتاب «المتوسط الكافي في علمي العَروض والقوافي».

ذلكم الكتاب الجامع بين قواعد العلم وأفانين الأدب وطابع التجديد في العرض، وهو جمع يَنِمُّ عن جِدٍّ في البحث وجودة في اختيار النقل، وعناية بالقارئ، فهو كتاب تعليم وتأديب وتربية خلق.

اشترط مؤلفنا في ديباجة كتابه شروطًا، وقد أداها أحسن تأدية، ووفّى بوعده أيّ توفية، في حين أن كُتّاب هذا العصر أغلبهم لا يراعي في كتابه ما قطعه على نفسه في طالعته، وذلك آيةُ معرفته بالحسن وكسلُه عن كسبه.

وقد كتب عن أمثال ذلكم الرهطِ الكثيرِ في الكُتَّابِ السيدُ المنفلوطي كلمتَه «خِداع العناوين».

ولكي يكون رأيُنا في الكتاب خالصًا من الهوى ـ ولا سبب هنا للهوى ـ أجدني مضطرًا لإبداء عيب فيه لا ينقص رأيَنا في الإعجاب به... ذلكم العيب هو إغفال الأدب الفاسي والجزائري والتونسي في شواهد الكتاب، وما ذُكر فيه من أدب تونسي فهو قليل وقاصر على أديب واحد.

وإلى هذا الإغفال أهمل كُتبَ العَروضِ والأدبِ الموضوعة بأقلام مغربنا عند ذكر مصادر الكتاب.

والزهد في الإنتاج المغربي عيب قديم في أُدبائنا.

فهذا صاحب «العقد الفريد»[1] مَلأَهُ من الأدب المشرقي حتى قال الصاحب بن عباد لما اطّلع عليه ـ و كان ينتظر أدبًا مغربيًا ـ مقتبسًا: «هذه بضاعتنا رُدَّتْ إلينا».

---

(١) هو ابن عبد ربّه الأندلسي، المتوفى سنة (٣٢٨هـ).

وهذا الحُصري[1] في كتاب «زهر الآداب» لا يكاد يذكر فيه أدبًا مغربيًا.

وقِدَمُ هذا العيب في كُتَّابنا إن وجد فيه كاتبُنا تأسيًا لا نراه شفيعًا مقبولاً، واللائق بنا أن نحرّر أنفسنا من تراث ينسى أنفسنا ويشلّ نشاط العاملين منا، ويزهّد أعقابنا فينا.

وختامًا أرجو لكاتبنا مستقبلاً عامرًا بالباقيات الصالحات، وأن يكون عمله هذا حافزًا لنفوس شبابنا المثقف على العمل المفيد، والسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين[2].

وكتبه مبارك بن محمد الميلي

يوم الأربعاء: ٣/ ١٠/ ١٣٦٣ هـ

---

(١) نسبة إلى عمل الحُصْر وبيعها، الأديب النقاد أبو إسحاق إبراهيم بن علي القيرواني، المتوفى سنة (٤٥٣هـ). «سير أعلام النبلاء» (١٨/ ١٣٩) و«الأعلام» (١/ ٥٠).

(٢) «المتوسط الكافي» (ص ٩ـ١١) لموسى الأحمدي.



الـمـلاحـق



الخميس ١٤ صفر ١٣٤٤ — ٣ سبتمبر ١٩٢٥ — المنتقد جريدة حرة وطنية — ثمن العدد ٢٠ صانتيما — السنة الاولى العدد ١

المنتقد

الرسائل والمكاتبات

الاشتراكات والاعلانات

جريدة سياسية تهذيبية انتقادية - شعارها: الحق فوق كل احد والوطن قبل كل شيء

تصدرها نخبة من الشبيبة الجزائرية

صبيحة الخميس من كل اسبوع

EL-MOUNTAKID

BOUCHMEL AHMED

Administrateur

CONSTANTINE

Le Gérant

Amor ben Ahmed

هل نحن في بداية نهضة ؟؟!!

الاسبوعيات

الاحلام الطائشة

صورة عن مقال «هل نحن في بداية نهضة» للشيخ مبارك الميلي في جريدة «المنتقد»

محاضرة فى السرف المالى

معناه . ذمه . الوعيد عليه . عاقبته . حده فى المحرم . في المندوب . في المباح .
من وجوهه الصداق . الوليمة . المضيمة . الضيافه . الهدية . موازنة بينه وبين الاقتصاد ،
كيفية مقاومته ، طرق المقاومة ،

ألقاها الأستاذ مبارك بن محمد الميلي
العضو بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين
فى اجتماعها العام المنعقد بنادي الترقي من
مدينة الجزائر يوم الاثنين مساء
١٧ جمادى الاخيرة ١٧ شتنبر
سنة ١٣٥٤ هـ / ١٩٣٥

الحمد لله الذي جعل الاسلام دينا وسطا ، لا ناقصا عن حد الاعتدال ولا ذاهبا عنه شططا. نحمده ان جعلنا من أهله وجنوده . ونسأله التوفيق للعمل بآدابه والوقوف عند حدوده

ثم الصلاة والسلام على خاتم النبيئين ، وأول المسلمين، القائل وقوله الجد : « ما عال من اقتصد » . وعلى آله واصحابه الذين نصروه بحسن الانقياد . ونشروا دعوته بالحكمة والسداد . وعلى من تبعهم متخليا من السرف متحليا بالاقتصاد .

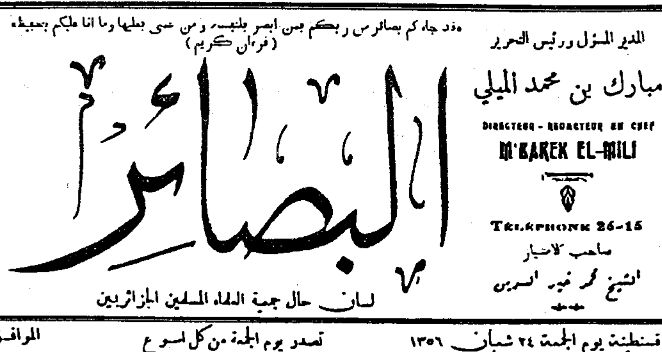
اما بعد فيا أيها الساده . كنتم لمن خلفكم خير قاده . ان هذا سوق لا ينفق فيه الا الدين الخالص والارشاد الناضج . وميدان لا يبرز اليه الا من جمع

صورة عن الصفحة الأولى من «محاضرته في السرف المالي» المنشورة في «سجل مؤتمر جمعية العلماء»

السنة الثانية عدد ٨٤ — ثمن النسخة ٥٠ صانتيما — N° 84

المدير المسؤول ورئيس التحرير
مبارك بن محمد الميلي
DIRECTEUR - RÉDACTEUR EN CHEF
M'BAREK EL-MILI
Téléphone 26-15
صاحب الامتياز
الشيخ محمد خير الدين

«قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ» (قرآن كريم)



لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الرسائل
يوجه الى ادارة الجريدة ما يتعلق بها من مقالات ومكاتبات واشتراكات
الاشتراكات
عن سنة ٣٥ ب
عن نصف سنة ٢٥ ب
عن سنة للتلاميذ ٢٥ ب
الادارة
EL-BASSAIR
13, Rue A. Lambert, 13
CONSTANTINE

قسنطينة يوم الجمعة ٢٤ شعبان ١٣٥٦ — تصدر يوم الجمعة من كل اسبوع — الموافق ليوم ٢٩ اكتوبر ١٩٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

انتـــــقال الادارة

الحمد لله يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا . والصلاة والسلام على المبعوث بجوامع الكلم الهادي الى صراط مستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض وعلى آله واصحابه الهادين المهديين والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلّا للذين آمنوا ربنا انك رءوف رحيم

اما بعد فان الحكمة هي العلم الصحيح المثمر للعمل النافع وان صراط الله هو الدين الخالص وان اصل الهداية اليه والاهتداء به بالدعوة الى الله على بصيرة وموالاة السلف الصالح ومصافاة الصدور .

وان الغاية من تأسيس « جمعية العلماء المسلمين الجزائريين » هي اعلان تلك الحكمة وابلاغ ذلك الدين الخالص . وان مبنى خطتها وقوام وسيلتها في الوصول الى غايتها هي الدعوة عن بصيرة والائتساء بمن سبقونا بالايمان وتطهير الصدور من الاحقاد وتحليتها بمحض الوداد

وان من اهم الخطط واعم الوسائل لتحقيق الغايات ونشر الدعوات انشاء الصحف السيارة التي تحفظ جيد الاقوال وسديد الانظار وتدخل بها على الطالب في مسكنه وعلى التاجر في متجره وعلى الصانع في مصنعه وعلى الملا في ناديهم وعلى المسافرين في مراكبهم بل لا يحجبها عن الفتيات خدر ولا حرس ولا يحول بينها وبينهن خفر ولا شرس

وما وجدت فكرة الاصلاح الديني بارض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر عنها وتبشر بها وتدافع دونها . ثم جاءت « جمعية العلماء » فجمعت اشتات العاملين لتلك الفكرة وضمت اليها اطرافا من العاملين فيها ومن العاملين عليها . فثبت من ثبته الله وانخزل من خذله ضعف ايمانه

وفي اواخر السنة الثانية لجمعية استطاعت انشاء صحيفة خادمة لغايتها ناطقة لسانها مبلغة لدعوتها . فعرف لها القراء السنة فالشريعة فالصراط ثم هذه « البصائر »

اختارت ادارة الجمعية لادارة « البصائر » الكاتب المبين والخطيب البليغ والداعية البصير الأستاذ الشيخ « الطيب العقبي » واعتمدت في هذا الاختيار على تلك الصفات التي عرف بها « العقبي » الى ماضيه الصحافي شرقا وغربا . فقد كان بالمشرق من محرري صحيفة « القبلة » بمكة من ارض الحجاز ثم كان بالمغرب مديرا ومحررا لصحيفة « الاصلاح » ببسكرة من مدن الجزائر .

وكانت الظروف التي برزت فيها « البصائر » ظروف انتقال من عصر « م . ميرانت » الشهير بحملاته على جمعية العلماء وبعدائه الشخصي للاستاذ العقبي الى عهد « م . ميو » الذي اظهر نحو الاستاذ عواطف جميلة وفتح اذنيه الجمعية فتحا فتح باب تبادل الثقة وقوى الرجاء في ادبار عصر التشاؤم واقبال عهد التفاؤل .

نظرت الجمعية في اختيارها لادارة البصائر — والحالة تلك — الى كفاءة المدير ومقدرته غير حاسبة حسابا لأشغاله ولا مصغية الى معذرته لحسن ظنها بالعهد الجديد وان مديرنا سيترك لمهنته ويتفرغ لمهنته . ولكن

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

صورة لأول مقال للشيخ في جريدة «البصائر» بعد تسلمه لإدارتها

مدير الجريدة

عن الأعداد

نهج ، الزيبان ، عدد (٢٥) بسكرة (الجزائر)

Directeur Rédacteur gérant

TAIEB EL OKBI

Direction : 25 Route des Zibans BISKRA(algérie

٩ فيفري ١٩٣٠

جريدة إسلامية حرة في مباحثها وهي دينية قبل كل شيء . . . .

• تصدر مرة في الاسبوع •

JOURNAL·EL·ISLAH

الكتاب وقضية التجنس

بقلم العلامة الفيلسوف الاستاذ الميلي

[illegible]

اعرف نفسك بنفسك

جاءنا هذا المقال الجليل من المغرب الاقصى فنشرناه شاكرين فضل كاتبه الذي طرق موضوعا هو من لوازم الاصلاح الهمة ومواضيعه التي يجب على القائمين بهذه الدعوة الاصلاحية العناية بها والنظر بمزيد الاهتمام اليها . قال احسن الله تعالى له المال والمآل :

[illegible]

مبارك بن محمد الميلي

صورة عن مقاله «الكتاب وقضية التجنس» في جريدة «الإصلاح»



تصدرها الجمعية تحت اشراف رئيسها
الاستاذ
عبد الحميد بن باديس

رئيسا تحريرها
الاستاذان
العقبي والزاهري

صاحب الامتياز: احمد بوشمال
تليفون الادارة ١٠٥٥

الشريعة

النبويـــة المحمديـــة

لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ثم جعلناك على شريعة من الامر فاتبعها

من رغب عن سنتي فليس مني

المراسلات
كلها بهذا العنوان

ACH-CHARIA
Journal Religieux
13, rue A. Lambert, 13
CONSTANTINE

الاشتراكات
عن سنة ٣٥ ف
وللتلامذة ٢٥ ف
عن نصف سنة ٢٠ ف

قسنطينة يوم الاثنين ١ ربيع الثاني ١٣٥٢ — تصدر يوم الاثنين من كل اسبوع — Constantine le 24 Juillet 1933

التقرير المالي

عن السنة الثانية

لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

حرره امين مالية الجمعية الاستاذ مبارك الميلي

وتلاه نائبه الدرقي على الجمعية العمومية يوم الثلاثاء ٤ ربيع الاول سنة ١٣٥٢

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الانبياء والمرسلين واكمل ذلك لخاتمهم أفضل الخلق اجمعين وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى اصحابه الهادين المهتدين وعلى من سلك طريقتهم في اتباع الحق ونصرة الدين جعلنا الله واياكم من هؤلاء السالكين.

ثم السلام عليكم ايها الجمع السالم من امراض الاغراض وادواء الاهواء!

السلام عليكم ايها الجمع المبكر (بسكر البنين) = غير المسكر = لقيود الجمود واصنام الاوهام!

السلام عليكم ايها الجمع المرجو لنشر مبدإ الاخوة مقرونا بالنصيحة وتغيير المنكر.

اما بعد فان السعادة مطلب كل عاقل [illegible] واحمق، وانما يمتاز العاقل باصابة سبيلها، اما غيره فتلتبس عليه الطرائق حتى يظن انه على سبيل نجاة وهو على شفا حفرة من الهلاك.

الا وان سبيل السعادة الاستقامة، ووسيلة الاستقامة التربية الحسنة، ولا غنى لبشر عن التربية والتهذيب.

واعلم بان الناس من طينة
يصدق في الثلب لها الثالب
لولا علاج الناس اخلاقهم
اذا لفاح الحمأ اللازب

والرب اول وصف وصف الله به نفسه في فاتحة كتابه العزيز. ولعل وجه اوليته التنبيه على اهمية التربية، وان في تكرار الفاتحة في كل ركعة من صلواتنا ما يحول دون الغفلة عن هذه الاهمية.

والمرء ما دام كلا على غيره [illegible] ولا [illegible] من اهم ما بعد اوليائه [illegible] امر مطالب بتربيته لآية «يا ايها الذين آمنوا قوا انفسكم واهليكم نارا وقودها الناس والحجارة» قال علي بن ابي طالب رضي الله عنه وكرم وجهه مفسرا للآية:

«علموا انفسكم واهليكم الخير وادبوهم»

فاذا بلغ المرء اشده واصبح عضوا عاملا في الهيئة الاجتماعية فان كان عاميا فعليه ان يتطلب اهل العلم لتربيته لآية: «فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون» وان كان عالما فعليه الارشاد وبذل النصيحة للآيات والاحاديث الكثيرة في هذا المعنى.

ولقد كان سلفنا صالحا بهذه التربية ثم خلفتهم اجيال ابعدها عن التربية ابعدها من زمنهم. فكان حظها من الذل والشقاء على نسبة تفريطها في تلك التربية الاسلامية وكانت مصداق آية «فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون».

وقد يعتذر المخذول لقسوة قلبه وفسوق جوارحه بطول العهد وبعده عن السلف الصالح. ولقطع هذا العذر قرن الله على تلك الآية بما يجتذب من اليأس ويبعث على الرجاء. فقال — جلت حكمته —: «اعلموا ان الله يحيي الارض بعد موتها» ولهذا لم تعدم الاجيال البعيدة عن

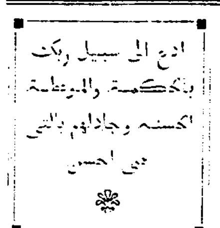
صورة عن مقاله: «التقرير المالي» المنشور في جريدة «الشريعة»

الجزء السادس ج: ٦ م: ١٢ المجلد الثاني عشر

قال هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين



أنشئت سنة ١٣٤٣



قسنطينة | جمادى الاولى وجمادى الثانية ١٣٥٥ هـ | اوت وسبتمبر ١٩٣٦

تعليم المرأة الكتابة

لمؤرخ الجزائر الاستاذ مبارك الميلي

قد اتى على الانسان الجزائري حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا بالعلم الحي والحياة العلمية . وما كان في بعض مدنه وقراه من علم لم يكن له من الحياة ما يقوى به على لفت أنظار العامة اليه وترغيبهم فيه حتى يرضوا به حكما في عقائدهم وعوائدهم . وما كان في مجموع الانسان الجزائري من حياة لم يصحبها من العلم ما يعرف به فضل الانسان على الجماد فلا يخضع له وقوة الحي على الميت فلا يستعين به

والعلم والجهل والحياة والموت كالحركة والسكون واليقظة والنوم ، صفات متقابلة اذا اتصف الانسان بواحدة منها علم أنه لم يتصف بضدها ، واذا عرا عن صفة لم يشك انه لم يعر عن مقابلها فاذا لم يكن الانسان الجزائري في ادوار انحطاطه مذكورا بالعلم الحي والحياة العلمية فهو مذكور بما ينشأ عن الجهل والجمود من قوة الاعتقاد في بعض الاموات وذريتهم وشدة الخضوع لكثير من الصخور . وتلك حياة لا تفترق عن الموت الا بان الميت معذور ولا عذر لمن حيي تلك

295

صورة عن مقال الشيخ: «تعليم المراة الكتابة» المنشور في مجلة «الشهاب»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله الأمين

الأغواط ٧/٧/٤٨

أخي الأعز نابغة العصر وفخر القطر وغوث الوطن
سيدي أحمد توفيق المدني السلام عليكم ورحمة الله
الآن اتصلت برسالتكم الواعدة لي بصدق الإعانة
على مشروع ليس لي من مواده غير العزيمة والشعور بالواجب.
لقد كان لسروري برسالتكم عظيما لا من حيث صدق الوعد
المنبث في جميع حروفها فقط بل من حيث هنائكم أيضا وتبرعكم
بالأعمال المنتجة وقد استشعرت أنكم في سعة وقت وهناء
بال. ومثلكم من نود له بكل قلوبنا راحة من الشواغل لا
للكسل أعاذكم الله - ولكن للعمل الصالح الخالد
لست في حاجة الى أن أبسط لكم ما أقاسيه من قلة المادة
وضيق الوقت وفقد المرشد الى المكان والمعين على التعريب.
فقد رزئت في هذا الجزء بانتقال صديقي عيسى الزكار الى البرج
المنصورة وبعد الأخ محمد هينه الى التعليم. وليس لي سواهما
بهذا البلد.
ها أنا ذا قد شرعت في الحديث عن دولة الحماديين. وهي
دولة تجب العناية بنشر الدقيق والجليل من أخبارها لكونها
من موضوع الكتاب المقصود بالذات. ولكن من أين لي أن أزيد
على ما في ابن خلدون؟ هه لو لم تؤلف فيها الكتب لكان في المكاتب
بعض العزاء. ولكن قد ألف فيها كتب متعددة. فأين هي؟ ومن لي

صورة عن الصفحة الأولى من رسالة خطية للشيخ مبارك إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني

بالمدينة عليها ؟

وقفت أثناء مطالعتي لكتاب الصلة «التكملة لكتاب الصلة» ص ١٥٦ فألفيت صاحب الكتاب ذكر أن حماد بن إبراهيم ألف تاريخا للعزيز الحمادي. وذكر ابن أبي شنب في تعليقه بالفرنسية أنه يوجد في المكتبة الشعبية بالجزائر تحت عدد ١٥٨٨، ٣ (A la Bibl. nat. d'Alger n° 1588, 3)

وقد طمعت في جلبه فأعلمت أنه محظور إخراجه من محل المكتبة إنما يرخص في مطالعته بها. وأنت تعلم أن كل محظور غير المكتبي يمكن أن يأتيه الإنسان من غير أن يحس بوخز ضمير، فإن استطعت على إخراجه وإرساله إلي ولو مع تضييق في أمد مكثه لدي فإني شديد الرغبة في ذلك

هذا ما لديكم لهذا اليوم فيما يهم عملنا. ولكني أنتهز الآن على التنبيه لكتاب حماد أو ابن حماد ولتعرف حصول من كاريت، تحت يدي ترجمة فهرست كتاب كاريت. وقد أعدت النظر فيها فلاحظت أني أحتاج اليوم من أبوابها:

الباب الرابع من الكتاب الأول

الباب السادس، السابع، التاسع من الكتاب الثالث

إني التزمت في هذا الجزء وضع باب لبيان قبائل بني هلال وغيرهم من العرب في أنسابهم ومراكزهم وحياتهم وعلاقتهم بالبربر، ووضع باب آخر لتفصيل قبائل البربر بعد هجوم الهلاليين. فما يجيء في كتاب كاريت يعين على هذا فترجمته لنا بارك الله في أنفاسك

هذا ما أقتصر عليه الآن من الأخ دمت للعلم الحي والعمل الخالد

وأخيكم مبارك بن محمد الميلي

صورة عن الصفحة الأخيرة من رسالة خطية للشيخ مبارك إلى الأستاذ أحمد توفيق المدني

خدمة بالمنهل

حركة العلم والادب في الجزائر

— ١ —

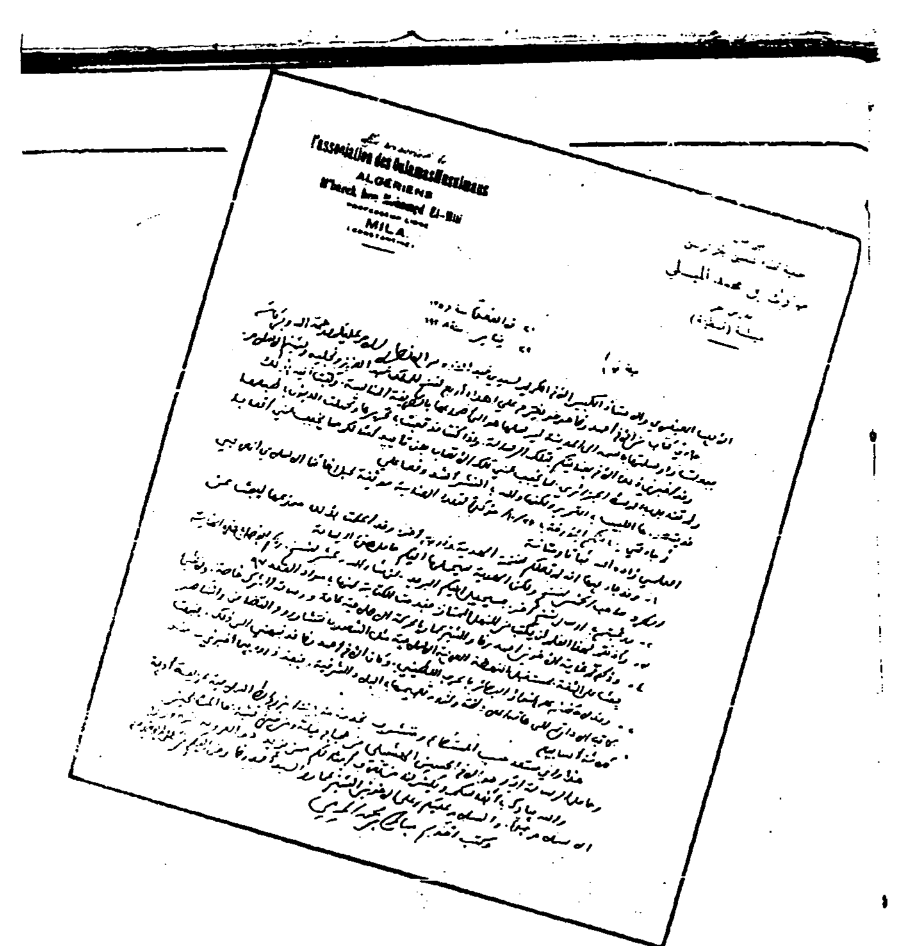
«فضيلة الاستاذ الجليل الشيخ مبارك الميلي أحد اعلام النهضة العلمية والادبية بالجزائر . وهو مؤلف كتاب (تاريخ الجزائر) الذى سبق أن حلله المحرر فى احد اجزاء المنهل السابقة وقد جادت قريحته الفياضة بهذا المقال الممتع الطريف : الذى ننشره شاكرين له غيرته وتشجيعه وعنايته» . «المحرر»

لم أر مثل الاستاذ عبد القدوس الأنصارى « دكتاتوراً » محبوباً : يجلس على كرسيه بادارة « المنهل » العذب ، ويخلو بخياله المنير للحقائق يستثير به المواضيع المجدية على النهضة العربية ؛ ثم يتقدم بها الى قراء منهله ليحرروها ؛ فلا يسعهم سكوت عنه ولا اعتذار له .

وقد أملى علي ذلك الأخ العنوان أعلاه لأكتب تحته مقالا غير مقدار الصفحات فى استعجال غير محدد الأجل ؛ الى حرص غير مبرر للاعتذار .....

— ٢٨٢ —

صورة عن مقاله: «حركة العلم والادب في الجزائر» المنشور في ثلاث حلقات في مجلة «المنهل» المدنية



l'Association des Oulamas Musulmans
ALGERIENS
M'barek Ben Mohamed El-Mili
MILA.
CONSTANTINE.

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
مبارك بن محمد الميلي
ميلة (قسنطينة)

الاســـــلامي العربي العلمي » و « روابط اسلامية عربيـــــــة أدبية » وكل ذلك يعني التضـــامن الاســــلامي والادبي العلمي بين القطرين الشقيقين .

كما افاد في رسالته الى رئيس تحـــــرير « المنهل » بأنه بعث بمقال له عن عدد المنهل الممتاز لينشر ذلك المقال في المنهل وقد نشر فعلا اذ ذاك .

هذه الرسالة التي بعثناها اليوم من مرقدها في طوايا ملفات مجلة المنهل بجدة قد مكثت في هذا « المأوى الأمين » اثنين وأربعين عاما .. ثم ها هي ذي تبعث من جديد بنشرها في هذا العدد ليطلع الجيل الجديد في القطـــــرين الشقيقين : السعودي والجزائري على الاسس التي قام عليها التعاون الفعال بين الوطنين السعيدين في المجالين الأدبي والصحافي منذ كان فيما قبل وفيما بعد وحتى الآن .

صورة عن رسالته الخطية إلى الأستاذ عبد القدوس الأنصاري رئيس تحرير مجلة «المنهل»

LE TRÉSORIER
DE
l'association des Oulamas Musulmans
ALGÉRIENS

M'BAREK Ben MOHAMED EL-MILI
PROFESSEUR LIBRE
MILA
(CONSTANTINE)

أمين مال
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

مبارك بن محمد الميلي

مدرس حر
ميلة (قسنطينة)

ميلة في { ــــــــــــ ١٣٥ هـ
{ ــــ ١٠/١٠ ـــ ١٩٣٨ م

ابننا الأبر السيد احمد بن بوزيد سلام عليكم ورحمة الله وبركاته
التمس الى كتابكم مكتفيا بالعود من العبرات لسلامتها ومستبشرا
بما من الله علينا به من مبادي الراحة المنتظرة الإمل من الشدة وإني أقدر عواطفكم
الحارة وحسن رعايتكم لرابطة التلمذة، وأسأل الله لكم مستقبلا عامرا بجلائل
الأعمال الخالدة

أقرأ سلامنا على الإخوان جميعهم

مبارك الميلي

صورة عن رسالته الخطية إلى تلميذه الأستاذ أحمد قصيبة الأغواطي

M'barek ben Mᵈ El-Mili
Directeur
Rédacteur en chef du journal
El-Bassaïr
Mila - Constantine - Algérie

مبارك بن محمد الميلي
مدير صحيفة «البصائر» ورئيس تحريرها
ميلة . قسنطينة . (الجزائر)

ميلة في ٨/٨ سنة ٩ [illegible]

ولدنا العزيز السيد أحمد بوزيد السلام عليك ورحمة الله
أتاني كتابكم معتذرا عن الحوليات بمرض والدتكم عافاها الله [illegible]
عنكم من [illegible] العمل [illegible]. وبناء على طلبكم [illegible]
[illegible]
وبعثتم عن مؤتمر الكشافة [illegible] الأسبوع الماضي [illegible]
عدده، ولكن قدم به قبلكم [illegible]
وإن تنتقد ذات المذكور [illegible] على أبدا [illegible]
لجمعية العلماء أن تطلع أولا البصائر على ما [illegible]
لذلك إن تنتقد ذات [illegible]
معنى تخلو البصائر من المباحث التي [illegible]
ذات أهمية. ومن لم يستشعر شيئا مما أنشره [illegible]
وذكر المقالات المهملة أنها اختيرت [illegible]. ومع ذلك
على العمل [illegible] حول البصائر [illegible] على [illegible]
[illegible]
أما الحديث عن تقديم المقالات وترتيب المواد بالجريدة
لأني لم أسلك فيها الطريقة المتبعة
[illegible] سلامنا على الشيخ بن بكر و[illegible]
أبنائنا وإخواننا. والسلام

[illegible]

صورة عن رسالة خطية أخرى إلى تلميذه قصيبة

الحمد لله وحده

مبارك بن محمد الميلي

[illegible] في ٥٠ ـــــ ٥/ح سنة ١٩٣١

الأديب الفاضل السيد عطية بن مصطفى. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
وبعد فقد أتتني رسالتكم وسررت بسلامة تراكيبها وسلامتها من اللحن. فحمدت الله
على انتشار العربية بينكم وأن بعض الدين متوقف عليها. وماذا أقول في حلاوة الدين من
حرم النظر في كتاب الله وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم. وماذا أقول في [illegible]
من لم يرزق حظاً وافراً من العربية. فعلى نسبة حظ الرجل من العربية تكون نسبته من قدرته
على فهم أصول الدين النقلية. وقد كان مما رجح به العلماء الإمام مالكاً على الإمام أبي
حنيفة رضي الله عنهما أن مالكاً أعلم منه بالعربية وأحوال العرب. فلا تسأموا
زادكم الله من مطالعة كتب العربية وأخبار العرب. وحرضوا إخوانكم على ذلك. [illegible]
مما علمكم الله [illegible] التعليم تسهيلا. والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه.

أما إعرابكم الآية فصحيح [illegible] لا يحتاج إلى زيادة بيان. ولا فائدة في [illegible] إذا كان
المخصص قاصرا معه نداء. وتقدير الآية: وما أنساني الحوت ذكره إلا الشيطان. والذي [illegible]
الله قوله: وما أنساني ذكر الحوت إلا الشيطان. وبدل الاشتمال هو ما كان بينه وبين
المبدل منه علاقة بغير الكلية والجزئية. فالذكر هنا واقع على الحوت ومرتبط به وليس
كله ولا جزءه.

ولفظ الله لا ينادى إلا بياء خاصة. صرح به النحاة. ويعلم ذلك بالسماع إذ لم يسمع في
كلام العرب نداء الله بغيرها. وإن وقع في كلام الناس نداؤه بغيرها فالحجة في كلام العرب
لا في كلام صوفي ولا غير صوفي. والصوفي إنما هو حجة في فنه لا في غير التصوف.
وقوله في الحديث نصحا بدل من ما وثلثها يصح أن يعطف على النصب بحذف
أو. ولكن حذفها قليل في كلام العرب. ويصح أن يكون بدل بداء من نصب، كما تقول
فلان غيث بحر. تريد تشبيهه في كثرة نفعه للناس بالغيث ثم يبدو لك ويظهر لك
أن تشبهه بالبحر. ومعنى [illegible]. ولم يظهر لي ما يحتاج إلى الشرح والإعراب
غير هذا. ودمتم في العلم راغبين وفي تحصيله للاستفادة مسارعين. وفقنا
الله وإياكم آمين. والسلام عليكم وعلى أحبابكم في الله من أخيكم في الله

مبارك بن محمد الميلي

صورة عن رسالته إلى الأديب عطية بن مصطفى

الفهـــارس

- فهرس الآيات القرآنيَّة.
- فهرس الأحاديث والآثار.
- فهرس الشِّعر.
- فهرس الأمثال والحِكم.
- فهرس الألفاظ المشروحة.
- فهرس الأعلام.
- فهرس البلدان والأماكن.
- فهرس الكُتب.
- فهرس المجلاّت والجرائد.
- فهرس المساجد والمدارس والنوادي والمكتبات.
- فهرس الجمعيات.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية..الصفحة

سورة آل عمران

سورة النساء

سورة المائدة

سورة إبراهيم

سورة النحل

سورة الإسراء

سورة الكهف

سورة الأنبياء

سورة الحج

سورة المؤمنون

سورة النور

■ سورة الشورى ■

■ سورة الجاثية ■

■ سورة الأحقاف ■

■ ■ ■

فهرس الأحاديث والآثار

(١) علامة لتمييز الآثار عن الأحاديث المرفوعة.

▣ ش، ع، غ، ف، ق، ك ▣

▣ ل ▣

م

◘ ن، هـ و ◘

◘ لا ◘

فهرس الشِّعر

* * *

* * *

فهرس الأمثال والحِكم

□ □ □

فهرس الألفاظ المشروحة

فهرس الأعلام

العَلَم .... الصفحة

■ ب ■

■ ج ■

■ ح ■

خ

د، ذ، ر، ز

س

غ

ف

■ ق ■

■ ك ■

■ ل ■

ن

هـ

◘ و، ي ◘

◘ ◘ ◘

فهرس البلدان والأماكن

البلد...الصفحة

ب

■ ت، ث ■

■ ج، ح، خ ■

■ د، ر، ز ■

■ س ■

ش

ص

■ ط ■

■ ع، غ ■

ف

ق

ك

ل

م

ن، هـ

و

ي

فهرس الكتب

◘ ب، ت، ث ◘

ج، ح، خ

د، ر، ز

◙ ع، ف، ق، ك، ل ◙

ن، هـ، و

فهرس المجلاّت والجرائد

* * *

٢ ـ الجرائد

أ ـ العربية:

ب ـ الفرنسية:

فهرس المساجد والمدارس والنوادي والمكتبات

◻ ◻ ◻

الجمعيـــات

فهرس الموضوعات

الموضوع .... الصفحة

[المجلّد الثّاني]

[المجلّد الثالث]